

















٢٩٩ (تفسير سورة يونس عليه الصلاة والسلام)

٣٣١ فصل في الكلام على هذا الحديث (أي قوله صلى الله عليه وسلم لما أغرق الله فرعون قال آمنت

الح) لانه في الظاهر مشكل

فصل في وجه اشكال الحديث المذكور

٣٣٨ ﴿تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام﴾

٣٤٩ فصل في الرد على من استدل بقوله تعالى ولا أقول اتى ملك على تفضيل الملائكة على الانبياء

عليهم الصلاة والسلام

٣٥٦ فصل في الرد على من لا يرى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مستدلا بقوله تعالى انه عمل

غير صالح الح

﴿تت﴾

﴿ فهرست الجزء الثاني من تفسير القرآن العظيم للإمام علي بن محمد المعروف بالخازن ﴾

صحيفة

- ٢ ﴿ تفسير سورة الانعام ﴾  
 ٢٩ ذكر قصة مولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ودعائه قومه وما وقع بينه وبين نمرود  
 ٣٤ فصل احتج العلماء بقوله تعالى فيه ادهم اقتده على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع  
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام  
 ٤٣ فصل يتعلق بقوله تعالى لا تدركه الابصار  
 ٥١ فصل اختلف العلماء في ذبيحة المسلم اذ لم يذكر اسم الله عليها  
 ٦٧ فصل في احتجاج القدرية والمعتزلة بقوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا  
 ولا آباءنا الخ  
 ٧٦ ﴿ تفسير سورة الاعراف ﴾  
 ٨٤ فصل في الاستدلال على صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عنه  
 ١٠٩ ذكر قصة عاد على ما ذكره محمد بن اسحق الخ  
 ١١٤ ذكر قصة ثمود على ما ذكره محمد بن اسحق الخ  
 ١٢٥ فصل في بيان المهجزة وكونها دليلا على صدق الرسل  
 ١٣٥ فصل في احتجاج من نفي الرؤية بظاهر قوله تعالى ان ترائي والرد عليهم في ذلك  
 ١٤٧ شرح غريب ألفاظ الحديث في صفة النبي صلى الله عليه وسلم المذكورة في التوراة  
 ١٦٢ ذكر أسماء الله الحسنى  
 ١٧١ فصل في احتجاج الطاعنين في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عن ذلك  
 ١٧٤ ﴿ تفسير سورة الانفال ﴾  
 ١٨٥ فصل في حكم الفرار عند الزحف  
 ٢١٠ فصل في استدلال من يقدح في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عن ذلك  
 ٢١٣ ﴿ تفسير سورة التوبة ﴾  
 فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية في أول هذه السورة  
 ٢١٦ فصل قد يتوهم متوهم ان في بعث علي بن أبي طالب بقرأة أول براءة عزل أبي بكر عن الامار  
 وتفصيله على أبي بكر وذلك جهل الخ  
 ٢٣٥ فصل في بيان أحكام قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر  
 ٢٤٥ ذكر سياق حديث الهجرة  
 ٢٤٤ فصل في الوجوه المستنبطة من قوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه الخ الدلالة على فضل سيدي  
 أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه  
 ٢٤٦ فصل استدلل بقوله تعالى عفا الله عنك الخ من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء عليهم الصلاة  
 والسلام والجواب عن ذلك  
 ٢٥١ فصل في بيان حكم قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الخ وفيه مسائل  
 ٢٦٨ فصل قد وقع في هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله بن أبي بن سلول المنافي صورة  
 اختلاف في الروايات الخ

السورة موعظة يتعظ بها المؤمنون اذا نذكروا أحوال الامم الماضية وما نزل بهم (وقل للذين لا يؤمنون  
اعملوا على مكاتكم) فيه وعيد وتهديد يعني اعمالوا ما أتم عاملون فستعملون عاقبة ذلك العمل فهو كقوله اعمالوا  
ما شئتم (انا عاملون) يعني ما أمرنا به ربنا (واتظروا) يعني ما يعدكم به الشيطان (انامنتظرون) يعني  
ما يحل بكم من نعمة الله وعذابه اما في الدنيا واما في الآخرة (ولله غيب السموات والارض) يعني يعلم ما غاب  
عن العباد فيهما يعني ان علمه سبحانه وتعالى نافذ في جميع الاشياء خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها لا يخفى  
عليه شيء في الارض ولا في السماء (واليه يرجع الامر كله) يعني الى الله يرجع امر الخلق كله  
في الدنيا والآخرة (فاعبده) يعني ان من كان كذلك كان مستحقا للعبادة لا غيره فاعبده  
ولا تشغل بعبادة غيره (ونوكل عليه) يعني وثق به في جميع أمورك فانه يكفيك (وما  
ر بك بغافل عما تعملون) قال أهل التفسير هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه

وسلم ولجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم والمعنى انه سبحانه وتعالى

يحفظ على العباد أعمالهم لا يخفى عليه منها شيء فيجزى

المحسن باحسانه والمسيء بإساءته قال

كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة

سورة هود والله أعلم

بمراده وامرار

كتابه

تثبيت فؤاده ز يادة بقرينه  
لان تكاثر الادلة أثبت  
للقلب (وقل للذين  
لا يؤمنون) من أهل مكة  
وغيرهم (اعملوا على  
مكاتكم) على حالكم  
وجهتم التي أتم عليها  
(انا عاملون) على مكاتنا  
(واتظروا) بنا الدوائر  
(انامنتظرون) أن ينزل  
بكم نحو ما اقتض الله تعالى  
من النعم النازلة بأشباهكم  
(ولله غيب السموات  
والارض) لا تخفى عليه  
خافية مما يجري فيها فلا  
تخفى عليه أعمالكم (واليه  
يرجع الامر كله) فلا بد  
أن يرجع اليه أمرهم  
وأمرك فينتقم لك منهم  
يرجع نافع وحفص  
(فاعبده ونوكل عليه) فانه  
كافيك وكافلك (ومار بك  
بغافل عما يعملون) وبالناه  
مدنى وشامى وحفص أى  
أنت وهم على تغليب  
المخاطب قبل خاتمة التوراة  
هذه الآية وفي الحديث  
من أحب أن يكون اقوى  
الناس فليتوكل على الله  
تعالى

تم الجزء الثانى وبليه الجزء الثالث أوله سورة يوسف

الشيثات وقيل في معنى الآية وما كان ر بك ليهلك القرى بمجرد شرهم اذا كانوا مصلحين يعني يعامل بعضهم بعضا بالصلاح والساد والمراد من الهلاك عذاب الاستقصال في الدنيا أماعذاب الآخرة فهو لازم لهم ولهذا قال بعض الفقهاء ان حقوق الله مبناها على المساحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على التصديق والتشديد **﴿قوله عز وجل﴾** (ولو شاء بك لجعل الناس أمة واحدة) يعني كلهم على دين واحد وشرعية واحدة (ولا يزالون مختلفين) يعني على أديان شتى ما بين يهودى ونصراني ومجوسى ومشرك ومسلم فكل أهل دين من هذه الأديان قد اختلفوا في دينهم أيضا اختلافا كثيرا لا ينضب عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرق اليهود على احدى وسبعين فرقة وأنثنين وسبعين والنصارى مثل ذلك وستفرق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة أخرجه أبو داود والترمذى بنحوه عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب اختلفوا على اثنين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفرق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النار و واحدة في الجنة وهى الجماعة أخرجه أبو داود وقال الخطابي قوله صلى الله عليه وسلم وستفرق أمتى فيه دلالة على أن هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين ادخلهم من أمته وقال غيره المراد بهذه الفرق أهل البدع والاهواء الذين تفرقوا واختلفوا وظهروا بعده كالخوارج والقدريّة والمعتزلة والرافضة وغيرهم من أهل البدع والاهواء المراد بالواحدة هى فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وقوله سبحانه وتعالى (الامن رحم ربك) (يعنى لكن من رحم ربك فى عليه الهداية والتوفيق الى الحق وهذا الى الدين القويم والصراط المستقيم فهم لا يختلفون) (ولذلك خلقهم) قال الحسن وعطاء ولا اختلاف خلقهم قال أشهب سألت مالك بن أنس عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير وقال ابن عباس وبجاهد وقتادة والضحاك وللرجة خلقهم يعني الذين يرحمهم وقال الفراء خاق أهل الرحمة للرجة وخاق أهل الاختلاف للاختلاف وقيل خاق الله عز وجل أهل الرحمة للرجة لا يختلفوا وخاق أهل العذاب لان يختلفوا وخاق الجنة وخاق لها أهلا وخاق النار وخاق لها أهلا فافصل الآية أن الله خاق أهل الباطل وجعلهم مختلفين وخاق أهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالرحمة وهم أهل الانفاق ومصيرهم الى الجنة وبدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تبارك وتعالى (وتعت كلتم بك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وهذا صريح بان الله سبحانه وتعالى خاق أقوام الجنة وللرجة فهداهم وفقهم ليعمل أهل الجنة وخاق أقوام اللذلة والنار فخذلهم ومنعه من الهداية **﴿قوله﴾** سبحانه وتعالى (ولا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) لماذا كرر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة الكريمة قصص الامم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم مع أنبيائهم خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وكلا تعص عليك يا محمد من أنباء الرسل يعني من أخبار الرسل وما جرى لهم مع قومهم ما نثبت به فؤادك يعني ما تقوى به قلبك لتصبر على أذى قومك وتأسى بالرسل الذين خلوا من قبلك وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى من قومهم وامكنه الصبر عليه (وجاءك) يا محمد (في هذه الحق) اختلفوا في هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل معناه وجاءك في هذه الدنيا الحق وفيه بعد لانه لم يجز للدنيا ذكرا حتى يعود الضمير اليها وقيل في هذه الآية وقيل في هذه السورة وهو الاقرب وهو قول اكثر من فأن قلت قد جاء الحق في سور القرآن فلم خص هذه السورة بالذكرك قلت لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر أن لا يكون قد جاء الحق في غيرها من السور بل القرآن كله حق وصدق وانما خصها بالذكر تشريفا لها (وموعظة وذكري للمؤمنين) أى وهذه

شركهم فساد آخر (ولو شاء بك لجعل الناس أمة واحدة) أى متفقين على الايمان والطاعات عن اختيار ولكن لم يشأ ذلك وقال المعتزلة هى مشيئة قسر وذلك رافع للاتبلاء فلا يجوز (ولا يزالون مختلفين) في الكفر والايمان أى ولكن شاء ان يكونوا مختلفين لماعلم منهم اختيار ذلك (الامن رحم ربك) الاناداعصمهم الله عن الاختلاف فانفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه (ولذلك خلقهم) أى ولما هم عليه من الاختلاف فعندنا خالقهم الذى علم انهم يصيرون اليه من اختلاف أو انفاق ولم يخلقهم لغير الذى علم انهم يصيرون اليه كذا في شرح التأويلات (وتعت كلتم بك) وهى قوله لا ملأناكم (الأملأن) جهنم من الجنة والناس أجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل (وكلا) التوفيق فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبأ وهو منصوب بقوله (نقص عليك) وقوله (من أنباء الرسل) بيان لكل وقوله (ما نثبت به فؤادك) بدل من كلا (وجاءك في هذه الحق)

(ان الحسنات يذهبن السيئات) ان الصلوات الخمس يذهبن الذنوب وفي الحديث ان الصلوات الخمس تكفر ما بينهما من الذنوب والطاعات قال عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها واسبغ ان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (ذلك) اشارة الى فاستقم فابعده والقرآن (ذكرى للذاكرين) عظة للامة ظنن زلت في عمرهم من غر بة الا نصارى بائع النمر قال لامرأة في البيت تمر أجود وقد خلت فقبلها فقدم فجاءه حاكبا كما فنزلت فقال عليه السلام هل شهدت معنا العصر قال نعم قال هي كفارة لك فقبل الله خاصة قال: بل للناس عامة (واصبر) على امتثال ما أمرت به والاتقاء عما نهيت عنه فلا تبتئ منه الاب (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) جاء بما هو مشتمل على جميع

الاورام والنواهي من قوله فاستقم الى قوله واصبر وغير ذلك من الحسنات (فلولا كان من القرون من قبلكم) فلولا كان وهو موضوع للعرض ومخصوص بالفعل (أولو بقية) أولوفضل وخير وسمى الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقى مما يخرجه أجوده وأفضله فصار مثالا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أى من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا (بنون عن الفساد في الارض) محب محمد عليه السلام وأمه ان لم يكن في الامم التي ذكر الله اهل كهم في هذه السورة جماعة من أولي العقل والدين بنون غيرهم عن الكفر والمعاصي (الاقليات من اتجنبتهم) استثناء منقطع أى ولكن قليلا من اتجنبتهم القرون

واحدة منزلة وأصل الزاغة المنزلة والمراد بها صلاة المغرب والعشاء (ان الحسنات يذهبن السيئات) يعني ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات ويكفرها (م) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن زادني رواية ما لم تنقض الكبائر وزادني رواية أخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتبت الكبائر (ق) ن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أن نهارا اباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا (خ) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كشل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقى من الدرن قال العلماء الصغار من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحات مثل الصلاة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من أعمال البر وأما الكبائر من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح ولها ثلاث شرائط الشرط الاول الاقلاع عن الذنب بالكافة الثاني الندم على فعله الثالث العزم التام أن لا يعود اليه في المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط سحبت التوبة وكانت مقبولة ان شاء الله تعالى وقال مجاهد في تفسير الحسنات انها قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر والقول الاول أصح أنها الصلوات الخمس وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن السيب ومجاهد في إحدى الروايتين عنه والقرطبي والضحاك وجهه والمفسرين (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من الاستقامة والتوبة وقيل هو اشارة الى القرآن (ذكرى للذاكرين) يعني عظة للمؤمنين المطيعين (واصبر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واصبر يا محمد على أذى قومك وما تلقاه منهم وقيل معناه واصبر على الصلاة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعني أعمالهم قال ابن عباس يعني المصابين قوله سبحانه وتعالى (فلولا كان من القرون) يعني فلولا كان من القرون التي أهلكناهم (من قبلكم) يعني بأمة محمد (أولو بقية) يعني أولوتيميز وطاعة وخير يقال فلان ذو بقية اذا كان فيه خير وقيل معناه أولو بقية من خير يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خلة حمودة (بنون عن انفساد في الارض) يعني يقومون بالتهنى عن الفساد في الارض والآية للتقريع والتوبيخ يعني لم يكن فيهم من فيه خير ينهى عن الفساد في الارض لذلك أهلكناهم (الاقليات) هذا استثناء منقطع معناه لكن قليلا (عن اتجنبتهم) يعني من آمن من الامم الماضية وهم اتباع الانبياء كانوا ينهون عن الفساد في الارض (واتبع الذين ظلموا ما تروا فوا فيه) يعني واتبع الذين ظلموا وانفسهم بالكفر والمعاصي ما تسمعونوا فيه والتف التعم والمعنى انهم اتبعوا ما نعدوا به من النعم واشار بالذات على الآخرة ونعيمها (وكانوا اجرهم) يعني كافر بن (وما كان ربك) يعني وما كان ربك يا محمد (ليهلك القرى) (بظلم) يعني لا يهلكهم بظلم منه (وأهلها مصلحون) يعني في أعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم

نحو ان الفساد وسائرهم نار كون التهنى ومن في عن اتجنبتهم لان النجاة لنا هي عن المنكر وهو عطف على مضمرة رأى الاقليات من اتجنبتهم نهموا عن السوء وأخذوا الذين ظلموا (واتبع الذين ظلموا) أى اتاركون للتهنى عن المنكر وهو عطف على مضمرة رأى الاقليات من اتجنبتهم نهموا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وشبهواهم فهو عطف على نهموا (ما تروا فيه) أى اتبعوا ما عروا فيه التعم والترفع من حب الرئاسة والتروة وطلب أسباب العيش الخي وورفضوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبندوه وراء ظهورهم (وكانوا اجرهم) اعتراض وحكم عليهم بانهم قوم مجرمون (وما كان ربك ليهلك القرى) اللام اتاكيد النفي (بظلم) حال من القائل أى لا يصح أن يهلك الله القرى ظلالها (وأهلها) قوم (مصلحون) تزيه الذاهن عن الظلم وقيل الظلم الشرك أى لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون في المعاملات فيما



(ولا تركنوا الى الدين ظاموا) ولا يقول الله هذا خطا بل تابعا للكفرة اى لا تركنوا الى القادة والبراءة في ظلمهم وفيما يدعونكم اليه (فتمسك النار) وقيل (٣٧٤) الركون اليهم الرضا بغيرهم وقال قتادة ولا تلحقوا بالمشركين وعن الواقف انه صلى

خلف الامام فلما قرأ هذه الآية غشى عليه فلما افارق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لاءين ولا تغلوا ولا تركنوا وقال سفيان في جهنم وادلا يسكنه الاقراء الزائرون للمالوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عالما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا ظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في امره ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الحراك في بركة هل يبقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت قال دعه يموت (ومالكم من دون الله من اولياء) حال من قوله فتمسك النار واتم على هذه الحالة ومعناه ومالك من دون الله من اولياء بقدرن على منعكم من ذنابه ولا يقدر على منعكم منه غيره (ثم لا ينصركم ولا ينجيكم من الله) يعني ثم لا ينصركم ولا ينجيكم من الله الاستبعاد اى النصر من الله مستبعد (واقم الصلاة) طرفي النهار (غدوة وعشية

هذا الدين مع يسره وسهولته قوى فان يغالب ولن يقاوى فسد دواى اقصدا السدا من الامور وهو الصواب وقار بواى اطباء المقاربة وهي القصد الذى لا غلوفه ولا نصير والغدوة الروح بكرة والروح الرجوع عشيا والمراد منه اعلاو اطراف النهار وقتا وقتا والجلسة سير الليل والمراد منه اعملاو بالنهار واعملاو بالليل ايضا وقوله شئ من الدجلة اشارة الى تقليده ﴿ وقوله تعالى ﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا ﴾ قال ابن عباس ولا يعلوا والركون هو المحبة والميل بالقلب وقال ابو العالى لا ترضوا بما عملهم وقال السدى لا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة لا تظلموهم وقيل ومعناه ولا تسكنوا الى الذين ظلموا (فتمسك النار) يعنى فصبيكم النار بجرها (ومالكم من دون الله من اولياء) يعنى أعوانا وانصارا يمنعونكم من عذابه (ثم لا ينصرون) يعنى ثم لا يجندون لكم من ينصركم ويخلصكم من عقاب الله غدا في القيامة وفيه وعيد بان ركن الى الظلمة أو رضى بما عملهم أو احبهم فكيف حال الظلمة في انفسهم نعوذ بالله من الظلم ﴿ قوله عز وجل ﴿ واقم الصلاة طرفي النهار ﴾ سبب نزول هذه الآية ما رواد الترمذى عن ابي اليسر قال اننى امرأة تبتاع غنما فقلت ان في البيت غنما هو اطيب منه فدخلت معي البيت فاهويت اليها فقبلتها فاني ابيكر فذكرت ذلك له فقال استرعى نفسك وتب ولا تخبر احد افلم اصبر فاني تب اصر فاني تب عمر فذكرت ذلك له فقال استرعى نفسك وتب ولا تخبر احد افلم اصبر فاني تب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال اخلفت غنما في سبيل الله في أهله بمثل هذا حتى غمى انه لم يكن اسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من أهل النار قال واطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى اوحى الله اليه واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الى قوله ذلك ذكرى لاذكرين قال ابو اليسر فاني تب فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصحابه يا رسول الله لهذا خاصة ثم للناس عامة قال بل للناس عامة قال الترمذى هذا حديث حسن غريب وقيل بن الربيع ضعفه وكعب وغيره وابو اليسر هو كعب بن عمرو (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رجلا اصاب من امرأة قبله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فزاد واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الآية فقال الرجل يا رسول الله ألى هذه الآية قال بل ان عمل بها من امتى وفي رواية فقال رجل من القوم يا بني الله هذه خاصة قال بل للناس كافة عن معاذ بن جبل قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم لم رجل فقال يا رسول الله رأيت رجلا اتى امرأة وليس بينهما معرفة فليس يأتى الرجل الى امرأته شيئا الا قد أتى هو اليها الا انه لم يجامعها قال فانزل الله عز وجل واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى لاذكرين فامر الله النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضأ ويصلى قال معاذ فقلت يا رسول الله أهلى خاصة أم للمؤمنين عامة فقال بل للمؤمنين عامة أخرجه الترمذى وقال هذا الحديث ليس بمصطلح لان عبد الرحمن بن ابي ليلى لم يسمع من معاذ أمما التفسير فقوله سبحانه وتعالى واقم الصلاة طرفي النهار يعنى صلاة الغداة والعشي وقال مجاهد طرفي النهار يعنى صلاة الصبح والعصر والعصر والمغرب طرف وزلفا من الليل يعنى صلاة المغرب والعشاء وقال الحسن طرفي النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء وقال ابن عباس طرفي النهار الغداة والعشي يعنى صلاة الصبح والمغرب قال الامام غر الدين الرازى كثرت المذاهب في تفسير طرفي النهار والاشهر ان الصلاة التي في طرفي النهار هي الفجر والعصر وذلك لان حد طرفي النهار هو طلوع الشمس والثاني هو غروبها فالطرف الاول هو صلاة الفجر والطرف الثاني لا يجوز ان يكون صلاة المغرب لانها داخل تحت قوله تعالى وزلفا من الليل فوجب حمل الطرف الثاني على صلاة العصر (وزلفا من الليل) يعنى واقم الصلاة في زلف من الليل وهي ساعاته

(وزلفا من الليل) وساعات من الليل جمع زلفه وهي ساعاته اقر بعم آخر النهار من زلفه اذ قر بوضلة الغدوة واحدها الفجر وصلاة العشي الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزايف المغرب والعشاء واتصاف طرفي النهار على الظرف لانها مضافان الى الوقت كقولك أفت عنده جميع النهار وأبنته نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه

صلى الله عليه وسلم وعده بالانتقام منهم **ثم قال** (ما يعبدون الا كايعد آباؤهم من قبل) يريد أن حالهم في الشرك مثل حال آباؤهم وقد بلغك منازل آباؤهم فسينزلان بهم مثله وهو استئناف معناه لتعليل النهي عن الرمية وماتى بما هو كاصدرية أو موصولة أى من عبادتهم وكعبادتهم أو ما يعبدون من الأوثان ومثل ما يعبدون منها (والملوفوهم نصيبهم) حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم انصباهم (غير منقوص) حال من نصيبهم أى كاملا (ولقد أنبئنا موسى الكتاب) التوراة (فاختلف فيه) آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن وهو ناسية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) انه لا يعاجلهم بالعذاب (لقضى بينهم) بين قوم موسى و قومك بالعذاب المستأصل (وانهم لفي شك منه) من القرآن وأمن العذاب (٣٧٣) (مرسب) من أرب الرجل اذا كان

ذارية على الاسناد المجازى (وان كلاً) التوبين عوض عن المضاف اليه يعنى وان كلاً أى وان جميع المختلفين فيه وان مشددة (لما) مخفف بصري وعلى ما مر بدهجى بهما الفصل بهما بين الامان والام (ليوفينهم) وهو جواب قسم محذوف واللام فى الماموطة للقسم والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم (ربك اعمالهم) أى جزء اعمالهم من ايمان ونجود وحسن وقبح بعكس الاولى ابو بكر مخففان مكى ونافع على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلاح الذى هو التثقيب ولان أن تشبه الفعل والفعل يعمل قبل الحذف و بعده نحولم يكن ولم يك فكذا المشبه به مشددان غيرهم وهو مشكل واحسن ما قيل فيه انه من لمعت

يا محمد في هذه الاصنام انى يعبدوها ولا انصرفوا عنها ولا تنفع (ما يعبدون الا كايعد آباؤهم من قبل) يعنى أنه ليس لهم فى عبادة هذه الاصنام مستند الا أنهم رأوا آباءهم يعبدونها فاعيدوها مثلهم (والملوفوهم نصيبهم غير منقوص) يعنى وانامع عبادتهم هذه الاصنام نرزقهم الرزق الذى قدرنا لهم من غير نقص فيه ويحتمل أن يكون المراد من توفية نصيبهم يعنى من العذاب الذى قدر لهم فى الآخرة كاملا موفرا غير ناقص **ثم** قوله عز وجل (ولقد أنبئنا موسى الكتاب) يعنى التوراة (فاختلف فيه) يعنى فى الكتاب ففهمه صدق به ومكذب به كفضل قومك يا محمد بالقرآن ففقهه لتسلي للنبى صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعنى بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة لكان الذى يستحقونه من تعجيل العقوبة فى الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وهو قوله تبارك وتعالى (اقضى بينهم) يعنى لعذوبى الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم (وانهم لفي شك منه) يعنى من القرآن ونزوله عليك يا محمد (مرسب) يعنى اثمهم قد وقعوا فى الريب والتهمة (وان كلاً) يعنى من الفريقين المختلفين المصدق والمكذب (لما ليوفينهم ربك اعمالهم) اللام لام القسم تقديره والله ليوفينهم جزاء اعمالهم فى القيامة فيجازى المصدق على تصدقه الجنة ويجازى المكذب على تكذيبه النار (انه بما يعبدون خبير) يعنى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شئ من أعمال عباده وان دقت ففقه وعده للمحسنين المصدقين وفيه وعيد وتهديد للمكذابين الكافرين **ثم** قوله سبحانه وتعالى (فاستقم كما أمرت) الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل به والدعاء اليه كما أمرك ربك والامر فى الاستقامت للتأكيد لان النبى صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقيام حتى آتيك أى دم على ما أنت عليه من القيام حتى آتيك (ومن تاب معك) يعنى ومن آمن معك من أمتك فليستقيموا بأعزى دين الله والعمل بطاعته قال عمر بن الخطاب الاستقامة أن تستقيم على الامر والنهى ولا تروغ وتروغان الثعلب (م) عن سفیان بن عبد الله الثقفى قال قلت يا رسول الله قل فى الاسلام قولاً لا أسأل عنه أحد بعده قل قل آمنت بالله ثم استقم (ولا تظفوا) يعنى ولا تتجاوزوا أمرى الى غيره ولا تصوني وقيل معناه ولا تغفلوا فى الدين فتجاوزوا ما أمرتكم به ونهيتكم عنه (انه بما تعملون بصير) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بما عساكم لا يخفى عليه شئ منها قال ابن عباس ما نزل آية على رسول الله صلى الله عليه وسلم هى أشد عايه من هذه الآية ولذلك قال شيبته هو وأخواتها (خ) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الدين يسر وان يشاء الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة قوله ان الدين يسر اليسر ضد العسر وأراد به التسهيل فى الدين وترك التشدد فان

الشئ جعلته لاهم وقف فصار لاهم أى جرى الوصل بجرى الوقف وجاز أن يكون مثل الدعوى والتروى وما فيه ألف التانيث من المصادر ورقأ الزهرى وان كلاً لما ياتونين كقولاً كلاً لما هو يؤيد ما ذكرنا والمعنى وان كلاما مومنين أى مجموعين كانه قيل وان كلاً جميعاً كقوله فسجد الملائكة كلاًهم أجمعون وقال صاحب الانجاز لما فيه معنى الظرف وقد دخل فى الكلام اختصار كانه قيل وان كلاً لما بعثوا ليوفينهم ربك اعمالهم وقال السكاسى لىس لى بشديد لما علم (انه بما يعملون خبير فاستقم كما أمرت) فاستقم استقامة مثل الاستقامة التى امرت بها غير عادل عنها (ومن تاب معك) معطوف على المستترى استقم وجاز للفصل يعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر ورجع الى الله خلاصاً (ولا تظفوا) ولا تغر جواعن حدرد الله (انه بما تعملون بصير) فهو مجاز بك فاتقوه قيل ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كانت اشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبته هو

متعد (في الجنة خالدين فيها) ما دامت السموات والارض الاما شاء ربك هو استثناء من الخلود في نعيم الجنة وذلك أن لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وهو روضة الله تعالى ورضوانه أو معناه الامن شاء أن يعده بقدر ذنبه قبل أن يدخله الجنة وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الاستثناء في الآيتين لاهل الجنة ومعناه ما ذكرنا أنه لا يكون للمسلم العاصي الذي دخل النار خلود في النار حيث يخرج منها ولا يكون له أيضا خلود في الجنة لأنه لم يدخل الجنة ابتداء والمعتزلة لما لم يروا خروج العصاة من النار ردوا الاحاديث المروية في هذا الباب وكفي به أمامينا (عطاء غير مجذوذ) غير مقطوع واسكنه تمتد إلى غير نهاية كقوله لم أجز غير ممنون وهو نصب على المصدر أي أعطوا عطاء قبل كفرت الجهمية بإربع آيات عطاء غير مجذوذ كما هادهم وما عند الله باق لا مقطوعة ولا موعة لما قص الله قصص عبدة الاوثان وذكر ما أحل بهم من تقمه وما أعد لهم من عذابه قال (فلانك في مربة مما يعبد هؤلاء) أي فلانك في سوء عاقبة عبادتهم لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله

(۳۷۱)

جميع الخلائق

العذاب هو

الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قال بشس الورد المورود الذي يردونه النار لان الورد انما يراى لتسكين العطش والنار ضده  
(وأنبعوا في هذه) أى الدنيا (اعتقوا يوم القيامة) أى يا لعنوني في الدنيا ويا لعنوني في الآخرة (بشس الرfid المرفود) رفدهم أى بشس العون  
المعان أو بشس العطاء المعطى (ذلك) مبتدأ (من أنباء القرى) خبر (نقصه عليك) خبر بعد خبر أى ذلك النباء بعض أنباء القرى  
المملكة مقصود عليك (منها) من القرى (فأثم وحصيد) أى بعضه باقى وبعضها عانى الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصده والجملة  
مستأنفة لاجل هاهنا الاعراب (وما ظلمناهم) باهلا كئنا اياهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بل تركاب ما به أهل كوا (فأغنت عنهم آلتهم)  
فأقدرت أن ترد عنهم بأس الله (٣٧٠) (التي يدعون) يعبدون وهي حكاية حال ماضية (من دون الله من

شيئ لما جاء أمر بك) عذابه ولما منصوب بما أغنت (وما زادوهم غير تنبيب) تحسير يقال تب اذا خسرو وتنبه غيره أوقفه في الخسران يعنى وما أفادهم عبادة غير الله شيأ بل أهلكتهم (وكذلك) محل الكاف الرفع أى ومثل ذلك الاخذ (أخذ بك اذا أخذنى القرى) أى اهلها (وهى ظلمة) حال من القرى (ان أخذهم أليم شديد) مؤلم شديد على المأخوذ وذهبنا تخذير لسكر قرة بظلمة من كفار مكة وغيرها فعلى كل ظالم أن يبادر التوبة ولا يغتر بالاهل (ان فى ذلك) فيما قص الله من قصص الامم الهالكة (آية) لعبرة (لن خاف عذاب الآخرة) أى اعتقد محنته ووجوده (ذلك) اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه

وأنبعوا فارد هم النار وبشس الورد المورود لان الاصل فيه قصه الماء واستعمل في ورود النار على سبيل القضاة (وأنبعوا في هذه) يعنى في هذه الدنيا (لعنة) لعنة يعنى طردا بعد اعلان الرحمة (وبوم القيامة) يعنى واتبعوا لعنة أخرى يوم القيامة مع اللعنة التي حصلت لهم في الدنيا (بشس الرfid المرفود) يعنى بشس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رfid للعنة في الآخرة وقيل معناه بشس العطاء المعطى وذلك انه ترادف عابهم لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة وقوله سبحانه وتعالى (ذلك من أنباء القرى) يعنى من أخبار أهل القرى وهم الامم السابقة والقرون الماضية (نقصه عليك) يعنى تخبرك به بما حدث لخبر قومك أخبارهم ما لهم يعتبرون بهم فيجربو عان كفرهم أو ينزل بهم مثل منازلهم من العذاب (منها) يعنى من القرى التي أهلكتنا أهلها (فأثم وحصيد) يعنى منها عاصر ومنها خراب وقيل منها قائم يعنى الحيطان بغير سقوط ومنها ما قد محى أثره بالكلية شبهه الله تعالى بالزرع الذي بعضه قائم على سوقه وبعضه قد حصد وذهب أثره والحصيد يعنى المحصود (وما ظلمناهم) يعنى بالعذاب والاهلاك (ولكن ظلموا أنفسهم) يعنى بالسفر والمعاصي (فأغنت عنهم آلتهم التي يدعون من دون الله من شيئ لما جاء أمر بك) يعنى بعذابهم أى لم تنفعهم أصنامهم ولم تدفع عنهم العذاب (وما زادوهم غير تنبيب) يعنى غير تحسير وقيل غير تدمير (وكذلك أخذ بك) يعنى وهكذا أخذ بك (اذا أخذ القرى) وهى ظلمة الضمير فى وهى عائد على القرى والمراد أهلها (ان أخذهم أليم شديد) (ق) عن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليلى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ بك اذا أخذ القرى وهى ظلمة ان أخذهم أليم شديد فالآية الكريمة والحديث دليل على ان من أقدم على ظلم ما يجب أن يتدارك ذلك بالتوبة والالابة ورد الحقوق الى أهلها ان كان الظلم للغير لا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الآية حكمها مختص بظلمى الامم الماضية بل هو عام في كل ظالم ويعضده الحديث والله أعلم قوله عز وجل (ان فى ذلك آية) يعنى ما ذكر من عذاب الامم الخالية واهلا كهم لعبرة وموعظة (لن خاف عذاب الآخرة) يعنى ان اهلا ك أولئك عبرة يعتبر بها وموعظة يتعظ بها من كان يخشى الله ويخاف عذابه فى الآخرة لانه اذا نظر ما أحس الله بأولئك الكفار فى الدنيا من أليم عذابه وعظيم عقابه وهو كالأنوز عما أعد لهم فى الآخرة اعتبر به فيكون زبادة فى خوفه وخشيته من الله (ذلك يوم مجوع له الناس) يعنى يوم القيامة تجمع فيه الخلائق من الاولين والآخرين للحساب والوقوف بين يدى رب العالمين (وذلك يوم مشهود) يعنى يشهده أهل السماء وأهل الارض (وما تؤخره الا لاجل معدود) يعنى وما تؤخر ذلك اليوم وهو يوم القيامة الا الى وقت معلوم محدود وذلك الوقت

لا

(يوم مجوع له الناس) وهو مرفوع مجموع كابر فعه فله اذا قامت يجمع له الناس وانما

آثار اسم المفعول على فعله لما فى اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لايوم وأنه أثبت أيضا اسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه يجمعون للحساب والنواب والعقاب (وذلك يوم مشهود) أى مشهود فيه فأتسع فى الظفر باجرائه مجرى المفعول به أى يشهده فيه الخلائق الواقعة لا يغيب عنه أحد (وما تؤخره) أى اليوم المذكور لاجل يطلق على مدة التأجيل كما هو على منتهىها والعدا ما هو للمدة لا غايتها ومنتهىها فعنى قوله وما تؤخره (الا لاجل معدود) الا لانه مدة معدودة بحذف المضاف وأما مؤخر هذا اليوم الا انتهى المدة التي ضمر بناها لبقاء الدنيا

من يأتيه عذاب يخز به يوم هو كاذب) من استغفاه معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أن يأتيه عذاب يخز به أي يفضحه وأنيها هو كاذب أو موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخز به والذي هو كاذب في زعمكم ودعواكم وادخل الغاء في سوف وصل ظاهر بحرف وضع لا وصل ونزعها وصل تقديرى بالاستئفاف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فإذا يكون إذا علمنا نحن على مكنتنا وعلمت أنت فقال سوف تعلمون والأيان بالوجهين للتفاني في البلاغة وأبلغهما الاستئفاف (وارتقبوا) وانتظروا العاقبة وما أقول لكم (إني معكم قريب) منتظر وال قريب بمعنى الراقب من رقبه كالضرب بمعنى الضارب أو بمعنى المراقب كالعشر بمعنى العاشر أو بمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاحبهم جبريل صيحة فهل كانوا أنعم إذ كرفي آخر قصة عاد ومدين ولما جاء وفي آخر قصة نود ولو ط فاعل جاء لانهم ما وقع بعد ذكر النوع وذلك قوله ان وعدهم الصبح ذلك وعده غير مكذب حتى بالقاء الذي (٣٦٩) هو للتسبب كقولك وعده فلما جاء الميعاد

كان كيت وكيت وأما الاخران فقد سدو قفنا مبتدأين فكان حقهما أن تعطف بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة (فاصبحوا في ديارهم جامعين) الجامع الا لزم مكانه لا يرسم بمعنى ان جبريل صاحبهم صيحة فزحق روح كل واحد منهم بحيث هو بغصة (كان لم يبقوا فيها) كان لم يبقوا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين (ألبعد المدين) لبعدها عن البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشدا لا ترى الى قوله (كما بعدت نود) وقرئ كما بعدت والمعنى في البناء بين واحد وهو نقيض القرب الا أنهم فرقوا بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره ففقدوا البناء

العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئفاف وهو باب من أبواب علم البيان تستكثر محاسنه والمعنى سوف تعلمون (من يأتيه عذاب يخز به) يعني بسبب عمله السيئ أو أي نال الشقي الذي يأتيه عذاب يخز به (ومن هو كاذب) يعني في بادئ عهده (وارتقبوا) يعني وانتظروا العاقبة وما يؤول اليها أمرى وأمركم (إني معكم قريب) أي منتظر وال قريب بمعنى المراقب (ولما جاء أمرنا) يعني بعذابهم واهلاكهم (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) يعني بفضل منابن هديناهم للإيمان ووقفناهم للطاعة (وأخذت الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم بالشر واليخس (الصيحة) وذلك أن جبريل عليه السلام صاحبهم صيحة فخرجت أرواحهم وماتوا جميعا وقيل أنهم صيحة واحدة من السماء فتأوا جميعا (فاصبحوا في ديارهم جامعين) يعني مبتدئين وهو استعارة من قولهم جثم الطير اذا قعد واطأ بالأرض (كان لم يبقوا فيها) يعني كأن لم يبقوا بديارهم مدة من الدهر مأخوذين من قولهم غنى بالمكان اذا أقام فيه مستغنيا به عن غيره (الابعد) يعني هلاكا (المدين) كما بعدت نود قال ابن عباس لم تعذب أمثان قط بعد ذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب فاخذتهم الصيحة من فوقهم ﴿قوله عز وجل﴾ (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) يعني بحججنا والبراهين التي اعطيناه بالدالة على صدق ونبوته (وسلطان مبين) يعني ومجزة باهرة ظاهرة الدالة على صدقه أيضا قال بعض المفسرين المحققين سميت الحججة سلطانا لأن صاحب الحججة يقهر من لا حججة معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو الحججة وسمى السلطان سلطانا لأنه حجة الله في الأرض (الى فرعون وملئه) يعني أتباعه وأشراف قومه (فاتبعوا أمر فرعون) يعني ما هو عليه من الكفر وترك الإيمان بعبادتهم به موسى (ومأمر فرعون رشيد) يعني وماطر يق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حيد العاقبة ولا يد عو الى خبر (بقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار) يعني كأن تقدم قومه فاخذهم البحر في الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيامة فيدخلهم النار ويدخل هو أممهم والمعنى كما كان قد ودهم في الضلال والكفر في الدنيا فكذلك هو قد ودهم وأممهم في النار (وبش الورد المورود) يعني وبش المدخل المدخول فيه وقبل شبه الله تعالى فرعون في تقدمه على قومه الى النار بمن يتقدم على الوارد الى الماء وشبه أتباعه بالواردين بعده ولما كان ورود الماء محمودا عند الواردين لانه يكسر العطش قال في حق فرعون

(٤٧) - (خازن) - (ثاني)

كأقربا بين ضماتي الخير والشر فقالوا وعدوا وعد (واقدر أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) المراد به العصا التي أبهرها (الى فرعون وملئه فاتبعوا) أي الملا (أمر فرعون ومأمر فرعون رشيد) هو تجهيل لمتبعيه حيث تابعه على أمره وهو ضلال مبين وذلك انه ادعى الألوهية وهو بشر مثلهما وجاهر بأظلم الشر الذي لا يأتي الا من شيطان ومثله بمعزل عن الألوهية وفيه أنهم عابوا الآيات والسلطان المبين وعلموا أن مع موسى الرشدا والحق ثم عدوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في أمره رشدا قط والأمراد بمأمره بصالح جيد العاقبة ويكون قوله (بقدم قومه يوم القيامة) أي يتقدمهم وهم على عقبه فنسبوا له وإضاهاى كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرضى كما يستعمل في كل ما يمدح ويقال قدمه بمعنى تقدمه (فأوردتهم النار) ادخلهم وجىء بالفظ الماضي لان الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل بقدمهم فيوردهم النار لاحاله يعني كما كان قد ودهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه (وبش الورد) المورود (المورود) الذي وردوه شبه بالفارط



المهلك وهو الكفر والمسارى وسوى في قريب وبعد وقيل وكثير بين المذكور والمؤث ولورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والتهيق ونحوهما (واستغفروا ربكم ثم بوا اليه ان ربي رحيم) بغفر لاهل الجفاه من المؤمنين (ودود يحب) اهل الوفاء من الصالحين (قالوا) يا شعيب ما نفقة كثير اعما تقول (أى لانفهم محبة ما تقول والافكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبياء) (وانا انراك فينا ضعيفا) لا قوة لك ولا عز فينا فنتقدر على الامتناع (٣٣٨) من ان أردنا بك مكروها (ولولا رهطك لرجناك) ولوعشيرتك لقتلناك بالرجم

وهو شرس قسلة وكان رهطه من اهل منهم فذلك اظهره والميل اليهم والاكرام لهم (وما أنت علينا بعزير) أى لاتعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل وترفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا وقد دل ابناء ضميره حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لافى الفعل كانه قيل وما أنت علينا بعزير بسـل رهطك هم الاعزة علينا وذلك (قال) في جوابهم (يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله) ولو قيل وما عززت علينا يصح هذا الجواب وانما قال أرهطى أعز عليكم من الله والكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم ودونه لان تهاذنبهم به وهو نبي الله تهاون بالله وعين عز عليهم رهطه ودونه كان رهطه أعز عليهم من الله الاترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله

بها لكم وقيل معناه وما ديار قوم لوط منكم بعيد وذلك انهم كانوا جيران قوم لوط وبلاذهم قريبة من بلادهم (واستغفروا ربكم) يعنى من عبادة الاصنام (ثم بوا اليه) يعنى من البخش والتقصان في الكيل والوزن (ان ربي رحيم) يعنى بعباده اذانا بوا لاستغفروا (ودود) قال ابن عباس الودود محبة لعباده المؤمنين فيقوم قولهم وددت الرجل أوده اذا أحببته وقيل يحتمل أن يكون ودود فعل بمعنى مفعول ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة فضله واحسانه اليهم وقال الخليلي هو الوداد لاهل طاعته أى الراضى عنهم باعمالهم والمحسن اليهم لاجلها والمساعد لهم بها وقال أبو سلمان الخطابي وقديكون معناه من تودد الى خلقه (قالوا يا شعيب ما نفقة كثير اعما تقول) يعنى ما نفهم ما تدعونا اليه وذلك ان الله سبحانه وتعالى ختم على قلوبهم فصارت لاتي ولا تفهم ما ينفعها وان كانوا في الظاهر يسمعون ويفهمون (وانا انراك فينا ضعيفا) قال ابن عباس وقتادة كان أعشى قال الزجاج ويقال ان حبر كانوا يسمون المكشوف ضعيفا وقال الحسن وأبو روق ومقاتل يعنى ذليلا قال أبو روق ان الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبيا أعشى ولا نبيا به زمانه وقيل كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف الجبر عن الكسب والتصرف وقيل هو الذى يشعر عليه النعم عن نفسه ويدل على محبة هذا القول ما بعده وهو قوله (ولولا رهطك) يعنى جماعتك وعشيرتك قيل الرهط ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة (رجناك) يعنى اقتلتناك بالجمرة والرجم بالجمرة أسوأ القتلات وشرها وقيل معناه لشتتناك وأغلظناك القول (وما أنت علينا بعزير) يعنى تكريم وقيل بممتنع منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله أنهم يبنوا لشعيب عليه السلام انه لاسرمة له عندهم ولا وقع له في صدورهم وانهم اعلموا بقتلهم ولم يسمعهوا الكلام الغليظ الفاحش لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم وملتهم ولما قالوا لشعيب عليه السلام هذه المقالة اجابهم بقوله (قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله) يعنى أهيب عندكم من الله والله ما منع حتى تركتم قتلى لكان رهطى عندهم كالاولى أن تحفظوني في الله ولاجل الله لارهطى لان الله أعز وأعظم (واخذتموه وراكم ظهر يا) يعنى ونبتذتم أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه كالنبي الملقى الذى لا يلتفت اليه (ان ربي بما نعمون محيط) يعنى أنه سبحانه وتعالى عالم باحوالكم جميعا لا يخفى عليه مناشئ فيجاز بكم بما يوم القيامة (ويا قوم اعلموا على مكاتكم) يعنى على تؤدكم وتكسكنكم من اعمالكم وقيل المكانة الحالية والمعنى اعلموا حال كونكم موصوفين بعناية المكنة والقدرة من الشر (انى عامل) يعنى ما أقدر عليه من الطاعة والخير وهذا الامر في قوله اعمالوا فيه وعيد زهده بدعظم ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى (سوف تعلمون) أينا الجانى على نفسه الخطي في فعله فان قلت أى فرق بين ادخال الفاء ونزعها في قوله سوف تعلمون قلت ادخال الفاء في قوله سوف تعلمون وصل ظاهر بحرف موضوع لا وصل ونزعها في قوله سوف تعلمون وصل خفي تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدم كانهم قالوا فايكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف نعلمون يعنى عاقبة ذلك فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلاغة

الله (واخذتموه وراكم ظهر يا) ونسيتموه وجعلتموه كالنبي المنبوذ وراء الظهر لابعائه وبالظهورى منسوب العرب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب كقولهم في النسبة الى الامس اسى (ان ربي بما نعمون محيط) قد احاط باعمالكم عسافلا يخفى عليه شئ منها (ويا قوم اعلموا على مكاتكم) هى بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو مصدر من مكن مكانة فهو مكنى اذا تمكن من الشئ يعنى اعلموا فارين على جهتك التى أتم عليها من الشرك والشان الى أو اعلموا متمكنين من عداوتى. يطبقين لها (انى عامل) على حسب ما يؤتى الله من النصرة والتأييد يمكننى (سوف تعلمون)

**(انك لانت الحليم الرشيد)** أى السفيه الضال وهذه تسمية على القلب استهزاء وأوانك حليم رشيد عندنا وتفعّل بنا ما يقتضيه مالك **(قال)** يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربى وورزقى منه **(من لدنه (ر ز فاحسنا) يعنى النبوة (٣٨٧))** والرسالة أو مالا حلالا من غير

بخس وتطفيف وجواب  
أرايتم مخدوف أى أخبروني  
ان كنت على حجة واضحة  
من ربى وكنت نبيا على  
الحقيقة أصبح لى أن  
لا آمركم بترك عبادة  
الاثوان والكف عن المعاصي  
والانبياء لا يعنون الا لتلك  
يقال خالفنى فلان الى كذا  
اذا قصده وأنت مول عنه  
بخالفنى عنه اذاولى عنه وأنت  
قاصده ويلقاك الرجل  
صادرا عن الماء فتدأله  
عن صاحبه فيقول خالفنى  
الى الماء ير بدانه قد ذهب  
اليه واردا وأنا ذاب عنه  
صادرا ومنه قوله **(وأمر بد)**  
أن أخالفكم الى ما أمتكم  
عنه) يعنى أن أسبقكم الى  
شهوآتكم التى نهيتكم عنها  
استنبها دونكم **(ان ار بد)**  
الا اصلاح **(ما ار بد)**  
أن أصلحكم بعوقظتى  
ونصحتى وأمرى بالمعروف  
ونهى عن المنكر  
**(ما استطعت)** ظرف أى  
مدة استطاعتى للاصلاح  
ومادمت متسكنا منه لا أكون  
فيه جهدا **(وما توفى الا)**  
بأنه) وما كوفى موقفا  
لاصابة الحق فيما أتى  
وأذرا لا معوته وتأييده  
**(عليه توكأت)** اعتمدت

وقال الاعشى أقرأئك لان الصلاة تطابق على القراءة والدعاء وقيل المراد بالصلاة هنا الدين يعنى أدبك  
بأمرك أن تترك ما يبعد أبأنا أو أن تفعل فى أموالنا ما نشاء وذلك انهم كانوا يدعون الدراهم والدينار  
فكان شعيب عليه السلام ينهاهم عن ذلك ويخبرهم أنه محرم عليهم وإنما ذكر الصلاة لانها من أعظم  
شعائر الدين **(انك لانت الحليم الرشيد)** قال ابن عباس أرادوا السفيه الغاوى لان العرب قد نصف الشئ  
بضده فيقولون للديع سليم وللقاله المملكة مفازة وقيل هو على حقيقته وإنما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء  
والسخر به وقيل معناه انك لانت الحليم الرشيد فى عملك وقيل هو على باب من الصحة ومعناه انك يا شعيب  
فيما أحاجم رشيد فلا يحمده بك شق عصا قومك ومخالفهم فى دينهم **(قال)** يعنى قال لهم شعيب **(يا قوم أرايتم)**  
ان كنت على بينة من ربى) يعنى على بصيرة وهداية بيان **(ور زقى من ر ز فاحسنا)** يعنى حلالا ليل كان  
شعيب كثير المال الحلال والنعمة وقيل الرزق الحسن ما آتاه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة  
وجواب ان الشرطية مخدوف تقديره أرايتم ان كنت على بينة من ربى وورزقى المال الحلال والهداية  
والعرفة والنبوة فهل يسعى مع هذه النعمة أن أخون فى وحيه أو أن أخالف أمرا وأتبع الضلال أو  
أبجس الناس أشياءهم وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا له انك لانت الحليم الرشيد  
والمعنى فكيف يابق بالحليم الرشيد ان يخالف أمر به وله عليه نعم كثيرة وقوله **(وما ار بد)** أى خالفكم  
الى ما أمتكم عنه) قال صاحب الكشف يقال خالفنى فلان الى كذا اذا قصد مؤنت مول عنه وخالفنى عنه  
اذاولى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتدأله عن صاحبه فيقول خالفنى الى الماء  
ير بدانه قد ذهب اليه واردا وأنا ذاب عنه صادرا ومنه قوله **(ما ار بد)** أى خالفكم الى ما أمتكم  
عنه أى أن أسبقكم الى شهواتكم التى نهيتكم عنها لاستنبها دونكم قال الامام غز الدين الرازى وتحقيق الكلام فيه  
ان القوم اعترفوا فيها بأنه حليم رشيد وذلك بدل على كمال العقل وكال العقل يحمل صاحبه على اختيار  
الطريق الاصلح فكان نه عليه السلام قال لهم لما اعترفتم بكما لعقلى فاعلموا ان الذى اخترته لنفسى  
هو أصوب الطرق وأصلحها وهو الدعوة الى توحيد الله وترك البغى والنقصان فأنما أطلب عليه غير تارك  
لها فاعلموا ان هذه الطرق بخير الطرق وأشرفها لأنهم عليه وقال الزجاج معناه أى استأنها كم عن شئ  
وأدخل فيه أنما أختار لكم مأخوذا لنفسى وقال ابن الانبارى بين ان الذى يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله  
 وترك البغى والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه ولا ينطوى الا عليه فكان هذا محض النصيحة لهم **(ان ار بد)**  
يعنى ما ار بدفيا أمركم به وأنها كمنه **(الا اصلاح)** يعنى فيما بينى وبينكم **(ما استطعت)** يعنى ما استطعت  
الا اصلاح وهو الابلاغ والالذار فقط ولا أستطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله فانه يهدي من  
يشاء ويضل من يشاء **(وما توفى الا بالله)** التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد ولا يقدر على ذلك  
الا الله تعالى فلذلك قال تعالى **(وما توفى الا بالله)** عليه توكأت) يعنى على الله اعتمدت فى جميع أمورى **(والله)**  
أنتيب) يعنى واليه أرجع فيما يترنل من التوائب وقيل اليه أرجع فى معادى روى أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال ذلك خطيب الانبياء لحسن مرا جعته قومه **(وقوله تعالى (و يا قوم)**  
لا يجرمكم شقاقى) أى لا يمحلكم خلافى وعدواى **(أن يصيبكم)** يعنى عذاب العاجلة على كفركم وأفعالكم  
الخبثية **(مثل ما أصاب قوم نوح)** يعنى الفرق **(أوقوم هود)** يعنى الرمح التى أهلكتهم **(أوقوم صالح)**  
يعنى ما أصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا **(وما قوم لوط منكم ببعيد)** وذلك انهم كانوا واحد بشئ عهد

**(والله أنتيب)** أرجع فى السراء والضراء جرم مثل كسب فى تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين ومنه قوله **(يا قوم لا يجرمكم شقاقى أن)**  
يصيبكم) أى لا يكسبكم خلافى اصابة العذاب **(مثل ما أصاب قوم نوح)** أوقوم هود أوقوم صالح) وهو الفرق والرمح والرجفة **(وما قوم لوط)**  
منكم ببعيد) فى الزمان فهم أقرب الهلكة منكم فى المكان فتألفهم ربة منكم وأقربا يستحق به



ولا تنقصوا المكيال) أي المكيال بالمكيال - (والميزان) والموزون بالميزان (إني أراكم بخير) بتروة وسعة تغنيكم عن التطفيف وأراكم بكنمة من الله حقها أن تغالب بغير ما تفعلون (وإني أخاف عليكم عذاب يوم محبط) مهلك من قوله وأحبط ثمره وأصله من احاطة العدو والمراد عذاب الاستئصال في الدنيا وأعداب الآخرة (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان) أي أوفوا بالعدل نهوا أولاء عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال (٣٦٦) والميزان ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي هو حسن في القول كزيادة الترغيب فيه وحج

الدعوة إلى توحيد الله وعبادته أهم الأشياء قال شعيب عبد الله ما لكم من الغيرة ثم بعد الدعوة إلى التوحيد شرع فيها ثم فيه وما كان المعتاد من أهل مدين البخر في الكيل والوزن دعاهم إلى ترك هذه العادة القبيحة وهي تطفيف الكيل والوزن فقال (ولا تنقصوا المكيال والميزان) النقص في الكيل والوزن على وجهين أحدهما أن يكون الاستنقاص من قبلهم فيكيلون ويزنون لغير ناقص الوجه الآخر هو استيفاء الكيل والوزن لأنفسهم زائد ما عن حقهم فيكون نقصاً في مال الغير وكلا الوجهين مذموم فلهذا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان (إني أراكم بخير) قال ابن عباس كانوا ميسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في خصب وسعة فذهرز وال تلك النعمة وغلاء السعر وحصول النعمة أن توتر بواول يومونا وهو قوله (وإني أخاف عليكم عذاب يوم محبط) يعني محبط بكم فيهلككم جيعا وهو عذاب الاستئصال في الدنيا وأحذرهم عذاب الآخرة ومنه قوله سبحانه وتعالى وإن جهنم لم تحيط بالكمافرين (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان) أي أوفوا ولا تطففوا فهما (بالقسط) أي بالعدل وقيل يتقوى لسان الميزان وتعديل المكيال (ولا تبخسوا الناس) أي ولا تنقصوا الناس (أشياءهم) يعني أموالهم فإن قلت وقوع التكرار في هذه الفص من ثلاثة أوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان ثم قال أوفوا المكيال والميزان وهذا عين الاول ثم قال ولا تبخسوا الناس أشياءهم وهذا عين ما تقدم في الفائدة في هذا التكرار قلت ان القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم احتيج في المنع منه إلى المبالغة في التأكيد والتكرير فيفيد شدة الاهتمام والعناية بآثار كيد فلها ذكر ذلك ليقوى الزجر والمنع من ذلك الفعل ولان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهى عن التقيص وقوله أوفوا المكيال والميزان أمر بإيفاء العدل وهذا غير الاول ومغاير له ولما قيل ان يقول النهى ضد الامر فالشكر ازالة عن هذا الوجه قلنا الجواب عن هذا اقتضى زان ينهى عن التقيص ولا يامر بإيفاء الكيل والوزن فلهذا جاع بينهما فهو كقولك صل رحلك لا تطففها فتر بد المبالغة في الامر والتهى وأما قوله لا تبخسوا الناس أشياءهم فليس بشكر يرأى لانه سبحانه وتعالى لما خصص النهى عن التقيص والامر بإيفاء الحق في الكيل والوزن عمم الحكم في جميع الأشياء التي يجب إيفاء الحق فيها فدخل فيه الكيل والوزن والذرع وغير ذلك فظهر بهذا البيان فائدة التكرار والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى (ولا تغشوا الأرض مفسدين) يعني بتقيص الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم (بقيت الله خير لكم) قال ابن عباس يعني ما أتى الله لكم الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن خير لكم مما تأخذونه باطفيف وقال مجاهد بقية الله يعني طاعة الله خير لكم وقيل بقية الله يعني ما باقاهم من الثواب في الآخرة خير لكم مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام (ان كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بما قلت لكم وأمر نكم به ونهيتكم عنه (وما أنا عليكم بحفيظ) يعني احفظ أعمالكم قال بعضهم أحماط لهم شعيب ذلك لانه لم يؤمر بمقاومهم (قالوا يا شعيب أصلونك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا) يعني من الأصنام (أو أن تفعل في أمواتنا منشاء) يعني من الزيادة والنقصان قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فذلك قالوا هذا وقيل انهم كانوا يبرون به فبرونه يصلي فيستزرون به ويقولون هذه المقالة

به مقيد بالقسط أي ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) البخر النقص كانوا ينفقون من ثمن ما يشترون من الأشياء فنهوا عن ذلك (ولا تغشوا الأرض مفسدين) الغش (مفسدين) الغش والعبث أشد الفساد نحو السرقة والغارة قطع السبيل ويجوز أن يجعل البخر والتطفيف عثامهم في الأرض (بقيت الله) ما يبقى لكم من الحلال بعد التزعم عما هو حرام عليكم (خير لكم ان كنتم مؤمنين) بشرط ان تؤمنوا نعم بقية الله خير للكفرة أيضا لانهم يسلمون معها من نعمة البخر والتطفيف الا ان فائدتها تظهر مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب ولا تظهر مع عدمه لانفاس صاحباني غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم للإيمان وتنبية على جلالة شأنه أو المراد ان كنتم مصدقين لي فيما أقول لكم وأنصح به

إياكم (وما أنا عليكم بحفيظ) لانه عليكم حافظوا بترك البخر (قالوا يا شعيب أصلونك) وبالوحيد كوفي وغرأني بكر (تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا وأن تفعل في أمواتنا منشاء) كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه يقولون له ما نستفيد بهذا فنكان يقول انها تأمر بالمحسن وتنهى عن القبائح فقالوا له على وجه الاستهزاء أصلونك تأمرك أن تأمرنا بترك عبادة ما كان يعبد آباؤنا وأن تترك التسط في أمواتنا منشاء من إيفاء ونقص وجاز أن تكون الصلوات أسرة مجازا كما سماها الله تعالى ناحية مجازا

جدة موصلة لفتح قبائلها اذ كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدر راعى ضرره (فاسر) بالوصل مخازي من مري (بأهلك بقطع من الليل)  
طائفة منهم أو نصفه (ولا بلغت منكم أحد) بقلبه اى ما خلف ولا يظن اى ما وراءه ولا يتخلف منكم أحد (الامر أنك) مستثنى من فاسر  
بأهلك وبالرفع مكى وأبو عمر وعلى البدل من أحد وفى اخراجها مع أهل رويتان (٣٦٥) روى أنه أخرجهم معهم وأمر أن لا

يلتفت منهم أحد الا هى فلما  
سمعت هدة العذاب  
التفتت وقالت يا قوم  
فأدركها شجر فقتلها  
وروى أنه أمر بان يخلفها  
مع قومها فان هواها اليهم  
فلم يسرها واختلاف  
القراءتين لاختلاف  
الروايتين (انه مصيها ما  
أصاها) أى ان الامر  
وروى أنه قال لهم متى موعد  
هلاكم قالوا (ان  
موعدكم الصبح) فقال  
أريد أسرع من ذلك  
فقالوا (ليس الصبح  
ب قريب فلما جاء أمر ناجعنا  
عليها سافها) جعل جبريل  
عليه السلام جناحه فى  
أسفلها أى أسفل قراهم  
رفعها الى السماء حتى سمع  
اهل السماء نباح السكالب  
وصياح الديكة ثم قلبها  
عليهم وأتبعوا الحجارة من  
فوقهم وذلك قوله (وأمرنا  
عليها تحارة من سجبل)  
هى كلمة عبرية من سنك كل  
بدليل قوله حجارة من طين  
(منضود) نفت لسجبل أى  
متتابع أو مجموع معد للعذاب  
(مسومة) نفت لحجارة أى  
معاملة للعذاب قبل مكتوب

ورأسه حبك مثل المرجان كأنه كالثلج بياضا وقدمه الى الخضره ف ضرب بجناحيه وجوههم فطمس أعينهم  
وأعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يمتدنون اى يوتهم فأنصر فواوهم بقولون النجاة النجاة فى بيت  
لوط أصحرا قوم فى الارض قد سحر وناو جعلوا يقولون بالوط كما أنت حتى تصبح وسترى ما نلقى مناغدا يوعده  
بذلك (فاسر بأهلك) يعنى ببيتك (بقطع من الليل) قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك ببقية  
الليل وقال قتادة بعد مضى أوله وقيل انه السحر الاول (ولا بلغت منكم أحد) يعنى ولا بلغت منكم أحد ادى  
ورائه ولا يظن اى خلفه (الامر أنك) فانهما من المتفتتات فتهلك مع من هلك من قومها وهو قوله سبحانه  
وتعالى (انه مصيها ما أصاها) فقال لوط متى يكون هذا العذاب قالوا (ان موعدهم الصبح) قال لوط انه بعيد  
أريد أسرع من ذلك فقالوا له (ليس الصبح ب قريب) فلما خرج لوط من قريته أخذ أهل معه وأمرهم أن  
لا يلتفت منهم أحد فقبلوا منه الا امرأته فانها لم تسمع هدة العذاب وهو نازل بهم التفتت وصاحت  
واقوما فآخذتها بحجارة فاهلكتها معهم (فلما جاء أمرنا) يعنى أمرنا بالعذاب (جعلنا عليها سافها) وذلك  
ان جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت قري قوم لوط وهى خمس مدائن أكبر هلاهم وموهى المؤتفتات  
المذكورة فى سورة براءه ويقال كان فيها أربع مائة ألف وقيل أربع مائة ألف فرجع جبريل الى المدائن كلها  
حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح السكالب لم يكفأ لهم اناء ولم ينسب لهم نائم ثم قلبها فجعل عليها سافها  
(وأمرنا عليها) يعنى على شذاهوا من كان خارجا عنها من مسافرينها وقيل بعد ما قلبها أمطر عليهم (حجارة  
من سجبل) قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة معناه سنك كل فارسى معرب لان العرب اذا تكلمت بشئ من  
الفارسى صار لغة للعرب ولا يضاف الى الفارسى مثل قوله سندنس واستبرق ونحو ذلك فكل هذه ألفاظ  
فارسية تكلم بها العرب واستعملتها فى الألفاظ فصارت عربية قال قتادة وعكرمة السجبل الطين دليله قوله  
فى موضع آخر حجارة من طين وقال مجاهد وأهل البحر وأخرها طين وقال الحسن أصل الحجارة طين فشدت وقال  
الضحاك يعنى الآجر وقيل السجبل اسم ساء الدنيا وقيل هو جبل فى سماء الدنيا (منضود) قال ابن عباس  
متتابع ينبع بعضها بعضا مفعول من الضد وهو وضع الشئ بعضه فوق بعض (مسومة عندرك) صفة  
للحجارة يعنى معاملة قال ابن جريج عليها اسم لا تشاكل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حجر على  
هيئة الجزع وقال الحسن والسدى كانت مخنومة عليها أمثال الخواتيم وقيل كان مكتوبا عليها أى على كل  
حجر اسم صاحبه الذى يرمى به (وماهى) يعنى تلك الحجارة (من الظالمين) يعنى مشركى مكة (ببعيد) قال  
قتادة وعكرمة يعنى ظالمى هذه الامة والله ما أجاز الله منها ظالم بعدده وفى بعض الآثار ما من ظالم الا هو  
بعرض حجر يسقط عليهم من ساعة الى ساعة وقيل ان الحجارة اتبع شذاهو قوم لوط حتى ان واحد منهم دخل  
الحرم فوجد الحجر معلقا فى السماء أربعين يوما حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط عليه الحجر فاهلكه  
فوقه عز وجل (والى مدین) يعنى وأرسلنا الى مدین (أخاهم شعيبا) مدین اسم لابن ابراهيم الخليل عليه  
السلام ثم صار اسما لقبيلة من أولاده وقيل هو اسم مدينة بنها مدين بن ابراهيم فعلى هذا يكون التقدير  
وأرسلنا الى أهل مدین خذف الحذف لادالة الكلام عليه (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الغيرة) يعنى  
وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره كانت عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام يبدؤن بالاهم فالاهم ولما كانت

على كل واحد اسم من يرمى به (عندرك) فى خزائنه وفى حكمه (وماهى من الظالمين بعيد) بشئ بعيد وفيه وعيد لاهل مكة فان جبريل  
عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظالمى أمك ما من ظالم منهم الا هو معرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة والضمير  
للقرى أى هى قريته من ظالمى مكة يرون بها فى مسائرهم (والى مدین أخاهم شعيبا) هو اسم مدينتهم وأسم جدتهم مدين بن ابراهيم أى  
وأرسلنا شعيبا الى ساكنى مدین والى بنى مدین (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الغيرة

يا قوم هؤلاء بناتي) فترجوهن أراد أن يقي أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جائز في ذلك الوقت كما جاز في  
الابتداء في هذه الأمة فقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عبته في الحب وأبى العاص وهما كافران وقيل كان لهم سيدان  
مطاعان فأراد لوط أن يزوجهما (٣٦٤) ابنتيه (هن أطهر لکم) أحل هؤلاء مبتدأ وبناتي عطف بيان وهن فصل وأطهر خبر

المبتدأ أو بناتي خبر وهن  
أطهر مبتدأ وخبر (فاتقوا  
الله) بإشهارهن عليهم (ولا  
تخزون) ولا تهينوني ولا  
تقصصوني من الخزي أو  
ولا تخجلوني من الخزية  
وهي الحياء وبالباء أبو  
عمرو في لوص (في ضيق)  
في حق ضيق فإنه إذا  
خزي ضيف الرجل وأجاره  
فقد خزي الرجل وذلك  
من عرافة الكرم واصله  
المرءة (أليس منكم رجل  
رشيد) أي رجل واحد  
يهتدي إلى طريق الحق  
وقبل الجليل والكف عن  
السوء (قالوا لقد علمت  
مائلنا في بناتك من حق)  
حاجة لأن نكاح الاث  
أمر خارج عن مذهبنا  
فذهبنا اتیان الذکر ان  
(وانك تعلم ما نريد) عنوا  
اتیان الذکر وما لهم فيه  
من الشهوة (قالوا لوان  
بکم قوة أو آوی الی یرکن  
شدید) جواب لو محدوف  
أی لعلت بکم ولستعت  
والمعنی لو قوت علیکم  
بنفسی أو آویت الی قوی  
أسند اليه وأتمتع به

انهم غلمان من بني آد. (يا قوم هؤلاء بناتي) يعني ازوجکم ایاهن وفي أضيافه ببناته قيل انه كان في ذلك الوقت  
وفي تلك الشريعة يباح تزويج المرأة المسلمة بالكافر وقال الحسن بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام  
وقال مجاهد وسعيد بن جبیر أراد ببناته نساء قومهم وأضافهن إلى أنفسهن لأن كل نبي أبو أمته وهو كالوالد لهم  
وهذا القول هو الصحيح وأشبهه بالصواب ان شاء الله تعالى والدليل عليه ان بنات لوط كاتاتن اثنتين ولستنا  
بكافيتين للجماعة وليس من المرءة أن تعرض الرجل بناته على أعدائه ليزوجهن إياهن فكيف يليق ذلك  
بمنصب الانبياء أن يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل إنما قال ذلك لوط على سبيل الدفع أقوم له على سبيل  
التحقيق وفي قوله (هن أطهر لکم) سؤال وهو أن يقال ان قوله هن أطهر لکم من باب أفعل التفضيل  
فقتضى أن يكون الذي يطلبونه من الرجال طاهر وأموالهم أنه محرم فاسد نجس لاطهارة فيه البتة فكيف  
قال هن أطهر لکم والجواب عن هذا السؤال ان هذا جار مجرى قوله ذلك خير من لأم شجرة تالز قوم ومعلوم  
أن شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يوم أحد أهبل قال الله تعالى وأجل اذل ما ناله  
بين الله عز وجل والصم وأعمى كلام خرج مخرج المبالغة ولهذا انفطر كثيرة ﴿وقوله (فاتقوا الله) يعني  
خافوه وراقبوه واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والعصيان (ولا تخزون في ضيق) يعني ولا تسووني في أضياف  
ولا تقصصوني معهم (أليس منكم رجل رشيد) أي صالح سيد عاقل وقال عكرمة رجل يقول لاله الا الله  
وقال محمد بن اسحق رجل يأمر بالعرف ويهني عن المنكر حتى ينهي عن هذا الفعل القبيح (قالوا لقد  
علمت ما لنا في بناتك من حق) يعني ليس لنا بهن حاجة ولانا بهن شهوة وقيل معناها ليست بناتك لنا  
بازواج ولا مستحقين نكاحهن وقيل معناها ما لنا في بناتك من حاجة لانك دعوتنا إلى نكاحهن بشرط الايمان  
ولا نريد ذلك (وانك تعلم ما نريد) يعني من اتیان الرجال في أدبارهم فعند ذلك (قال) لوط عليه السلام (لو أن  
لي بكم قوة) أي لو أني أقدر أن أنقوي عليكم (أو آوى إلى یرکن شدید) يعني أو أنضم إلى عشرة ينعونني  
منكم رجواب لو محدوف وتقديره لو وجدت قوة لقاتلتكم أو لو وجدت عشرة لانضمت إليهم قال أبو هريرة  
ما بعث الله نبياً بعده الا في منعة من عشرته (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم  
الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولوليت في السجن ما لبث يوسف ثم أتاني داعي لاجبته قال الشيخ  
محبي الدين النووي رحمه الله المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فإنه أشد الاركان وأقواها وأمنها ومعنى  
الحديث ان لوطاً عليه السلام لما خاف على أضيافه ولم تكن له عشرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعاً واشتد  
حزنه عليهم فغلب ذلك عليه فقال في تلك الحال لو أن لي بكم قوة في الدفع بنفسي أو آوى إلى عشرة تمنع لمتعكم  
وقصد لوط اظهار العذر عند أضيافه وأنه لو استطاع لدفع المكر وعنه ومعنى باقي الحديث فيما يتعلق  
بيوسف عليه السلام يأتي في موضعه من سورة يوسف ان شاء الله تعالى قال ابن عباس وأهل التفسير أغاث  
لوط بابه والملائكة معه في الدار وجعل ينظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وقومه يعالجون سور الدار  
فلما رأته الملائكة ماتي لوط بسببهم (قالوا يا لوط) ركنك شديد (انارسل ربك ان يصلوا اليك) يعني يكره  
فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام به فزوج لوط في عقوبتهم فأذن له  
فتحول إلى صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من درمنظوم وهو راق الثياب أجلى الجبين

فيعميهم منكم فبه القوى العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته روى أنه أغلق بابه حين جازوا جعل برادهم ما حكي  
وراه  
الله عنه ومجاهد قدسوا الجدار فلما رأته الملائكة ماتي لوط من الكرب (قالوا يا لوط) ان ركنك لشديد (انارسل ربك) فافتح الباب  
ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام به في عقوبتهم فأذن له فغضب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم  
كما قال الله تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخر جواؤهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوماً مسحرة (١٠١) ١١١

(ان ابراهيم حلیم) غیر عیول علی کل من أساء الیه و اکثر الاحتمال من آذاه الصوفح عمن عساه (أواء) کثیر التأوہد من خوف الله (منیب)  
تأثیر ارجع الی الله و هذه الصفات دالة علی رقة القلب والرأفة والرحمة (۳۶۳) فبین ان ذلک مما حمله علی المجادلة

المفسرین معناه بجدال و سئلانی قوم لوط و كانت مجادلة ابراهيم مع الملائكة أن قال لهم رأیتکم لوکان فی  
مدائن قوم لوط خمسون رجلاً من المؤمنین أتھلکونھا قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال فما  
زال كذلك حتی بلغ خمسة قالوا لا قال رأیتکم لوکان فیہا رجل واحد مسلم أتھلکونھا قالوا لا قال ابراهيم فان  
فیہا لوطاً والآخرین أعلم من فیہا لننجینہ و اھلہ الا امرأته كانت من الغابرین و قیل انما طاب ابراهيم تأخیر  
العذاب عنهم لعلھم یؤمنون أو یرجعون عھم فیه من السکر والمعاصی قال ابن جریر کان فی قری قوم لوط  
أربعة آلاف مقاتل (ان ابراهيم حلیم أواء منیب) تقدم تفسیرہ فی سورة التوبة فعدت ذلک قالت الملائكة  
لا ابراهيم (یا ابراهيم أعرض عن هذا) یعنی أعرض عن هذا المقال واترك هذا الجدال (انه قد جاء أمر  
ربك) یعنی ان ربك قد حکم بعذابھم فھو نازل بھم وھو قولہ سبحانه و تعالی (وانھم آتھم عذاب غیر  
مردود) یعنی ان العذاب الذی نزل بھم غیر مصروف و لا مدفوع عنهم ﴿قوله عز وجل﴾ (ولما جاءت رسلنا  
لوط) یعنی هؤلاء الملائكة الذین کانوا عند ابراهيم و كانوا علی صورة غلمان مردحسان الوجوہ (سعی ھم)  
یعنی أذن لوط بمحببتھم الیہ و ساء ظنھ بقومہ (وضاق ھم ذرعا) قال الازھری الذرع بوضع موضع الطافة  
والاصل فیہ ان البعیر یذرع یدیه فی سبرہ ذرعاً علی قدر سرعۃ خطوہ فاذا حل علیہ أكثر من طوفہ ضاق ذرعہ  
من ذلک و ضعف و مدعنتھ فجعل ضیق الذرع عبارة عن ضیق الوسع و الطافة والمعنی وضاق ھم ذرعا الذم بجد  
من السکر و فی ذلک الامر مخصصاً و قال غیرہ معناه ضاق ھم قلباً و صدر الا یعرف أصلہ الا أن یقال ان الذرع  
کناية عن الوسع و العرب تقول لیس هذا فی یدئ یعنی لیس هذا فی وسی لان الذراع من الید و یقال ضاق  
فلان ذرعاً کذا اذا وقع فی مکروه لا یطیق الخروج منه و ذلک ان لوطاً علیہ السلام لما نظر الی حسن وجوھھم  
وطیبر و انعم أشفق علیھم من قومہ و خاف أن یقتدوھم بکروہ و فاحشۃ و علم انه سیحتاج الی المدافعة  
عنھم (وقال) یعنی لوطاً (هذا یوم عصیب) أي شد بدکانه قد عصبه الشر والبلاء أي شد به ما خوذ من  
العصاة التي تشبه الرأس قال قتادة و السدی خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قریة لوط فانوا لوطاً  
نصف النهار وھو یسئل فی أرض لوط و قیل انه کان یحطب و قد قال الله سبحانه و تعالی للملائكة لا تھلکوھم  
حتی يشھد علیھم لوط أربع شہادات فاستضافوھ فضاظق ھم فلما مشی ساعة قال لھم أبا بعلکم أمر ھذه القریة  
قالوا و ما أمر ھم قال أشھد بالله انھا الشرقریة فی الارض عملاً یقول ذلک أربع مرات فضاظمعه حتی دخلوا  
منزلہ و قیل انه لما حل الخطب معہ الملائكة مر علی جماعۃ من قومہ فتغاضوا فقاما بنھم فقال لوط ان قومی  
شر خلق الله تعالی فقال جبریل ھذه واحدة فر علی جماعۃ أخرى فتغاضوا فاقبل مثله ثم مر علی جماعۃ  
أخری ففعلوا ذلک و قال لوط مثل ما قال وألحی قال ذلک أربع مرات و کلما قال لوط ھذا القول قال جبریل  
للملائكة أشھدوا و قیل ان الملائكة جاؤا الی بیت لوط فوجدوہ فی دارہ قد دخلوا علیہ ولم یعلم أحد بمحببتھم  
الاھل بیت لوط فخرجت امرأۃ الخبیثۃ فاخبرت قومھا و قالت ان فی بیت لوط رجلاً ما رأیت مثل وجوھھم  
قطاً ولا حسن منھم (وجاء قومہ بہر عون الیہ) قال ابن عباس وقتادة یسرعون الیہ و قال مجاہد بہر ولون  
وقال الحسن الاحراع و موشی بین متشین و قال شمر ھو بن ابرہ و لوط و الخبیب و الجز (ومن قبل) یعنی ومن  
قبل مجئ الرسل الیھم قیل ومن قبل یجئھم الی لوط (کانوا یعملون السیئات) یعنی الفحلات الخبیثۃ  
والفاحشة القبیحۃ وھی اثیان الرجال فی أدبارھم (قال) یعنی قال لوط لقومہ حیث قصدوا أضیاف و ظنوا

قالوا و ما أمر ھم قال أشھد بالله انھا الشرقریة فی الارض عملاً قال ذلک أربع مرات فدخلوا معہ منزلہ ولم یعلم بذلک أحد فخرجت امرأۃ  
فاخبرت ھم قومھا (وجاء قومہ بہر عون الیہ) یسرعون کانما یدفعون دفعاً (ومن قبل کانوا یعملون السیئات) ومن قبل ذلک  
الوقت کانوا یعملون الفواحش حتی مر نوا علیھا و قل عندھم استباحھا فلذلک جاؤا بہر عون مجاہدین لا یمکفھم حیاء (قال

(فبشرناه باسحق) ونحت بالبشارة لان النساء اهنهم سرور ابوالدمن الرجال ولانه لم يكن له ولد وكان لابراهيم ولد وهو اسمعيل (ومن وراء اسحق) ومن بعده (يعقوب) بالنصب شامى وحزوه وحضه بفعل مضمر دل عليه فبشرناه اى فبشرنا هاهنا باسحق وههنا بايعقوب من وراء اسحق وبالرفع غيرهم على الابتداء والظرف قبله خبر كذا تقول فى الدار زيد (قالت ياو بلنا) الاف مبدلة من ياء الاضافة وقرأ الحسن ياو بلنى بالياء على الاصل (ألدوا ناعجوز) ابنة تسعين سنة (وهذا يعلى شيخا) ابن مائة وعشرين سنة هذا مبتدا و يعلى خبره وشبهه اخال والعامل معنى الاشارة الى ذات (٣٦٢) عليه ذا ومعنى التنبيه الذى دل عليه هذا (ان هذا الشئ عجب) ان يولد ولد من هرمين وهو

استبعاد من حيث العادة (قالوا أنعجبين من امر الله) قدرته وحكمته وانما أنكرت الملائكة تعجبها لانها كانت فى بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقر ولا يزدها ما يزدهى سائر النساء الناشئات فى غير بيت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك أشارت الملائكة حيث قالوا (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أرادوا أن هذه وأمثالها ما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام بها هل بيت النبوة فليست مكان عجب وهو كلام مستأنف عال به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب لان أمثال هذه الرحمة والبركة متكررة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبياء منهم وكلامهم

فضحكت أى حاضت قال ويقال أصله من ضحك الطاعة اذا انشقت قال وقال الاخطا فيه بمعنى الحيض فضحكت الضع من دماء سليم \* اذرا أنها على الحراب تمور

وقال فى المحكم ضحكت المرأة ضاحته وبه فسر بعضهم قوله سبحانه وتعالى فضحكت فبشرناه باسحق وضحكت الاربع ضحكا بمعنى حاضت حيا فقال وضحك الاربع فوق الصفا \* كمثل دم الخوف يوم اللقاء يعنى الحيض فبازرع بعضهم وأجاب عن هذا من أنكر أن يكون الضحك معنى الحيض قال كان ابن زيد يقول من شاهد الضع عند كشرها علم انها تعوض وانما اذ الدال شاعر تكشر لاكل اللحوم وهذا هو منه لانه جعل كشرها حيا وقيل معناه انها تستبشر بالقتلى فتز بعضها على بعض فجعل هر يزها ضحكا وقيل لانها تسر بهم فجعل سرور هاضحكا فان قلت أى القولين أصح فى معنى الضحك قلت ان الله عز وجل حكى عنها انها ضحكت وكلا القولين محتمل فى معنى الضحك فائدة أى علم ذلك كان \* وقوله سبحانه وتعالى (فبشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) يعنى ومن بعد اسحق يعقوب وهو ولد الولد فبشرت سارة بأنها تعيش حتى ترى ولدها فلما بشرت بالولد صكت وجهها أى ضربت وجهها وهو من صنع النساء وعادتهن وانما فعلت ذلك تعجبا (قالت ياو بلنا) نداء ندبة وأصلها ياو يلما وهى كلمة يستعملها الانسان عند رؤية ما يتعجب منه مثل يا عجب (ألدوا ناعجوز) وكانت بنت تسعين سنة فى قول ابن اسحق وقال مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة (وهذا يعلى) يعنى زوجى والبدل هو المستعلى على غيره ولما كان زوج المرأة مستعبدا عاها قائما بأمرها سمي به لانه لك (شيخا) وكان سن ابراهيم يومئذ مائة وعشرين فى قول مجاهد بن اسحق وقال مجاهد مائة سنة وكان بين الولادة والبشارة سنة (ان هذا الشئ عجب) يعنى قالت الملائكة لسارة (أنعجبين من أمر الله) معناه لا تعجبين من ذلك فان الله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ فاذا أراد شيئا كان سر يعا (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) يعنى بيت ابراهيم عليه السلام وهذا على معنى الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على أن أزواج الرجال من أهل بيته (انه جسد) يعنى هو المحمود الذى يحمده على أفعاله كالها وهو المستحق لان يحمده فى السراء والضراء والشدّة والرءاء فهو محمود على كل حال (عجيد) ومعناه المنيع الذى لا يرام وقال الخطابي المجيد الواسع الكرم وأصل المجدى فى كلامهم السعة يقال رجل ماجد اذا كان سخيا كريما واسع العطاء وقيل الماجد هو ذو الشرف والكرم \* وقوله سبحانه وتعالى (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) يعنى الفزع والخوف الذى حصل له عند امتناع الملائكة من الاكل (وجاءته البشرى) يعنى زال عنه الخوف بسبب البشرى التى جاءته وهى البشارة بالولد (مجادلنا) فيه اضمار تقديره أخذ مجادلنا وأجعل مجادلنا وبخاصنا وقيل معناه يكلمنا ويسألنا (فى قوم لوط) لان العبد لا يقدر أن يخاصم ربه وقال جمهور

من ولد ابراهيم وأهل البيت نصب على النداء أو على الاختصاص (انه عجيد) محمود بتجديد النعم (مجدد) المقصر من ظاهر الكرم بتأجيل النعم (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) الفزع وهو ما وجس من الخيفة حين نكرت أضيافه (وجاءته البشرى) بالولد (مجادلنا فى قوم لوط) أى لما طمأن قلبه بعد الخوف وملى سرور بسبب البشرى فرغ للمجادلة وجواب لما لمحمد وف تقديره أقبيل مجادلنا أو مجادلنا جواب لما وانما سى به مضارع الحكاية الحال والملة سى بمجادل ولسنا بمجادلته اياهم انهم قالوا اناهم لكره أهل هذه القرية فقال رأيتهم لو كان فيها اخسون مؤمنا أهل كونهم قالوا الا قال فاربعون قالوا الا قال فثلاثون قالوا الا حتى بلغ العشرة قالوا الا قال رأيتهم ان كان فيها رجل واحد مسلم أهل كونهما قالوا الا فعد ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم عن فيها لنجته وأهله





(فانز بدوتني) بقولكم انتم اباؤنا (غير تخسیر) بنسبتكم اباى الى الخسار أو بنسبتى اياكم الى الخسران (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل ولكم متعاقباً به حالاً منهم امتدعة لانها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال (فذر وهاتناكل في أرض الله) أى ليس عليكم رزقها علم أن لكم نعمها (ولا تمسوها بسوء) عقر أو نحر (فياخذكم عذاب قريب) عادل (فقروها) يوم الاربعاء (فقال) صالح (تمتعوا) استمتعوا بالعيش (في داركم) في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها أى (يصرف أو في دار الدنيا (ثلاثة أيام) ثم تهلكون فهلكوا يوم السبت (ذلك وعد غير مكذوب) أى

خالت أمره (فانز بدوتني غير تخسیر) قال ابن عباس معناه غر بصارة في خسارتكم وقال الحسن بن الفضل لم يكن صالح في خسارة حتى يقول فانز بدوتني غير تخسیر وإنما المعنى فانز بدوتني بما تقولون الانسبتي الى الخسارة (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) وذلك ان قومه طلبوا أن يخرج لهم ناقة من صخرة كانت هناك أشاروا اليها فادعاه الله عز وجل فأخرج لهم من تلك الصخرة ناقة عشرة أعوام ولم يلدت فصلبا يشبهها وأقوله ناقة الله إضافة تشريف كبيت الله وعبد الله فكانت هذه الناقة لهم آية ومعجزة دالة على صدق صالح عليه السلام (فذر وهاتناكل) يعني من العشب والنبات (في أرض الله) يعني فليس عليكم مؤنتها (ولا تمسوها بسوء) يعني بعقر (فياخذكم) يعني ان قتلتموها (عذاب قريب) يعني في الدنيا (فقروها) يعني تخافوها أو أمرهم فقروها (فقال) يعني فقال لهم صالح (تمتعوا) يعني عيشوا (في داركم) أى في بلدكم (ثلاثة أيام) يعني ثم تهلكون (ذلك) يعني العذاب الذى أوعدهم به بعد ثلاثة أيام (وعد غير مكذوب) أى هو غير كذب روى انه قال لهم يا نبيكم العذاب بعد ثلاثة أيام فاصبحون في اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفي اليوم الثانى حمرة وفي اليوم الثالث مسودة فكان كإفقال وأناههم العذاب وفي اليوم الرابع وجوههم سبجانه وتعالى (فلما جاء أمرنا) يعنى العذاب (نجينا الصالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) أى بنعمة منابنا هديناهم الى الإيمان فآمنوا (ومن خزي يومئذ) يعني ونجينا ناهم من عذاب يومئذ يسمى خزي لأن فيه خزي الكافرين (ان ربك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان ربك يا محمد (هو القوى) يعني هو القادر على انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين (العزيز) يعني القاهر الذى لا يغلبه شئ ثم أخبر عن عذاب قوم صالح فقال سبحانه وتعالى (وأخذ الذين ظالموا) يعنى أنفسهم بالكفر (الصبيحة) وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا وقيل أنهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ في الارض ففتطعت قلوبهم في صدورهم فأتوا جميعا (فاصبحوا في ديارهم جائئين) يعني صرعى هلكى (كان لم يغنوا فيها) يعني كان لم يقيموا في تلك الديار ولم يسكنوها مدة من الدهر يعنى أل غنيت بالمسكان اذا أتيته وأقت به (الآن نودا كفروا) بهم (ألا بعد النود) وهذه القصص قد تقدمت مستوفاة في تفسير سورة الاعراف (فأقوله عز وجل (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم باشرى) أراد بالرسالة والملائكة واختلفوا في عددهم فقال ابن عباس وعطاء كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل وقال الضحاك كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثني عشر ملكا وقال مجاهد بن كعب القزطلى كان جبريل ومعه سبعة أملاك وقال السدى كانوا أحد عشر ملكا على صور الغلمان الحسن الوجوه وقول ابن عباس هو الاول لان أقبل الجمع ثلاثة وقوله رسلنا جمع فيجعل على الأقل وما بعده غير مقطوع به بالشرى يعنى بالباشرة بأسحق وبعوب وقيل بأهالك قوم لوط (قالوا اسلاما)

وعد غير مكذوب) أى غير مكذوب فيه فاقنع في الظرف بحذف الحرف واجراؤه مجرى المفعول به أو وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالفعول (فلما جاء أمرنا) بالاعذاب أو عذابنا (نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) قال الشيخ رحمه الله هذا يدل على ان من نجي انما نجي برحمة الله تعالى لا بعمله كما قال عليه السلام لا يدخل أحد الجنة الا برحمة الله (ومن خزي يومئذ) بإضافة الخزي الى اليوم وانجرار اليوم بالاضافة وفتحتها مدنى وعلى لانه مضاف الى اذ وهو مبني وظروف الزمان اذا أضيف الى الاسماء المهمة والافعال الماضية ببيت واكتسبت البناء من المضاف اليه كقوله \* على حسين عانت المشيب على الصبا \* والواو للعطف وتقديره ونجيناهم من خزي يومئذ أى من ذلهم وقصبتهم ولا

خزي أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانه قامه وجاز أن ير بد يومئذ يوم القيامة ككفر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة (ان ربك هو القوى) القادر على تنجيته وأولائه (العزيز) الغالب بأهلاك أعدائه (وأخذ الذين ظلموا الصبيحة) أى صيحة جبريل عليه السلام (فاصبحوا في ديارهم) منازلهم (جائئين) ميتين (كان لم يغنوا فيها) لم يقيموا فيها (ألا ان نودا كفروا) بهم (نودا) وحفص (ألا بعد النود) على الصريف للذهاب الى الحى والأبالا اكبر ومنه للتعريف والتأنيب بمعنى القبيحة (ولقد جاءت رسلنا) جبريل وميكائيل وإسرافيل أو جبريل مع أحد عشر ملكا (إبراهيم بالشرى) هى البشارة بالولد أو بهلاك قوم لوط والأول أظهر (قالوا اسلاما) سامنا عليك

(وأتبعوا أمركم جبار عبيد) يريد رؤساءهم ودعائهم الى تكذيب الرسل لانهم الذين يجبرون الناس على الامور ويعادون ربههم ومعنى اتباع امرهم طاعتهم (وأتبعوا في هذه الدنيا العتة يوم القيامة) لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت الالعة تابعة لهم في الدارين (ألا ان عادا كفروا ربهم الأبعد العاد) تكرار الألف للدعاء على كفرهم والدعاء عليهم فهو يدل لاسرهم وبعث على الاعتبار بهم والحد من مثل حالهم والدعاء بعد ابعدهلاكهم وهو دعاء هلاكهم للدلالة على انهم كانوا مستأهلين له (قوم هود) عطف بيان لعاد وفيه فائدة لان عاد اعدان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم (والى عمودا خاهم) (٣٥٩) صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم

من الغيرة هو أشأكم من الارض) لم يشك منها الا هو وانشأوهم منها خاق آدم من التراب ثم خلقهم من آدم (واستمركم فيها) وجعلكم عمارها وأراد منكم عمارتها واستغفركم من العمر أى أطال أعماركم فيها وكانت أعمارهم من ثلثائة الى ألف وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمرها الاعمار الطوال مع ما فيهم من الظلم فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى الله اليه انهم عمروا بلادى فعاش فيها عبادى (فاستغفروه) فأسأله مغفرتهم بالامان (ثم نوبوا اليه ان ربي قريب) داني الرحمة (بحجيب) لمن دعاه (قالوا) يا صالح قد كنت فينا فيما بيننا (مرجوا قبل هذا) للسيادة والمشاورة في الامور أو كنزنا رجوان تدخل في ديننا وتوافقنا على

الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيروا في الارض فانظروا اليها واعتبروا بها ثم وصف حالهم بقوله تعالى جحدوا بآيات ربهم يعني المعجزات التي أتى بها هود وعليه السلام وعصوا رسله يعني هود واحد وانما أتى به بلفظ الجمع اما للتعظيم وألان من كذب برسول فقد كذب بكل الرسل (وأتبعوا أمركم جبار عبيد) يعني ان السفلة منهم واتباعوا الرؤساء والمراد من الجبار الرفيع في نفسه المنرد على الله والعبيد المعاند الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه (وأتبعوا في هذه الدنيا العتة) يعني أردفوا امة تتبعهم وتلحقهم وتنصرف معهم والعتة الطرد والابعاد من رحمة الله (ويوم القيامة) يعني وفي يوم القيامة أيضا تتبعهم الالعة كما تتبعهم في الدنيا ثم ذكر سبحانه وتعالى السبب الذي استحقوا به هذه الالعة فقال سبحانه وتعالى (ألا ان عادا كفروا ربهم) أى كفروا ربهم (الأبعد العاد) يعني هلاكهم وقيل بعدا عن الرحمة فان قلت للالعة معانها الابعاد والهلاك فما الفائدة في قوله الأبعد العاد لان الثاني هو الاول بعينه قلت الفائدة فيه ان التكرار بعبارتين مختلفتين يدل على نهاية التأكيد وانهم كانوا مستحقين له (قوم هود) عطف بيان لعاد فان قلت هذا البيان حاصل مفهوما فما الفائدة في قوله قوم هود قلت ان عادا كانوا قبيلتين عاد الاولى القديمة التي هم قوم هود وعادا الثانية وهم ارم ذات العماد وهم العماليق فأتى بقوله قوم هود ليزول الاشتباه وجواب آخر وهو ان المبالغة في التخصيص تدل على تقوية التأكيد (وقوله عز وجل) (والى عمودا خاهم صالحا) يعني وأرسلنا الى عمودا وهو سكان الحجر أخاهم صالحا يعني في النسب لاني الدين (قال يا قوم اعبدوا الله) أى وحدوا الله وخصوه بالعبادة (ما لكم من الغيرة) يعني هو الهكم المستحق للعبادة لاهذه الاصنام ثم ذكر سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته فقال تعالى (هو أنشأكم من الارض) يعني انه هو ابتداء خلقكم من الارض وذلك انهم من بني آدم وآدم خاق من الارض (واستمركم فيها) يعني وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك أطال أعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلثائة سنة الى ألف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد أعماركم من العمر أى جعلها لكم معاشهم (فاستغفروه) يعني من ذنوبكم (ثم نوبوا اليه) يعني من الشرك (ان ربي قريب) يعني من المؤمنين (بحجيب) لدعائهم (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) يعني قبل هذا القول الذي جئت به والمعنى انا كنا نرجو ان تكون فينا سaida لانه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعفهم ويغنى فقيرهم وقيل معناه انا كنا نطمع أن تعوذ الى ديننا فلهما أظهر دعاءهم الى الله وعاب الاصنام انقطع رجائهم منه (أنه انما نعبده ما يعبد آباؤنا) يعني الآلهة (واننا في شك مما تدعونا اليه) يعني من عبادة الله (مرحب) يعني انما نرتابون في قولك من أراه اذ أوقعه في الربة وهي قاتل النفس ووقعها في التهمة (قال) يعني قال صالح محببا لقومه (يا قوم أرايتم ان كنت على ينة من ربي) يعني على يقين وبرهان (وأتاني منه رحمة) يعني نبوة وحكمة (فن ينصر من الله) أى فن ينصرتي من الله (ان عصيته) يعني ان

ما نحن عليه (أنه انما نعبده ما يعبد آباؤنا) حكاية حال ماضية (واننا في شك مما تدعونا اليه) من التوحيد (مرحب) موقع في الربة من أراه اذ أوقعه في الربة وهي قاتل النفس وانتفاء الظما ذينة (قال يا قوم أرايتم ان كنت على ينة من ربي وأتاني منه رحمة) نبوة أتى بحرف الشك مع انه على يقين انه على ينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قد روا الى على ينة من ربي وأتني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في أوامره (فن ينصر من الله) فن ينصرتي من الله (ان عصيته) في تبليغ رسالته ومنعكم عن عبادة الاوثان



ماتشر کون من دونہ (۱) ای من اشرا ککم آلہق من دونہ والمعنی انی اشہد اللہ انی بری مما تشرکون واشہدوا انتم ایضاً بری من  
 ذلک وحجی بے علی انظرا بال شہادۃ کاتبہ ول الرجل لمن بیس التری بینہ و بینہ اشہد علی انی لأحکمتہ کما بہ واسماتہ بحالہ (فیکیدونی  
 جیہا) انتم و آلہکم (تم انتظاروں) لایہلون فانی لأبالی بکم وبکیدکم ولأخاف معرفتکم وان تعاوتم علی و کیف نصرنی آلہکم و ماہی  
 الاجاد لایضر ولا ینفع و کیف (۳۵۸) تاتہم فی اذانت منہا و صددت عن عبادتہا بان بخجانی و نذهب بعقلی (انی نوکلت

على الله ربى ور بكم مامن  
دابة الا هو اخذت باصاينها  
أى مالكمها ولما ذكر نوكه  
على الله ونقصه بحفظه  
وكلأته من كيدهم  
وصفه بما يوجب التوكل  
عليه من اشتغال ربي بيمته  
عليه وتلويهم ون كون  
كل دابة فى قبضته وملكه  
وتحت قهره وسلطانه  
والاخذ بالنخاصية تمثل  
لذلك ان ربي على صراط  
مستقيم ان ربي على  
الحق لا يعدل عنه وأوان  
ربي يدل على صراط مستقيم  
فان تولى فقد ابتعد بالبعثكم  
ما أرسلت به اليكم خوفا  
موضع فقد نبئت الحجة  
عليكم و يستخاف ربي  
فوما غيركم كلام مستأنف  
أى ملككم الله والوجي  
بقوم آخر بن يخافونكم  
فى دياركم وأموالكم ولا  
تضرونه بتوليكم شيا  
من ضرر قط ولا ينجوز  
عليه المضار وانما تضرون  
أنفسكم ان ربي على كل  
شئ حفيظ رقيب عليه  
مهمون فاتخذ عليه

مما نشر كون من دونه يعني هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها (فكيدوني جيعا) يعني احتالوا في كيدى  
وضرى أتم وأصنامكم التي تعتقدون انها تضر وتنتفع فانها لا تضر ولا تنتفع (ثم لا تنظرون) يعني ثم لا يهتمون  
وهذا فيه معجزة عظيمة هو دواعيه السلام وذلك انه كان وحيداً في قومه فقال لهم هذه المقالة ولم يفهم  
يلمخف منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت الاثثة بالله عز وجل وتوكله عليه وهو قوله تعالى (انى  
تراكبت على النار في ورى بكم) يعني انه فوض أمره الى الله واعتمد عليه (ما من دابة) يعني تدب على الارض  
و يدخل في هذا جميع نبي آدم والحيوان لانهم يدبون على الارض (الاهو آخذ بناصيتها) يعني انه تعالى  
هو مالكها والقادر عليها وهو بقره الالان من أخذت بناصيته فقد قرنه والناصية مقدم الرأس  
وسمى الشعر الذي عليه ناصية للمجاورة قيل انما خص الناصية بالذئبان لان العرب تستعمل ذلك كثيراً  
في كلامهم فاذا وصفوا انساناً بالذئب مع غيره يقولون ناصية فلان يبدفان وكانوا اذا أسروا أسيراً وأرادوا  
اطلاقه يمزوا ناصيته لئلا يعليه ويعتقدوا بذلك نغراً عليه فغطاهم الله سبحانه وتعالى بما يعرفون من  
كلامهم (ان ربي على صراط مستقيم) يعني ان ربي وان كان قادراً او أتم في قبضته كالعبد الذليل فانه  
سبحانه وتعالى لا يظلمكم ولا يعمل الا بالاحسان والاضاف والعدل فيجازي المحسن بحسانه والمسيء بعصيانه  
وقيل معناه ان دين ربي هو الصراط المستقيم وقيل فيه اضمار تقديره ان ربي يحملككم على صراط مستقيم  
(فان تولوا) يعني تتولوا بمعنى تعرضوا عن الايمان بما أرسلت به اليكم (فقد ابغضكم ما أرسلت به اليكم)  
يعني اني لم يعقب مني تقصيري في تبليغي ما أرسلت به اليكم انما التقصير منكم في قبول ذلك (ويستخلفون في قوما  
غيركم) يعني انكم ان أعرضتم عن الايمان وقبول ما أرسلت به اليكم هلككم الله ويستبدل بكم قوما غيركم  
أطوع منكم بوجدونه وبعدونه وفيه اشارة الى عذاب الاستئصال فهو عديد وتهديد (ولانظرونه شياً)  
يعني يتولواكم انما تظرون انفسكم بذلك وقيل لا تنقصونه شيئاً اذا أهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء  
(ان ربي على كل شئ حفيظ) يعني انه سبحانه وتعالى حافظ لكل شئ فيحفظني من أن تنالوني بسوء ﴿وقوله  
سبحانه وتعالى (ولما جاء أمرنا) يعني بهلاكمهم وعذابهم (نجيناهم واولاد الذين آمنوا معه) وكانوا أربعة  
آلاف (برحمة منا) وذلك ان العذاب اذا نزل فديم الاثوم والكافر فلما أنجى الله المؤمنين من ذلك العذاب  
كان رحمة وفضله وكرمه (ونجيناهم من عذاب غليظ) يعني الرج التي أهلكت بها عاد وذلك ان الله سبحانه  
وتعالى أرسل على عاد يمشا بددة غليظة سبع ليال وثمانية أيام حسوا ما هو الايام التحسبات فاهلكهم  
جميعاً وأنجى الله المؤمنين جميعاً فلم تضرهم شيئاً وقيل المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الآخرة وهذا هو  
الصحيح ليعصل الفرق بين الغدابين والمعني انه تعالى كما أنجاهم من عذاب الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب  
الآخرة ووصف عذاب الآخرة بكونه غليظاً لانه أعظم من عذاب الدنيا (ولك عاد يجذوبايت ربهم وعصوا  
رسله) لما فرغ من ذكر قصة عاد خاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد رد الى القبيلة وفيه اشارة

أعمالكم ولا يغفل عن مواخذتكم أومن كان رقيقا على الأشياء كما حافظها لو كانت الأشياء مفتقرة إلى حفظه عن المضار لم يصير مثله مثلكم (ولما جاء أمرنا بنوحا ودوا الذين آمنوا معه) وكانوا أربع آلاف (برحمة منا) أي بفضل منالنا بعلمهم أو بالإيمان الذي أنعمنا عليهم (ونجيناهم من عذاب غليظ) وتكرار نجيئنا للتأكيد والثانية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه (وذلك عاد) إشارة إلى قبورهم وآثارهم كانه قاله لسيهجو في الأرض فانظروا إليها واعتبروا ثم استأنف وصف أحوالهم فقال (جمودا يأتيهم وعصاوسله) لانهم اذا عصروا سولهم فقد عصوا جبرم رسل الله لا تفرق بين أحد من رسله

(فأصبر) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كإصبر نوح وتوقع في العاقبة لك وليك ذلك نحو ما كان لنوح ولاقوه، (ان العاقبة) في الفوز والنصر والغلبة (للمتقين) عن الشرك (والى عاد أخاهم) واحدا منهم واتصبا به لعطف على أرسلنا نوحا وأرسلنا إلى عاد أخاهم (هودا) عطف بيان (قال يا قوم اعبدوا الله) وحدوه (ما لكم من الغيرة) بالرفع نافع سعة على محل الجار والمجرور وبالجر على اللفظ (ان أتم الامفوترون) تفترن على الله الكذب باخذكم الاوثان له شركاء (يا قوم لاأسلمكم عليه أجزا) ان أجزى الاعلى الذى فطرنى) مامن رسول الواجه قومه بهذا القول لان شائهم النصيحة والنصيحة لا يحضها الاحسب المطامع ومادام يتوهم شئ منها لم تنجع ولم تنفع (أفلا تعقلون) اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجزا الامن الله وهو ثواب الآخرة ولا شئ أنى للنعمة من ذلك (و يا قوم استغفروا ربكم) آمنوا به (ثم نوبوا اليه) من عبادة غيره (يرسل السماء) أى المطر (عليكم مدرارا) حال أى كثيرة (٣٥٧) الدورور (وزيدكم قوة الى قوتكم) انما قصد استأنهم الى الايمان

معروفة في العالم فكيف قال ما كنت تعبدونها أنت ولا قومك من قبل هذا قلت محتمل أن يكون كانوا يعبدونه ومنها بحجة فنزل القرآن بتفصيلها ويبينها جواب آخر وهو ان صلى الله عليه وسلم كان آميلا يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعامها وكذلك كانت أمته فصيح قوله ما كنت تعبدونها أنت ولا قومك من قبل نزول القرآن بها (فأصبر) يا محمد على أذى مشركي قومك كإصبر نوح على أذى قومه (ان العاقبة) يعنى النصر والظفر على الاعداء والفوز بالسعادة الاخرى (للمتقين) يعنى للمؤمنين (وقوله عز وجل) (والى عاد) يعنى وأرسلنا الى عاد (أخاهم هودا) يعنى أخاهم في النسب لافى الدين (قال يا قوم اعبدوا الله) يعنى وحدوا الله ولا تشركوا معه شيا فى العبادة (ما لكم من الغيرة) يعنى أنه تعالى هو الهكم لانه لا اله الا هو الذى تعبدونها فانها بخارجة لا نصر ولا تنفع (ان أتم الامفوترون) يعنى ما أتم الا كاذبون في عبادةكم غيره (يا قوم لاأسلمكم عليه) يعنى على تبليغ الرسالة (أجزا) يعنى جعلنا آخذة منكم (ان أجزى) يعنى ماثورا (الاعلى الذى فطرنى) يعنى خلقنى فانه هو الذى يرزقنى في الدنيا ويبيئنى في الآخرة (أفلا تعقلون) يعنى فتفتعلون (و يا قوم استغفروا ربكم) أى آمنوا به فالاستغفار هنا يعنى الايمان لانه هو المطلوب أولا (ثم نوبوا اليه) يعنى من شرككم وعبادةكم غيره ومن سالف ذنوبكم (يرسل السماء عليكم مدرارا) يعنى ينزل المطر عليكم متتبا بعبادة بعدمى فى أوقات الحاجة له وذلك ان بلادهم كانت خصبة كثيرة الخير والزم فاسلك الله عنهم المطر مدة ثلاث سنين فاجذبت بلادهم وحقت بسبب كفرهم فاخبرهم هود عليه السلام انهم ان آمنوا بالله وصدقوه أرسل الله اليهم المطر فاحياهى بلادهم كما كانت أول مرة (وزيدكم قوة الى قوتكم) يعنى شدة مع شدتكم وقيل معناه انكم ان آمنتم بقومكم بالاموال والاولاد وذلك انه سبحانه وتعالى أعقم أرحام نسائهم فلم تلد فقال لهم هود عليه السلام ان آمنتم أرسل الله المطر فتزدادون مالا ويعيد أرحام الامهات الى ما كانت عليه فيلدن فتزدادون قوة بالاموال والاولاد وقيل تزدادون قوة في الدين الى قوة الابدان (ولا تتولوا الجرمين) يعنى ولا تعرضوا عن قبول قولى ونصيحى حال كونكم مشركين (قالوا يا هود ما جئنا ببينة) أى ببرهان وحجة واضحة على صحة ما نقول (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) يعنى وما نترك عبادة آلهتنا لاجل قولك (وما نحن لك بمؤمنين) يعنى بمصدقين (ان نقول الاعتراف بعض آلهتنا بسوء) يعنى أنك يا هود دلت تتعاطى ما نتعاطاه من مخالفتنا وسب آلهتنا الآن بعض آلهتنا أصابك بخيل وجنون لانك سببتهم فاتقموا منكم بذلك ولا تحمل أمرك الاعلى هذا (قال) يعنى قال هود مجيبا لهم (انى أشهد الله) يعنى على نفسى (وأشهدوا) يعنى واشهدوا أنهم أيضا على (انى برىء

فقال هلا سألته ثم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم نسمع قول هود وزيدكم قوة الى قوتكم وقول نوح وعيدكم بالموال وبنين (ولا تتولوا) ولا تعرضوا عنى وعما أدعوك اليه (مجرمين) مصر بن على اجرامكم وأنامكم (قالوا يا هود ما جئنا ببينة) كذب منهم وبوجود كآفالت قر يش رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوات آياته الحصر (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) هو حال من الضمير في تاركى آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادري عن قولك (وما نحن لك بمؤمنين) وما يصح من أمنائنا ان يصدقوا منكم فبما يدعوه الله اليه افناطاله من الاجابة (ان نقول الاعتراف بعض آلهتنا بسوء) ان حرف نفي فتفى جميع القول الاقولا واحدا وهو قولهم اعترافك أصابك بعض آلهتنا بسوء بخمون وخيل وتقديرنا نقول قولنا هذه المقالة أى قولنا اعترافك بعض آلهتنا بسوء (قال انى أشهد الله وأشهدوا) أى برىء

والظاهر (فلا تسألن) اجترأ بالكسرة عن الياء كوفي تسألني بصرى تسألني مدني تسألن شامي خذف الياء واجترأ بالكسرة والنون نون  
التاكيد تسألن مكى (ماليس لك به علم) بجواز مسئلته (اني أعظك أن تكونن من الجاهلين) هو كنهى رسولا بقوله فلا تكونن من الجاهلين  
(قال رب اني أعوذ بك أن أسألك ماليس لي به علم) أي من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأديا بآدابك وانعاظا وعظتك  
(والا تغفري) ما فرط مني (٣٥٦) (وترجى) بالعصمة عن العود الى مثله (أكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا)

بمعجزة ما أو بسلامة من الفرق (وبركات عليك) هي الخيرات النامية وهي في حقه بكثرة ذريته وأتباعه فقد جعل أكثر الانبياء من ذريته وأئمة الدين في القرون الباقية من نسله (وعلى أئمة من معك) من للبيان فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا اجاعات أو قيل لهم أئمة لان الامم تنشعب منهم أولا ابتداء الغاية أي على أئمة ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه (وأئمة) رفع بالابتداء (سمنتمهم) في الدنيا بالسعة في الرزق والخفض في العيش صفة والخبر مخدوف تقديره وعن معك أئمة سمنتمهم وانما حذف لان عن معك بدل عليه (ثم يسهم مناعذاب أليم) أي في الآخرة والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أئمة المؤمنين يشنون من معك وعن معك أئمة تمتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام أبالانبياء والخلق

بعد الطوفان منه وعن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفي بعده من المتاع والعذاب كل كافر (تلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحله الرفع على الابتداء والجل بعده وهي من (أنبياء الغيب نوحيا اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) اخبار اى تلك القصة بهض أنبياء الغيب موحاة اليك بمجهول عندك وعند قومك (من قبل هذا) الوقت أو من قبل إحيائي اليك واخبارك بها

بعد الطوفان منه وعن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفي بعده من المتاع والعذاب كل كافر (تلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحله الرفع على الابتداء والجل بعده وهي من (أنبياء الغيب نوحيا اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) اخبار اى تلك القصة بهض أنبياء الغيب موحاة اليك بمجهول عندك وعند قومك (من قبل هذا) الوقت أو من قبل إحيائي اليك واخبارك بها

(ونادى نوح ربه فقال رب) نداء ربه دعاؤه وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تجنبه أهله (ان ابني من أهلي) أى بعض أهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربه يباهل فهو بهض أهله (وان وعدك الحق) وان كل وعد (٣٥٥) تعده فهو الحق الثابت الذى لا شك في

انجاز الوفاء به وقد وعدتني ان تبعي أهلي فبالا ولدى (وانت احكم الحاكمين) أى أعلم الحكام وأعدلهم اذ لا فضل لخاصة على غيره الا بالعلم والعدل ورب غوي في الجهل والجور من متقلدى الحكومة في زمانك قد لقب أقضى القضاة ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر (قال يانوح انه ليس من أهلك) تم على لاتفاء كونه من اهله بقوله (انه عمل غير صالح) وفيه ايدان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسبك في دينك وان كان حبشيا وكنيت قرشيا اصيبك ومن لم يكن على دينك وان كان أمس أقاربك رحافهوا بعد بعيدتك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها \* فأنما هي اقبال وادبار \* والتقدير أنه ذو عمل وفيه اشارة بأنه انما انجي من انجي من أهله لصالحهم لالانهم أهله وهذا لما اتيت عنه النسخ لم تنفعه أبوته عمل غير صالح على قال الشيخ أبو منصور رحمه الله كان عند نوح

لاجل السفينة فلم يمكنه نقله فحمله عوج من عنق من الشام الى نوح فنجاه الله من الفرق لذلك فان قلت كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم اغراق من لم يبايعوا الحبل من الاطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم قلت ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل أعظم ارحام نسايتهم أربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوى لانه رد عليه اغراق جميع الدواب والطيور وغير ذلك من الحيوان ويرد على ذلك أيضا هالك اطفال الامم الكافرة مع أنهم غير قوم نوح والجواب الشافي عن هذا كله ان الله سبحانه وتعالى متصرف في خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عمنه ما يفعل وهم يشاؤون ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ونادى نوح ربه) أى دعاؤه وسأله (فقال رب ان ابني من أهلي) يعنى وقد وعدتني ان تجنبي وأهلي (وان وعدك الحق) يعنى الصدق الذى لا خلف فيه (وانت احكم الحاكمين) يعنى انك حكمت لقوم بالنجاة وحكمت على قوم بالهلاك قال يعنى قال الله تعالى (يانوح انه) يعنى هذا الابن الذى سألتني نجاته (ليس من أهلك) اختاف اسماء التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح اصلبه أم لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد نوح ولم يعلم به فلذلك قال انه ليس من أهلك وقال محمد بن جعفر ٧ الباقى كان ابن امرأة نوح وكان يسمه نوح ولذلك قال من أهلي ولم يقل من قال ابن عباس وعكرمة وسعيد ابن جبير والضحاك وأكثرا المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان ضعيفان بل باطلان ويدل على صحة هذا نقل الجوهري صاحب عن ابن عباس أنه قال ما ثبت امرأة نبي قط ولا ن الله سبحانه وتعالى نص عليه بقوله سبحانه وتعالى ونادى نوح ابنه نوح صلى الله عليه وسلم أيضا نص عليه بقوله يابني اركب معنا وهذا نص في الدلالة وصراف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وانما خالف هذا الظاهر من خافه لانه استبعد ان يكون ولدي كافر وهذا خطأ ممن قاله الله سبحانه وتعالى خالق خلقه فريق في الجنة وهم المؤمنون وفريق في السعير وهم الكفار والله سبحانه وتعالى يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ولا فرق في ذلك بين الانبياء وغيرهم فان الله سبحانه وتعالى أخرج قابيل من صلب آدم عليه السلام وهونى وكان قابيل كافر أو أخرج ابراهيم من صلب زرهونى وكان أزر كافر فكذلك أخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهونى فهو المتصرف في خلقه كيف يشاء فان قلت فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسأله النجاة مع قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قلت قد ذكر بعضهم ان نوح عليه الصلاة والسلام لم يعلم بكون ابنه كان كافر فلذلك ناداه وعلى تقدير أنه يعلم كفره انما سأل على أن ناداه مرة لا بد وعله اذ رأى تلك الاحوال أن يسلم فينجيه الله بذلك من الفرق فاجابه الله عز وجل بقوله انه ليس من أهلك يعنى انه ليس من أهل دينك لان أهل الرجل من يجمعه واياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراهم ولو لم يحكم الشرية برفع حكم النسب في كثير من الاحكام بين المسلم والكافر قال الله سبحانه وتعالى انوح انه ليس من أهلك (انه عمل غير صالح) قرأ الكسائي وبعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الراء على عود الفعل على الابن ومعناه أنه عمل الشرك والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرأ الباقر من القراء عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين وغير بضم الراء ومعناه أن سؤالك ابى أن انجي من الفرق عمل غير صالح لان طلب نجاة الكافر بعد ما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا قال سبحانه وتعالى انه عمل غير صالح ويجوز ان يعود الضمير في أنه على ابن نوح أيضا ويكون التقدير على هذه القراءة ان بك ذو عمل أو صاحب عمل غير صالح خذف المضاف كما قالت الخنساء

عليه السلام ان ابنه كان على دينه لانه كان ينافى واللايحتمل أن يقول ابني من أهلي ويسأله نجاته وقد سبق منه النهي عن سؤال مثله بقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا وهم مفرقون فكان يسأله على الظاهر الذى عنده كما كان أهل النفاق يظهرن الموافقة لئيبنا عليه السلام ويضرون الخلاف ولم يعلم بذلك حتى أطلعه الله عليه وقوله ليس من أهلك أى من الذين وعدت النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة في السر

وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكتابة وما يتصل بها فتقول ان الله تعالى لما أراد ان يبين معنى اردنا ان نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارتد وانقطع طوفان السماء فانقطع وأن نقيض الماء النازل من السماء فقيض وأن نقضي أمر نوح وهو انجاز ما كنا وعدناه من اغراق قومه فقضى وأن نسوي السفينة على الجودي فاستوت وأبقينا الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه المراد بالامر الذي لا يتأتى منه لسبب هيبته العصبان وتشبيه تكون المراد بالامر الجزم التافذى تكون المقصود صور الاقتداره العظيم وان السموات والارض متقادة لشكوه فيها ما يشاء غير متعده لارادته فيها تغييرا وتبدلا كما علقاء يميزون قدر قوه حتى معرفته وأطوا عما سوا جوب الانقياد لامره والاذعان لحكمه ونحتم بهذا المجموع عليهم في تحصيل مراده ثم نبى على تشبيه هذا انظم الكلام فقال عز وجل وقيل على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببها قول القائل وجعل قريته المجاز اخطاب لاحماد وهو يأرض وبأسماء ثم قال مخاطبا بلها بأرض وباسماء على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار لغو الماء في الارض البلع الذي هو اعمال الجازبة في المطعم وللشبه بينهما وهو الذهاب الى مقر خفي ثم استعار الماء للقاء تشبيهه بالغداة لتقوى الارض بالماء في الانبات كتقوى الأكل بالطعام ثم قال ماء كما بضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز لاتصال الماء بالارض كما اتصال الملك بالملك ثم اخار لاحتباس المطر الافلاخ الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم التأتى ثم قال وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعد اولى بصرح من غاض الماء ولا ينجى قضى الامر وسوى السفينة وقال بعد اكمال بصرح بقائل بأرض وباسماء لو كان كل واحد من ذلك لسبيل الكناية وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعال قادر وتكون من مكون قاهر وان فاعلها واحد لا يشارك في فعله فلا يذهب الوهم الى أن يقول غيره بأرض ابلى ماءك وباسماء أقبى ولأن يكون الغائض والقاضى والمسوى وغيره ثم ختم الكلام بالترريض تنبيهه الى السكينة (٣٥٤) مسلكهم في تكذيب الرسل ظلمنا لانفسهم اظهار المكارن السخط وأن ذلك

العذاب الشديد ما كان الا لظلمهم ومن جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيها بين جملها وذلك انه اختبر بادون أحوالها اكونها أكثر استعمالا ولا لانتها على بعد المتأدى الذى يستدعيه

ليأتية بخبر الارض فوقع على حيفة فلم يرجع اليه فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في منقارها واطاحت رجلاها بالطين فسلم نوح ان الماء قد ذهب فدعا على الغراب بالخوف فاندلك لا يأتى البيوت وطوق الحمامة بالخرقة التي في عنقها ودعا لها بالامان فن ثم نال البيوت وروى أن نوحا عليه السلام ركب السفينة لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة أشهر وصرت بالبيت الحرام وقدر فعه الله من الغرق وبقي موضعه فطافت السفينة به سبعا وادع الحجر الاسود جبل أبي قبيس وهبط نوح ومن معه في السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح عليه السلام وأمر جميع من معه بصيامه شكر الله تعالى وبأن يقر به الجبل فسميت سوق ثمانين ففيه أول قرية عمرت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل انه لم ينجأ أحد من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق وكان الماء يصل الى حجرة به وسبب نجاة من اهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج الى خشب ساج

مقام اظهار العظمة والمكوت وابداء العزة والجبر وتوحيده المتأدى المؤذن

لاجل

بالتأويل ولم يقل بأرض لزيادة التهانن اذا لاضافة تستدعي القرب ولم يقل بأنها الارض للاختصار واختصارها في الارض والسماء لكونهما أخف وأدور واختيار ابلى على ابتلى لكونه أخصر ولتجانس بينه وبين أقلى وقيل أقلى ولم يقل عن المطر وكذا لم يقل بأرض ابلى لماءك فبليت وباسماء أقلى فأقلت اختصارا واخترع غيضا على غيضا وقيل الماء دون أن يقول ماء الطوفان والامر ولم يقل أمر نوح وقومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف العهد ذلك ولم يقل وسويت على الجودي أى أقربت على تخويل وغيضا اعتبارا ببناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله وهي تجري بهم ارادة للمطابقة ثم قيل بعد اللقوم ولم يقل لي بعد اللقوم طلبا للتأكيدهم الاختصار هذا من حيث النظر الى تركيب السكك وأمان من حيث النظر الى ترتيب الجبل فذلك انه قدم النداء على الامر فقيل بأرض ابلى وباسماء أقلى ولم يقل ابلى بأرض أو أقلى وباسماء على مقتضى الكلام فيمن كان مأمورا حقيقة من تقديم التنبيه ليتسكن الامر الوارد عقبيه في نفس المتأدى قصد بذلك معنى الترشيح ثم قدم أمر الارض على أمر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها ثم أتبع وغيضا الماء لاتصاله اقصة الماء وأخذ به بحجز نهائمه كراهو المقصود وهو قوله وقضى الامر أى أنجز الموعد ومن اهلاك الكفرة وانجاء نوح ومن معه في الفلك وعلى هذا فاعتبر به ومن جهة الفصاحة المعنوية وهي كآثر نظم للمعاني لطيف وتأية لها لمصلحة معينة لاتعقيد بعض الفكر في طاب المراد والالتواء ويشيك الطريق الى المراد ومن جهة الفصاحة اللفظية فالفاظها على ما ترى عريضة مستعملة سليمة عن التناظر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسلة على الاسلات كل منها كالما في السلاسة وكالعسل في الخلاوة كالنسب في الرقة ومن ثم أطلق المعاندون على أن طوق البشر قاصرون الاتيان بمثل هذه الآية ولة درشان التنزيل لا يتأمل العالم آية من آياته الأدر ك لطائف لاتسع الحصر ولا تظن الآية مقصورة على المذكور فلعلم المتر وك أكثر

من المسطور

(وقال اركبوا فيها بسم الله تجر بها وممرها) بسم الله متصل باركبوا حالاً من الواو أى اركبوا فيها بسم الله وقالين بسم الله وقت احراقها وقت ارسائها اعلان الجرى والمرمى للوقت والالهام مصدران كالأجر والأرساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ويجوز أن يكون بسم الله تجر بها وممرها جلة برأسها غير متعلقة بما قبلها وهي مبتدأ وخبر يعنى ان نوح عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بان جرها وممرها بذكر اسم الله أى بسم الله أجزأها وارساؤها وكان اذا أراد ان تجرى قال بسم الله فجزت واذا أراد ان ترسو قال بسم الله فرست تجر بها بفتح الميم وكسر الراء من جرى امام مصدر أو وقت جزة وعلى وحفص وبضم الميم وكسر الراء أبو عمر وبالباقوت بضم الميم وفتح الراء (ان ربي اغفر لي) لمن آمن منهم (رحم) حيث خلاصهم (وهي تجرى بهم) متصل بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجرى بهم أى السفينة تجرى وهم فيها (في موج كالجبال) يريد موج الطوفان وهو جمع موج كتمس وتقر وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه بدخول الريح الشديدة في خلالة شبه كل (٣٥٣) موجة منه لجبل في تراكمها

وارتفاعها (ونادى نوح ابنه) كنعان وقيل يام والجهور على انه ابنه الصلي وقيل كان ابن امرأته (وكان في معزل) عن أبيه وعن السفينة مفعل من عزله عنه انجاه وأبعده أو في معزل عن دين أبيه (يا نوح) بفتح الياء عاصم اقتصارا عليه من الالف المبذلة من ياء الاسمافة من قولك يا بنيا غيره بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاسمافة (اركب معنا) في السفينة أى اسلم واركب (ولا تسكن مع الكافرين) قال سناوى ألقأ (الى جبل يعصم من الماء) بمعنى من الغرق (قال لعاصم اليوم من أمر الله) أى من غرقه (وأيامه أقالى) أى أمسكى (وغيض الماء) أى نقص ونضب يقال غاض الماء اذا نقص وذوب (وقضى الامر) يعنى وفرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح (واستوت) يعنى واستقرت السفينة (على الجودى) وهو جبل الجوزة بقراب الموصل (وقيل بعدا) يعنى هلاكا (للقوم الظالمين) قال العلماء بالسيل المستقرت السفينة بعث نوح الغراب

يحمل منها شيئاً ١٠ قوله سبحانه وتعالى (وقال اركبوا فيها) يعنى وقال نوح لمن حمل معه اركبوا في السفينة (بسم الله تجر بها وممرها) ان ربي اغفر ورحم يعنى بسم الله أجزأها وارساؤها وقال الضحاك كان نوح اذا أراد ان تجرى السفينة قال بسم الله فتجى وكان اذا أراد ان ترسو يعنى تقف قال بسم الله فترسو أى تقف وهذه آتاليم من الله لعباده أنه من أراد أمراً فلا ينبغي له أن يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سبباً للنجاح والفلاح في سائر الأمور (وهي تجرى بهم في موج كالجبال) الموج ما ارتفع من الماء اذا اشتدت عليه الريح شبهه سبحانه وتعالى بالجبال في عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء بالسيل برأسه المطرأ برعين يوما وليلة وخرج الماء من الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ففتحاً أبواب السماء بماء منهمر وخبر نا الارض غيوفاً لتلقى الماء على أمر قد قدر يعنى صار الماء نصفين نصفان السماء ونصفان الارض وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أر بين ذراعاً وقيل خمسة عشر ذراعاً حتى أغرق كل شئ وروى انهم لما كثرا الماء في السكاك خافت أم صبي على ولدها من الغرق وكانت تحبه حباً شديداً فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فاحتقها الماء فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما حلقها الماء ذهب حتى استوت على الجبل فلما باغ الماء الى رقبته ارتفعت الصبي يديه حتى ذهب بهما الماء فاغرقهما فلو رحم الله منهم أحد الرحم أم الصبي (ونادى نوح ابنه) يعنى كنعان وكان كافراً (وكان في معزل) يعنى عن نوح لم يركب معه (يا نوح اركب معنا) يعنى في السفينة (ولا تسكن مع الكافرين) يعنى فتركك معهم (قال) يعنى قال كنعان (سناوى) يعنى سألت جيجي وأصير (الى جبل يعصم) يعنى بمنعنى (من الماء) قال يعنى قاله نوح (للعاصم) يعنى لآمانع (اليوم من أمر الله) يعنى من عذابه (الامن رحم) يعنى الامن رحمه الله فيمنعجه من الغرق (وحال بينهم الموج فكان من المفرقين) يعنى كنعان (وقيل) يعنى بعد ما انتهى الطوفان وأغرق الله قوم نوح (يا أرض ابلى ماءك) أى اشر بيه (ويا ماء أقالى) أى أمسكى (وغيض الماء) أى نقص ونضب يقال غاض الماء اذا نقص وذوب (وقضى الامر) يعنى وفرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح (واستوت) يعنى واستقرت السفينة (على الجودى) وهو جبل الجوزة بقراب الموصل (وقيل بعدا) يعنى هلاكا (للقوم الظالمين) قال العلماء بالسيل المستقرت السفينة بعث نوح الغراب

(٤٥ - (خازن) - ثانى) عاصم اليوم من الطوفان الامن رحم الله أى لا مكان من رحم الله من المؤمنين وذلك انهم لما جعل الجبل عاصماً من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعنى السفينة وهو استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الانبايع الظن (وحال بينهم الموج) بين ابنه والجبل أو بين نوح وابنه (فكان من المفرقين) فصارا وفكان في علم الله (وقيل يا أرض ابلى ماءك) انشئ وتشرى وبالبلغ الشف (ويا ماء أقالى) أمسكى (وغيض الماء) نقص من غاضه اذا نقص وهو لازم ومتعد (وقضى الامر) وانجز ما وعد الله نوحاً من اهلاك قومه (واستوت) واستقرت السفينة بعد ان طافت الارض كلها ستة أشهر (على الجودى) وهو جبل الجوزة بالموصل (وقيل بعد التعم للظالمين) أى سحقاً لقوم نوح الذين غرأوا يقال بعد بعدا اذا أرادوا البعد البعيد من حيث اهلاك والموت ولذلك خص بدعاء السوء والنظر في هذه الآية من أربع جهات من جهة علم البيان



والشعبي ان التنور هو الذي يحترقه وهو قول أكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس أيضاً هذا القول أصح  
 لان اللفظ اذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حله على الحقيقة أولى ولفظ التنور حقيقة في اسم الموضع الذي يحترق  
 فيه فوجب حل اللفظ عليه فان قلت الالف واللام في لفظ التنور للمهد وايس هناعمه وسابق عند السامع  
 فوجب حله على غيره وهو شدة الامر والمعنى اذا رأت الماء يشتد نبوهه وبقوى فاتج بنفسك ومن معك  
 قلت لا يبعد ان يكون ذلك التنور معاً عند نوح عليه السلام قال الحسن كان تنورا من حجارة وكانت  
 حواء تحترقه ثم صار الى نوح وقيل له اذا رأت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك واختلفوا في  
 موضع التنور فقال المجاهد نبيع الماء من التنور فعملت به امرأته فأخبرته وكان ذلك في ناحية الكوفة وكان  
 الشعبي يحلف بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة قال الشعبي اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة  
 وكان التنور على عين الدخال مما يلي باب كندة وكان فوران التنور علامة لنوح عليه السلام وقال مقاتل  
 كان ذلك التنور تمور آدم وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة وروى عن ابن عباس انه كان بالهند قال  
 والفوران الغليان (فلنا اجل فيها) يعني فلنا النوع اجل في السفينة (من كل زوجين اثنين) الزوجان كل اثنين  
 لا يستغني أحد ههنا عن الآخر كالذكر والانثى يقال لكل واحد منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكر  
 وأنثى فحشر الله سبحانه وتعالى اليه الحيوان من الدواب والسيباع والطير فجعل نوح يضرب بيده في  
 كل جنس منها فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في يده اليسرى فيجعلهما في السفينة (وأهلك) أي واهل  
 أهلك ولدك وعيالك (الامن سبق عليه القول) يعني بالهلاك وأراد به امرأته وأهلها وولده كنعان (ومن  
 آمن) يعني واهل معك من آمن من قومك (وما آمن معه الا قليل) اختلفوا في عدد من حل نوح معه في  
 السفينة فقال قتادة وابن جرير ومحمد بن كعب القرظي لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامرأته وثلاثة  
 بنين له وهم سام وحام ويافت ونسأؤهم وقال الاعمش كانوا سبعة نوحا وبنوه وبنوه وبنوه وبنوه وبنوه وبنوه  
 اسحق كانوا عشرة سوى نسأؤهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافت وستة نفر آمنوا بنوح وأزواجه جميعا  
 وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نفرا رجلا وامرأة وقال ابن عباس كان في السفينة ثمانون رجلا أحدهم  
 جرهم قال الطبري والصواب من القول في ذلك ان يقال كمال الله عز وجل وما آمن معه الا قليل فوصفهم الله  
 سبحانه وتعالى بانقله ولم يحدد عدداً بقدر ان يحد في ذلك حد الله سبحانه وتعالى اذ لم يرد ذلك في  
 كتاب ولا خبر مخرج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حل نوح معه جسد آدم عليه السلام فجعله  
 معترضا بين الرجال والنساء وقصد نوح جميع الدواب والطير ليحملهما قال ابن عباس أول ما حل نوح الدرة  
 وآخر ما حل الحمار فله اذ نادى يدخل الحمار أدخل صدره فتمعلق بابيس بذنبه فلم تنقل رجلاه وجعل نوح  
 يقول له ويحك ادخل فينض فلا يستطيع حتى قال له ادخل وان كان الشيطان معك فلتزات على لسانه  
 فلما قال نوح خلى سبيل الحمار فدخل الحمار ودخل الشيطان معه فقال له نوح ماذا أدخلك على يا عدو الله  
 قال لم تنقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عني يا عدو الله قال لا بد من أن تحماني معك فكان فيما  
 يزعمون على ظهر السفينة هكذا انقله البقوي وقال الامام غفر الدين الرازي وأما الذي روى ان ابليس دخل  
 السفينة فبعد لانه من الجن وهو جسم ناري أو هو حي فكيف يفر من الفرق وأيضا فان كتاب الله لم يدل  
 على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالاولى ترك الخوض فيه قال البقوي وروى عن بعضهم ان الحية والعقرب أتيا  
 نوحا عليه السلام فقاتلا جلتا معك فقال انك سبب البلاء فلا جلتا فقاتلا جلتا فاضن نضمن لك أن لا نضر  
 أحدا ذكرك فن قرأ سبعين بخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين لم تضرا وقال الحسن لم يحمل نوح معه  
 في السفينة الا ما يابو ويبيض وأما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبعوض فلم

(فلنا اجل فيها) في السفينة  
 (من كل زوجين اثنين)  
 تفسيره في سورة المؤمنين  
 (وأهلك الامن سبق  
 عليه القول) عطف على  
 اثنين وكذا (ومن آمن)  
 أي واهل أهلك والمؤمنين  
 من غيرهم واستغنى من  
 أهله من سبق عليه القول  
 انه من أهل النار وما سبق  
 عليه القول بذلك الا لالام  
 بانه يختار الكفر بتقديره  
 واراد انه جل خالق العباد  
 عن أن يقع في الكون  
 خلاف ما أراد (وما آمن  
 معه الا قليل) نوح  
 وأهله وبنوه الثلاثة عليه  
 السلام كانوا ثمانية ونسأؤهم  
 وقيل كانوا عشرة خمسة  
 رجال وخمس نسوة وقيل  
 كانوا اثنين وسبعين رجلا  
 ونساء وأولاد نوح سام  
 وحام ويافت ونسأؤهم  
 فالجميع ثمانية وسبعون  
 فصفهم رجال ونصفهم نساء

(وكلما عليه ملاء من قومه سخر وامنه) من عمله السفينة وكان يعملها في بر يقي ابعدهم من الماء فكانوا يتضاكون منه ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا (قال ان تسخروا) (٣٥١) منافانا سخر منكم) عند رؤيته

الهلك (كانت سخر منكم) مناعند رؤيته الفلك وروى ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة من خشب الساج في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع واولها ومائتي ذراع وعرضها خمسون ذراعا ووسطها ثلثمائة ذراع وطولها في البطن الاسفل والحوش والسباع والاهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب نوح ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وخبره قال اول شهر وهو ان طولها ثلثمائة ذراع وقال زيد بن اسلم مكث نوح مائة سنة يغرس الاشجار ويقطعها واما ثلث سنة يصنع الفلك وقال كعب الاحبار عمل نوح عليه السلام السفينة في ثلاثين سنة وروى انها لاثنتان طابق الطابق السفلي للدواب والوحوش والطابق الوسطي للانس والطابق العلوي للطير داما كثرت ارواث الدواب اوحى الله سبحانه وتعالى الى نوح عليه السلام ان اغمز ذنب الفيل فغمز وفوقه منه خنزير وخنزيرة ومسح على الخنزير فوقه منه الفأر فاقبلوا على الروث فأكوه فاما افسد الفأر في السفينة فجعل يقرضها او يقرض حبابها اوحى الله سبحانه وتعالى اليه ان اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة وهي القطعة والقطا فاقبلوا على الفأر فأكوه فاقوله سبحانه وتعالى (وكلما عليه ملاء من قومه) أي جماعة من قومه (سخر وامنه) يعني استخروا به وذلك انهم قالوا ان هذا الذي كان يزعم انني قد صار نجارا او قيل قالوا يا نوح ماذا صنعت قال اصنع بيتا عيشي على الماء فصنع كوامنه (قل) يعني نوحا لقومه (ان تسخروا امنافانا سخر منكم كما تسخرون) يعني ان تستعجلوا نوافي صنعنا فاننا نستعجلهم كما نبغضهم كما يبغضونكم اي فسوف فان قلت السخرية بالثبوت فكيف قال نوح عليه السلام ان تسخروا امنافانا سخر منكم كما تسخرون قلت انما سمي هذا الفعل سخرية على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام كما في قوله سبحانه وتعالى وجزاء سبيته سبيته مثلها والمعنى انما ترى غيب سخرية يتكلم بها اذ انزل بك العذاب وهو قوله تعالى (فسوف تعلمون) يعني فسوف تعلمون (من ياتيه) يعني ان ياتيه نوح او اثم (عذاب يخزيه) يعني يهينه (ويخجل عليه عذاب مقبم) يعني في الآخرة فالمراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وهو الفرق والمراد بالعذاب الثاني عذاب الآخرة وهو عذاب النار الذي لا انقطاع له قوله عز وجل (حتى اذا جاء امرنا وانا في التنوير) يعني وغنى والفور الغليان وفارت القدر اذا غلت والتنوير فارسي معرب لا تعرف له العرب اسماء غير هذا فان ذلك جاء في القرآن بهذا اللفظ غوطوا يا معرفون وقيل ان لفظ التنوير جاء هكذا بكل لفظ عر في وعجمي وقيل ان لفظ التنوير اصله انجمي فتكلمت به العرب فصارع يماثل الديباج ونحوه واخلتلفوا في المراد بهذا التنوير فقال عكرمة والزهرى هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح عليه السلام اذا رايت الماء قد فار على وجه الارض فار كعب السفينة فعلى هذا يكون قد جعل فوران التنوير علامة لنوح على هذا الامر العظيم وقال على فار التنوير أي طلع الفجر ونور الصبح شبه نور الصبح بخروج النور وقال الحسن ومجاهد

وما يشبهان من الكلام حال من يصنع أي يصنعه او الحال انه كلما امر عليه ملاء من قومه سخر وامنه وجواب كما سخر واما قال استنفاذ على تقدير سؤال سائل او قال جواب وسخر وابدل من مرأ وصفلا (اذا جاء امرنا) عذابنا (وفار التنوير) هو كناية عن اشتداد الامر وصعوبته وقيل ما هاء جاش الماء من تنوير الخبز وكان من نخجر لخواه فصار الى نوح عليه السلام وقيل التنوير وجه الارض وما يشبهان من الكلام حال من يصنع أي يصنعه او الحال انه كلما امر عليه ملاء من قومه سخر وامنه وجواب كما سخر واما قال استنفاذ على تقدير سؤال سائل او قال جواب وسخر وابدل من مرأ وصفلا (اذا جاء امرنا) عذابنا (وفار التنوير) هو كناية عن اشتداد الامر وصعوبته وقيل ما هاء جاش الماء من تنوير الخبز وكان من نخجر لخواه فصار الى نوح عليه السلام وقيل التنوير وجه الارض



ان شاء) أى ليس الايمان بالهذاب الى وانما هو الى من كفرتم به (وما تم بحجز بن) أى لم تقدر وعلى الحرب منه (ولا ينفعكم نصحي) هو اعلام موضع النبي ايتي والرشدي لتي وانكى انى نصحي مدنى وأبو عمرو ٧ (ان أردت أن أنصح لـكم ان كان الله ير بدأن يقولكم) أى يضلكم وهذا شرط دخل على شرط فيكون الثاني مقدما على الحكم لما عرف تقديره ان كان الله ير بدأن يقولكم لا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لـكم وهو دليل بين لنا (٣٥٠) في ارادة المعاصي (هو بكم) فيتصرف فيكم على فضة ارادته (واله ترجعون)

ان شاء) يعنى قال نوح اقوموا حين استجبلوا بزال العذاب ان ذلك ليس الى انما هو الى الله ينزله متى شاء وعلى من يشاء ان أراد انزال العذاب بكم (وما تم بحجز بن) يعنى وما تم بفائتين ان أراد الله نزول العذاب بكم (ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لـكم) يعنى ولا ينفعكم انذارى وتحذيرى اياكم عقوبته ونزول المذاب بكم (ان كان الله ير بدأن يقولكم) يعنى يضللكم وقيل يهلككم وهذا معنى وليس بتفسير لان الاغواء يؤدى الى الهلاك (هو بكم) يعنى انه سبحانه وتعالى هو يهلككم فلا تقدر ان على الخروج من سلطانه (واله ترجعون) يعنى فى الآخرة فجاز بكم باعمالكم (أم يقولون افتراه) أى اخلفه وجاء به من عند نفسه والضمير يعود الى الوحي الذى جاءهم به (قل ان افتر بشئ) أى اخلفته (فعل اجراى) أى اتم اجراى والاجرام اقتراف السيئة واكتسابها يقال جرم وأجرم يعنى أنا كسب الذنب واقتله (وأنا برى مما يجرمون) يعنى من الكفر والتكذيب وأكثرا المفسرين على أن هذا من محاوره نوح قومه فهم من قصة نوح عليه السلام وقال مقاتل أم يقولون يعنى المشركين من كفار مكة افتراه يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم اختلق القرآن من عند نفسه فعلى هذا القول تكون هذه الآية معترضة فى قصة نوح (ثم رجع الى القصة فقال سبحانه وتعالى (وأوحى الى نوح أنه ان يؤمن من قومك الامن قد آمن) قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى يسقط فيلقونه في لبدو بلقونه في بيت يظنون انه قد مات فيخرج في اليوم الثانى ويدعوه الى الله و يروى ان شياخهم جاءه متكئا على عصاه ومعه ابنه فقال يا بنى لا يفر بك هذا الشيخ المجنون فقال يا بنى أمتكى من العصا فأخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه السلام حتى شجعه شجرة مشككة فأوحى الله اليه ان يؤمن من قومك الامن قد آمن (فلا تبئس) يعنى فلا تحزن عليهم فأتى هؤلاء الكفار بكم كانوا يفعلون) يعنى بسبب كفرهم وأفعالهم حينئذ دعاه نوح عليه السلام عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وحكى محمد بن اسحق عن عبد الله بن عمر البجلي انه بلغه انهم كانوا يبسطون نوحا فيخذهونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حتى عماد وفى المعصية واستند عليه منهم البلاء وهو ينتظر الجليل بعد الجليل فلا يأتى فى قرن الا كان أعظم من الذى قبله ولقد كان باقى القرن الآخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا أجدادنا هكذا المجنون فاقبلون منه شيئا فاشكوا نوح الى الله عز وجل فقال رب انى دعوت قومي ابلا ونهار الآيات حتى بلغ رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فأوحى الله سبحانه وتعالى اليه (واضع الفلك) يعنى السفينة والفلك لفظ يطلق على الواحد والجمع (بأعيننا) قال ابن عباس عمراى منا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا (ووحينا) يعنى بأمرنا (والخطابىنى فى الدين ظلموا انهم مفرقون) يعنى بالظوفان والمعنى والخطابىنى فى اممال الكفار فى قد حامت باغراهم وقيل والخطابىنى فى ابنتك كعبان وامراتك واة فانهم ما هالكان مع القوم وقيل ان جبريل أتى نوحا فقال له ان ربك يأمرك أن تضع الفلك فقال كيف أصنعوا هلست نجارا فقال ان ربك يقول اصنع فانك باعينا فأخذ القدم وجعل بشجر ولا يخطئ فصنعها مثل جوجوا الطير وهو قوله سبحانه وتعالى (و يصنع الفلك) يعنى كما أمر الله سبحانه وتعالى قال

فجاز بكم على اعمالكم (أم يقولون افتراه) بل يقولون افتراه (قل ان افتر بشئ) أى افترته فعلى اجراى أى انصح اتى افترته فعلى عقوبته اجراى أى افترته يقال أبرم الرجل اذا أذن (وأنا برى) أى ولم يثبت ذلك وأنا برى منه ومعنى (مما يجرمون) من اجرامكم فى اسناد الافتراء الى فلا وجه لاعراضكم ومعاد انكم (وأوحى الى نوح أنه ان يؤمن من قومك الامن قد آمن) افناط من ايمانهم وأنه غير متوقع وفيه دليل على أن للإيمان حكم التجدد كانه قال ان الذى آمن يؤمن فى حادث الوقت وعلى ذلك تخرج الزيادة التى ذكرت فى الإيمان باقرآن (فلا تبئس بما كانوا يفعلون) فلا تحزن حزن بانس مستكين والابتاس افتعال مسن البؤس وهو الحزن والفقر والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك واذا نك فقد حان وقت الانتقام من أعدائك (واضع الفلك باعينا) هو فى موضع الحال أى اصنعهما يحفظا وحقيقته ملتصبا بعينا كأن الله معه اعيننا نكاه من ان يريغ فى صنعته عن الاصواب (ووحينا) وانانوحى اليك واناهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضى الله عنهم يعلم كيف صنعتها ذلك فأوحى الله اليه ان يصنعها مثل جوجوا الطير (والخطابىنى فى الدين ظلموا) ولان دعنى فى شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشناعتك (انهم مفرقون) محكوم عليهم بالاغراق وقد قضى به وجف القلم فلا سبيل الى كفه (و يصنع الفلك) حكاية حال ماضية

اهل أعدائك (واضع الفلك باعينا) هو فى موضع الحال أى اصنعهما يحفظا وحقيقته ملتصبا بعينا كأن الله معه اعيننا نكاه من ان يريغ فى صنعته عن الاصواب (ووحينا) وانانوحى اليك واناهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضى الله عنهم يعلم كيف صنعتها ذلك فأوحى الله اليه ان يصنعها مثل جوجوا الطير (والخطابىنى فى الدين ظلموا) ولان دعنى فى شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشناعتك (انهم مفرقون) محكوم عليهم بالاغراق وقد قضى به وجف القلم فلا سبيل الى كفه (و يصنع الفلك) حكاية حال ماضية

(أنزلكموها) أي الرحمة (وأتم لها كارهون) لا يريدونها والواو دخلت هنا تامة للمبهم وعن أبي عمر واسكان المبهم وجهه أن الحركة لم تكن الاخلاصة خفيفة فظنها الراوي سبكوا وهو خطأ لأن الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها إلا في ضرورة الشعر (و يا قوم لا أسئلكم عليه) على تبليغ الرسالة لأنه مدلول قوله إن لكم نذر (مالاً) أجرأ يقال عليكم أن أدبتم (٣٤٩) أو على أن أيتهم (إن أخرى) مدني وشامي

وأبو عمرو وحفص  
(الاعلى الله وما أنا بطارد  
الذين آمنوا) جواب  
لم حين سألوهم  
ليؤتمنوا به أئمة من  
الجماعة معهم (أنهم ملأوا  
رهم) فيشكونني إليه  
أن طردتهم (ولكني  
أراكم قوماً يجاهدون)  
تسافهون على المؤمنين  
ويعذونهم أراذل أو  
يجهلون لقاء ربكم وأنا منهم  
خبر منكم (و يا قوم من  
يشصرني من الله) من  
يبتغي من انتقامه (إن  
طردتهم أفلأند كرون)  
تعتظون (ولا أقول لكم  
عندي خزائن الله) فادعي  
فضلاً عليكم بالغنى حتى  
تجحدوا فضلي بقولكم  
وما نرى لكم علينا من فضل  
(ولا أعلم الغيب) حتى أطلع  
على ماني نفوس أتباعي  
وضائر قلوبهم وهو  
معطوف على عندي  
خزائن أي لأقول عندي  
خزائن الله ولا أقول أنا أعلم  
الغيب (ولا أقول إنى ملك)  
حتى تقدوا لى ما أنت إلا  
بشر مثلنا (ولا أقول  
لأذين يزدري أعينكم)

يعنى خفيت وألبست عليكم (أنزلكموها) الهاء عائدة على الرحمة والمعنى أنزلكم أيها القوم قبول الرحمة  
يعنى أنا لا أقدر أن نلزمكم ذلك من عند أنفسنا (وأتم لها كارهون) وهذا استفهام بمعنى الانكار أى  
لأقدر على ذلك والذي أقدر عليه أن أدعوكم إلى الله وليس لى أن أضطركم إلى ذلك قال قتادة والله  
لو استطاع نبي الله لزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك (و يا قوم لا أسئلكم عليه مالاً) يعنى لا أسألكم ولا أطلب  
منكم على تبليغ الرسالة جلاً (إن أجرى الاعلى الله وما أنا بطارد الذين آمنوا) وذلك أنهم طلبوا من نوح  
أن يطردهم الذين آمنوا بهم والاردلون في زعمهم فقال ما يجوز لى ذلك لأنهم يعتقدون (أنهم ملأوا قلوبهم) فلا  
أطردهم (ولكني أراكم قوماً يتجهدون) يعنى عظمة الله ووحدايته وروبو يته وقيل معناه أنكم تتجهلون  
أن هؤلاء المؤمنين خير منكم (و يا قوم من يشصرني من الله أن طردتهم) يعنى من يبتغي من عذاب الله أن  
طردتهم عنى لأنهم مؤمنون مخلصون (أفلأند كرون) يعنى فتعتظون (ولا أقول لكم عندي خزائن الله)  
هنا عطف على قوله لا أسئلكم عليه مالاً والمعنى لا أسألكم عليه مالاً ولا أقول لكم عندي خزائن الله يعنى التي  
لا يشتهيها شئ فادعوكم إلى اتباعي عليها لا أعطيكم منها قال ابن الأنباري الخزان هنا يعنى غيوب الله وما هو  
منطوع الخلق وإنما وجب أن يكون هذا جواباً من نوح عليه السلام لم لما قالوا وما نراك أتبعك إلا  
الذين هم أراذلنا بادي الرأي وادعوا أن المؤمنين أعماقه وفي ظاهر ما يرى منهم وهم في الحقيقة غير متبعين  
له فقال يحجباهم ولا أقول لكم عندي خزائن الله التي لا يعلم منها ما ينطوى عليه عباده وما يظهر منه الأهوا ما  
قيل للغيوب خزائن لغيوبها عن الناس واستأثرها عنهم والقول الأول أولى ليحصل الفرق بين قوله ولا  
أقول لكم عندي خزائن الله وبين قوله (ولا أعلم الغيب) يعنى ولا أدعى علم ما يغيب عنى مما يسرونه في نفوسهم  
فسيبى قبول إيمانهم في الظاهر ولا يعلم ماني ضائرهم إلا الله (ولا أقول إنى ملك) وهذا جواب لقولهم  
ما نراك إلا بشراً مثلنا لى لأدعى أنى من الملائكة بل أنا بشر مثلكم أدعوكم إلى الله وأبلغكم ما أرسلت به  
اليكم **فصل** استدلل بعضهم بهذه الآية على تفضيل الملائكة على الأنبياء قال لأن نوحاً عليه السلام قال  
ولا أقول إنى ملك لأن الإنسان إذا قال أنا لادعى كذا وكذا الإحسان إذا كان ذلك الشئ أشرف وأفضل  
من أحوال ذلك القائل فلما قال نوح عليه السلام هذه المقالة وجب أن يكون الملك أفضل منه والجواب أن  
نوحاً عليه السلام إنما قال هذه المقالة في مقابلة قولهم ما نراك إلا بشراً مثلنا لى كان في ظنهم أن الرسل لا  
يكونون من البشر أنما يكونون من الملائكة فاعلمهم أن هذا ظن باطل وأن الرسل إلى البشر أنما يكونون  
من البشر فلما قال سبحانه وتعالى (ولا أقول إنى ملك ولم يرد أن درجة الملائكة أفضل من درجة الأنبياء  
والله أعلم) وقوله سبحانه وتعالى (ولا أقول للذين يزدري أعينكم) يعنى تحقروا وتستصغروا أعينكم يعنى  
المؤمنين وذلك لما قالوا أنهم أراذلنا من الرذال فوهى الخسة (أن يؤتمنهم الله خيراً) يعنى توفيقاً وهداية وإيمانا  
وأجر (الله أعلم بما في نفوسهم) يعنى من الخير والشر (إنى أذا لن الظالمين) يعنى أن طردتهم مكذباً لظاهرهم  
ومبطلاً لباطنهم يعنى أنى إنى فعلت هذا فأكون قد ظلمتكم وأنا لا أفعله فأنا من الظالمين (قالوا)  
يا نوح قد جادلنا يعنى خاصمتنا (فأكثر جدالنا) يعنى خصومتنا (فأنتابنا تعدنا) يعنى  
من العذاب (إن كنت من الصادقين) يعنى في دعواك أنك رسول من الله إلينا (قال أنما يأتيكم به الله

ولا أحكم على من استزدتم من المؤمنين لفرقه (لن يؤتمنهم الله خيراً) في الدنيا والآخرة طهارة عليه مساعدته لكم وزوال عي عنكم (الله أعلم  
بما في نفوسهم) من صدق الاعتقاد وأنما على قبول ظاهر أقرارهم أذلاً أطلع على خفى أسرارهم (إنى أذا لن الظالمين) أن قلت شيئاً من ذلك  
والازدراء أفعال من ذرى عليه إذا عابه وأصله تترى فأبدلت التاء دالا (قالوا يا نوح قد جادلنا) خاصمتنا (فأكثر جدالنا) فأنابنا  
تعدنا من العذاب (إن كنت من الصادقين) في وعدك (قال أنما يأتيكم به الله



(الذين يصدون عن سبيل الله) يصرفون الناس عن دينه (ويبغونها عوجا) يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة أو يبغونها أهله أن يعوجوا بالارتداد (وهم بالآخرة هم كافرون) هم الثانية لنا كيد كغفرهم بالآخر (٣٤٧) واختصاصهم به (أولئك لم يكنوا)

أى ما كانوا (مبجزين في

الارض) بمجزيين الله في

الدنيا أن يعاقبهم لو أراد

عقابهم (وما كان لهم من

دون الله من أولياء) من

يتولاهم فيصبرهم منه

ويتعهم من عقابه ولكنه

أراد انظارهم وتأخير

عقابهم الى هذا اليوم وهو

من كلام الاشهاد (يضاعف

لهم العذاب) لانهم أضلوا

الناس عن دين الله يضاعف

مكي وشامى (ما كانوا

يستطيعون السمع) أى

استماع الحق وما كانوا

يصدون الحق (أولئك

الذين خسروا أنفسهم) حيث

اشتروا عبادة الاله بعبادة

الله (وضل عنهم) وبطل

عنهم وضاعوا اشتروا وهو

(ما كانوا يفكرون) من

الاله وشفاعتها (لاجرم

أنهم في الآخرة هم

الآخرين) بالصد

والصدور في لاجرم أقوال

أحدها أن لا رد لكلام

سابق أى ليس الامر كما

زعموا ومعنى جرم كسب

وقاله مضمر وأنهم في

الآخرة في عمل النصب

والتقدير كسب قو لهم

خسرانهم في الآخرة

وثانيها أن لاجرم كتمان

وكذا فيقول رب أعرف مرتين فيقول سترته عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب

حسابه وفي رواية ثم تطوى صحيفة حسنة وأما الكفار والمنافقون فيقولوا للشهاد وفي رواية فينادى

بهم على رؤس الاشهاد من الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين قوله سبعجانه وتعالى

(الذين يصدون عن سبيل الله) هذه الآية متصلة بما قبلها والمعنى ألا لعنة الله على الظالمين ثم وصفهم فقال الذين

يصدون عن سبيل الله يعنى ينعون الناس من الدخول في دين الله الذى هو دين الاسلام (و يبغونها عوجا)

يعنى ويطلبون القاء الشبهات في قلوب الناس وتعويج الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام (وهم بالآخرة هم

كافرون) يعنى ومع صدقهم عن سبيل الله يجهلون البعث بعد الموت وينكرونها (أولئك) يعنى من هذه

صفته (لم يكونوا مبجزين في الارض) قال ابن عباس يعنى سابقين وقيل هار بين وقيل فائتين في الارض

والمعنى أنهم لا يجزون الله اذا أرادهم بالعذاب والانتقام منهم ولكنهم في قبضته ولكه لا يقدرون على

الامتناع منه اذا طلبهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) يعنى وما كان هؤلاء للمشركين من أنصار

يعنونهم من دون الله اذا أرادهم سوءا أو عذابا (يضاعف لهم العذاب) يعنى في الآخرة يضاعف عذابهم بسبب

صددهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون)

قال قتادة صمواع سباع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعون به ولا يبصرون خيرا فيأخذونه به وقال ابن

عباس أخبر الله سبحانه وتعالى أنه أن بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة ما فى الدنيا فانه قال

ما كانوا يستطيعون السمع وهي طاعته وما كانوا يبصرون وأما في الآخرة فانه قال لا يستطيعون خاشعة

أبصارهم (أولئك الذين خسروا أنفسهم) يعنى هؤلاء الذين هذه صفته هم الذين غبنوا أنفسهم

حظوظهم بمرحمة الله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعنى وبطل كذبهم وافكهم وكفرهم عن الله على

وادعائهم أن الملائكة والاصنام تشفع لهم (لاجرم) يعنى حقا وقال الفراء لا محالة (أنهم في الآخرة هم

الآخرين) لانهم باعوا منازلهم في الجنة واشتروا عاقبها منازل في النار وهذا هو الخسران المبين ﴿ قوله

عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم) لماذا كراهه عز وجل أحوال الكفار في

الدنيا وخسرانهم في الآخرة أتبعه بذلك أحوال المؤمنين في الدنيا ورجمهم في الآخرة والاختبات في اللغة

هو الخشوع والخضوع وطماينة القلب وافظ الاختبات يمدى بالى وباللام فاذا قلت أخبت فلان الى كذا

فغناه اطمان اليه واذا قلت أخبت لفعناه خشع وخضع لفعوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اشارة الى

جميع أعمال الجوارح وقوله وأخبتوا اشارة الى أعمال القلوب وهي الخضوع والخشوع لله عز وجل يعنى

ان هذه الاعمال الصالحة لا تنفع في الآخرة الا بحصول أعمال القلب وهي الخضوع والخشوع فاذا افسرنا

الاختبات بالطمأنينة كان معنى الكلام أنهم يأتون بالاعمال الصالحة مطمئين الى صدق وعد الله بالتواب

والجزاء على تلك الاعمال أو يكونون مطمئين الى ذلك سببجانه وتعالى واذا افسرنا الاختبات بالخشوع

والخشوع كان معناها أنهم يأتون بالاعمال الصالحة خائفين وجلين أن لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخشوع

(اولئك) يعنى الذين هذه صفته (أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أخبر عن حالهم في الآخرة بانهم من أهل

الجنة التلى لا انقطاع لتعبيها ولا زوال ﴿ قوله سبحانه وتعالى (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير

والسميع) لماذا كراهه سبحانه وتعالى أحوال الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الهدى والحق

ومن الصمم عن سماعه وذلك أحوال المؤمنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانتقاد للطاعة

ركبتا فاصار معناهما حقوان في موضع رفع فانه قال لحق أى حق خسرانهم ونالها أن معناه لا محالة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم) واطمأنوا اليه واقتطعوا الى عبادة بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المنطمئة (اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع

وسلم ووجه هذا القول ان من نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم انه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون وقال جابر بن عبد الله قال علي بن ابي طالب ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه الآية والآيات فقال له رجل وأنت أي آية نزلت فيك فقال علي ما نقر الآية التي في هود وبتلوه شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد على بن ابي طالب وقوله منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم والمراد تنسيف هذا الشاهد وهو على انصاف النبي صلى الله عليه وسلم وقيل بتلوه شاهد منه يعني الانجيل وهو اختيار القراء والمعنى ان الانجيل يتناول القرآن في التصديق بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم والامر بالايمان به وان كان قد نزل قبل القرآن ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (ومن قبل نزل القرآن وازالنا محمد صلى الله عليه وسلم (كتاب موسى) يعني التوراة (اماماً راحة) يعني انه كان امامهم يرجعون اليه في أمور الدين والاحكام والشرائع وكونه راحة لانه الهادي من الضلال وذلك بسبب حصول الرحمة ﴿وقوله تعالى﴾ (أولئك يؤمنون به) يعني أن الذين وصفهم الله بأنهم على بينة من ربهم هم المشار اليهم بقوله أولئك يؤمنون به يعني بحمد صلى الله عليه وسلم وقيل أراد الذين أسلموا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومن يكفر به) يعني بحمد صلى الله عليه وسلم (من الأحزاب) يعني من جميع الكفار وأصحاب الأديان المختلفة فتدخل فيه اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان وغيرهم والأحزاب الفرق الذين تحزبوا وتجمعوا على مخالفة الانبياء (فالنا رموعده) يعني في الآخر قروي البغوي بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بحمد يده لا يسمع في أحد من هذه الامة ولا يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالله أى أرسلت به الا كان من أصحاب النار قال سعيد بن جبير ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه في كتاب الله عز وجل حتى بلغني هذا الحديث لا يسمع في أحد من هذه الامة الحديث قال سعيد فقلت أين هذا في كتاب الله حتى أثبت على هذه الآية ومن قبله كتاب موسى الى قوله سبحانه وتعالى ومن يكفر به من الأحزاب فالنا رموعده قال فالأحزاب أهل الملل كلها ﴿ثم قال سبحانه وتعالى﴾ (فلاتك في مريم منه إنه الحق من ربك) فيه قولان أحدهما ان معناه فلاتك في شك من صحة هذا الدين ومن كون القرآن نازلاً من عند الله فعلى هذا القول يكون متعلقاً بما قبله من قوله تعالى أم يقولون افتراءه والقول الثاني أنه راجع الى قوله ومن يكفر به من الأحزاب فالنا رموعده يعني فلاتك في شك من ان النار موعده من كفر من الأحزاب والخطاب في قوله فلاتك في مريم للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وبعضه هذا القول سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) يعني لا يصدقون بما أوحينا اليك أو من ان موعده الكفار النار قوله عز وجل (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) يعني أى الناس أشد تمديعاً واختلاقاً على الله كذباً فكذب عليه ووزعم ان له شركاء أولاداً واولى الآية دلائل على أن الكذب على الله من أعظم أنواع الظلم لان قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ورد في معرض المباحة (أولئك) يعني المفتريين على الله الكذب (يعرضون على ربهم) يعني يوم القيامة فيسألهم عن أعمالهم في الدنيا (ويقول الشهداء) يعني الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم قال مجاهد وقال ابن عباس هم الانبياء والرسل وبه قال الضحاك وقال قتادة الشهداء اذا خلقوا بهم (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) يعني في الدنيا وهذه الفضيحة تكون في الآخرة لكل من كذب على الله (الأنسة على الله الظالمين) يعني يقول الله ذاك يوم القيامة فيلعنهم ويطردهم من رحمته (ق) عن صفوان بن عمرزئيل قال سئل ابن عمر بطوف بالبيت اذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في التجوي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقره بذنوبه تعرف ذنب كذا

(ومن قبله) (ومن قبل القرآن) (كتاب موسى) وهو التوراة أى يتسلسل ذلك البرهان أى يضمن قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام (اماماً) كتاباً مؤتمناً في الدين قدوة فيه (ورحمة) ونعمة عظيمة على المنزل اليهم وهما حالان (أولئك) أى من كان على بينة (يؤمنون به) بالقرآن (ومن يكفر به) بالقرآن (من الأحزاب) يعني أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالنا رموعده) مصيره ومورده (فلاتك في مريم) شك (منه) من القرآن أومن الموعده (انه الحق من ربك) ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أولئك يعرضون على ربهم بحسبون في الموقف وتعرض أعمالهم (و يقول الشهداء هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) ويشهد عليهم الشهداء من الملائكة والنبیین بأنهم الكذابين على الله بأنه اتخذ ولداً وشريكاً (الأنسة على الظالمين) الكاذبين على ربهم والشهاد جمع شاهد كصحاب وصاحب وشهيد كشره وأشراف

على صحة هذا القول سبب الآفة وهو قوله وأنتك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار الآية وهذه حالة الكافر في الآخرة وقيل نزلت في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم لأنهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة وقيل إن جل الآية على العموم أولى فيندرج الكافر والمنافق الذي هذه صفته والمؤمن الذي يأتي بالطاعات وأعمال البر على وجه الرأى والسمعة قال مجاهد في هذه الآية هم أهل الرأى وهذا القول مشكل لأن قوله سبحانه وتعالى أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار لا يليق بحال المؤمن إلا إذا قلنا إن تلك الأعمال الفاسدة والأفعال الباطلة لما كانت لغیر الله استحقاقها على الوعيد الشديد وهو عذاب النار ويدل على هذا ما روى عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه أخرجه مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علماً أغیر الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار أخرجه الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علماً يتبني به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به غرض من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ربحها أخرجه أبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال وادفني جهنم تعوذ منه جهنم كل يوم ألف مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء المرأون بأعمالهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال البغوي وروين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصفر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصفر قال الرأى أخرجه بغیر سند والراءى هو أن يظهر الإنسان الأعمال الصالحة ليحمده الناس عليها وأليعتقداً فيه الصلاح وأليعتقداً به بالعطاء فهذا العمل هو الذي أغیر الله تعوذ بالله من الخذلان قال البغوي وقيل هذا في الكفار يعني قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ما آمن فريد الدنيا والآخرة وأراد أنه الآخرة غالبية فيجازي بحسناته في الدنيا ويتأب عليها في الآخرة وروين أن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يتأب عليها الرزق في الدنيا ويجزي بها في الآخرة وأما الكافر فيقطع بحسناته في الدنيا حتى إذا قضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خير أخرجه البغوي بغیر سند ﴿﴾ قوله سبحانه وتعالى (أفمن كان على بينة من ربه) لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة الذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر في هذه الآية من كان يريد بعمله وجه الله تعالى والدار الآخرة فقال سبحانه وتعالى أفمن كان على بينة من ربه أي كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم في الآخرة إلا النار وإنما حذف هذا الجواب لظهوره ودلالة الكلام عليه وقيل معناه أفمن كان على بينة من ربه وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كمن هو في ضلالة وكفر والمراد بالبينه الدين الذي أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينه اليقين يعني أنه على يقين من ربه أنه على الحق (ويتأوه شاهد منه) يعني ويقبضه من يشهد له بصدقه واختلفوا في الشاهد من هو فقال ابن عباس وعلمته وأبراهم ومجاهد وعكرمة والضحاك وأكثر المفسرين أنه جبريل عليه السلام يريد أن جبريل يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيدوه ويسدده ويقويه وقال الحسن وقتادة هو إسمان النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن محمد بن الحنفية قال قلت لأبي يعنى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنت التالى قال وما تعنى بالتالى قلت قوله سبحانه وتعالى ويتأوه شاهد منه قال ودبت ألقى هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه هذا القول إن اللسان لما كان يعرب عمن في الجنان ويظهره جعل كالشاهد لأن اللسان هو آلة الفصل والبيان وبه يتلى القرآن وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم ويسدده وقال الحسين بن الفضل الشاهد هو القرآن لأن أعمازه وبلغته وحسن نظمه يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بنبوته ولأنه أعظم معجزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن علي وابن زيد الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه

كان عملهم في نفسه باطلا  
لأنه لم يعمل لغرض صحيح  
والعمل الباطل لا ثواب له  
(أفمن كان على بينة من ربه)  
أمن كان يريد الحياة الدنيا  
كمن كان على بينة من ربه  
أى لا يعبه بونه من في المنزل  
ولا يقار بونه من على بين  
الفر يقين تبايننا وأراد  
بهم من آمن من اليهود كعبد  
الله بن سلام وغيره كان على  
بينته من ربه أى على  
برهان من الله وبيان أن  
دين الاسلام حق وهو  
دليل العقل (ويتأوه)  
ويتبع ذلك البرهان  
(شاهد) يشهد بصحته  
وهو القرآن (منه) من  
الله وأمن القرآن فقد صر  
ذكره أنفاً



(۳۴۴)

وتعالى فأتوا بعشر سور مثله مفتريات في مقابلة قولهم افتراه فان قلت قد تجداهم بان أتوا بسورة مثله فلم  
يقدروا على ذلك وعجزوا عنه فكيف قال فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ومن عجز عن سورة واحدة فهو عن  
العشرة أعجز قلت قد قال بعضهم ان سورة هود زلت قبل سورة نوح وان تجداهم أو لا بعشر سور فلما  
عجزوا تجداهم بسورة نوح وأنكر المبرهذه القول وقال ان سورة نوح زلت أولاً قال ومعنى قوله في سورة  
نوح فأتوا بسورة مثله يعني مثله في الاخبار عن الغيب والاحكام والوعود والوعيد وقوله في سورة هود فأتوا  
بشعر سور مثله يعني في مجرد الفصاحة والبلاغة من غير خبر عن غيب ولا ذكركم ولا وعود ولا وعيد فلما  
تجداهم بهذا الكلام أمره بان يقول لهم (وادعوا من استطعتم من دون الله) حتى يعينكم على ذلك  
(ان كنتم صادقين) يعني في قولكم انه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم) اعلم انه لما شتمت الآية المتقدمة على  
أمرين وخطابين أحدهما أمر وخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى قل فأتوا بعشر  
سور مثله مفتريات والثاني أمر وخطاب للكفار وهو قوله تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله ثم أتبعه  
بقوله تبارك وتعالى فان لم يستجيبوا لكم احتمل أن يكون المراد ان الكفار لم يستجيبوا في المعارضة للجزء  
عنها واحتمل أن يكون المراد أن من يدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار في المعارضة فهذا السبب  
اختلف المفسرون في معنى الآية على قولين أحدهما أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وذلك  
ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه أتوا بتحدون الكفار بالمعارضة لآيتين عجزهم فلما عجزوا عن  
المعارضة قال الله سبحانه وتعالى انبيوه والمؤمنين فان لم يستجيبوا لكم فادعوا ثم وجه اليهم المعارضة وعجزوا  
عنه (فاعلموا انما أنزل بعلم الله) يعني فأتوا على العلم الذي أتى عليه وازدادوا يقيناً وثباتاً لانهم كانوا  
علمين بانه منزل من عند الله وقيل الخطاب في قوله فان لم يستجيبوا لكم للنبي صلى الله عليه وسلم وحده وانما  
ذكره بلفظ الجمع تعظيماً له صلى الله عليه وسلم القول الثاني ان قوله سبحانه وتعالى فان لم يستجيبوا لكم  
خطاب مع الكفار وذلك انه سبحانه وتعالى لما قال في الآية المتقدمة وادعوا من استطعتم من دون الله قال  
الله عز وجل في هذه الآية فان لم يستجيبوا لكم أيها الكفار ولم يعينكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله وانه  
ليس مفترى على الله بل هو أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم (وأن لا اله الا هو) يعني الذي أنزل  
القرآن هو الله الذي لا اله الا هو لا من تدعون من دونه (فهل أنتم مسلمون) فيه معنى الامر أي أسلموا  
وأخلصوا لله العبادات وان حملنا معنى الآية على انه خطاب مع المؤمنين كان معنى قوله فهل أنتم مسلمون  
الترعيب أي دمو على ما أنتم عليه من الاسلام ﴿ قوله عز وجل ﴾ (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها)  
يعني بعمله الذي يعمل من أعمال البر زلت في كل من عمل عملاً يبتغي به غير الله عز وجل (توف اليهم  
أعمالهم فيها) يعني أجور أعمالهم التي عملوها لطلب الدنيا وذلك ان الله سبحانه وتعالى يوسع عليهم في الرزق  
ويدفع عنهم المكراه في الدنيا ونحو ذلك (وهم فيها لا يخسرون) يعني انهم لا ينقصون من أجور أعمالهم  
التي عملوها لطلب الدنيا بل يعطون أجور أعمالهم كاملة موفرة (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار  
وحبط ما صنعوا فيها) يعني وبطل ما عملوا في الدنيا من أعمال البر (وباطل ما كانوا يعملون) لانه لغير الله  
واختلف المفسرون في المعنى بهذه الآية فروي قتادة عن أنس أنها في اليهود والنصارى وعن الحسن مثله  
وقال الضحاك من عمل عملاً صالحاً في غير تقوى يعني من أهل الشرك أعطى على ذلك أجره في الدنيا وهو ان  
يصل رحاً أو يعطي سائلاً أو يرحم مضطراً أو نحو هذا من أعمال البر فيجعل الله له ثواب عمله في الدنيا يوسع  
عليه في العيشة والرزق ويرق عينه فيما خوله يدفع عنه المكراه في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب وبدل

والرّزق وهم الكفار والمنافقون (وأنت الذي ليس لهم في الآخرة إلا النار وحجب ما صنعوا فيها) وحجب في الآخرة على ما صنعوه أو يصنعهم أي لم يكن لهم ثواب لأنهم لم يردوا به الآخرة إنما أرادوا به الدنيا وفي البهم ما أرادوا (وباطل ما كانوا يعملون) أي

ضيق عارض غير ثابت لانه عليه السلام كان أفسح الناس صدرا ولانه أشكل بتارك (أن يقولوا) مخافة أن يقولوا (لولا أنزل عليه كثر أو جاء معكم ملك) هلا أنزل عليه ما اقترحنامن الكنز لنفقته والملائكة لتصدقه ولم أنزل عليه مالا ترده ولا تفرحه (أما أنت نذير) أى ليس عليك الآن تنذيرهم بمأوى اليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ان ردوا أو تهاونوا (والله على كل شئ وكيل) يحفظ ما يقولون وهو فاعلهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقبل فسمع وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبالي بسفهم واستهزأهم (أم يقولون) أم منقطعة (افتراه) الضير لما يوحى اليك (قل فاتوا بعشر سور) تحداهم ولا بعشر سورهم بسورة واحدة كما يقول المخابر في الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما اكتب فإذا تبين له العجز عن ذلك قال قد اقتصرت منك على سطر واحد (مثله) في الحسن والجزالة ومعنى مثله أمثاله ذهابا الى عمالة

اليك ربك ان تلقه الى من أمرك ان تبلغ ذلك اليه (وضائق به صدرك) يعنى ويضيق صدرك بما يوحى اليك فلا تبلغه اياهم وذلك ان كفار مكة قالوا انت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا فهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يترك ذكر آلهتهم ظاهر فأ نزل الله عز وجل فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعنى من ذكر آلهتهم هذا ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية وأجمع المسلمون على انه صلى الله عليه وسلم فيما كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن شئ منه بخلاف ما هو به لا خطأ ولا عمد ولا سهوا ولا غلاطاة صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما أنزل الله عليه الى أمته ولم يكتم منه شيئا وأجمعوا على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة في الوحي والانداز ولا يترك بعض ما وحي اليه ليقول أحد لان تجوز ذلك يؤدي الى الشك في أداء الشرائع والتكاليف لان المقصود من ارسال الرسول التبليغ الى من أرسل اليه فإذا لم يحصل ذلك فقد فانت فائدة الرسالة والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد بقوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك شيئا آخر سوى ما ذكره المفسرون وللعلماء في ذلك أجوبة أحدها قال ابن الانباري قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا مما يوحى اليه اشفاقا من موجد أو حذو غصبه ولكن الله تعالى اكده على رسوله صلى الله عليه وسلم في متابعة البلاغ من الله سبحانه وتعالى كما قال يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الآية الثاني ان هذا من حقه سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ونحوه يرضه على أداء ما أنزل اليه والله سبحانه وتعالى من وراء ذلك في عصمته بما يخافه ويخشاه الثالث ان الكفار كانوا يستهزئون بالقرآن ويضحكون منه ويتهاونون به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره لذلك وان باقى اليهم ما لا يقبلونه ويستهزئون به فامر الله سبحانه وتعالى بتبليغ ما وحي اليه وان لا يلتفت الى استهزأهم وأن تحمل هذا الضرر أهون من كتم شئ من الوحي والمقصود من هذا السلام التنبيه على هذه الحقيقة لان الانسان اذا علم أن كل واحد من طرفي الفعل والتترك مشغل على ضرر عظيم ثم علم أن الضرر في باب الترك أعظم سهل عليه الاقدام على الفعل وقيل ان الله سبحانه وتعالى مع علمه بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا من الوحي هيجبه اداء الرسالة وطرح المبالاة باستهزأهم ورددهم الى قبول قوله بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك أى لعلك تترك ان تلقيه اليهم مخافة ردهم واستهزأهم به وضائق به صدرك أى بان تلوه عليهم (أن يقولوا) يعنى مخافة ان يقولوا (لولا أنزل عليه كثر) يعنى يستغنى به وينفقه (أوجاء معكم ملك) يعنى يشهد بصفه وقائل هذه المقالة هو عبد الله بن أبي أمية المخزومي والمعنى انهم قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا في قولك بأنك رسول الله الذي تصفه بالقدره على كل شئ وأنت عز يزعه معك فكيف هذا أنزل عليك ما تستغنى به أنت وأصحابك وهذا أنزل عليك ما لا يشهد لك بالرسالة فتقول الشبهة في أمرك فآخبر الله عز وجل انه صلى الله عليه وسلم نذير بقوله عز وجل (أما أنت نذير) تنذر بالعقاب لمن خالفك وعصى أمرك وتبشر بالثواب لمن أطاعك وأمن بك وصدقك (والله على كل شئ وكيل) يعنى انه سبحانه وتعالى حافظ يحفظ أقوالهم وأعمالهم فيجازيهم عليها يوم القيامة في قوله سبحانه وتعالى (أم يقولون افتراه) يعنى بلى يقول كفار مكة اختلقه يعنى ما وحي اليهم من القرآن (قل) أى قل لهم بالمحمد (فاتوا بعشر سور مثله مفتريات) لما قالوا له افتريت هذا القرآن واخترقته من عند نفسك وليس هو من عند الله تحداهم وأرسلهم العنان وفارضهم على مثل دعواهم فقال صلى الله عليه وسلم هبوا الى اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي شئ وان الامر كما قلتم وأنتم عرب مثلى من أهل الفصاحة وفسان البلاغة وأصحاب اللسان فاتوا أنتم بكلام مثل هذا الكلام الذي جئتمكم به مخنق من عند أنفسكم فانكم تقادرون على مثل ما أقدر عليه من الكلام فلهذا قال سبحانه

كل واحدة منها له (مفتريات) صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واخترقته من عند نفسك وليس من عند الله أرعى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي فاتوا أنتم أيضا بكلام مثله مخنق من عند أنفسكم فاتم عرب فصحاء مثلى



(ليلوكم) أى خلق السموات والارض وما بينهما للمتحن فهاولم يخلق هذه الاشياء لانفسه (ايكم حسن عملا) أكثر شكرا وعنه عليه السلام أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة لله فن شكر وأطاع وأتابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما شبه ذلك اختبر المختبر قال ليلوكم أى يفعل بكم ما يفعل المبلى لحوالكم كيف تعملون (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت يقولون الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) أشار بهذا الى القرآن لان القرآن هو الشاقي بالبعث فاجعلوه سحرا ففقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره ساحر حزة وعلى يري يدون الرسول والساحر كاذب مبطل (ولئن أخرنا عنهم العذاب) عذاب لآخرة أو عذاب يوم بدر (الى جماعة من الاوقات (معدودة) معلومة وأقلائل (٣٤٢) والمعنى الى حين معلوم (ليقولن ما يحبهم) ما يمتنع من التزول استجبالا له على وجه

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وفي رواية فرغ الله من المقادير وأمر الدنيأ قبل أن يخلق السموات والارض وكان عرشه على الماء بخمسين ألف سنة قوله فرغ ربدا تمام خلق المقادير لأنه كان مشغولا بفرغ منه لان الله سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن فأما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وقوله سبحانه وتعالى (ليلوكم) يعنى ليخبركم وهو أعلم بكم منكم (ايكم حسن عملا) يعنى بطاعة الله وأورع عن محارم الله (ولئن قلت) يعنى ولئن قلت يا محمد هؤلاء الكفار من قومك (انكم مبعوثون من بعد الموت) يعنى للحساب والجزاء (ليقولن الذين كفروا ان هذا الاسحرمبين) يعنون القرآن (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة) يعنى الى أجل محدود وأصل الأمة في اللغة الجماعة من الناس فكهاه قال سبحانه وتعالى الى انقراض أمة وبجي أمة أخرى (ليقولن ما يحبهم) يعنى أى شئ يحبس العذاب وانما يقولون ذلك استجبالا بالعذاب واستهزاء يعنون أنه ليس بشئ قال الله عز وجل (الا يوم يأتيهم) يعنى العذاب (ليس مصروفا عنهم) أى لا يصرفه عنهم شئ (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) يعنى نزل بهم وبالاستهزاء بهم قوله سبحانه وتعالى (ولئن أذقنا الانسان منارحة) يعنى رضاء وسعة في الرزق والعيش وبسطنا عليه من الدنيا (ثم نزعناها منه) يعنى سلبناه ذلك كله وأصابته المصائب فأجتاحته وذهبت به (انه ليؤس كفور) يعنى يظلم قاطنا من رحمة الله آيسا من كل خير كفوراى مجودا لنعمتنا عليه أولا قليل الشكر له به قال بعضهم يا بن آدم اذا كانت بك نعمة من الله من أمن وسعة وعافية فاشكرها ولا تتجدها فان نزعنا عنك فينبى لك أن تصبر ولا تياس من رحمة الله فإنه العواد على عبادته بالخير وهو قوله سبحانه وتعالى (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) يعنى ولئن نحن أنعمنا على الانسان وبسطنا عليه من العيش (ليقولن) يعنى الذى أصابه الخير والسعة (ذهب السيأت عني) يعنى ذهب الشدايد والعسر والضيق وانما قال ذلك غرة بالله عز وجل وجرأة عليه لأنه لم يصف الاشياء كلها الى الله وانما أضافها الى العوائد فلها ذمة الله تعالى فقال (انه لفرح خور) أى انه أشربط والفرح لذة تحصل في القلب بذيال المراءد والمستشفى والفخر هو التلاؤل على الناس بتعدي المناقب وذلك منهي عنه ثم استثنى فقال تبارك وتعالى (الا الذين صبروا وعملوا الصالحات) قال الفراء هذا استثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فانهم ليسوا كذلك فانهم ان نالهم شدة صبروا وان نالهم نعمة شكروا عليها (أولئك) يعنى من هذه صفتهم (لهم مغفرة) يعنى لنزوبهم (وأج كبير) يعنى الجنة قوله عز وجل (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم بقول الله عز وجل انبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلعلك تارك بعض ما يوحى

التكذيب والاستهزاء (الا يوم يأتيهم) العذاب (ليس) العذاب (مصروفا عنهم) ويوم منصوب بمصروفا أى ليس العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم (وحاق بهم) وأحاط بهم (ما كانوا به يستهزؤن) العذاب الذى كانوا به يستهزؤن موضع يستهزؤن لان استهزأهم كان على وجه الاستهزاء (ولئن أذقنا الانسان) هو للجنس (منارحة) نعمة من صحة وأمن وجدة والام في لئن لتوطئة القسم (ثم نزعناها منه) ثم سلبناه تلك النعمة وجواب القسم (انه ليؤس) شديد اليأس من أن يعود اليه مثل تلك النعمة المسلوقة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه (كفور) عظيم الكفران لما سلفه من التقبلى

نعمة الله نساءه (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) وسعنا عليه النعمة بعد الفقر الذى ناله (ليقولن ذهب السيأت عني) أى المصائب التى ساءتني (انه لفرح) أشربط (خور) على الناس بما أذقناه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر (الا الذين صبروا) فى المحنة والبلاء (وعملوا الصالحات) وشكروا فى النعمة والرخاء (أولئك لهم مغفرة) لنزوبهم (وأج كبير) يعنى الجنة كانوا يفتخرون عليه آيات نعمتنا لا استرشاد انهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة معجزة كافية فى ارشادهم ومن اقتراحاتهم لو أنزل عليه كنز أو جاءه معه ملك وكانوا يعتدون بالقرآن وينهاونون به فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقى اليهم بالاقبالونه ورضحكون منه فيجهد لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزاءهم واقتراحهم بقوله (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) أى لعلك ترك أن

الاستقرار الجنة أو النار والمستودع القبر (كل في كتاب مبين) أي كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ قبل خلقه  
 ﴿قوله عز وجل﴾ (وهو الذي خالق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) يعني قبل خلق  
 السموات والأرض قال كعب خالق الله ياقونة خضراء ثم نظر إليها بالهيبة فصارت ما بر تعد ثم خالق الريح  
 فجعل الماء على منها ثم وضع العرش على الماء وقال ضمرة أن الله سبحانه وتعالى كان عرشه على الماء ثم  
 خلق السموات والأرض وخلق القلم فكتب به ما خلق وما هو خالق وما هو كائن من خلقه إلى يوم القيامة ثم  
 أن ذلك الكتاب سجع الله وجمده ألف عام قبل أن يخلق شيئا من خلقه وقال سعيد بن جبير سئل ابن عباس عن  
 قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء على أي شيء كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه إن العرش  
 كان قبل أن يخلق الله السموات والأرض ثم قبض الله قبضة من صفاء الماء ثم قبض القبضة فأرتفع دخان ثم  
 قضاهن سبع سموات في يومين ثم أخذ سبحانه وتعالى طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الأرض منها  
 ثم خلق الأقوات في يومين والسموات في يومين والأرض في يومين ثم فرغ آخر الخلق في اليوم السابع قال  
 بعض العلماء وفي خلق جميع الأشياء وجعلها على الماء ما يدل على كمال القدرة لأن البناء الضعيف إذا لم يكن  
 له أساس على أرض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات والأرض على الماء فهذا  
 يدل على كمال قدرة الله تعالى (خ) عن عمران بن حصين قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي  
 بالباب فأتى ناس من بني تميم فقالوا يا بني تميم فقالوا يا بشر يا بني تميم فقالوا يا بشر تنافعنا عظمنا من بين فتغير وجهه ثم دخل  
 عليه ناس من أهل اليمن فقالوا يا بشر يا أهل اليمن إذا لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يا رسول الله ثم قالوا  
 جئنا لنشفق في الدين ولنفدك عن أول هذا الأمر ما كان قال كان الله سبحانه وتعالى ولم يكن معه شيء قبله  
 وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب في ذلك كبر كل شيء ثم أتاني رجل فقال يا عمران أذكر  
 ناقتك فقد ذهبت فأنظرت أطامها فإذا السراب يقطع دونها وأيم الله لو ددت أنها ذهبت ولم أقم عن أبي رزين  
 العقيلي قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال كان في عمامة ما فوقه هواء وما تحته هواء  
 وخلق عرشه على الماء أخرجه الترمذي وقال قال أحد بر يد بالعماء أنه ليس معه شيء قال أبو بكر البيهقي في  
 كتاب الاسماء والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شيء قبله يعني لا الماء ولا العرش ولا  
 غيرهما وقوله وكان عرشه على الماء يعني وخلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب في ذلك كبر كل شيء وقوله  
 في عمامة وجدته في كتاب عمامة مقيد بالمدفان كان في الأصل مدودا فغناه سبحانه ووبر يد بقوله في عمامة  
 أي فوق سبحانه مدبر اله وعاليه عليه كما قال سبحانه وتعالى أأمنتم من في السماء يعني من فوق السماء وقال  
 تعالى لا صلبنكم في جذوع النخل يعني على جذوعها وقوله ما فوقه هواء أي ما فوق السحاب هواء وكذلك قوله  
 وما تحته هواء أي ما تحت السحاب هواء وقد قيل إن ذلك العمى مقصور والعمى إذا كان مقصورا فغناه  
 لاشئ ثابت لأنه مما عجمي عن الخلق لكونه غير شئ فكأنه قال في جوابه قال قبل أن يخلق خلقه ولم يكن شئ  
 غيره ثم قال ما فوقه هواء وما تحته هواء أي ليس فوق العمى الذي هو لاشئ موجود هواء ولا تحته هواء لأن  
 ذلك إذا كان غير شئ فليس يثبت له هواء وبوجه والله أعلم وقال الهروي صاحب الغرر بين قال بعض أهل  
 العلم معناه أين كان عرش ربنا خذف المضاف اختصارا كقوله واسأل القرية ويدل على ذلك قوله سبحانه  
 وتعالى وكان عرشه على الماء هذا آخر كلام البيهقي وقال ابن الأثير العماء في اللغة السحاب الرقيق وقيل  
 الكثيف وقيل هو الضباب ولا بد في الحديث من حذف مضاف تقديره أين كان عرش ربنا خذف ويدل على  
 هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكي عن بعضهم في العمى المقصود أنه قال هو كل أجرة لا يدركه  
 الفطن وقال الأزهري قال أبو عبيد انما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم والأفلا ندري  
 كيف كان ذلك العماء قال الأزهري فنحن نؤمن به ولا ندين صفته (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال

(كل في كتاب مبين)

واحد من الدواب ورزقها

ومستقرها ومستودعها في

الوح يعني ذكرها مكتوب

فيه مبين (وهو الذي خلق

السموات والأرض) وما

ينهما (في ستة أيام) من

الأحد إلى الجمعة تعلما للتأني

(وكان عرشه على الماء)

أي فوقه يعني ما كان تحته

خلق قبل خلق السموات

والأرض والماء وفيه دليل

على أن العرش والماء كانا

مخولقين قبل خلق السموات

والأرض قيل بدأ بخلق

ياقونة خضراء فنظر إليها

بالهيبة فصارت ماء ثم خلق

ريحاً فأفر الماء على مثته ثم

وضع عرشه على الماء وفي

وقوف العرش على الماء

أعظم اعتبار لاهل الأفكار

سجن في الدنيا حتى يفضى الى ذلك المعدل أو ما كون الدنيا جنة السكار وهو بالنسبة الى ما أعد الله له في الآخرة من العذاب الاليم الدائم الذي لا ينقطع فهو في الدنيا في جنة حتى يفضى الى ما أعد الله له في الآخرة وأما ما يضي على الرجل المؤمن في بعض الاوقات فأنما ذلك لرفع الدرجات وتكفير السيئات وبيان الصبر عند المصيبت فعلى هذا يكون المؤمن في جميع أحواله في عيشة حسنة لانه راض عن الله في جميع أحواله وقوله سبحانه وتعالى (ويؤت كل ذي فضل فضله) أي ويعط كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في الآخرة قال أبو العالية من كثرت طاعاته في الدنيا زادت حسناته ودرجته في الجنة لان الدرجات تكون على قدر الاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من حسناته العشرة واحدة وقيل له تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلك من غلبت أحاده عشره وويل معنى الآية من عمل لله وفقه الله في المستقبل اطاعته (وان تولوا) يعني وان أعرضوا عما جئتم به من الهدى (فأني أخاف عليكم) أي فقل لهم يا محمد أتني أخاف عليكم (عذاب يوم كبير) يعني عذاب النار في الآخرة (الى الله مرجعكم) يعني في الآخرة فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على اسائه (وهو على كل شيء قدير) يعني من اصاب الرزق اليكم في الدنيا وثوابكم وعقابكم في الآخرة وقوله سبحانه وتعالى (ألا انهم يثنون صدورهم) قال ابن عباس نزلت في الاخفس بن شريق وكان رجلاً حاول الكلام حاول النظر وكان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب ويطوى بقلبه على ما يكره فنزلت ألا انهم يثنون صدورهم يعني يخفون ما في صدورهم من الشحاء والعداوة من نيت الثوب اذا طوىته وقال عبد الله بن شداد بن الهاد نزلت في بعض المنافقين كان اذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم نثي صدره وظهروا طأراً سهو غطي وجهه كي لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يخفون صدورهم كي لا يسمعوا كتاب الله تعالى ولا ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويخفي ظهره ويغشى بوشيه ويقول له يعلم الله ما في قلبي وقال السدي يثنون صدورهم أي يعرضون بقلوبهم من قولهم نيت عتاني (ليستخفوا منه) يعني من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد من العز وجل ان استطاعوا (الاحياء يستغشون ثيابهم) يعني يغطون رؤسهم بثيابهم (يعلم ما يسيرون وما يعلنون انه عليهم ذباب الصدور) ومعنى الآية على ما قاله الازهرى ان الذين أضمر واعدوا فرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفي علينا حالهم في كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو ما أخرجه البخاري في افراذه عن محمد بن عياض بن جعفر الخزجي أنه سمع ابن عباس يقرأ ألا انهم يثنون صدورهم قال فسأله عنها فقال كان أناس يستعجبون أن يتخافوا فيفضوا الى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السماء فنزل ذلك فيهم وقوله سبحانه وتعالى (وما من دابة في الارض) الدابة اسم لكل حيوان دب على وجه الارض وأطلق لفظ الدابة على كل ذي أثر ومع الحيوان على سبيل العرف والمراد منه الاطلاق فيدخل فيه الآدمي وغيره من جميع الحيوانات (الاعلى الله رزقها) يعني هو المتكفل برزقها فاضلا منه لا على سبيل الوجوب فهو الى مشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وقيل ان لفظة على بمعنى من أي من الله رزقها وقال مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله ورزقها ففوت جوعاً (ويعلم مستقرها ومستودعها) قال ابن عباس مستقرها المكان الذي تأوى اليه في ليل وانهار ومستودعها المكان الذي تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود مستقرها راحم الامهات والمستودع المكان الذي تموت فيه وقيل

(وان تولوا) وان تولوا (فأني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة (الى الله مرجعكم رجوعكم) (وهو على كل شيء قدير) فكان قادراً على اعادة نكم (ألا انهم يثنون صدورهم) يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من أقبل على الشيء استقبله بصدرة ومن اذ ورعته وانحرف نثي عنه صدره وطموى عنه كشيءه (ليستخفوا منه) ليطلبوا الخفاء من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنون على ازوارهم (الاحياء) يستغشون ثيابهم يتغطون بها ليرون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم كراهة الاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم (يعلم ما يسيرون وما يعلنون) أي لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يرون من الاستخفاء والله مطلع على نيتهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافع عنده قبل نزلت في المنافقين (انه عليهم ذبات الصدور) بما فيها (وما من دابة في الارض الاعلى الله رزقها) تفضلاً لا وجوباً (ويعلم

(الكتاب) أى هذا كتاب  
فهو خير مبتدأ محذوف  
(أحكمت آياته) صفة له  
أى نظمت نظما رصينا  
محكما لا يقع فيه نقض  
ولا خلل كالبناء المحكم (ثم  
فصت) كافتصل القلائد  
بالقرائن دلائل التوحيد  
والاحكام والمواعظ  
والقصص وأوجلت فصولا  
سورة سورة وآية آية  
أوفرت في التسنين ولم  
تنزل جملة أو فصل فيها  
ما يحتاج اليه العباد أى  
بين وخص وليس معنى  
ثم التراخي في الوقت ولكن  
في الحال (من لدن حكيم  
خير) صفة أخرى لكتاب  
أخبر بعد خبر أو صلة  
لاحكمت وفصلت أى من  
عنده احكامها ونقصيلها  
(الأتعبوا والآله) مفعول  
له أى لئلا تعبوا أو أن  
مفسرة لان في تفصيل  
الآيات معنى القول كانه  
قيل قال لاتعبوا والآله  
أو أمركم أن لاتعبوا الآله  
الله (انتي لكم منه نذير  
وبشير) أى من الله (وأن  
استغفروا بكم) أى أمركم  
بالتوحيد والاستغفار  
(ثم توبوا اليه) أى  
استغفروه من الشرك ثم  
ارجعوا اليه بالطاعة (متعمك  
متاعا حسنا) يطول نفعكم  
في الدنيا بمنافع حسنة

وستون حرفا عن ابن عباس قال قال أبو بكر يارسول الله قد شئت قال شيتني هود والواقعة والمرسلات  
وعم يسعاهون وإذا الشمس كورت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غير وفى رواية غيره قال قال  
يارسول الله بحن الشيب قال شيتني هود وأخواتها الحاقفة والواقعة وعم يسعاهون وهن أمك حديث  
الغاشية قال بعض العلماء سبب شيمه صلى الله عليه وسلم من هذه السور المذكورة في الحديث لما فهم من ذكر  
القيامة والبعث والحساب والجنة والنار والله اعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

(الكتاب أحكمت آياته) قال ابن عباس لم ينسخها كتاب كان نسخته هي الكتب والشرايع  
(ثم فصلت) يعنى بينت وقال الحسن أحكمت آياته بالامر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب وفى رواية عنه  
بالعكس قال أحكمت بالثواب والعقاب وفصلت بالامر والنهي وقال قتادة أحكمها الله من الباطل ثم فصلها  
بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعهبته فيها وقيل أحكمها الله فليس فيها تناقض ثم فصلها وبينها وقيل  
معناه نظمت آياته نظما رصينا محكما بحيث لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم الذى ليس فيه خلل ثم  
فصلت آياته سورة سورة وقيل ان آيات هذا الكتاب دالة على التوحيد وصحة النبوة والمعاد وأحوال القيامة  
وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلائل الاحكام والمواعظ والقصص والاخبار عن الغيبات وقال مجاهد  
فصلت بمعنى فسرت ونم في قوله ثم فصلت ليست هي التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة  
أحسن الاحكام ثم فصلها أحسن التفصيل فان قلت كيف عم الآيات هنا بالاحكام وخص بعضها في قوله منه  
آيات محكمات قلت ان الاحكام التى عم بها هنا غير التى خص به هناك فغنى الاحكام العام هنا لا يتطرق  
الى آياته التناقض والفساد كاحكام البناء فان هذا الكتاب نسخ جميع الكتب المتقدمة عليه والمراد  
بالاحكام الخاص المذكور في قوله منه آيات محكمات ان بعض آياته منسوخة نسخها آيات منه أى لم ينسخها  
غيره وقيل أحكمت آياته أى أعظم آياته محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض فاجرى السكل على  
البعض لان الحكم للعالم واجراء السكل على البعض مستعمل في كلامهم تقول أكلت طعاما زيدا وإنما  
أكلت بعضه (من لدن حكيم) يعنى أحكمت آيات الكتاب من عند حكيم في جميع أفعاله  
(خير) يعنى بأحوال عبادته وما يصلحهم (الأتعبوا والآله) هذا مفعول له معناه كتاب أحكمت آياته ثم  
فصلت لئلا تعبوا والآله والمراد بالعبادة التوحيد وخلع الانداد والاصنام وما كانوا يعبدون والرجوع الى  
الله تعالى الى عبادته والدخول في دين الاسلام (انتي لكم منه) أى قل لم يا محمد اني اسكن من عند الله  
(نذير) ينذر عقابه ان نعم على كفركم ولم ترجعوا عنه (وبشير) يعنى وأبشركم بالثواب الجزيل لمن آمن  
بالله ورسوله وأطاع وأخلص العمل لله وحده (وأن استغفروا بكم توبوا اليه) اختلفوا في بيان الفرق  
بين هذين المرتبتين فقيل معناه اطلبوا من بكم المغفرة قلن بكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طلب  
المغفرة وهو الستر والتوبة الرجوع عما كان فيه من شرك أو معصية الى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم  
الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا بكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستقبل وقال الفراء  
ثم هنا معنى الواو لان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرهما لتأكيد (بتمتعكم متاعا حسنا) يعنى انكم اذا  
فعلتم ما أمرت به من الاستغفار والتوبة وأخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا وأسباب الرزق  
ما تعيشون به في أمن وسعة وخير قال بعضهم المتاع الحسن هو الرضا بالمسور والصرعى المقدور (الى أجل  
مسمى) يعنى بتمتعكم متاعا حسنا الى حين الموت ووقت انقضاء آجالكم فان قلت قد ورد في الحديث ان الدنيا  
سجن المؤمن وجنة الكافر وقد يضيق على الرجل في بعض أوقانه حتى لا يجد ما يفقه على نفسه وعياله  
فكيف الجمع بين هذا وبين قوله سبحانه وتعالى بتمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى قلت وأما قوله صلى الله  
عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن فهو بالنسبة الى ما أعد الله له في الآخرة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم فانه في

مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة (الى أجل مسمى) الى أن يتوفاكم

دون الله مالا ينفعك ان دعوته (ولا يضرك) ان خذته (فان فعلت) فان دعوت من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فكنت عنه بالفعل  
 بجرا فانك اذا من الظالمين اذ اجزاء للشرط وجواب لسؤال مقتدر كان سائلا عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم  
 أعظم من الشرك (وان عسك الله) يصبك (بضر) مرض (فلا كاشف له) لذلك الضر (الاهو) الالة (وان يردك بخير) عافية (فلا  
 راد لفضله) فلا راد لمراده (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده) قطع هذه الآية على عباده طرقي الرغبة والرهبة الالهية والاعتدال الاعليه  
 (وهو الغفور) المكفر باللاء (الرحيم) المعافي بالاعطاء اتباع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها

(٣٣٨)

لا تنفع ولا تضار ان الله هو  
 الضار النافع الذي ان  
 أصابك بضر لم يقدر على  
 كشفه الاهو وحده دون  
 كل أحد فكيف الجاد  
 الذي لا شعوره وكذا  
 ان أرادك بخير لم يرد أحد  
 ما يريده بك من الفضل  
 والاحسان فكيف  
 بالوثان وهو الحقيقي اذا  
 بان توجه اليه العبادة دونها  
 وهو أبلغ من قوله ان  
 أرادني الله بضر هل هن  
 كاشفات ضره أو أرادني  
 برحمة هل هن ممسكات  
 رحمته وانما ذكر المس في  
 أحدهما والارادة في الآخر  
 كانه أراد أن يذكر  
 الامرين الارادة والاصابة  
 في كل واحد من الضر  
 والخير وانه لا راد لما يريده  
 منهما ولا من يمل لما يصيب  
 به منهما فاوضح الكلام بان  
 ذكر المس وهو الاصابة في  
 أحدهما والارادة في الآخر  
 ليدل بما ذكر على ما ترك  
 على انه قد ذكر الاصابة  
 بالخير في قوله يصيب به من

دون الله مالا ينفعك يعني ان عبدة ودعوته (ولا يضرك) يعني ان تركت عبادته (فان فعلت) يعني  
 ما تهتمك عنه فعبدت غيري أو طلبت النفع ودفع الضر من غيري (فانك اذا من الظالمين) يعني لنفسك  
 لانك وضعت العبادة في غير موضعها وهذا الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به  
 غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله شيئا البتة فيكون المعنى ولأدع أمها الانسان من دون الله  
 مالا ينفعك الآية قوله تعالى (وان عسك الله بضر) يعني وان يصبك الله بشدة وبلاء (فلا كاشف له)  
 يعني لذلك الضر الذي انزله بك (الاهو) يعني لا غيره (وان يردك بخير) يعني بسعة ورخاء (فلا راد لفضله)  
 يعني فلا راد لرفقه (يصيب به) يعني بكل واحد من الضر والخير (من يشاء من عباده) قيل انه سبحانه  
 وتعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر على نفع ولا ضر بين تعالى انه هو القادر على ذلك كله وان جميع  
 الكائنات محتاجة اليه وجميع المكاتب مستندة اليه لانه هو القادر على كل شيء وانه ذو الجود والكرم والرحمة  
 ولهذا المعنى ختم الآية بقوله (وهو الغفور الرحيم) وفي الآية لطيفة أخرى وهي ان الله سبحانه وتعالى رجح  
 جانب الخير على جانب الشر وذلك انه تعالى لما ذكر امساك الضر بين انه لا كاشف له الاهو وذلك يدل على  
 انه سبحانه وتعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثناء من النفي اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا راد  
 لفضله يعني ان جميع الخيرات منه فلا يقدر أحد على رد هال انه هو الذي يفيض جميع الخيرات على عباده  
 وعنده بقوله وهو الغفور يعني الساتر لذنوب عباده الرحيم يعني بهم قوله سبحانه وتعالى (قل يا أيها الناس  
 قد جاءكم الحق من ربكم) يعني القرآن والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من الله  
 عز وجل (فن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) لان نفع ذلك يرجع اليه (ومن ضل فاما يضل عليها) أي على  
 نفسه لان وبالرابع اليه فن حكم الله بالاهتداء في الازل اتفق ومن حكم عليه بالضلال ضل ولم ينتفع بشيء  
 أبدا (وما أنا عليكم بوكيل) يعني وما أنا عليكم بحفيظ أحفظ عليكم أعمالكم قال ابن عباس هذه الآية  
 منسوخة بآية السيف (وانبع ما يوحى اليك) يعني الامر الذي يوحى الله اليك بالمحمد (واصبر) يعني على  
 أذى من خالفك من كفار مكة وهم قومك (حتى يحكم الله) يعني بنصره عليهم بما ظهر لدينك (وهو خير  
 الحاكمين) يعني انه سبحانه وتعالى حكم بنصر نبيه وأظهر دينه وبقتل المشركين وأخذ الخليفة من أهل  
 الكتاب وفيها ذلم وصغارهم والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة هو دعاء الصلاة والسلام

وهي مكية في قول ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقادة وفي رواية عن ابن عباس انها  
 مكية غير آية وهي قوله سبحانه وتعالى وأقم الصلاة طرفي النهار وعن قتادة نحوه وقالمة لى مكية الا  
 قوله سبحانه وتعالى فاعاك نارك بعض ما يوحى اليك وقوله وأنتك يؤمنون به وقوله سبحانه وتعالى ان  
 الحسنات يذهبن السيئات وهي مائة وثلاث وعشرون آية وألف وستة مائة كلمتوب لاف وخمسة مائة وسبعة

يشاء من عباده (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (فندعكم الحق) القرآن وأل الرسول (من ربكم فن اهتدى) باراهدى وستون  
 واتبع الحق (فانما يهتدى لنفسه) فنانفع باختباره الانفسه (ومن ضل فاما يضل عليها) ومن أثر الضلال اضار الانفسه ودل اللام وعلى على  
 معنى النفع والضرر (وما أنا عليكم بوكيل) بحفيظه وكول الى امركم انما أنا بشيرو نذير (وانبع ما يوحى اليك واصبر) على تكذيبهم وايدائهم  
 (حتى يحكم الله) لك بالنصرة عليهم (والغاية) وهو خير الحاكمين لانه اطاع على السرا فلاحج الى بينة وشهد سورة هو دعاء عليه السلام  
 مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

من الآيات والعبر باختلاف الليل والنهار والخروج الزرع والثمار (وما تنفى الآيات) مانافية (والنذر) والرسول المنذرون أو الأذنات  
(عن قوم لا يؤمنون) لا يتوقع إيمانهم وهم الذين لا يعقلون (فهل ينتظرون) (٣٣٧) الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم

يعنى وقائع الله فيهم كما قال  
أيام العرب لوقائعها  
(قل فانتظروا انى معكم  
من المنتظرين ثم نتجى  
رسلا) معطوف على  
كلام محذوف يدل عليه  
الامثل أيام الذين خلوا من  
قبلهم كأنه قيل نهلك الامم  
ثم نتجى رسلا على حكاية  
الاحوال الماضية (والذين  
آمنوا) ومن آمن معهم  
(كذلك حقا علينا  
نتجى المؤمنين) أى مثل  
ذلك الانجاء نتجى المؤمنين  
منكم ونهلك المشركين  
وحقا علينا عتراض أى  
وحيق ذلك علينا حقا  
ينجى بالتخفيف على  
وحفص (قل يا أيها الناس)  
يا أهل مكة (ان كنتم فى  
شك من دى) وصحته  
وسدداه فهذا دى  
فاستمعوا وصفه ثم وصف  
دينه فقال (فلا أعبد  
الذين تعبدون من دون  
الله) أى الاصنام (ولكن  
أعبد الله الذى يتوفىكم)  
يمتكم وصفه بالتوفى  
ليبرهم انه الحقيق بان يخاف  
ويتقى ويعسددون  
ملا يقدر على شئ (وأمرت  
أن أكون من المؤمنين)  
أى بان أكون يعنى ان  
الله أمرنى بذلك بما ركب  
فى من العقل وبما أوحى

(وما تنفى الآيات والنذر) يعنى الرسل (عن قوم لا يؤمنون) وهذا فى حق أقوام علم الله أنهم لا يؤمنون لما  
سبق لهم فى الازل من الشقاء (فهل ينتظرون) يعنى مشركى مكة (الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم) يعنى من  
مضى من قبلهم من الامم السالفة المكذبة للرسول قال قتادة يعنى وقائع الله فى قوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمى  
العذاب أياما والنعيم أياما كقوله تعالى وذكركم أيام الله والمعنى فهل ينتظروا هؤلاء المشركون من قومك يا محمد  
الايوموا يعانبون فيه العذاب مثل ما فعلنا بالامم السالفة المكذبة أهل كنهانهم جميعا فان كانوا ينتظرون ذلك  
العذاب (فقل فانتظروا) يعنى قل لهم يا محمد فانتظروا العذاب (انى معكم من المنتظرين) يعنى هلاكم  
قال الربيع بن أنس خوفهم عذابه وبقمته ثم أخبرهم انه اذا وقع ذلك بهم أنجى الله رسله والذين آمنوا  
معهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى (ثم نتجى رسلا والذين آمنوا) يعنى من العذاب والهلاك (كذلك  
حقا علينا نتجى المؤمنين) يعنى كأنجينا رسلا والذين آمنوا معهم من الهلاك كذلك نتجىك يا محمد  
والذين آمنوا معك وصدقوك من الهلاك والعذاب قال بعض المتكلمين المراد بقوله حقا علينا الوجوب  
لان تخليص الرسول والمؤمنين من العذاب واجب وأجيب عن هذا بانه حق واجب من حيث الوعد والحكم  
لأنه واجب بسبب الاستحقاق لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على خالفه شيئا قوله سبحانه وتعالى (قل  
يا أيها الناس) الخطاب بالنبي صلى الله عليه وسلم أى قل يا محمد هؤلاء الذين أرسلتك اليهم فشكوا فى أمرى ولم  
يؤمنوا بك (ان كنتم فى شك من دى) يعنى الذى أدعوكم اليه وانما حصل الشك لبعضهم فى أمره صلى الله  
عليه وسلم لما رأى الآيات التى كانت تظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم فحصل له الاضطراب والشك فقال  
ان كنتم فى شك من دى الذى أدعوكم اليه فلا ينبغي لكم أن تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه السلام وأتم  
من ذريته وتعرفونه ولا تشككون فيه وانما ينبغي لكم أن تشكوا فى عبادتكم لهذه الاصنام انى لأصل  
له البتة فان أصررت على ما أتمت عليه (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) يعنى هذه الاوثان واما رجب  
تقديم هذا النفي لان العبادته هى غاية التعظيم للمعبود فلانلىق لاختصاص الاشياء وهى الحجارة التى لا تنفع لمن  
عبدها ولا تضربان تركها ولكن تليق العبادات لمن بيده النفع والضرر وهو قادر على الامانة والاحياء وهو قوله  
سبحانه وتعالى (ولكن أعبد الله الذى يتوفىكم) والحكمة فى وصف الله سبحانه وتعالى فى هذا المقام  
بهذه الصفة ان المراد أن الذى يستحق العبادات عابده أنا وأنتم هو الذى خلقكم وأولادكم تكونوا شيئا ثم يميتكم  
ثانيا ثم يحييكم بعد الموت ثالثا فكتبتى ذكر الوفاة تنبيه على الباقى وقيل لما كان الموت أشد الاشياء على  
النفس ذكر فى هذا المقام ليكون أقوى فى الجزم والردع وقيل انهم لما استعجوا بطلب العذاب أباهم بقوله  
وتكن أعبد الله الذى هو قادر على اهلاكم ومنصرى عليكم (وأمرت أن أكون من المؤمنين) يعنى  
وأمرت بى أن أكون من المصدقين بما جاء من عنده قيل لما ذكر العبادات وهى من أعمال الجوارح  
أتبعها بذل الايمان لانه من أعمال القلوب (وأن أقم وجهك للدين حنيفا) الواو فى قوله وان أقم واو  
عطف معناه وأمرت ان أقيم وجهى يعنى أقم نفسك على دين الاسلام حنيفا يعنى مستقبلا عليه غير معوج  
عنه الى دين آخر وفيه معناه أقم عمالك على الدين الحنيفى وقيل أراد بقوله وان أقم وجهك للدين صرف  
نفسه بكليته الى طلب الدين الحنيفى غير مائل عنه (ولا تكونن من المشركين) يعنى ولا تكونن ممن يشرك فى  
عبادة رب غيره فهلاك وقيل النهى عن عبادة الاوثان قد تقدم فى الآية المتقدمة فوجب حمل هذا النهى  
على معنى زائد وهو أن من عرف الله عز وجل وعرف جميع أممائه وصفاته وانه المستحق للعبادة لا غيره  
فلا ينبغي له أن يلتفت الى غيره بالكيفية وهذا هو الذى تسميه أصحاب القلوب بالترك الحقيقى (ولاندع من

(٤٣) - (خازن) - (ثانى) فى كتابه (وان أقم وجهك للدين) أى وأوحى الى أن أقم لى كل قوله أمرت أى استقم  
مقبلا بوجهك على ما أمرك الله أو استقم اليه ولادع من غير الاوثان (حنيفا) حال من الدين أو الوجه (ولا تكونن من المشركين) ولا تدع من



وأظهروا الاسلام والتوبه وفروا بين كل ولدته وولدته من الناس والدواب فمن البعض الى البعض فمن الاولاد الى الامهات والامهات الى الاولاد وعاب الاصوات ونحو اجميعه الى الله ونضرعوا اليه وقالوا آمنا بما جاء به بونس ونابوا الى الله وأخلصوا النية رجهم بهم فاستجاب دعاءهم وكشف عنهم ما نزل بهم من العذاب بعدما أنظلمهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم ان تردوا المظالم فيما بينهم حتى ان كان الرجل ليأتي الى الحجر وقد وضع أساس بنيانه عليه فيقاهه فيرده وروي الطبري بسنده عن أبي الجلد خيلان قال لما غشي قوم بونس العذاب مشوا الى الشيخ من بقية علمائهم فقالوا له انه قد نزل بنا العذاب فأتى قال قولوا يا حيي لا حيي الموتى يا حيي لا اله الا انت فقالوا ه فكشف الله عنهم العذاب وتمعوا الى حين وقال الفصل بن عياض انهم قالوا اللهم ان ذوو بنا فقد عظمت وجأت وأنت أعظم وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله قال وخرج بونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيئاً فقيل له ارجع الى قومك قل وكيف أرجع اليهم فيجدوني كذبا او كان من كذب ولا يثقه قتل فانصرف عنهم مغاضبا فالتقمه الحوت وسبأ في القصة في سورة الصافات ان شاء الله تعالى فان قلت كيف كشف العذاب عن قوم بونس بعدما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكشف العذاب عن فرعون حين آمن ولم يقبل توبته قلت أجاب العلماء عن هذا بما جوهة أحد هان ذلك كان خاصا بقوم بونس والله يفعل ما يشاء وبحكم ما ير يد الجواب الثاني ان فرعون ما آمن الا بعد ما باشر العذاب وهو وقت اليأس من الحياة وقوم بونس دانمهم العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالر يض يخاف الموت ويرجو العافية الجواب الثالث ان الله عز وجل علم صدق نياتهم في التوبة فقيل نو بتهم بخلاف فرعون قاله ما صدق في ايمانه ولا أخاص فلم يقبل منه ايمانه والله أعلم ﴿قوله سبحانه وتعالى (ولوشاء بك لأمن من في الارض كلهم جميعا) يقول الله عز وجل لانيه محمد صلى الله عليه وسلم ولوشاء بك يا محمد لأمن بك وصدقك من في الارض كلهم جميعا ولكن لم شأن ان يصدقك ويؤمن بك الامن سبقت له السعادة في الارز قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرض ان يؤمن به جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبره الله عز وجل انه لا يؤمن به الامن سبقت له من الله السعادة في الذكر الاول ولم يزل الامن سبق له من الله الشقاء في الذكر الاول وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان ح يصاعلي ايمانهم كلهم فاخبره الله انه لا يؤمن به الامن سبقت له العناء الا زلية فلا تتعب نفسك على ايمانهم وهو قوله سبحانه وتعالى (أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) يعني ليس ايمانهم اليك حتى تكبرهم عليه وتحرص عليه انما ايمان المؤمنين واضل الكافر بمشيتنا وقضائنا وقدرنا ليس ذلك لاحد سوانا (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله) يعني وما كان ينبغي لنفس خلقها الله تعالى أن تؤمن وتصدق الا بقضاء الله لها ايمان فان هدايتها الى الله وهو الهادي الضل وقال ابن عباس معنى باذن الله بامر الله وقال عطاء بمشيتة الله ﴿قوله تعالى (وبجعل) قرى ما ننون على سبيل التعظيم أى ونجعل نحن وقرى بالياء ومعناه ويجعل الله (الرجس) يعني العذاب وقال ابن عباس يعني السخط (على الذين لا يعقلون) يعني لا يفهمون عن الله امره ونهيه ﴿قوله عز وجل (قل انظروا) أى قل يا محمد ل هؤلاء المشركين الذين يسألونك الآيات انظروا يعني انظروا بما لكم نظر اعتبار وتفكر وتدبر (ما ذاقى السموات والارض) يعني ماذا خلق الله في السموات والارض من الآيات الدالة على وحدانيته في السموات الشمس والقمر وهما دليلان على النهار والليل والنجوم وسخرها طاعة وغاربه وانزال المطار من السماء وفي الارض الجبال والبحار والمعادن والانهار والاشجار والنبات كل ذلك آية دالة على وحدانية الله تعالى وانه خالقها كقَالَ الشاعر وفي كل شيء له آية • تدل على انه واحد

لا يختلقون فيه أخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته انه لو شاء لأذن من في الارض كلهم ولكنه شاء ان يؤمن به من علم منه اختيار الايمان به وشاء الكفر عن علم انه يختار الكفر ولا يؤمن به وقول المعتزلة المراد بالمشيئة مشيئة القدر والاحياء أى لو خلق فيهم الايمان جبرا لآمنوا لكن قد شاء ان يؤمنوا اختيارا فلم يؤمنوا دليله (أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) أى ليس اليك مشيئة الاكراه والجبر في الايمان انما ذلك الى فاسد لان الايمان فعل العبد وفعله ما يحصل بقدرته ولا يتحقق ذلك بدون الاختيار وتاويله عندنا ان الله تعالى لطفوا لعظائم آمنوا كلهم عن اختيار ولكن علم منهم أنهم لا يؤمنون فلم يعطهم ذلك وهو التوفيق والاستفهام في أفانت بمعنى اننى أى لا تأت أنت يا محمد أن تكرهمهم على الايمان لانه يكون بالتصديق والاقرار ولا يمكن الاكراه على التصديق (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله) بمشيئته أو بقضائه أو



(فتكون من الخاسرين) أي فائت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله أو هو على طريق التمهيج والاطباب كقوله فلا تكون ظهير للكافرين ولا يصدك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ولزادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق أو خطوب رسول الله صلى الله عليه وسلم المراد أمته أي وان كنتم في شك عما أنزلنا اليكم كقوله وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً والخطاب لكل سامع يجوز عليه الشك كقول العرب إذا عزأ حوكك فهن أو أن للنفي أي فما كنت في شك فسل أي ولا تأمر بالسلوال لأنك شاك ولكن لتزاد يقيناً كما زاد إبراهيم عليه السلام بمعانية أحياء الموتى فان قلت إنما يحيى أن للنفي إذا كان بعده الأكل قوله ان الكافرون الأفي غرور قلت ذلك غير لازم ألا ترى الى قوله

(٣٣٥)

فان للنفي وليس بعده إلا (ان الذين حقت عليهم كبرت ربك) ثبت عليهم قول الله الذي كتمته في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يؤمنون كفاراً وقوله لأملأن جهنم الآية ولا وقف على (لا يؤمنون) لان (ولجاءتهم كل آية) تتعلق بمقابلها (حتى يروا العذاب الآليم) أي عند آية من الآيات فبؤسهم ولا ينفعهم وأوعده القيامة ولا يقبل منهم (فلولا كانت قرية آمنت) فهذا كانت قرية واحدة من القرى التي أهلكتها آتات عن الكفر وأخلصت الأيمان قبل المعية ولم تؤخر كما فرعون الى أن أخذ بحقه (ففتحها إيمانها) بان تقبل الله إيمانها بوقوعه في وقت الاختيار الاقوم بونس استثناء منقطع أي ولكن قوم

(فتكون من الخاسرين) يعني الذين خسروا أنفسهم واعلم أن هذا كله على ما تقدم من أن ظاهره خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من عنده شك وارتباب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بآيات الله فثبت بهذا أن المراد به غيره والله أعلم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ان الذين حقت عليهم) يعني وجبت عليهم (كلمت ربك) يعني حكم ربك وهو قوله سبحانه وتعالى خالقت هؤلاء للنار ولا يأبى وقال قتادة سخط ربك وقيل لعن ربك وقيل هو ما قدره عليهم وقضاه في الازل (لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية) فانهم لا يؤمنون بها (حتى يروا العذاب الآليم) فينبغي أن ينفعهم الايمان لان الله سبحانه وتعالى قد حكم عليهم وصرفهم عن الايمان فلا ينفعهم شيء ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (فلولا) يعني فهلا (كانت قرية) وقيل معناه فما كانت قرية وقيل لم تكن قرية لان الاستفهام معنى الحجة والمراد هل كانت قرية (آمنت) يعني عند معانية العذاب (ففتحها إيمانها) يعني في حال اليأس (الاقوم بونس) هذا استثناء منقطع يعني اسكن قوم بونس فانهم آمنوا فنفعهم إيمانهم في ذلك الوقت وهو قوله (لما آمنوا) يعني لما أخلصوا الايمان (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين) يعني الى وقت انقضاء آجالهم واختافوا في قوم بونس هل رأوا العذاب عياناً أم لا فقال بعضهم رأوا دلائل العذاب فآمنوا وقال الاكثرون انهم رأوا العذاب عياناً بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون الا بعد الوقوع أو اذا قرب وقوعه

﴿ذكر القصة في ذلك﴾

على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبيرة وهب وغيرهم قالوا ان قوم بونس كانوا قرية نينوى من أرض الموصل وكانوا أهل كفر وشرك فأرسل الله سبحانه وتعالى اليهم بونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فابوا عليه فقبل له أخبرهم أن العذاب مصعبهم الى ثلاث فأخبرهم بذلك فقالوا اننا لم نجرب عليه كذباً فأنظر وافان بات فيكم الليلة فليس بشئ وان لم يأت فاعلموا أن العذاب مصعبكم فلهما كان جوف الليل خرج بونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا انفساهم العذاب فكان فوق رؤسهم قال ابن عباس ان العذاب كان أبسط على قوم بونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلاث ميل فلما دعوا كشف الله عنهم ذلك وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبيرة غشي قوم بونس العذاب كما غشى الثوب القبر وقال وهب غامت السماء غماً أسودها ثلاث دخن دخاناً شديداً فبسط على رؤسهم حتى غشي مدبتهم واسودت أسطحهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فتابوا بانيهم بونس عليه السلام فلم يجبروه ففقد الله سبحانه وتعالى في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحراء بانفسهم ونساءهم وصبيانهم ودوابهم وابسا السوخ

بونس أو متصل والجهة في معنى النبي كأنه قيل ما أنت قرية من القرى الهالكه الاقوم بونس وانتصابه على أصل الاستثناء (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين) الى آجالهم روى أن بونس عليه السلام بعث الى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضباً فمات فدفنوا فأنزل العذاب فلبسوا السوخ كلهم وعجوا وأربعين ليلة برزوا الى الصعيد بانفسهم ونساءهم وصبيانهم ودوابهم وفروا بين النساء والصبيان والدواب وأولادها فخن بعضهم الى بعض وأظهروا الايمان والتوبة فرحهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وبلغ من توبتهم أن ردوا المظالم حتى أن الرجل كان يباع الخمر وقد وضع عليه أساس بنيانه فبرده وقيل خرجوا الى منازلهم العذاب الى شيخ من بنية عامتهم فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي وبياحي محي الموتى وبياحي لا اله الا أنت فقالوا هاهنا كشف الله عنهم وعن الفضيل قدس الله روحه قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منا وجل اغفل بنا ما أنت أهله ولا تغفل بنا ما نحن أهله

الكتاب بخبر ولك أنك مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وأنت نبى يعرفونك بصفته عندهم وقد توجه  
ههنا سؤال واعتراض وهو أن يقال هل شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما أنزل عليه وفى نبوته حتى يسأل أهل  
الكتاب عن ذلك وإذا كان شاكفى نبوة نفسه كان غيره أولى بالشك منه قلت الجواب عن هذا السؤال  
والاعتراض ما قاله القاضي عياض فى كتابه الشفاء فإنه أورد هذا السؤال ثم قال احتربت الله قلبك أن  
يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما  
أوحى إليه فإنه من البشرة فلهذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم جلة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى  
الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصرى وحكى عن قتادة أنه قال بلغنا أن النبي  
صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا أنهم كلام القاضي عياض رحمه الله ثم اختلفوا  
فى معنى الآية ومن المخاطب بهذا الخطاب على قولين أحدهما أن الخطاب لاني صلى الله عليه وسلم فى الظاهر  
والمراد به غيره فهو كقوله ائمن أشركت ليحبطن عملك ومعالم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرك فثبت  
أن المراد به غيره ومن أمثلة العرب \* اياك أعنى واسمى بإجاره \* فعلى هذا يكون معنى الآية قل يا محمد  
يا أيها الإنسان الشاك أن كنت فى شك عما أنزلنا إليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فاسأل الذين  
يقرؤن الكتاب بخبروك بصحته وبدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى فى آخر هذه السورة قل يا أيها الناس  
إن كنتم فى شك من دى الآية فبين أن المذكور فى هذه الآية على سبيل الرمز هو المذكور فى ذاك الآية على  
سبيل النص صريح وأيضاً لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكفى نبوته لكان غيره أولى بالشك فى نبوته وهذا  
يوجب سقوط الشريعة بالسكينة، عاذ الله من ذلك وقيل إن الله سبحانه وتعالى علم أن النبي صلى الله عليه وسلم  
لم يشك قط فيكون المراد بهذا التهميش فإنه صلى الله عليه وسلم أسمع هذا الكلام بقول لا شك بآرب ولا  
أسأل أهل الكتاب بل أكتفى بما أنزلته على من الدلائل الظاهرة وقال الزجاج أن الله خاطب الرسول صلى  
الله عليه وسلم فى قوله فإن كنت فى شك وهو شامل للخلق فهو كقوله يا أيها النبي اذلقتم النساء وهذا وجه  
حسن لكان فيه بعد وهو أن يقال متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخل فى هذا الخطاب كان الاعتراض  
موجوداً والسؤال وارد وقيل إن لفظة أن فى قوله فإن كنت فى شك للنبي ومعناه وما أنت فى شك عما أنزلنا  
إليك حتى تسأل فلا تسأل وإن سألنا لزدت بقينا والقول الثانى أن هذا الخطاب ليس هو للنبي صلى الله  
عليه وسلم البتة ووجه هذا القول أن الناس كانوا فى زمنه على ثلاث فرق فرقة مصدقون وبه مؤمنون  
وفرقة على الضد من ذلك والفرقة الثالثة المتوقفون فى أمره الشاككون فيه غاطهم الله عن وجل هذا  
الخطاب فقال تعجدو تعالى فإن كنت أيها الإنسان فى شك عما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد صلى الله  
عليه وسلم فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وانما واحد الله الصمير فى قوله فإن كنت وهو يريد الجمع  
لأنه خطاب لجنس الإنسان كافى قوله تعالى يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم لم يرد فى الآية انساناً بعينه بل  
أراد الجمع واختلَفوا فى المسؤول عنه فى قوله تعالى فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون  
من أهل التفسير هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه لأنهم هم الموثوق بأخبارهم  
وقيل المراد كل أهل الكتاب سواء مؤمنهم وكافرهم لأن المقصود من هذا السؤال الإخبار بصحة نبوة محمد  
صلى الله عليه وسلم وأنه مكتوب عندهم صفته ونعتة فإذا أخبروا بذلك فقد حصل المقصود والاول أصح وقال  
الضحاك يعنى أهل التقوى وأهل الايمان من أهل الكتاب بمن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم (لقد جاءك  
الحق من ربك) هذا كلام مبتدأ منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره أقم لقد جاءك الحق اليقين  
من الخبر بأنك رسول الله حقاً وأن أهل الكتاب يعادون صحة ذلك (فلا تكونن من الممترين) يعنى من  
الشاكين فى صحة ما أنزلنا إليك (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) يعنى بدلائله وبراهينه الواضحة

(لقد جاءك الحق من ربك) أى ثبت عندك  
بالآيات الواضحة والبراهين  
اللازمة أن ما أتاك هو الحق  
الذى لا مجال فيه للشك  
(فلا تكونن من الممترين)  
الشاكين ولا وقف عليه  
للعطف (ولا تكونن  
من الذين كذبوا بآيات  
الله

(تسكون لمن خلقك أمة) لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو إسرائيل وكان في أنفسهم أن فرعون أعظم شامنا من أن يفرق وقيل أخبرهم موسى بهذا فلم يصدقوه فأتاه الله على الساحل حتى غابوه وقيل لمن خلقك لمن يأتي بعدك من القرون ومعنى كونه أمة أن يظهر للناس عبوديته وإن ما كان بدعيه من الربوبية محال وإنما كان عليه من عظام الملوك (٢٣٣)

فما الظن بغيره (وان)  
كثيرا من الناس عن آياتنا  
اغافلون ولقد بواؤنا بنى  
اسرائيل مبواً صدق (منزلا  
صالحا مرضيا وهو مصر  
والشام (ورزقناهم من  
الطيبات فما اختلفوا) فى  
دينهم (حتى جاءهم العلم)  
أى التوراة وهم اغتفبوا  
فى تآويلها كما اختلف أمة  
محمد صلى الله عليه وسلم فى  
تآويل الآيات من القرآن  
أو المراد العلم بمحمد  
واختلاف بنى اسرائيل  
وهم أهل الكتاب اختلفهم  
فى صفته انه هو أم ليس هو  
بعد ما جاءهم العلم انه هو  
(ان) وبك يقضى بينهم  
يوم القيامة فيها كانوا فيه  
يختلفون) يميز الحق من  
المبطل ويجزى كلا جزاءه  
فان كنت فى شك عما أنزلنا  
اليك فاسأل الذين يقرؤن  
الكتاب من قبلك) لما  
قدم ذكر بنى اسرائيل  
وهم قراء الكتاب وصفهم  
بان العلم قد جاءهم لأن أمر  
سول الله صلى الله عليه وسلم  
بكتوب فى التوراة والانجيل  
وهم يعرفونه كما يعرفون  
أنباءهم أراد أن يؤكّد

علمهم بصحة القرآن وبصحة نبوته صلى الله عليه وسلم. وبأنه في ذلك فقال فان وقع لك شك فزادوا قديرا وسبيل من خالجه شبهة أن يسارع إلى حله بالرجوع إلى قوانين الدين وأدبته أو بمباحثة العلماء فسد علماء أهل الكتاب فانهم من الاحاطة بصحة ما نزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فالمراد وصف الاحبار بالسوء في العلم بصحة ما نزل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه

ورده الايمان لما جاءه وأما فعل جبريل من دس الطين في فيه فأما فعل ذلك بأمر الله لا من تلقاء نفسه فأما قول الامام لم يجز لجبريل أن يغمسه من التوبة بل يجب عليه أن يعينه عليها وعلى كل طاعة هذا اذا كان تكليف جبريل كتكليفنا يجب عليه ما يجب علينا وأما اذا كان جبريل انما يفعل ما أمر الله به والله سبحانه وتعالى هو الذي منع فرعون من الايمان وجبريل منفذ لأمر الله فكيف لا يجوز له منع من منه الله من التوبة وكيف يجب عليه اعانة من لم يعنه الله بل قد حكم عليه وأخبر عنه أنه لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم حين لا ينفعه الايمان وقد يقال ان جبريل عليه السلام اماناً يتصرف بأمر الله فلا يفعل الا ما أمر الله به واما ان يفعل ما يشاء من تلقاء نفسه لا بأمر الله وعلى هذين التقديرين فلا يجب عليه اعانة فرعون على التوبة ولا يحرم عليه منعه، نهيا لانه انما يجب عليه فعل ما أمر به ويحرم عليه فعل ما نهى عنه والله سبحانه وتعالى لم يخبرانه أمره بأعانة فرعون ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست اللانكسة مكافئين كتكليفنا وقوله وان كان التكليف من الالاعن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة فغوابه أن يقال ان الناس في تلميل أفعال الله قوانين أحدهما أن أفعاله لا تعقل وعلى هذا التفسير فلا يراد بهذا السؤال أصلاً وقد زال الاشكال والقول الثاني ان أفعاله تبارك وتعالى لها غاية بحسب المصالح لاجلها فعملها وكذا وأمره ونواهيها لها غاية محدودة محبوبة لاجلها أمرها ونهيها عنها وعلى هذا التقدير وقد علمنا قال فرعون آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وقد علم جبريل انه من حقت عليه كلمة العذاب وان ايمانه لا ينفعه دس الطين في فيه لنحقق معانيته للموت فلا تكون تلك الكلمة نافعة له وانه وان كان قاطعاً في وقت لا ينفعه دس الطين في فيه تحقيقاً لهذا المنع والقائد فيه تعجيل ما قد قضى عليه وسد الباب عنه سد المحجبات لا يبق للرحمة فيه منفذ ولا يبق من عمره زمن ينسحق للايمان فان موسى عليه السلام لما دعى به بان فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم والايمان عند رؤية العذاب غير نافع اجاب الله دعاءه فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاناة الفرق استعجل جبريل قدس الطين في فيه لباساً من الحياة ولا تنفعه تلك الكلمة وتحقق اجابة الدعوة التي وعد الله موسى بقوله قد أجبت دعوتكما فيكون سمى جبريل في تكميل ما سبق في حكم الله أنه يفعله فيكون سمى جبريل في مرضاة الله سبحانه وتعالى منفذ لما أمر به وقد روى قضاة على فرعون وأما قوله لو منعه من التوبة لكان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر فغوابه ما تقدم من ان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وجبريل انما يتصرف بأمر الله ولا يفعل الا ما أمره الله به واذا كان جبريل قد فعل ما أمره الله به ونفذه فأما مرضي بالامر لا بالامور به فأى كفر يكون هنا أيضاً فان الرضا بالكفر انما يكون كفر في حقنا لا مأمورين بانزاله بحسب الامكان فاذا أقرنا الكافر على كفره ورضينا به كان كفر في حقنا لا افتناء ما أمرنا به وامان ليس مأموراً كاسرنا ولا مكلفاً كتكليفنا بل يفعل ما يأمره به كنهه فانه اذا نفذ ما أمره به لم يكن راضياً بالكفر ولا يكون كفر في حقه وعلى هذا التقدير فان جبريل لم ادس الطين في في فرعون كان ساخطاً للكفر غير راض به والله سبحانه وتعالى خالق أفعال العباد خيرها وشرها وهو غير راض بالكفر فغابة أمر جبريل مع فرعون ان يكون منفذا لقضاء الله وقدره في فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به وقوله كيف يليق بحلال الله ان يأمر جبريل بان ينفعه من الايمان فغوابه ان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وأما قوله وان قيل ان جبريل انما يفعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله فغوابه انما يفعل ذلك بأمر الله منفذاً لأمر الله والله اعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (قال يوم ننجيك ببدنك) أى نلقبك على نحوه من الارض وهى المكان المرتفع قال أهل التفسير لما غرق الله سبحانه وتعالى فرعون وقومه أخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه فقالت بنو اسرائيل مامات فرعون وانما قالوا ذلك لعاقبته عندهم وما حصل في قلوبهم من

(قال يوم ننجيك) نلقبك  
بنجوة من الارض فرماه  
الماء الى الساحل كان نور  
(ببدنك) في موضع  
الحال أى في الحل التي  
لاروح فيك وانما أنت  
بدن أو بدنك كاملاً سوياً  
لم ينقص منه شئ ولم يتغير أو  
عربانيا است الابدان من  
غير لباس أو بدرعك  
وكانت لدرع من ذهب  
يعرف بها وقرأ أبو حنيفة  
رضي الله عنه ببدنك  
وهو مثل قولهم هو باحرامه  
أى ببدنك كله وفيما جزأه  
أو بدرعك لانه ظاهر  
بينها

أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وفي رواية أخرى عنه عن عدى بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر أحد همام عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر أن جبريل عليه السلام جعل يدس في في فرعون الطين خشية أن يقول لاله الا الله فبرجه الله وأخشية أن يرجه الله أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح

**فصل في الكلام على هذا الحديث** لأنه في الظاهر مشكل فيحتاج الى بيان وإيضاح فنقول وقد ورد هذا الحديث على طريقتين مختلفتين عن ابن عباس في الطريق الأول عن ابن زيد بن جدعان وهو وإن كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فإنه كان شيخاً نبيلاً صادقاً وقال كنهه كان سبيء الحظوظ بغاظ وقد احتمل الناس حديثه وإنما يخشى من حديثه أن المتابع عليه أو خالفه فيه الثقات وكلاهما منتف في هذا الحديث لأن في الطريق الآخر شعبة عن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الإسناد على شرط البخارى ورواه أيضاً شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعطاء بن السائب ثقة قد أخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وإن كان عطاء قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فإما يخاف منه ما انفرد به أو خوف فيه وكلاهما منتف فقد علم بهذا أن هذا الحديث أصلاً وإن رواته ثقات ليس فيهم متهمم وإن كان فيهم من هوسىء الحفظ فقد تابعه عليه غيره فإن قلت ففي الحديث الثاني شك في رفعه لأنه قال فيه ذكر أحد همام عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت ليس بشك في رفعه إنما هو جزم بأن أحد الرجلين رفعه وشك شعبة في تعيينه هل هو عطاء بن السائب أو عدى بن ثابت وكلاهما ثقة فإذا رفعه أحدهما وشك في تعيينه لم يكن هذا علة في الحديث وقوله من حال البحر أرى من طين البحر كما في الرواية الأخرى

**فصل** ووجه اشكاله ما اعترض به الامام غفر الدين الرازى في تفسيره فقال هل يصح أن جبريل أخذ يخالطه بالطين لئلا يتوب غضباً عليه والجواب الأقرب أنه لا يصح لأن في تلك الحالة إيماناً يقال التكليف هل كان ثابتاً أم لا فإن كان ثابتاً لا يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه أن يعينه على التوبة وعلى كل طاعة وإن كان التكليف زائلاً عن فرعون في ذلك الوقت حينئذ لا يبق لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة وأيضاً لو منع من التوبة لكان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر وكفره وأيضاً كيف يليق بحلال الله أن يأمر جبريل بأن يمنعه من الإيمان ولو قيل إن جبريل فعل ذلك من عند نفسه لإبامى الله فهذا يبطله قول جبريل وما تنزل الإبرار بك فهذا وجه الاشكال الذي أورده الامام على هذا الحديث في كلام أكثر من هذا والجواب عن هذا الاعتراض أن الحديث قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لا أحد وأما قول الامام أن التكليف هل كان ثابتاً في تلك الحالة أم لا فإن كان ثابتاً لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة فإن هذا القول لا يستقيم على أصل المثبتين للقدر القائلين بخلق الافعال لله وإن الله يصل من يشاء ويهدى من يشاء وهذا أقول أهل السنة المثبتين للقدر فإنهم يقولون إن الله يحول بين الكافر والإيمان وبدل على ذلك قوله تعالى واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وقوله تعالى وقالوا قلونا نغلب بل طبع الله عليها بكفرهم وقال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة فإن خبر الله سبحانه وتعالى أنه قلب أفئدتهم مثل تركهم الإيمان به أول مرة وهكذا فعل بفرعون منعه من الإيمان عند الموت جزاء على تركه الإيمان أولاً فوس الطين في فم فرعون من جنس الطبع والختم على القلب ومنع الإيمان وصون الكافر عنه وذلك جزاء على كفره السابق وهذا قول طائفة من المثبتين للقدر القائلين بخلق الافعال لله ومن المنكرين لخلق الافعال من اعترف أيضاً أن الله سبحانه وتعالى يفعل هذا عقوبة للعبد على كفره السابق فيحسن منه أن يضله ويطيع على قلبه ويمنعه من الإيمان فإما قصة جبريل عليه السلام مع فرعون فإنها من هذا الباب فإن غاية ما يقال فيه أن الله سبحانه وتعالى منع فرعون من الإيمان وحال بينه وبينه عقوبة له على كفره السابق

(فاستقيا) فأتبعنا على ما أتناهنا عليه من الدعوة والتبليغ (ولاتبعدان سبيل الدين ليعلمون) ولا تبعدان طريق الجبهة الذين لا يعلمون صدق  
الاجابة وحكمة الامهال فقد كان بين الدعاء والاجابة أربعون سنة ولا تبعدان بتخفيف النون وكسر هاء الالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية  
شامى وخطأ بعضهم لان النون (٣٣٠) الخفيفة واجبة السكون وقيل هو اخبار عما يكونان عليه وليس بنهى أو حوال

وتقديره فاستقيا غير  
متبعين (وجاوزنا بني  
اسرائيل البحر) هودليل  
لنا على خلق الافعال  
(فأتبعهم فرعون وجنوده)  
فلحقهم فقال تبعته حتى  
أتبعته (بغيا) ظاولا  
(وعدوا) ظاموا وتصبا  
على الحال أو على المفعول  
له (حتى اذا ذكره الفرق)  
ولا وقف عليه لان (قال  
آمنت) جواب ادا (انه)  
جزء على على الاستئناف  
بدل من آمنت وبالفتح  
غيرهما على حذف الباء التي  
هي صلة الايمان (لا اله الا  
الذي آمنت به بنو اسرائيل  
وأنا من المسلمين) وفيه  
دليل على ان الايمان  
والاسلام واحد حيث قال  
آمنت ثم قال وأنا من المسلمين  
كرر فرعون المعنى الواحد  
ثلاث مرات في ثلاث  
عبارات حرصا على القبول  
ثم لم يقبل به حيث أخطأ  
وقته وكانت المرة الواحدة  
تكفي في حالة الاختيار  
(آلآن) أنؤمن بالساعة في  
وقت الاضطرار حين أدركك  
الفرق وأيسر من نفسك  
قيل قال ذلك حين ألهه

تعالى قد أجبت دعوتكما (فاستقيا) يعني على تبليغ الرسالة ومضي الامر الى أن يأتيهم العذاب  
(ولاتبعدان سبيل الدين ليعلمون) يعني ولا تسلكا طريق الدين يجهلون حقيقة وعدى فان وعدى لا خلاف  
فيه وعدي نازل بفرعون وقومه فلا تستجلبا ليل كان بين دعاء موسى عليه السلام وبين الاجابة أربعون  
سنة قال الامام غير الدين الرازي واعلم ان هذا النبي لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى وهرون كما كان قوله  
انني أشركت ليحيطن عملا لا يدل على صدور الشرك منه <sup>فقط</sup> وقوله عز وجل (وجاوزنا بني اسرائيل البحر)  
أى وقطعنا بيني اسرائيل البحر وعبرناهم اياه حتى جاوزوه وعبروه (فأتبعهم فرعون وجنوده) يعني لحقهم  
وأدركهم (بغيا وعدوا) أي ظاهرا وعدوا وناوفاً وقيل البنى طلب الاستعلاء بغير حق والعدو الظالم وقيل بغيا في  
القول وعدوا في الفعل قال أهل اللغة لم يراجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنا عشر وسبعون وخمسمائة  
موسى من مصر وهم ستمائة ألف وذلك انه لما أجاب الله دعاء موسى وهرون أمرهما بالخروج ببني اسرائيل  
من مصر في الوقت الذي أمرهما أن يخرجافيههم ويسر لهم أسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم فلما  
سمع بخروجهم ومفارقتهم ملكته خرج بجنوده في طلبهم فلما أدركهم قالوا لموسى أين الخصاص والمخرج البحر  
أمانا وفرعون وراءه فالتقى فسكران كل فريق كما طرد العظم وكشف الله عن وجه الارض وأيسر لهم البحر  
بصاك البحر ففرض به فالتقى فسكران كل فريق كما طرد العظم وكشف الله عن وجه الارض وأيسر لهم البحر  
فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم وكان معه في عسكره ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه سوى سائر  
الاولوان وكان مقدمهم جبريل وكان على فرس أبيض وديق وميكائيل يسوقهم حتى لا يشذ منهم أحد فلما  
خرج آخر بني اسرائيل من البحر دنا جبريل بفرسه فلما وجد الحصان رجلا لائق بملك فرعون من أمره  
شيأ فأنزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا جميعا في البحر وهم وأهلهم بالخروج انطمع البحر عليهم فلما  
أدرك فرعون الفرق أتى بكامة الاخلاص ظنا منه انها تنجيه من الهلاك وهو قوله تعالى (حتى اذا أدركه  
الفرق قال) يعني فرعون (آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) قال ابن عباس لم  
يقبل الله ايمانه عند نزول العذاب به وقد كان في مهل قال العباد ايمانه غير مقبول وذلك أن الايمان والثوبة  
عند معاينة الملائكة والعذاب غير مقبولين وبدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقيل انه  
قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولكن قد صدقها الاقرار بوحدة اية الله تعالى  
والاعتراف له بالربوبية لاجرم لم ينفعه ما قال في ذلك الوقت وقيل ان فرعون كان من الدهرية المنكرين  
لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى فلهمذا قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل فلم ينفعه ذلك  
لحصول الشك في ايمانه ولم يرجع فرعون الى الايمان والثوبة حين أغلق بابها بحضور الموت ومعاينة  
الملائكة قيل له (آلآن) وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين يعني آلآن تتوب وقد أضعت الثوبة في  
وقتها وأثرت دنياك الفانية على الآخرة الباقية والمحاط بفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام وقيل  
للملائكة وقيل ان الغافل لذلك هو الله تعالى عرف فرعون فيج صمعه وما كان عليه من الفساد في الارض  
وبدل على هذا القول قوله سبحانه وتعالى اليوم نتجيك بيدك والقول الاول أشهر وبعضه مروي عن  
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أغرق الله فرعون قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت  
به بنو اسرائيل قال جبريل بالمحمد فلورا بئني وأنا آخذ من حال البحر فادسه في مخافة ان تدركه الرحمة

الفرق والعمل فيه أنؤمن (وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) من الضالين المضايين عن الايمان روى ان جبريل  
عليه السلام أتاه بفتيا اما قول الامير في عبد رجل نشأ في ماله ونعمته فكفر بدمته وسجد حقه وادعى السيادة دونه فيكتب فيه يقول أبو  
العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن يعرف في البحر فلما أله الفرق ناوله جبريل عليه السلام خطه ففرقه



العبادة عما يقضى الى الانبياء ثم جع لان اتخاذ المساجد والصلاة فيها واجب على الجمهور وخص موسى عليه السلام بالبشارة تعظيما لها  
والمبشر بها (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة) هو ما يميز بينه من اباس أو فرس أو ثبات أو غير ذلك (وأموالا)  
أى تقدموا معه مواضعة (في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك) ليضلوا الناس (٣٢٩)  
عن طاعتك كوني وادق على

الدنيا لان قوله ليضلوا  
متعاقب آتيت وربنا تكرار  
الاول للالحاح فى النضرع  
قال الشيخ أبو منصور  
رحمه الله اذاع لمنهم أنهم  
يضلون الناس عن سبيله  
آناهم ما آناهم ليضلوا  
عن سبيله وهو كقوله انما  
نملى لهم ليزدادوا انما  
فتكون الآية حجة على  
المتعزلة (ربنا اطمس على  
أموالهم) أى اهلكها  
وأذهب آثارها لانهم  
يستعینون بنعمتك على  
معصيتك والطمس المحو  
والهلاك قيسل صارت  
دراهمهم ودنانيرهم حجارة  
كهيما آتتها منقوشة وقيل  
وسائر أموالهم كذلك  
(واشد على قلوبهم) اطبع  
على قلوبهم واجعلها قاسية  
(فلا يؤمنوا) جواب الدعاء  
الذى هو اشد (حتى يردوا  
العذاب الاليم) الى ان يروا  
العذاب الاليم وكان كذلك  
فانهم لم يؤمنوا الى الفرق  
وكان ذلك ايمان بأس فلم  
يقبل وانما دعاء عليهم بهذا  
لما أيس من ايمانهم وعلم  
بالوحى انهم لا يؤمنون فاما  
قبل ان يعلم بانهم لا يؤمنون  
فلا يسع له ان يدعو بهذا

ويضلوا فيها وقل ان الله سبحانه وتعالى لما أرسل موسى وهرون وأظهرهما على فرعون  
أمرهم باتخاذ المساجد ظاهرة على رغم الاعداء وتكفل لهم يصونهم من شرهم وهو قوله سبحانه وتعالى  
(وإن من المؤمنين) يعنى بالله لا يصل اليهم مكروه وقوله سبحانه وتعالى (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون  
وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا) لما أتى موسى عليه السلام بالمعجزات الباهرات ورأى أن القوم  
مصرفون على الكفر والعناد والانكار لما جاء به اخذ فى الدعاء عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر  
أول سبب اقدامه على الجرائم التى كانت سبب اصراره على ما يوجب الدعاء عليه ولما كان سبب كفرهم  
وعنادهم هو حب الدنيا وزينة لها جرم ان موسى لما اخذ فى الدعاء قدم هذه المقالة فقال ربنا انك آتيت  
فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا والى زينة عبارة عما يميز بينه كالباس والدواب والغلمان وأثاث  
البيت الفاخر والاشياء الجلية والمال ما زاد على هذه الاشياء من الصامت ونحوه ثم قال تبارك وتعالى (ربنا  
ليضلوا عن سبيلك) اختمقوا فى هذه الآلام فقال الفرأهى لأمكى فعلى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه  
الاموال سببا لضيالهم لانهم بطروا وطغوا فى الارض واستكبروا عن الايمان وقال الاخفش انما هى لما  
يؤلى اليه الامر والمعنى انك آتيت فرعون وملأه زينة فى الحياة الدنيا فاضلوا فعلى هذا معنى لام العاقبة يعنى  
فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن الانبارى هى لام الدعاء وهى لام مكسورة تنجز المستقبل ويقفتح بها  
الكلام فيكون المعنى ربنا انك اتيتهم بالاضلال عن سبيلك (ربنا اطمس على أموالهم) الطمس ازالة الغز  
الشيء بالمحو ومعنى اطمس على أموالهم ازل صورها وهياكلها وقال مجاهد اهلكها وقال أكثر المفسرين  
امسحها وغيرها عن ههنا قال قتادة بلغنا أن أموالهم وحروهم وزرعوهم وجواهرهم صارت حجارة وقال  
محمد بن كعب القرظى صارت صورهم حجارة وكان الرجل مع أهله فى فراشه فصار انحجرين والمرأة قائمة تحبز  
فصارت حجر او هذا فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعاه على أموالهم ولم يدع على أنفسهم بالمسخ وقال ابن  
عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها اصحابا واطافوا بالاناث وقيل ان عمر بن عبد  
العزيز دعا بنجر يطة فيها شئ من بقايا آل فرعون فاخرج منها البيضة منقوشة والحجوزة مشقوقة وهى حجارة  
وقال السدى مسخ الله أموالهم بنجارة لدخل والخمار والذيق والاطعمة وهذا الطمس هو أحد الآيات  
التسع التى أوتىها موسى عليه السلام (واشد على قلوبهم) يعنى اربط على قلوبهم واطبع عليها وقسها حتى  
لا تلتين ولا تنسرح ولا يمان ومعنى الشد على القلوب الاستباق منها حتى لا يدخلها الايمان قال الواحدى  
وهذا دليل على ان الله سبحانه وتعالى بفعل ذلك ان يشاء ولولا ذلك لما جسر موسى عليه السلام على هذا  
السؤال (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) يعنى الفرق قاله ابن عباس وقال ابن عباس فى رواية أخرى  
عنه قال موسى قبل ان يأتى فرعون ربنا اشد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله  
لدهاءه فدخل بين فرعون وبين الايمان حتى أدركه الفرق فلم ينفعه الايمان قال بعض العلماء اعتمادا عليهم  
موسى بهذا الدعاء لما علم ان سابق قضاء الله وقدره فيه انهم لا يؤمنون وذلك ان الله سبحانه وتعالى كتب  
عليهم فى الازل انهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم (قال) الله عز وجل اوسى وهرون (قد  
أجبت دعوتكما) انما نسب الدعاء اليهما وان الداعى هو موسى وحده لان هرون عليه السلام كان يؤمن  
والتأمين دعاء لانه طلب وسؤال أيضا ومنه اللهم استجب فصار بذلك شرك موسى فى الدعاء فلذلك قال

(٤٢ - خازن - نانى)

الكفر لا يكون كفرا (قال قد أجبت دعوتكما) قيل كان موسى عليه السلام يدعو وهرون يؤمن فثبت ان التامين دعاء فكان  
اخفاؤه أولى والمعنى ان دعاء كما استجاب وما طلبنا كائن واسكن فى وقته



له والى الذرية أى على خوف من فرعون وخوف من أشرف بنى إسرائيل لانهم كانوا يمتنعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم دليل قوله (أن يقتلهم) يريد أن يعذبهم فرعون (وان فرعون لعال فى الارض) لغالب فيها قاهر (وانه لمن المسرفين) فى الظلم والفساد وفى الكبر والعنوت بادعائه الربوبية (٣٢٨) (وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله) صدقتم به و بآياته (فعليه توكوا) فاليه

أسندوا وأمركم فى العصمة من فرعون (ان كنتم مسلمين) شرط فى التوكل الاسلام وهو أن يسلموا نفوسهم لله أى يجعلوا هاله سائلاً خالصة للاحظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط (فقلوا على الله توكنا) انما هو لذلك لان القوم كانوا مخلصين لاجرم أن الله قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء فى أرضه فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص (ر بنالاجتماع فتنة للقوم الظالمين) موضع فتنة لهم أى عذاب يعذبونوا ويفتنوننا عن ديننا أى يضلوننا والفتان المضل عن الحق (ونحننا برحمتك من القوم الكافرين) أى من تدينهم وتخيرهم (وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا) تبوأ المكان اتخذ مباءة كقوله توطئه اذا اتخذ وطنه والمعنى اجعلوا بمصر بيوتا من بيوت مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلاة فيه (واجعلوا

أشرفاهم وهم ملائكة لانه كان أبائهم من القبط وأماهم من بنى إسرائيل وقيل أراد بالاملا فرعون وانما قل سبحانه وتعالى وملئهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل التفتيح له (أن يقتلهم) أى يصرفهم ويصدّهم عن الايمان وانما قال أن يقتلهم ولم يقل أن يقتلهم لان قوم فرعون كانوا على سراده وتابعين لامره (وان فرعون لعال فى الارض) يعنى انه غالب قهار متكبر فيها (وانه لمن المسرفين) يعنى من المجاوزين الحد لانه كان عبداً قاعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبنى اسرائيل (وقال موسى) يعنى لقومه (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكوا) يعنى فيه فقلوا لامره فسلموا فانه ناصر اوليائه وهم هالك أعدائه (ان كنتم مسلمين) يعنى ان كنتم مستسلمين لامره قيل انما أعيد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله ان كنتم آمنتم بالله لارادة ان كنتم موصوفين بالايمان القلبي وبالاسلام الظاهري ودلت الآية على ان التوكل على الله والتفويض لامره من كمال الايمان وان من كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لا على غيره (فقلوا) يعنى قال قوم موسى محبين له (على الله توكنا) يعنى عليه اعتمدنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقلوا (ر بنالاجتماع فتنة للقوم الظالمين) يعنى لظاهرهم علينا ولناهم كئيباً بنوهم فيظنوا اننا نكس على الحق فيزدادوا طغياناً وكفراً وقال مجاهد لا تعبنا بعدذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق لما عذبوا ويظنوا أنهم خير منا فيفتنوا بذلك وقيل معناه لا تسلطهم علينا فيفتنونا (ونحننا برحمتك من القوم الكافرين) يعنى وخلصنا برحمتك من أيدي قوم فرعون الكافرين لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم فى الاعمال الشاقة قوله عز وجل (وأوحينا الى موسى وأخيه) هرون (أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا) يعنى اتخذوا القوم كما بمصر بيوتا للصلاة فيها بقابل تبوأ فلان لنفسه يتبأ اذا اتخذ مباءة أى وطناً والمعنى اجعلوا بمصر لقومكما بيوتا يرجعون اليها للصلاة والعبادة (واجعلوا بيوتكم قبلة) اختلف أهل التفسير فى معنى هذه البيوت والقبلة ففهم من قال أراد بالبيوت المساجد التى صلى فيها وفسروا القبلة بالجانب الذى يستقبل فى الصلاة فعلى هذا يكون معنى الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلفوا فى هذه القبلة وظاهر القرآن لا يدل على تعيينها الا أنه قد نقل عن ابن عباس أنه قال كانت الكعبة قبلة لموسى وهرون وهو قول مجاهد أيضاً قال ابن عباس قالت بنو اسرائيل لموسى لا نستطيع أن نظهر صلاتنا مع القرا عنة فاذن الله لهم أن يصلوا فى بيوتهم وأن يجعلوا بيوتهم قبيل القبلة وقيل كانت القبلة الى جهة بيت المقدس وقيل أراد مطلق البيوت وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أى بمقابلة يعنى يقابل بعضها بعضاً وقيل معناه اجعلوا فى بيوتكم قبلة تصلون اليها فان قلت انه سبحانه وتعالى خص موسى وهرون بالخطاب فى أول الآية بقوله سبحانه وتعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما انه عمهم هذا الخطاب فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة فى السبب فيه قلت انه سبحانه وتعالى أمر موسى وهرون بأن يتبأ القومهما بيوتا للعبادة وذلك مما يخص به الانبياء فخصا بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب على الكافة تم بالخطاب الجميع فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة (وأقيموا الصلاة) يعنى فى بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن آمن معه من بنى اسرائيل من فرعون وقومه اذا صلوا فى الكنائس والبيع الجامعة أن يؤذوهم فأمرهم الله سبحانه وتعالى أن يصلوا فى بيوتهم خفية من فرعون وقومه وقيل كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا فى الكنائس الجامعة وكانت ظاهرة فلما أرسل موسى أمر فرعون بتخريب تلك الكنائس ومنعهم من الصلاة فيها فأمروا أن يتخذوا مساجد فى بيوتهم

بيوتكم قبلة) أى مساجد متوجهة نحو القبلة وهى الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا فى أول

الامر مأمرين بأن يصلوا فى بيوتهم خفية من الكفرة للظاهر واعليهم فيؤذوهم يقتلهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك فى أول الاسلام بمكة (وأقيموا الصلاة) فى بيوتكم حتى تأمنوا (وبشئ المؤمنين) يا موسى نبي الخطاب أولاً ثم جمع من وحد آخر لان اختيار مواضع

(قالوا) لحبهم الشهوات (ان هذا السحريين) وهم يعلمون أن الحق بعد شئ من السحر (قال موسى أتقولون للحق لماءكم) هوانكار ومقولهم محذوف أى هذا سحر ثم استأنف انكار سحر آخر فقال (أسحرونا) خبر مبتدأ (ولا يفلح الساحرون) أى لا يظفر (قالوا) أجنبنا التلقنا) لتصرفنا (عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الاصنام وعبادة فرعون (٣٢٧) (ونكون لكما الكبرياء)

أى الملك لان المسالك موصوفون بالكبرياء والعظمة والعلو (فى الارض) أرض مصر (وما نحن لكما مؤمنين) بمصدقين فيما جئنا به ويكون جاد ومبجح (وقال فرعون ائتوني بكل ساحر علم) أى فى الأرض (يعنى فى أرض مصر والخطاب لموسى وهرورن قال الزجاج سعى الملك كبرياء لأنه كبر ما يطلب من أمر الدنيا وما نحن لكما مؤمنين) يعنى مصدقين (وقال فرعون ائتوني بكل ساحر علم) يعنى ان فرعون أراد ان يعارض محجة موسى بأنواع من التلبس ليظهر أن ما أتى به موسى سحر (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أتم ملقون) انما أمرهم موسى بالقاء معهم من الحبال والعصى التى فيها سحرهم ليظهر الحق ويطل الباطل ويبين ان ما أتوا به فاسد (فلما ألقوا) يعنى قام معهم من الحبال والعصى (قال موسى ما جئتم به السحر) يعنى الذى جئتم به هو السحر الباطل وهذا على سبيل التوبيخ لهم (ان الله سيبتلهم) يعنى يهلكهم ويظهر فضيحة صاحبه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) يعنى لا يقو به ولا يكمل له ولا يحسنه (ويحق الله الحق) يعنى ويظهر الله الحق ويقو به ويعليه (بكلماته) يعنى بوعده الصادق لموسى أنه يظهره وقيل بما سبق من قضائه وقدره لموسى أنه يغلب السحرة (ولو كره المجرمون) قوله سبحانه وتعالى (فأمن موسى الاذرىة من قومه) لماذا ذكر الله عز وجل ما أتى به موسى عليه السلام من المعجزات العظيمة الباهرة أخبر الله سبحانه وتعالى انه مع مشاهدة هذه المعجزات ما آمن موسى الاذرىة من قومه وإنما ذكر الله عز وجل هذا تسلية لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان كثيرا الاهتمام بآمان قومه وكان يغتم بسبب اعراضهم عن الايمان به واستقرارهم على الكفر والتكذيب فيبين الله سبحانه وتعالى ان له اسوة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الذى جاء به موسى عليه السلام من المعجزات كان أمر اعظما ومع ذلك فما آمن معه الاذرىة والذرىة باسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرىة القليل وقيل المراد به التصغير وقلة العدد واختلاف اقوالهاء الكتابة فى قومه فقيل انهار اجمة الى موسى وأراد بهم قوم موسى وهم بنو اسرائيل الذين كانوا معه بمصر من أولاده قال مجاهد هم أولاد يعقوب الذين أرسل اليهم موسى هالك الآباء وبني الانبياء وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك ان فرعون لما أمر بقتل أبناء بنى اسرائيل كانت المرأة فى بنى اسرائيل اذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا عليه من القتل فنشأوا بين القبط فلما كان اليوم الذى غلب موسى فيه السحرة آمنوا به وقال ابن عباس ذرىة من قومه يعنى من بنى اسرائيل وقيل انهار اجمة الى فرعون يعنى الاذرىة من قوم فرعون روى عطية عن ابن عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازنه وامرأة خازنه وما شطته قال الفرع اسموا ذرىة لان آباءهم كانوا من القبط من آل فرعون وآمهاتهم من بنى اسرائيل فكان الرجل يتبع أمه أو خواله فى الايمان وذلك كما يقال لا ولاد فارس الذين دخلوا الى اليمن الانبياء لان أمهاتهم من غير جنس الآباء (على خوف من فرعون وملئهم) الا الاشراف فعلى هذا يكون معنى الآية على خوف من فرعون ومن

فرعون) الاطمنة من ذرارى بنى اسرائيل كانه قيل الاولاد من أولاد قومه وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أنبائهم مع الخوف والضمير فى قومه لفرعون والذرىة مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وما شطته والضمير فى (وملئهم) يرجع الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال بعة ومضراؤا لانه ذوا محباب يأتمرون

(وشركاءكم) الواو بمعنى مع أى فاجعوا أمركم مع شركائكم (ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة) أى غما عليكم ومما والتمه كالشرك والكربة أو ملتصبا في حقبة وانغمته السرة من غمّه إذا ستره ومنه الحديث لا غمّة في فرائض الله أى لا تستروا لكن بجمها هو والمعنى ولا يكن قصدمكم إلى هلاكى مستورا عليكم ولكن مكشوفاً مشهوراً بجمها وتنبه (ثم أقضوا إلى) ذلك الأمر الذى تريدون فى أى أدوا إلى ما هو حق عندكم من هلاكى كما يقضى الرجل غره بأرضه وما مأكنتكم (ولا تنظرون) ولا تلهون (فان توليتم) فان أعرضتم عن تذكبرى ونصحي (فأسألتكم من أجر) فأوجب (٣٣٦) التولى وأفسألتكم من أجر ففاننى ذلك توليتكم (ان أجرى الاعلى الله) وهو الثواب

الذى يشيئ به فى الآخرة  
أى ما مضى حكمكم الله لا  
لغرض من أغراض الدنيا  
وفيه دلالة لمنع أخذ الاجر  
على تعلم القرآن والعلم  
الدينى (وأمرت أن أكون  
من المسلمين) من المسلمين  
لاوامره ونواهيها أن أجرى  
بالمفتح مدنى وشامى وأبو  
عمرو وحفص (فكذبوه)  
فداموا على تكذيبه  
(فنجبناه) من الفرق  
(ومن معه فى الفلك)  
وجعلناهم خلافت  
يخلفون المالكين بالفرق  
فى السفينة (وأعرفنا الذين  
كذبوا بآياتنا فانظر كيف  
كان عاقبة المذنبين) هو  
تعظيم لما جرى عليهم  
وتعذيبهم أنذرهم رسول  
الله صلى الله عليه وسلم عن  
مثله ونسأله (ثم بعثنا من  
بعده) من بعد نوح عليه  
السلام (رسالاً قومهم)  
أى هو دواصالحا إبراهيم  
ولوطا وشعيبا (فآوهم  
بالبينات) بالحج الواضحة

الاجماع الاعداد والعزيم على الامر وقال ابن الانبارى المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير  
لاندعوا من أمركم شيأ الا حضرموه (وشركاءكم) يعنى وادعوا شركاءكم يعنى ألهمكم فاستمعوا بها  
لتجتمع معكم وتعينكم على مطلوبكم وانما حثهم على الاستعانة بالانصام بناء على مذهبهم واعتقادهم  
انها تضر وتنتفع مع اعتقادهم أنهم جاد لا تضر ولا تنفع فهو كالتسبيك والتوبيخ لهم (ثم لا يكن أمركم  
عليكم غمّة) يعنى لا يكن أمركم عليكم خفياهم - ما ولكن ليس أمركم ظاهرا منكم كمنه من قولهم غم  
الطلال فهو مغم وما إذا خفي والتبس على الناس (ثم أقضوا) ثم مضوا (إلى) بما فى أنفسهم من مكره وما  
توعودنى به من قتل وطرود وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان ادامات ومضى وقيل معناه ثم أقضوا  
ما أنتم قاضون (ولا تنظرون) أى ولا تؤخرنى ولا تلهونى بعد اعلامكم اياى ما أنتم عليه وهذا الكلام  
من نوح عليه السلام على طريقتى التجيز لم أخبر الله عن وجلى عن نوح عليه السلام انه كان قد بلغ القابة  
فى التوكل على الله وأنه كان واقفا بنصره ياه فخر خائف من كيدهم عاملا منه بانهم وآفاتهم اسلمهم نفع ولا  
ضرر ان مكرهم لاصل اليه (فان توليتم) يعنى فان أعرضتم عن قولى وقبول نصحي (فأسألتكم من أجر)  
يعنى من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فالما يأخذ على تبليغ الدعوة الى الله شيأ كان أقوى تأثيرا فى  
النفس (ان أجرى الله) أى ما نوبى وجزأنى على تبليغ الرسالة الاعلى الله (وأمرت أن أكون من  
المسلمين) يعنى ابنى أمرت بدين الاسلام وأما ناض فيه غير تارك له واه قياتمه ولم تم تقبلوه وقيل معناه  
وأمرت أن أكون من المسلمين لامر الله واسلك مكره ويصل الى مشكل لاجل هذه الدعوة (فكذبوه) يعنى  
فكذبوا نوحا عليه السلام (فنجبناه ومن معه فى الفلك) يعنى فى السفينة (وجعلناهم خلافت) يعنى وجعلنا  
الذين نجبناهم معه فى ذلك سكان الارض بعد المالكين (واغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان  
عاقبة المذنبين) أى فانظر يا محمد وأياها الانسان كيف كان آخر أمر من أنذرهم الرسل فلم يؤمنوا ولم  
يقبلوا ذلك (ثم بعثنا من بعده) يعنى من بعد نوح (رسالاً قومهم) لم يسم هنامن كان بعد نوح من الرسل  
وقد كان بعد نوح هو دواصالح وغيرهم من الرسل (فآوهم بالبينات) يعنى بالدلائل الواضحات والمجرات  
الباهرات التى تدل على صدقهم (فما كانوا يؤمنوا بها كذبوا به من قبل) يعنى ان أولئك الاقوام والامم التى  
جاءتهم الرسل برى واعلى منهاج قوم نوح فى التكذيب ولم يزجهم بما جاءتهم به الرسل ولم يرجعوا اعماهم فيه  
من الكفر والتكذيب (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) يعنى مثل اغرقنا قوم نوح بسبب تكذيبهم  
نوحا كذلك نختم على قلوب من اعتدى وسلك سبيلهم فى التكذيب (فقله عز وجل) (ثم بعثنا من بعدهم)  
يعنى من بعد الرسل (موسى وهرون الى فرعون وامثله) يعنى أشرف قومهم (بآياتنا فاستكبروا) يعنى عن  
الايان بما جاءهم بموسى وهرون (وكانوا قوماً مجرمين) يعنى مستكسبين لللائمة (فلما جاءهم الحق من عندنا)

المثبتة لدعواهم (فما كانوا يؤمنوا) فأصر واعلى الكفر بعد الحجة (بما كذبوا به من قبل) من قبل جئهم  
يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية متكذبين بالحق فواقع فصل بين حالتهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم أحد  
(كذلك نطبع) مثل ذلك الطبع نختم (على قلوب المعتدين) المجاوزين الحد فى التكذيب (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد الرسل (موسى  
وهرون الى فرعون وامثله بآياتنا) بالآيات النعم (فاستكبروا) عن قبولها وأعظم الكبر أن ينهون العبيد برسالة ربهم بعد تسبها  
ويتعظموا عن قبولها (وكانوا قوماً مجرمين) كفار اذوى آثم عظام فذلك استكبروا عنها واجترأوا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا)  
عندنا فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عندنا

لتبصر واقعهم مطالباً رزاقكم ومكاسبكم (ان في ذلك آيات لقوم يسمعون) سماع مذ كم معتبر (قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه) تنزيه له عن اتخاذ الولد ونعجب من كلمتهم الحقاء (هو الغنى) على ان في الولد لانه انما يطلب الولد لضعف اليد تقوى به أو فقير لست بهين به أو ذليل ليشرف به والكل أماراة الحاجة فمن كان غنياً غير محتاج كان الولد عنه منفياً ولا الولد (٣٢٥) بعض الوالد يستدعي أن يكون مربكاً

وكل مركب يمكن وكل يمكن يحتاج الى الغير فكان حاداً فاستحال القديم أن يكون له ولد (له مافى السموات وما فى الارض) ملكاً ولا يجتمع النبوة معه (ان عندكم من سلطان بهذا) ما عندكم من حجة هذا القول والبلاء حقها أن تتعاقب بقوله ان عندكم على أن يجعل القول مكاناً لسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موزكاه قيل ان عندكم فبما تقولون سلطان وما نفي عنهم البرهان جعلهم غير عالين فقال (أتقولون على الله مالا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب) أى فى علمه طوله والذين يحتلون على الله الكذب فيقولون على الله الباطل ويزعمون أن له ولداً (لا يفلحون) يعنى لا يسعدون وان اغتر واطول السلامة والبقاء فى النعمة والمعنى ان قائل هذا القول لا ينجح فى سعيه ولا يفوز بمطلوبه بل خاب وخسر قال الزجاج هذا وقف نام يعنى قوله لا يفلحون ثم ابتداء فقال تعالى (متاع فى الدنيا) وفيه اضرار تقدر به لهم متاع فى الدنيا يجتمعون به مدة أشعمارهم وانقضاء آجالهم فى الدنيا هو أيام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم فى العذاب وهو قوله سبحانه وتعالى (ثم اليانما جمعهم) يعنى بعد الموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) يعنى ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون فى الدنيا من نعمة الله عليهم و يصفونه بما لا يليق بحاله ﴿قوله سبحانه وتعالى (واتل عليهم نبأ نوح) لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك فى بيان قصص الانبياء وما جرى لهم مع أممهم ليكون فى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة بمن سلف من الانبياء ونسياسة ليعرف عليه ما بقى من أذى قومه وان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك فى الدنيا كان ذلك سبباً لخوف قلوبهم وادعائهم الى الإيمان ولما كان قوم نوح أول الامم هلاكاً وأعظمهم كفراً وجحوداً ذكر الله قصتهم وانما هلكهم بالفرق ايصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال سبحانه وتعالى واتل عليهم نبأ نوح يعنى وقرأ على قومك يا محمد خبر قوم نوح (اذ قال لقومه يا قوم) وهم بنو قاييل (ان كان كبر) يعنى نقل (عليكم مقامى) يعنى فيكم (وتذ كبرى يا بات الله) يعنى ووعظي اباكم يا بات الله وقيل معناه ان كان ثقل وشق عليكم طول مقامى فيكم وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أقام فيهم ألف سنة الا خمسين عاماً يدعوهم الى الله تعالى ويدكرهم بآيات الله وهو قوله (وتذ كبرى يا بات الله) يعنى ووعظي يا بات الله وحججه ودينه فزعمتم على قتلى وطردى (فعلى الله توكلت) يعنى فهو حسي وتفتى (فاجعوا أمركم) يعنى فاحكموا أمركم واغزو اعليه قال الفراء

لقد ملنا بأمر غيلان فى السرى \* ونمت وما ليل المطلى بنا ثم  
فاضاف النوم الى الليل ووصفه به وانما غنى نفسه وان لم يكن نائمًا هو ولا يعبر وهذا من باب نقل الاسم من المسبب الى السبب قال قطرب تقول العرب أظلم الليل وأبصر النهار يعنى صار ذات ظلمة وذو اضياء ﴿قوله تعالى (ان فى ذلك آيات لقوم يسمعون) يعنى يسمعون سمع اعتباراً وتدبر فيعلمون بذلك ان الذى خلق هذه الاشياء كما هو الاله المعبود والمنفرد بالوحدانية فى الوجود (قالوا) يعنى المشركين (اتخذ الله ولداً) يعنى به قولهم (الملائكة بنات الله سبحانه) نزاهة سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد (هو الغنى) يعنى انه سبحانه وتعالى هو الغنى عن جميع خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ الولد وانما اتخذ الولد من هو محتاج اليه والله تعالى هو الغنى المطلق وجميع الاشياء محتاجة اليه وهو غنى عنها (له مافى السموات وما فى الارض) يعنى انه مالك مافى السموات وما فى الارض وكلهم عبيده وفى قبضته ونصره وهو مخدومهم وخالقهم ولما زله الله سبحانه وتعالى عنه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتفريع فقال سبحانه وتعالى (ان عندكم من سلطان بهذا) يعنى انا حجة عندكم على هذا القول البتة ثم باغ فى الانكار عليهم بقوله تعالى (أتقولون على الله مالا تعلمون) يعنى أتقولون على الله قولاً لا تعلمون حقيقته ومحتجه تضيفون اليه ما لا يجوز اضافته اليه جعلناكم على الله الكذب فيقولون على الله الباطل ويزعمون أن له ولداً (لا يفلحون) يعنى لا يسعدون وان اغتر واطول السلامة والبقاء فى النعمة والمعنى ان قائل هذا القول لا ينجح فى سعيه ولا يفوز بمطلوبه بل خاب وخسر قال الزجاج هذا وقف نام يعنى قوله لا يفلحون ثم ابتداء فقال تعالى (متاع فى الدنيا) وفيه اضرار تقدر به لهم متاع فى الدنيا يجتمعون به مدة أشعمارهم وانقضاء آجالهم فى الدنيا هو أيام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم فى العذاب وهو قوله سبحانه وتعالى (ثم اليانما جمعهم) يعنى بعد الموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) يعنى ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون فى الدنيا من نعمة الله عليهم و يصفونه بما لا يليق بحاله ﴿قوله سبحانه وتعالى (واتل عليهم نبأ نوح) لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك فى بيان قصص الانبياء وما جرى لهم مع أممهم ليكون فى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة بمن سلف من الانبياء ونسياسة ليعرف عليه ما بقى من أذى قومه وان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك فى الدنيا كان ذلك سبباً لخوف قلوبهم وادعائهم الى الإيمان ولما كان قوم نوح أول الامم هلاكاً وأعظمهم كفراً وجحوداً ذكر الله قصتهم وانما هلكهم بالفرق ايصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال سبحانه وتعالى واتل عليهم نبأ نوح يعنى وقرأ على قومك يا محمد خبر قوم نوح (اذ قال لقومه يا قوم) وهم بنو قاييل (ان كان كبر) يعنى نقل (عليكم مقامى) يعنى فيكم (وتذ كبرى يا بات الله) يعنى ووعظي اباكم يا بات الله وقيل معناه ان كان ثقل وشق عليكم طول مقامى فيكم وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أقام فيهم ألف سنة الا خمسين عاماً يدعوهم الى الله تعالى ويدكرهم بآيات الله وهو قوله (وتذ كبرى يا بات الله) يعنى ووعظي يا بات الله وحججه ودينه فزعمتم على قتلى وطردى (فعلى الله توكلت) يعنى فهو حسي وتفتى (فاجعوا أمركم) يعنى فاحكموا أمركم واغزو اعليه قال الفراء

خبرهم مع قومه والوقف عليه لازم اذ لو وصل اضرار اذ ظفر قال قوله واتل بل التقدير واذا ذكر (اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم) عظم وثقل كقوله وانها الكبيرة الى الاعلى الخاشعين (مقامى) مكافى يعنى نفسه كقوله ولئن خاف مقام رب جنتان أى خاف ربه أو قياى ومكنى بين أظهرهم ألف سنة الا خمسين عاماً ومقامى (وتذ كبرى يا بات الله) لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسدوداً (فعلى الله توكلت) أى فوضت أمرى اليه (فاجعوا أمركم) من أجمع الامر اذ انواه وعزم عليه

(لا تبدل لكلمات الله) لا تغير لافواله ولا خلاف لمواعيده (ذلك) اشارة الى كونهم بمشربين في الدارين هو الفوز (العظيم) وكلتا الجنتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج ونسكت (ولا يحزنك قولهم) نكذبهم وتهديدهم وتشاورهم في تديرهلاكك (٣٢٤) وابطال امرك (ان العزة) استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل مالي لا آخذن فقيل ان

عليه قوله سبحانه وتعالى تنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقال عطاء عن ابن عباس البشري في الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة وفي الآخرة بعد خروج نفس المؤمن يعرج بها الى الله تعالى ويشير برضوان الله تعالى وقال الحسن هي ما بشر الله به المؤمنين في كتابه من جنته وكرم نوابه و بدل عليه قوله تعالى (لا تبدل لكلمات الله) يعني لا خلف لوعده الله الذي وعده أوليائه وأهل طاعته في كتابه وعلى السنة رساله ولا تغير لذلك الوعد (ذلك هو الفوز العظيم) يعني ما وعده به في الآخرة (ولا يحزنك قولهم) يقول الله لبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين لا ولا يغمك نحو يفهم اياك (ان العزة لله جيا) يعني ان القهر والغلبة والقدر لله جميعا وهو المنفرد بها دون غيره وهو ناصر لك عليهم والمتقم لك منهم وقال سعيد بن المسيب ان العزة لله جيا فيعز من يشاء وهذا كما قال سبحانه وتعالى في آية أخرى والله العز ورسوله للمؤمنين ولا منافاة بين الآيتين فان عزة الرسول صلى الله عليه وسلم وعزة المؤمنين باعزاز الله اياهم فثبت بذلك أن العزة لله جميعا وهو الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء وقيل ان المشركين كانوا يتعززون بكثرة أموالهم وأولادهم وعبيدهم فآخبر الله سبحانه وتعالى أن جميع ذلك لله وفي ملكه فهو قادر على أن يساهم جميع ذلك ويذلهم بعد العز (هو السميع) لا قوا لكم ودعائكم (العليم) بجميع أحوالكم لا تخفي عليه خافية ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (لان الله من في السموات ومن في الأرض) الأكمة تنبيه معناه أنه لا ملك لاحد في السموات ولا في الأرض الا الله عز وجل فهو ملك من في السموات ومن في الأرض فان قلت قال سبحانه وتعالى في الآية التي قبل هذه أن الله مافي السموات بلفظه ما وقال سبحانه وتعالى في هذه الآية بلفظه من فافائدة ذلك قلت ان لفظه ما يدل على ما لا يعقل ولفظه من يدل على من يعقل فجميع من في السموات ومن في الأرض من العلاء وغيرهم وهم عبيده وفي ملكه وقيل ان لفظه من لمن يعقل فيكون المراد بمن في السموات الملائكة العلاء ومن في الأرض الانس والجن وهم العلاء أيضا وانما خصهم بالذكرك لشرافتهم واذا كان هؤلاء العلاء المميزون في ملكه وتحت قدرته فالجاءت بطريق الأولى أن يكونوا في ملكه اذا ثبت هذا فتكون الاصنام التي يعبدونها المشركون أيضا في ملكه وتحت قبضته وقد ربه وكون ذلك قدحا في جعل الاصنام شركاء لله معبودة دونه (وما ينبغ الذين يدعون من دون الله شركاء) لفظه ما سفة هامة معناه وأي شيء ينبغ الذين يدعون من دون الله شركاء والمقصود تنقيح فعملهم يعني انهم ليسوا على شيء لانهم يعبدونها على أنها شركاء لله تشفع لهم وليس الامر على ما يظنون وهو قوله سبحانه وتعالى (ان يتبعون الا اظن) يعني ان فعلهم ذلك ظن منهم أنها تشفع لهم وأما حقهم الى الله وذلك ظن منهم لاحقيقته (وان هم الا يخرون) يعني انهم لا يكذبون ﴿قوله عز وجل﴾ (هو الذي جعل لكم الليل لتكنوا فيه والنهار مبصرا) يعني هو الله ربكم الذي خلق لكم الليل لراحة لتكنوا فيه والليل والنهار بالسكران فيه وأصل السكون الثبوت بعد الحركة النهار مبصر فيه وليس النهار ما يبصر ولكن لما كان مفهوما من كلام العرب معناه خاطبهم بلغتهم وما يفهمونه قال جرير

العزة (الله) ان الغلبة والقهر في ملكه لا يملك أحد شيئا منها لامه ولا غيره فهو يغلبه وينصره عليهم كتب الله لاغيا نأادرسلى اتالته نصرسلنا اوبه يتعزز كل عز يزفو بعزك ودينك وأهلك والوقف لازم على قوله لثلا يصبران العزة مقول الكفار (جميعا هو السميع) لما يقولون (العليم) بما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك (الأن الله في السموات ومن في الأرض) يعني العلاء وهم الملائكة والثقلان وخصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفي ملكته ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولأن يكون شريكا له فيها فإراءهم مما لا يعقل أحق أن لا يكون له ندا وشريكا (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) مانافية أي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا بسموئها شركاء لان شركة الله في الربوبية محال (ان يتبعون الا اظن) الاظنهم أنهم شركاء الله (وان هم الا يخرون) يخزون

ويقدر ان يكونوا شركاء تقدر باطلا واستهفامة أي وأي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب يدعون وعلى الاول ينبغ وكان حقه وما ينبغ الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فافترض على أحدكم اللذلة والخوف مقفول يدعون أو موصولة معطوفة على ما كأنه قيل والله ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء أي وشركاء وهم ثم نبه على عظيم قدرته وشمول نعمته على عباده بقوله (هو الذي جعل لكم الليل لتكنوا فيه) أي جعل لكم الليل مظلمة لتستر بوجوههم من تعب التردد في النهار (والنهار مبصرا) مضيا

قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم إنما يحصل لهم في الآخرة لأن الدنيا لا تخلو من هم وغم وأنسكاد وحزن قال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب من الله ودوام الاشتغال بالله وإذا كان العبد بهذه الحالة فلا يخاف من شيء ولا يحزن على شيء لأن مقام الولاية المعرفة منعه من أن يخاف أو يحزن ﴿وَمَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ تَعَالَى﴾ (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فقد تقدم تفسيره وأنه صفة لا ولياء الله ﴿وقوله سُبْحَانَهُ تَعَالَى﴾ (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) اختلفوا في هذه البشرى فروى عن عبادته بن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرزيا بالصالحه براها المؤمن أو ترى له أخرجه الترمذى وله عن رجل من أهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى في الحياة الدنيا قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها قال ما سألتني عنها أحد غيرك منذ أنزلت هي الرزيا بالصالحه براها المسلم أو ترى له قال الترمذى حديث حسن (خ) عن أنى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدى من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرزيا بالصالحه (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا اقترب الزمان لم تكذبوا ولا المؤمنون جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة لفظ البخارى واسلم إذا اقترب الزمان لم تكذبوا بالمسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءا من النبوة والرؤيا بثلاث الرؤيا بالصالحه بشرى من الله ورؤيا يعجز عن من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه قال بعض العلماء ووجه هذا القول اننا إذا جملنا قوله تبارك وتعالى لهم البشرى على الرؤيا بالصالحه الصادقة فظاهر هذا النص يقتضى أن لا تحصل هذه الحالة الا لهم وذلك لأن ولى الله هو الذى يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله عز وجل ومن كان كذلك فإنه عند النوم لا يبقى في قلبه غير ذكر الله ومعرفة ومن المعارف أن معرفة الله في القلب لا تقيد الا الحق والصدق فإذا رأى الولي رؤيا أو رؤيت له كانت تلك الرؤيا بشرى من الله عز وجل لهذا الولي قال الخطابي في هذه الاحاديث توكيد لامر الرؤيا وتحقيق منزلتها وانما كانت جزءا من أجزاء النبوة في حق الانبياء دون غيرهم وكان الانبياء عليهم السلام يوحى اليهم في منامهم كما يوحى اليهم في اليقظة قال الخطابي قال بعض العلماء معنى الحديث أن الرؤيا تأتي على موافقة النبوة لأنها جزء من النبوة وقال الخطابي وغيره في معنى قوله الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة أقام النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك بستة أشهر يرى في المنام الوحي فهى جزء من ستة وأربعين جزءا وقيل ان المنام لم يل أن يكون فيه اخبار غيب وهو أحد مراتب النبوة وهو يسرى جانب النبوة لانه لا يجوز أن يعتب الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا يشترع الشرائع ويبين الاحكام ولا يخبر بغير أبدا فإذا وقع لاحد في المنام الاخبار غيب يكون هذا القدر جزءا من النبوة لأنه نبي وإذا وقع ذلك لاحد في المنام يكون صدقا والله أعلم وقيل في تفسير الآية أن المراد بالبشرى في الحياة الدنيا هي الشفاء الحسن وفي الآخرة الجنة وبدل على ذلك ما روى عن أنى ذكر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرأت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن أخرجه مسلم قال الشيخ محي الدين الووى قال العلماء معنى هذه البشرى المجتلة له بالخبر وهى دلائل للبشرى المؤخر ذلة في الآخرة بقوله بشرى لكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار وهذه البشرى المجتلة دليل على رضا الله عنه وحبته له وتخييه الى الخلق كما قال ثم يوضع له القبول في الارض هذا كله اذا جده الناس من غير تعرض منه لجدهم والا فلا تعرض مذموم قال بعض المحققين اذا اشتغل العبد بالله عز وجل استثار قلبه وامتلاء نور افيض من ذلك النور الذى في قلبه على وجهه فتظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيهى الناس ويثنون عليه فذلك عاجل بشرى بمحبة الله له ورضوانه عليه وقال الزهرى وقادة في تفسير البشرى هي نزول الملائكة بالبشارة من الله عند الموت ويدل

(الذين آمنوا) منصوب  
بأخبار أعنى أولانه صفة  
لا ولياء وأمر فروع على أنه  
خبر مبتدأ محذوف اى  
هم الذين آمنوا (وكانوا  
يتقون) الشرك والمعاصي  
(لهم البشرى في الحياة  
الدنيا) ما بشر الله به  
المؤمنين المتقين في غير  
موضع من كتابه وعن  
النبي صلى الله عليه وسلم  
هي الرزيا بالصالحه براها  
المسلم أو ترى له وعنه عليه  
السلام ذهبت النبوة  
وبقيت المبشرات والرؤيا  
الصالحه جزء من ستة  
وأربعين جزءا من النبوة  
وهذا الان مدة الوحي ثلاث  
وعشرون سنة وكان في  
ستة أشهر منها يؤمر في  
النوم بالانذار وستة أشهر  
من ثلاث وعشرين سنة  
جزء من ستة وأربعين  
جزءا وهى محبة الناس له  
والذكر الحسن أو لهم  
البشرى عند الزرع بان  
يرى مكانه في الجنة (وفى  
الآخرة) هي الجنسة



لهذه القائدة (ولا أصفر من ذلك) يعني من الذرة (ولا أكبر) يعني منها (الافى كتاب مبين) يعني فى  
 اللوح المحفوظ ﴿ قوله سبحانه وتعالى (الان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اعلم أننا نتاحتاج  
 أولاً فى تفسير هذه الآية أن نبين من يستحق اسم الولاية ومن هو الولي فنقول اختلف العلماء فى من يستحق  
 هذا الاسم فقال ابن عباس فى هذه الآية هم الذين يذكرون الله وروى الطبرى بسنده عن سعيد بن  
 جبير سئل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله فقال هم الذين اذاروا ذكرا لله وقال ابن  
 ز يدهم الذين آمنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الايمان الا بالثقوى وقال قوم هم المتحابون فى الله ويدل  
 على ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لا ناسا ما هم بابنياء  
 ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال هم قوم  
 تحبوا فى الله على غيبا راحم بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون  
 اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون  
 أخرجه أبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة  
 أين المتحابون بجلالى اليوم أظلمهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى أخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى المتحابون بجلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون  
 والشهداء أخرجه الترمذى وروى البغوى بسنده عن أبي مالك الاشعرى قال كنت عند النبي صلى الله  
 عليه وسلم فقال ان الله عبيد السوابقياء والشهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقرهم ومقعدهم من الله  
 يوم القيامة قال وفى ناحية القوم اعرافى خناعتى ركبته ورمى يديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم  
 قال فرأيت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبائل  
 شتى لم يكن بينهم أرحم يتواصلون بها ولا دنيا يفتادون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا  
 ويجعل لهم منابر من لؤلؤ فقام الرحمن يفرع الناس لا يفرعون ويخاف الناس ولا يخافون وروى عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى ان أولياءى من عبادى الذين يذكرون بذكرى أو اذكر  
 بذكرهم هكذا ذكره البغوى بغير سند وروى الطبرى بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ان من عباد الله عباد يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله لعنايتهم قال هم قوم  
 تحبوا فى الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون  
 اذا حزن الناس ثم قرأ ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الغبطة نوع من الحسد الا ان الحسد  
 مسدوم والغبطة محمود والفرق بين الحسد والغبطة ان الحاسد يمتنى زوال ما على المحسود من النعمة  
 ونحوها والغبطة هى أن يمتنى الغابط مثل تلك النعمة التى هى على المغبوط من غير زوال عنه وقال أبو بكر  
 الاصم أولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله والدعوة اليه وأصل الولي من الولاية  
 وهو القرب والنصرة فولى الله هو الذى يتقرب الى الله بكل ما افترض عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق  
 القلب فى معرفة نور جلال الله فان رأى رأى دلائل قدرة الله وان سمع سمع آيات الله وان نطق نطق بالثناء  
 على الله وان تحرك تحرك فى طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقرب به الى الله لا يفتقر ذكرا لله ولا يرى بقلبه  
 غير الله فهذه صفة أولياء الله واذا كان العبد كذلك كان الله ولىه وانصره ومعينه قال الله تعالى والى الذين  
 آمنوا وقال المشككون ولى الله من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال  
 الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة واليه الاشارة بقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وهو ان الايمان  
 مبني على جمع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو أن يتقى العبد كل ما نهى الله عنه وقوله سبحانه وتعالى  
 لا خوف عليهم يعني فى الآخرة اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون يعني على شئ فانهم من نعيم الدنيا ولذاتها

ولا أصفر من ذلك ولا  
 أكبر) رفعهما حمزة على  
 الابتداء والخبر (الافى  
 كتاب مبين) يعني اللوح  
 المحفوظ ونصبهما غيره على  
 نفي الجنس وقدمت الارض  
 على السماء هنا وفى سبأ  
 قدمت السموات لان  
 العطف بالواو وحكمه حكم  
 التثنية (ألا ان أولياء الله)  
 هم الذين يتولونه بالطاعة  
 ويتولاهم بالكرامة وأهم  
 الذين تولى الله هدايتهم  
 بالبرهان الذى آتاهم فتولوا  
 القيام بحقه والرحمة خلقه  
 أو هم المتحابون فى الله  
 على غير أرحام بينهم ولا  
 أموال يتعاطونها أو هم  
 المؤمنون المتقون بدليل الآية  
 الثانية (لا خوف عليهم)  
 اذا خاف الناس (ولا هم  
 يحزنون) اذا حزن الناس



الانعام خالصة تذكرونا وعمرهم على أزواجنا نعم الرزاق يخرج من الارض ولكن لما نبتت أسباجها بالبحر والمطر الذي نبتت الارض النبات والشمس التي هي النضج وينبع الثمار أضيف نزاعها الى السماء (قل الله أذن لكم) متعلق بآياتهم وقل تكبر يرث التوكيد والمعنى أخبروني في الله أذن لكم في التحليل والتعريف فاتهم فاتهم فاعلموا ذلك باذنه (أم) (٣٢١) على الله فترون) أم أتم تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه

على الله في نسبة ذلك اليه أو الهمة لانكار وأم منقطعة بمعنى بل فترون على الله تقريرا للافتراء والآية زاجرة عن التجوز فيما يستل من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان والافهم فترون على الدين (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب) يسبون ذلك اليه (يوم القيامة) منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه أي شيء ظن المفسرين في ذلك اليوم ما صنع بهم وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث أتهم أمره (ان الله ذو فضل على الناس) حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام (ولكن أكثرهم لا يشكرون) هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه (وماتكون في شأن) مانافية والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والشأن الامر (وماتتلونهم) من التزبدل كانه قيل وماتتلوا من التزبدل (من قرآن)

والحامي قال الضحاك وهو قوله سبحانه وتعالى وجعلوا لله محاذرا من الخرب والانعام نصيبا (قل الله أذن لكم) يعني قل لهم يا محمد الله أذن لكم في هذا التحريم والتحليل (أم على الله فترون) يعني بل أتم تكذبون على الله في ادعائكم ان الله أمرنا بهذا (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) يعني اذا فوه يوم القيامة أتجسبون أنه لا يؤاخذهم ولا يجازيهم على أعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقرير والوعيد العظيم لمن يفترى على الله الكذب (ان الله ذو فضل على الناس) يعني بعبئته الرسل وازال الكتب لبيان الحلال والحرام (ولكن أكثرهم لا يشكرون) يعني لا يشكرون الله على ذلك الفضل والاحسان ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (وماتكون في شأن وماتتلونهم من قرآن) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والشأن الخطب والحال والامر الذي ينفتق ويصلح ولا يقال الا فيما يعظم من الاحوال والامور والجمع الشؤن تقول العرب ما شأن فلان أي محاله والشأن اسم اذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدرا اذا كان معناه القصد والذي في هذه الآية يجوز أن يكون المراد به الاسم قال ابن عباس معناه وماتكون يا محمد في شأن يريدم من أعمال البر والحق الحسن في شأن من شؤن الدنيا وحوائجك ويجوز أن يكون المراد منه القصد يعني قصد الشيء وماتتلونهم من قرآن اختلعه وفي الضمير في منه الى ما ذابعد فقيل يعود الى الشأن اذا تلاوة القرآن شأن من شؤن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم شؤنه فعلى هذا يكون داخل تحت قوله تعالى وماتكون في شأن الا انه سبحانه وتعالى خصه بالذكر لشرفه وعظميته وقيل انه راجع الى القرآن لانه قد تقدم ذكره في قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فعلى هذا يكون المعنى وماتتلون من قرآن يعني من سورة وشئ منه لان لفظ القرآن يطلق على جميعه وعلى بعضه وقيل الضمير في منه راجع الى الله المعنى وماتتلون من الله من قرآن نازل عليكم وأما قوله سبحانه وتعالى (ولاتعملون من عمل) فانه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأتمه داخلون فيه ومرادون به لان من المعلوم أنه اذا خطب رئيس قوم وكبيرهم كان القوم داخلين في ذلك الخطب بدل عليه قوله سبحانه وتعالى (ولاتعملون من عمل على صيغة الجمع فدل على أنهم داخلون في الخطابين الاولين ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (الا كنع عليكم شهودا) يعني شاهدين لاعمالكم وذلك لان الله سبحانه وتعالى شاهد على كل شيء وعالم بكل شيء لانه لا يحدث ولا خافي ولا موجود الا الله تعالى فكل ما يدخل في الوجود من احوال العباد وأعمالهم الظاهرة والباطنة داخل في علمه وهو شاهد عليه (اذ تفيضون فيه) يعني أن الله سبحانه وتعالى شاهد عليكم حين تدخلون وتخوضون في ذلك العمل والافاضة الدخول في العمل على جهة الانتصاب اليه والانبساط فيه وقال ابن الانباري معناه اذ تدفعون فيه وتنبسطون في ذكره وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج تنشرون فيه يقال أفاض القوم في الحديث اذا انتشروا فيه (وما يعزب عن ربك) يعني وما يبعد وما يغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه شيء لانه عالم به وشاهد عليه وأصل العز وب البعد يقال منه كلام عازب اذا كان بعيدا (من مثقال ذرة) يعني وزن ذرة ومثقال الوزن والذرة النملة الصغيرة الحرام وهي خفيفة الوزن جدا (في الارض ولا في السماء) فان قلت لم تقدم ذكر الارض على السماء هنا وقد ذكر السماء على الارض في سورة سبأ وما فائدة ذلك قلت كان حق السماء أن يقدم على الارض كما في سورة سبأ الا أنه تعالى لما ذكر في هذه الآية شهادته على أهل الارض وأحوالهم وأعمالهم ثم وصل ذلك بقوله وما يعزب عن ربك حسن تقديم الارض على السماء في هذا الموضع

(٤١ - (خانن) - ثاني) لان كل جزء من قرآن والاضار قبل الذكر تفخيم له ومن الله عز وجل (ولاتعملون) أنتم جميعا (من عمل) أي عمل (الا كنع عليكم شهودا) شاهدين رقباء نهييكم (اذ تفيضون فيه) تخوضون من أفاض في الامر اذا اندفع فيه (ما يعزب عن ربك) وما يبعد وما يغيب بكسر الهمزة على حيث كان (من مثقال ذرة) وزن نملة صغيرة (في الارض ولا في السماء)

كان (ولكن أكثرهم لا يعلمون وهو يحيى وبسمت) هو القادر على الأحياء والأمانة لا يقدر عليها غيره (واليه ترجعون) وإلى حسابهم وجزاء  
الرجع فيخاف ويرجى (بأيها) (٣٢٠) الناس قد جاء تكلم موعظة من ربكم) أى قد جاءكم كتاب جامع لهذه القوائد

الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب الطائع وعقاب العاصي حق لا شك فيه (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعنى حقيقة ذلك (هو يحيى وبسمت) يعنى الذى يملك ما فى السموات والأرض قادر على الأحياء والأمانة لا يتغير عليه شئ مما أراد (واليه ترجعون) يعنى بعد الموت للجزاء (بأيها الناس قد جاء تكلم موعظة من ربكم) قيل أراد بالناس قريشا وقيل هو على العموم وهو الأصح وهو اختيار الطبرى قد جاء تكلم موعظة من ربكم يعنى القرآن والوعظ جزم مقترن بشخوف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة ما يدعوا إلى الإصلاح بطريق الرغبة والرهبة والقرآن داع إلى كل خير وصلاح بهذا الطريق (وشفاء لما فى الصدور) يعنى أن القرآن ذو شفاء لما فى القلوب من داء الجهل وذلك لأن داء الجهل أضرب للقلب من داء المرض للبدن وأمراض القلب هى الأخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقرآن من بزل لهذه الأمراض كلها لأن فيه الوعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهو الدواء والشفاء لهذه الأمراض القلبية وبما يخص الصدر بالذكر لأنه موضع القلب وغلافه وهو أعز موضع فى بدن الإنسان مسكان للقلب فيه (وهدى) يعنى وهو هدى من الضلالة (وراحة للمؤمنين) يعنى ونعمة على المؤمنين لانهم هم الذين اتفَعُوا بالقرآن دون غيرهم (قل بفضل الله وبرحمته) الباء فى بفضل الله متعلقة بمضمرا ستغنى عن ذكره دلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاء تكلم موعظة من ربكم والفضل هنا بمعنى الأفضال ويكون معنى الآية على هذا أيها الناس قد جاء تكلم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهو القرآن بأفضل الله عليكم ورحمته بكم وأرادته الخير لكم ثم قال سبحانه وتعالى (فذلكم خير حوا) أشار بذلك إلى القرآن لأن المراد بالموعظة والشفاء القرآن فترك اللفظ وأشار إلى المعنى وقيل فذلكم خير حوا إشارة إلى معنى الفضل والرحمة والمعنى فذلكم التطول والآنعام فليفرحوا قال الواحدى الغناء فى قوله تعالى فليفرحوا زائدة كقول الشاعر فإذا هلكت فعند ذلك فاجزى ع قاله فى قوله فاجزى زائدة وقال صاحب الكشف فى معنى الآية بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فذلكم خير حوا والتكرير للتأكيد والتقسير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا خذف أحد النعتين دلالة الله كونه عليه والفاء داخلة لعنى الشرط فكانه قيل إن فرحوا بشئ فليخصهما بالفرح فانه لا مفرح به أحق منهما والفرح لذة فى القلب بادراك المحبوب المشتهى يقال فرحت بكذا إذا أدركت المأمول ولذلك أكثر ما يستعمل الفرح فى اللذات البدنية الدنياوية واستعمل هنا فاجزى ع فيه من الخبرات ومعنى الآية ليفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته أى ما آتاهم الله من المواعظ وشفاء الصدور وتلج اليقين بالإيمان وسكون النفس إليه (هو خير مما يجمعون) يعنى من منافع الدنيا ولذاتها الفانية هذا مذهب أهل المعاني فى هذه الآية وإمام مذهب المفسرين فى هذا فان ابن عباس والحسن وقادة قالوا بفضل الله الاسلام ورحمته القرآن وقال أبو سعيد الخدرى فضل الله القرآن ورحمته أن جعل لنا من أهله وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزينه فى قلوبنا وقيل فضل الله الاسلام ورحمته الجنة وقيل فضل الله القرآن ورحمته السنين فعلى هذا الباء فى بفضل الله تتعلق بمحذوف بفسره ما بعده تقديره قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته (قل) أى قل يا محمد لكفار مكة (أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق) يعنى من زرع وضرع وغيرهما وعبر عما فى الأرض بالأنزال لأن جميع ما فى الأرض من خير ورزق قائما هو من بركات السماء (جعلتم منه) يعنى من ذلك الرزق (حراما وحلالا) يعنى ما حرموه على أنفسهم فى الجاهلية من الحرث والأنعام كالبعرة والسبابة والوصيلة

من موعظة وتنبية على التوحيد والموعظة التى تدعو إلى كل مرغوب وترجع عن كل مرهوب فى القرآن من الأوامر والنواهي داع إلى كل مرغوب وزاجر عن كل مرهوب إذا لم يقتضى حسن المأمور به فيكون مرغوبا وهو يقتضى النهى عن ضده وهو قبيح وعلى هذا فى النهى (وشفاء لما فى الصدور) أى صدوركم من العقائد الفاسدة (وهدى) من الضلالة (وراحة للمؤمنين) لمن آمن به منكم (قل) يا محمد بفضل الله وبرحمته فذلكم خير حوا أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا بذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقسير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا خذف أحد النعتين دلالة الله كونه عليه والفاء داخلة لعنى الشرط كأنه قيل إن فرحوا بشئ فليخصهما بالفرح أو بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فذلكم خير حوا وهما كتاب الله والاسلام

فى الحديث من هداه الله للإسلام وعلمه القرآن ثم شكك الفاقة كتب الله الفقر بين عينيه إلى يوم يلقاه وقرأ الآية (هو خير مما يجمعون) وبالتاء شامى فليفرحوا بعقوب (قل أرأيتم) أخبرونى (ما أنزل الله لكم من رزق) ما منصوب بأنزل وأرأيتم أى أخبروني (جعلتم منه حراما وحلالا) فجعلتموه قلوبكم هذا حلال وهذا حرام كقوله ما فى بطون هذه

أرأيتم ان أنا كم عذابه) الذي تستجبلونه (بيانا) نصب على الظرف أي وقت يات وهو الليل وأتم ساهون نأثون لا تشعرون (أونها) وأتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب (ماذا يستجبل منه المجرمون) أي من العذاب والمعنى ان العذاب مكره وموجب للنفور فأى شيء تستجبلونه منه وليس شيء منه يوجب الاستجبال والاستفهام في ماذا يتعلق بأرأيتم لان المعنى أخبروني ماذا يستجبل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستجبال أو ترفقوا الخطأ فيه ولم يقل ماذا يستجبلونه منه لانه أرادت الدلالة على موجب ترك الاستجبال وهو الاجرام أو ماذا يستجبل منه المجرمون جواب الشرط نحو ان أتيتكم ماذا (٣١٩) نطعن في ثم يتعلق الجملة بأرأيتم أو

(أتم اذا ما وقع) العذاب (أمنتم به) جواب الشرط وماذا يستجبل منه المجرمون اعترض والمعنى ان أنا كم عذابه أمنتم به بعد وقوعه حين لا يفتنكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في أقامن أهل القرى وأمن أهل القرى (آلان) على ارادة القول أي قيل لهم اذ آمنوا بعد وقوع العذاب آلان أمنتم به (وقد كنتم به تستجبلون) أي بالعذاب (تكذبوا واستهزاء آلان بحذف الهمزة التي بعد اللام والقاء حركتها على اللام نافع) ثم قيل للذين ظالموا) عطف على قيل المضمر قبل آلان (ذوقوا عذاب الخلد) أي الدوام (هل تجزون الاعبا كنتم تكسبون) من الشرك والتكذيب (ويستنبونك) ويستخبرونك فيقولون (أحق هو) وهو استفهام

لهؤلاء المشركين من قومك (أرأيتم ان أنا كم عذابه بيانا) يعني ليلا يقال يات بفعل كذا اذا فعله بالليل والسبب فيه ان الانسان في الليل لا يركون الا في البيت غالباً يجعل الله هذه اللفظة كناية عن الليل (أونها) يعني في النهار (ماذا يستجبل منه المجرمون) يعني ما الذي يستجبلون من نزول العذاب وقد وقعوا فيه وحقيقة المعنى انهم كانوا يستجبلون نزول العذاب كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله اللهم ان كان هذا هو الخلق من عندك فاطر علينا انحاز من الساء واتتنا بعذاب أليم فاجابهم الله سبحانه وتعالى بقوله ماذا يستجبل منه المجرمون يعني أي شيء يعلم المجرمون ما يظلمون ويستجبلون كما يقول الرجل لغيره وقد فعل فلان قبيحا ماذا اجنبت على نفسك (أتم اذا ما وقع) يعني اذا ما نزل العذاب ووقع (أمنتم به) يعني أمنتم بالله وقت نزول العذاب وهو وقت اليأس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخلت همزة الاستفهام على ثم لتو يسخو والتقرع (آلان) فيه اضمار تقديره يقال لهم آلان تؤمنون أي حين وقع العذاب (وقد كنتم به تستجبلون) يعني تكذبوا واستهزاء (ثم قيل للذين ظالموا) يعني ظالموا أنفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله (ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الاعبا كنتم تكسبون) يعني في الدين انما الاعمال (وقوله سبحانه وتعالى (ويستنبونك أحق هو) يعني ويستخبرونك يا محمد أحق ما عذابه من نزول العذاب وقيام الساعة (قل اي ورني) أي قل لهم يا محمد نعم وري (انه الحق) يعني ان الذي أعدكم به حق لا شك فيه (وما أتم عجيز بن) يعني بفاتنين من العذاب لان من عجز عن شيء فقد فاته (ولأن لكل نفس ظلمت) يعني أشركت (مافي الارض) يعني من شيء (لافتدت به) يعني يوم القيامة والافتداء بمعنى البذل لما ينجو به من العذاب الا أنه لا ينفعه الفداء ولا يقبل منه (وأسرؤا الندامة) يعني يوم القيامة وانما جاء بلفظ الماضي والقيامة من الامور المستقبلية لان أحوال يوم القيامة لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها كالماضي والاسرار يكون بمعنى الإخفاء بمعنى الاظهار فهو من الاضداد فلهاذا اختلفوا في قوله وأسروا الندامة فقال أبو عبيدة معناه وأظهرها الندامة لان ذلك اليوم ليس يوم نصبر وتصنع وقيل معناه أخفوا يعني أخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء والاتباع خوفا من ملامتهم اياهم وتغييرهم لهم (لما رأوا العذاب) يعني حين عاينوا العذاب وأبصروه (وقضى بينهم بالقسط) يعني وحكم بينهم بالعدل قيل بين المؤمنين والكفار وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار لاحتال ان بعضهم قد ظلم بعضا فيؤخذ للمظلوم من الظالم وهو قوله سبحانه وتعالى (وهم لا يظلمون) يعني في الحكم لهم وعليهم بان يتخفف من عذاب المظلوم ويشدد في عذاب الظالم (آلان الله مافي السموات والارض) يعني ان كل شيء في السموات والارض لله ملك لا يشركه فيه غيره فليس للكافر شيء يفتدى به من عذاب الله يوم القيامة لان الاشياء كلها لله وهو اياضاً لله فكيف يفتدى من هو مملوك لغيره بشيء لا يملكه (آلان وعد الله حق) يعني ما وعد

على جهة الإنكار والاستهزاء والضمير للعذاب الموعود (قل) يا محمد (اي ورني) نعم والله (انه الحق) ان العذاب كائن لا محالة (وما أتم عجيز بن) بفاتنين العذاب وهو لاحق بكل محالة (ولأن لكل نفس ظلمت) كفرت وأشركت وهو صفة للنفس أي ولأن لكل نفس ظلمة (مافي الارض) في الدنيا اليوم من خزاينها وما لها (لافتدت به) لجعلته فدية لها يقال واه فادى فادى وقال افتداء ايضاً يعني فداء (وأسرؤا الندامة لما رأوا العذاب) وأظهرهم ان قولهم أسر الشئ اذا أظهره وأخفوا هم عن النطق لشدة الامر فاسر من الاضداد (وقضى بينهم بالقسط) بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم (وهم لا يظلمون) ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله بقوله (آلان الله مافي السموات والارض) فكيف يقبل الفداء وانه المنيب المعاقب وما زعد من التواب أو العقاب فهو حق لقوله (آلان وعد الله) بالتواب وبالعذاب (حق)

فقدس الذين كذبوا بلفاء الله) على ارادة القول أي يتعارفون بينهم فالتين ذلك أوهى شهادة من الله على حسراتهم والمعنى أنهم وصعوا في تجارتهم وبيعهم الإيعان بالكفر (وما كانوا مهتدين) للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التنبع كأنه قيل ما أسخرهم (وإنا نرى نيك بعض الذي نعدهم) (٣١٨) من العذاب (أو تتوفيك) قيل عذابهم (فأليانمر جمعهم) جواب توفيك

وجواب نرى نيك تخدوف  
أي وإما نرى نيك بعض  
الذي نعدهم في الدنيا  
فذلك أو تتوفيك قبل  
أن نرى نيك فخرج نرى نيك  
في الآخرة ثم الله شهيد  
على ما يفعلون ذكر  
الشهادة والمراد مقتضاها  
وهو العقاب كأنه قيل ثم الله  
معاقب على ما يفعلون وقيل  
ثم هنا معنى الواو (ولكن)  
أم ترسلهم يعذبهم  
لينبئهم على التوحيد  
ويدعوهم إلى دين  
الحق (فأجاب رسوله)  
بالبينات فكذبوه ولم  
يتبعوه (قضى بينهم) بين  
النبي ومكذبيه (بالقسط)  
بالعدل فأجابه الرسول  
وعذب المكذبين وأولئك  
أمة من الأمم يوم القيامة  
رسول ينسب إليه وتدعى  
به فإذا جاء رسوله الموقف  
ليشهد عليهم بالكفر والإيعان  
قضى بينهم بالقسط وهم  
لا يظلمون لا يعذب أحد  
بغير ذنبه ولما قال وإما  
نرى نيك بعض الذي  
نعدهم أي من العذاب  
استعجلوا لما وعدوا من  
العذاب نزل (ويقولون)  
متى هذا الوعد) أي وعد

العذاب (إن كنتم صادقين) أن العذاب نازل وهو خطاب منهم للنبي والمؤمنين (قل) يا محمد (لأملك نفسي ضرا) هؤلاء  
من مرض أو فقر (ولانفعا) من حجة واعى (الامشاء الله) استثناء منقطع أي ولكن ماشاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر  
وجاب العذاب (لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) لكل أمة وقت معلوم للعذاب مكتوب في اللوح  
فإذا جاء وقت عذابهم لا يتقدمون ساعة ولا يتأخرون فلا تستعجلوا (قل)

ومنهم من يؤمن به) بلقي أو بالقرآن أى يصدق به في نفسه ولم أنه حق ولكن يعاند بالتكذيب (ومنهم من لا يؤمن به) لا يصدق به ويشك فيه أو يكون للاستقبال أى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيعصر (وربك أعلم بالمفسدين) بالمعاندين أو المصريين (وان كذبوك) وان غوا على تكذيبك وبشت من اجابته (فقل لى على) جزاء على (ولكم عملكم) جزاء أعمالكم (أنتم بريئون مما عمل وأنابرى عما تعملون) فكل مؤاخذه بعمله (ومنهم من يستمعون اليك) ومنهم ناس (٣١٧) يستمعون اليك اذا قرأت القرآن

وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون فهم كالصم (أفانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون) أقطع أنك تقدر على إسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تقرر واستدل اذا وقع في صباهه دوى الصوت فاذا اجتمع سلب العقل والسمع فقد تم الامر (ومنهم من ينظر اليك) ومنهم ناس ينظرون اليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون (أفانت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون) أتخسب أنك تقدر على هداية العمى ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعشى الذى له في قلبه بصيرة قد يحدث وأما العمى مع الحق فجهل البلاء يعنى انهم فى اليأس من أن يقبلوا وصدقوا كالصم والعمى الذين لا يقول لهم ولا بصائر (ان الله لا ينظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم

الخطاب لكل فرد من الناس والمضى فانظر أهما الانسان كيف كان عاقبة من ظلم فاحذر أن تفعل مثل فعله ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ومنهم من يؤمن به) يعنى ومن قومك يا محمد من سيؤمن بالقرآن (ومنهم من لا يؤمن به) لعلم الله السابق فيه أنه لا يؤمن (وربك أعلم بالمفسدين) يعنى الذين لا يؤمنون (وان كذبوك) يعنى وان كذبك قومك يا محمد (فقل) أى فقل لهم (لى على) يعنى الطاعة وجزاء ثوابها (ولكم عملكم) يعنى الشرك وجزاء عقابه (أنتم بريئون مما عمل وأنابرى عما تعملون) قيل المراد منه الزجر والجوع وقال مقاتل والسببى هذه الآية منسوخة بآية السيف قال الامام غزالي الدين الرازى وهو بعيد لان شرط النسخ أن يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الآية اختصاص كل واحد بافعاله وثمرات أفعاله من الثواب والعقاب وآية القتال ما رفعت شيأ من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا ﴿ قوله تعالى ﴾ (ومنهم) يعنى ومن هؤلاء المشركين (من يستمعون اليك) يعنى بما سمعهم الظاهرة ولا ينفعهم ذلك لشدة بغضهم وعدوتهم لك (أفانت تسمع الصم) يعنى كأنك لا تقدر على إسماع الصم فكذلك لا تقدر على إسماع من أصم الله سمع قلبه (ولو كانوا لا يعقلون) يعنى ان الله سبحانه وتعالى صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يستمعون ولم يوفهم لذلك فهم بمنزلة الجاهل اذا لم يتفهموا بما يعلم يسمعون وهم أيضاً كالصم الذين لا يعقلون شيئاً ولا يفهمونه لعدم التوفيق (ومنهم من ينظر اليك) يعنى بإبصارهم الظاهرة (أفانت تهدى الغنى) يريد على القلوب (ولو كانوا لا يبصرون) لان الله أعشى بصائر قلوبهم فلا يبصرون شيئاً من الهدى وفى هذا تسلية من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنك لا تقدر ان تسمع من سلبته السمع ولا تقدر ان تهدى من سلبته البصر ولا تقدر ان توفى لآيمان من حكمت عليه أن لا يؤمن (ان الله لا ينظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون) قال العلماء لما حكم الله عز وجل على أهل الشقوة بالشقوة لقضائه وقدره السابق فيهم أخبر في هذه الآية أن تقدر الشقوة عليهم ما كان ظلما منه لانه يتصرف فى ملكه كيف يشاء واخلى كلامهم عبده وكل من تصرف فى ملكه لا يكون ظلما وانما قال ولكن الناس أنفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (ويوم نحشرهم) يعنى واذا كرمناهم يوم نجمع هؤلاء المشركين لموقف الحساب وأصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم من مكانهم (كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار) يعنى كأنهم لم يلبثوا فى الدنيا الا قد راحة من النهار وقيل معناه كأنهم لم يلبثوا في قبورهم الا قد راحة من النهار والوجه الاول أولى لان حال المؤمن والكافر سواء فى عدم المعرفة بقدر ابلههم فى القبور الى وقت الحشر فقعن حمله على أمر يختص بحال الكافر وهو انهم لما لم يتفهموا بما عاينهم فى الدنيا استقواها والمؤمن لما انتفع بعمره فى الدنيا لم يستقله وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم فى الدنيا انهم لما ضيعوا أعمالهم فى طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالمعدم فلذلك استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا أهوال يوم القيامة وطال عليهم ذلك استقلوا مدة مقامهم فى الدنيا لان مقامهم فى الدنيا فى جنب مقامهم فى الآخرة قليل جدا (يتعارفون بينهم) يعنى

يظلمون) ولكن الناس حرة وعلى أى لم يظلمهم بسلب آفة الاستدلال ولكنهم ظلموا أنفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا واجادا وهم أحياء (ويوم نحشرهم) وبإبلاء حفص (كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار) استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا وفى قبورهم لم يول ما يرون (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كأنهم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الاسر عليهم كان لم يلبثوا حال من هم أى نحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا الا ساعة وكان مخففة من الثقلة واسمها محذوف أى كأنهم يتعارفون بينهم حال بعد حال أو مستأنف على تقديرهم يتعارفون بينهم

(وتفصيل الكتاب) وتبين<sup>١</sup> كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم (لاريب فيه من رب العالمين) داخل في خبر الاستدراك كانه قال ولكن كان قد بقا وتفصيلا من غير ان يرب كتابنا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقاً من رب العالمين وتفصيلا منه لاريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقاً بتصديق وتفصيل ويكون لاريب فيه اعتراضاً كما تقول زيد لاشك فيه كرم (أم يقولون افتراء) بل أيقولون اختلقه (٣٦) (قل) ان كان الامر كما زعمون (فأتوا) أنتم على وجه الافتراء (سورة مثله) أي

شبهة في البلاغة وحسن النظم فاتم مثلي في العربية (وادعوا من استطعتم من دون الله) أي وادعوا من استطعتم من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله (ان كنتم صادقين) أنه افتراء (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله) بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن في بدية السماع قبل أن يفقهوه ويحللوه كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط غفورهم عما يخالف دينهم وشراهم عن مفارقة دين آبائهم ومعنى التوقع في ولما ياتهم تأويله أنهم كذبوا به على البدية قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليداً للآباء وكذبوا بعد التدبر تمرداً وعناداً فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العمل به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه وبخاذه لما كرر عليهم التحدي وجوب اقواهم في المعارضة وعرفوا مجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسداً (كذلك) مثل ذلك التكذيب (كذب) ان الذين من قبلهم) يعني كفار الامم الماضية كذبوا رسلكم قبل النظر في معجزاتهم وقبل تدبرها عناداً وتقليداً للآباء ويجوز أن يكون معنى ولما ياتهم تأويله ولم ياتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب أي عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق يعني أنه كذب معجز من جهة ومن جهة انجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب ففسرعو الى التكذيب به قبل أن ينظروا في نظمه وبلوغه حد الإعجاز وقيل أن يجربوا أخبار ما بالغيبات وصدقه وكذبه (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين

ان كذب (كذلك) مثل ذلك التكذيب (كذب) ان الذين من قبلهم) يعني كفار الامم الماضية كذبوا رسلكم قبل النظر في معجزاتهم وقبل تدبرها عناداً وتقليداً للآباء ويجوز أن يكون معنى ولما ياتهم تأويله ولم ياتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب أي عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق يعني أنه كذب معجز من جهة ومن جهة انجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب ففسرعو الى التكذيب به قبل أن ينظروا في نظمه وبلوغه حد الإعجاز وقيل أن يجربوا أخبار ما بالغيبات وصدقه وكذبه (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين



(قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق) يرشد اليه (قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق ان يتبع أم من لا يهدي الا ان يهدي) (لما هداه الله للحق) والحق بجمع بين اللتين و يقال هدى بنفسه بمعنى اعتدى كيقال شري بمعنى اشترى ومنه فاة حزة على من لا يهدي بمعنى يهتدى لا يهدي بفتح اليا وهاء وتشديد الدال مكى وشاى ورش بانهم الهاء فتحة أبو عمر و وبكر الهاء وفتح اليا عاصم غير يحى والاصل يهتدى وهى قراءة عبد الله فادغمت الزاء فى الدال وفتحت الهاء بحركة التاء (٣١٥) او كسرت لالتقاء الساكنين

وبكسر اليا وهاء وتشديد الدال يحى لاتباع مابعدا وبكون الهاء وتشديد الدال مدنى غير ورش والمعنى أن الله وحده هو الذى يهدي يهدى للحق بما ركب فى المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكن للنظر فى الأدلة التى نصبها لهم وبما وفقهم وأطههم وفقهم على الشرائع بارسال الرسل فهل من شركائكم الذين جعلتم آئدا الله أحد يهدي الى الحق مثل هداية الله ثم قال أفمن يهدي الى الحق أحق بالاتباع أم الذى لا يهدى أى لا يهتدى بنفسه أولا يهدى غيره الا ان يهدى به الله وقيل معناه أم من لا يهتدى من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا أن يهدى الا أن يتقل الا أن يهدى يصح منه الاهتداء الا أن ينقله الله من حاله الى أن يجعله حيا ناطقا فيجيبه (فالكلم كيف تحكمون) بالباطل حيث ترعوم

عن قصد السبيل والمراد من هذا التعجب من أحوالهم كيف تركوا هذا الامر الواضح وعدلوا عنه الى غيره (قل) أى قل يا محمد (هل من شركائكم من يهدي الى الحق) يعنى هل من هذه الاصنام من يقدر على أن يرشد الى الحق فاذا قالوا لا بلدهم من ذلك (قل) أى قل لهم أنت يا محمد (الله يهدي للحق) يعنى أن الله هو الذى يرشد الى الحق لا غيره (أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم لا يهدي الا ان يهدى) يعنى أن الله هو الذى يهدي الى الحق فهو أحق بالاتباع لاهذه الاصنام التى لا يهدي الا ان يهدى فان قلت الاصنام جادلات تصور هدايتها ولا أن يهدى فكيف قال الا أن يهدى قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال وجوه الاول أن معنى الهداية فى حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون المعنى أنهم لا تنتقل من مكان الى مكان آخر الا أن تحمل وتنقل فبين سبحانه وتعالى بهذا عجز الاصنام الوجه الثانى أن ذكر الهداية فى حق الاصنام على وجه المجاز وذلك أن المشركين لما اتخذوا الاصنام آلهة وآزواها منة لمن يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر به عن يسمع ويعقل ويعلم ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل أن يكون المراد من قوله هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدي الى الحق رؤساء الكفر والضلالة فانه سبحانه وتعالى هدى الخلق الى الدين بما أظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته وأما رؤساء الكفر والضلالة فانهم لا يقدر وى على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله الى الحق فكان اتباع دين الله والتمسك بهدايته أولى من اتباع غيره ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (فالكلم كيف تحكمون) قال الزجاج فالكلم كلام تام كانه قيل هل أى شئ لكم فى عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعنى على أى حال تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم بالجور وحين ترعوم ان مع الله شر يكافيل معناه بشما حكمتم اذ جعلتم لله شر يكامن ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية (وما يتبع أ كثرهم الاظنا) يعنى وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين الا ما لا علم بحقيقته ويحتج بهم فى شك منه وريبة وقيل المراد بالاكثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن فى دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالاكثر الرؤساء (ان الظن لا يغنى من الحق شيئا) يعنى ان الشك لا يغنى عن اليقين سبأ ولا يقوم مقامه وقيل فى الآية ان قولهم ان الاصنام آلهة وانها تشفع لهم ظن منهم لم يرد به كتاب ولا رسول يعنى انها لا تدفع عنهم من عذاب الله شيئا (ان الله عليم بما يفعلون) يعنى من اتباعهم الظن ونكذبهم الحق اليقين ﴿وقوله تعالى﴾ (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) يعنى وما كان ينبغي لهذا القرآن أن يخفى ولا يقتل لان معنى الافتراء الاختلاق والمعنى ليس وصف القرآن وصف شئ يمكن أن يفترى به على الله لان المفترى هو الذى يأتى به البشر وذلك أن كفار مكة زعموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن من عند نفسه على سبيل الافعال والاختلاق فاخبر الله عز وجل أن هذا القرآن وحى أنزل الله عليه وأنه مبرأ من الافتراء والكذب وأنه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى ثم ذكر سبحانه وتعالى ما يؤكده هذا بقوله (ولكن تصديق الذى بين يديه) يعنى ولكن الله أنزل هذا القرآن مصدقا لما قبله من الكتب التى أنزلها على أنبيائه كالتوراة والانجيل ونقر بهذا أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يجمع باحد من العلماء أنه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن

أنهم أئدا الله (وما يتبع أ كثرهم) فى قولهم للاصنام انها آلهة وانما شفعاء عند الله والمراد بالاكثر الجميع (الاظنا) بغير دليل وهو اقتداؤهم بسلطانهم ظنهم أنهم مصيبون (ان الظن لا يغنى من الحق) وهو العلم (شيئا) فى موضع المصدر أى اغناء (ان الله عليم بما يفعلون) من اتباع الظن وترك الحق (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) أى افتراء من دون الله والمعنى وما صح واستقام أن يكون مثله فى علو أمره وما عجزه ومفترى (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) وهو ما تقدم من الكتب المنزلة



تتلو جزء على أي تبعية ما أسلفت لأن عمله هو الذي يهده إلى طريق الجنة أو النار أو تفرق في صحيفتهما ما قدمت من خيرا أو شرا كداعن الاخفش (وردوا إلى الله مولاهم الحق) رهم الصادق في ربه يتهللاهم كانوا يؤمنون باليسر له ربه يتهللاهم حقيقة أو الذي يتولى حسابهم ونوابهم العدل الذي لا يظلم أحدا (وضل عنهم ما كانوا يفترون) وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء لله أو بطل عنهم ما كانوا يمتثلون من الكذب وشفاة الآلهة (قل من رزقكم من السماء) بالطر (والارض) بالنبات (أمن بملك السمع والبصار) من يستطيع خلقهما وتوسيتهما على الحد الذي سوا عاياه من الفطرة (٣١٤) الحجيبة أو من يحجبهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطول وهما طليقان

يؤذيها أدنى شيء (ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) أي الحيوان والفرخ والزرع والمؤمن والعالم من النطفة والبيضة والحب والكافر والجاهل وعكسها (ومن يدبر الامر) ومن يلى تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص (فسبحون) يقولون الله فيسبحونك عند سؤالك ان القادر على هذه هو الله (فقل أفلاتنقون) الشرك في العبودية اذا اعترفتم بالربوبية (فذلكم الله) أي من هذه قدرته هو الله (ربكم الحق) الثابت ربه يتهللا بآنا لارب فيسبحون حق النظر (فاذا بعد الحق الاضلال) أي لا واسطة بين الحق والاضلال فمن تخفى الحق وقع في الضلال (فأتى تصرفون) عن الحق إلى الضلال وعن التوحيد إلى الشرك (كذلك)

أنه من تلاه اذا تبعه أي تبع كل نفس ما أسلفت لأن العمل هو الذي يهدي النفس إلى الثواب أو العقاب الثاني أن يكون من التلاوة والمعنى أن كل نفس تقرأ صحيفته عملها من خيرا أو شرا وقرئ تليو بالياء المشددة والياء الموحدة ومعناه تخبر وتعلم البلاء الاختبار ومعناه اختبرها ما أسلفت يعني أنه ان قدم خيرا أو شرا قدم عليه وجوزي به (وردوا إلى الله مولاهم الحق) الراد عبارة عن صرف الشيء إلى الموضع الذي جاء منه والمعنى وردوا إلى ما يظهرون من الله الذي هو مالكهم ومتولى أمرهم فان قلت فقل الله سبحانه وتعالى في آية أخرى وأن الكافرين لا مولى لهم فما الفرق قلت المولى في اللغة يطلق على المالك ويطلق على الناصر فغنى المولى هنا المالك ومعنى المولى هناك الناصر فحصل الفرق بين الآيتين (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعني وبطل ذهب ما كانوا يكذبون فيه في الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لنا في قوله وجل (قل من رزقكم من السماء والارض) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من رزقكم من السماء يعني المطر والارض يعني النبات (أمن بملك السمع والبصار) يعني ومن أعطاكم هذه الحواس التي تسمعون بها وتبصرون بها (ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) يعني انه تعالى يخرج الانسان حيامن النطفة وهي ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحي ويخرج البيضة الميتة من الطائر الحي وقيل معناه انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والقول الاول أقرب إلى الحقيقة (ومن يدبر الامر) يعني ان مدبر أمر السموات وما فيها ومدبر أمر الارض وما فيها هو الله تعالى وذلك قوله (فسيقولون الله) يعني أنهم يعتبرون أن فاعل هذه الاشياء هو الله وإذا كانوا يقولون بذلك (قل) أي قل لهم يا محمد (أفلاتنقون) يعني أفلاتنخافون عقابه حيث تعبدون هذه الاصنام التي لاتضر ولا تنفع ولا تهدر على شيء من هذه الامور (فذلكم الله ربكم الحق) يعني فذلك الذي يفعل هذه الاشياء وبقدر عليها هو الله ربكم الحق الذي يستحق العبادة لاهذه الاصنام (فاذا بعد الحق الاضلال) يعني اذا ثبت بهذه البراهين الواضحة والدلائل القطعية ان الله هو الحق وجب أن يكون ما سواه اذلالا باطلا (فأتى تصرفون) يعني اذا عرفت هذا الامر الظاهر الواضح فكيف تستخفرون العدلون الحق إلى الضلال الباطل (كذلك) أي كائنت أنه ليس بعد الحق إلى الضلال (حققت) أي وجبت (كلمت ربك) في الازل (على الذين فسقوا) أنهم لا يؤمنون (قبل المراد بكلمة الله قضاءه عليهم في اللوح المحفوظ) أنهم لا يؤمنون وقضاؤه لا يرد ولا يدافع (قل هل من شركائكم) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من شركائكم يعني هذه الاصنام التي تزعمون انها آلهة (من يبدأ الخلق) يعني من بقدر على ان يبتدئ الخلق على غير مثال سبق (ثم يعيده) أي ثم يعيده بعد الموت كما يشتهى أول مرة وهذا السؤال استفهام انكار (قل) أي قل أنت يا محمد (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) يعني ان الله هو القادر على ابتداء الخلق واعادته (فأتى تؤفكون) يعني فأتى تصرفون

مثل ذلك الحق (حق كلمت ربك) كلمات شامية ومدني أي كالحق وثبت ان الحق بعد الضلال أو كالحق أنهم تصرفون عن الحق فكذلك حق كلمه ربك (على الذين فسقوا) تردوا في كفرهم وخرجوا إلى الحد الأقصى فيه (أنهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة أي حق عاياهم اتقاء الإيمان أو حق عليهم كلمة الله أن إيمانهم غير كامل أو أرباب الكلمة العدا للعباد وأنهم لا يؤمنون لتعليق أي لانهم لا يؤمنون (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده) انما ذكرتم يعيده وهم غير مقرين بالاعادة لانه لا يظهور برهانهما جعل أمر اسماها على أن فيهم من يقر بالاعادة ويحتمل اعادة غير البشر كاعادة الليل والنهار واعادة الانزال والنبات (قل الله يبدأ الخلق ثم) يعيده أمر نبيه بان ينوب عنهم في الجواب يعني أنهم لا يندعهم مكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم (فأتى تؤفكون) فكيف تصرفون عن قصد السبيل

والذين كسبوا) عطف على الذين أحسنوا أى ولذين كسبوا (السيات) فنون الشرك (جزاء سيئة بثلثها) الباعزائدة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أو التقدير جزاء سيئة مقدرة بثلثها (وترهقهم ذلة) ذل وهوان (ما لهم من الله) من عقابه (من عاصم) أى لا يعصمهم أحد من سخطه وعقابه (كانما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً) أى جعل عليها (٣١٣) غطاء من سواد الليل أى هم سود الوجوه وقطعا جمع قطعة وهو مفعول ثان لأغشيت قطعاً مكى وعلى من قوله بقطع من الليل وعلى هذه القراءة مظلماً صفة لغطاء وعلى الأول حال من الليل والعمل فيه أغشيت لأن من الليل صفة لقطعاً فكان أفضأ إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة أو معنى الفعل فى من الليل (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أى الكفار وغداً بهم (جبراً) حال (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) أى الزموا مكانكم لا تبرحوا أى الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم (أنتم) أى كذب الضمير فى مكانكم لصدده مسد قوله الزموا (وشركاؤكم) عطف عليه (فزينا) ففرقنا (بينهم) وقطعنا أقرانهم والوصل التى كانت بينهم فى الدنيا (وقال شركاؤكم) من عبده من دون الله من أولى العقل أو الأوصاف ينقطع الله عز وجل (ما كنتم أياراً تعبداً) أى كنتم تعبدون الشياطين حيث أمرهم

ان هؤلاء الذين وصفتهم هم أصحاب الجنة لا غيرهم وهم فيها مقيمون لا يخرجون منها أبداً (وسبحانه وتعالى) (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) اعلم انه لما شرح الله سبحانه وتعالى أحوال المحسنين وما أعد لهم من الكرامة شرح فى هذه الآية حال من أقدم على السيئات والمراد بهم الكفار فقال سبحانه وتعالى والذين كسبوا السيئات يعنى والذين هملوا السيئات والمراد بهم الكفر والمعاصى جزاء سيئة بمثلها يعنى فلهم جزاء السيئة التى عملوها مثلها من العقاب والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيئات لان الحسنات يضاهى ثوابها اعمالها من الواحدة الى العشرة الى السبعائة الى اضعاف كثيرة وذلك تفضلاً منه وتكرماً وأما السيئات فانه يجازى عليها بمثلها عدل لمنه سبحانه وتعالى (وترهقهم ذلة) قال ابن عباس يغشاهم ذل وشدّة وقيل يغشاهم ذل وهوان لعقاب الله اياهم (ما لهم من الله من عاصم) يعنى ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله اذا نزل بهم (كانما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً) يعنى كانما ألبست وجوههم سواداً من الليل المظلم (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) قوله سبحانه وتعالى (وبوم نحشرهم جميعاً) الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد والمعنى وبوم يجمع الاخلاق جميعاً ونوقف الحساب وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) أى الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى تسألوا وفى هذا اوعيد وتهديد للعابدين والمعبودين (أنتم وشركاؤكم) يعنى أنتم أيها المشركون والاصنام التى كنتم تعبدونها من دون الله (فزينا بينهم) يعنى فرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم ونقطع ما كان بينهم من التواصل فى الدنيا فان قلت قوله سبحانه وتعالى فزينا بينهم جاء على لفظ الماضى بد قوله ثم نقول للذين أشركوا وهو منتظر فى المستقبل فما وجهه قلت السبب فيه ان الذى حكم الله فيه بانه سيكون صار كالساكن الآن (وقال شركاؤهم) يعنى الاصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله وانما سماهم شركاء لهم لانهم جعلوا لهم نصيباً من أموالهم ولانه سبحانه وتعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء فى هذا الخطاب (ما كنتم أياراً تعبدون) تبرأ المعبدون من العابدين فان قلت كيف صدر هذا الكلام من الاصنام وهى جاد لا روح فيها ولا عقل لها قلت يحتمل ان الله سبحانه وتعالى خاف لها فى ذلك اليوم من الحياة والعقل والنفط حتى قدرت على هذا الكلام فان قلت اذا أحياهم الله فى ذلك اليوم فهل يفتنهم أو يبقينهم قلت الكل محتمل ولا اعتراض على الله فى شئ من أفعاله أو أحوال القيامة غير معلومة الاما دل عليه الدليل من كتاب أو سنة فان قلت ان الاصنام قد أكرت ان الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها قلت قد تقدمت هذه المسئلة وجوابها فى تفسير سورة الانعام ونقول هنا قل مجاهد تكون فى يوم القيامة ساعة يكون فيها لشدّة تنصب لهم الآلهة التى كانوا يعبدونها من دون الله فتقول الآلهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعلم انكم تعبدوننا فيقولون والله اياكم كنا نعبد فتقول لهم الآلهة (فكنى بالله شهيداً بيننا وبينكم ان كننا عن عبادتكم لغافلين) والمعنى قد علم الله وكفى به شهيداً انما علمنا انكم كنتم تعبدوننا وما كننا عن عبادتكم اياراً من دون الله اغافلين ما نذكر بذلك أمقوله سبحانه وتعالى (هنالك تباولكل نفس ما أسلفت) فهو كالشعلة لا رية المتقدمة والمعنى فى ذلك المقام وذلك الموقف أو ذلك الوقت على معنى استعارة اطلاق اسم المكان على الزمان وفى قوله تباولكل آت قرئ بباءين ولهما معنيان أحدهما

(٤٠ - خازن - ثاني) ان تتخذوا لله أنداداً فاطعموهم وهو قوله وبوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة هؤلاء اياكم الى قوله بل كانوا يعبدون الجن (فكنى بالله شهيداً بيننا وبينكم) أى كفى الله شهيداً وهو غيبي (ان كننا عن عبادتكم لغافلين) ان تخففة من النسيان واللام فارق بينهما بين النافية (هنالك) فى ذلك المكان أو فى ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تباولكل نفس) تخبر وتذوق (ما أسلفت) من العمل فعرف كيف هو أقيح أم حسن أنافع أم ضار أم مقبول أم مردود وقال الزجاج تعلم كل نفس ما قدمت

الله عليه وسلم في قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر إلى وجه الله الكريم وعن أبي بن كعب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله سبحانه وتعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر إلى وجه الله وعن أبي موسى الأشعري قال إذا كان يوم القيامة بعث الله إلى أهل الجنة منادياً نادى هل أعجزكم الله ما وعدكم به فينظرون إلى ما أعد الله لهم من الكرامات فيقولون نعم فيقول الله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى وفي رواية رفعها أبو موسى قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يبعث يوم القيامة ذكراً بمبعناه وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله لهم هل بقي من حَقِّكم شيء لم تعطوه قال فيستجلب لهم عز وجل قال فيصغر عندهم كل شيء أعطوه ثم قال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة هي النظر إلى وجهه بهم فهذه الأخبار والآثار قد دلت على أن المراد بهذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى وأما المعقول فتقول إن الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف فانصرفت إلى المعهود السابق وهو الجنة في قوله سبحانه وتعالى والله يدعو إلى دار السلام فثبت بهذا أن المراد من لفظة الحسنى هي الجنة وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الزيادة أموراً مغايرة الكل ما في الجنة من النعم والالذات التكرار وإذا كان كذلك وجب حل هذه الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى وعما يؤيد كذلك قوله سبحانه وتعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة فثبت لأهل الجنة أمر بنظرهم إلى وجه الله تبارك وتعالى وهو حسن الوجوه وذلك من نعم الجنة والثاني النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى وآيات القرآن يفسر بعضها بعضاً فوجب حل الحسنى على الجنة ونعيمها وحل الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى وقالت المعتزلة لا يجوز حل هذه الزيادة على الرؤية لأن الدلائل العقلية دلت على أن رؤية الله سبحانه وتعالى متعنة ولأن الزيادة يجب أن تكون من جنس المرز بدعيه ورؤية الله ليست من جنس نعيم الجنة ولأن الأخبار التي تقدمت توجب التشبيه ولأن جماعة من المفسرين حلوا هذه الزيادة على غير الرؤية فأتيت في ماقلم أجاب أصحابنا عن هذه الاعتراضات بأن الدلائل العقلية قد دلت على إمكان وقوع رؤية الله تعالى في الآخرة وإذا لم يوجد في العقل ما يمنع من رؤية الله تعالى وجاءت الأحاديث الصحيحة بآيات الرؤية وجب المصدر إليها وأما على ظواهرها من غير تشبيه ولا حاطة وأجيب عن قولهم ولأن الزيادة يجب أن تكون من جنس المرز بدعيه بأن المرز بدعيه إذا كان بمقدار معين كانت الزيادة من جنسه وإذا لم يكن بمقدار معين وجب أن تكون الزيادة مخالفة لآلته كور في الآية لفظ الحسنى وهي الجنة ونعيمها غير مقدر بقدر معين فوجب أن الزيادة عليها تكون شيئاً مغايراً لنعيم الجنة وذلك المغاير هو الرؤية وأجيب عن قولهم ولأن جماعة من المفسرين حلوا الزيادة على غير الرؤية بأنه معارض بقول جماعة من المفسرين بأن الزيادة هي الرؤية والمثبت مقدم على النافي والله أعلم القول الثاني في معنى هذه الزيادة ما روي عن علي بن أبي طالب أنه قال الزيادة غرق من لؤلؤ واحدة لها أربع أبواب القول الثالث أن الحسنى واحدة الحسنات والزيادة التضعيف إلى تمام العشرة وإلى سبع مائة قال ابن عباس هو مثل قولهم سبحانه وتعالى ولدنا من يدي يقول بحزبهم بعملهم وبزبدتهم من فضله قال قتادة كان الحسن يقول الزيادة الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف القول الرابع أن الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله ورضوان قاله مجاهد القول الخامس قول ابن زيد أن الحسنى هي الجنة والزيادة ما أعطاهم في الدنيا لا بما سبهم به يوم القيامة وقوله سبحانه وتعالى (ولا يرقى وجوههم) يعني ولا يرقى وجوه أهل الجنة (قتر) أي كآبة ولا كسوف ولا غبار وقال ابن عباس هو سواد الوجوه (ولاذلة) يعني ولا هو أن قال ابن أبي ليلى هذا بعد نظرهم إلى ربهم تبارك وتعالى (أو لئلك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)

(ولا يرقى وجوههم) ولا يرقى وجوههم (قتر) غير فيها سواد (ولاذلة) ولا أثره سوان والمعنى ولا يرقى ما يرقى أهل النار (أو لئلك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)

(والله يدعو إلى دار السلام) هي الجنة أضافها إلى اسمه تعظيماً لها والسلام السلامة لان (٣١١) أهلها سالمون من كل مكره وقيل

لفشو السلام بينهم وتسليم  
الملائكة عليهم الا قبلا  
سلاما سلاما (وهي من  
يشاء) و يوفق من يشاء  
(إلى صراط مستقيم) إلى  
الاسلام أو طريق السنة  
فالدعوة عامة على لسان  
رسول الله بالدلالة والهداية  
خاصة من طفق المرسل  
بالتوفيق والعناية والمغنى  
يدعو العباد كلهم إلى دار  
السلام ولا يدخلها الا  
المهديون (الذين أحسنوا)

آمنوا بالله ورسوله  
(الحسنى) المثوبة الحسنى  
وهي الجنة (وزيادة) رؤية  
الرب عز وجل كذا عن  
أبي بكر وحذيفة وابن  
عباس وأبي موسى  
الاشعري وعبادة بن  
الصامت رضى الله عنهم  
وفي بعض التفاسير اجتمع  
المفسرون على أن الزيادة  
النظر إلى الله تعالى وعن  
صهيب أن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال اذا دخل  
أهل الجنة الجنة يقول الله  
تبارك وتعالى أرى بدون  
شيئاً أزيدكم فيقولون ألم  
نبئض وجوهنا لم تدخلنا  
الجنة وتنجنا من النار قال  
فيرفع الحجاب فينظرون إلى  
الله تعالى فما أعطوا شيئاً  
أحب إليهم من النظر إلى  
رؤسهم ثم تلاه بن أحسنوا

كما يلائمكم مثل الحياة الدنيا عرفناكم حكمها كذلك نبين سبحانه وأدلتنا لمن تفكروا واعتبروا ليكون ذلك  
سبباً من جبال الزوال والشك والشبهة من القلوب قوله سبحانه وتعالى (والله يدعو إلى دار السلام) لما ذكر الله  
زهرة الحياة الدنيا وأنها فانية زائلة لا محالة دعاه إلى داره دار السلام قال قتادة الله هو السلام وداره الجنة فعلى  
هذا السلام اسم من أسماء الله عز وجل ومعناه أنه سبحانه وتعالى سلم من جميع النقائص والعيوب والفناء  
والتغير وقيل أنه سبحانه وتعالى بوصف بالسلام لان الخلق سامون من ظلمه وقيل أنه تعالى بوصف بالسلام  
بمعنى ذى السلام أى لا يقدر على تخليص العاجزين من المسكاره والآفات الا هو وقيل دار السلام اسم  
للجنة وهو جمع سلامة والمعنى أن من دخلها فقد سلم من جميع الآفات كالنور والمرض والمصائب والخزن  
والغم والتعب والتكد وقيل سميت الجنة دار السلام لان الله سبحانه وتعالى يسلم على أهلها وتسلم الملائكة  
عليهم قيل ان من كمال رحمة الله وجوده مكرمه على عباده أن دعاه إلى جنته التي هي دار السلام وفيه دليل  
على أن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعو إلى عظيم ولا يصف  
الا عظيماً وقد وصف الله سبحانه وتعالى الجنة في آيات كثيرة من كتابه (وهي من يشاء إلى صراط مستقيم)  
يعنى والله يهدي من يشاء من خلقه إلى صراطه المستقيم وهو دين الاسلام عم بالدعوة والأظهار للجنة  
وخص بالدعوة ثانياً الاستغناء عن الخلق واطهار القلب ودرجته المغايرة بين الدعوتين (خ) عن جابر  
قال جاءت ملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب  
يقظان فقالوا ان صاحبكم مثلاً فاضربوا له مثلاً فقالوا مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مذبة وبث داعياً  
فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المذبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المذبة فقالوا  
أولوها بفقهها فان العين نائمة والقلب يقظان فقال بعضهم الدار الجنة والداعي محمد بن طاع محمد أفدا طاع  
الله ومن عصى محمد أفدا عصى الله ومحمد فرق بين الناس وفي رواية خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فقال انى رأيت فى المنام كأن جبريل عليه السلام عند رأسى وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه  
اضرب له مثلاً وعن النوس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثلاً صراطاً  
مستقيماً على كنفى الصراط داران لهما أبواب مفتحة على الأبواب ستور وداع يدعو على رأس الصراط  
وداع يدعو فوقه الله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والأبواب التي على كنفى  
الصراط حدود الله فلا يقرب أحد في حدوده حتى يكشف الستور والذي يدعو من فوقه وعاظ ربه أخرجه  
الترمذى وقال حديث حسن غريب قوله عز وجل (الذين أحسنوا الحسنى) قال ابن عباس للذين  
شهدوا أن لا اله الا الله الجنة وقيل معناه للذين أحسنوا عبادته في الدنيا من خلفه وأطاعوه فيما أمرهم  
به ونهاهم عنه الحسنى قال ابن الانبارى الحسنى في اللغة تأتيت الاحسن والعرب توفع هذه اللفظة على الخلة  
المحبة والخلة المرغوب فيها وقيل معناه للذين أحسنوا المثوبة الحسنى (وزيادة) اختلف المفسرون  
في معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة على أقوال القول الاول أن الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه  
الله الكريم وهذا قول جماعة من الصحابة منهم أبو بكر الصديق وحذيفة وأبو موسى الاشعري وعبادة بن  
الصامت وهو قول الحسن وعكرمة والضحاك ومقاتل والسدى ويدل على صحة هذا القول المنقول والمقول  
أما المنقول فخاروى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول  
الله تبارك وتعالى أرى بدون شيئاً أزيدكم فيقولون ألم نبئض وجوهنا لم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال  
فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى رؤسهم تبارك وتعالى زاد في رواية ثم تلاه هذه الآية  
الذين أحسنوا الحسنى وزيادة أخرجه مسلم وروى الطبري بسنده عن كعب بن عجرة عن النبي صلى

الحسنى وزيادة والعجب من صاحب الكشف أنه ذكر هذا الحديث لانه العبارة وقال انه حديث مدفوع مع انه مرفوع قد ورد صاحب  
المصباح في الصحاح وقيل زيادة المحبة في قلوب العباد وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان

كما أنزلناه من السماء من السحاب (فاختلط به) بالماء (نبات الأرض) أي فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضاً (عمياً كل الناس) يعني الحبوب والثمار والبقول (والانعام) يعني الخشب (حتى إذا أخذت الأرض زخرفاً) زيتها بالسبات واختلاف ألوانه (وازينت) وزنت به وهو أصله وأدخمت التاء في الزى وهو كلام فصيح جهات الأرض أخذت زخرفاً على الثقل بالعروس إذا خذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكنتها وزنت به يراد من ألوان الزين (وظن أهلها) أهل الأرض (أنهم قادرون عليها) متمكنون من منعتها مع ما يحولون لثمرتها رافعون لغلتها (أنها أمرنا) عنا بنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أسبغهم وسقيتهم ثم بقسم (ليلاً ونهاراً فجعلناها) فجعلنا زرعها (حصيداً) شبيهاً بما يحصد من الزرع في قطعه واستنصله (كان لم تنف) كان لم يكن زرعها أي لم يلبث حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه ليستقيم المعنى (٣١٠) (بالامس) هو مثل في الوقت القريب كانه قيل كان لم تنف آنف (كذلك تفصل الآيات لقوم

يتفكرون) فيتنفخون بضرب الامثال وهذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه خطاماً بعد ما التفت وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورفيقه والتنبية على حكمة التشبيه أن الحياة صفوها شبيهاً وكدرها شبيهاً كأن صفوا الماء في أعلى الاناء قال ألم تر أن العمر كاس سلافة فاوله صفوا وآخره كدر وحقيقته زين جنة الطين بمصالح الدنيا والدين كاختلاط النبات على اختلاف التلون فالطينية الطيبة تنبت بساتين الانس ويأحين الروح وزهرة الزهر وكرم الكرم وجبوب الحب وحدائق الحقيقة رشقات

الطريقة والخبيثة تجرح خلاف الخاف ونمام الانم وشوك الشوك وشيح الشح وحطب العطب وإعاع اللعب كما يدوم ومعداده كبحين للحرج حصاده فتزاول الحياة مغترا كما بهيج النبات مصفر اقتعيب جنته في الرمس كأن لم تنف بالامس الى أن يعود ربيع البعث وموعد العرض والبحث وكذلك حال الدنيا كالماء ينفع قليله ويهلك كثيره ولا بد من ترك ما زاد كالماء من أخذ الزاد وأخذ المال لا يتجاوز زله كما أن خافض الماء لا ينجم من بلة وجمعه وماسا كه تلف صاحبه واهلاكه فمأذون النصاب بضحض ماء يجاوز بلا احتناء والنصاب كنه حائل بين التجاوز والجواز الى المفاض لا يمكن الا بقطرة وهي الزكاة وعمراتها بذل الصلوات ففي اختلت القنطرة غرقته أمواج القناطر المنقطرة وعن هذا قال عليه السلام الزكاة قنطرة الاسلام وكذا المال يساعد الولاغاد دين الامجاد كأن الماء يجتمع في الوهاد دون التجاد وكذلك المال لا يجتمع الا بكذب الخيل كأن الماء لا يجتمع الا بدم المسيل ثم ينفى ويتلف ولا يبقى كالماء في الكف

(جاءتها) أى الفلك وألريح الطيبة أى نلقتم (ريح عاصف) دات عصف أى شديدة الهبوب (وجاءهم الموج) هو ما على الماء (من كل مكان) من البحر أو من جميع أمكنة الموج (وظنوا أنهم أحيط بهم) أهل كوا جعل حاطة العدو بالحق مثلاً فى الأهلاك (دعوا الله مخلصين له الدين) من غير أن شارك به لانهم لا يدعون حينئذ مع غيره يقولون (لئن أنجيتنا من هذه الأهل والأولاد أو من هذه الريح) (لنكونن من الشاكرين) لنعمتك مؤمنين بك متمسكين ببطاعتك ولم يجعل الكون فى الفلك (٣٠٩) غايه للتيسير فى البحر ولكن

مضمون الجملة الشرطية

الواقعة بعد حتى بما فى حينها كأنه قيل يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن والهلاك والدعاء بالإنجاء وجواب إذا جاءتها ودعوا بديل من طنون الان دعاءهم من لوازم ظنهم للهلاك فهو ملتبس به فلما اتجأهم إذا هم يبعون فى الأرض) يفسدون فيها (بغير الحق) بطلائى مبطلين (يا أيها الناس) إنما بغيكم على أنفسكم) أى ظلمكم يرجع اليكم كقوله من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها) (متاع الحياة الدنيا) حفص أى تمتعون متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر بغيكم غيره بالرفع على أنه خبر بغيكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبني عليهم ومعناه إنما بغيكم على أمثالكم وأهو خبر ومتاع خبر بعد خبراً ومتاع خبر مبتدأ مضمراً أى هو متاع الحياة الدنيا وفى الحديث أسرع الخير نواباً صلة

بذلك الريح الطيبة لأن الانسان إذا ترك السفة وتوجه الى الريح الطيبة الموافقة لما قصد حصل له النفع التام والمسرعة العظيمة بذلك (جاءتهم الريح عاصف) قيل ان الضمير فى جاءتها يرجع الى الريح فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة الريح عاصف شديدة فأقلبتها وقيل الضمير فى جاءتها يرجع الى الفلك يعنى جاءت الفلك الريح عاصف يقال ربح عاصف وعاصفة ومعنى عصف الريح شدت وأصل العصف السرعة وإنما قال عاصف لانه أراد به ذات عصف أو لاجل ان اللفظ الريح قديد كر (وجاءهم الموج من كل مكان) يعنى وجاء ركبان السفينة الموج وهو ما ارتفع وعلان غوارب الماء فى البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه (وظنوا أنهم أحيط بهم) يعنى وظنوا ان الهلاك قد أحاط بهم وأحدق وقيل المراد من الظن اليقين أى أيقنوا انه الهلاك وقيل بل المراد منه المقار به من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه (دعوا إليه مخلصين له الدين) يعنى انهم أخلصوا فى الدعاء لله عز وجل ولم يدعوا أحداً سواه من آلهتهم وقيل فى معنى هذا الاخلاص العلم الحقيقى لا خلاص الايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة أنه لا ينجهم من جميع الشدائد والبلايا الا الله تعالى فكانوا إذا وقوا فى شدة وضرو بلاء أخلصوا الله الدعاء (لئن أنجيتنا) أى قائلين لئن أنجيتنا بار بنا (من هذه) يعنى من هذه الشدائد التى نحن فيها وهى الريح العاصفة والأمواج الشديدة (لنكونن من الشاكرين) يعنى من الشاكرين لك على انعامك علينا بما أخلصنا من هذه الشدة (فلما أنجأهم) يعنى فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنوا أنهم أحيط بهم من الشدة التى كانوا فيها (إذا هم يبعون فى الأرض بغير الحق) يعنى انهم أخلصوا الله ما وعدوه بغواى الأرض فنجوا زوارها وبغير ما أمر الله به من الكفر والعمل بالمعاصى على ظهرها وأصل البنى مجاوزة الحد قال صاحب المفردات البنى على ضربين أحدهما محمود وهو مجاوزة العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والثانى مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل أو الى الشبهة قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبنى لا يكون بحق قلت بلى قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم واحرق زروعهم وقلع أشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بينى قريظة (يا أيها الناس) إنما بغيكم على أنفسكم) يعنى ان وبال بغيكم راجع عليكم (متاع الحياة الدنيا) قيل هو كلام مبتدأ والمعنى ان بئى بعضكم على بعض هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح لاد الأخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم لانها بئى بئى بعضكم على بعض الايمان قليلة وهى مدة حياتكم مع قصرها فى سرعة انقضاءها والبنى من منكرات الذنوب العظام قال بعضهم لو بنى جبل على جبل لاندك الباغي وقد انظم بعضهم هذا المعنى شعراً وكان المأمون يمثل به فقال

يا صاحب البنى ان البنى مصرعة \* فارجع غير مقال المرء أعدله  
قلو بنى جبل بوماعى على جبل \* لا ندك منه أعاليه وأسفله

وقوله سبحانه وتعالى (ثم الينامر جمعكم) يعنى يوم القيامة (فتنبئكم) أى فتخبركم (بما كنتم تعملون) يعنى فى الدنيا من البنى والمعاصى فنجاز بكم عليها قوله عز وجل (انما مثل الحياة الدنيا) يعنى فى فناءها

الرحم وأجمل الشعر عقابا البنى واليمين الماجرة وروى ثمان بجلهم ما الله فى الدنيا البنى وعقوف والدين وعن ابن عباس رضى الله عنهما لو بنى جبل على جبل لاندك الباغي وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البنى والنكت والمكر قال الله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم ولا يحق المكر السيء الا باهله ومن نكث فاقمنا ينكث على نفسه (ثم الينامر جمعكم فتنبئكم بما كنتم تعملون) فتخبركم به ونجاز بكم عليه (انما مثل الحياة الدنيا



(فاتظروا) نزول ما قرأتموه (إني معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم لعنادكم ووجودكم الآيات (وإذا أذقتنا الناس) أهل مكة (رحمة) خصبا وسعة (من بعد ضراء مستهم) (٣٠٨) يعني القحط والجوع (إذا لهم مكر في آياتنا) أي مكر وأيا يتأبدفها وانكارها

روى أنه تعالى سلب القحط  
سبع سنين على أهل مكة  
حتى كادوا يهلكون ثم  
رحمهم بالحيا فلما رجعهم  
طفقوا يطلعون في آيات  
الله ويمادون رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
ويكيدونه فإذا الأولى  
للشرط والثانية جوابها  
وهي للمفاجأة وهو كقوله  
وان تصهم سبعة فماتت  
أبدبهم إذا هم يقظون أي  
وان تصهم سبعة فماتوا وإذا  
أذقتنا الناس رحمة مكرنا  
والمكر اخفاء الكيد وطية  
من الجارية المذكورة المطوية  
انطلق ومعنى مستهم  
خاظهم حتى أحسوا بسوء  
أثرها فهم وانما قال (قل الله  
أسرع مكرنا) ولم يصفهم  
بسرعة المكر لان كلمة  
المفاجأة دلت على ذلك  
كانه قال وإذا رجعناهم من  
بعد ضراء فاجأ وقوع  
المكر منهم وسارعوا اليه  
قبل ان يغسلوا رؤسهم من  
مس الضراء (ان رسلنا)  
يعني الحفظة (يكتبون ما  
تمكرون) اعلم بان ما  
تظنون خافيا لا يخفى على  
الله وهو منتقم منكم  
وبالياء سهل (هو الذي  
يسيركم في البر والبحر)

لأنه لا يعلم أحد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم أحد مني نزول الآية الا هو (فاتظروا) يعني نزولها (إني معكم من المنتظرين) ويقول معناه فاتظروا قضاء الله بيننا بظاهر الحق على الباطل إني معكم من المنتظرين ﴿قوله عز وجل (وإذا أذقتنا الناس رحمة) يعني رضاء ونعمة (من بعد ضراء مستهم) يعني من بعد شد وبلاء ضيق في أهبش أصابهم والمراد بالناس هنا كفار مكة وذلك ان الله سبحانه وتعالى حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم ان الله سبحانه وتعالى رجعهم فانزل عليهم المطر الكثير حتى أخضبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك الضرب ثم تعطلوا بذلك بل رجعوا الى الفساد والكفر والمكر وهو قوله سبحانه وتعالى (إذا لهم مكر في آياتنا) قال مجاهد أي تكذيب واستنزاء وقال مقاتل بن حيان لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وكذا ويؤيد على صحة هذا القول ما روى عن زيد بن خالد الجهني قل صلى بنارس الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحدبية على أثر سماء كانت من الليل فاما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب وأما من تكذبه في صحبه في قوله على أثر سماء كانت من الليل أي مطرنا كان قد وقع في الليل وسمى المطر سماء لانه يقطر من السماء والآنواء عند العرب هي منازل القمر اذا طلع نجم سقط ظهيرة وكنوا به يتقدون في الجاهلية انه لا بد عند ذلك من وجود مطر أو ريح كبر زعم المتجهمون أيضا في العرب من يحمل ذلك التأثير للطالع لانه نأى ظهر وطلع ومنهم من ينسبه للغارب فنفي النبي عليه السلام محقة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان النجم فاعل ذلك التأثير وأما من يجعله دليلا لظهور حاله بمعنى الدلالة وأما من أسند ذلك الى العادة التي يجوز انخرامها فقد كرهه قوم ورحمهم من تأول الكفر بكفر نعمة الله والله أعلم وسمى تكذيبهم بآيات الله مكر لان المكر عبارة عن صرف الشيء عن وجهه الظاهر بنوع من الخيلة وكان كفار مكة يتحلقون في دفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من المفساد (قل الله أسرع مكرنا) أي قل لهم يا محمد لله أشعل عقوبة وأشد أخذًا وأقدر على الجزاء وان عذابه في هلاككم أسرع اليكم بما أتى منكم في دفع الحق ولما قالوا لنعمة الله بالمكر قابل مكرهم بمكر أشد منه وهو ما لهم اليوم القيامة (ان رسلنا يكتبون ما تمكرون) يعني الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون عليهم الاعمال القبيحة السيئة الى يوم القيامة حتى يفتضحوا بها ويجزون على مكرهم ﴿قوله تعالى (هو الذي يسيركم في البر والبحر) يعني هو الله الذي يسيركم يعني يحملكم في البرعي ظهور الدواب في البحر على الفلك وقيل معناه هو الله الهادي لكم في السير في البر والبحر طلبا للعاش أو هو المهيء لكم أسباب السير في البر والبحر (حتى اذا كنتم في الفلك) يعني السفن ولقطة الفلك انطلق على الواحد والجمع وتقديرها مختلفان فان أريد بها الواحد كان كنباء فقل وان أريد بها الجمع كان كنباء أسد والمراد بها هنا الجمع لقوله تعالى (وجوز بهم) يعني وجرت السفن بركابها فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت قال صاحب الكشاف المقصود منه المبالغة كانه يذكر كفرهم حالهم ليجهجم منها ويستدعي منهم من يدانكار والتوبيخ وقال غيره ان مخاطبة الله لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بمنزلة الخبر عن الغائب وكل من أقام الغائب مقام المخاطب حسن منه ان يرد الى الغائب وقيل ان الالتفات في الكلام من الغيبة الى الحضور وبالعكس من فصيح كلام العرب (برح طيبة) يعني وجرت السفن برح طيبة ساكنة (وفر حوابها) يعني وفرح ركبنا تلك الفلك

بتلك

يحملكم قادرين على قطع المسافات بالرجل والدواب والفلك الجارية في البحار وتخلي فيكم السير بنسركم شامخ

(حتى اذا كنتم في الفلك) أي السفن (وجوز بهم) أي السفن (بهم) بمن فيها رجوع من الخطاب الى الغيبة للمبالغة (برح طيبة) ايته  
الطيب لا عاصفة ولا ضعيفة (وفر حوابها) بتلك الرحا ليلها واستقامتها



(ويقولون هؤلاء) أي الأصنام (شفعاؤنا عند الله) أي في أمر الدنيا وما بعدها (٣٠٧) لانهم كانوا الاقرون بالبعث وافسموا

بالله جهداً بما فيهم لا يبعث الله من يموت أو يوم القيامة ان يكن بعث ونشور (قل) أنبؤن الله بما لا يعلم (تخبرونه بكونهم شفعاؤه عندوه وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذ لم يكن معاوماله وهو عالم بجميع المداومات لم يصكك شيئا وقوله (في السموات ولا في الارض) تأكيد انفي لان ما لم يوجد فيه ما فهو معدوم (سبحانه وتعالى عما يشركون) زه دانه عن ان يكون له شرك بك وباناء جزر وععلى وما موصولة ومصدر به أي عن الشركاء الذين تشركونهم به وأعن اشراركم (وما كان الناس الا امة واحدة) حنفاً متفقين على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم عليه السلام الى أن قتل قابيل هابيل أو بعد الطوفان حين لم يذكر الله من تكافرين دياراً (فاختلفوا) فصاروا مللاً (ولولا كفة سبقت من ربك) وهو تأخير الحكم منهم الى يوم القيامة (لقضى بينهم) عاجلاً (فما فيه يختلفون) فيما اختلفوا فيه ولم يلزم الحنن من المبطل وسبق كفته حكمه وهي ان هذه الدار دار

المشركون الاصنام التي لا تضرهم ان عصواها وتركوا عبادتها ولا تنفعهم ان عبدوها لانها حجارة وجاد لا تضر ولا تنفع وان العباداة عظيمة انواع التعظيم فلا تليق الابن يضرب وينفع ويحيى ويميت وهذه الاصنام جاد وحجارة لا تضر ولا تنفع (ويقولون هؤلاء) يعني الاصنام التي يعبدونها (شفعاؤنا عند الله) قال أهل المعاني توهموا ان عبادتها شدي في تعظيم الله من عبادتهم اياه وقالوا السنا بهل ان نعبد الله ولكن نستغفل بعبادة هذه الاصنام فانها تكون شفاعة لنا عند الله ومنه قوله سبحانه وتعالى اخبار عنهم ما نعبدهم الا ليقربوا الى الله زاني وفي هذه الشفاعة قولان أحدهما انهم يزعمون انهم استغف لهم في الآخرة قاله ابن جريج عن ابن عباس والثاني انها تستغف لهم في الدنيا في اصلاح معاشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعنا بعد الموت (قل) أي قل لهم يا محمد (أنذرون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض) يعني تخبرون الله ان له شر يكاولا يعلم لنفسه شر يكافي السموات ولا في الارض وهذا على طريق الازام والمقصود في علم الله بذلك التسليم انه لا وجود له البتة لانه لو كان موجودا لعلمه الله وحيث لم يكن معلوماً لله وجب أن لا يكون موجودا ومثل هذا مشهور في العرف فان الانسان اذا أراد اني شيء حصل في نفسه يقول ما علم الله ذلك متى مقصوده ما حصل ذلك الشيء منه فطاولا (سبحانه وتعالى عما يشركون) زه الله سبحانه وتعالى نفسه عن الشركاء والاضداد والانداد وتعالى أن يكون له شرك في السموات والارض ولا يعلمه قوله سبحانه وتعالى (وما كان الناس الا امة واحدة فاختلقوا) يعني ففترقوا الى مؤمن وكافر يعني كانوا اجباعا على الدين الحق وهودين الاسلام ويدل على ذلك ان آدم عليه السلام وذريته كانوا على دين الاسلام الى أن قتل قابيل هابيل ثم اختلفوا وقيل بعوا على ذلك الى زمن نوح عليه السلام ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وقيل انهم كانوا على دين الاسلام وقت خروج نوح ومن معه من السفينة ثم اختلفوا بعد ذلك وقيل كانوا على دين الاسلام من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام الى ان غمرهم وخرى على فعل هذا القول يكون المراد من الناس في قوله وما كان الناس الا امة واحدة العرب خاصة وقيل كان الناس امة واحدة يعني في الكفر وهذا القول منقول عن جماعة من المفسرين ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وتقديره انه لا مطلق أن يصير الناس على دين واحد فانهم كانوا اولا على الكفر وانما أسلم بعضهم فبقي تسلي للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان الناس امة واحدة وليس في الآيات ما يدل على أي دين كانوا من ايمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج وقيل معناه انهم كانوا في اول الخلق على الفطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا في الاديان واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه والمراد بالفطرة في الحديث فطرة الاسلام قوله سبحانه وتعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعني ان سبب سبب الله تعالى جعل اكل امة أجلا وقضى بذلك في سابق الازل قال الكسبي هي امهال هذه الامه وانه لا يهلكهم بالعذاب (لقضى بينهم) يعني يزل العذاب ويحجل العقوبة للكافرين وكان ذلك فصلا بينهم (فما فيه يختلفون) وقال الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني مضت في حكمه الله انه لا يقضى عليهم فيما اختلفوا فيه بالكواب والعقاب دون يوم القيامة لقضى بينهم في الدنيا فادخل المؤمنين الجنة باعنائهم وأدخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيامة وقيل سبق من الله انه لا يؤخذ أحد الا بعد اقامة حجة عليه وقيل الحكمة التي سبقت من الله هي قوله ان رجى سبقت غضبي ولولا رجته ليجل لهم العقوبة في الدنيا ولكن آخرهم رجته الى يوم القيامة ثم يقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعني في الدنيا (ويقولون) يعني كفار مكة (ولولا انزل عليه آية من ربه) يعني هاترني على محمد ما ترحه عليه من الآيات (فقل) أي قل لهم يا محمد (انما الغيب لله) يعني ان الذي سألتهموه هو من الغيب وانما الغيب

تسكين وتلك الدار دار ثواب وعقاب (ويقولون ولولا انزل عليه آية من ربه) أي آية من الآيات التي اقترحوها (فقل انما الغيب لله) أي هو المختص بعلم الغيب فهو العالم بالصارف عن ازال الآيات المقترحة لا غير

المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله (لوشاء الله ماتوه عليهكم) يعني لو شاء الله لقلعهم من هذا القرآن ولم يأمرني بقراءته عليكم (ولأدركهم) قال ابن عباس ولا أدركهم الله به (فقد لبث فيكم غمرا من قبله) يعني قد مضت فيكم قبل أن يوحى إلى هذا القرآن مدة أربعين سنة لم أنكم بشئ ووجه هذا الاحتجاج أن كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبغضه وعلمو أحواله وأنه كان أميلا بطالع كتاب لا تعلم من أحد مدة عمره قبل الوحي وذلك أن بعون سنة ثم بعد الادر بعين جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نقائص العالم وأخبار الماضين وفيه من الأحكام والآداب ومكارم الأخلاق والفصاحة والبلاغة أعجز البلاء والفصحاء عن معارضته فكل من له عقل سليم وفهم ناقب يعلم أن هذا لم يحصل إلا بوحي من الله تعالى لا من عند نفسه وهو قوله (أفلا تعقلون) يعني أن هذا القرآن من عند الله أو أحدهما لا من قبل نفسي (ق) عن ابن عباس قال أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فمكث ثلاث عشرة سنة بوحي إليه ثم أمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمكة ثلاث عشرة سنة بوحي إليه وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا ثم إن سنين بوحي إليه وأقام بالمدينة عشر أوتوفي وهو ابن خمس وستين سنة آخر جاء في الصحيحين (ق) عن عائشة قالت توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة أخر جاء في الصحيحين (م) عن أنس قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين وعمره وهو ابن ثلاث وستين أخرجه مسلم (ق) عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال سمعت أنس بن مالك يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير أزهر اللون أبيض بالابيض والامهق ولا بالأدم ليس بمجعد قط ولا بسطرجل أنزل عليه الوحي وعوا ابن أربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين فنزل عليه الوحي وبالمدينة عشر أوتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه وحليته عشرون شعرة بيضاء أخر جاء في الصحيحين قال الشيخ محيي الدين النوري وورد في عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات أحدها أنه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهي أصحها وأشهرها رواها مسلم من حديث أنس وعائشة وابن عباس واتفق العلماء على أن أصحها ثلاث وستون سنة وتأولوا الباقي عليه فرأوا به ستين سنة اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ورأوا بالجنس متأولا أيضا بأنها حصل فيها اشتباه قوله يسمع الصوت يعني صوت الهاتف من الملائكة ويرى الضوء يعني نور الملائكة أو نور آيات الله حتى رأى الملك بعينه وشافه بالوحي من الله عز وجل وقوله ليس بالابيض الامهق المراد به الشديد البياض كالون الحص وهو كونه المنظور ومما توهم الناظر أنه برص والمراد أنه كان أزهر اللون بين البياض والحمره وقوله عز وجل (فن أظلم من افترى على الله كذبا) يعني فرغم أن له شر يكاد ولد والمعنى أني لم أفرع على الله كذبا ولم أكن كاذب عليه في قولي أن هذا القرآن من عند الله وأنت قد افترىتم على الله الكذب فرغم أن له شر يكاد ولد والله تعالى منزعه عن الشر يك والولد وقيل معناه أن هذا القرآن لو لم يكن من عند الله لما كان أحد في الدنيا أظلم على نفسه مني من حيث أني افترىتمه على الله ولما كان هذا القرآن من عند الله وأحاله إلى وجه أن يقال ليس أحد في الدنيا أجهل ولا أظلم على نفسه منكم من حيث أنكم أنكرتم أن يكون هذا القرآن من عند الله فقد كذبتم بآياته وهو قوله تعالى (أو كذب بآياته) يعني يحد بكون القرآن من عند الله وأنكر دلائل التوحيد (أنه لا يفلح المجرمون) يعني المشركين وهذا وعيد وتأكيد لما سبق (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم) يعني ويعبد هؤلاء

يعنى أن تلاوته ليست إلا بمثابة الله وأظهاره أمرا عجيبا خارجا عن العادات وهو أن يخرج رجل أعمى لم يتعلم ولم يشاهد العلماء فقرأ عليكم كتابا فصحا يعاقل كلام فصيح ويعاقل على كل منشور ومنظوم متحونا بعلوم الأصول والفروع والأخبار عن الغيوب التي لا يعلمها إلا الله (ولأدركهم) ولا أعلمكم الله بالقرآن على لسانى (فقد لبث فيكم غمرا من قبله) من قبل نزول القرآن أى قد مضت أقدت فيها ينكم أربعين سنة ولم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت موصوفا بعمى وبيان فتهموني باختراعه (أفلا تعقلون) فتعلموا أنه ليس الامن عند الله لا من مثلى وهذا جواب عما سدوه تحت قوله أنت بقرآن يحبر هذا من إضافة الافتراء إليه (فن أظلم من افترى على الله كذبا) يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله في أنه ذو شر يك وذو ولد وأن يكون نقاديا بما أضافوه إليه من الافتراء (أو كذب بآياته) بالقرآن فيه بيان الكاذب على الله والمكذب بآياته في الكفر سواء (أنه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم) أن تركوا عبادتها (ولا ينفعهم) أن عبدوها

اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم) الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكناها (لننظر كيف تعملون) أي لننظر أتعلمون خيرا أو شرافتعلمكم على حسب عملكم وكيف في محل النصب تعملون لا بنظر لان معنى الاستفهام فيه جمع أن يتقدم عليه عامله والمعنى أنتم بمنظر منا فأنظروا كيف تعملون بالأعتبار بماضيكم أنم الاغترار بما فيكم قال عليه السلام الدنيا (٣٠٥) حاوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها

فناظر كيف تعملون (واذا تلى عليهم آياتنا بينات) حال (قال الذين لا يرجون لقاءنا) لما غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد لاهل الطغيان (انت بقرآن غير هذا) ليس فيه ما يقيظنا من ذلك نتبعك (أو بدله) بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة ونسقط ذكر الالهة وذم عبادتها فامر بان يحجب عن التبديل لانه داخل تحت قسرة الانسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة وأن يسقط ذكر الالهة بقوله (قل ما يكون لي) ما يحل لي (أن أبدله من تلقاء نفسي) من قبل نفسي (ان أتبع الا ما يوحى الي) لا أتبع الا وحى الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل لان الذي أثبت به من عند الله لا من عندي فأبدله (اني أخاف ان عصيت ربي) بالتبديل من عند نفسي (عذاب يوم عظيم) أي يوم القيامة وأما الانبياء بقرآن

الام الخالية لما كذبوا رسالهم كذلك نهلككم بها المشركون بتكذيبكم محمد صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم) الخطاب لاهل مكة الذين أرسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ثم جعلناكم بها الناس خلفاء في الارض من بعد القرون الماضية الذين اهلكناهم (لننظر كيف تعملون) يعني خيرا أو شرافتعلمكم على حسب أعمالكم والنظر هنا بمعنى العلم ريدلنختبر أعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل أن يكون قال أهل المعاني معنى النظر هو طلب العلم وما يكون منهم إيجاز بهم بحسبه كقوله تبارك للعدل لانه سبحانه وتعالى يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون من اجاز بهم بحسبه كقوله تبارك وتعالى ايبأولكم أيكم أحسن عملا ذكره الواحدى والرازى (م) عن أنى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا حاوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فانقوا الدنيا واحذروا فتنة النساء أخرجه مسلم قوله فانقوا الدنيا معناه احذروا فتنة النساء وافتنة النساء (وقوله سبحانه وتعالى) (واذا تلى عليهم آياتنا بينات) يعني وإذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتابنا الذى أنزلنا اليك يا محمد بينات بمعنى واضحات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك (قال الذين لا يرجون لقاءنا) يعني قال هؤلاء المشركون الذين لا يخافون عذابنا ولا يرجون ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان مشكرا للبعث فانه لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا (انت بقرآن غير هذا أو بدله) قال قتادة قال ذلك مشرك ومكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبيد الله بن أمية المخزومى والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمر بن عبد الله بن أبى قيس العامرى والعاص بن عاصم بن هشام قال هؤلاء للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد أن تؤمن بك فأت بقرآن غير هذا ليس فيه ترك عبادة الالات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزل الله عليك فقل أنت من عند نفسك أو بدله فاجعل مكان آية عذاب آية رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حلالا حراما قال الامام نغرا الدين الرازى اعلم أن اقدام الكفار على هذا الالتباس محتمل وجهين أحدهما أنهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء وهو قولهم لوجئنا بقرآن غير هذا القرآن أو بدله لآمنابك وغرضهم السخرية والاستهزاء الثانى أن يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجزئة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كان كاذبا في قوله ان هذا القرآن ينزل عليه من عند الله ومعنى قوله انت بقرآن غير هذا أو بدله محتمل أن يأتى بقرآن آخر مع وجود هذا القرآن والتبديل لا يكون الامع وجوده وهو أن يسدل بعض آياته بغيرها كما طلبوه ولما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يحجبهم بقوله (قل) أي قل يا محمد هؤلاء (ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي) يعني ان هذا الذى طلبتموه من التبديل ليس الى وما ينبتى لي أن أغیره من قبل نفسي ولم أمر به (ان أتبع الاما يوحى الي) معنى فيها أمركم به أو أمهاكم عنه وما أخبركم الا ما أخبرني الله به وان الذى أنبتكم به هو من عند الله لا من عندي (اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) أي قل يا محمد انى أخشى من الله ان خالفت أمره أو غيرت أحكام كتابه أو بدله فقصيته بذلك أن يعذبني بعذاب عظيم في يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت (وقل) أي قل يا محمد هؤلاء

(٣٩ - (خازن - ثانى) آخر فلا يقدر عليه الانسان وقد ظهر لهم العجز عنه الا أنهم كانوا لا يعرفون بالعجز ويقولون لو نشاء اقلنا مثل هذا ولا يحتمل أن يريدوا بقوله انت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحى لقوله انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وغرضهم في هذا الاقتراح الكيد ما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل فلا ختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلك الله فينجوا منه أو لا يهلكه فيسخر وامنه فيجعله أو التبديل فجعله وتصححوا لاقترانه على الله (قل)

(فقد الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم) شرهم وضلالهم (يعمهمون) يترددون ووجه اتصاله بما قبله ان قوله ولو يجعل الله متضمن معنى في التجبيل كانه قيل ولا تجبل لهم الشر ولا تقضي اليهم اجلهم فندرجهم في طغيانهم أى فتمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاماً بالحجة عليهم (واذا مس الانسان) (٣٠٤) أصابه والمراد به الكافر (الضر دعانا) أى دع الله لزالته (لجنبه) في موضع الحال بدليل عطف

سبحانه وتعالى (فقد الذين لا يرجون لقاءنا) يعنى فندع الذين لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت (في طغيانهم) يعنى في غردهم وعتوهم (يعمهمون) يعنى يترددون (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انى اتخذت عندك عهداً ان تخلفني فيه قائماً نابشراً أغضب كما يغضب البشر فأبجار جل من المسلمين سببته وألغته ووجدته فاجعاً له صالداً وزكاداً وقرية تهر به بها اليك يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيامة ﴿١﴾ قوله عز وجل (واذا مس الانسان الضر) أى الشدة والجهد والمراد بالانسان في هذه الآية الكافر (دعانا لجنبه) أى على جنبه مضطجعا (أوقاعداً أوقاعماً) يريد جمع حالانه لان الانسان لا ينفك عن إحدى هذه الحالات الثلاث والمعنى ان الضر لا يزال داعياً في جميع حالانه الى ان ينكشف ضره سواء كان مضطجعا أوقاعداً أوقاعماً وقال الزجاج وجاز أن يكون المعنى اذا مس الانسان الضر لجنبه أو مسه قاعداً أو مسه قائماً وهذا القول فيه بعد لان ذكر الدعاء الى هذه الأحوال أقرب من ذكر الضر (فلما كشفنا عنه ضره) يعنى فلما أزلنا عنه ما نزل به من الضر ودفعناه عنه (مر) يعنى على طريقته الاولى قبل مس الضر (كان لم يدعنا) فيه حذف تقدير وكأنه لم يدعنا وإنما أسقط الضمير على سبيل التخفيف (الى ضره) والمعنى انه استمر على حاله الاولى قبل أن يمس الضر ونسب ما كان فيه من الجهد والبلاء والضيق والفقر (كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) يعنى مثل ما زين لهذا الكافر هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين وازين هو الله سبحانه وتعالى لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف يشاء وقيل المزين هو الشيطان وذلك باقتداره اياه على ذلك والمسرف هو المجاوز الحد في كل شئ ونامسحى الكافر مسرفاً لانه أتلف نفسه وضيعها في عبادة الاصنام وأتلف ماله وضيعه في البحار والسواكب وما كانوا ينفقونه على الاصنام وسدتها في خدمتها وقال ابن جرير في قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعنى من الدعاء عند المصيبة وترك الشكر عند الرخاء وقيل كازين لكم أعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم وبيان مقصود الآية ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند حصول النعماء والرخاء فاذا مسه الضر أقبل على الدعاء والتضرع في جميع حالانه يجتهد في الدعاء طالباً من الله ازالة ما نزل به من المحنة والبلاء فاذا كشف الله ذلك عنه أعرض عن الشكر ورجع الى ما كان عليه أولاً وهذه حالة الغافل الضعيف اليقين فأما المؤمن العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابراً عند البلاء شاكراً لله عند الرخاء والنعماء كثير التضرع والدعاء في جميع أوقات الراحة والرفاهية وههنا مقام أعلى من هذا وهوان المؤمن اذا ابتلى ببلياة أوزل به مكروه يكون مع صبره على ذلك راضياً بقضاء الله غير معرض بالقلب عنه بل يكون شاكراً لله عز وجل في جميع أحواله وليه لم العبد المؤمن ان الله تبارك وتعالى مالك الملك على الاطلاق حكم في جميع أفعاله وله التصرف في خلقه بما يشاء ويعلم ان ان أبقاه على تلك المحنة فهو عدل وان أزالها عنه فهو فضل ﴿٢﴾ قوله سبحانه وتعالى (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) يعنى أهلكنا الامم الماضية من قبلكم بخوف بذلك كفار مكة (ما ظلموا) يعنى لما أشركوا (وجاءتهم رسالهم بالبينات) يعنى فكذبوهم (وما كانوا يؤمنوا) يعنى هذه الامم رسالهم وبصدقهم بما جاءوا به من عند الله (كذلك نجزي القوم المجرمين) يعنى كما أهلكنا

الحاليين أى (أوقاعداً أوقاعماً) عليه أى دعانا مضطجعا وقائداً ذكر هذه الأحوال ان الضر لا يزال داعياً لا يفترعن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالانه كلها كان مضطجعاً عاجزاً عن النهوض أوقاعداً لا يقدر على القيام أوقاعماً لا يطيق الشئ (فلما كشفنا عنه ضره) أزلنا ما به (مر) كأن لم يدعنا الى ضره أى مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسب حاله الجهد أو مر عن موقف الابتلاء والتضرع لا يرجع اليه كأنه لا عهد له به والاصل كأنه لم يدعنا تخفف وحذف ضمير الشأن (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين) للمجاوزين الحد في الكفر زين الشيطان بوسوسته (ما كانوا يعملون) من الاعراض عن الذكر واتباع الكفر (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) يا أهل مكة (ما ظلموا) أشركوا وهوظرف لاهلكوا والواو في (وجاءتهم رسالهم) للجهل أى ظلموا بالتكذيب

وقد جاءتهم رسالهم (البينات) بالمحجزات (وما كانوا يؤمنوا) ان بقوا ولم يهلكوا لان الله علم منهم أنهم بصرون الامم على كفرهم وهو عطف على ظلموا واعتراض واللام لتأكيد النفي يعنى ان السبب في اهلاككم تكذيبكم للرسول وعلم الله انه لا فائدة في افعالهم بعد ان أزموا الحجة ببينة الرسل (كذلك) مثل ذلك الجزاء يعنى الاهلاك (نجزي القوم المجرمين) وهو وعيد لاهل مكة على

(تجري من تحتهم الانهار) بيان الله وتفسيره اذ التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها أو يهد بهم في الآخرة بنور إيمانهم الى طريق الجنة ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له أنا عمالك (٣٠٣) فيكون له نوراً وقائداً الى الجنة والكافر

والكافر بالضد فلا يزال به عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانباري يجوز أن يكون المعنى ان الله عز وجل يهدى هداية مخصوصاً وطائفة بصائر ينور بها قلوبهم ويبرز بها الشكوك عنهم ويجوز أن يكون المعنى ويثبتهم على الهداية وقيل بمعناه يعلمهم يهدى بهم لهدى أي يتصدقهم هداهم (تجري من تحتهم الانهار) يعني بين أيديهم ينظرون اليها من أعلى أسرهم وقصورهم فيكون كقولهم سبحانه وتعالى قد جعل لك تحتك سريراً يرد به نعتها وهي قاعدة عليه بل أراد بين أيديهم وتجري بأمرهم (في جنات النعيم) يعني ذلك لهم في جنات النعيم (دعواهم فيها) أي قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوى بمعنى الدعاء أي دعاؤهم فيها (سبحانك اللهم) وهي كلمة تنزه لله تعالى من كل سوء وتقصية قال أهل التفسير هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والحمد في الطعام فإذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فيأتونهم في الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة سبعون ألف صحفة في كل صحفة لون من الطعام لا يشبه بعضه بعضاً فإذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم فذلك قوله تبارك وتعالى وآخروا دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقيل أن المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال أهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عز وجل والثناء عليه بما هو أهلوه وفي هذا الذكروا التعميد سرورهم وابتهاجهم وكمال لذتهم ويدل عليه ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أهل الجنة يأكلون فيهما ويشربون ولا يتفلقون ولا يلبسون ولا يتغوطون ولا يتبرأون يخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء وشرح كشرح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفي رواية التسبيح والحمد أخرجه مسلم قوله جشاء أي يخرج ذلك الطعام جشاء وعرفاً في قوله سبحانه وتعالى (وتحيتهم فيها سلام) يعني يحيي بعضهم بعضاً بالسلام وقيل تحييتهم باللائكة بالسلام وقيل تأنيثهم باللائكة من عند ربهم بالسلام (وآخروا دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) قد ذكرنا أن جعاعة من المفسرين حملوا التسبيح والتحميد على أحوال أهل الجنة بسبب المأكول والمشروب وانهم إذا اشتروا شيئاً قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشيء وإذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك وقال الزجاج أعلم الله أن أهل الجنة يتدنون بتعظيم الله وتنزههم بتحميدهم وشكره والثناء عليه وقيل انهم يفتحون كلامهم بالتسبيح ويختتمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر في الحديث في قوله سبحانه وتعالى (ولو يجعل الله للناس الشر) يعني ولو يجعل الله للناس اجابة دعائهم في الشر بما لهم فيه مضرة ومكرهه في نفس أو مال قال ابن عباس هذا في قول الرجل لاهله ولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وماله وأهله ولده بما يكره أن يستجاب له فيه (استجأهم بالخير) يعني كاستجأهم بالخير وكما يحبون أن يجعل لهم اجابة دعائهم بالخير (ألقى اليهم أجالهم) يعني لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعاً والتجليل تقديم الشيء قبل وقتها الاستجبال طاب المجله وقال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتجليل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة واعطاء السؤال يقولون أجابهم الله اذ ادعوه بالشر الذي يستجيبون به استجأهم بالخير للقى اليهم أجالهم يعني لفرغ من هلاكهم ولكن العز وجل يفضلهم لو كرهه يستجيب للداعي بالخير ولا يستجيب له في الشر وقيل ان هذه الآية نزالت في النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فعلى هذا يكون المعنى ولو يجعل الله للكافرين العذاب كما يجعل لهم خير الدنيا من المال والولد للرجل قضاء أجالهم وهلاكوا جميعاً ويدل على صحة هذا القول قوله

بالخير) أصله ولو يجعل الله للناس الشر تجيبه لهم الخير فوضع استجأهم بالخير موضع تجيبه لهم الخير اشعاراً بسرعة اجابته لهم والمراد أهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء أي ولو جعلناهم الشر الذي دعوا به كما يجعل لهم الخير وتجيبهم اليه (لقى اليهم أجالهم) لا ميتوا وأهلكوا للقى اليهم أجالهم شأى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل

(وقدره) وقدر القمر أى وقدر مسيره (منازل) أو وقدره ذات منازل كقوله والقمر قدرناه منازل (لتعلموا عدد السنين) أى عدد السنين والشهور فاحتكى بالسنين لاشتغالها على الشهور (والحساب) وحساب الآجال والمواعيت المقدرة بالسنين والشهور (ماخلق الله ذلك) المذكور (الا ملتبسا بالحق) (٣٠٢) الذى والحكمة الباقى لم يخلق عبثا (يفصل الآيات) مكى وبصرى وحفص

خص الشمس بالضياء لانها اقوى وأكمل من النور وخص القمر بالنور لانه أضعف من الضياء ولانها لوتساو بالم يعرف الليل من النهار فدل ذلك على أن الضياء المختص بالشمس أكل وأقوى من النور المختص بالقمر (وقدره منازل) قيل الضمير فى وقدره يرجع الى الشمس والقمر والمعنى قدرلها منازل أو قدر سيرهما منازل ليجاوزانها فى السير ولا يقصران عنها وانما وحد الضمير فى وقدره للإيجاز أو أكتفى بذكر أحد هما دون الآخر فهو كقوله سبحانه وتعالى والله رسوله أحمق أن يرضوه وقيل الضمير فى وقدره يرجع الى القمر وحده لان سير القمر فى المنازل أسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين وذلك لان الشهور المعتمدة فى الشرع مبنية على رؤية الأهلة والسنة المعتمدة فى الشرع هى السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهى الشربين والبطين والثرى والدران والقمعة والهنة والزراع والنثرة والطرف والجهة والزبرة والصرفة والعواء والسمك والغفر والزبانى والاكيل والقلب والشولة والتعائم والبلدة وسعد الذابج وسعد بلع وسعد السعد وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت فهذه منازل القمر وهى مقسومة على اثني عشر برجاً وهى الحمل والثور والجوزاء السرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت لكل برج منزلان وثلاث منازل وينزل القمر كل ليلة منزلاً منها الى انقضاء ثمانية وعشرين ليلة ثم يستتري لثنتين كان الشهر ثلاثين وان كان تسعاً وعشرين اختفى ليلة واحدة (لتعلموا عدد السنين) يعنى قدر هذه المنازل لتعلموا بها عدد السنين ووقت دخولها وانقضائها (والحساب) يعنى وتعلموا حساب الشهور والايام والساعات ونقصاتها وزادتها (ماخلق الله ذلك الا بالحق) يعنى للحق وظهر قدرته ودلائل وحدانيته لم يخلق ذلك باطلا ولا عبثا (يفصل الآيات لقوم يعلمون) يعنى بدين دلائل التوحيد بالبراهين القاطعة لقوم يستدلون بها على قدرة الله وحدانيته (ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون) تقدم تفسير هذه الآية فى نظائرها (ان الذين لا يرجون لقاءنا) يعنى لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فهم مكذبون بالثواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف فلان العرب فلان لا يرجون فلان بمعنى لا يخافونه وقوله سبحانه وتعالى ما لكم لا ترجون لله وقاراً ومنه قول أنى ذؤيب الهذلى إذا سمعته النحل لم يرحس بها أى لم يخفها والرجاء يكون بمعنى الطمع فيكون المعنى لا يطمعون فى ثوابنا (ورضوا بالحياة الدنيا) يعنى اختاروها وعملوا فى طلبها فهم راضون بزينتها الدنيا وزخرفها (واطمأننوا بها) يعنى وسكنوا اليها مطمئنين فيها وهذه الطمأنينة التى حصلت فى قلوب الكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها زالت عن قلوبهم والوجل والخوف فإذا سمعوا الأنداد والتخويف لم يصل ذلك الى قلوبهم (والذين هم عن آياتنا غافلون) قيل المراد بالآيات أدلة التوحيد وقال ابن عباس عن آياتنا يعنى عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن غافلون أى معرضون (أولئك ما أولاهم النار) بما كانوا يكسبون) يعنى من الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة وقوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) يعنى يهديهم ربهم الى الجنات لثوابهم بايمانهم وأعمالهم الصالحة وقال مجاهد يهديهم على الصراط الى الجنة فيجعل لهم نوراً يمشون به وقال قتادة بلغنا أن المؤمن إذا خرج من قبره يصوره له فى صورة حسنة فيقول له من أنت فيقول أنا عمك فيكون له نوراً وقائداً الى الجنة

و بالنور غيرهم (لقوم يعلمون) فينتفعون بالتأمل فيها (ان فى اختلاف الليل والنهار فى بحى كل واحد منهما خلف الآخر وفى اختلاف لونهما) وما خلق الله فى السموات والارض من الخلاق (آيات لقوم يتقون) خصهم بالذكر لانهم يحذرون الآخرة فيدعوهم الحذر الى النظر (ان الذين لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه أصلاً ولا يحطرونه ببالم لغفائهم عن التفطن للحقائق وألا يؤمنون حسن لقاءنا كما يؤله السعداء ولا يخافون سوء لقاءنا الذى يجب أن يخاف (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة وآثروا القليل الفانى على الكثير الباقي (واطمأننوا بها) وسكنوا فيها سكون من لا يرجع عنها فينشد بها وأملوا بعيداً (والذين هم عن آياتنا غافلون) لا يتفكرون فيها ولا وقف عليه لان خبران (أولئك ما أولاهم النار) فالتك مبتدأ وما أولاهم مبتدأ ثان

والناخبة والخلة خبر أولئك والباء (بما كانوا يكسبون) يتعلق بمحذوف دل عليه والكلام وهو جوزوا (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) يسددهم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك الطريق السديد المؤدى الى الثواب ولذا جعل



(عز يز عليه ما عنتم) شديدا عليه شاقا لكونه بضامنكم عنتمكم وإقاركم المكره فهو يخاف عليكم الوقوع في العذاب (حر يص عليكم) على إيمانكم (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) قيل ليجمع الله اسمين من أسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان تولوا) فان أعرضوا عن الإيمان بك وناصبوك (فقل حسبي الله) فاستعن بالله وفوض إليه أمورك فهو كافيك معرفتهم وناصرك عليهم (لااله الا هو عليه نوكت) فوضت أمري إليه (وهو رب العرش) هو أعظم خالق الله خلق مطافا لاهل السماء وقبلة للدعاء (العظيم) بالجبر وقرى بالرفع على نعت الرب جل وعز عن أي آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية (سورة بونس عليه السلام) مائة وتسع آيات مكية ولذا ما بعدها إلى سورة النور (بسم الله الرحمن الرحيم) (الر) ونحوه عمال جزوة على وأبو عمرو هو تعديده بالاحرف على طريق التعدي (تلك آيات الكتاب) إشارة إلى ما تضمنته السورة من آيات الكتاب والسورة

القرن الذي كنت منه (م) عن وأبلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريش من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ان قريشا جلسوا يتذاكرون أحسابهم بينهم فقالوا مالك كمثل نخلة في كدبة من الأرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خير فريقتهم وخير الفريقتين ثم تخير القبايل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا خرجه الترمذي وقيل ان قوله سبحانه وتعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عام فله على العموم أولى فيكون المعنى على هذا القول لقد جاءكم أيها الناس رسول من أنفسكم يعني من جنسكم بشر منكم اذ لو كان من الملائكة لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه وقوله سبحانه وتعالى (عز يز عليه ما عنتم) أي شديدا عليه عنتمكم يعني مكرهكم وقيل يشق عليه ضالككم (حر يص عليكم) يعني حر يص على إيمانكم وإيصال الخير اليكم وقال قتادة حر يص على هدايتكم وان هديكم الله (بالمؤمنين رؤف رحيم) يعني أنه صلى الله عليه وسلم رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين (ق) عن جابر بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا المسمى الذي يحو الله في الكفر وأنا الحامس الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله وفارحيا قال الحسن بن الفضل ليجمع الله سبحانه وتعالى لاحد من أنبيائه بين اسمين من أسمائه الا النبي صلى الله عليه وسلم فسماه وفارحيا وقال سبحانه وتعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم قوله سبحانه وتعالى (فان تولوا) يعني فان أعرض هؤلاء الكفار والمنافقون عن الإيمان بالله ورسوله وناصره للحرب (فقل حسبي الله) يعني بكفيني الله وينصري في عليكم (لااله الا هو عليه نوكت) يعني لا على غيره وبه وثقت (وهو رب العرش العظيم) انما خص سبحانه وتعالى العرش بالذكر لانه أعظم الخلق فدخل مادونه في الذكر فيكون المعنى فهو رب العرش العظيم فادونه وبكون خصه بالذكور تشريفه ليقال ببيت المقدس وعن أبي بن كعب أنه قال هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر القرآن نزولاً في رواية عنه قال أحدث القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر الآيتين والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة بونس عليه الصلاة والسلام﴾

نزلت بمكة الثلاث آيات وهي قوله سبحانه وتعالى فان كنت في شك عما أنزلنا اليك إلى آخر الثلاث آيات قاله ابن عباس وبه قال قتادة وفي رواية أخرى عن ابن عباس ان فيها من المدي قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الآية وقال مقاتل هي مكية الآيتين وهي قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته واليها تليها وهي مائة وتسع آيات وألف وثمانون كلمة وتسعة آلاف وتسعة وتسعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل (الر) قال ابن عباس والضحاك معناه أنا الله أرى وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه الرحمن حرف الرحمن مقطعة وبه قال سبعيد بن جبير وسالم بن عبد الله وقال قتادة الراسم من أسماء القرآن وقيل هي اسم للسورة وقد تقدم الكلام في معنى الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما فيه كفاية (تلك آيات الكتاب) المراد من لفظ تلك الإشارة إلى الآيات الموجودة في هذه السورة ويكون التقدير تلك الآيات هي آيات الكتاب وهو القرآن الذي أنزل الله اليك يا محمد وذلك ان الله عز وجل وعده أن ينزل عليه كتابا يمحوا الماء ولا تغير الدهور وقيل ان لفظه تلك للإشارة إلى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن والمعنى ان تلك الآيات هي آيات الكتاب الحكيم وفي قول آخر ان المراد بآيات الكتاب الكتب التي قبل



وجسهم) كفرا مضموما الى كفرهم (وماتوا وهم كافرون) هو اخبار عن اصرارهم عليه الى الموت (أو لا يرون) يعنى المنافقين وبالتاء حزة خطاب للمؤمنين (أنهم يقتنون) يتلون بالنحط والمرض وغيرهما (في كل عام مرة أو مرتين ثم لا توبون) عن نفاقهم (ولا هم يذكرون) لا يذكرون أو بالمجادمع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوبون بما يرون من دولة الاسلام ولا هم يذكرون بما يقع بهم من الاضطلام (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض) تغامروا بالعبور انكارا للوحى وسخرية به قائلين (هل يراكم من أحد) من المسلمين لتصرف قانا لانصر على استماعه وبقاينا الضحك فتخاف الانفضاح بينهم أو اذا ما أنزلت سورة في عيب المنافقين أشار بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ان قم من حضرته عليه السلام (ثم انصرفوا) عن حضرة النبي عليه السلام مخافة الفضيحة (صرف الله قلوبهم) عن فهم القرآن (بأنهم) بسبب انهم قوم لا يفقهون لا يشد برون حتى يفقهوا (لقد جاءكم رسول)

بسبب نزول القرآن كذلك تحصل الزيادة في الكفر وهو قوله سبحانه وتعالى (وأما الذين في قلوبهم مرض) أى شك ونفاق سمى الشك في الدين مرضا لانه فساد في القلب يحتاج الى علاج كالمرض في البدن اذا حصل يحتاج الى العلاج (فزادتهم) يعنى السورة من القرآن (رجسا الى رجسهم) يعنى كفرا الى كفرهم وذلك أنهم كلما نحدوا نزول سورة أو استنزلوها ازدادوا كفرا مع كفرهم الاول وسمى الكفر رجسا لانه اقبح الاشياء وأصل الرجس في اللغة الشئ المستقذر (وماتوا) يعنى هؤلاء المنافقين (وهم كافرون) يعنى وهم جاحدون لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال مجاهد في هذه الآية الايمان يزيد وينقص وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه ويقول تعالوا حتى نزيدا الايمان وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه ان الايمان يبدو لوعة بيضاء في القلب وكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو لوعة سوداء في القلب وكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله وأيم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لو جدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لو جدتموه أسود قوله سبحانه وتعالى (أولاً يرون) قرئ بالتاء على خطاب المؤمنين وقرئ بالياء على آخره عن المنافقين المذكورين في قوله في قلوبهم مرض (أنهم يقتنون) يعنى يتلون (في كل عام مرة أو مرتين) يعنى بالامراض والشدة اندو قيل بالقسط والجذب وقيل بالغز والجهاد وقيل انهم يقتضون بظاهر نفاقهم وقيل انهم ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون وقيل انهم ينقضون عهدهم في السنة مرة أو مرتين (ثم لا توبون) يعنى من النفاق ونقض العهد ولا يرجعون الى الله (ولا هم يذكرون) يعنى ولا يتعظون بما يرون من صدق وعده الله بالنصر والغفر للمسلمين (واذا ما أنزلت سورة) يعنى فيها عيب المنافقين وتوب يخفهم (نظر بعضهم الى بعض) يريدون بذلك الحرب يقول بعضهم لبعض اشارة (هل يراكم من أحد) يعنى هل أحد من المؤمنين يراكم ان قم من مجلسكم فان لم يره أحد خرجوا من المسجد وان علموا أن أحد يراهم من المؤمنين أقاموا لبثوا على تلك الحال (ثم انصرفوا) يعنى عن الايمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها ما يكرهون (صرف الله قلوبهم) يعنى عن الايمان وقال الزجاج أضلهم الله بحجارة أظلم على قلوبهم (بأنهم قوم لا يفقهون) يعنى لا يفقهون عن الله دينه ولا شئاً فيه نفهم قوله سبحانه وتعالى (لقد جاءكم رسول من أنفكم) هذا خطاب للعرب يعنى لقد جاءكم أيها العرب رسول من أنفكم تعرفون نسبه وحسبه وأنه من ولد اسمعيل بن ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شئ من ولادة الجاهلية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح هكذا ذكره الطبري وذكره البغوي بإسناد الثعالب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شئ ما ولدني الا نكاح كذا قال أهل الاسلام قال قتادة جعله الله من أنفسهم فلا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلماء في تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم يعنى من نضر هواز يبيعهاو يماثها فاما بيعة ومضر فيهم من ولد معد بن عدنان واليه تنسب قريش وهم ومنهم ما منسبه الى عرب اليمن وهم القحاطنة فان آمنه لها نسب في الانصار وان كانت من قريش والانصار أصلهم من عرب اليمن من ولد هظان بن سبأ فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله لقد جاءكم رسول من أنفكم كرم غيب العرب في نصره والايمان به فانه تم شرفهم بشرف وعزتهم بعزته وغفرهم بفخره وهو من عشيرتهم يعرفونه بالصدق والامانة والصيانة والعفاف وطهارة النسب والاخلاق الحميدة وقرأ ابن عباس والزهرى من أنفكم بفتح الفاء ومعناه انه من أشرفكم وأفضلكم (خ) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بنى آدم قريش فاقربوا حتى كنت من

(يأبها الذين آمنوا قاتلوا)  
 الذين يلوونكم) يقربون منكم  
 (من الكفار) القتال  
 واجب مع جميع الكفرة  
 قريتهم وبعيدهم ولكن  
 الاقرب فالاقرب اوجب  
 وقد حارب النبي صلى الله  
 عليه وسلم قومه ثم غيرهم  
 من عرب الحجاز ثم الشام  
 والشام اقرب الى المدينة  
 من العراق وغيره وهكذا  
 المفروض على أهل كل ناحية  
 ان يقاتلوا من ولهم  
 (وايجدوا فيكم غلظة)  
 شدة وعنف في القتال قبل  
 القتال (واعلموا أن الله  
 مع المتقين) بالنصرة والغلبة  
 (واذا ما نزلت سورة)  
 ماصلة مؤكدة (فإنهم)  
 فن المنافقين (من يقول)  
 بعضهم بعض (أيكم زانده)  
 هذه السورة (إيماناً)  
 انكاراً واستهزاء بالمؤمنين  
 وأيكم مرفوع بالاستهزاء  
 وقيل هو قول المؤمنين  
 للحن والتنبية (فاما)  
 الذين آمنوا فزادتهم إيماناً)  
 يقينا وثباتاً وأخشية أو  
 إيماناً بالسورة لانهم لم يكونوا  
 آمنوا بها تفصيلاً (وهم)  
 يستبشرون) يعدون  
 زيادة التكليف بشارة  
 الشرف

طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكره البغوي بغیر سند وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف بحكم الشرع  
 يجب عليه معرفة علمها مثل علم الزكاة اذ صار له مال يجب في مثله الزكاة وعلم أحكام الحج اذ اوجب عليه  
 وأما فرض الكفاية من الفقه فهو أن يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد ودرجة الفقه واذا أقعد أهل البلد عن تعامه  
 عصوا جميعاً واذا قام به من كل بلد واحد فعمل حتى يبلغ درجة القياس سقط الفرض عن الباقيين وعليهم تقليده  
 فيما يقع لهم من الحوادث عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي  
 على آدماءكم أخرجه الترمذي مع زيادة فيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك  
 طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً الى الجنة أخرجه الترمذي عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمر بن  
 العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة وأوسنة قائمة وأوفى  
 عادلة أخرجه أبو داود والآية المحكمة هي التي لا شبهة فيها ولا اختلاف في حكمها وما ليس بمسوخ والسنة  
 القائمة هي المستمرة الدائمة التي العمل بها متصل لا يترك والفريضة العادلة هي التي لا جور فيها ولا حيف في  
 امضاءها قال الفضل بن عياض عالم عامل معلم يدعى عظيمي ملكوت السموات وأخرجه الترمذي وموفقاً  
 وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه طلب العلم افضل من صلاة النافلة ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (يأبها  
 الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار) أمر باقتال الاقرب فالاقرب اليهم في الدار والنسب قال  
 ابن عباس مثل قرينة والنضير وغيره ونحوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا مكان الشام والشام  
 أقرب الى المدينة من العراق وقال بعضهم هم الديلم وقال ابن زيد كان الذين يلوونهم من الكفار العرب  
 فقاتلهم حتى فرغوا منهم فامر باقتال أهل الكتاب وجهادهم حتى يؤمنوا أو يعزلوا الجزية عن يد وتقل  
 عن بعض العلماء انه قال نزلت هذه الآية قبل الامر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا المشركين كافة  
 صارت ناسخة لقوله سبحانه وتعالى قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لوجه للنسخ  
 لانه سبحانه وتعالى لما أمرهم بقتال المشركين كافة أرشدهم الطريق الاصول الاصح وهو ان يبدؤوا بقتال  
 الاقرب فالاقرب حتى يصلوا الى الاعداء فلا يبدؤوا بهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لان  
 قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور ولهذا السبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً قومه ثم انتقل  
 منهم الى قتال سائر العرب ثم انتقل الى قتال أهل الكتاب وهم قرينة والنضير وخيبر وفدك ثم انتقل الى  
 غز الروم في الشام فكان فتح الشام في زمن الصحابة ثم انتقلوا الى العراق ثم بعد ذلك الى سائر الامصار  
 لانه اذا قاتل الاقرب تقوى بما ينال منهم من الغنائم على الاعداء ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (وايجدوا فيكم غلظة)  
 يعني شدة وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبر على جهادهم (واعلموا أن الله مع المتقين)  
 يعني بالعون والنصرة ﴿قوله عز وجل﴾ (واذا ما نزلت سورة فأنهم يقولون انهم يلوونكم من الكفار) يعني  
 واذا أنزل الله سورة من سور القرآن فن المنافقين من يقول يعني يقول بعضهم بعض (أيكم زانده) يعني  
 السورة إيماناً يعني تصديقاً وقيماً وانما يقول ذلك المنافقون استهزاء وقيل يقول ذلك المنافقون لبعض  
 المؤمنين فقال الله سبحانه وتعالى (فاما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) يعني تصديقاً وقيماً وقرء بمعن الله  
 ومعنى الزيادة ضم شيء الى آخر من جنسه معاه في صفته فالمؤمنون اذا قرءوا بنزل سورة من القرآن عن  
 تقوى واعتزفوا أنهم آمنوا عند الله عز وجل زادهم ذلك الاقرار والاعتراف إيماناً وقد تقدم بسط الكلام على  
 زيادة الإيمان في أول سورة الانفال (وهم يستبشرون) يعني أن المؤمنين يفرحون بنزل القرآن شيئاً  
 بعد شيء لانهم كانوا زدادوا إيماناً وذلك يوجب مزيد الواب في الآخرة وكما يحصل الزيادة في الإيمان

عذر ونقل هذه الأقوال كلها الطبري وأما نفس بر الآفة فيمكن أن يقال انها من بقية أحكام الجهاد ويمكن أن يقال انها كلام مبتدأ لاتعلق له بالجهاد فعلى الاحتمال الأول فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الغز ولم يتخلف عنه الامنافي أو صاحب عذر فلما بالغ الله في الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شيء من الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبعثها فلما قدم المدينة وبعث السرايا نفر المساهمون جميعا الى الغز وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فنزلت هذه الآية فيكون المعنى ما كان يبنى للمؤمنين ولا يجوز لهم أن ينفروا بكميتهم الى الجهاد وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يحب أن ينقسموا قسمين فطائفة يكونون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة ينفرون الى الجهاد لان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى انقسام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم اتعلم العلم والتفقه في الدين لان الاحكام والشرائع كانت تتجدد شيئا بعد شيئا فاللازمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظون ما نزل من الاحكام وما تجدد من الشرائع فاذا قدم الغزاة اخبروهم بذلك فيكون معنى الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة فولايئني فها انفر من كل فرقة منهم طائفة للجهاد وقعد طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا الى الجهاد اذ رجعوا اليهم من غزوهم لعلهم يحذرون يعني مخالفة أمر الله وأمر رسوله وهذا معنى قول قتادة وقيل ان التفقه صفة لطائفة النافرة قال الحسن ليتفقهوا في الدين وخرجوا بامرهم الله من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم اذ رجعوا اليهم ومعنى ذلك أن الفرقة النافرة اذا شاهدوا نصرا لله لهم على أعدائهم وأن الله ير يداءعلاء دينه وتقوية بنيه صلى الله عليه وسلم وان الفتنة القلبية قد غلبت جمعا كثيرا فاذا رجعوا من ذلك النفر الى قومهم من الكفار انذروهم بما شاهدوا من دلائل النصر والفتح والظفر لهم لعلهم يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق وأورد على هذا القول ان هذا النوع لا يعد تفقه في الدين ويمكن أن يجاب عنه بانهم اذا علموا أن الله هو ناصرهم ومقومهم على عدوهم كان ذلك زيادة في ايمانهم فيكون ذلك تفقه في الدين وأما الاحتمال الثاني وهو ان يقال ان هذه الآية كلام مبتدأ لاتعلق له بالجهاد وهو ما ذكرناه عن مجاهد ان ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البوادي فاصابوا ماعروفا ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجا فاقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية والمعنى هانفر من كل فرقة طائفة وقع دطايفة ليتفقهوا في الدين وبلغوا ذلك النافر ين لينفروا قومهم اذ رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يعني باس الله ونقمته اذا قالوا أمره وفي الآية دليل على أنه يجب أن يكون المقصود من العلم والتفقه دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصرط المستقيم فكل من تفقه وتعلم هذا القصد كان على المنهج القويم والصرط المستقيم ومن عدل عنه وتعلم العلم اطلب الدنيا كان من الاخرين أعمال الآية (ق) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من برد الله به خيرا يبقه في الدين وانما أنا قسمو بعلى الله ولم يزل أمر هذه الامة مستقبيا حتى تقوم الساعة وحتى يأتي أمر الله (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وعلم ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد أخرجه الترمذي وأصل الفقه في اللغة الفهم يقال فقه الرجل اذا فهم وفقه ففاهه اذا صار فقهيا وقيل الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم وفي الاصطلاح الفقه عبارة عن العلم باحكام الشرائع وأحكام الدين وذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة أحكام الطهارة وأحكام الصلاة والصوم فعلى كل مكاتب معرفة ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم

يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر اذا الجهاد بالحجاج أعظم أثر من الجهاد بالنصال والضمير في ليتفقهوا للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذروا الفرق الباقية قومهم النافرين اذ رجعوا اليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم وعلى الأول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه

على كل واحد جزء أحسن  
 عمل كان لهم فيلحق  
 مادونه به توفير الاجرهم  
 (وما كان المؤمنون  
 لينفروا كافة) اللام  
 لتأكيد النفي أي أن نفيرا  
 الكافة عن أوطانهم لطلب  
 العلم غير صحيح للأفضاء إلى  
 المفسدة (فلولا نفر) تخين  
 لم يكن نفيرا الكافة فلم انفر  
 (من كل فرقة منهم  
 طائفة) أي من كل جماعة  
 كثيرة جماعة قليلة منهم  
 يكفونهم النفير (ليتفقهوا  
 في الدين) ليتكفوا الفقه  
 فيه ويتجشعوا المشاق في  
 تحصيلها (ولينذروا قومهم)  
 وليجعلوا مرمى همهم  
 إلى التفقه وأنذروا قومهم  
 وأرشادهم (أذارجعوا  
 إليهم) دون الأغراض  
 الخبيثة من التصدر  
 والترؤس والتشبه بالطاعة  
 في المراكب واللباس  
 (لعلهم يحذرون) ما يجب  
 اجتنباه وقيل إن رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم كان  
 إذا بعث بعثا بعد غزوة  
 تبسوك بسد مأزلق في  
 المتخلفين من الآيات  
 الشداد استقى المؤمنون  
 عن آخرهم إلى النفير  
 وانقطعوا جميعا عن التفقه  
 في الدين فأمروا أن ينفر  
 من كل فرقة منهم طائفة إلى  
 الجهاد وبقي سائرهم

أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كام  
 يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئة يوم كان أوله لون دم ويحمر يحمر مسك والذي نفس محمد بيده لولا  
 أن أشق على المسلمين ما قدمت خلاف سريته تغزوني سبيل الله أبدأ ولكن لأجد سعة فاجلهم ولا يجدون  
 سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لو ددت أن أغزو في سبيل الله فاقتل ثم أغزو فاقتل ثم  
 أغزو فاقتل لفظ مسلم وللبخاري بمعناه (ق) عن أبي سعيد الخدري قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فقال أي الناس أفضل قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل في شعب من الشعاب  
 يعبد الله وفي رواية يتيقن الله ويدع الناس من شره (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال  
 من احتبس فرس في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شبعه ور به وروته وبوله في ميزانه يوم القيامة  
 يعني حسنات (خ) عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عديرت قدما عديت في سبيل الله  
 فتسمه النار (م) عن أبي مسعود الأنصاري البصري قال جاء رجل بناقه مخطومة إلى رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعة مائة كاهن مخطومة  
 عن خير من فانك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتقن نفقه في سبيل الله كتب الله له سبع مائة  
 ضف أخرج الترمذي والنسائي قوله سبحانه وتعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) الآية قال عكرمة  
 لما نزلت هذه الآية ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله قال ناس من  
 المنافقين هلك من تخلف فزلت هذه الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال ابن عباس أنها ليست  
 في الجهاد ولكن لماد عار رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنتين أجدبت بلادهم فكانت القبلة  
 منهم تقبل بأسرهما حتى يحلوا بالمدينة من الجهاد ويقبلوا بالسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم فازل الله عز وجل إلى الخبر بنبى صلى الله عليه وسلم أنهم ليسوا مؤمنين  
 فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عشارهم وحذر قومهم أن يفعلوا فعلهم أذارجعوا إليهم فذلك قوله  
 سبحانه وتعالى و لينذروا قومهم أذارجعوا إليهم وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه قال كان ينطق من كل  
 حي من العرب عصابة فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدون من أمر دينهم ويتفقهون في  
 دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ما تأمرنا أن نفعله وأخبرنا عما نقول أمشأنا إذا انطلقنا إليهم  
 فيأمرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله ويعتصمون إلى قومهم بالصلاة والازكاف كانوا إذا  
 أتوا قومهم نادوا أن من أسلم فهو مناو وينذرونهم حتى إن الرجل ليفارق أباه وأمه وكان رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم يخبرهم بما يحتاجون إليه من أمر الدين وأن ينذروا قومهم أذارجعوا إليهم ويدعوهم إلى الإسلام  
 وينذروهم النار ويشرهم بالجنة وقال مجاهد إن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوني  
 البوادي فاصابوا من الناس ممر وقا من الخطب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى  
 فقال الناس لهم ما نراكم إلا قد تركتم أصحابكم وجستموا فوجدوا في أنفسهم تحرجوا وأقبلوا من البادية كلهم  
 حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) يتتبعون  
 الخير وقعد طائفة (ليتفقهوا في الدين) ليسمعوا ما أنزل الله (ولينذروا قومهم) من الناس (أذارجعوا إليهم)  
 لعلهم يحذرون) وقال ابن عباس ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني عصابة يعني السرايا ولا يسرون إلا إذا نذر أذارجعت السرايا وقد  
 نزل في بعضهم قرآن تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا إن الله قد أنزل على نبيكم من  
 بعدكم قرآن وقد تعلمناه ففكت السرايا تعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم وتبع سرايا أخرى فذلك قوله  
 سبحانه وتعالى ليتفقهوا في الدين بقول ليتعلموا وما أنزل الله على نبيهم ويعلموا السرايا أذارجعت إليهم لعلهم

(ولا يرغبوا) ولأن يضنوا بانفسهم عن نفسه) عما يصيب نفسه أى لا يختاروا بقاء انفسهم على نفسه في الشدايد بل أمر وابلان يصحبوه في البأساء والضراء ولما بقوا انفسهم بين يديه في كل شدة (ذلك) انتهى عن التخلّف (بأنهم) بسبب أنهم (لا يصيبهم ظمأ) عطش (ولا نصب) تعب (ولا تخنعة) جماعة (في سبيل) (٢٩٤) الله في الجهاد (ولا يبطئون موطناً) ولا يدوسون مكاناً من أمانة الكفار يحرفون خطوهم وأخفاف رواحهم وأرجلهم (يقظال الكفار) يغضهم ويضيق صدورهم (ولا يبالون من عدوئنا) ولا يصيبون منهم إصابة يقتل أو سراً أو جرحاً أو كسراً وهزيمة (لا كتب لهم به عمل صالح) عن ابن عباس رضي الله عنهما لكل رعدة سبعون ألف حسنة يقال نال منها أوزاره ونقصه وهو عام في كل ما يسوهم وفيه دليل على أن من قصد خيراً كان سعيه فيه مشكوراً من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وعلى أن المدد يشارك الجيش في الغنيمة بعد انقضاء الحرب لأن وطء ديارهم بما يغنيهم وقد أسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابن عامر وقد قما بعد تقضى الحرب والموطئ امام صدر كالورد واما مكان فان كان مكاناً غني يغني الكفار يغنيهم وطؤه (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) أى أنهم يحسنون والله لا يبطل نوابهم (ولا ينفقون نفقة) في سبيل الله (صغيرة) ولو تمرة (ولا كبيرة) مثل ما أتفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة (ولا يقطعون وادياً) أى رضى في ذهابهم وبجيتهم وهو كل منفرد

رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يرغبوا) يعني ولأن يرغبوا (بانفسهم عن نفسه) يعني ليس لهم أن يكرهوا لانفسهم ما يختاروه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه لنفسه ولا يختاروا لانفسهم الخفض والدعة ويتركوا مصاحبة الجهاد معه في حال الشدة والخنعة وقال الحسن لا يرغبوا بانفسهم أن يصيبهم من الشدايد فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مشقة السفر ومقاساة التعب (ذلك) بأنهم لا يصيبهم في سفرهم وغزواتهم (ظماً) أى عطش (ولانصب) أى تعب (ولا تخنعة) يعني جماعة شديدة (في سبيل) الله ولا يبطئون موطناً يغني الكفار) يعني ولا يضعون قدماء على الأرض يكون ذلك القدم سبباً لغني الكفار ونعمهم وخزهم (ولا يبالون من عدوئنا) يعني أسراً أو قتلاً أو هزيمة أو غنيمة أو نحو ذلك قليلاً كان أو كثيراً (لا كتب لهم به عمل صالح) يعني لا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح قد ارتضاه لهم وقبله منهم (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعني ان الله سبحانه وتعالى لا يبدع محسناً من خلقه قد أحسن في عمله وأطاعه فيما أمره به وأنها عنه أن يجاز به على أحسانه وعمله الصالح وفي الآية دليل على أن من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كما أحسن ما مكتوب عند الله ومن قصد معصية الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كما سيأتى الآن بغفرها الله بفضلها وكرمه واختلاف الاعمال في حكم هذه الآية فقال قتادة هذا الحكم خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غفر انفسه لم يكن لأحد أن يتخلف عنه إلا بعذر فاما غيره من الأئمة والوالدة فيجوز لمن شاء من المؤمنين أن يتخلف عنه إذا لم يكن للمسلمين إليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الأوزاعي وابن المبارك وابن جابر وسعيد يقولون في هذه الآية أنها لا تهم هذه الأمة وآخرها فاعلى هذا تكون هذه الآية محكمة لا تنسخ وقال ابن زبده حين كان أهل الاسلام قليلاً فلما كثروا نسخها الله عز وجل وأباح التخلّف لمن شاء بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ونقل الواحدى عن عطية أنه قال وما كان لهم أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعاهم وأمرهم قال هذا هو الصحيح لأنه لا تنهين الطاعة والإجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا إذا أمر وكذا غيره من الأئمة والوالدة قالوا أئمة أو عبيد أو ناسوا أو غدا للمندوب أن يتقاعد ولم يخص بذلك بعض دون بعض لأدى ذلك إلى تعطيل الجهاد والله أعلم وقوله عز وجل (ولا ينفقون) يعني في سبيل الله (نفقة صغيرة ولا كبيرة) يعني تمرة فسادتها أو أكثر منها حتى علاقة سوط (ولا يقطعون وادياً) يعني ولا يجاوزون في مسيرهم وادياً قبلين أو مدبرين فيه (لا كتب لهم) يعني كتب الله لهم أنأرهم وخطاهم ونفقاتهم (ليجز بهم الله) يعني يجازيهم (أحسن ما كانوا يعملون) قال الواحدى معناه باحسن ما كانوا يعملون وقال الامام غفر الدين الرازى في وجهان الأول أن الحسن من صفة أفعالهم وفيها الواجب والمندوب والإباح فأنه سبحانه وتعالى يجزيهم على الحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والثاني أن الحسن صفة للجزاء أى يجزيهم جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل وهو الثواب وفي الآية دليل على فضل الجهاد وأنه من أحسن الأعمال لعباد (ق) عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها موضع سوط أحدكم من الجنة خيراً من الدنيا وما عليها والروحة بروحها العبد في سبيل الله والغدة خير من الدنيا وما عليها في رواية ومافها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله أن يخرج في سبيله لا يخرج في سبيلي وإيماناً بقدره بقا برسلى فهو على من أن

ما أتفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة (ولا يقطعون وادياً) أى رضى في ذهابهم وبجيتهم وهو كل منفرد بين جبال وأكام يكون منفذ الأسيل وهو في الأصل فاعل من ودى إذا سأل ومنه الودى وقد شاع في الاستعمال بمعنى الأرض (لا كتب لهم) من الانفاق وقطع الوادى (ليجز بهم الله) متعاقب يكتب أى أثبت في صحائفهم لأجل الجزاء (أحسن ما كانوا يعملون) أى يجزيهم

ادخله  
بين جبال وأكام يكون منفذ الأسيل وهو في الأصل فاعل من ودى إذا سأل ومنه الودى وقد شاع في الاستعمال بمعنى الأرض (لا كتب لهم) من الانفاق وقطع الوادى (ليجز بهم الله) متعاقب يكتب أى أثبت في صحائفهم لأجل الجزاء (أحسن ما كانوا يعملون) أى يجزيهم

(حتى اذا ضاقت عليهم

الارض بما رحبت)

برحبها أى مع سعتها

وهو مثل للحيرة في

أمرهم كأنهم لا يجدون

فيها مكانا يقرون فيه قلعا

وجزعا (ضاقت عليهم

أنفسهم) أى قلوبهم لا

يسعها أنس ولا سرور لانها

خرجت من فرط الوحشة

والغم (وظنوا أن لا ملجأ

من الله الا اليه) وعلموا

أن لا ملجأ من سخط الله

الا الى استغفاره (ثم تاب

عليهم) بعد خسين يوما

(ليتوبوا) ليكنونوا من

جلة التوابين (ان الله هو

التواب الرحيم) عن أبي

بكر الوراق أنه قال التوبة

النصح أن تضيق على

التائب الارض بما رحبت

وتضيق عليه نفسه كتوبة

هؤلاء الثلاثة (يا أيها الذين

آمنوا اتقوا الله وكونوا مع

الصادقين) في إيمانهم

دون المنافقين وأمع الذين

لم يتخلفوا أومع الذين

صدقوا في دين الله نية

وقولا وعملًا والآية تدل

على أن الاجماع حجة لانه

أمر بالكون مع الصادقين

فلزم قبول قولهم (ما كان

لاهل المدينة ومن حولهم

من الاعراب أن يتخلفوا

عن رسول الله) المراد

بهذا النبي انتهى رخص

هؤلاء بالذکر وان استوى

بهمالك غسان فاحرقها في التنور وسلع جبل بالمدينة معروف وقوله وانطلقت أنام بمعنى أقصد رسول  
الله صلى الله عليه وسلم والفوج الجماعة من الناس يقال برق وجهه اذا لمع وظهر عليه أمارات الفرح والسرور  
قوله انخلع من مالي أى اخرج منه جميعه وأصدق به ككتمان الخلع الانسان قيضه قوله ما علمت أحد من  
المسلمين أن يلا الله في صدق الحديث أحسن مما بالني البلاء والابتلاء يكون في الخير وفي الشر واذا أطلق  
كان في الشر غابا فاذا أبد به الخير قيد به كقيد هنا بقوله أحسن مما بالني أى أنهم على قولنا لا أن يكون  
كذبته هكذا هو في جميع روايات الحديث بز يادة لفظ لا قال بعض العلماء لفظه لازمة ومعناه أن أن يكون  
كذبته وقوله فاهلك هو بكسر اللام وار جاءه أمرنا ناخبره وقوله في الرواية الاخرى يحطكم الناس أى  
يطؤكم ويزدحجون عليكم وأصل الوطء الكسر وقوله سائر الليل يعني باقى الليل وقوله وآذن بتوبة الله  
علينا أى أعلم والأذان الاعلام والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) يعني  
بما اتسعت والرحب سعة المكان والمعنى أنه ضاق عليهم المكان بعد أن كان واسعاً (وضاقت عليهم أنفسهم)  
يعنى من شدة الغم والحزن ومجانبة الناس إياهم وترك كلامهم (وظنوا) يعنى وأيقنوا وعلموا (أن لا ملجأ)  
يعنى لا مفرغ ولا مفر (من الله الا اليه) ولا عاصم من عذابه الا هو (ثم تاب عليهم) فيه اضمار وحذف  
تقديره وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه فرحمهم ثم تاب عليهم وانما أحسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه  
وقوله ثم تاب عليهم تأ كيد لقبول توبتهم لانه قد كرتو بهم في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم  
بيان وأنه عطف على قوله أقصد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار أى وتاب الله على الثلاثة الذين  
خلفوا ﴿ وقوله تعالى ﴾ (ليتوبوا) معناه ان الله سبحانه وتعالى تاب عليهم في الماضي ليكون ذلك داعياً لهم  
الى التوبة في المستقبل فيرجعوا يداووا وعلموا وقيل ان أصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم  
أبرجعوا الى حالتهم الاولى يعنى الى عادتهم في الاختلاط بالناس ومكالمتهم فتسكن نفوسهم بذلك (ان الله هو  
التواب) يعنى على عباده (الرحيم) بهم وفيه دليل على أن قبول التوبة بمحض الرحمة والكرم والفضل  
والاحسان وأنه لا يجب على الله تعالى شيء ﴿ قوله عز وجل ﴾ (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) يعنى في مخالفة  
أمر الرسول صلى الله عليه وسلم (وكونوا مع الصادقين) يعنى مع من صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه  
في الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين من المنافقين الذين قعدوا في البيوت وتركوا الغزو وقال سعيد بن  
حبير مع الصادقين يعنى مع أبي بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت  
نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك بخلاص نية  
وقيل كونوا مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا وبالاعذار الباطلة الكاذبة وهذه الآية تدل  
على فضيلة الصدق لان الصدق يهدي الى الجنة والكذب الى الفجور كما ورد في الحديث وقال ابن مسعود  
الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولان بعد أحكم صاحبه شيأتم لا ينجزه أقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين  
وروى أن أبابكر الصديق احتج بهذه الآية على الانصار في يوم السقيفة وذلك أن الانصار قالوا أمنا أمير المؤمنين  
أمير فقال أبو بكر يا معشر الانصار ان الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه للفقراء المهاجرين الى قوله أولئك  
هم الصادقون من هم قالت الانصار أنتم هم فقال أبو بكر ان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله  
وكونوا مع الصادقين فأمركم أن تكونوا معنا ولم يأمرنا أن نكون معكم نحن الامراء ثم أتمم الوزراء وقيل  
مع معنى من والمعنى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (ما كان لاهل  
المدينة) يعنى لساكني المدينة من المهاجرين والانصار (ومن حولهم من الاعراب) يعنى سكان البوادي  
من مريضة وجعينة وأسلم وأشجع وغفار وقيل هو عام في كل الاعراب لان اللفظ عام وجهه على العموم أولى  
(أن يتخلفوا عن رسول الله) يعنى اذا غزا وهذا ظاهر خبره ومعناه النهي أى ليس لهم أن يتخلفوا عن

كل الناس في ذلك لقرهم منه ولا يخفى عليهم خروجه



ما تعدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا وانى لارجو أن يحفظنى الله فيما  
 بقى قال فانزل الله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة حتى  
 بلغ انهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله  
 وكونوا مع الصادقين قال كذب والله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد ان هدى الى الاسلام أعظم في نفسى  
 من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يكون كذبه فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل  
 قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لاحد فقال الله سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا اقلبتم  
 اليوم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم  
 لتعرضوا عنهم فان تعرضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كذب كذبنا فلما اتم الثلاث عن  
 أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله تعالى فيه فبذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا  
 وليس الذي ذكر مما خلفنا عن الغزوات ما هو تخليفه ايانا وارجأه أمرنا بمن حلف له وانذاره اليه فقبل  
 منه وفي رواية ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامى وكلام صاحبي ولم ينب عن كلام أحد من المتخلفين  
 غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبث كذلك حتى طال على الامر فممن شئى أهم الي من أن أموت فلا  
 يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكون من الناس بتلك الميزة فلا  
 يكلمنى أحد منهم ولا يصلى على ولا يصلى على قال وأزل الله عز وجل تو بقنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين  
 بقى الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة وكانت أم سلمة محسنة في شأني  
 معتقة بامرئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأم سلمة تيب على كعب بن مالك قالت أفلا أرسل اليه  
 فابشره قال اذا اعطكم الناس فيم تعونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 صلاة الفجر أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا أخرجه البخاري ومسلم بشرع غريب هذا  
 الحديث قوله حين توافقنا على الاسلام التوافق تفاعل من الميثاق وهو العهد والراحة الجبل أو الناقة  
 القويان على الجمل والسرقر وقوله وري بغيرها يقال وري عن الشيء اذا أخفاه وأظهر غيره والمناقة البرية  
 الفقراء سميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة منها قوله بخلافه بالتخفيف يعنى كشف لهم مقصدهم وأظهره  
 لهم والاهية الجاهل وما يحتاج اليه المسافر قوله فاننا أصعروا بالعين المهملة أى أميل والصعر الميل قوله  
 وتفرط الغزوى تباعد ما بينى وبين الجيش من المسافة وطفق مثل جعله والمغموص المعيب المشار اليه  
 بالعين يقال فلان ينظر في عطفه اذا كان معجبا بنفسه ويقال زال به السراب يزول اذا ظهر شخص الانسان  
 خيالا فيه من بعد السراب هو ما يظهر للانسان في البرية في وقت الهاجرة كانه ماء والميض بكسر اليا  
 لا بس البياض قوله كن أباحيثة معناه أنت أبوحشيمة وقيل معناه اللهم اجعله أباحيثة أى لتوجد بابهذا  
 الشخص اباحيثة حقيقة قوله الذى لزمه المناقون يعنى عابوه واحتقروه والعاقل الراجع من سفره الى  
 وطنه قوله حضرني بنى البث أشد الحزن كانه لشدة بظهر قوله زاح عنى الباطل أى زال وذهب عنى  
 وأجعت صدقه أى عزمت عليه لقد أعطيت جد لاى فصاحة وقوة في الكلام بحيث أخرج عن عهدة  
 ما أردت بمأشاء من الكلام والمغضب بفتح الضاد وهو الغضبان قوله فجاز الواو بنوتى أى بلوموتى أشد  
 اللوم قوله حتى تنكرت لى في نفسى الارض فهاهى بالارض التى أعرف معناه تغير على كل شئ من الارض  
 وتوحشت على وصارت كأنها أرض لا أعرفها وقوله فاما صاحبائى فاستسكنا بعتى خضعا وسكنا قوله وتسورت  
 حائط أى فتادة أى علوته وصعدت سورة وهو أعلاه والانباط الفلاحون والزراعون وهم من البهم والروم  
 والاضيعه فعلة من الضياع والاطراح قوله فتممت بها التنوير فسجرت به أى فقصدت بالصحيحة الى أن أرسل



القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكمنني أحد وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلى قر يمامته وأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلى وإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طأطأ على ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عبي وأحب الناس إلى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت يا أبا قتادة أشدك بالله هل تعلم أني أحب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناديته فسكت فعدت فناديته فقال الله ورسوله أعلم ففاصت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار فبينما أنا مشى في سوق المدينة إذا بنطى من نبط أهل الشام من قدم بالطعام يبيعه بالدينرة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطقت الناس يشيرون له إلى حتى جاءني فودعني إلى كعب بن مالك غسان وكنت كاتباً فقرأته فإذا هي أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بداره وان لا مضيقه فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأتها وهندما أضمن البلاء فتميمت به التور فسجرت به حتى إذا مضت أربعون من الحسين واستلبت الوحى وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن أعتزل امرأتك قال فقلت أطلقة أم ماذا أفعل قال لا بل اعتزليها لاتقر بها قال وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك قال فقلت لا امرأتى الحق باهلك فكفوني عندهم حتى يقضى الله في هذا الامر قال فجاءت امرأته هلال بن أمية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقر بنك فقالت انه والله ما به حركة إلى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا قال فقال لي بعض أهلى لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد أذن لأمري أهلال بن أمية أن نخدمه قال فقالت لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدري ما يقول لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته فيها وأرسل شاب قال فلبت بذلك عشر ليال فكم لي لناخون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فيبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل عن أقد ضاقت على نفسي وضافت على الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على مبلغ يقول يا على صوته يا كعب بن مالك أبشر قال غفرت ساجدا وعرفت أنه قد جاء فرج قال وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بقوله الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل إلى فرس واسمى ساع من أسلم قبلى وأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبي فكسوتهما إياه يبشرنى والله ما أملك غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أنا ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجافوا جباهي ثوبي بالتوبة يقولون إيمانك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام إلى طلحة بن عبيد الله وهو رجل حتى صاحني وهناني والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا يسهل الطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أم عندك يا رسول الله أم من عند الله فقال لا بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سار استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قرأ قال وكان عرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتي أن أنزع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عاكب بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فاني أمسك سهمي الذي بخير قال وقالت يا رسول الله ان الله انما أنجاني بالصدق وان من توبتي أن لا أحدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت ان أحد من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما بلاني الله والله

الغزوة والله ما جئت قبلها را حلتين قط حتى جئت ما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 يريد غزوة الا يرى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فزارها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حوشه ويدواستقبل  
 سفره بعيدا ومقارواستقبل عدوا كثيرا لاجل المسلمين امرهم ليتأهبوا أهبة غزورهم فآخبرهم بوجههم  
 الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ولا يجمعهم كتاب حافظ ير يدلك الديوان  
 قال كعب فقل رجل يريد أن يتغيب الاظن أن ذلك سيخفي له ما لم ينزل فيه وحى من الله عز وجل وغزا رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فابا إليها أصغر قبحه رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم والمسلمون معه فطفقت أغدوا لكي أتجهمز معهم فارجع ولم أقض شيئا فأقول في نفسي أنا قادر على  
 ذلك اذا أردت فليزل ينأى بي حتى استمر بالناس الجند فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا  
 والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئا ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا فزل ذلك ينأى بي حتى أسرعوا  
 ونفارت الغزوة فهممت أن أرغل فادركهم فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت اذا خرجت في الناس  
 بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم عزني أني لأرى لي أسوة الرجال مغمو صاعليه في الذنوب ورجلا  
 من عنده من الضعفاء ولم يدكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ نبوك فقال وهو جالس في القوم  
 بنبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبه برداه والنظر في عطفه فقال له معاذ  
 ابن جبل بش ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خبرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبينها  
 كذلك رأي رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن بأخيصة فاذا هو بأخيصة  
 الانصارى وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لزم المنافقون قال كعب فاما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم قد توجه قافلا من نبوك حضري في طفقت أتذكر الكذب وأقول ثم أخرج من مسخه غدا واستعنت  
 على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اظل قادمنا ح عنى الباطل  
 حتى عرفنا ان ان أنجونه بشئ أبدا فاجعت صدقه فاصح رسول الله صلى الله عليه وسلم قداما وكان اذا قدم  
 من سفره بدا بالسجدة فرك فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه  
 ويخلفون له وكانوا بضعة وعثمانين رجلا فقبل منهم علانيتهم ويايعهم واستغفر لهم وكل سرائرهم الى الله  
 عز وجل حتى جئت فلما سمعت تبسم بدمع الغضب ثم قال لي تعال جئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال ما  
 خلفك ألم تكن قد ابعت ظهرك قال قلت يا رسول الله اني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لأيت أني  
 سأخرج من مسخطة بعد ان قد أعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت انني حدثك اليوم حديث كذب  
 ترضى به عني لبوشكن الله ان يسخطك على ولئن حدثت حديث صدق تجدني في ما لي لارجو فيه عقي  
 الله وفي رواية عفو الله عز وجل والله ما كان لي عند الله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك  
 قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك فقم وتار رجال من بني  
 سلمة فأتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك أن ذنبك قد قبل هذا القدر عجزت أن لا تكون اعتذرت الى رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك  
 قال فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فا كذب نفسي قال ثم قلت  
 لهم هل لي هذا أحد مني قالوا نعم معك رجلا قال لا ثم ما قلت وقيل لهم امثل وقيل لك قلت من هما قالوا  
 صرارة بن الربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي قال قد كروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدر فاسفهما أسوة  
 قال غضبت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا بها الثلاثة من بين  
 من تخلف عنه قال فاجتنبنا الاسأ وقال تعيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الارض غاهي الارض اني  
 أعرف قلبنا على ذلك حين ليلة فاما صاحبى فاستكنا وقعدا في بيوتهما يبكيان وأما ما كنت أشب

العسرة والجيش الذي سار فيه يسمى جيش العسرة لانه كان عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء قال الحسن  
كان العسرة منهم مخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم برك الرجل ساعة ثم ينزل فيرك صاحبه كذلك  
وكان زادهم القراموس والشعر المتغير وكان النفر منهم مخرجون ومامعهم الاغترات البسيرة بينهم فاذا  
بلغ الجوع من أحدهم أخذ القمرة فلاكلها حتى يحدط معهام ثم يخرجها من فيه ويعطيا صاحبه ثم يشرب عليها  
جوعته من الماء يفعل صاحبه كذلك حتى تأتي على آخرهم ولا يبقى من القمرة الا النواة فوضاع النبي صلى الله  
عليه وسلم على صدقهم ويقينهم رضي الله عنهم وقال عمر بن الخطاب خذنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لى تبوك في قبط شديد فزنا من لاصا بنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستقطع وحتى ان الرجل ليخسر  
بعيره فيعصر فرقه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى  
يظن ان رقبته ستقطع فقال أبو بكر الصديق يا رسول الله ان الله عز وجل قد وعدك في الدعاء خيرا فادع الله  
قال أنحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجع حتى أرسل الله سبحانه فطرت فلوأ ما معهم من  
الاوعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجد بها جاوزت العسكرة أسندها الطبري عن عمر رضي الله عنه قوله تعالى (من بعد ما كاد تزيغ  
قلوب فريق منهم) يعني من بعد ما قارب أن تميل قلوب بعضهم عن الحق من أجل المشقة والشدة التي نالتهم  
والزيف في اللغة الميل وقيل هم بعضهم أن يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التي نالتهم  
لكنتهم صبروا واحتسبوا وندموا على ما خطر في قلوبهم فجلاجل ذلك قال تعالى (ثم تاب عليهم) يعني انه  
سبحانه وتعالى علم اخلاص نيتهم وصدق نوبتهم فرزقهم الابابة والتوبة فان قلت قد ذكر التوبة أولا ثم  
ذكرها ثانيا فافائدة التكرار ارفلت انه سبحانه وتعالى ذكر التوبة أولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطريبا  
لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك وأردفه بذكر التوبة مرة أخرى تعظيما لشأنهم وليعلموا أنه سبحانه وتعالى  
قد قبل نوبتهم وعفا عنهم ثم اتبعه بقوله (انه بهم رؤوف رحيم) تأكيد لذلك ومعنى الرؤوف في صفة الله  
تعالى أنه الرقيق بعباده لانه لم يحملهم بالملاطيقون من العبادات وبين الرؤوف والرحيم فرق لطيف وان  
تقاربا في المعنى قال الخطابي قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولا تمكاد الرأفة تكون مع الكراهة  
قوله سبحانه وتعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) هذا معطوف على ما قبله تقديره اقد تاب الله على  
النبي والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا فائدة هذا العطف بيان قبول نوبتهم وهم كعب بن  
مالك وهلال بن أمية ومرة بن الربيع وكلهم من الانصار وهم المرادون بقوله سبحانه وتعالى وآخرون  
مخرجون لامر الله ومعنى خلفوا قولان أحدهما أنهم خلفوا عن توبة أبي لباية وأصحابه وذلك انهم لم  
يخضعوا كما خضع أبو لباية وأصحابه فتاب الله على أبي لباية وأصحابه وأخر أمر هؤلاء الثلاثة مدة ثم تاب  
عليهم بعد ذلك والقول الثاني أنهم خلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فيها وما جدت توبة كعب بن مالك وصاحبه فقد روى عن ابن شهاب الزهري قال أخبرني عبد الرحمن بن  
عبد الله بن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب وكان قائد كعب بن بنيه حين عصى قال وكان أعلم قومه  
وأوعاهم لاحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت كعب بن مالك بن عبد الله بن مالك بن كعب  
يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال لم تخلف عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها فظن اني قد غزوة تبوك غير أني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدا  
تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون غير قريش حتى جمع الله بينهم  
وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواقنا على  
الاسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدروان كانت بدرأذ كفي الناس منها وكان من خبري حين تخلفت  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر من حين تخلفت عنه في تلك

به أتم في هذه الحالة؛ يضاهي وقوله سبحانه وتعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد أذهبهم) يعني وما كان الله ليقتضى عليكم بالضلال بسبب استغفاركم لموتكم المشركين بعد أن رزقكم الهداية وفقكم للإيمان به ورسوله وذلك أنه لما منع المؤمنين من الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل النزع خافوا ما صدر منهم فاعلمهم أن ذلك ليس بضائرهم (حتى يبين لهم ما يتقون) يعني ما يتوبون وما يدرون وهو أن يقدم اليهم النهي عن ذلك الفعل فاما قبل النهي فلا حرج عليهم في فعله وقيل إن جماعة من المسلمين كانوا قد امنوا قبل النهي عن الاستغفار للمشركين فلما منعوا من ذلك وقع في قلوب المؤمنين خوف على من مات على ذلك فأنزل الله عز وجل هذه الآية وبين أنه لا يؤاخذهم بعمل الأبعد أن يبين لهم ما يجب عليهم أن يتقوه ويتركوه وقال مجاهد بيان الله للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وبيانهم في معصيته وطاعته عامة وقال الضحاك وما كان الله ليُعذب قوما حتى يبين لهم ما يتوبون وما يدرون وقال مقاتل والسكبي هذا في أمر المنسوخ وذلك أن قوما قد مواعى النبي صلى الله عليه وسلم وأسأله ما قبل تحريم الخمر وصرف القبلة إلى السكبة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك إلى المدينة فوجدوا الخمر قد حُرمت والقبلة قد صرفت إلى السكبة فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فخن على ضلال فأنزل الله عز وجل وما كان الله ليضل قوما بعد أذهبهم يعني وما كان الله ليبطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين الناسخ (إن الله بكل شيء عليم) يعني أنه سبحانه وتعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عند ما نهاكم عن الاستغفار للمشركين ويعلم ما بينكم منكم من أوامره ونواهيه (إن الله له ملك السموات والأرض) يعني أنه سبحانه وتعالى هو القادر على ملك السموات والأرض وما فيها عبيده وملكه بحكم فهم بياضه (يحي ويميت) يعني أنه تعالى يحيي من يشاء على الإيمان ويعتبه عليه ويحيي من يشاء على الكفر ويعتبه عليه لاعتراض واحد عليه في حكمه وعبيده (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) يعني أنه تعالى هو وليكم وناصركم ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم وينصركم عليهم ﴿قوله عز وجل﴾ (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار) الآية تاب الله بمعنى تجاوز وصفه عن النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار ومعنى توبه على النبي صلى الله عليه وسلم عدم مؤاخذته بآذنه للمنافقين بالتخلف في غزوة تبوك وهو كقوله سبحانه وتعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم فهو من باب ترك الأفضل لأنه ذنب يوجب عقابا وقال أصحاب الماعاني هو مفتاح كلام للتبرك كقوله سبحانه وتعالى فإن لله خمسة ومعنى هذا أن ذكر النبي بالتوبة عليه نشر يفي للمهاجرين والأنصار في ضم توبتهم إلى توبه النبي صلى الله عليه وسلم كإضمار اسم الرسول إلى اسم الله في قوله فإن لله خمسة والرسول فهو نشر يفي له وأما معنى توبه الله على المهاجرين والأنصار فلاجل ما وقع في قلوبهم من الميل إلى القعود عن غزوة تبوك لأنها كانت في وقت شديد ووقع في قلوب بعضهم أن لا تقدر على قتال الروم وكفنا بالاخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع في قلوبهم من هذا الخواطر والوساوس النفسانية وقيل إن الإنسان لا يتجمل من زلات وتبعات في مدة عمره أمان باب المغفار وأما من باب ترك الأفضل ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتابعه وصبروا على تلك الشدائد العظيمة التي حصلت لهم في ذلك السفر غفر الله لهم وتاب عليهم لاجل ما تحملوا من الشدائد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وأما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذكرهم تنبيه على عظم أمر اتبعهم في الدين وأنهم قد باغوا إلى الرتبة التي لاجلها ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ذكرهم (الذين اتبعوه) في تلك الغزوة من المهاجرين والأنصار وقد ذكر بعض العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم سار إلى تبوك في سبعين ألفا ما بين راكب وما مش من المهاجرين والأنصار وغيرهم من سائر القبائل (في ساعة العسرة) يعني في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة

(وما كان الله ليضل قوما بعد أذهبهم حتى يبين لهم ما يتقون) أي ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما تنهى عنه و بين أنه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للإسلام ولا يتخذهم إلا إذا أقدموا عليه بعد بيان حفظه وعلمهم بأنه واجب الاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين والمراد بما يتقون ما يجب اتقائه للنهي فاما ما يعلم بالهقل فغير موقوف على التوقيف (إن الله بكل شيء عليم) إن الله ملك السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لقد تاب الله على النبي) أي تاب عليه بآذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك (والمهاجرين والأنصار) فيه بحث للمؤمنين على التوبة وأنه مامن مؤمن الا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار (الذين اتبعوه في ساعة العسرة) في غزوة تبوك ومعناه في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق وكانوا في

الآية ما كان ينبغي للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وليس لهم ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لا يغفر للمشركين ولا يجوز أن يطلب منه ما لا يفعله فيه النهي عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولى قربى لأن النهي عن الاستغفار للمشركين عام فيستوى فيه القريب والبعيد ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع فقال تعالى (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) يعني تبين لهم أنهم ما توا على الشرك فهم من أصحاب الجحيم وأيضا فقد قال تبارك وتعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به والله تعالى لا يخلف وعده ﴿مَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ)﴾ فعناه وما كان طالب إبراهيم لأبيه المغفرة من الله الآمن أجل موعدة وعدها إبراهيم إياه أن يستغفر له رجاء أسلامه قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما أنزل الله خبرا عن إبراهيم أنه قال سلام عليك سأستغفر لك ر في سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت أنتستغفر لآبائك وهما مشركان فقال أولم يستغفر إبراهيم لأبيه فآبى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فأنزل الله عز وجل فذكرت لكم أسوة حسنة في إبراهيم إلى قوله لا أقول إبراهيم لأبيه لا يستغفرن لك يعني أن إبراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار لأنه إنما استغفر لأبيه وهو مشرك لمكان الموعد الذي وعده أن يسلم (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) فعلى هذا الهاء في آية رابعة إلى إبراهيم والوعد كان من أبيه وذلك أن أباه إبراهيم وعده إبراهيم أن يسلم فقال إبراهيم سأستغفر لك ر في يعني إذا أسألت وقيل إن الهاء رابعة إلى الأب وذلك أن إبراهيم وعده أباه أن يستغفر له رجاء أسلامه ويؤكد هذا قوله سأستغفر لك ر في ويدل عليه أيضا قراءة الحسن وعدها أباه بالياء الموحدة فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه يعني فلما ظهر لإبراهيم وبأنه إن أباه عدو لله يعني بموته على الكفر تبرأ منه عند ذلك وقيل يحتمل أن الله سبحانه وتعالى أوصى إلى إبراهيم أن أباه عدو لله فتابرأ منه وقيل لما تبين له في الآخرة أنه عدو لله تبرأ منه ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يابقي إبراهيم عليه السلام أباه ز ر يوم القيامة وعلى وجه آخر رقة وغبرة فيقول إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني فيقول أبوه فاليوم لأعصيك فيقول إبراهيم يارب أنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فأخزيتني فأي أخزيتني من أي فيقول الله تبارك وتعالى في حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا إبراهيم ما تحترجك فيك فينظر فإذا هو نذج متلخخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار أخرجه البخاري زاد غيره فتابرأ منه والفترة غيره يعاوهاسا واد التبرج نذال محجمة ثم ياه مشاة من تحت ثم خاء محجمة هو ذكر الضباع والاني ذبحته ﴿وقوله تبارك وتعالى (إن إبراهيم لأواه حليم)﴾ جاء في الحديث أن الأواه الخاشع المتضرع وقال ابن مسعود الأواه الكثير الدعاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو المؤمن التواب وقال الحسن وقتادة الأواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الأواه الموقن وقال كعب الأحبار هو الذي يكثر التأوه وكان إبراهيم صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول أبوه من النار قبل أن لا ينفع أبوه وقال عقبة بن عامر الأواه الكثير الذي كرهه عز وجل وقال سعيد بن جبيرة هو المسبح وعنه أنه العلم الأخير وقال عطاء هو الراجع عما يكره الله الخائف من النار وقال أبو عبيدة هو المتأوه شقفا ور قال المتضرع أيقانا ولزوما للطاعة وقال الزجاج انظم في قول أبي عبيدة جميع ما قيل في الأواه وأصله من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوت تنفس الصعداء والفعل منه أبوه وهو قول الرجل غلبته خوفه وحزنه أبوه والسبب فيه أن عند الحزن تحمي الروح داخل القلب ويستدسها فالإنسان يخرج ذلك النفس المحترق في القلب ليخف بعض ما به من الحزن والشدة وأما الحليم فعناه ظاهر وهو الصفوح عمن سببه أو تأبه بكمه ثم يقابله بالاحسان والالطف كما فعل إبراهيم بأبيه حين قال له إن لم تنته لأرجنك فأجاب إبراهيم بقوله سلام عليك سأستغفر لك ر في وقال ابن عباس الحليم السيد وإنما وصف الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بهذين الوصفين وهما الشدة الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباد الله أي بين سبحانه وتعالى أنه مع هذه الصفات الجميلة الحسنة تبرأ من أبيه لما ظهر له أصرارهم على الكفر فاقتدوا

وحكمته (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع فقال تعالى (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) يعني تبين لهم أنهم ما توا على الشرك فهم من أصحاب الجحيم وأيضا فقد قال تبارك وتعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به والله تعالى لا يخلف وعده ﴿مَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ)﴾ فعناه وما كان طالب إبراهيم لأبيه المغفرة من الله الآمن أجل موعدة وعدها إبراهيم إياه أن يستغفر له رجاء أسلامه قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما أنزل الله خبرا عن إبراهيم أنه قال سلام عليك سأستغفر لك ر في سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت أنتستغفر لآبائك وهما مشركان فقال أولم يستغفر إبراهيم لأبيه فآبى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فأنزل الله عز وجل فذكرت لكم أسوة حسنة في إبراهيم إلى قوله لا أقول إبراهيم لأبيه لا يستغفرن لك يعني أن إبراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار لأنه إنما استغفر لأبيه وهو مشرك لمكان الموعد الذي وعده أن يسلم (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) فعلى هذا الهاء في آية رابعة إلى إبراهيم والوعد كان من أبيه وذلك أن أباه إبراهيم وعده إبراهيم أن يسلم فقال إبراهيم سأستغفر لك ر في يعني إذا أسألت وقيل إن الهاء رابعة إلى الأب وذلك أن إبراهيم وعده أباه أن يستغفر له رجاء أسلامه ويؤكد هذا قوله سأستغفر لك ر في ويدل عليه أيضا قراءة الحسن وعدها أباه بالياء الموحدة فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه يعني فلما ظهر لإبراهيم وبأنه إن أباه عدو لله يعني بموته على الكفر تبرأ منه عند ذلك وقيل يحتمل أن الله سبحانه وتعالى أوصى إلى إبراهيم أن أباه عدو لله فتابرأ منه وقيل لما تبين له في الآخرة أنه عدو لله تبرأ منه ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يابقي إبراهيم عليه السلام أباه ز ر يوم القيامة وعلى وجه آخر رقة وغبرة فيقول إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني فيقول أبوه فاليوم لأعصيك فيقول إبراهيم يارب أنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فأخزيتني فأي أخزيتني من أي فيقول الله تبارك وتعالى في حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا إبراهيم ما تحترجك فيك فينظر فإذا هو نذج متلخخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار أخرجه البخاري زاد غيره فتابرأ منه والفترة غيره يعاوهاسا واد التبرج نذال محجمة ثم ياه مشاة من تحت ثم خاء محجمة هو ذكر الضباع والاني ذبحته ﴿وقوله تبارك وتعالى (إن إبراهيم لأواه حليم)﴾ جاء في الحديث أن الأواه الخاشع المتضرع وقال ابن مسعود الأواه الكثير الدعاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو المؤمن التواب وقال الحسن وقتادة الأواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الأواه الموقن وقال كعب الأحبار هو الذي يكثر التأوه وكان إبراهيم صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول أبوه من النار قبل أن لا ينفع أبوه وقال عقبة بن عامر الأواه الكثير الذي كرهه عز وجل وقال سعيد بن جبيرة هو المسبح وعنه أنه العلم الأخير وقال عطاء هو الراجع عما يكره الله الخائف من النار وقال أبو عبيدة هو المتأوه شقفا ور قال المتضرع أيقانا ولزوما للطاعة وقال الزجاج انظم في قول أبي عبيدة جميع ما قيل في الأواه وأصله من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوت تنفس الصعداء والفعل منه أبوه وهو قول الرجل غلبته خوفه وحزنه أبوه والسبب فيه أن عند الحزن تحمي الروح داخل القلب ويستدسها فالإنسان يخرج ذلك النفس المحترق في القلب ليخف بعض ما به من الحزن والشدة وأما الحليم فعناه ظاهر وهو الصفوح عمن سببه أو تأبه بكمه ثم يقابله بالاحسان والالطف كما فعل إبراهيم بأبيه حين قال له إن لم تنته لأرجنك فأجاب إبراهيم بقوله سلام عليك سأستغفر لك ر في وقال ابن عباس الحليم السيد وإنما وصف الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بهذين الوصفين وهما الشدة الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباد الله أي بين سبحانه وتعالى أنه مع هذه الصفات الجميلة الحسنة تبرأ من أبيه لما ظهر له أصرارهم على الكفر فاقتدوا

يقول لأرجنك

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم أنه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وأنزل الله في أي طالب انك لاتمهدى من أحبت ولكن الله يهدي من يشاء أخرجاه في الصحيحين فان قلت قد استبعد بعض العلماء نزول هذه الآية في شأن أي طالب وذلك ان وفاته كانت بمكة أول الاسلام ونزل هذه السورة بالمدينة تنهي من آخر القرآن نزولا قلت الذي نزل في أي طالب قوله تعالى انك لاتمهدى من أحبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم أنه عنك كما في الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر له في بعض الاوقات الى أن نزلت هذه الآية فنزع من الاستغفار والله أعلم بمراده وأسرار كتابه (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمه عند الموت قل لا اله الا الله أشهدك بها يوم القيامة فاني فانزل الله انك لاتمهدى من أحبت ولكن الله يهدي من يشاء الآية وفي رواية قال لولا اني قرئ في قبري يقولون انما حمله على ذلك الخزع لا قررت بها عينك فانزل الله الآية (ق) عن أبي سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكره عنده معه أبو طالب فقال له تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبه تغلى منه أم دماغه وفي رواية يغلى منه دماغه من حرارة نعليه (ق) عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما أغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضبك قال هو في ضحضاح من نار ولولا انك كان في الدرك الاسفل من النار وفي رواية قال قلت يا رسول الله ان عمك أباطالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من نار فاخرجته الى ضحضاح وقال أبو هريرة بر بدة لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة أتى قبره أمانة فوقف حتى جيت الشمس وجاء أن يؤذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وروى الطبري بسنده عن بر بدة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى رسم قال واكثر ظني انه قال قبر أمه جلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبدا فقلنا يا رسول الله انارأينا ما صنعت قال اني استأذنت في زيارة قبر أمي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يؤذن لي فبارؤي يا كيا كثر من يومئذ وحكي ابن الجوزي عن بر بدة قال ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر أمه فوضأ وصلى ركعتين ثم بكى فبكى الناس لبيكانه ثم انصرف اليهم فقالوا ما بك قال مررت بقبر أمي فصليت ركعتين ثم استأذنت في أن أستغفر لها فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين فاستأذنت ربي أن أستغفر لها فزجرت زجرا فابكاني ثم دعا برأجلته فركبها فاسار الالهية حتى قامت الناقلة لثقل الوحى فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى في الآية (ق) عن أبي هريرة قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنت في أن أزور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكركم الموت وقال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لاني كما استغفر ابراهيم لايه فانزل الله هذه الآية وروى الطبري بسنده عنه قال ذكر لنا أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا بني الله ان من آياتنا من كان يحسن الجوار و يصل الارحام ويك العاني و يوفي بالذم أفلا تستغفر لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى والله لاستغفرن لاني كما استغفر ابراهيم لايه فانزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية ثم عذر الله ابراهيم فقال تعالى وما كان استغفار ابراهيم لايه الا عن موعدة وعدها لايه الآية عن علي بن أبي طالب قال سمعت رجلا يستغفر لابي له وهما مشركان فقلت له أنتغفر لابي بك وهما مشركان فقال استغفر ابراهيم لايه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم لم يزل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية أخرجه النسائي والترمذي وقال حديث حسن وأخرجه الطبري وقال فيه فانزل الله عز وجل وما كان استغفار ابراهيم لايه الا عن موعدة وعدها لايه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه الآية ومعنى



وحده وأخلصوا له العبادة

وما بعده خبر بعد خبراً  
التائبون من الكفر على  
الحقيقة الجامعون لهذه  
الخصال وعن الحسن  
هم الذين تابوا من الشرك  
وتبرأوا من التفات  
(الحامدون) على نعمة  
الاسلام (السائحون)  
الصائمون لقوله عليه  
السلام سياحة أئني  
الصيام أو طلبة العلم لانهم  
يسبحون في الارض  
يطلبونه في مظانه أو  
السائرون في الارض  
للاعتبار (الراكون  
الساجدون) المحافظون  
على الصلوات (الآمرون  
بالمعروف) بالايمن  
والمعرفة والطاعة  
(والناهون عن المنكر)  
عن الشرك والمعاصي  
ودخلوا والاولا شعار بان  
السبعة عقيدة تام ولا تضاد  
بين الامر والنهي كافي  
قوله ثيبات وأبكارا  
(والحافظون لحدود الله)  
أوامره ونواهيه أو معام  
الشرع (و بشر المؤمنين)  
المصنفين بهذه الصفات  
وهم عليه السلام ان  
يستغفروا لاني طالب  
فنزله (ما كان للنبي  
والذين آمنوا أن يستغفروا  
للمشركين ولو كانوا  
أولي قربى) أي ماصح  
له الاستغفار في حكم الله

لله الذين يرون عبادة الله وأجبه عليهم وقيل هم الذين أتوا بالعبادة على أقصى وجوه التعظيم لله تعالى وهي  
أن تكون العبادة خالصة لله تعالى (الحامدون) يعني الذين يحمدون الله تعالى على كل حال في السراء  
والضراء وروى البغوي بغير سند عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من يدعى إلى الجنة يوم  
القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء وقيل هم الذين يحمدون الله ويقومون بشكره على جميع  
نعمه دنيا وأخرى (السائحون) قال ابن مسعود وابن عباس هم الصائمون قال سفيان بن عيينة إنما سمي  
الصائم سائحاً لتركه اللذات كما هم المظم والمشرب والتسكاح وقال الأزهري قيل للصائم سائح لأن الذي  
يسبح في الأرض متعب لا زام معه فكان ممسكاً عن الأكل وكذلك الصائم ممسك عن الأكل وقيل أصل  
السياحة استمرار الذهاب في الأرض كلما الذي يسبح والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهي وقال  
عطاء السائحون هم الغزاة المجاهدون في سبيل الله ويدل عليه ما روى عن عثمان بن مظعون قال قلت يا رسول  
الله أئذن لي في السياحة فقال إن سياحة أئني الجهاد في سبيل الله ذكره البغوي بغير سند وقال عكرمة  
السائحون هم طلبة العلم لانهم ينتقلون من بلد إلى بلد في طلبه وقيل إن السياحة لها أثر عظيم في تهذيب  
النفس وتحسين أخلاقها لأن السائح لا بد أن يلتقي أنواعاً من الضر والبؤس ولا بد له من الصبر عليها ويليقي  
العلماء والصالحين في سياحته فيستفيد منهم ويعود عليهم من بركتهم ويري الجانبين وأما قدرة الله تعالى  
فيتسفر في ذلك فبإيدى الله سبحانه وتعالى وعظيم قدرته (الراكون الساجدون) يعني  
المصلين وإنما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود لانهما معظم أركانها وبهما تجزى المصلي من غير المصلي بخلاف  
حالة القيام والقعود لانهما حالة المصلي وغيره (الآمرون بالمعروف) يعني يأمر الناس بالإيمان بالله وحده  
(والناهون عن المنكر) يعني عن الشرك بالله وقيل إنهم يأمر الناس بالحق في أدانيهم واتباع الرشد  
والهدى والعمل الصالح وينهونهم عن كل قول وفعل نهى الله عباده عنه وأنهى عنه رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال الحسن أمانتهم لم يأمروا الناس بالمعروف حتى كانوا من أهله ولم ينهوا عن المنكر حتى  
اتهموا عنه وأما دخول الواو في الناهون عن المنكر فإن العرب تعطف بالواو على السبعة ومنه قوله سبحانه  
وتعالى ومانهم باهم وقوله تعالى في صفة الجنة وفتحت أبوابها وقيل فيه وجه آخر وهو أن الموصوفين  
بهذه الصفات الست هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله تعالى التائبون  
إلى قوله الساجدون مبتدأ أخبره الآمرون يعني هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر (والحافظون  
لحدود الله) قال ابن عباس يعني القائمين بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لفرأض الله وهم أهل الوفاء  
ببيعة الله وقيل هم المؤدبون فرائض الله المنتهون إلى أمره ونهيه فلا يضيعون شيئاً من العمل الذي أئتمهم به  
ولا يرتكبون منيهاهم عنه (و بشر المؤمنين) يعني بشر المصدقين بما وعدهم الله به إذا وفوا الله  
تعالى بعهده فانه موف لهم بما وعدهم من ادخال الجنة وقيل وبشر من فعل هذه الأفعال  
التسع وهو قوله تعالى التائبون إلى آخر الآية بأن له الجنة وإن لم يغفر له قوله عز وجل (ما كان للنبي  
والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى) الآية واختلف أهل التفسير في سبب نزول  
هذه الآية فقال قوم نزلت في شأن أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم والد علي وذلك أن النبي صلى  
الله عليه وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته فبهاه الله عن ذلك وبدل على ذلك ما روى عن سعيد بن المسيب  
عن أبيه المسيب بن حزن قال لما حضرت أبا طالب الوفا جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده  
أباجل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال أي عم قل لاله الا لا اله الا الله كما أحاج لك به عند الله فقال أوجهل  
وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه  
ويعودان لتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم ثم أتاني ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لاله الا الله

(الآن تقطع قلوبهم) شامى وحزوة حفص أى تمتطع غيرهم تقطع أى الآن تقطع قلوبهم قطعاً وشرق أجزاء خيئتند يسألون عنه وما مادامت سالمة بمجموعة فالرابة باقية فهامة ممكنة ثم يجوز أن يكون ذكر التقطع تصوراً بالحال زوال الرابة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها القلوب وأوفى النار وأمعنا الآن يتوابعون بة تنقطع هاقولهم ندموا وأسفعا على تقريظهم وما هو كائن منه بقتلهم أوفى (٢٨٤)

هدم بنيانهم ربة أي حرارة وغيطاني قلو بهم (الأن تقطع قلو بهم) أي تحجل قلو بهم فطاعه اوتفرقا أجزاء  
 ابا بالسيف واما بالموت والمعنى أن هذه الرية باقية في قلو بهم إلى أن يموتوا عليها (والله اعلم) يعني باحوالهم  
 وأحوال جميع عبادهم (حكيم) يعني فيما حكم به عليهم ﴿قوله عز وجل﴾ (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم  
 وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية قال محمد بن كعب القرظي لما بيعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة  
 العقبه وكنا سبعين رجلا قال عبدالله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربى أن  
 يعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي أن تمنعوني عما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك  
 فمالنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا قبل ولا نستقبل فزات ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن  
 لهم الجنة قال ابن عباس بالجنة قال أهل المعاني لا يجوز أن يشتري الله شيئا هو له الحقيقة لان المشتري انما  
 يشتري ما لا يملك والاشياء ملك لله عز وجل ولهذا قال الحسن أنفسنا هو خلقها وأموالنا هو زنا بها الحسن  
 جرى هذا جرى الناطق في الدعاء إلى الطاعة والجهاد وذلك لان المؤمن اذا قاتل في سبيل الله حتى يقتل  
 أو أنفق ماله في سبيل الله عوضه الله الجنة في الآخرة جزءا بما فعل في الدنيا فجعل ذلك استبدال الاو اشتراء فهذا  
 معنى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة والمراد باشتراء الاموال انفاقها في سبيل الله وفي  
 جميع وجوه البر والطاعة (يقانلون في سبيل الله) هذا تفسير لتلك المبيعة وقيل فيه معنى الامر أي قاتلوا في  
 سبيل الله (فيقتلون ويقتلون) يعني فيقتلون أعداء الله ويقتلون في طاعة الله وسبيله (وعدا عليه حقا)  
 يعني ذلك الوعد بان لهم الجنة وعدا على الله حقا (في التوراة والانجيل والقرآن) يعني ان هذا الوعد الذي  
 وعده الله تعالى للمجاهدين في سبيله قد ثبت في التوراة والانجيل كما ثبت في القرآن وفيه دليل على أن الامر  
 بالمجاهد موجود في جميع الشرائع ومكتوب على جميع أهل الملل (ومن أوفى بعهد من الله) يعني لأحد أوفى  
 بالعهده من الله (فاستبشروا بديعكم الذي يابعتهم به) يعني فاستبشروا أيها المؤمنون بهذا البيع الذي يابعتهم الله  
 به (وذلك) يعني هذا البيع (هو الفوز العظيم) لانه راجح في الآخرة قال عمر بن الخطاب ان الله يابعتكم وجعل  
 الصفقتين لك وقال الحسن اسمعوا لي يبعث ربيعة يابعت الله بها كل مؤمن وعنه قال ان الله سبحانه وتعالى  
 أعطاك الدنيا فاشترى الجنة ببعضها وقال قتادة ثامنهم فاعلى لهم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (التائبون)  
 قال الفراء استؤنف لفظ التائبون بالرفع لتمام الآية الأولى وانقطاع الكلام وقال الزجاج التائبون رفع  
 بالابتداء وخبره مضمرة والمعنى التائبون إلى آخره لهم الجنة أيضا وان لم يجاهدوا وغير معادين ولا قاصدين  
 ترك الجهاد وهذا وجه حسن فكانه رعد بالجنة جميع المؤمنين كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله  
 تابعا لا أول كان الوعد بالجنة خاصا بالمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبون على المدح  
 يعني المؤمنين المذكورين في قوله ان الله اشترى وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى التائبون يعني الذين  
 تابوا من الشرك وبرؤا من النفاق وقيل التائبون من كل معصية فيدخل فيه التوبة من الكفر والنفاق  
 وقيل التائبون من جميع المعاصي لان لفظ التائبين لفظ عموم فيتناول السك والاعمال التوبة المقبولة انما  
 تحصل بامرار بعة أو طه احرقاق القلب عند صدور المعصية وثانها الندم على فعلها فيما مضى وثانها  
 العزم على تركها في المستقبل ورابعها أن يكون الحامل له على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته فان كان  
 غرضه بالتوبة يحصل مدح الناس له ودفء مدحهم فليس بمخلص في توبته (العابدون) يعني المطيعين

اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم

والله يحب المطهرين) قيل لما نزلت مني رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقالوا مؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادهم فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانما معهم فقال عليه السلام اترضون القضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون انتم ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اتي عليكم في الله نصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نطيع الغائط والنجاسات ثم نابع الاحجار الماء فلا النبي عليه السلام رجال يحبون ان يتطهروا قيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وقيل هو التطهر من الذنوب بالتوبة ومعنى محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرمون عليه حرم الحب للشيء ومعنى محبة الله اياهم انه يرضى (٢٨٣) عنهم ويحسن اليهم كما يفعل الحب

بمحبوته (افن أسس بنيانه) وضع أساس ما يبنيه (على تقوى من الله) ورضوان خيرا من أسس بنيانه على شفاعف هار) هذا سؤال تقرير وجوابه مسكوت عنه لوضوحه والمعنى افن أسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهي تقوى الله ورضوانه خيرا من أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وهو الباطل والتناق الذي مثله مثل شفاعف هار في قلة الثبات والاستمسك وضع شفاعف هار في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى والشفاف الجرف والشفير وجوف الوادي جانبه الذي ينحصر أصله بالماء وينحرف السيول فيبقى وهاياها والهارا هو وهو المتصدع الذي أشقى على التهدم والسقوط وزنه فعل قصر عن فاعل تخلف من خالف

الضرار بضارة المسامحين والتفرق بينهم والكفر بالله وكون هؤلاء يعني أهل قباء الباطل من صفاتهم وما ذاك الا كونهم مبرئين من الكفر والمعاصي وهي الطهارة الباطنية الوجه الثالث ان طهارة الظاهر انما يحصل لما اثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنية من الكفر والمعاصي وقيل بمحمل على كمال الامر ين يعني طهارة الباطن من الكفر والتناق والمعاصي وطهارة الظاهر من الاحداث والنجاسات بالماء (والله يحب المطهرين) فيه مدح لهم ونثناء عليهم والرضاع عنهم بما اختاروه لانفسهم من المداومة على محبة الطهارة قوله سبحانه وتعالى (افن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان) يعني طلب بنيانه المسجد الذي بناه تقوى الله ورضوانه والمعنى ان الباقي لما بنى ذلك البناء كان قصده تقوى الله وطلب رضاه وثوابه (خيرا من أسس بنيانه على شفاعف هار) الشفافو الشفير وشفاف كل شيء حرم فومنه يقال أشقى على كذا اذا دامنه وقرب ان يقع فيه والجرف المسكان الذي اكل الماء تحته فهو الى السقوط قريب وقال ابو عبيد الجرف هو الحق وتماجره السيل من الادوية فينحفر بالماء فيبقى وهاياها راى هار وهو الساقط فهو من هار بهور فهو هار وقيل من هار بهار اذا تهدم وسقط وهو الذي ندعى بعضه في اثر بعض كبار الرمل والشيء الرخو (فانهار به) يعني سقط بالباقي (في نار جهنم والله يهدي القوم الظالمين) والمعنى ان بناء هذا المسجد الضرار كالبناء على شفير جهنم فهو هار بهار فها هو هذا مثل ضرب به الله تعالى للمسجدين مسجد الضرار ومسجد التقوى مسجد قياما ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى المثل افن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خيرا من أسس دينه على أضعف القواعد وأقلام باقاء وثبا وهو الباطل والتناق الذي مثله مثل بناء على غير أساس ثابت وهو شفاعف هار واذا كان كذلك كان أسرع الى السقوط في نار جهنم ولان الباقي الاول قصده بنيانه تقوى الله ورضوانه فكان بناؤه أشرف البناء والباقي الثاني قصده بنيانه الكفر والتناق واضرار المسامحين فكان بناؤه أخس البناء وكانت عاقبته الى نار جهنم قال ابن عباس صبرهم ففاقهم الى النار وقال قتادة والله ماتناهي بناؤهم حتى وقع في النار ولقد ذكرنا انه حفرت بقعة منه فرؤى الدخان يخرج منها وقال جابر بن عبد الله رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار (لا يزال بنيانه الذي بنوا فيه) يعني شكوا ونفاقا (في قلوبهم) والمعنى ان ذلك البنيان صار سببا للحصول الرية في قلوبهم لان المنافقين فرحوا ببناء مسجدهم فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه نقل ذلك عليهم وازدادوا غمما وخزاوا بغضار رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سببا الى رية في قلوبهم وقيل انهم كانوا يحسبون انهم محسنون في بناءه كما حجب الجبل الى بني اسرائيل فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه بقوا شاكين من تايين لاي سبب امر بتخريبه وقال السدي لا يزال

وأفله ليس بالفاعل انما هي عينه وأصله هو رقابت أفلا تتحرکہا وافتتاح ما قبلها ولا ترى ابلف من هذا الكلام ولا تدل على حقيقة الباطل وكنهه امر افن أسس بنيانه من أسس بنيانه شامى ونافع جرف شامى وجزءه ويحيى هار بالامالة ابو عمر وجزءه روية ويحيى (فانهار به في نار جهنم) فطاح به الباطل في نار جهنم ولما جعل الجرف الطائر مجازا عن الباطل رشح المجاز في بلفظ الانهيار الذي هو الجرف وليصور ان المبطل كأنه أسس بنيانه على شفاعف هار من اوديه جهنم فانهار به ذلك الجرف فهو في قمرها قال جابر رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهيار (والله يهدي القوم الظالمين) لا يوفقهم للخير عقوبه لهم على نفاقهم (لا يزال بنيانه الذي بنوا فيه في قلوبهم) لا يزال اهدمه سبب شك وتناقضه على شكهم ونفاقهم لما غلبهم من ذلك وعظم عليهم

شبهوا لا يقرؤن فضليت بهم ولا حسب الأئمة يتقربون إلى الله ولم أعلم ما في أنفسهم فهدره عمر فصدقه وأمره بالصلاة في مسجد قباء قال عطاء لما فتح الله على عمر بن الخطاب الأصار أمر المسلمين أن ينشؤوا المساجد وأمرهم أن لا ينشؤوا في موضع واحد مسجد بن بضار أحد عمه الآخر وقوله سبحانه وتعالى (لا تقم فيه أبدا) قال ابن عباس معناه لا تصل فيه أبدا منع الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلي في مسجد الضرار (مسجدا أسس على التقوى) اللام فيه لام الابتداء وقيل لام القسم تقديره والله مسجد أسس يعني بني أصله ووضع أساسه على التقوى يعني على تقوى الله عز وجل (من أول يوم) يعني من أول يوم بني ووضع أساسه كان ذلك البناء على التقوى (أحق أن تقوم فيه) يعني مصليا واختلفوا في المسجد الذي أسس على التقوى فقال عمرو بن عبد بن ثابت وأبو سعيد الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني مسجد المدينة و بدل عليه ماروي عن أبي سعيد الخدري قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله أي المسجدين أسس على التقوى قال فخذك فممن حصي فضر به الأرض ثم قال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة أخرجه مسلم (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي (ق) عن عبد الله بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن قوامهم منبري هذا روايت في الجنة أخرجه النسائي قوله روايت يعني نواب قال رب بالمكان إذا قام فيه وثبت وفي رواية عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن جبيرة وقتادة أنه مسجد قباء و بدل عليه سباق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين و بدل على أنهم أهل قباء ماروي عن أبي هريرة قال زلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فهم أهل قباء و بدل على فضل مسجد قباء ماروي عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قباء و يأتي قبا مرا كبا وماشيا زاد في رواية فيصلي فيه ركعتين وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في مسجد قباء كل سبت را كبا وماشيا وكان ابن عمر يقره أخرجه الرواية الأولى والزيادة البخاري ومسلم وأخرج الرواية الثانية البخاري عن سهل ابن حنيف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد قباء فيصلي فيه كان له كعدل عمرة أخرجه النسائي عن أسد بن ظهير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قباء كعمرة أخرجه الترمذي وقوله سبحانه وتعالى (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) يعني من الأحداث والجنابات وسائر النجاسات وهذا قول أكثر المفسرين قال عطاء ولما كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة وروى الطبري بسنده عن عويم بن ساعدة وكان من أهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا هل قباء ما في أسمع الله عز وجل قد أحسن عليكم الثناء في الطهور و فهاذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعمل شيئا إلا أن جيراننا من اليهود رأيناهم يغسلون أديارهم من الغائط فغسلنا كما غسبوا وعن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا هل قباء إن الله سبحانه وتعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور و فهاذا تصنعون قالوا اننا نغسل عنائنا الغائط والبول وقال الأمام غر الدين الرازي المراد من هذه الطهارة الظاهرة من الذنوب والمعاصي وهذا القول متعين لوجه الأول أن التطهر من الذنوب هو المؤثر في القرب من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثاني أن الله سبحانه وتعالى وصف أصحاب مسجد

(لا تقم فيه أبدا) للصلاة (مسجدا أسس على التقوى) اللام للابتداء وأسس وقتله وهو مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقاء وهي يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة أو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة (من أول يوم) من أيام وجوده قبل القياس فيه مدله لابتداء الغاية في الزمان ومن لابتداء الغاية في المكان والجواب أن من عام في الزمان والمكان (أحق أن تقوم فيه) مصليا (فيه رجال يحبون أن يتطهروا)

المنافقين بنوا مسجد ايضاً وروى به مسجد قباء وكانوا اثني عشر رجلاً من أهل النفاق وديعة بن ثابت وخدام  
 ابن خالد ومن داره أخرج هذا المسجد وتعالية بن حاطب وجارية بن عمرو وابناء مجمع وزيد وعقبة بن قشير  
 وعباد بن حنيفة أخو سهل بن حنيف وأبو حبيبة بن الأذعر ونبيل بن الحرث وبن جاد بن عثمان وبحجز بنوا  
 هذا المسجد ضرار يعني مضارة للمؤمنين وكثيرا يعني ليكفر واقسه بالله ورسوله (وتقر يقابن المؤمنين)  
 لانهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدى ذلك الى الاختلاف  
 وافتراق الكهنة وكان يصلي بهم فيه مجمع بن جارية وكان شابا يقرأ القرآن ولم يدرك ما أرادوا ببنائه فلما فرغوا  
 من بنائه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انافد ببناء مسجدنا  
 لنبي العلة والحاجة والليالة المطيرة والليالة الشاتية وانا نحب أن تأتينا وتصلى فيه وتدعو بالبركة فقال رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر ولو قد مننا ان شاء الله تعالى أتيناكم فصلينا فيه <sup>في</sup> وقوله سبحانه  
 وتعالى (وارصادا لمن حارب الله ورسوله) يعني انهم بنوا هذا المسجد للضرار والكفر وبنوه ارصادا يعني  
 انتظارا واعداد لمن حارب الله ورسوله (من قبل) يعني من قبل بناء هذا المسجد وهو أبو عامر الراهب والد  
 حنظلة غسيل الملائكة وكان أبو عامر قد تهرّب في الجاهلية وليس المسوح وتنصر فلما قدم النبي صلى الله  
 عليه وسلم المدينة قال له أبو عامر ما هذا الدين الذي جئت به فقال له النبي صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية  
 دين ابراهيم فقال أبو عامر فانا عليه اقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليا قال أبو عامر بلى ولكنك  
 أدخلت في الخنيفة المالس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية فقال أبو  
 عامر أمات الله الكاذب مناظر يد اوحيد اغربا فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين وسماه الناس أبا عامر  
 الفاسق فلما كان يوم أحد قال أبو عامر الفاسق للنبي صلى الله عليه وسلم لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك  
 معهم فلم يزل كذلك الى يوم حنين فلما انتهزت هوازن يشس أبو عامر وخرج هاربا الى الشام وأرسل الى  
 المنافقين ان استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وبنوا الى مسجد افاني ذهاب الى قيصر ملك الروم فأتى  
 بجند من الروم فخرج محمد أو أصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد قباء فلذلك قوله سبحانه وتعالى  
 وارصادا يعني انتظارا لمن حارب الله ورسوله يعني أبا عامر الفاسق ليصلي فيه اذ يرجع من الشام من قبل  
 يعني ان أبا عامر الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار (وليحلفن) يعني الذين بنوا المسجد  
 (ان أردنا) يعني ما أردنا ببنائه (الاحسنى) يعني الافعلة الحسنى وهى الرفق بالمسلمين والتوسعة  
 على أهل الضعف والجزع الصلاة في مسجد قباء ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم (والله يشهد انهم  
 لكاذبون) يعني في قيلم وحلفهم روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما انصرف من تبوك واجعا نزل بذي  
 أوان وهو موضع قريب من المدينة فاتاه المنافقون وسألوه ان يأتى مسجدهم فدعا بقميصه ليلبس  
 وبانهم فاتن الله هذه الآية وأخبره خبير مسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 مالك بن النخشم ومع بن عدى وعامر بن السكن ووحشيا فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله  
 فاهدموه وأحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بنى سالم بن عوف وهم رهط مالك بن النخشم فقال مالك  
 أنظرونى حتى أخرج اليكم بنار فدخل أهله فاخذ من سعف النخل فاشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا  
 المسجد وفيه أهله فأحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشج ذلك  
 الموضع كناسة تاتي فيها الخيف والنتن والقمامة ورات أبو عامر الراهب بالشام غريبا وحيدا وروى ن بنى  
 عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قباء أو عامر بن الخطاب في خلافته فسألوه ان ياذن لمجمع بن جارية ان  
 يؤمهم في مسجدهم فقال لا ونة عين اليس هو امام مسجد الضرار قال مجمع بأمر المؤمنين لا تجلس على  
 فوالله لقد صليت فيه وأنا لا أعلم ما ضمروا عليه ولو علمت ما صليت معهم فيه وكنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا

(وتقر يقابن المؤمنين)  
 لانهم كانوا يصلون بمجته من  
 في مسجد قباء فارادوا أن  
 يتفرقوا عنه وتختلف كلهم  
 (وارصادا لمن) واعداد  
 لاجل من (حارب الله  
 ورسوله) وهو الراهب  
 أعدوه ليصلي فيه ويظهر  
 على رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم وقيل كل مسجد بنى  
 مباهاة أو رياء أو سمعة أو  
 لغرض سوى ابتغاء وجه  
 الله أو بحال غير طيب فهو  
 لاحق بمسجد الضرار (من  
 قبل) متعلق بحارب أى من  
 قبل بناء هذا المسجد يعني  
 يوم الخندق (وليحلفن)  
 كاذبين (ان أردنا الا  
 الحسنى) ما أردنا ببناء هذا  
 المسجد الاخلة الحسنى  
 وهى الصلوة ذكرا لله  
 والتوسعة على المسلمين  
 (والله يشهد انهم لكاذبون)  
 في حلفهم

ووجوهه إليه (وأن الله هو التواب) كثير قبول التوبة (الرحيم) يعفو الحربة ٧ (وقل) هؤلاء الثاينين (اعملوا فبى الله علمكم  
ورسوله والمؤمنون) أى فان علمكم لا يخفى خيرا كان أو شرأى الله وعياده كمالاً يتم وتبين اسمكم أو غير الثاينين ترغيباً لهم فى التوبة فقد  
روى أنه لما تب عليهم قال لهم لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بلا منس معنالا يكلمون ولا يجالسون فهاطم فنزلت قوله تعالى فبى الله  
وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة (وستردون الى عالم الغيب) ما يقبى عن الناس (والشهادة) ما يشاهدونه (فينبئكم  
بما كنتم تعملون) ننبئكم تذكيراً وجزاء عليه (وآخر من رجون لاهر الله) بغيرهم من دنى وكفى غبراً بى بكرى من رجون غبرهم من أرجيته  
وأرجاته اذا أخرته ومنه المرجئة أى وآخرون من المتخلفين موقوفون الى أن يظهر أمر الله فيهم (أما لعينهم) أن أصروا ولم يتوبوا (وأما  
كعب بن مالك) وهلال بن أمية ومرة بن الريم تخلفوا عن غزوة  
(٢٨٠)

السائل أخذ الصدقة بكفه لئمين فكان المتصدق قد وضع صدقته في القبول والاثابة وقوله فتربو أي تكبر يقال بالشئ يربو إذا زاد وكبروا فالو بضم الفاء ومفتحها لغتان المهر أول ما يولد والنصيل ولد الناقة أي أن ينفصل عنها وقوله سبحانه وتعالى (وأن الله هو التواب الرحيم) تأكيد لقوله سبحانه وتعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده وينشر لهم بأن الله هو التواب الرحيم ﴿قوله عز وجل (وقل) أي قل يا محمد طهوا لأنثائهم (اعملوا) يعني الله بطاعته وأداء فرائضه (فسيرى الله عملكم) فيه ترغيب عظيم للطاعين ووعيد عظيم للذنبين فكانه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فإن الله تعالى يرى أعمالكم ويجازيكم عليها (ورسلوا المؤمنين) يعني ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أعمالكم أيضا أمارؤة رسول الله صلى الله عليه وسلم فباطلاع الله إياهم على أعمالكم وأمارؤة المؤمنين فيما يقدف الله عز وجل في قلوبهم من محبة الصالحين وبغض اللذنبين (وستردون إلى عالم الغيب والشهادة) يعني وسترجعون يوم القيامة إلى من يعلم سركم وعلا نيتكم ولا يخفى عليه شئ من باطنكم وظواهركم (فينشكم) أي فيخرجكم (بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من خيرا أو شرا فيجازيكم على أعمالكم ﴿قوله سبحانه وتعالى (وآخرون مرجون) أي مؤخرون والارجاء التأخير (لأمر الله) يعني لحكم الله فيهم قال بعضهم إن الله سبحانه وتعالى قسم المختلفين على ثلاثة أقسام أولهم المتنافقون وهم الذين مردوا على السفاق واسقر وأعليه والقسم الثاني التائبون وهم الذين سارعو إلى التوبة بعد ما اعترفوا بذنوبهم وهم أبو لبابة وأصحابه فقبل الله توبتهم والقسم الثالث موقوفون ومؤخرون إلى أن يحكم الله تعالى فيهم وهم المراد بقوله وآخرون مرجون لأمر الله والفرق بين القسم الثاني والقسم الثالث أن القسم الثاني سارعو إلى التوبة فقبل الله توبتهم والقسم الثالث توقفوا ولم يسارعو إلى التوبة فأخر الله أمرهم نزات هذه الآية في الثلاثة الذين تخلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وستأتي قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك أنهم لم يبايعوا في التوبة ولا اعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من أهل بدر فجعل بعض الناس يقول هلكوا وبعضهم يقول عسى الله أن ينيب عليهم ويفقرهم وهو قوله سبحانه وتعالى (أما بعدهم وأما يتوب عليهم) يعني أن أمرهم إلى الله تعالى أن شاء عنهم بسبب تخلفهم وإن شاء غفر لهم وعفا عنهم (والله عليم) يعني بما في قلوبهم (حكيم) يعني بما يقضى عليهم ﴿قوله سبحانه وتعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضارا أو كفرا) نزلت في جماعة من

تبوك وهم الذين ذكروا  
في قوله وعلى الثلاثة الذين  
خلفوا (والله اعلم) برجاؤهم  
(حكيم) في ارجائهم  
وأما للشك وهو راجع  
إلى العباد أى خافوا عليهم  
العذاب وأرجأه لهم  
الرحمة وروى أنه عليه السلام  
أمر أسعها به أن لا يسألوا  
عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا  
كما فصل ذلك الفريق من  
شد أنفسهم على السوارى  
وأظهار الجزع والغم فلما  
علموا أن أحد الانظر  
اليهم فوضوا أسهمهم إلى الله  
وأخلصوا نياتهم وأصحت  
توبتهم فرحمهم الله (والذين  
اتخذوا مسجدا) تقديره  
ومنهم الذين اتخذوا الذين  
بغيره وأمدنى وشامى وهو  
مبتدأ أخبره محذوف أى  
جاء زيارتهم روى أن بنى  
عمر بن عوف لما بنوا  
مسجدا دعوا إلى الرسول

الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم أخوانهم بنو غنم ابن عوف وقالوا بنى مسجدوا نرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلى فيه أبو عامر الراهب اذا قدم من الشام وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك الا بالثك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا لبنى صلى الله عليه وسلم بئنا نسجد الذى اعلمنا والحاجة ونحن نحب أن نصلى لثنا فيه فقال انى على جناح سفر واذا قدمنا من ترك ان شاء الله صلينا فيه فاما قفل من غزوة تبوك سأله انيان المسجد فنزلت عليه فقال لو حشى قاتل جزءة ومن بن عدى وغيرهما انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهلها فهدموا وحرقوه ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه كناسة يلقى فيها الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام (ضرارا) فمقول له وكذا ما بعد أى مضارة لآخوانهم أصحاب مسجد قباء (وكفرا) وتوبة للسفاق



الصدقة من أوساخ الناس فإذا أخذ الصدقة فقد اندفت تلك الأوساخ وكان ذلك الاندفاع جارياً بمجرى التطهير فلي هذا القول يكون قوله سبحانه وتعالى وتزكيتهم بهام منقطعاً عن قوله تظهرهم ويكون التقدير خذناهم من أموالهم صدقة تظهرهم تلك الصدقة وتزكيتهم أنت بها القول الثالث أن تجعل التاء في قوله تظهرهم وتزكيتهم ضمير المخاطب ويكون المعنى تظهرهم أنت يا محمد يا خدعاً منهم وتزكيتهم أنت بواسطة تلك الصدقة القول الرابع أن معناه تظهرهم من ذنوبهم وتزكيتهم بمعنى ترفع منازلهم عن منازل المنافقين إلى منازل الأبرار المخلصين وقيل معنى وتزكيتهم أى تقي أموالهم بركة أخذها منهم الحكم الخامس قوله سبحانه (وصل عليهم) يعنى ادع لهم واستغفر لهم لأن أصل الصلاة في اللغة الدعاء قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه السنة للامام إذا أخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق فيقول أجر الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أقيت وقال بعضهم يجب على الامام أن يدعو للمتصدق وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطي وقال بعضهم يستحب أن يقول اللهم صل على فلان ويدل عليه ما روى عن عبد الله بن أبى أوفى وكان من أصحاب الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فاتاه أبى بصدة فقال اللهم صل على آل أبى أوفى أخرجهما في الصحيحين و وقوله سبحانه وتعالى (ان صلاتك) وقرئ صلاتك على الجمع (سكن لهم) يعنى أن دعائك رحمة لهم وقال ابن عباس طمأنينة لهم وقيل ان الله قد قبل منهم وقال أبو عبيدة تنبئت لقولهم وقيل ان السكن ما سكنت اليه النفس والمعنى أن صلاتك توجب سكن نفوسهم اليها والمعنى ان الله قد قبل توبتهم وأقبل ركاتهم (والله سميع) يعنى لقوا لهم وألدعائكم لهم (عليم) يعنى بنيائهم (ألم يعلموا) أن الله هو يقبل التوبة عن عباده هذه صيغة استفهام لأن المقصود منه التقرير بفتر الله عز وجل هؤلاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الآية ألم يعلم هؤلاء الذين تابوا ان الله تعالى يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالصة وقيل ان المراد بهذه الآية غير التائبين ترغيباً لهم في التوبة وبذل الصدقات وذلك انهم لما نزلت توبه هؤلاء التائبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معانداً لا يلبثون ولا يجالسون فبابا لهم اليوم فازل الله هذه الآية ترغيباً لهم في التوبة وقوله سبحانه وتعالى عن عباده قيل لا فرق بين عباده ومن عباده إذا لفرق بين قولك أخذت هذا العلم منك أو منك وقيل بينهما فرق وأعل عن في هذا الموضع أن بلغ لأن فيه تبشيراً بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها و وقوله سبحانه وتعالى (وياخذ الصدقات) يعنى يقبلها ويثبت عليها وأما ذكر لفظاً لاخذ ترغيباً في بذل الصدقة وإعطائها الفقراء وقيل معنى أخذ الله الصدقات تضاعفه الجزاء عليها ولما كان هو المجازي عليها والمثيب بها أسند الاخذ إلى نفسه وان كان الفقير أو السائل هو الآخذ لما في هذا العظم أمر الصدقات وتشریفها وان الله سبحانه وتعالى يقبلها من عبده المتصدق (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صدق أحدكم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا أخذها الرحمن يمينه وان كانت عمرة فتر بوفى كنف الرحمن حتى تكون أن عظم من الجبل كبر في أحدكم فلو أنه وقصيلة لفظ مسلم وفي البخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله الا الطيب وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كبر في أحدكم فلو أنه حتى تكون مثل الجبل وأخرجه الترمذي ولفظه ان الله سبحانه وتعالى يقبل الصدقة وياخذها بيمينه فيربها لأحدكم كبر في أحدكم فلو أنه حتى اللقمة تصير مثل جبل أحد وتصدق ذلك في كتاب الله سبحانه وتعالى ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات ويحق الحق الربو بر الصدقات وقوله من كسب طيب أى حلال وذكر الحارثي والكوفي في الحديث كتابة عن قبول الصدقة وان الله سبحانه وتعالى قد قبلها من المعطي لأن من عادة الفقير أو

خاطت الماء باليمن وخاطت الماء واليمن كما تقول جعت زيدا وعمر او لوا وفي الآية أحسن من الباء لانه أر بد  
معنى الجمع لاحقيقة الخطأ ألا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسيء كما يختلط الماء باللبن لكن قد يجمع  
بينهما وقوله سبحانه وتعالى (عسى الله أن يتوب عليهم) قال ابن عباس وجوه المفسر بن عسى من الله  
واجب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى فعسى الله أن يأتي بالفتح وقد فعل ذلك وقال أهل المعاني لفظه عسى  
هنا تفيد الطمع والاشفاق لانه بعد من الاتكال والاهمال وقيل ان الله سبحانه وتعالى لا يحب عليه شيء بل  
كل ما يفعله على سبيل التفضيل والتطول والاحسان فذكر لفظه عسى التي هي للترجي والطمع حتى يكون  
العبد بين الترجي والاشفاق ولكن هو الى نيل ما يرجوه منه أقرب لانه ختم الآية بقوله (ان الله غفور  
رحيم) وهذا يفيد انجاز الوعد وقوله سبحانه وتعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها) قال  
ابن عباس لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وصاحبه انطلق أبو لبابة وصاحبه فاتوا بأموالهم  
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ أموالنا وصدقة مما عدا وصل علينا يريدون استغفر لنا وطهرنا  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أخذ شيئا منها حتى أمر به فأذن الله عز وجل خذ من أموالهم صدقة  
الآية وهذا قول زيد بن أسلم وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك ثم اختلف العلماء في المراد بهذه  
الصدقة فقال بعضهم هو راجع الى هؤلاء الذين تابوا وذلك انهم بذلوا أموالهم صدقة فوجب الله سبحانه  
وتعالى أخذها وصار ذلك معتبرا في كل تو بهم لتكون جارية بحري الكفارة وأصحاب هذا القول يقولون  
ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو  
وحسن اسلامهم وبذلوا الزكاة أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأخذها منهم وقال  
بعضهم ان الآية كلام مبتدأ المقصود منها إيجاب أخذها من الأغنياء ودفعها الى الفقراء وهذا قول أكثر  
الفقهاء واستدلوا بها على إيجاب أخذ الزكاة كأما حجة أصحاب القول الاول فانهم قالوا ان الآيات لا بد وان  
تكون منتظمة متناسبة فلو جلتها على أخذ الزكاة الواجبة لم يبق لهذه الآية تعلق بمباقيها ولا بما بعدها  
ولان جمهور المفسرين ذكر وفي سبب نزولها انها نزلت في شأن التائبين وأما أصحاب القول الاخير فانهم  
قالوا المناسبة حاصلة بإضاعى هذا التقدير وذلك أنهم اصابوا أو اخلصوا أو أقروا أن السبب الموجب للتخلف  
هو حب المال أمر وإباحة الزكاة التي هي طهرة فلما أخرجوها علمت صحة قولهم ووجه تو بهم ولا يمنع من  
خصوص السبب عموم الحكم فان قالوا ان الزكاة قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد أخذ منهم ثلث أموالهم  
فلذا لا يمنع هذا صحة ما قلناه لانهم رضوا ببذل الثلث من أموالهم فلان يكونوا راضين بإخراج الزكاة أولى ثم  
في هذه الآية أحكام الاول قوله سبحانه وتعالى خذ من أموالهم صدقة الخطأ فيه للنبي صلى الله عليه وسلم أي  
خذ ما يجمد من أموالهم صدقة فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذها منهم أيام حياته ثم أخذها من بعده الأئمة  
فيجوز لا مأم وأتائه ان يأخذ الزكاة من الأغنياء ودفعها الى الفقراء الحكم الثاني قوله من أموالهم ولفظة  
من تقتضي التبعية وهذا البعض المأخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص القرآن فلم يبق الا الصدقة التي بين  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرها وصفتها في أخذ الزكاة الحكم الثالث ظاهر قوله خذ من أموالهم صدقة  
يفيد العموم فتجب الزكاة في جميع المال حتى في الديون وفي مال الركا الحكم الرابع ظاهر قوله تطهرهم  
ان الزكاة أعاد وجبت لكونها طهرة من الآثام وصدور الآثام لا يمكن حصولها الا من البالغ دون الصبي  
فوجب ان تجب الزكاة في مال البالغ دون الصبي وهذا قول أبي حنيفة ثم أجاب أصحاب الشافعي بأنه لا يلزم  
من اتقاء سبب معين اتقاء الحكم مطلقا ولا العلماء في قوله سبحانه وتعالى تطهرهم أفعال الاول أن معناه  
خذ ما يجمد من أموالهم صدقة فانك تطهرهم بأخذها من دنس الآثام القول الثاني أن يكون تطهرهم  
متعلقا بالصدقة تقديره خذ من أموالهم صدقة فانها طهرة لهم وأما حسن جعل الصدقة مطهرة لما جاء ان

(عسى الله أن يتوب عليهم)  
ان الله غفور رحيم) ولم  
يذكر تو بهم لانه ذكر  
اعترافهم بذنوبهم وهو  
دليل على التوبة (خذ  
من أموالهم صدقة) كفارة  
لذنوبهم وقيل هي الزكاة  
(تطهرهم عن الذنوب)  
وهو صدقة والثناء  
للخطاب أو اقية المؤث  
والثناء في (تزكهم)  
للخطاب لاجالة (بها)  
بالصدقة والتزكية مبالغة  
في التطهير وزيادة فيه  
أو بمعنى الانعام والبركة في  
المال

والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا ويغفرنا  
 فربطوا أنفسهم في سوارى المجد فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم مر بهم فراهم فقال من هؤلاء فقالوا  
 هؤلاء الذين تخلفوا عنك فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم وترضى عنهم  
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أمر بأطلاقهم رغبوا عني  
 وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فأنزل الله عز وجل هذه الآية فأسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم  
 فأطلقهم وعذرهم فلما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خافتنا عنك خذها فصدق بها عنا وطهرنا  
 واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فأنزل الله خذ من أموالكم  
 صدقة تطهرهم الآية وقال قوم نزلت هذه الآية في أبي لبابة خاصة واختلفوا في ذنبه الذي تاب منه فقال مجاهد  
 نزلت في أبي لبابة حين قال لبني قريظة ان زاتم على حكمه فهو الذبح وأشار إلى حلقة فندم على ذلك و ربط  
 نفسه بسارية وقال والله لأحل نفسي ولا أدق طعاما ولا شرا باحتي أموت أو يتوب الله على فكت سبعة  
 أيام لا يدق طعاما ولا شرا باحتي خر مغشيا عليه فأنزل الله هذه الآية فقيل له قد تيب عليك فقال والله لأحل  
 نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يخلصني فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم غله بيده  
 فقال أبو لبابة يا رسول الله ان من توبتي أن أهجرد ارقومي التي أصبت فيها الذنب وأن أتخلع من مالي كله  
 صدقة إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال يجز بك الثلث بألبابة قالوا جميعا فآخذ رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم ثلث أموالهم وترك لهم الثلثين لأن الله سبحانه وتعالى قال خذ من أموالهم ولم يقل خذ أموالهم  
 لأن افظة لم تقتض التبعيض وقال الحسن وقادة وهؤلاء سوى الثلاثة الذين تخلفوا وسبأني خبرهم وأما  
 تفسير الآية فقوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال أهل المعاني الاعتراف عبارة عن الاقرار بالثبوت  
 ومعناها أنهم أقرؤا بذنوبهم وفيه دقة وهي أنهم لم يعتذروا عن تخلفهم باعذار باطلة كغيرهم من المنافقين  
 ولكن اعترفوا على أنفسهم بذنوبهم وندموا على ما فعلوا فان قلت الاعتراف بالذنب هل يكون توبة  
 أم لا قلت مجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاذا اقرن الاعتراف بالندم على الماضي من الذنب  
 والعزم على تركه في المستقبل يكون ذلك الاعتراف والندم توبة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ (خلطوا  
 عملا صالحا وآخر سيئا) قيل أراد بالعمال الصالح اقرارهم بالذنب وتوبتهم منه والعمل السيئ هو تخلفهم  
 عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم إلى سائر الغزوات والسيئ هو تخلفهم عنه في غزوة تبوك وقيل ان العمل الصالح يعم جميع أعمال  
 البر والطاعة والسيئ ما كان ضده فعلى هذا ان تكون الآية في حق جميع المسلمين والجميع المطلق  
 وان كان السبب مخصوصا بمن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وروى الطبري عن  
 أبي عثان قال ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الامعة قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم فان قلت قد  
 جعل كل واحد من العمل الصالح والسيئ مخلوطا فالحلوط به قلت ان الخلط عبارة عن الجمع المطلق  
 فاما قولك خلطته فاما يحسن في الموضع الذي يمتزج كل واحد من الخليطين بالآخر ويتغير به عن صفته  
 الاصلية كقولك خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن فتتوب الواو عن الباء فيكون معنى الآية على  
 هذا خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ذكره غالب المفسرين وأنكره الامام نضر الدين الرازي وقال اللاتي بهذا  
 الموضع الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيئ اذا حصلامعاني كل واحد منهما على حاله كما هو  
 مذهبان عندنا القول بالاحباط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم  
 والعقاب فقوله سبحانه وتعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فيه تنبيه على نفي القول بالخطبة وانه بقي كل  
 واحد منهما كما كان من غير أن يتأثر أحدهما بالآخر فليس الجمع المطلق وقال الواحدى العرب تقول

فأطلقهم فقالوا يا رسول الله  
 هذه أموالنا التي خلفتنا  
 عنك فصدق بها عنا وطهرنا  
 فقال ما أمرت أن آخذ  
 من أموالكم شيئا فأنزل  
 من أموالهم صدقة  
 (خلطوا عملا صالحا)  
 خروجا إلى الجهاد (وآخر  
 سيئا) تخلفا عنه والتوبة  
 والامم وهو من قولهم بعث  
 الشاة شاة ودرهما شاة  
 بدرهم قالوا بمعنى الباء  
 لان الواو للجمع والباء  
 للالصاق فينتاسبان أو  
 المعنى خلط كل واحد منهما  
 بالآخر فكل واحد منهما  
 خلطوط ومخلوط به كقولك  
 خلطت الماء واللبن تريد  
 خلطت كل واحد منهما  
 بصاحبه بخلاف قولك  
 خلطت الماء باللبن لانك  
 جعلت الماء مخلوطا واللبن  
 مخلوطا به اذا قلته بالواو  
 فقد جعلت الماء واللبن  
 مخلوطين ومخلوطا بهما  
 كانك قلت خلطت الماء  
 باللبن واللبن بالماء

(ومن أهل المدينة) عطف على خبر المبتدأ الذي هو من حولكم والمبتدأ منفقون وبجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدر  
ومن أهل المدينة قوم (مردوا) (٢٧٦) على النفاق) أي ظهر واقع على أن مردوا صفة موصوف محذوف وعلى الوجه الأول

على القليل لأن لفظة من للتبعيض وبحمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم على الأكثر والاعقاب وهذا يمكن  
الجمع بين قول المفسرين ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم وأما الطبري فإنه أطاق القول ولم يعين أحدا من  
القبائل المذكورة بل قال في تفسير هذه الآية من القوم الذين حول مدينتكم أيها المؤمنون من الاعراب  
منافقون ومن أهل مدينتكم أيضا أمثالهم أقوام منافقون وقال البغوي (ومن أهل المدينة) من الأوس  
والخزرج منافقون (مردوا على النفاق) فيه تقديم وتأخير تقديره وعن حولكم من الاعراب ومن أهل  
المدينة منافقون مردوا على النفاق يعني مردوا عليه يقال تمر دفلان على ربه إذا عذرت ونجبر ومنه الشيطان  
المارد وترد في معصيته أي مرن وثبت عليها واعتادها ولم يثبت منها قال ابن اسحق لجوا فيه وأبو غيره وقال  
ابن زيد أقاموا عليه ولم يتوبوا معه (لا تعلمهم) يعني أنهم بلغوا في النفاق إلى حيث أنك لا تعلمهم بالمحمد مع صفاء  
خاطرهم وإطلاعك على الأسرار (نحن نعلمهم) يعني لكن نحن نعلمهم لأنه لا تخفى علينا خافية وإن دقت  
(ستعلمهم مرتين) اختلف المفسرون في العذاب الأول مع انقافهم على أن العذاب الثاني هو عذاب القبر  
بدليل قوله (ثم يردون إلى عذاب عظيم) وهو عذاب النار في الآخرة فثبت بهذا أنه سبحانه وتعالى يعذب  
المنافقين ثلاث مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في الآخرة أما المرة الأولى وهي التي اختلفوا فيها  
فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا في يوم الجمعة فقال أخرج يافلان فانك منافق أخرج  
يافلان فانك منافق فخرج من المسجد أناسا فوضحهم فهذا هو العذاب الأول والثاني هو عذاب القبر فإن  
صح هذا القول فيحتمل أن يكون بعد أن أعمه الله حالهم وسجاهم له لأن الله سبحانه وتعالى قال لا تعلمهم نحن  
نعلمهم ثم بعد ذلك أعمههم وقال مجاهد هذا العذاب الأول هو القتل والسبي وهذا القول ضعيف لأن أحكام  
الاسلام في الظاهر كانت جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية أخرى أنهم عذبوا بالجويع  
مرتين وقال قتادة المرة الأولى هي الديلة في الدنيا وقد جاء تفسيرها في الحديث بأنها خراج من نار تظهر في  
أكتافهم حتى تنجم من صدورهم يعني تخرج من صدورهم وقال ابن زيد الأولى هي المصائب في الأموال  
والأولاد في الدنيا والآخرة عذاب القبر وقال ابن عباس الأولى قائمة الحدود عليهم في الدنيا والآخرة عذاب  
القبر وقال ابن اسحق الأولى هي ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه كرها عيبا والآخرى  
عذاب القبر وقيل أحدا أعضاء الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم والآخرى عذاب القبر  
وقيل الأولى أحرق مسجدهم مسجد الضار والآخرى أحرقهم بنار جهنم وهو قوله سبحانه وتعالى ثم  
يردون إلى عذاب عظيم يعني عذاب جهنم يخلدون فيه قوله عز وجل (وآخر عترفوا بذنوبهم) فيه قولان  
أحدهما أنهم قوم من المنافقين تابوا من نفاقهم وأخلصوا وخرجت هذا القول أن قوله تعالى وآخر عطف  
على قوله وعن حولكم من الاعراب منافقون والعطف موهم ويضده ما نقله الطبري عن ابن عباس أنه قال  
هم الاعراب والقول الثاني وهو قول جمهور المفسرين أنها نزلت في جماعة من المسلمين من أهل المدينة تخلفوا  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم قدموا على ذلك واختاف المفسرون في عددهم فروى  
عن ابن عباس أنهم كانوا عشرة منهم أبو لبابة وروى عنه أنهم كانوا خمسة أحدهم أبو لبابة وقال سعيد بن جبير  
وزيد بن أسلم كانوا ثمانية أحدهم أبو لبابة وقال قتادة والضحاك كانوا سبعة أحدهم أبو لبابة وقيل كانوا ثلاثة  
أبو لبابة بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديع بن حزام وذلك أنهم كانوا يخفون عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم في غزوة تبوك ثم قدموا بعد ذلك وتابوا وقالوا أن نكون من الضلال ومع النساء ورسول الله صلى الله عليه  
وسلم وأصحابه في الجهاد واللا واء فلهما رجعا رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة قالوا

لأجلهم أن يكون كلاما  
مبتدأ أو مستغنى عن  
فصل بينها وبينه معطوف  
على خبره وولد على  
مهارتهم فيه بقوله  
(لا تعلمهم) أي يخفون  
عليك مع فطنتك وصدق  
فراستك لفرط تنويعهم في  
تخايب ما بينك وبينهم  
أمرهم ثم قال (نحن  
نعلمهم) أي لا يعلمهم إلا الله  
ولا يطلع على سرهم غيره  
لأنهم يبطنون الكفر في  
سوء بدها قلوبهم ويرزون  
لك ظاهرا كظاهر  
الخاصين من المؤمنين  
(ستعلمهم مرتين) هما  
القتل وعذاب القبر أو  
الفضيحة وعذاب القبر أو  
أخذ الصدقات من أموالهم  
ونهبك أي دنسهم (ثم يردون  
إلى عذاب عظيم) أي  
عذاب النار (وآخر عطف  
أي قوم آخرون سوى  
الذكورين) اعترفوا  
بذنوبهم) أي لم يعتدروا  
من تخلفهم بالمعاذير  
الكاذبة كغيرهم ولكن  
اعترفوا على أنفسهم بأنهم  
بش ما فعلوا ناديين كانوا  
عشرة فسيعة منهم ما  
بلغهم ما نزل من المتخلفين  
أو ثقوا أنفسهم على سواي  
المسجد فقدم رسول الله

صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عاتنه كلما أقدم من سفر فرأهم موقنين فسال عنهم فذكر  
لهم أنهم أقسموا أن لا يعملوا أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلهم فقالوا أنا أقسم أن لا نحلهم حتى أوامرهم فتمزلت

تعالى عنهم فهو لاء الاربعة سابق الخلق الى الاسلام قال ابن اسحق فلما أسلم أبو بكر أظهر اسلامه ودعا الناس الى الله ورسوله وكان رجلا محبسا - هلا وكان أنسب فريش لقر يش وأعلم بما كان فيها وكان رجلا ناجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال قومه يأتونه بالفقير لعلمه وحسن مجاسته فجعل يدعو الى الاسلام من يتقى به من قومه فأسلم على يده عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله بن جهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا على يده وصالوا معه فكان هؤلاء النفر الثمانية أول من سبق الناس الى الاسلام ثم تتابع الناس بعدهم في الدخول الى الاسلام وأما السابقون من الانصار فهم الذين يابعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي العقبة الاولى وكانوا ستة نفر أسعد بن زرارة وعوف بن مالك ورافع بن مالك بن الجحان وقطبة بن عامر وجابر بن عبد الله بن رباب ثم أعجاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلا ثم أعجاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين رجلا منهم البراء بن معمر وعبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر وسعد بن عباد وسعد بن الربيع وعبد الله بن رباح فهو لاء سابق الانصار ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير الى أهل المدينة يعلمه القرآن فأسلم على يده خلق كثير من الرجال والنساء والصبيان من أهل المدينة وذلك قبل أن يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل ان المراد السابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ان الله سبحانه وتعالى ذكرهم سابقين ولم يبين عما ذاقوا في اللفظ مجالا فلما قال تعالى من المهاجرين والانصار ووصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا وجب صرف اللفظ الجمل اليه وهو الهجرة والنصرة والذي يدل عليه أيضا ان الهجرة طاعة عظيمة ومرتبعة عالية من حيث ان الهجرة أمر شاق على النفس لمفارقة الوطن والعشيرة وكذلك النصر فانهما مرتبة عالية ومنقبة شرف لانهما نصر وارسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائهم وآووه واسوهم وأووا وأعجبه واسوهم فلذلك أنشئ الله عز وجل عليهم ومدحهم فقال سبحانه وتعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار ﴿١﴾ قوله تعالى (والذين اتبعوهم باحسان) قيل هم بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين فعلى هذا القول يكون الجميع من الصحابة وقيل هم الذين سلكوا سبيل المهاجرين والانصار في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة وقال عطاءهم الذين يذكرون المهاجرين والانصار فيرجون عليهم ويدعون لهم يذكرون محاسنهم (ق) عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو ان احدا رفر وأباعدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه أراد بالقرن في الحديث الاول أصحابه والقرن الامعة من الناس يقارن بعضهم بعضا واختلفوا في مدته من الزمان ف قيل من عشرين سنين الى عشرين وقيل من مائة الى مائة وعشرين بن سنة والمد المذكور في الحديث الثاني هو ربع صاع والنصيف نصفه والمعنى لو أن احدا عمل مهما قدر عليه من أعمال البر والانفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر اليسير التافه من أعمال الصحابة وانفاقهم لانهم أنفقوا بذلوا الجهد وفي وقت الحاجة وقوله سبحانه وتعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه) يعني رضي الله عن أعمالهم ورضوا عنه عما جازاهم عليه من الثواب وهذا اللفظ عام يدخل فيه كل الصحابة (وأعدهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) ﴿٢﴾ قوله سبحانه وتعالى (ومن حولكم من الاعراب منافقون) ذكر جماعة من المفسرين المتأخرين كالبيهقي والواحدي وابن الجوزي انهم من اعراب مريضة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعني ومن هؤلاء الاعراب منافقون واذا برودة مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا هؤلاء القبائل ومدحهم فان صح نقل المفسر بن فيحمل قوله سبحانه وتعالى (ومن حولكم من الاعراب منافقون

الاولى وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين (والذين اتبعوهم باحسان) من المهاجرين والانصار فكانوا سائر الصحابة وقيل هم الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة والخبر (رضي الله عنهم) بأعمالهم الحسنة (ورضوا عنه) بما أقض عليهم من نعمته الدينية والدينية (وأعد لهم) عطف على رضى (جنات تجري تحتها الانهار) من تحتها مكي (خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) ومن حولكم يعني حول بلدكم وهي المدينة (من الاعراب منافقون) وهم جهينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها

٢ قوله ستة نفر المدود هنا خمسة والسادس عقبة بن عامر كما في المواهب وقوله في الهامش سبعة تتبع فيه الكشف وهو محال لما في المواهب وما هنا اه

محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ودينه الامساوهم (والله سميع) يعني لا قوا لهم (علم) يعني بما يخفون في ضمائرهم من النفاق والغش وإرادة السوء للمؤمنين نزات هذه الآية في اعراب أسد وغطفان ونعيم ثم استثنى الله عز وجل فقال تبارك وتعالى (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) قال مجاهد هم بنو مكرم من مزينة وقال الكلبي هم أسلم وغفار وجهينة (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرايتم ان كان جهينة ومزينة وأسلم وغفار خيرا من بني تميم وبني أسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر ابن صعصعة فقال رجل خابوا وخسر وقال نعم هم خير من بني تميم وبني أسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة وفي رواية ان الاقرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم انما نابعك سراق الحجج من أسلم وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرايت ان كان أسلم وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة خير من بني تميم وبني عامر وأسد وغطفان قال خابوا وخسر وقال نعم (ق) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أسلم سالم الله وغفار غفر الله له اذ مسلم في راية له ما في لم أقلها لكن الله قالها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ريش والانصار وجهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار مولى لبس لهم مولى دون الله ورسوله ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (ويتخذ ما ينطق قربا عند الله) جمع قرية أي يطلب ما ينطق القرية الى الله تعالى (وصلوات الرسول) يعني ويرغبون في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو للتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى (الأنصار قرية بهم) بمحتمل أن يعود الضمير في انها الى صلوات الرسول ويحتمل أن يعود الى الاتفاق وكلاهما قرية بهم عند الله وهذه شهادة من الله تعالى للمؤمن المتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربا عند الله وصلوات الرسول له مقبولة عند الله لان الله سبحانه وتعالى أكد ذلك بحرف التنبيه وهو قوله تعالى والبحرف التحقيق وهو قوله تعالى انها قرية بهم (سيد خلمهم الله في رحته) وهذه النعمة هي أقصى مرادهم (ان الله غفور) للمؤمنين المتصدقين في سبيله (رحيم) يعني بهم حيث وقفهم لهذه الطاعة ﷺ قوله سبحانه وتعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) اختلف العلماء في السابقين الاولين فقال سعيد بن المسيب وقناة وابن سيرين وجاعة هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء بن ابي رباح هم أهل بدر وقال الشعبي هم أهل بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالجديبية وقال محمد بن كعب القرظي هم جميع الصحابة لانهم حصل لهم السبق بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جند بن زباد قلت يا محمد بن كعب القرظي انما اخترتني عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبما بينهم وأردت الفتن فقال ان الله قد غفر لجميعهم بحسبهم ومسيبهم وأوجب لهم الجنة في كتابه فقلت له في أي موضع أوجب لهم الجنة فقال سبحانه الله انما اتفقوا السابقون الاولون الى آخر الآية فأوجب الله الجنة لجميع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم زاد في راية في قوله والذين اتبعوهما باحسان قال شرط في التابعين شرط يوهي أن يتبعوه في أعمالهم الحسنة دون السيئة قال جند فكتا لم أقرأ هذه الآية قط واختلف العلماء في أول الناس اسلا ما بعد اتفاقهم على ان خديجة أول الخلق اسلا ما وأول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض العلماء أول من آمن بعد خديجة علي بن أبي طالب وهذا قول جابر بن عبد الله ثم اختلفوا في سنة وقت اسلا ما فقيل كان ابن عشرين سنين وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر وقيل كان بالغاً والصحيح أنه لم يكن بالغاً وقت اسلا ما وقال بعضهم أول من أسلم بعد خديجة أبو بكر الصديق وهذا قول ابن عباس والنخعي والشعبي وقال الزهري وعرو بن الزبير أول من أسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات فيقول أول من أسلم من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي بن أبي طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضي الله

لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة (علم) بما يضره من الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر يتخذ ما ينطق في الجهاد والصدقات (قربا) أسبابا للقرية (عند الله) وهو مفعول ثان ليتخذ (وصلوات الرسول) أي دعاءه لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل أبي أوفى (الأنصار) أي النفقة أو صلوات الرسول (قرية بهم) قرية نافع وهذا شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربا وصلوات وتصدق لرجائه على طريق الاستئناف مع سوفي التنبيه والتحقيق المؤذين بنبات الامر وتمكنه وكذلك سيد خلمهم الله في رحته) و ما في السين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها (ان الله غفور) يستعيب الخلل (رحيم) يقبل جهد المقل (والسابقون) مبتدأ (الاولون) صفة لهم (من المهاجرين) بنين لهم وهم الذين صلوا الى القبلتين أو الذين شهدوا بدر أو بيعة الرضوان (والانصار) عطف على المهاجرين أي ومن الانصار وهم أهل بيعة العقبة



(وسرى الله علمكم ورسوله) أنتم يوم أن تثبتون على كفركم (ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة) أى تردون إليه وهو عالم كل سر وعلاية (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم على حسب ذلك (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم) انتركوهم ولا توبخوهم (فأعرضوا عنهم) فأعطوهم طلبتهم (انهم رجس) تغليل لترك معانيتهم (٢٧٣) أى إن المعانبة لا تنفع فيهم ولا تصالحهم لانهم

(وسرى الله علمكم ورسوله) يعنى فى المستأف أنتم يوم من تفاقمكم أم تقيمون عليه وقيل بمحمل أنهم وعدوا بان ينصر والمؤمنين فى المستقبل فلماذا قال وسرى الله علمكم ورسوله هل تقولون باقتلهم أم لا (ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم) يعنى فيخبركم (بما كنتم تعملون) لانه هو المطلع على ما فى ضائركم من الخيانة والكذب واخلاف الوعد وقوله عز وجل (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم) يعنى اذا رجعت من سفركم إليهم يعنى إلى المتخلفين بالبدنة من المنافقين (لتعرضوا عنهم) يعنى تصفحوا عنهم ولأنو نبوهو ولا توبخوهم بسبب تخلفهم (فأعرضوا عنهم) يعنى فدعوهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق وقيل ريدترك الكلام يعنى لانكم موهم ولا تحاسوهم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال لانحاسوهم ولا نسكموهم قال أهل المعاني ان هؤلاء المنافقين طلبوا اعراض الصفح فأعطوا اعراض المقت ثم ذكر العلة بسبب الاعراض عنهم فقال تعالى (انهم رجس) يعنى أن بواطنهم خبيثة نجسة وأعمالهم قبيحة (وأما هم) يعنى مسكنهم فى الآخرة (جهنم جزاء بما كانوا يكسبون) يعنى من الأعمال الخبيثة فى الدنيا قال ابن عباس نزلت فى الجدين قيس ومعتب بن قيس وأصحابهما وكانوا ثنائين رجلا من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لانحاسوهم ولا نسكموهم وقال مقاتل نزلت فى عبد الله بن أبى حلف بن أبى الله عليه وسلم بالله الذى لا اله الا هو لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يرضى عنه فانزل الله عز وجل هذه الآية والى بعدها (يحلفون لكم تعرضوا عنهم) يعنى يحلف لكم هؤلاء المنافقون لتعرضوا عنهم (فان تعرضوا عنهم) يعنى فان رضيت عنهم أي المؤمنون بحالهم ولا تكلموهم عندهم (فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) يعنى أنه سبحانه وتعالى يعلم ما فى قلوبهم من النفاق والشك فلا يرضى عنهم أبداً وقوله سبحانه وتعالى (الاعراب أشد كفرا ونفاقا) نزلت فى سكان البادية يعنى ان أهل البدو أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر قال أهل اللغة يقال رجل عري اذا كان نسبه فى العرب وجعله العرب ورجل أعراى اذا كان بدو وياطلب مساقط الغيب والكلاو ويجمع الاعرابى على الاعراب والاعراب يفن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الاعراب فالاعرابى اذا قيل له يعراى فرح بذلك والعربى اذا قيل له يعراى غضب والاعراب أفضل من الاعراب لان المهاجرين والانصار وعلماء الدين من العرب والسبب فى كون الاعراب أشد كفرا ونفاقا بعدهم عن مجالسة العلماء وسماع القرآن والسنة والمواظ و هو قوله سبحانه وتعالى (وأجدر) يعنى وأخلق وأجرى (الاياعلموا) يعنى بان لا يعلموا (حدود ما نزل الله على رسوله) يعنى الغرائض والسنة والاحكام (والله عليم) يعنى بما فى قلوب عباده (حكيم) فيها فرض من فرائضه وأحكامه (ومن الاعراب من يتخذ ما ينطق مغرما) يعنى لا يرجو على انفاقه نوابوا ولا يخاف على امساك عقابا ما ينطقى خوفا أو رياء أو المهرم التزام ما لا يلزم والمعنى ان من الاعراب من يعتقد أن الذى ينطقه فى سبيل الله غرامة لانه لا ينطق ذلك الا خوفا من المسلمين أو مراما لهم ولم يرد بذلك الانفاق وجه الله وثوابه (و يتر بص) يعنى ويتنظر (بكم الدوائر) يعنى بالدوائر التى قبل الزمان وصروفه التى تأتى مرة بالخير ومرة بالشر قال يمان بن رباب يعنى قلب الزمان فيموت الرسول وتظهر المشركون (عليهم دائرة السوء) يعنى على بقاء عابهم الزمان ويدور السوء والبلاء والحزن بهم ولا يرون فى

(٣٥ - خازن) - (ثانى) والقسوة فى القدا دين يعنى الاكره لانهم يقدون أى يصيحون فى حروثهم والقديد الصباح (والله عليم) باحوالهم (حكيم) فى امهالهم (ومن الاعراب ما يتخذ ما ينطقى) أى يتصدق (مغرما) غرامة وخسرانا لانه لا ينطق الا بصدق من المسلمين ورياء لوجه الله وابتغاء الثواب عنده (و يتر بص بكم الدوائر) أى دوائر الزمان وتبدل الاحوال بدور الايام لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة (عليهم دائرة السوء) أى عليهم بدور المعائب والحروب التى يتوقعون وقوعها فى المسلمين السوء

أى لاجناح عليهم ولا طر بق العتاب عليهم (والله غفور) بغفر تخلفهم (رحيم) بهم (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) لتعطيمهم الحولة  
(قلت) حال من الكفا في أتوك (٢٧٢) وقد قيله مضمرة أى اذا ما أتوك قال (لا أجد ما أحملكم عليه تولوا) هو جواب اذا

الشارع طر بق بطرق عليه فيعاقب عليه والمعنى انه سدا بأحسانه طر بق العقاب عن نفسه ويستنبط من قوله ما على المحسنين من سبيل ان كل مسلم يشهد ان لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله مختصاً من قبله ليس عليه سبيل في نفسه وماله الا ما أباحه الشرع بدليل منفصل (والله غفور) يعنى لمن تخلف عن الجهاد بعد رظا هر أباحه الشرع (رحيم) يعنى انه تعالى رحيم بجميع عباده قال قتادة نزلت هذه الآية في عاتدين عمرو وأصحابه وقال الضحاك نزلت في عبد الله بن أم مكتوم وكان ضرباً بالبصر <sup>ب</sup> وماذا كره الله عز وجل هذه الاقسام الثلاثة من المعذورين أتبعه بذلك قسم رابع وهو قوله تعالى (ولا على الذين اذا ما أتوك) يعنى ولا حرج ولا ثم في التخلف عنك على الذين اذا ما أتوك (لتعلمهم) يعنى يسألونك الجلال ليبالوا على غزو وعدوك وعدوهم والجهاد معك يا محمد قال ابن اسحق نزلت في البكائين وكانوا سبعة ونقل الطبري عن محمد بن كعب وغيره قالوا اجاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال لأجد ما أحملكم عليه فأنزل الله هذه الآية وهم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير ومن بني واقف حرمي بن عمير ومن بني مازن ابن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى أبا بلي ومن بني المعلى سامان بن صخر ومن بني حارثة عبد الرحمن بن زيد وهو الذي تصدق بعرضه فقبل الله منه ذلك ومن بني سامة عمرو بن غنمة وعبد الله بن عمرو المزني وقال البيهقي هم سبعة نفر ساء والبكائين معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب الانصاري وعلبة بن زيد الانصاري وسالم بن عمير وتعليه بن غنمة وعبد الله بن مغفل المزني قال أبو تار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان العز وجل قد نبأنا الى الخروج معك فاجلنا فقال لأجد ما أحملكم عليه وقال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وكانوا ثلاثة اخوة معقل وسويد والنعمان بنومقرن وقيل نزلت في العرباض بن سارية ويحفل أنها نزلت في كل من ذكر قال ابن عباس سألوهم ان يحملهم على الدواب وقيل بل سألوهم ان يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوصة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أجد ما أحملكم عليه فولو اوهم سيكون ولتلك سموا البكائين فذلك قوله سبحانه وتعالى (قلت لأجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع) قال صاحب الكشاف هو كقولك تفيض دمعاً وهو أبلغ من تفيض دمعها لان العين جعأت كان كاهها دمع فائض ومن البيان كقولك أفدبك من رجل (حزناً لا يجدوا ما ينفقون) يعنى على أنفسهم في الجهاد (انما السبيل) لما قال الله سبحانه وتعالى ما على المحسنين من سبيل قال تعالى في حق من يعتذروا عنده انما السبيل يعنى انما توجه الطر بق بالعقوبة (على الذين يستأذنونك) يا محمد في التخلف عنك والجهاد معك (وهم أغنياء) يعنى قادرين على الخروج معك (رضوا بان يكونوا مع الخوالب) يعنى رضا بالدعاء وما أضغوا ولا انتظام في جلة الخوالب وهم النساء والصبيان والقعود معهم (وطبع الله على قلوبهم) يعنى ختم عليها (فهم لا يعلمون) ما في الجهاد من الخير في الدنيا والآخرة ما في الدنيا فالقوز بالنعيم والظفر بالعدو وما في الآخر فالشباب والنعيم الدائم الذي لا ينقطع <sup>ب</sup> قوله سبحانه وتعالى (يعتذرون اليك اذا رجعت اليهم) يعنى يعتذروا لا المنافقون التخلفون عنك يا محمد اليك وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيماً له صلى الله عليه وسلم ويحتمل أنهم اعتذروا اليه الى المؤمنين فانه نال تعالى يعتذرون اليك يعنى بالاعذار الباطلة الكاذبة اذ رجعت اليهم يعنى من سفركم (قل) أى قل لهم يا محمد (لا تعتذروا) قال البيهقي روى أن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وعشرين فقال الله تعالى قل لا تعتذروا (ان تؤمن لكم) يعنى ان تصدقكم فيما اعتذرتم به (قد نبأنا الله من أخباركم) يعنى قد أخبرنا الله فيما صلف من أخباركم

(وأعينهم تفيض من الدمع) أى تسيل كقولك تفيض دمعاً وهو أبلغ من تفيض دمعها لان العين جعأت كان كاهها دمع فائض ومن البيان كقولك أفدبك من رجل ومحل الجار والمجرور نصب على التخيير ويجوز أن يكون قلت لأجد استئنافاً كأنه قيل اذا ما أتوك لتحملهم تولوا فتفيض ما طم تولوا با كين فقبل قلت لأجد ما أحملكم عليه الا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض (حزناً) معقول له (لا يجدوا ما ينفقون) لا يجدوا ما ينفقون ومحل نصب على أنه مفعول له وناصبه حزناً واستعملون أبو موسى الاشعري وأصحابه والبكائين وهم ستة نفر من الانصار (انما السبيل على الذين يستأذنونك) في التخلف (وهم أغنياء) وقوله (رضوا) استئناف كأنه قيل ما باطهم استأذناؤهم أغنياء فقيس رضوا (بان يكونوا مع الخوالب) أى بالانتظام في جلة الخوالب (وطبع الله على قلوبهم) يعنى لا يعلمون يعتذرون

اليك) يقيمون لانفسهم عنرا باطلا (اذا رجعت اليهم) من هذه السفارة (قل لا تعتذروا) وبسرى بالباطل (ان تؤمن لكم) ان تصدقكم وهو علة للنعى عن الاعتذار لان الغرض ان المعتذر يصدق فيما يعتذر به (قد نبأنا الله من أخباركم) علة لا تتفاءل بصدقهم لانه تعالى اذا أوحى الى رسوله الاعلام بأخبارهم وما في ضايرهم لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم

المعتزون من الاعراب ليؤذن لهم) يعني وجاء المعتذر ون من اعراب البوادي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه في التخلف عن الغزو معه قال الصحاح هم رط عامر بن الطفيل جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذرين اليه دفاع عن انفسهم فقالوا يا نبي الله ان نحن غزونا معك تغير اعراب طيء على حلاتنا ولا وادنا وموشينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انبأني الله من اخباركم وسيغني الله عنكم وقيل هم نفر من بني غفار رط غفار بن ايماء بن رخصة وقيل هم من أسد وغطفان وقال ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر فاذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الآية وجاء المعتذر ون أي المقصرون يعني أنهم قصر وادلم ببالغوا في الاعتذر وبه والمعتذر ون يرى انه لعذر او لا لعذر له وقيل ان الاصل في هذا اللفظ عند النحاة المعتذرون اذ نغمت التاء في الالف اقرب مخرجهم او الاعتذار في كلام العرب على قسمين يقال اعتذر اذا كذب في عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون اليكم فرد الله عليهم بقوله قل لا تعتذر وا فدل ذلك على فساد عذرهم وكذبهم فيهمو يقال اعتذرا اذا أتى بعذر صحيح ومنه قول لبيد

ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر يعني فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو من التعذر الذي هو التعتير يقال عذر تعذرا اذا قصر ولم يبلغ فعلى هذا المعنى يحتمل أنهم كانوا صادقين في اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ونفس المفسرين من قال أنهم كانوا صادقين بدليل انه تعالى لماد كرههم قال بعده (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) فلما فصل بينهم وبينهم عن الكاذبين دل ذلك على أنهم ليسوا كاذبين ويروى عن أبي عمرو بن العلاء انه لما قيل له هذا الكلام قال ان قومنا كانوا يعتذروا باطل فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله وجاء المعتذر ون وتختلف آخرون لا لعذر ولا شبهة عذر جازع على الله تعالى فهم المراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين ما جازوا ما اعتذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله يعني في ادعائهم الايمان (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم) يعني في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار وانما قال منهم لانه سبحانه وتعالى علم ان منهم من سيؤمن ويخلص في ايمانه فاستثناهم الله من المنافقين الذين أصروا على الكفر والافتقار وما تواءم عليه قوله عز وجل (ليس على الضعفاء) لماذا كراته سبحانه وتعالى المنافقين الذين تخافوا عن الجهاد واعتذروا باعتذار باطل عقبه بذكر أصحاب الاعذار الحقيقية الصحيحة وعذرهم وأخبر أن فرض الجهاد عنهم ساقط فقال سبحانه وتعالى ليس على الضعفاء والضعفاء هو الضعيف هو الضعيف في بدنه العاجز عن الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ والاميان والنساء ومن خاف في أصل الخليفة ضعيفا تخفيا وبدل على ان هؤلاء الاصناف هم الضعفاء ان الله سبحانه وتعالى عاف عنهم المرضي فقال سبحانه وتعالى (ولا على المرضى) والمعلوف مغاير للمعلوف عليه فالمرضى فيدخل فيهم أهل العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفاً بغير ضعفه من التمكن من الجهاد والسفر للغزو (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) يعني الفقراء العاجزين عن أهبة الغزو والجهاد فلا يجدون الزاد والراحلة والسلاح ومؤنة السفر لان العاجز عن نفقة الغزو ومعدور (حرج) أي ليس على هؤلاء الاصناف الثلاثة حرج أي ألم في التخلف عن الغزو وقال الامام غفر الدين الرازي ليس في الآية انه يحرم عليهم الخروج لان الواحد من هؤلاء لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار القدرة ما يحفظ متاعهم أو بتكثير سوادهم بشرط ان لا يجعل نفسه كلا ولا يعالهم فان ذلك طاعة مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفاء في جواز التخلف عن الغزو شرطاً معيناً هو قوله سبحانه وتعالى (اذ انصحو الله ورسوله) ومعناه أنهم اذا أقاموا في البلد احترزوا عن اوضاع الاراجيف واثارة الفتن وسعوا في ابطال الخبيرة الى أهل المجاهدين الذين خرجوا الى الغزو وقاموا بالصالح بيوتهم وأخلصوا الايمان والعمل لله وتابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان جلة هذه الامور تجري مجرى النصيحة ورسوله (ما على الحسنين من سبيل) أي ليس على من أحسن فنصح لله ورسوله في تخلفه عن الجهاد بعذر قد أباحه

المعتذر ون من الاعراب  
ليؤذن لهم) هو من عذر  
في الامر اذا قصر فيه وتوانى  
وحقيقته ان يؤهم ان له  
عذرا فيما فعل ولا عذر له أو  
المعتذر ون بادغام التاء في  
الالف والنقل حركته الى  
العين وهم الذين يعتذر ون  
بالباطل قيل هم أسد  
وغطفان قالوا اننا عيال  
وان بنا جاهد فاذن لنا في  
التخلف (وقعد الذين  
كذبوا الله ورسوله)  
منافقون الاعراب الذين لم  
يجيئوا ولم يعتذروا فظهر  
بذلك انهم كذبوا الله  
ورسوله في ادعائهم الايمان  
(سيصيب الذين كفروا  
منهم) من الاعراب (عذاب  
اليم) في الدنيا بالقتل  
وفي الآخرة بالنار (ليس  
على الضعفاء) الهرمي  
والزمني (ولا على المرضى  
ولا على الذين لا يجدون  
ما ينفقون) هم الفقراء  
من من يشته وجهيته وبنى  
عذره (حرج) ألم وضيق  
في التأخر (اذ انصحو الله  
ورسوله) بان آمنوا في  
السرا والعلن وأطاعوا كما  
يفعل الصالح بإصاحبه (ما  
على الحسنين) (المعزوين  
الناسحين (من سبيل)

(واذا أنزلت سورة) يجوز

أن يراد سورة بنامها وأن يراد بعرضها كما يقع القرآن والكتاب على كاه وعلى بعضه (أن آمنوا بالله) بأن آمنوا أو هي ان المفسرة (وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم) ذو الفضل والسعة (وقالوا ذرنا نحن مع القاعدین) مع الذين لهم عذر في التخلف كالمرضى والزمنی (رضوا بأن يكونوا مع الخوالم) أى النساء جمع خالفة (وطبع على قلوبهم) ختم عليها لاحتيارهم الكفر والنفاق (فهم لا يفقهون) ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الهلاك والشقاوة (سكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أى ان تخلف هؤلاء ففسد نهض الى الغز ومن هو خير منهم (وأولئك لهم الخيرات) تناول منافع الدارين لا طلاق للفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات (وأولئك هم الفالحون) الفائزون بكل مطلوب (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) قوله أععد دليل على أنها مخلوقة (وجاء

من ذلك النسخ الذى وقع الاهتمام به وقيل أيضا غماصا كرهذا المعنى لانه اراد بالآية الاولى قوما من المنافقين كان لهم أموال وأولاد عند نزولها وبالآية الاخرى أقواما آخرين منهم \* المقام الثانى فى وجه بيان ما حصل من التفاوت فى اللفاظ فى هاتين الآيتين وذلك انه قال سبحانه وتعالى فى الآية الاولى فلا تنجيبك بالقاء وقال هتأول تنجيبك بالواو والفرق بينهما انه عطف الآية الاولى على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين لانفاق لشدة المحبة للأموال والأولاد حسن العطف عليه بالقاء فى قوله فلا تنجيبك وما هذه الآية فلا تعلق لها بما قبلها فهذا أتى بحرف الواو وقال سبحانه وتعالى فى الآية الاولى فلا تنجيبك أموالهم ولا أولادهم وأسقط حرف لا هنا فقال سبحانه وتعالى وأولادهم والسبب فيه ان حرف لا دخل هناك لزيادة التأكيد فبدل على أنهم كانوا محبين بكثرة الأموال والأولاد وكان الإعجاب بهم بأولادهم أكثر وفى اسقاط حرف لا هنا دليل على انه لا تفاوت بين الامرين قال سبحانه وتعالى فى الآية الاولى انما يريد الله ليذهب عنهم يحرف اللام وقال سبحانه وتعالى هنا ان يذهب عنهم يحرف فى القاعدة فيه التنبيه على أن التعليل فى أحكام الله محال وانما يبين رد حرف اللام فمعناه أن كقوله سبحانه وتعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله ومعناه وما أمروا الا بان يعبدوا الله وقال تبارك وتعالى فى الآية الاولى فى الحياة الدنيا وقال تعالى هنا فى الدنيا والفائدة فى اسقاط لفظة الحياة التنبيه على أن الحياة الدنيا بلغت فى الخسة الى حيث انها لا تستحق أن تذكر ولا تسمى حياة بل يجب الاقتصاد عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيه على كمال دناءتها فهذه جل فى ذكر الفرق بين هذه الالفاظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ قوله عز وجل ﴾ (واذا أنزلت سورة) يحتمل أن يراد بالسورة بعضها لان اطلاق لفظ الجمع على البعض جائز ويحتمل أن يراد جميع السورة فعلى هذا المراد بالسورة براءة لانها مستتملة على الامر بالايمان والامر بالجهاد (أن) أى بان (آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله) فان قلت كيف يامرهم بالايمان مع كونهم مؤمنين فهو من باب تحصيل الحاصل قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهاد فى المستقبل وقيل ان الامر بالايمان بتوجهه على كل أحد فى كل ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان ظاهرا للعموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون والمعنى ان اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم الامر بالايمان على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد أصلا فكأنه قيل للمنافقين الواجب عليكم أن تؤمنوا بالله وأولادكم جاهدوا مع رسوله نانا حتى يفيدكم ذلك الجهاد فائدة يرجع عليكم نفعها فى الدنيا والآخرة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ (استأذنك أولو الطول منهم) قال ابن عباس يعنى أهل الفنى وهم أهل القدرة والثروة والسعة من المال وقيل هم رؤساء المنافقين وكبرائهم ونفى تخصيص أولى الطول بالذ كر قولان أحدهما ان الذم لهم ألزم لكونهم قادرين على أهبة السفر والجهاد والقول الثانى انما خص أولى الطول بالذ كر لان العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج الى الاستئذان (وقالوا) يعنى أولى الطول (ذرنا نحن مع القاعدین) يعنى فى البيوت مع النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنی (رضوا بأن يكونوا مع الخوالم) قيل الخوالم النساء الواقى يتخلفن فى البيوت فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بأن يكونوا فى تخلفهم عن الجهاد كالنساء وقيل خوالم جمع خالفة وهم أدنياء الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان ذنوبهم (وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) يعنى وختم على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون مراد الله فى الامر بالجهاد ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد هم خير منهم يعنى الرسول والمؤمنين (وأولئك لهم الخيرات) منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة فى الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيرة (وأولئك هم الفالحون) أى الفائزون بالمطالب ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) قوله أععد دليل على أنها مخلوقة (وجاء

في خاطره ان الله نهاه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الاطام والتحديث الذي شهد له النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون فهمه من سياق قوله استغفر لهم ولا استغفر لهم وهذا ان التأويلان فيه ما بعد قال القرطبي والذي يظهر لي والله أعلم أن البخاري ذكر هذا الحديث من رواية بن عباس وساقه سيفاقي أئين من هذه وليس فيها هذا اللفظ فقال عن ابن عباس عن عمر لمات عبد الله بن أبي بن سائل دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وثبت اليه الحديث الى قوله فصرى عليه ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى أنزلت عليه الآيتان من براءة قال القرطبي وهذا مساق حسن وتزويل متقن ليس فيه شيء من الاشكال المتقدم فهو الاول وقوله صلى الله عليه وسلم سأز يد على السبعين وعبد بالزيادة وهو مخالف لما في حديث ابن عباس عن بن عمر فان فيه لو أعلم أني ان زدت على السبعين يغفر له زدت وهذا تنقيد لتلك الوعد المطلق فان الاحاديث يفسر بعضها بعضا فيقيد بعضها بعضا فذلك قال لو أعلم أني ان زدت على السبعين يغفر له زدت فقد علم أنه لا يغفر له وقوله صلى الله عليه وسلم أني خيرت مشكل مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات كافرا وهو مقدم على الآية التي فيها التحجير والجواب عن هذا الاشكال ان النهي عنه استغفاره لمن تحقق موته على الكفر والشرك واما استغفاره لاولئك المنافقين المخير فيهم فهو قد علم صلى الله عليه وسلم أنه لا يقع ولا ينفع وغايته وان وقع كان تطيبا لقلوب الاحياء من قرا بانهم فأنفصل الاستغفار المنهي عنه من المخير فيه وارتفع الاشكال بحمد الله والله أعلم وقال الشيخ محي الدين الزنوي انما أعطاه قيصه ليكفنه فيه تطيبا لقلب ابنه عبد الله فإنه كان يحيا بالخالق قدس ذلك فاجابه اليه وقيل بل أعطاه مكافاة لعبد الله بن أبي المنافق الميت لأنه ألبس العباس حين أسرى يوم بدر قيصا وفي الحديث بيان مكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الابداء له وقابله بالحسن وألصقه قيصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال الله سبحانه وتعالى وانك لعلى خاق عظيم وقال البغوي قال سفيان بن عيينة كانت له يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب أن يكفنه بها ويرى أن النبي صلى الله عليه وسلم كلفه فاعمل بعدد الله بن أبي فقال صلى الله عليه وسلم وما يغني عنه قيصي وصلاتي من الله والله اني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه فيروى أنه أسلم ألف من قومه لما رآه تبرك بقمص النبي صلى الله عليه وسلم وقوله سبحانه وتعالى (ولا تقم على قبره) يعني لا تنف عليه ولا تقول دفنه من قومه قام فلان بأمر فلان اذا كفاه أمره وناب عنه فيه (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) وهذا لتعليل لسبب المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره ولما نزلت هذه الآية ماصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولما قام على قبره بعد هاقان قلت الفسق أدنى حال من الكفر ولما ذكر في تعليل هذا النهي كونه كافرا دخل تحت الفسق وغيره فالنافقة في وصفه بكونه فاسقا بعد ما وصفه بالكفر قلت ان الكافر قد يكون عدلا في نفسه بان يؤدى الامانة ولا يضر لاحد سوء وقد يكون خبيثا في نفسه كثير الكذب والمكر والخذاع واضمار السوء وغيره وهذا أمر مستقيم عند كل أحد ولما كان المنافقون بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله سبحانه وتعالى بكونهم فاسقين بعد أن وصفهم بالكفر وقوله تعالى (ولا تنجيبكم أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم به اني الدنيا ترهق أنفسهم وهم كافرون) الكلام على هذه الآية في مقامين ١ المقام الاول في وجه التكرار والحكمة فيه ان تجد الزول له شأن في تقرر برما نزل أولادنا كيدهم واردة أن يكون المخاطب به على بال ولا ينفصل عنه ولا ينساه وأن يعتقد ان العمل به مهم وانما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه وهو ان أشد الاشياء جذبا للقلوب والخواطر الاشتغال بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد أخرى وبالجملة فالتكرير براد به التأييد والمبالغة في التحذير

(ولا تنقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) لتعليل لانهم ليسوا باهل للصلاة عليهم لانهم كفروا بالله ورسوله (ولا تنجيبكم أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم به اني الدنيا ترهق أنفسهم وهم كافرون) التكرير بالمبالغة والتأكيد وان يكون على بال من المخاطب لا ينساه وأن يعتقد أنه مهم ولان كل آية في فرقة غير الفرقه الاخرى

يا عمر فإسماء كثر عليه قال اني خيرت فاخترت لواء علم أني ان زدت على السبعين يغفر له لذت عليهم اقال صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يكت الا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون قال فحببت بعد من جرى على اني رسوا صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسوله أعلم وأخرجه الترمذي وزاد فيه فاصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى (ق) عن جابر قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن أبي بعد ما أدخل حفرته فأمر به فاخرج فوضعه على ركبته ونفث فيه من ريقه وألبسه قميصه والله أعلم قال وكان كساعبا ساقيا قال سفيان وقال أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصان فقال له ابن عبد الله يا رسول الله ألبس عبد الله قميصك الذي يلي جلدك قال سفيان فيرون أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس عبد الله قميصه مكافاة لما صنع وفي رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر أتى بالاسارى وأتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم إياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي ألبسه

**فصل** وقد وقع في هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله بن أبي ابن ساول المناق في صورة اختلاف في الروايات ففي حديث ابن عمر المتقدم أنه لما توفي عبد الله بن أبي بن ساول أتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه وأن يصلى عليه فأعطاه قميصه وصلى عليه وفي حديث عمر ابن الخطاب من افراد البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى له ليصلى عليه وفي حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه بعد ما أدخل حفرته فأمر به فاخرج فوضعه على ركبته ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه ووجه الجمع بين هذه الروايات أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه قميصه فكفن فيه ثم أنصلى الله عليه وسلم صلى عليه وليس في حديث جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله أعلم أنه صلى عليه ولا كافي حديث عمر وابن عمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ثانيا بعد ما أدخل حفرته فاخرجه منها وزرع عنه القميص الذي أعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه ثم أنصلى الله عليه وسلم ألبسه قميصه بيده الكرمة فعل هذا كله بعد الله بن أبي طيبيا لقلب ابنه عبد الله فإنه كان يحيا بمساها صالحا مخلصا وأما قول قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عادته في مرضه أنه سأل أنه أن يستغفر له وأن يعطيه قميصه وأن يصلى عليه فأعطاه قميصه واستغفر له وصلى عليه ونفث في جلد ودلاه في حفرته فهذه جل من القول ظاهرها الترتيب وما المراد بهذا الترتيب الا توفيقا بين الاحاديث فيكون قوله ونفث في جلد ودلاه في قبره جملة منقطة عما قبلها يعني أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعد ما أعطاه القميص وبعد أن صلى عليه والله أعلم وقال القرطبي في شرح صحيح مسلم لسان عبد الله بن أبي بن ساول كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه الخزرج وغيرهم حسده وناصبه العداوة غير أن الاسلام غلب عليه فنفاق وكان رأسا في المنافقين وأعظمهم نفاقا وأشدهم كفرا وكان المنافقون كثيرين حتى لقد روى عن ابن عباس أنهم كانوا ثلثة ثمة رجل ومائة وسبعين امرأة وكان ولده عبد الله يعني ولده عبد الله بن أبي من فضلاء الصحابة وأصدقهم اسلاما وأكثرهم عبادة وأشجعهم صدرا وكان أبر الناس بابيه ومع ذلك فقد قال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك لتعلم أني من أبر الناس بابي وان أمرتني أن أتبك برأسه فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نعو عنه وكان من أحرص الناس على اسلام أبيه وعلى أن ينتفع من بركات النبي صلى الله عليه وسلم بشئ ولذلك لما مات أبو سؤل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه فينال من ركبته فأعطاه وسأله أن يصلى عليه فضلى عليه بكل ذلك اكراما لابنه عبد الله واسعا فاهو ولطيفته وفول عمر تصلى عليه وقد نهاك الله أن تصلى عليه يحتمل أن يكون قبل نزول ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ويظهر من هذا السياق أن عمر وقع



من باع الإيمان وداعى الإيقان (وقالوا لا تنفروا فى الحرب) قال بعضهم لبعض، وقالوا المؤمنين تنبسطا (قل نارجهن أشدحر الوكانوا يفتقون)  
استجبال لهم لان من آمن من مشقة ساعة فوق بسبب ذلك النصون فى مشقة (٣٦٧) الابد كان أجهل من كل جاهل

(فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) أى فيضحكون قليلا على فرجهن يتخلفهم فى الدنيا و يكون كثيرا جزاء فى العقبى الا أنه أخرج على لفظ الامر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان أهل النفاق يكون فى النار عمر الدنيا لا يرأف لهم دمع ولا يكتحلون بنوم (جزاء بما كانوا يكسبون) من النفاق (فان رجلكم الله) أى ردك من تبوك وانما قال (الى طائفة منهم) لان منهم من تاب من النفاق ومنهم من هلك (فاستأذنونك للخروج) الى غزوة بعد غزوة تبوك (فقبل ان تخرجوا مسمى أبدا) وبسكون الباء جزء وعلى عدوا) مسمى حفص (انكم رضيت بالقتل أول مرة) أول ما دعيت الى غزوة تبوك (فاقصدوا مع الخالفين) مع عبد الله بن أبى وكان مؤمنا ان يكفن النبي صلى الله عليه وسلم أباه فى قبصه ويصلى عليه فقبل فاعترض عمر رضى الله عنه فى ذلك فقال عليه السلام ذلك لا ينفعه وكنت أرجو أن

ايثار الراحة والقوم مع الاهد والولد ويكره ان يلاف النفس والمال وهو قوله سبحانه وتعالى (وقالوا لا تنفروا فى الحرب) وكانت غزوة تبوك فى شدة الحر فاجاب الله عن هذا بقوله سبحانه وتعالى (قل نارجهن أشدحر لوكانوا يفتقون) يعنى قل يا محمد طولا الذين اختاروا الراحة والقعود خلافا عن الجهاد فى الحرب نارجهن التى هى موعدهم فى الآخرة أشدحر من حر الدنيا لوكانوا يملعون قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن يبتغوا معه وذلك فى الصيف فقال الرجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفروا فى الحرب فقال الله عز وجل قل نارجهن أشدحر الوكانوا يفتقون فامره الله تعالى بالخروج (فليضحكوا قليلا) يعنى فليضحك هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحين قليلا فى الدنيا الثانية بمقدهم خلافا (وليبكوا كثيرا) يعنى مكان ضحكهم فى الدنيا وهذا ان ورد بصيغة الامر الآن معناه الاخبار والمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا طول اعمارهم فى الدنيا فهو قليل بالنسبة الى بكائهم فى الآخرة لان الدنيا فانية والآخرة باقية والمقطع الفانى بالنسبة الى الدائم الباقي قليل (جزاء بما كانوا يكسبون) يعنى أن ذلك البكاء فى الآخرة جزاء لهم على ضحكهم واعماسهم الخبيثة فى الدنيا (خ) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعلمون ما أعلم اضحكتم قليلا وليكنتم كثيرا وروى البغوى بسنده عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ايتكوا فان لم تستطعوا أن تبتكوا فاقبوا كوا فان أهل النار يبتكون فى النار حتى تسيل دموعهم فى وجوههم كانهما جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل السماء فتفرغ العيون فلو ان سفنا أجزبت فيها جرت فليضحكوا قليلا وليكنتم كثيرا وروى البغوى بسنده (الله) يعنى فان ردك الله يا محمد من غزائك هذه (الى طائفة منهم) يعنى الى المتخلفين عنك وانما قال منهم لانه ليس كل من تخلف باليد يتع من غزوة تبوك كان منافقا مثل اصحاب الاعداد (فاستأذنونك للخروج) يعنى فاستأذنت المتأفقون الذين تخلفوا عنك وتحقق نفاقهم فى الخروج معك الى غزوة أخرى (فقل ان تخرجوا مسمى أبدا) يعنى فقل يا محمد طولا الذين طلبوا الخروج وهم مقيمون على نفاقهم ان تخرجوا مسمى أبدا لالى غزوة والى سفر (ولن تقاتلوا مسمى عدوا انكم) يعنى لانكم رضيت بالقتل أول مرة) يعنى انكم رضيت بالتخلف عن غزوة تبوك (فاقصدوا مع الخالفين) يعنى مع المتخلفين النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع المخالفين يقال ضاحبه خافه اذا كان مخالفا كثيرا لخلاف وفى الآية دليل على ان الرجل اذا ظهروا منه مكر وخداع وبدعيةب الانقطاع عنه وترك مصاحبته لان الله سبحانه وتعالى يمنع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد وهو مشعر باظهار نفاقهم وذمهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكرهم وخداعهم اذا خرجوا الى الغزوات فوله عز وجل (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) الآية قال قتادة بعث عبد الله بن أبى اسلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض لآتيه قال فيها عمر عن ذلك فانه نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم قال أهل بك حب اليهود فقال يا نبي الله انى لم يبعث اليك لؤي بنى ولكن بعث اليك لتستغفر لى وسأله فيصعد ان يكفن فيه فاعطاه اياه واستغفر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفنه فى قميصه صلى الله عليه وسلم ونفث فى جلده وولده فى قبره فانزل الله سبحانه وتعالى (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) الآية (خ) عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله بن أبى ابن اسلول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم لىصلى عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول الله أصلى على ابن أبى ابن اسلول وقد قال يوم كذا كذا وكذا اعددا عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أخر عنى

يؤمن به ألف من قومه فتزل (ولا تصل على أحد منهم) من المنافقين يعنى صلاة الجنائز روى انه أسلم ألف من الخزرج لما رآه يطلب التبرك بشوب النبي صلى الله عليه وسلم (مات) صفة لاحد (أبدا) ظر ف اتصل وكان عليه السلام اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فقيل

(سخر الله منهم) جازاهم على سخرتهم وهو خبر غير دعاء (ولهم عذاب أليم) مؤلف ولما سأل عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لابه في مرضه نزل (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) وقد مر أن هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل ان يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة قلن يغفر الله لهم) والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم لتكثير وليس على التحديد والغاية اذ لو استغفر لهم مدة حياته لن يغفر الله لهم كفار والله لا يغفر ان كفر بهوا المعنى وان بالغت في الاستغفار فلن يغفر الله لهم وقد وردت الاخبار بذلك

(٢٦٦)

السبعين من بين سائر ذلك الثواب الموعود به وقوله سبحانه وتعالى (سخر الله منهم) يعني انه سبحانه وتعالى جازاهم على سخرتهم ثم وصف ذلك وهو قوله تعالى (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة وقوله سبحانه وتعالى (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) أن تستغفر لهم سبعين مرة قلن يغفر الله لهم قال المفسرون لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وبأن نفاهم وظهر للمؤمنين جازا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعترفون اليه ويقولون استغفر لنا فنزل استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وهذا كلام خرج مخرج الامر ومعناه الخبر تقدمه استغفرت لهم يا محمد أو لم تستغفر فلن يغفر الله لهم وانما خص سبحانه وتعالى السبعين من العدد بالذکر لان العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى على عمه حذرة رضي الله تعالى عنه سبعين تكبيرة ولان أحاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فان السموات سبع والارضين سبع والايام سبع والاقاليم سبع والبحار سبع والنجوم السيرة تتبع فيها النقص الله تبارك وتعالى السبعين بالذکر لما بلغه في اليأس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قدر خص لي فسأريدين على السبعين لعل الله ان يغفر لهم فانزل الله سبحانه وتعالى سوا عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (ق) عن ابن عمر قال لما توفي عبد الله بن أبي ابن ساول جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قبضة يكفن فيه أباه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خير في الله عز وجل فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة سأريدين على السبعين قال انه منافق فيصلي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقبل على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وما لو اؤمهم فاسقون زاد في رواية فترك الصلاة عليهم وقوله سبحانه وتعالى (ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله) يعني ان هذا الفعل من الله وهو ترك عفوه عنهم وترك المغفرة لهم من أجل انهم اختاروا الكفر على الإيمان بالله ورسوله (والله لا يهدي القوم الفاسقين) يعني والله لا يوفق للايمان به ورسوله من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله وقوله عز وجل (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) يعني فرح المخلفون عن غزوة تبوك والمخلف المتروك بمقعدهم يعني بقعودهم في المدينة خلاف رسول الله يعني بعده وعلى هذا المعنى خلاف بمعنى خلف فهو اسم لاجهة المعينة لان الانسان اذا توجه الى قدامه غن ترك خلفه فقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى تبوك وأقاموا بالدينة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أمرهم بالخروج الى الجهاد فاخثاروا التعود مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى (وكرهوا أن يجاهدوا بايما هم وأأنفهم في سبيل الله) والمعنى انهم فرحوا بسبب الخلف وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك ان الانسان يميل بطبعه الى

الاعداد ان العدد قليل وكثير القليل مادون الثلاث والكثير الثلاث فما فوقها وأدنى الكثير الثلاث وليس لقضاء غايته والعدد أيضا نوعان شفع ودر وأول الشفاعة اثنان وأول الأتار ثلاثة والواحد ليس بعدد والسبعة أول الجوع الكثير من النوعين لان فيها أوراها ثلاثة واشفاعة ثلاثة والعشرة كمال الحساب لان ما جاوز العشرة فهو إضافة لأحاد الى العشرة كقولك اثنا عشر وثلاثة عشر الى العشرين والعشرون تكرير العشرة مرتين والثلاثون تكريرها ثلاث مرات وكذلك الى مائة فالسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه كمال الحساب والكثرة منه فصار السبعون أدنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لقضاء جاز أن يكون تخصيص

السبعين لهذا المعنى والله أعلم (ذلك) إشارة الى اليأس من المغفرة (بانهم) بسبب انهم (كفروا بالله ورسوله) اشارة لاغفران للكافرين (والله لا يهدي القوم الفاسقين) الخارجين عن الإيمان ماداموا مختارين للكفر والطغيان (فرح المخلفون) المخلفون الذين استأنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم وخلفهم بالدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان (بمقعدهم) بقعودهم عن الغزو (خلاف رسول الله) مخالفة له وهو فعل له وأحال أي قعد والمخالفة وأخالفين له (وكرهوا أن يجاهدوا بايما هم وأأنفهم في سبيل الله) أي لم يفعلوا ما فعله المؤمنون من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله وكيف لا يكرهونه وما فيه من المؤمنين

يسلم كان منافقا خاصا معناه كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبية عليه فاما من ندر ذلك منه فليس ذلك حاصلا فيه وهو المختار في معنى الحديث وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فاتهم حدثوا في إيمانهم فكذبوا أو امتنعوا على دينهم فغاثوا أو وعدوا في أمر الدين ونصروا فخلقوا وخبروا في خصوصاتهم وهذا قول سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ورجع إليه الحسن البصري بعد أن كان على خلافه وهو مروي عن ابن عباس وابن عمر وروياه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض واليه مال أكثرنا ثمنا وحكي الخطابي قول آخر أن معناه التعذر لاسلم أن يعتاد هذه الخصال وحكي أيضا عن بعضهم أن الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجهم بصريح القول فيقول فلان منافق وانما يشير إشارة كقوله صلى الله عليه وسلم ما بال أقول يفعلون كذا والله أعلم وقال الامام غفر الله له الرازي ظاهر هذه الآية يدل على أن نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم أن يدافع في الاحتراز عنه فإذا عاهد الله في أمر فليجتهد في الوفاء به ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (ألم يعلموا) يعنى هؤلاء المنافقين (أن الله يعلم سرهم) يعنى ما تطوى عليه صدرهم من النفاق (ونجواهم) يعنى ويعلم ما يفاوض به بعضهم بعضا فيما بينهم والنجوى هو الخفى من الكلام يكون بين القوم والمعنى انهم يعلمون ان الله يعلم جميع أحوالهم لا يخفى عليه شئ منها (وأن الله علام الغيوب) وهذا مبني على العلم يعنى ان الله عالم بجميع الاشياء فكيف تخفى عليه أحوالهم ﴿قوله عز وجل﴾ (الذين يلزمون المطوعين من المؤمنين في الصدقات) الآية (ق) عن أبي مسعود البدرى قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحمل على ظهورنا نجاء رجل فنصدق بشئ كثير فقالوا امراء وجاء رجل فنصدق بصاع فقالوا ان الله غنى عن صاع هذا فنزلت الذين يلزمون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجيدون الاجتهاد الآية وقال ابن عباس وغيره من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية آلاف درهم جئتك بأربعة آلاف فأجعلها في سبيل الله وأمسكت أربعة آلاف لعالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدى الجبلى بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصارى بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت لي ثمن أجرة بالجرير الماتى حتى نلت صاعين من تمر فامسكت أحدهما لعالي وأتيك بالأخر فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا راياما والله ورسوله لغنيان عن صاع أبي عقيل ولكن أحب أن يذكر نفسه ليهبط من الصدقة فانزل الله سبحانه وتعالى الذين يلزمون المطوعين يعنى المتبرعين من المؤمنين يعنى عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى في الصدقات والتطوع التنفل بماليس بواجب عليه (والذين لا يجيدون الاجتهاد) يعنى بأب عقيل الانصارى والجهد بالضم الطاقة وهى لغة أهل الحجاز والفتح لغيرهم وقيل الجهد بالضم الطاقة والفتح المشقة وقد يكون القليل من المال الذى ياتى به فيتصدق به أكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير الذى ياتى به فيتصدق به لان الغنى أخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير الذى أخرج القليل إنما أخرجهم عن ضعف وجهه وقد يؤثر الاحتياج الى المال غيره رجا ما عند الله تعالى كإفاله سبحانه وتعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (فيسخرون منهم) يعنى ان المنافقين كانوا يستهزئون بالمؤمنين في انفاقهم المال في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قولهم قد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا وكانوا يعيرون الفقير الذى يتصدق بالقليل ويقولون انه لفقير محتاج اليه فكيف يتصدق به وجواهم ان كل من يرجو ما عند الله من الخير والثواب ببذل الموجود لئلا

يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة خربة وتذير منعها (وأن الله علام الغيوب) فلا يخفى عليه شئ (الذين) عمله النصب أو الرفع على الذم أو الجرح على البذل من الضمير في سرهم ونجواهم (يلزمون المطوعين) يعيرون المطوعين المتبرعين (من المؤمنين في الصدقات) متعني يلزمون روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فأقرضت ربى أربعة وأمسكت أربعة لعالي فقال عليه السلام بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله لك فبارك الله حتى صولحت تمام امرائه عن ربع الثمن على الثمانين ألفا وتصدق عاصم بمائة وسق من تمر (والذين) عطف على المطوعين (لا يجيدون الاجتهاد) طاقهم وعن نافع جهدهم وهما واحد وقيل الجهد الطاقة والجهد المشقة وجاء أبو عقيل بصاع من تمر فقال بت لي ثمن أجرة بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعالي وجئت بصاع فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى

فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر قال لا قبلها منك فلم يقبلها ثم ولي عثمان فأتاه فلم يقبلها منه وهالك في خلافة عثمان وأخرجه الطبري أيضا بسنده قال بهض العلماء أنه لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لأن الله سبحانه وتعالى منه من قبولها منه مجازاة له على أخلافه بما عاهد الله عليه وأهانه له على قوله أنما هي حزية وأخت الجزية فلما صدر هذا القول منه ردت صدقته عليه أهانه له وليعتبر ذريته فلا يمتنع من بذل الصدقة عن طيب نفس بأخراجها ويرى أنها واجبة عليه وأنه يناب على أخراجها ويعاقب على منعها وقال ابن عباس إن ثعلبة أتى مجلسا من مجالس الانصار فاشهدهم لئن أتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه وأصدقت منه ووصلت القرابة فأت ابن عمر له فورث منه ما لا يلزم بما عاهد الله عليه فأنزل الله فيه هذه الآية وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملافة وقد قتلا لئن رزقنا الله من فضله لنصدقن فلما رزقهما الله بخلافه وقال ابن السائب إن حاطب ابن أبي بلتعة كان له مال بالشم فأبطأ عليه فجهد لذلك جهدا شديدا فخلف بالله لئن أتاني الله من فضله يعني ذلك المال لاصدق منه ولا صلن فلما آتاه ذلك المال لم يبق بما عاهد الله عليه فغزلت هذه الآية حاصلة أن ظاهر الآية يدل على أن بعض المنافقين عاهد الله لئن آتاهم من فضله ليمصدقن وليفعلن فيه أفعال الخير والبر والصلة فلما آتاه الله من فضله ما سأل لم يبق بما عاهد الله عليه ومعنى الآية ومن المنافقين من أعطى الله عهدا لئن رزقنا من فضله بأن يوسع علينا في الرزق لنصدقن يعني لنصدقن ولنخرجن من ذلك المال صدقته (وليسكون من الصالحين) يعني ولنعملن في ذلك المال ما يعمل أهل الصلاح بأموالهم من صلة الارحام والافتاق في سبيل الله وجمع وجوه البر والخير وأخرج الزكاة وإصاليها أهلها والصالح ضد المفسد والمفسد هو الذي يدخل بما يلزمه في حكم الشرع وقيل إن المراد بقوله لصادقن إخراج الزكاة الواجبة وقوله وليسكون من الصالحين إشارة إلى كل ما يفعله أهل الصلاح على الإطلاق من جميع أعمال البر والطاعة (فلما آتاهم من فضله بخلافه) يعني فلما رزقهم الله لم يفعلوا من أعمال البر شيئا (وتولوا) يعني بما عاهدوا الله عليه (وهم معرضون) يعني عن العهد (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم) يعني فأعقبهم الله نفاقا بأن صبرهم منافقين يقال أعقب فلان دابة إذا صارت عاقبة أمره إلى ذلك وقيل معناه أنه سبحانه وتعالى أعقبهم نفاقا في قلوبهم (إلى يوم يلقونه) يعني أنه سبحانه وتعالى حرهمم التوبة إلى يوم القيامة فبإوفونه على النفاق فيجازهم عليه (بما أخلفو الله ما وعده) يعني الصدقة والافتاق في سبيله (وبما كانوا يكذبون) يعني في قولهم لنصدقن وليسكون من الصالحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أئتمن خان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة وفي رواية خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خصم فجر قال الشيخ محي الدين النوري هذا الحديث بماعده جماعة من العلماء مشكلا من حيث أن هذه الخصال قد توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدا قبله ولسانه وفعله هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق بخلافه في النار فإن أخوة يوسف عليهم السلام جمعوا هذه الخصال وكذا قد يوجد لبعض السلف وبعض العلماء بعض هذه أوكه قال الشيخ هذا ليس بحمد الله أشكالا ولكن اختلف العلماء في معناه فالتى قاله المحققون والاكثرون وهو الصحيح المختار أن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق وراحها يشبه المنافقين في هذه الخصال ويتخلق باخلاقهم فإن النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه وهذا وجود في صاحب هذه الخصال فيكون نفاقا في حق من حدثه وعده وأئتمه وخاصمه وعاهد من الناس لأنه منافق في الاسلام فيظهره وهو بطن الكفر ولم يرد التي صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخادين في الدرك الاسفل من النار وقوله صلى الله عليه

(وليسكون من الصالحين)  
 بإخراج الصدقة (فلما آتاهم من فضله) أعطاهم الله المال وتالوا منهاهم (بخلافه) متعوا حق الله ولم يفوا بالعهد (وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون) معرضون على الاعراض (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم) فأورثهم البخل نفاقا في قلوبهم لانه كان سببا فيه (إلى يوم يلقونه) أي جزء فعلهم وهو يوم القيامة (بما أخلفو الله ما وعده) وبما كانوا يكذبون بسبب اخلافهم ما وعده الله من الصدق ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق

(فان يتوبوا) عن النفاق (بك) التوب (خير لهم) وهي الآية التي تاب عندها (٢٦٣) الجلاس (وان يتوبوا) بصروا على النفاق

(يعذبهم الله عذابا ليماني)  
الدين والآخره) بالقييل  
والنار (وما لهم في الارض  
من ولي ولا نصير) ينجمهم  
من العذاب (ومنهم من  
عاهد الله) روى ان ثعلبة بن  
حاطب قال يا رسول الله ادع  
الله أن يرزقني مالا فقال  
عليه السلام يا ثعلبة قايل  
تؤدي شكره خير من كثير  
لا تنطقه فراجعهم وقال  
والذي بعثك بالحق لن  
رزقي مالا لا عطين كل ذي  
حق حقه فعداله فاتخذ غنا  
ففت كما ينشي الدود حتى  
ضاق بها المدينة فنزل واديا  
واقطع عن الجمعة والجماعة  
فسأل عنه رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فقيل كثر ماله  
حتى لا يسعه واد فقال يا وحي  
ثعلبة فبعث رسول الله صلى  
الله عليه وسلم مصدقين  
لاخذ الصدقات فاستقبلهما  
الناس بصدقاتهم ومرا  
بثعلبة فأسأله الصدقة فقال  
ما هذه الاجز به وقال راجعا  
حتى أرى رأيي فلما رجع قال  
لهم رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قبل أن يكماها يا وحي  
ثعلبة مرتين فنزل فجاء  
ثعلبة بالصدقة فقال ان الله  
منعني أن أقبّل منك  
فجعل التراب على رأسه  
فقبض رسول الله صلى الله

الذي صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنا ثم فعل هذا القول ليكون السلام علما وقال عروة كان الجلاس قتل  
له مولى فامر له النبي صلى الله عليه وسلم بدينه فاستغنى وقال قتادة كانت لعبد الله بن أبي دبة فاخرجه رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة ان مولى لبي عدى قتل رجلا من الانصار ففضي له النبي صلى الله عليه  
وسلم بالدينه اثني عشر ألفا وفيه نزلت وما تقموا الا أن اغناهم الله ورسوله من فضله (فان يتوبوا بك خيرا  
لهم) يعني فان يتوبوا نكفرهم ونفاقهم بك ذلك خيرا لهم في العاجل والآجل (وان يتوبوا) يعني وان  
يعرضوا عن الايمان والتوبة وبصروا على النفاق والكفر (يعذبهم الله عذابا ليماني الدنيا) يعني  
بالنار والاذلال (والآخرة) أي ويعذبهم في الآخرة بالنار (وما لهم في الارض من ولي ولا نصير) يعني  
وايس لهم أحد يمدحهم من عذاب الله أو ينصرهم في الدنيا والآخرة قوله سبحانه وتعالى (ومنهم من  
عاهد الله أن لا تأمنن فضله لنصدقن) الآية روى البغوي بسند الثعلبي عن أبي امامة الباهلي قال جاء  
ثعلبة بن حاطب الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحك يا ثعلبة قليل يؤدي شكره خير من كثير لا تنطقه ثم أتاه بعد ذلك  
فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالا لك في رسول الله اسوة حسنة  
والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهب وافضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله  
أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لن رزقني الله مالا لا عطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنا ثم كما ينشي الدود فضافت عليه المدينة فتعنى عنها ونزل واديا من  
أوديتها وهي تنمي كما ينشي الدود فكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي في غنمه  
سائر الصلوات ثم كثرت وتحت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت وتحت حتى تباعد عن  
المدينة أيضا حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم جمعة خرج فتاتي الناس يسألهم عن الاخبار  
فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنا ما يسعه  
واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا وحي ثعلبة يا وحي ثعلبة فازل الله سبحانه وتعالى آية الصدقة فبعث  
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا من جهينة وكتب لهم أسنان الصدقة وكيف ياخذان  
وقال لهما مراعي ثعلبة بن حاطب ورجل من بني سليم فخذ اصدقاتهم ما غر جاحتي أتميا لثعلبة فسالاه الصدقة  
وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الاجز به ما هذه الاجز به انطلقا حتى تفرغنا  
عودا لي فانطلقا ومعهم السهمي فنظر الى خيار أسنان ابله فغزها بالصدقة ثم استقبلها بمها فامار أياها قال  
ما هذه عليك قال خذها فان نفسي بذلك طيبة فراعى الناس وأخذ الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال أروني  
كنا بكما ففكر ثم قال ما هذه الاجز به ما هذه الاجز به اذهب حتى أرى رأيي قال فاقبل اصدقاتهم  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل أن يتكلم يا وحي ثعلبة يا وحي ثعلبة ثم دعاه السهمي فخر فاخره بالذي صنع  
ثعلبة فازل الله سبحانه وتعالى فيه ومنهم من عاهد الله أن لا تأمنن فضله لنصدقن الآية الى قوله سبحانه  
وتعالى وما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك خرج حتى  
أثاه فقال وبحك يا ثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان  
يقبل منه صدقة فقال ان الله منعني ان أقبّل منك صدقتك فجعل يحثو على رأسه التراب فقال له رسول الله  
صلى الله عليه وسلم هذا علكم قد أمرتكم فلم تطعني فلما أتى أن يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة  
رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبي بكر فقال اقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها منك  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانالها فقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها منه فلما ولي عمر أتاه فقال اقبل صدقتي

عليه وسلم فجاء به الى أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها ووجهه الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهاك في زمن عثمان رضي الله عنه (لن  
آتانا من فضله) أي المال (لنصدقن) لنخرج من الصدقة والاصل لنصدقن ولكن التاء ادغمت في الصاد اقربها منها

مخافة أن أخاط بخطيئته أو ضيئتي فارعة ما أخبرتك قال فدخلوا المجلس فقال له يا جلاس قلت ما قال مصعب  
 خلف ما قال فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا الآيات وروى عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس كان رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم جالساً في ظل شجرة فقال له سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعين الشيطان فإذا جاء فلا  
 تكلموا فم لبسوا أن طلع رجل أزرق فدخله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشقني أنت وأصحابك  
 فانطلق الرجل فجاء بمصعب خلفه وإبائه ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما  
 قالوا ثم نعمهم جميعاً إلى آخر الآية وقال قتادة ذكرنا أن رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة والآخر من غفار  
 وكانت جهينة حلفاء الاضفار فظهر الغفاري على الجهني فقال عبد الله بن أبي بن ساول للادوس انصروا خاكم  
 فوالله ما مثله امثل محمد الا كما قال القائل سمعك بك يا كلك وقال لئن رجعتا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها  
 الاذل فسمى بهما رجل من المسلمين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسر اليه فساله خلف بالله ما قاله فانزل الله  
 هذه الآية هذه روايات الطبري وذكر البغوي عن السكيتي قال نزات في المجلس بن سو يدو ذلك ان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتيوك قد كثر المناققين وسباهم رجسا وعاهم فقال المجلس  
 لئن كان محمد صادقاً لعن شر من الجير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه عامر بن قيس  
 فاخبره بما قال المجلس فقال المجلس كذب يا رسول الله علي فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفوا  
 عند المنبر فقام المجلس عند المنبر بعد العصر خلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر ثم قام  
 عامر خلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده إلى السماء فقال اللهم أنزل علي  
 نبيك تصديقي الصادق منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه السلام قبل  
 أن يتفرق هذه الآية حتى بلغ فان توبوا بك خير اهلهم فقام المجلس فقال يا رسول الله اسمع الله قد عرض  
 على التوبة صدق عامر بن قيس فيما قلته وأناستغفر الله وأتوب إليه فقبل رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ذلك منه فتاب وحسن توبته فذلك قوله سبحانه وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر  
 وكفروا بعد اسلامهم يعني أظهرها كلمة الكفر بعد اسلامهم وتلك الكلمة هي سب النبي صلى الله عليه  
 وسلم فقبل هي كلمة المجلس بن سو يدل أن كان محمد صادقاً لعن شر من الجير وقبل هي كلمة عبد الله بن أبي  
 ابن ساول لئن رجعتا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل وستأتي النقطة في موضعها في سورة المنافقين ان  
 شاء الله تعالى قوله سبحانه وتعالى (وهو بما لم ينالوا) قال مجاهد هم المجلس بقتل الذي سمع مقالته  
 خشيته ان يشبهوا عابه وقبل هم عبد الله بن أبي ابن ساول وكان همه قوله لئن رجعتا إلى المدينة فلم ينله وقبل  
 هم اثنا عشر رجلاً من المنافقين بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوققوا على العقبة وقت رجوعه من  
 تبوك ليقتلوه فجاء جبريل عليه السلام فاخبره أمره ان يرسل اليهم من يضرب وجوههم واحلهم فأرسل  
 حنيفة لذلك السدي قال المنافقون اذ رجعتا إلى المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبي ابن ساول تاجاً  
 فلم يصلوا اليه (وما تموا الآن أغناهم الله ورسوله من فضله) يعني وما أنكر وأعلى رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم شيئاً الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله والمعنى ان المنافقين عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر  
 النبي صلى الله عليه وسلم أن تقوموا عليه وقبل انهم بطروا النعمة فنقموا أثراً بطراً وقال ابن قتيبة معناه  
 ليس ينقمون شيوا لا يشرفون الا الصنع وهذا كقول الشاعر

ما نقم الناس من آية \* الا أنهم يحلمون ان غضبوا

وهذا ليس بما ينقم وانما أراد ان الناس لا ينقمون عليهم شيوا فهو كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم \* بهن فلول من قراع الكتاب

أي ليس فيهم عيب قال السكيتي كانوا قبله - وم الذي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضحك من العيش فلما قدم

(وهو بما لم ينالوا) من  
 قتل محمد عليه السلام أو  
 قتل عامر لده على المجلس  
 وقيل أرادوا أن يتوجوا  
 ابن أبي وان لم يرض رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم (وما  
 تموا) وما أنكر وما  
 عابوا (الآن أغناهم الله  
 ورسوله من فضله) وذلك  
 انهم كانوا حين قدم رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم  
 المدينة في ضحك من العيش  
 لا يركبون الخيل ولا  
 يحوزون الغنيمة فأثروا  
 بالغنائم وقتل للمجلس  
 مولى فامر رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم بديته اثني  
 عشر ألفاً فاستغنى



(ورضوان من الله) وثي من رضوان الله (أ كبر) من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وسعادة (ذلك) اشارة الى ما وعد اولى الرضوان (هو الفوز العظيم) وحده دون باي عده الناس فوزا (يا أيها النبي جاهد الكفار) (٢٦١) بالسيف (والمنافقين) بالجة) واغلظ

عليهم) في الجهادين جميعا ولا تحجهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه بجهاد بالجة وتسمعه مع الفظة ما أمكن منها (وأوأهم جهنم وبئس المصير) جهنم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسـمع من معه منهمـ الجلاس بن سو يد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لآخواننا الذين خلفناهـ همـ ساداتنا فنحن شر من الجحير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس أجل والله ان محمد اصادق وأنت شر من الجحير وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره خلف بالله ما قال فرفع عامريده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فتزل (مخلفون بالله) ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) بمعنى ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الجحير وأوهي استهزأهم فقال الجلاس يا رسول الله

تحت العرش فتدخل عليهم كئيبان المسك الأبيض قال الامام غر الدين الرازي حاصل هذا الكلام ان في جنات عدن قولين أحدهما أنه اسم علم لموضع معين في الجنة وهذه الاخبار والآثار تقوى هذا القول قال صاحب الكشاف وعدن علم يدل على قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده والقول الثاني أنه صفة للجنة قال الازهرى العدن ما خوذ من قولك عدن بالمكان اذا أقام به بعدن عدو نافهذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها جنات عدن وقوله سبحانه وتعالى (ورضوان من الله أ كبر) يعني ان رضوان الله الذي ينزله عليهم أ كبر من كل ما سلف ذكره من نعم الجنة (ذلك هو الفوز العظيم) اشارة الى ما تقدم ذكره من نعم الجنة والرضوان (ق) عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يدك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا نرضى يا ربنا وقد أعطينا ما لم نعط أحد امن خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأى شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط بعده عليكم بأحد وقوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار) يعني بالسيف والحارب وبالقناتل (والمنافقين) يعني وجاهد المنافقين واختلفوا في صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الاسلام ولما كان الامر كذلك لم يحز مجاهدته بالسيف والقتال لاظهاره الاسلام فقال ابن عباس أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان واذهب الرفق عنهم وهذا قول الضحاك أيضا وقال ابن مسعود يديه فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقبله فان لم يستطع فليكنفهم في وجهه وقال الحسن وقادة باقمة الحدود عليهم يعني اذا تعاطوا أسبابا هو هذا القول فيه بدلان اقامة الحدود وواجبة على من ليس بمنافق فلا يكون لهذا تعاقب بالثفاق وانما قال الحسن وقادة ذلك لان غالب من كان يتعاطى أسباب الحدود فقتلهم عليهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم المنافقون قال الطبري وأولى الاقوال قول ابن مسعود لان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الآية على وجوب جهاد المنافقين وليس في الآية ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من دليل آخر وقد دلت الدلائل المنفصلة ان الجهاد مع الكفار انما يكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحجة عليهم نارة و بترك الرفق بهم نارة ولا تهاون نارة وهذا هو قول ابن مسعود (واغلظ عليهم) يعني شدد عليهم بالجهد والارهاب (وأوأهم جهنم وبئس المصير) يعني أن جهنم مسكنهم وبئس المصير مصيرهم اليها فان قلت كيف ترك النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين بين أظهر أصحابه مع علمهم ومجاهدته قلنا إنما أمر الله عز وجل نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقتال من أظهر كرامة الكفر وأقام على اظهارها فاما من تكلم بالكفر في السر فاذا اطلع عليه أنكره ورجع عنه وقال اني مسلم فانه يحكم بسلامته في الظاهر في حقن دمه وماله وولده وان كان معتقدا غير ذلك في الباطن لان الله سبحانه وتعالى أمر باجراه الاحكام على الظواهر فذلك أجري النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين على ظواهرهم وكل سرأثرهم الى الله سبحانه وتعالى لانه العالم باحوالهم وهو يجازيهم في الآخرة بما يستحقون وقوله عز وجل (مخلفون بالله) ما قالوا واقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فقال عروة بن الزبير نزلت في الجلاس بن سو يد أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء فقال الجلاس ان كان ما جاء به محمد حقا لآنحن شر من جحرا هذه التي نحن عليها فقال مصعب أما والله بعد والله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت وخفت أن ينزل في القرآن وأن تصيبني فارة وأن أخاطب بخطيئته فانبت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أقبلت أنا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا

والله لقد قتلته وصدق عامر قناب الجلاس وحسنت توبته (وكفروا بعد اسلامهم) وأظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام وفيه دلالة على ان الايمان والاسلام واحد لانه قال وكفروا بعد اسلامهم

وحصل بمقتضى الطبيعة أيضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه وهدايته لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم بأن بعضهم أولياء بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الفائدة ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (يا مرون بالمعروف) يعني بالإيمان بالله ورسوله واتباع أمره والمعروف كل ما عرف في الشرع من خبره وبرطاعة (ويهنون عن المنكر) يعني عن الشرك والعصية والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا في مقابلة ما وصف به المنافقون وضده (ويقومون الصلاة) يعني الصلاة المفروضة ويؤمنون أركانها وحوادثها (ويؤتون الزكاة) يعني الواجبة عليهم وهوفي مقابلة ويقضون أيديهم (ويطهون الله ورسوله) يعني فيأمرهم به وهوفي مقابلة نسوا الله فنسيتهم (وأولئك) يعني المؤمنين والمؤمنات الموصوفين بهذه الصفات (سبحهم الله) لماذا كرا الله ما وعد به المنافقين من العذاب في نار جهنم ذكر ما وعد به المؤمنين والمؤمنات من الرحمة والرضوان وما أعد لهم في الجنان والسين في قوله سبحانه الله للمبالغة والتوكيد (إن الله عز وجل يحكم) وهذا لوجوب المبالغة في الترغيب والترهيب لأن العز بزهو الذي لا يتمتع عليه شيء أراد به فهو قادر على إصالح الرحمن أن أرادوا إصالح العقوبة أن أرادوا الحكيم هو الذي يدبر عبادته على ما يقتضيه العدل والانصاف (وعند الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) لماذا كرا الله في الآيات المتقدمة وعيد المنافقين وما أعد لهم في نار جهنم من العذاب ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية ما وعد به المؤمنين من الخير والثواب والمراد بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار البساتين التي يتجبر في حسناتها الناظر لأنه سبحانه وتعالى قال ومساكن طيبة في جنات عدن والمغطوف بحب أن يكون مغاير للمغطوف عليه فتكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات التي هي البساتين فتكون جنات عدن هي المساكن التي يسكنونها والجنات الأخرى البساتين التي يتنزهون فيها فهذه الفائدة الغابرة بين المغطوف والمغطوف عليه والفرق بينهما (ومساكن طيبة) يعني ومنازل يسكنونها طيبة (في جنات عدن) يعني في بساتين خلد وأقامة يقال عدن بالمسكن إذا أقام به روى الطبري بسنده عن عمران بن حصين وأبي هريرة قال أسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من أولوة في ذلك القصر سبعون دارا من باقوة جراه في كل دار سبعون بيتا من زمرد خضراء في كل بيت سبعون سرا على كل سر سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الخور العين وفي رواية في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام وفي كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما ياتي على ذلك كله أجمع وروى بسنده عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار يعني دار الله التي لم ترها عين ولم تحط على قاب بشرى مسكنة ولا يسكنها معه من بني آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبري فان صحت هذه الرواية فلا بد من تأويلها فقوله عدن دار يعني دار الله وهو من أب حذف المضاف تقديره عدن دار أصفاء الله التي أعدها لآلياته وأهل طاعته والمقر بين من عبادته عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة أيتهم ما فيها وجنتان من ذهب أيتهم ما فيها وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم الإرداء الكبير على وجهه في جنة عدن أخرجه البخاري ومسلم وقال عبد الله بن مسعود عن بطنان الجنة يعني وسطها وقال عبد الله بن عمر بن العاص أن في الجنة قصر يقال له تدن حوله البروج والزوج له خمسة آلاف باب لا يدخله إلا النبي وأصديق وأشهيد وقال عطاء بن السائب عن نهر في الجنة خيامه على حافتيه وقال قتاتل والكلبي عدن أعلى درجة في الجنة فيها عين التميم والجان حولها عذقة بها وهي مغطاة من حديد خلقها الله حتى ينزل أهلها وهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتذهب ربح طيبة من

(يا مرون بالمعروف) بالطاعة والإيمان (ويهنون عن المنكر) عن الشرك والعصيان (ويقومون الصلاة) الصلاة ويؤتون الزكاة ويطهون الله ورسوله أولئك سرحهم الله السين مفيدة وجود الرحلة لمعالجة فهي تؤكد الوجود كما تؤكد الوعد كما تؤكد الوعد في سائقهم منك يوما (إن الله عز وجل) على غالب كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب (حكيم) واضع كلا موضعه (وعند الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة) يطيب فيها العيش وعن الحسن رحمه الله قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزرجد (في جنات عدن) هو علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن وقد عرف أن الذي والي وضعها لوصف المعارف بالجل وهي مدينة في الجنة

كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمعوا لخطابهم فاستمعتم بخلابهم كما استمعتم الذين من قبلكم بخلابهم فاعلموا أنهم مثل الذين من قبلكم أو أنصب على فعلهم مثل فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمعتم بخلابكم كما استمعتم بخلابهم أي تلتذذوا بملذذ الدنيا

(٢٥٩)

والخطاب النصيب مستحق من الخلق وهو التقدير أي ما خلق للإنسان بمعنى قدر من خير (وخضتم) في الباطل (كالذي خاضوا) كالفوج الذي خاضوا أو كالمغوص الذي خاضوا والمهوى وانقادوا فاستمعوا بخلابهم وقوله كما استمعتم الذين من قبلكم بخلابهم مقن عنه ليدم الاوابع بالاستمتاع بما أو توافم حظوظ الدنيا والنهاهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة ثم شبه بعد ذلك حال المخاطبين بخلابهم (وأولئك حطت أعمالهم في الدنيا والآخرة في مقابل قوله ولو نبأهم أجرة في الدنيا وأنه في الآخرة من الصالحين (وأولئك هم الخاسرون) ثم ذكر نبأهم قبلهم بخلابهم (أولئك هم الخاسرون) قوم (نوح) هو يدل من الذين (وعاد ونوح) قوم (إبراهيم وأصحاب مدين) وأهل مدين وهم قوم شعيب (والمؤتفكات) مدائن قوم لوط واتفا كهن انقلاب أحوالهم عن الخير

وأولاداً فقال تعالى (كانوا أشد منكم قوة) يعني بطشاً ومنعة (وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمعوا لخطابهم) يعني فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا بما عواض عن الآخرة والخطاب النصيب وهو ما خاق الله للإنسان وقدر له من خير كما يقال قسمه (فاستمعتم بخلابكم) وهذا خطاب للحاضرين يعني فتمتعتم بها المنافقون والكافرون بخلابكم (كما استمعتم الذين من قبلكم بخلابهم) فإن قلت ما الفائدة في ذكر الاستمتاع بخلابكم في حق الأولين مرة ثم ذكر في حق المنافقين ثانياً أعاده ذكره في حق الأولين ثالثاً قلت فائدة أنه يذم الأولين بالاستمتاع بما أو توافم حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها وتركهم النظر فيما يصلحهم في الدار الآخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين والكفار بحال من تقدمهم ثم رجع إلى ذكر حال الأولين ثالثاً وهذا كإيراد أن تبكت بعض الظلمة على قبح ظلمه فتقول له أنت مثل فرعون كان يقتل بغير حق ويعذب بغير حرم فانت تفعل مثل ما كان يفعل فالتسكير بهذا لكيد وتقصيح فعلهم وفعل من شابههم في فعلهم ﴿وقوله تعالى (وخضتم كالذي خاضوا) معطوف على ما قبله ومستند إليه يعني وسلكتهم في فعلكم مثل ما سلكوا في اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رسوله والاستهزاء بالمؤمنين (وأولئك حطت أعمالهم) يعني بطلت أعمالهم (في الدنيا والآخرة) يعني أن أعمالهم كانت في الدنيا وفي الآخرة بل يعاقبون عليها (وأولئك هم الخاسرون) والمعنى أنه كابطل أعمال الكفار الماضين وخسروا تبطل أعمالكم أي المنافقون وتخسرون (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبتعن سنن الذين من قبلكم شرباً يشربون وروادعاً يذرع حتى لو دخلوا حجر صب لاتبعتهم قومنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فن ﴿وقوله تعالى (أولئك هم الخاسرون) رجع من الخطاب إلى الغيبة يعني ألم يأت هؤلاء المنافقين والكفار وهو استهزاءهم بمعنى التقرير يرى قدامهم (نبأ) يعني خبر (الذين من قبلكم) يعني الأمم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف أهلكتهم حين خالفوا أمرنا وعصوا رسلاً ثم ذكرهم فقال تعالى (قوم نوح) يعني أنهم أهل كوابل وفاق (وعاد) أهل كوابل والعقيم (ونوح) أهل كوابل بالجفة (وقوم إبراهيم) أهل كوابل النعمة وكان هلاك نوح وديعوضه (وأصحاب مدائن) وهم قوم شعيب أهل كوابل بعباد يوم الظلة (والمؤتفكات) يعني المتقلبات التي جعل الله اللهاسافلها وهي مدائن قوم لوط وانما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الطوائف الستة لأن آثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق واليمن وكل ذلك قريب من أرض العرب فكانوا يعرفون أخبارهم (أنتم هم المسلم بالينيات) يعني بالمجذبات الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا أمرنا كما فعلتم أي المنافقون والكفار فاحترقوا أن يصيبكم مثل ما أصابهم فتجلب لكم النعمة كما تجلب لهم (فما كان الله ليعظمهم) يعني بتجليل العقوبة لهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني أن الذين استحقوا العقوبة بسبب ظلمهم أنفسهم ﴿قوله عز وجل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) لما وصف الله المنافقين بالأعمال الخبيثة والاحوال الفاسدة ثم ذكر بعده ما أعد لهم من أنواع العبد في الدنيا والآخرة عقوبة يذكر أوصاف المؤمنين وأعمالهم الحسنة وما أعد لهم من أنواع الكرامات والخيرات في الدنيا والآخرة فقال تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) يعني الموالاة في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة فإن قلت أنه سبحانه وتعالى قال في وصف المنافقين بعضهم من بعض وقال في وصف المؤمنين بعضهم أولياء بعض فما الفائدة في ذلك قلت لما كان نفاق الاتباع وكفرهم عما حصل بتقليد التبوعين وهم الرؤساء والأكابر

إلى الشر (أنتم هم المسلم بالينيات) فما كان الله ليعظمهم) فاصح منه أن يظهرهم بأهل كوابلهم لانه حكيم فلا يعاقبهم بغير حرم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر وتكذيب الرسل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) في التناصر والتراحم

(ان تعذب عن طائفة منكم) يتوبهم واخلصهم الايمان بعد النفاق (تعذب طائفة باهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق غير تائبين منه ان يعذب تعذب طائفة غير (٢٥٨) عاصم (النافقون والمناقات) الرجال المنافقون كانوا ثلثة والنساء المنافقات مائة

أظهرتم الكفر بعدما كنتم قد أظهرتم الايمان وذلك أن المنافقين كانوا يكتمون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستهزاء منهم وهو كفر قليل لم قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند المؤمنين بعد ان كنتم عندهم مؤمنين وقوله سبحانه وتعالى (ان تعذب عن طائفة منكم تعذب طائفة باهم كانوا مجرمين) ذكر المفسرون أن الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة والانسان طائفة والعرب لفظ الجمع على الواحد فلهاذا أطلق لفظ الطائفة على الواحد قال محمد بن اسحق الذي عني عنه رجل واحد وهو مخاشن بن جبر الاشجعي يقال انه هو الذي كان يضحك ولا يخوض وقيل انه كان عثى يجناهاهم ويسكر بعض ما يسمع فكان ذنباً خف فلما نزلت الآية تاب من نفاقه ورجع الى الاسلام وقال اللهم اني لا ازال أسألك مع آية تقرأ أعني بها تشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفائي وقلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كففت أنا فانت فاصيب يوم القيمة ولم يعرف أحد من المسلمين مصرع **﴿﴾** قوله سبحانه وتعالى (المنافقون والمناقات بعضهم من بعض) يعني انهم على أمر واحد ودين واحد مجتمعون على النفاق والاعمال الخيثة كما يقول الانسان غيره أنا منك وأنت مني أي أمرنا واحد لا مباينة فيه (يا مرون بالمتكر) يعني يا مرون بعضهم بعضا بالشرك والمعصية وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم (ويهنون عن المعروف) يعني عن الايمان والطاعة وتصدىق الرسول صلى الله عليه وسلم (ويقبضون أي يكرهونهم) يعني عن الايمان في سبيل الله تعالى وفي كل خير (نسوا الله فنبههم) هذا الكلام لا يمتحن اجزاءه على ظاهره لاننا لو جئنا على النسيان الحقيقي لم يستحقوا ذمنا عليه لان النسيان ليس في وسع البشر دفعه وأيضا فان النسيان في حق النحال فلا بد من التأويل وقد ذكرنا فيه وجهين الاول معناه انهم تركوا أمرهم حتى صاروا بمنزلة الناسين لغير اهم بان صبرهم بمنزلة المنسى من ثوبه ورحمته فخرج على مزاج الكلام فهو كقوله تعالى وجزأ سيئته سيئته مثلها الوجه الثاني ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم فحين ذكرهم بالرحمة والاحسان فجعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من ترك شيئا لم يذكره وقيل لما تركوا طاعة الله والايمان به تركهم من توفيقه وهذا منه في الدنيا ومن رحمة في العقي (ان المنافقين هم الفاسقون) يعني هم الخارجون عن الطاعة (وعدا الله المنافقين والمنافقات والكفار) يقال وعده بالخبر وعدا وعده بالشر وعدا فألوعد يكون في الخبر والشر (نار جهنم خالدين فيها) فيه حذف تقدير يصلونها خالدين يعني مقيمين فيها (هي حسبهم) يعني هي كافيتهم جزاء على كفرهم وفاقهم وتركهم الايمان والطاعة (واعنهم الله) يعني وأبعدهم من رحمة وطردهم عن بابه (ولهم عذاب مقيم) أي دائم لا ينقطع فإن قلت قوله خالدين فيها يعني ولهم عذاب مقيم وهذا تكرار فما معناه قلت ليس ذلك تكرار او بيان الفرق من وجهين الاول ان معناه ولهم نوع آخر من العذاب المقيم سوى الصلابة بالنار ولقائل أن يقول هذا التأويل مشكل لانه سبحانه وتعالى قال في النار هي حسبهم وذلك متبع من ضم شيء آخر الى عذاب النار وأجيب عن هذا الاشكال بان قوله هي حسبهم في الايام ولا يمتنع أن يحصل نوع آخر من العذاب من غير جنس النار كالمزهر يروى نحوه ويكون ذلك زيادة في عذابهم الوجه الثاني أن العذاب المقيم هو العذاب المجلد لهم في الدنيا وهو ما يقاسون به من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه من النفاق وكشف فضائحهم وهذا هو العذاب المقيم **﴿﴾** قوله سبحانه وتعالى (كالتين من قبلكم) هذا رجوع عن الغيبة الى خطاب الحضور والكافي في كالتين للتشبيه والمعنى فاعلموا كفعال الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكفار الذين كانوا من قبلهم في الامر بالمتكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن فعل الخير والطاعة وقيل انه تعالى شبه المنافقين في عداولهم عن طاعة الله واتباع أمره لاجل طلب الدنيا بين قبلهم من الكفار وصف الكفار باهم كانوا أشد من هؤلاء المنافقين قوة وأكثر أموالا

وسبعين (بعضهم من بعض) أي كأنهم نفس واحدة وفيه ثني أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويخافون بالله أنهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال (يا مرون بالمتكر) بالكفر والعيان (ويهنون عن المعروف) عن الطاعة والايمن (ويقبضون أي يكرهونهم) شحاحا لمبار والصدقات والنفاق في سبيل الله (نسوا الله) تركوا أمره وأغفلوا ذكره (فنبههم) فتركهم من رحمة وفضله (ان المنافقين هم الفاسقون) هم الكامون في القسبي الذي هو الفرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلجأ بكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف به المنافقون حين بالغ في ذمه (وعدا الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها) مقدرين الخلود فيها (هي أي النار حسبهم) فيه دلالة على عظم عذابها وأنه بحيث لا يزداد عليه (واعنهم الله) وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ماحقين

بالشياطين الملاعين (ولهم عذاب مقيم) دائم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسون به من تعب النفاق والظاهر الخائف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه أبدما من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على أسمهم ارحم الكافي (كالتين من قبلكم)

(ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) ينسأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها هيما هيما فاطلع الله عليه على ذلك فقال احبسوا على الراكب فانهم فقال قاتم كذا وكذا فقالوا يا بني الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الراكب ليقتصر بعضنا على بعض السفر أي ولئن سألتهم وقلت لهم قاتم ذلك اقلوا انما كنا نخوض ونلعب (قل) يا محمد وآيانه ورسوله كنتم تستهزئون) لم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كانهم معترفون باستهزائهم وبأنهم موجود فيهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به على حرف التقدير وذلك انما يستقيم بعد نبوت الاستهزاء (لا تعتذروا) لا تستعذروا باعذار اتركتم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سرهم (قد كفرتم) قد اظهروا كفركم باستهزائكم (بعد) يا ناسكم بعد اظهركم الايمان

ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضر بها حذيفة حتى نجاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرف من القوم قال لم أعرف منهم أحد يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة هلا بعثت اليهم من يتلهم فقال كره أن تقول العرب لما نظروا بحضرة أقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالديلة (م) عن قيس بن عباد قال قلت لعمار أ رأيت قتالكم أ رأيت أنتموه فان الرأي يخطئ ويصيب أم عهدا عهد اليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهد الى الناس كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في أمي قال شعبة وأحسبه قال حدثني حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أمي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يخرجون ربحها حتى يالج الجبل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الديلة جراح من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم قوله سبحانه وتعالى (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) الآية وسبب نزولها على ما قال زيد بن أسلم أن رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما لرائنا أرغبنا بطونا أو كذبنا أسنة وأجبنا عند اللقاء فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق ولا خبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه قال زيد قال عبد الله ابن عمر فظنرت اليه يعني الى المنافق متعلقا بحب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنسكه الحجارة يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيانه ورسوله كنتم تستهزئون ما زيد يده قال محمد بن اسحق الذي قال هذه المقالة فيما بلغني هو ودبعة بن ثابت أخو أمية بن زيد بن عمرو بن عوف وقال قتادة ينسأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيما هيما فاطلع الله عليه وسلم على ذلك فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم احبسوا على الراكب فانهم فقال قاتم كذا وكذا فقالوا يا بني الله انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله فيهم ما نسعون وقال الكبي ومقاتل كن رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان منهم يستهزئان بالقرآن والرسول والثالث يضحك قيل كانوا يقولون ان محمد ابرع من ان يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما بعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمد يزعم انه انزل في صحابنا قرآن انما هو قوله وكلامه فاطلع الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا على الراكب فدعاهم وقال لهم قاتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب ومعنى الآية ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما كانوا يقولون فيما بينهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب يعني كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعله الراكب يقطعون الطريق بالهلب والحديث وأصل الخوض الدخول في مائع كالماء مع الطين ثم كثر استعماله حتى صار يستعمل في كل دخول مع تلوين واذى (قل) أي قل يا محمد هؤلاء المنافقين (آيانه وآيانه ورسوله كنتم تستهزئون) فيه تو ببيع وتقرع للمنافقين وانكار عليهم والمعنى كيف تقدمون على إيقاع الاستهزاء بالله يعني بفرض الله وحدوده وأحكامه والمراد بآيانه كتابه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فيحتمل أن المنافقين لما قالوا كيف بقدر محمد على أخذ حصون الشام قال بعض المسلمين الله يعني على ذلك قد كر بعض المنافقين كلاما يشهر بالقدح في قدرة الله واما ذكر واذلك على طريق الاستهزاء قوله عز وجل (لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) يعني قل هؤلاء المنافقين لا تعتذروا وبالباطل ومعنى الاعتذار انحر أو اتر المودة من قلب المعتذر اليه وقيل معنى العذر قطع الالتماع عن الجاني قد كفرتم بعد ايمانكم يعني أن الاستهزاء بالله كفر والاقدام عليه يوجب الكفر فلما قال سبحانه وتعالى لا تعتذروا وقد كفرتم بعد ايمانكم فان قال ان المنافقين لم يكفوا مؤمنين فكيف قال قد كفرتم بعد ايمانكم قلت معناه



الإيمان أي المنافقون حيث يقبل إيمانهم الظاهر ولا يكشف أسرارهم ولا يفعل بهم ما يفعل بالمشركين أو هو رحمة للمؤمنون حيث استغفروهم من الكفر إلى الإيمان وبشفع لهم في الآخرة بإيمانهم في الدنيا (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) في الدارين (يخلفون بالله لكم ليرضوكم) الخطاب (٢٥٦) للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم

فيقتلونهم البهم ويؤكدون معاذيرهم بالخلف ليعتبروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم (والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين) أي إن كنتم مؤمنين كما تجمعون فاحق من أرضيت الله ورسوله بالطاعة والوفاء وإنما واحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسول الله فكانا في حكم شيء واحد كقولك احسان زيد واجاله رخصني أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك (ألم يعلموا أنه) أن الأمر والشان (من يحد الله ورسوله) يجاوز الحد بالخلاف وهي مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق (فإنه) على حذف الخبر أي غنى أن أنه (نار جهنم) خالدا فيها ذلك الخزي العظيم (يحذر المنافقون) خير بمعنى الأمر أي ليحذر المنافقون (أن تنزل عليهم سورة) تنزل بالتخفيف مكي وبصري (تنبهم بما في قلوبهم) من الكفر والنفاق والضمائر للمنافقين لان السورة اذا نزلت في

الناس على الظاهر ولا ينقب عن أحوالهم ولا يهتك أسرارهم (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) يعني في الآخرة قوله عز وجل (يخلفون بالله لكم ليرضوكم) قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم اجلاس بن سويد وديعة بن ثابت فوقوا في النبي صلى الله عليه وسلم ثم قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الخير وكان عندهم غلام من الانصار اسمه عامر بن قيس فخره وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام من قولهم وقال والله ان ما يقول محمد حق وأتم شر من الخير ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعاهم فسألهم فانكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدفهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوه يعتذرون ويخلفون فانزل الله هذه الآية والمعنى يخلف لكم أي المنافقون ليرضوكم يعني فيما بلغكم عنهم من أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ورسوله أحق أن يرضوه) واغنى والله ورسوله أحق يعود فقيل الضمير عائذ على الله تعالى لان في رضا الله رضا رسوله صلى الله عليه وسلم والمعنى والله ورسوله أحق أن يرضوه بالتوبة والاخلاص وقيل يجوز أن يكون المراد يرضوهم افا كفي بذلك أمد هما عن الآخر وقيل معناه والله أحق أن يرضوه وكذلك رسوله (إن كانوا مؤمنين) يعني إن كان هؤلاء المنافقون مصدقين بوعدهم الله ووعده في الآخرة قوله سبحانه وتعالى (ألم يعلموا) قال أهل المعاني ألم تعلم خطاب لمن علم شيئا ثم نسيه أو أنكره فيقال له ألم تعلم أنه كان كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم من أحكام الدين ما يحتاجون اليه خاطب المنافقين بقوله ألم يعلموا يعني من شرائع الدين التي علمهم رسولنا (أنه من يحد الله ورسوله) يعني أنه من يخالف الله ورسوله وأصل المحادة في اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه من الحد يقال حاد فلان فلا نأذأ صار في غـ بر حده وخالفه في أمره وقبل معنى يحد الله ورسوله أي يحارب الله ورسوله ويعاند الله ورسوله (فإنه نار جهنم) أي غنى أن أنه نار جهنم (خالدا فيها) يعني على الدوام (ذلك الخزي العظيم) يعني ذلك الخلود في نار جهنم هو الفضيحة العظيمة قوله عز وجل (يحذر المنافقون) يعني يخشى المنافقون (أن تنزل عليهم سورة) يعني على المؤمنين (تنبيههم) يعني تنبيه المؤمنين (بما في قلوبهم) يعني بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا يفتخرون بهم يذكرون المؤمنين بسوء ويسترونه ويخافون الفضيحة ونزل القرآن في شأنهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى الفاتحة والمبشرة والمثيرة يعني انها فصحت المنافقين وبعثت عن أشبارهم وأثارها وأسفرت عن مخازيهم ومنازلهم وقال ابن عباس أنزل الله ذكر سبعين رجلا من المنافقين باسمهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة منه على المؤمنين لتلايعر بعضهم بعضا لان أولادهم كانوا مؤمنين (قل استنزوا) أمر تهديد فهو كقوله لعلوا ما شئتم (إن الله يخرج) أي مظهر (ما تخدرون) والمعنى ان الله سبحانه وتعالى يظهر الى الوجود ما كان المنافقون يسترونه ويخفونه عن المؤمنين قال ابن كيسان نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليقنوا به اذا علاها وتذكروا له في ليلة مظلمة فخرج رجل يرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد أضمره وأمره أن يرسل اليهم من يضرب وجوهه واحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقول

معناهم فهي نازلة عليهم دليله قل استنزوا أو الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين وصح ذلك لان المعنى بقود ناقة اليه (قل استنزوا) أمر تهديد (ان الله يخرج ما تخدرون) مظهر ما كنتم تخدرونه أي تخدرون اظهاره من نفاقكم وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوصي فيهم في استنزاهم بالسلام وأهلهم حتى قال بعضهم وددت أني قدمت عقبات مائة وأنه لا يتزل فينا شيء فغضنا



(ومنها الذين يؤذون النبي)

ويقولون هو أذن)  
الاذن الرجل الذي يصدق  
كل ما يسمع ويقبل قول  
كل أحد سمى بالجارحة  
التي هي آلة السماع كأن  
جلته أذن سامعة واذا هو  
له هو قولهم فيه هو أذن  
قصدا وبه المندمة وأنه من  
أهل سلامة القلوب والفرقة  
فسره الله تعالى بما هو  
مدح له وثناء عليه فقال  
(قل أذن خير لكم)  
كقولك رجل صدق تريد  
الجودة والصالح كأنه قيل  
نعم هو أذن ولكن نعم  
الاذن ويجوز أن يريد هو  
أذن في الخبر والحق وفيها  
يجب سماعه وقبوله وليس  
بأذن في غير ذلك ثم فسر  
كونه أذن خيرا بأنه (يؤمن  
بالله) أي يصدق بالله لما قام  
عنده من الأدلة (ويؤمن  
للمؤمنين) ويقبل من  
المؤمنين الخالص من  
المهاجرين والانصار  
وعدى فعل الإيمان بالباء  
إلى الله لأنه قد به التصديق  
بالله الذي هو ضد الكفر  
به وإلى المؤمنين باللام لأنه  
قصدا للسامعين المؤمنين  
وأن يسلم لهم ما يقولونه  
ويصدق له كونهم صادقين  
عنده ألا ترى إلى قوله  
وما أنت بمؤمن لنا كيف  
يبنى عن الباء (ورجحة)  
بالعطف على أذن ورجحة

أن يضعها في صنف واحد وتفرقها أولى وقال إبراهيم النخعي إن كان المال كثيرًا احتمل الإجزاء قسمه على  
الاصناف وإن كان قليلا وضعه في صنف واحد وقال مالك يتجرى موضع الحاجة منهم وبقدم الأولى فالأولى  
من أهل الخلة والحاجة فإن رأى الخلة في الفقراء في عام قدمهم وإن رآها في صنف آخر في عام حوّلها إليهم  
وكل من دفع إليه شيئا من الصدقة فلا يزبد على قدر الاستحقاق فلا يزبد الفقير على قدر غناؤه وهو يحتاج  
إليه فإن حصل أدنى اسم الغني فلا يعطى بعده شيئا وإن كان محترا فالكتنه لا يجرد له حرفته فيعطى قدر ما حصل  
به آلة حرفته فالاعتبار عند الامام الشافعي رضي الله عنه ما يدفع الحاجة من غير حد وقال أحمد بن حنبل  
لا يعطى الفقير أكثر من خسين درهم وقال أبو حنيفة كره أن يعطى رجل واحد من الزكاة مائتي درهم فإن  
أعطيته أجزأه فإن أعطى من يظنه فقيرا فإن غنى فهل يجزى فيه قولان ولا يجوز أن يعطى صدقته إن  
تأخره وتفتقه به قال مالك والثوري وأحمد وقال أبو حنيفة والشافعي لا يعطى والدان وعلاؤه ولا ولدان وسفل  
ولا زوجة ويعطى من عداهم وتحرم الصدقة على ذوى القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب فلا يدفع إليهم  
من الزكاة شيء لقوله صلى الله عليه وسلم أنا آل بيت لا تلحق لنا الصدقة وقال أبو حنيفة تحرم على بني هاشم ولا  
تحرم على بني المطلب دليلنا قوله صلى الله عليه وسلم أنا ذو القربى واحد لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام  
وتحرم الصدقة على مولى بني هاشم وبني المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وقال مالك لا تحرم  
واختلاف في نقل الصدقة من بلد المال إلى بلد آخر مع وجود المستحقين في بلد المال فكرهه أكثر أهل العلم  
لتعلق قلوب فقراء ذلك البلد بذلك المال ولقوله صلى الله عليه وسلم لما دعوا لأهلهم إن الله سبحانه وتعالى  
افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم الحديث بطوله في الصحيحين وانفقوا على أنه  
إذا نقل المال إلى بلد آخر وأداه إلى فقراء ذلك البلد سقط عنه الفرض إلا ما حكي عن عمر بن عبد العزيز أنه  
رد صدقة جلت من خراسان إلى الشام فردّها إلى مكانها من خراسان والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى (ومنها  
الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) نزات في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ويعيبونه ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا نفعوا فإننا نخاف أن يباغوا منا فلو أن قيقع بنا فقال الجلاس  
ابن سويد وهو من المنافقين بل نقول ما شئنا ثم نأبى وننكر ما قلنا ونخلف فيصدقنا بما نقول فلما سمعوا ذلك  
أي يسمع كل ما يقال له ويقبله وقيل معنى هو أذن أي ذو أذن سامعة وقال مجاهد إن اسحق نزل في رجل من  
المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان أذنهم نازرا للشراجر العينين أسفع الخدين مشوه الخلقه وقال فيه  
النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلي نظر إلى نبتل بن الحرث وكان يتم حديث النبي  
صلى الله عليه وسلم إلى المنافقين فقيل له لا تفعل ذلك فقال لا تأمنهم أذن فمن حذنه شيئا صدقة فنقول ما شئنا  
ثم نأبى ونخلف فيصدقنا فآثر الله هذه الآية ومقصود المنافقين بقولهم هو أذن أنه ليس بعيد غور بل هو  
سلم سريع الاغترار بكل ما يسمع فاجاب الله سبحانه وتعالى عنه بقوله (قل أذن خير لكم) يعني هب أنه أذن  
لكنه أذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل والمعنى أنه مستمع خير وصلاح لاستمع شر وفساد  
وقرى أذن خير من فوعين منونين ومعناه يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم  
وصف الله سبحانه وتعالى بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) يعني أنه  
يصدق المؤمنين ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين وإنما عدى الإيمان بالله بالباء والإيمان للمؤمنين باللام  
لأن الإيمان بالله هو نقيض الكفر فلا يتعدى إلى الباء فيقال آمنت بالله والإيمان للمؤمنين معناه تصديقي  
المؤمنين فيما يقولونه فلا يقال إلا باللام ومنه قوله تعالى أنؤمن لك وقوله آمنتكم (ورجحة) أي هو رجحة  
(للذين آمنوا منكم) وإنما قال منكم لأن المنافقين كانوا يزعمون أنهم مؤمنون فبين الله سبحانه وتعالى  
كذبهم بقوله أنه رجحة للمؤمنين الخالصين للذين آمنوا منكم وأذن خبر وأذن رجحة لا يسمع غيرهما ولا يقبل

جزء عطف على خبري هو أذن خبر وأذن رجحة لا يسمع غيرهما ولا يقبل (الذين آمنوا منكم) أي وهو رجحة للذين آمنوا منكم أي أظهر

الديون (وفي سبيل الله) فقراء الغزاة أو الحجاج المنقطع بهم (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله وعدل عن اللام الى في الاربعة الاخيرة للإيدان باتهم أرسخ في استحقاق التصديق عليهم من سبق ذكره لان في اللوعاء فنبه هلى أنهم احقاء بان يوضع فيهم الصدقات ويحبوا مظنة لها وتكرير في قوله في سبيل الله وابن السبيل فيه فضل وترجيح لهذين على الرقاب والغارمين وانما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ليدل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسبا لاطماعهم واشمارا بانهم بعداء عنها وعن مصارفها فهاهم وماها وما ساطهم على التسكك فيها وان قاسمها وسهم المؤلفات قلوبهم سقط باجاء الصحابة في صدر خلافة أبي بكر رضى الله عنه لان الله عز الاسلام واغنى عنهم والحكمة متى ثبت معة ولا معنى خاص يرتفع ويتهى بذهاب ذلك المعنى (فريضة من الله) في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء

فصرف اليه ما يحتاج اليه في سفره الى بلوغ غرضه \* الصنف السادس \* قوله سبحانه وتعالى (والغارمين) أصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق على النفس رضى الدين غراما لكونه شاقا على الانسان والمراد بالغارمين هنا المدينون وهم قسبان قسم ادانوا لانفسهم في غير معصية فيعطون من مال الصدقات بقدر دينهم اذ لم يكن لهم مال يدي دينهم فان كان عندهم وفاء فلا يعطون وقسم ادانوا في المروف واصلاح ذات البين فيعطون من مال الصدقات ما يقضون به دينهم وان كانوا اغنياء لما روى عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني الا لثمة لما غزا في سبيل الله او اعامل عليها او غارم او لرجل اسير اعادة او لرجل كان له جار مسكين فصدق على المسكين فاعدى المسكين لغني اخراجه او داود مرسلان عطاء بن يسار لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورواه معمر بن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم متصلا بعناه اما من كان دينه في معصية فلا يعطى من الصدقات شيئا \* الصنف السابع \* قوله تعالى (وفي سبيل الله) يعني وفي النفقة في سبيل الله وأراد به الغزاة فهاهم من مال الصدقات فيعطون اذا أرادوا الخروج الى الغزو وما يستعينون به على أمر الجهاد من النفقة والكسوة والسائح والحوالة فيعطون ذلك وان كانوا اغنياء لما تقدم من حديث عطاء وأبي سعيد الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله ان أرادوا الحج عندها كثيرا هل العلم وقال قوم يجوز ان يصرف سهم سبيل الله الى الحج يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واليه ذهب أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وقال بعضهم ان اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا أجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتي وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله في سبيل الله عام في الكل فلا يختص بصنف دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور عليه \* الصنف الثامن \* قوله سبحانه وتعالى (وابن السبيل) يعني المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق سمي المسافرين السبيل للازمته الطريق قال الشاعر

أنا ابن الحرب ربنى وليدا \* الى ان شئت وان كنت لداق

فكل مر يد سفر امباحا ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره يعطى من الصدقات ما يكفيه لمؤنة سفره سواء كان له مال في البلد الذي يقصده أو لم يكن له مال وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع \* وقوله تعالى (فريضة من الله) يعني ان هذه الاحكام التي ذكرها في هذه الآية فريضة واجبة من الله وقيل فرض الله هذه الاشياء فريضة (والله اعلم) يعني بمصالح عباده (حكيم) يعني فيما فرض لهم لا بدخل في تدبيره وحكمه نفذ ولا خلل في المسئلة الرابعة \* في أحكام متفرقة تتعلق بالزكاة اتفق العلماء على ان المراد بقوله انما الصدقات للفقراء هي الزكاة المفروضة بدليل قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة واختلفوا في كيفية قسمتها وفي جواز صرفها كلها الى بعض الاصناف دون بعض فذهب جماعة من الفقهاء الى أنه لا يجوز صرفها كلها الى بعض الاصناف مع وجود الباقي وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعي قال يجب ان يقسم زكاة ما على الموجودين من الاصناف الستة الذين ساهم ثمانية اقسام قسمة على السواء لان سهم المؤلفات ساقط وسهم العامل ساقط اذا قسم زكاة بنفسه ثم حصة كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز ان تصرف الى أقل من ثلاثة منهم ان وجد منهم ثلاثة أو أكثر فلو فارت بين أولئك الثلاثة جاز فان لم يجد من بعض الاصناف الواحد اذ دفع حصة ذلك الصنف اليه ما لم يخرج من حد الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شيء ردة الى الباقي وذهب جماعة من العلماء الى أنه لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه الاصناف أو الى شخص واحد منهم جاز لان الله سبحانه وتعالى انما سمي هذه لاصناف الثمانية اعلاما منه أن الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية لا يجابا منه انقسمتها بينهم جميعا وهذا قول عمر وابن عباس وبه قال سعيد بن جبيرة وعطاء واليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي وأحمد بن حنبل قال أحمد بن حنبل يجوز

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني مخزوم على الصدقة فأراد أن يورثها أن يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلحق لنا الصدقة وإن مولى القوم منهم أخرجه الترمذي والنسائي في الصنف الرابع قوله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) وهم قسمان قسم مسلمون وقسم كفار فاما قسم المسلمين فقسمان القسم الاول هم قوم من أشرف العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات يتألفهم بذلك كأعطى عيينة بن حصن والافرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي فهو لاء أساموا وكانت يتهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم لتقوى رغبتهم في الاسلام وقوم أساموا وكانت يتهم قوية في الاسلام وهم أشرف قومهم مثل عدى بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم تألف القومهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام فيجوز للامام أن يعطي أمثال هؤلاء من خمس خمس الغنمية والتي من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات أيضا القسم الثاني من مؤلفة المسلمين هم قوم من المسلمين يكونون بازاء قوم كفار في موضع لا تبلغهم جيوش المسلمين الا بكلفة كبيرة ومؤنة عظيمة وهؤلاء الذين بازاءهم من المسلمين لا يجاهدونهم لصنعيتهم أو لضعف حاكم فيجوز للامام أن يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة قلوبهم ومن هؤلاء قوم بازاء جماعة من مانى الزكاة يأخذون منهم الزكاة ويحملونها الى الامام فيعطيهم الامام من سهم المؤلفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روى ان عدى بن حاتم جاء بأبى بكر بثلاثة من الابل من صدقات قومه فأعطاه أبو بكر منها ثلاثين بعيرا وأما مؤلفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم أو يربح اسلامهم فيجوز للامام أن يعطي من يخاف شره أو يرجو اسلامه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كأعطى صفوان بن أمية لما كان يرى من ميله الى الاسلام أما اليوم فقد أعزانه الاسلام وله الحمد على ذلك وأغناه من أن يتألف عليه أحد من المشركين فلا يعطى مشرك تألفا بحال وقد قال بهذا كثير من أهل العلم ورأوا أن المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي واسحق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وأبي جعفر محمد بن علي وأبي ثور وقال أحد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك في الصنف الخامس في قوله سبحانه وتعالى (وفي الرقاب) قال الزجاج فيه حذف تقديره وفي فك الرقاب وفي تفسير الرقاب أقوال الاول ان سهم الرقاب موضوع في المكاتبين في دفع البهم ليعتقوا به وهذا مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وهو قول أكثر الفقهاء منهم سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد ويدر عليه أيضا قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم القول الثاني وهو مذهب مالك وأحمد واسحق ان سهم الرقاب موضوع لعق الرقاب فيشتري به عبيد ويعتقون ويدر عليه ما روى عن ابن عباس انه قال لا بأس أن يعق الرجل من الزكاة القول الثالث وهو قول أبي حنيفة وأصحابه انه لا يعق من الزكاة رقبة كاملة ولا سكن يعطى منها في عتق رقبة ويعان بهما مكاتبان قوله وفي الرقاب يقتضي التبعض القول الرابع وهو قول الزهري ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يشتري به عبيد من صلوا صاموا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة قال أصحابنا الا حوط في سهم الرقاب أن يدفع الى السيد باذن المكاتب ويدر عليه انه سبحانه وتعالى أثبت الصدقات للاصناف الاربعة المتقدمة بلام الملك فقال إنما الصدقات للفقراء وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب فلا بد لهذا الفرق من فائدة وهي أن الاصناف الاربعة المتقدمة ذكرها يدفع البهم نصيبهم من الصدقات فيصرفون ذلك فيما شاؤوا أما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقابهم من الرق ولا يدفع البهم ولا يمكنون من التصرف فيه وكذا القول في الغارمين فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه في الغزو وكذا ابن السبيل

(والمؤلفة قلوبهم) على الاسلام أشرف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم على ان يسلموا وقوم منهم أساموا فيعطيهم تقر براهم على الاسلام (وفي الرقاب) هم المكاتبون يعانون منها

أنس فلو كان المسكين أسوأ حالاً من الفقير لآتموه ذم الفقير وسأل المسكنة فثبت بهذا أن المسكين أحسن حالاً من الفقير ولأن الله سبحانه وتعالى قال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأنبت لهم ملكاً مع اسم المسكنة لأن السفينة من سفن البحر تساوي دنائير كثيرة ولأن الغني والفقير ضدان والمسكنة قسم ثالث بينهما فثبت بهذا أن الفقير أسوأ حالاً من المسكين ونجدة أبي حنيفة ومن وافقه على أن المسكين أسوأ حالاً من الفقير قوله أو مسكيناً ذامراً به وصف المسكين بكونه ذامراً به وهو الذي لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضر والشدة ولأن الله تعالى جعل الكفارات للمساكين فلو لم يكن المسكين أشد حاجة من غيره لما جعلها له واحتج أيضاً بقول الراعي أما الفقير الذي كانت حاله سيئة وفق العيال فلم يترك له سبيل

واحتج أيضاً بقول الأصمعي وأبي عمرو بن العلاء أن الفقير الذي له ما ياكل والمسكين الذي لا شيء له وكذلك قال القتيبي الفقير الذي له البلعة من العيش والمسكين الذي لا شيء له وقيل الفقير الذي له المسكن والخادم والمسكين الذي لا مالك له وقيل أن كل محتاج إلى شيء فهو محتقر إليه وإن كان غنياً عن غيره قال الله سبحانه وتعالى أتمم القراء إلى الله فأنبت لهم اسم الفقير مع وجود المال والجواب عن هذه النجدة ما قوله أو مسكيناً ذامراً به فهو محتقر للذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه لأنه قيد المسكين المذكور هنا بكونه ذامراً به فدل على أنه قد يوجد مسكين لا بهذه الصفة واللام يبق لهذا القيد فائدة والجواب عن جعل الكفارات للمسكين أنه هو الفقير الذي لصق جلده بالتراب من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال ببيت الراعي أنه ذكر الفقير وحده فكل فقير أفر دبالاً اسم جاز أطلق المسكين عليه فسقط الاستدلال به وأما الروايات المذكورة فهي معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن عباس وغيره من المفسرين وبالجملة أن الفقير والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال فالفقير هو الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذي ضعفته نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوى آخره النساء وأبو داود وله رواية أخرى ولا لذي مرة قوي عن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال أخبرني رجلان أنهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حجة الوداع وهو يقسم الصدقات فساءلانهما فرفع فينا النظر وخضع فرأنا جلدين فقال إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيهما لغني ولا لذي مرة مكنسب أخرجه أبو داود والنسائي وأخرجه الشافعي ولفظه أن رجلين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءلانه عن الصدقة فقال إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيهما لغني ولا لذي مرة مكنسب واختلاف العلماء في حد الغني الذي يمنع من أخذ الصدقة فقال لا كثرون حده أن يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي وقال أصحاب الرأي حده أن يملك ما تنفي درهم وقال قوم من ملك خسين درهماً أو قيمته لا تحل له الصدقة لما روى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومستثنى في وجهه خوش أو خدوش أو كدوش قيل يا رسول الله وما يعنيه قال خسون درهماً أو قيمته من الذهب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك وأحمد وإسحق وقالوا لا يجوز أن يعطى الرجل أكثر من خسين درهمين من الزكاة وقيل أربعين درهمين لما روى عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة وقية فقد ألحف أخرجه أبو داود وكانت الواقية في ذلك الزمان أربعين درهماً • الصنف الثالث قوله سبحانه وتعالى (والعمالين عليهما) وهم السعاة الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من أهلها ووضعها في جهتها فيعطون من مال الصدقات بقدر أجور أعمالهم سواء كانوا فقراء أو أغنياء وهذا قول ابن عمر به قال الشافعي وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد إلا أن الشافعي يقول هو أجره عمل تتقدر بقدر العمل والصحيح أن الحاشي والطلي لا يجوز أن يكون عاملاً على الصدقات لما روى عن أبي رافع

أنهم قالوا في أي صنف منها وضعها أجراً وعند الشافعي رحمه الله لا بد من صرفها إلى الأصناف وهو المروى عن عكرمة ثم الفقير الذي لا يسأل لأن عنده ما يكفيه للحال والمسكين الذي يسأل لأنه لا يجد شيئاً فهو أضعف حالاً منه وعند الشافعي رحمه الله على العكس (والعمالين عليهما) هم السعاة الذين يقبضونها

جزأها ثمانية أجزاء فان كنت من تلك الاجزاء أعطيتك حقت أخرجه أبو داود  
 فصل في بيان حكم هذه الآية وفيه مسائل (المسئلة الاولى في بيان وجه الحكمة في إيجاب الزكاة على  
 الاغنياء وصرفها الى المحتاجين من الناس وذلك من وجوه الوجه الاول أن المال محبوب بالطبع وسببه  
 ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة الكمال محبوقة لذاتها والمال سبب لتحصي تلك القدرة فكان المال  
 محبوباً بالطبع فاذا استغرق القلب في حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن الاشتغال بالطاعات  
 المقررة الى الله عز وجل فاقتضت الحكمة الالهية إيجاب الزكاة في ذلك المال الذي هو سبب البعد عن الله  
 فيصير سبباً للقرب من الله عز وجل باخراج الزكاة منه الوجه الثاني ان كثرة المال توجب قسوة القلب  
 وحب الدنيا والميل الى شهواتها ولذاتها فواجب الله سبحانه وتعالى الزكاة ليقول ذلك المال الذي هو سبب  
 اقساوة القلب الوجه الثالث سبب وجوب الزكاة امتحان العبد المؤمن لان التكليف البدني غير شاق  
 على العبد واخراج المال مشق على النفس فواجب الله عز وجل الزكاة على العباد ليعتحن باخراج الزكاة  
 أصحاب الاموال ليميز بذلك المطيع المخرج لها طيبة بها نفسه من العاصي المانع لها الوجه الرابع ان المال  
 مال الله والاغنياء خزان الله والفقراء عيال الله فامر الله سبحانه وتعالى خزانه الذين هم اغنياء بدفع طائفة  
 من ماله الى عياله فيتيب العبد المؤمن المطيع المسارع الى امتثال الامر المشفق على عياله ويعاقب العبد  
 العاصي المانع لعياله من ماله (ق) عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن المسلم  
 الامين الذي ينفذ وير بما قال يعطى ما أمر به فيعطيه كاملاً موفراً طيبة به نفسه فيدفعه الى الذي أمر له به  
 أحد المصدقين الوجه الخامس ان الفقراء بما تعلق قلوبهم بالاموال التي بأيدي الاغنياء فواجب الله  
 عز وجل نصيباً للفقراء في ذلك المال تطيباً لقلوبهم الوجه السادس ان المال الفاضل عن حاجة الانسان  
 الاصلية اذا أمسك بقي معطلا عن المقصود الذي لاجله خلق المال فامر بدفع الزكاة الى الفقراء حتى لا يصير  
 ذلك المال معطلاً بالكسبية (المسئلة الثانية) الآية تدل على أنه لا حق لاحد في الصدقات الا هؤلاء  
 الثمانية وذلك لجمع عليه لان كلتي انما تنفيذان الحصر وذلك لانها مركبة من ان وما فسكرة ان لا لاثبات  
 وكلمة مالا في عند اجتماعهما بفيدان الحكم المذكور وصرفه عما عداه فدل ذلك على ان الصدقات  
 لاتصرف الا الى الاصناف الثمانية (المسئلة الثالثة) في بيان الاصناف الثمانية فالصنف الاول الفقراء  
 والثاني المساكين وهم المحتاجون الذين لا يفي خرجهم بدخلهم ثم اختلف العلماء في الفرق بين الفقير  
 والمساكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهري الفقير لذى لا يسأل والمساكين السائل وقال  
 ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن الفقير من أنق نفسه ونيابه ولا يقدر  
 على شئ يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمساكين الصحيح المحتاج وقال  
 الشافعي رضي الله تعالى عنه الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زماناً كان أو غير زمن والمساكين من له  
 مال أو حرفة ولكن لاتقع منه موقعة الكفاية سائلاً كان أو غير سائل فالمساكين عنده أحسن حالاً من الفقير  
 وقال أبو حنيفة وأصحاب الرأي الفقير أحسن حالاً من المساكين ومن الناس من قال لا فرق بين الفقير  
 والمساكين حجة الشافعي ومن وافقه ان الله سبحانه وتعالى حكم بصرف الصدقات الى هؤلاء الاصناف  
 الثمانية دفعاً لحاجتهم وتحصيلاً لمصلحتهم فبدأ بالفقراء وانما يبدأ بالاهم فالاهم فلهم تسكن حاجتهم أشد من  
 حاجة المساكين لمبدأ بهم وأصل الفقير المكسور الفقير قال البيهقي

لمأراى لبس النور وتطارت \* رفع القوادم كالفقير الاعزل

قال ابن الاعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقير فثبت بهذا أن الفقير انما يسمى فقيراً لزماته وحاجته  
 الشديدة وتمتعه الزمانه من التقاب في الكسب ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقال  
 اللهم احبني مسكيناً وامتنى مسكيناً واحشني في زمرة المساكين يوم القيامة رواه الترمذي من حديث

(و يحلفون بالله أنهم لم ينك) ان جلة المسامين (وما هم منكم ولا كنتم قوم يفرقون) يخافون القتل وما يفعل بالمشركون في ظاهرون بالاسلام  
 تقية (لويجدون ملجأ) مكانا يلجئون اليه متحصنين من رأس جبل أو قلة أو جيرة (أو مغارات) أو غيبرا (أو مدخلا) أو ثقبا يندسون  
 فيه وهو مقتل من الدخول (٢٥٠) (لولوا اليه) لاقبلوا نحوه (وهم يجمعون) يسرعون اسرا عالا يردهم شيء من القرص

(و يحلفون بالله) يعني المنافقين (انهم لم ينك) يعني على دينكم ولم ينك (وما هم منكم) يعني أنهم كاذبون  
 في أيمانهم (ولا كنتم قوم يفرقون) يعني أنهم يخافون أن تظهروا على ما هم عليه من النفاق (لويجدون  
 ملجأ) يعني حرا وحصنا ومقلا يلجئون اليه ويقل لوجود ما هو بالمر بواله ويقل لويجدون قوما يأمنون  
 عندهم على أنفسهم منكم لصاروا اليهم ولقار فوكم (أو مغارات) يعني غيرا في الجبال جمع مغارة وهو  
 الموضع الذي يغور فيه الانسان أي يستتر (أو مدخلا) يعني موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب في  
 الارض كنفق البر بوع وقال الحسن وجهه يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم (لولوا اليه)  
 والمعنى أنهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة أو على أحد هذه الوجوه الثلاثة وهي الشرا المكنة وأضيقتها لولوا اليه  
 أي لجأوا اليه ونحزروا فيه (وهم يجمعون) يعني وهم يسرعون الى ذلك المكان والمعنى أن المنافقين لشدة  
 بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لو قدروا أن يهربوا منكم الى أحد هذه المكنة لصاروا اليه  
 لشدة بغضهم اياكم ﴿قوله﴾ سبحانه وتعالى (ومنهم من يكذب في الصدقات) نزلت في ذي الخوصرة التميمي  
 واسمه حرقوص بن زهير وهو أصل الخوارج (ق) عن أبي سعيد الخدري قال بينما نحن عند رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم وهو يقسم فيأناهذا الخوصرة رجل من بني تميم فقال يا رسول الله أعدل فقال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم وبلك من يعدل اذا لم أعدل وفي رواية قد خبت وخسرت ان لم أعدل فقال عمر بن الخطاب  
 انذن لي فيه فأضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم  
 وصيامه مع صيامهم زاد في رواية يقرؤ القرآن لا يجاوز تراقيهم يفرقون من الدين وفي رواية من الاسلام كما  
 يفرق السهم من الرمية وقال الكلبي قال رجل من المنافقين يقال له أبو الجواظ لم يقسم بالسوية فزلت هذه  
 الآية وقال قتادة ذكركنا أن رجلا من أهل البادية حديث عهد بأعرابية أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو  
 يقسم ذهابا وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله أمرك ان تعدل فاعملت فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم  
 وبلك فمن ذا يعدل بعدى وقال ابن زيد قال المنافقون والله ما يعطيهما محمد الا من أحب ولا يؤثرها الا من بهواه  
 فأنزل الله سبحانه وتعالى ومنهم من يمازك في الصدقات يعني ومن المنافقين من يعيبك في قسم الصدقات  
 وفي نقر بقها ويطعن عليك في أمرها يقال حمزه ولزعه بمعنى واحد أي عابه (فان أعطوا منها) يعني من  
 الصدقات (رضوا) يعني رضوا عنك في قسمتها (وان لم يعطوا منها اذ هم يسخطون) يعني وان لم تعطهم منها  
 عابوا عليك وسخطوا (ولأنهم رضوا) يعني ولأن المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقتعوا  
 (ما آتاهم الله ورسوله والوحسبنا الله) أي كافينا الله (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) يعني ما يحتاج  
 اليه (انالي الله راغبون) يعني في أن يوسع علينا من فضله فيغنيانا عن الصدقة وعن غيرهما من أموال الناس  
 وجواب لو يجدون ملجأ لمكان خبرهم وأعدو عليهم قوله عز وجل (انما الصدقات للفقراء والمساكين)  
 الآية اعلم أن المنافقين لما نزلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابه في قسم الصدقات بين الله عز وجل في  
 هذه الآية ان المستحقين للصدقات هؤلاء الاصناف الثمانية ومصرفها اليهم ولان على رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم منها شيء ولم يأخذ لنفسه منها شيئا فلم يمازونه ويعيبون عليه فلا طعن لهم فيه بسبب قسم الصدقات  
 عن زيد بن الحارث الصدائي قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فأنا رجل فقال أعطني من  
 الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو

الجوح (ومنهم) ومن  
 المنافقين (من يمازك في  
 الصدقات) يعيبك في  
 قسمه الصدقات ويطعن  
 عليك (فان أعطوا منها  
 رضوا وان لم يعطوا منها اذ  
 هم يسخطون) اذ المفاجأة  
 أي وان لم يعطوا منها فاجأوا  
 السخط وصدفهم بان  
 رضاهم وسخطهم لانفسهم  
 لالدين وما فيه صلاح أهل  
 لانه عليه السلام استعطف  
 قلوب أهل مكة يومئذ  
 بتوفيز الغنائم عليهم  
 ففزع المنافقون منه (ولو  
 أنهم رضوا ما آتاهم الله  
 ورسوله وقالوا حسبنا الله  
 سيؤتينا الله من فضله  
 ورسوله انالي الله راغبون)  
 جواب لو يجدون ملجأ به  
 ولأنهم رضوا لكان خيرا  
 لهم والمعنى ولأنهم رضوا ما  
 أصابهم به الرسول من  
 الغنيمة وطابت به نفوسهم  
 وان قل نصيبهم وقالوا  
 كفانا فضل الله وصنعه  
 وحسبنا ما قسم لنا سبر زقتنا  
 غنيمة أخرى فيؤتينا  
 رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم أكثر مما آتانا اليوم  
 انالي الله في أن يغف لنا  
 ويغفر لنا فضله راغبون ثم

بين مواضعها التي توضع فيها فقال (انما الصدقات للفقراء والمساكين) قصر جنس الصدقات على الاصناف  
 المعدودة أي هي مختصة بهم لا تتجاوز الى غيرهم كأنه قيل انما هي لهم لا لغيرهم كدواك انما الخلافة لقر يشريد لا تتعداهم ولا تكون اغيرهم  
 فيحتمل أن تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها كما هو مذهبنا وعن حذيفة بن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين



(ان تقبل منكم) أنفقتم طوعاً وكرها ونحوه استغفر لهم وألا تستغفر لهم وقوله أسيئ بنا وأحسن لا مودة \* لدينا ولا مقابلة تنقلت  
 أي لن يغفر الله لهم استغفر لهم أم لم تستغفر لهم ولا نولمك أسأت البناء وأحسن وقد جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا ومعنى عدم القبول  
 انه عليه السلام يرد هاء عليهم ولا يقبلها ولا يشيها الله وقوله طوعاً أي من غير الزام من الله ورسوله وكرها أي ملزماً وسمى الزاماً كراهالانهم  
 منافقون فكان الزامهم الاتفاق شاقاً عليهم كالأكره (انكم) لتعليل لرد انفاقهم (٢٤٩) (كنتم قوماً فاسقين) متبردين

عائين (وامنعمهم ان تقبل  
 منهم نفقاتهم) وبإياه حجة  
 وعلى (الأنهم كفروا)  
 أنهم فاعل منع وهم وأن  
 تقبل مفعولاه أي وما  
 منعهم قبول نفقاتهم الا  
 كفرهم (بالله ورسوله ولا  
 يؤنون الصلوة الا وهم  
 كسالى) جمع كسلان  
 ينفقون الا وهم كارهون  
 لانهم لا يريدون بهما وجه  
 الله تعالى وصفهم بالطوع في  
 قوله طوعاً وسلبه عنهم  
 ههنا لان المراد بطوعهم  
 أنهم يبدلون من غير الزام  
 من رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم وأمن رؤسائهم  
 وما طوعهم ذلك الاعن  
 كراهة واضطرار لاعن  
 رغبة واختيار فلا تجيبك  
 أموالهم ولأولادهم انما  
 التبر بدليهم بهما في الحياة  
 الدنيا) الاعجاب بالشيء أن  
 تسر به سرور راض به  
 متعجب من حسنه والمعنى  
 فلا تستحسن ما أوثروا من  
 زينة الدنيا فان الله انما  
 أعطاهم ما أعطاهم  
 ليعذبهم بالمصائب فيها أو  
 بالانفاق منه في أبواب الخير

نزلت في الجدين قيس المنافي وذلك أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود عنه وقال أنا عظيم  
 مالي فأنزل الله عز وجل رد عليه قل أي قل يا محمد هذا المنافق ومثاله في النفاق أنفقوا طوعاً وكرها يعني  
 أنفقوا طائعين من قبل أنفسكم وأمكرهين بالانفاق بالزامة الله ورسوله أي كما بالانفاق (ان تقبل منكم) لان  
 هذا الانفاق انما وقع لغير الله وهذا الآية وإن كانت خاصة في انفاق المنافقين فهي عامة في حق كل من أنفق  
 ماله لغير وجه الله بل أنفق ياه وسعته فانه لا يقبل منه ثم عمل سبب منع القبول بقوله (انكم) أي لانكم  
 (كنتم قوماً فاسقين) والمراد بالفسق هنا الكفر وبدل عليه قوله سبحانه وتعالى (وامنعمهم ان تقبل منهم  
 نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله ورسوله) أي المانع من قبول نفقاتهم هو كفرهم بالله ورسوله (ولأباً تون  
 الصلوة الا وهم كسالى) جمع كسلان يعني متشاكلي في الاتيان الى الصلاة وذلك لانهم لا يرجون على فعلها  
 ثواباً ولا يخافون على تركها عاقبة فإفذلك منهم مع فعلها (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم كانوا يعتقدون  
 الانفاق في سبيل الله مغراماً ومنع ذلك الانفاق مغناً (فلا تجيبك) يا محمد (أموالهم ولأولادهم) هذا  
 الخطاب وان كان مختصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم إلا أن المراد به جميع المؤمنين والمعنى فلا تجيبوا أموال  
 المنافقين وأولادهم والاعجاب الأسرور بالشيء مع نوع من الاختيار به مع الاعتقاد أنه ليس بغيره مثله وهذا  
 يدل على استقرار النفس بذلك الشيء ويكون سبب انقطاعه عن الله عز وجل فينبغي للإنسان أن لا يجيب  
 بشيء من أمور الدنيا ولذاتها فان العبد اذا كان من الله عز وجل في استدراج كثر ماله وولده فيكثر اعجابه به ماله  
 وولده فيبطر ويكفر نعمة الله عليه ولهذا قال سبحانه وتعالى (انما يريد الله ليعذبهم بهما في الحياة الدنيا)  
 فان قلت كيف يكون المال والولد عذاباً في الدنيا وفيه ما للجنة والسرور في الدنيا قلت قال مجاهد وقادة  
 في الآية تقديم وتأخير وتقدربها فلا تجيبك أموالهم ولأولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بهما في  
 الآخرة وقيل ان سبب كون المال والولد عذاباً في الدنيا هو ما يحصل من المتاعب والمشاق في تحصيلها فاذا  
 حصل ازداد التعب وتعمل المشاق في حفظها موزداً لآل حزن والغم بسبب المصائب الواقعة فيها فعلى هذا  
 القول لاجابة الى التقديم والتأخير في نظم الآية وأورد على هذا القول بان هذا التعذيب حاصل لكل أحد  
 من بني آدم مؤمنهم وكافرهم فإفائدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب في الدنيا وأجيب عن هذا اليراد  
 بان المنافقين مخصوصون بزياة من هذا العذاب وهو ان المؤمن قد عمل أنه مخلوق للآخرة وأنه شاب  
 بالمصائب الحاصلة له في الدنيا فليكن المال والولد في حقه عذاباً في الدنيا وأما المنافق فانه لا يعتقد كون الآخرة  
 له وأنه ليس فيها ثواب فينبى ما يحصل له في الدنيا من التعب والشدة والغم والحزن على المال والولد عذاباً عليه  
 في الدنيا فثبت هذا الاعتبار أن المال والولد عذاب على المنافقين في الدنيا دون المؤمنين وقيل ان تعذيبهم  
 بهما في الدنيا أخذاً من كآبتهم والثقة في سبيل الله غير مما بين على ذلك وبما قتل الولد في الغزو فلا يشاب  
 الولد المنافق على قتل ولده وذهب ماله وقيل يعذبهم بالتعب في جمعه وحفظه والكره في انفاقه والحسرة على  
 تخليفه عندهم لا يجدهم يقدم في الآخرة على ملك لا يعزروه (وترهق أنفسهم) يعني وتخرج أنفسهم (وهم  
 كافرون) والمعنى أنهم يعمنون على الكفر فتكون عاقبتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الآخرة قوله عز وجل

(٢٢ - خازن) - ثاني) وهم كارهون له أو بنهب أموالهم وسبى أولادهم أو يجمعها وحفظها وحسبها والبخل بها والخوف عليها  
 وكل هذا عذاب وترهق أنفسهم وهم كافرون وتخرج أرواحهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ودلت الآية على بطلان القول بالأصابع لانه  
 أخبر أن إعطاء الأموال والأولاد لهم لتعذيب والإماتة على الكفر وعلى إرادة الله تعالى المعاصي لان إرادة العذاب بارادة ما يعذب عليه  
 وكذا إرادة الإماتة على الكفر

(وقلبوا لك الأمور) ودبروا لك الحيل والمكيد وزوروا الآراء لي ابطال أمرك (حتى جاء الحق) وهو أن يبدك ونصرك (وظهر أمر الله) وغاب دينه وعلا شرعه (وهم كارهون) أي على رغم منهم (ومنهم من يقول أنذن لي ولا تفتني) ولا توقني في الفتنة وهي الالتم بان لا تأذن لي قائل ان تخلف بغيرائك أمت أولا تلقني في الملحكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجدين قيس المنافق قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني بينات (٢٤٨) الاصفر يعني نساء الروم ولكني أعينك بمالي فاتركني (ألا في الفتنة سقطوا) يعني ان

أصحابك يا محمد الدين وردهم الى الكفر وتخذيّل الناس عنكم قبل هذا اليوم كما فعل عبد الله بن أبي بن ساول يوم أحد حين انصرف بأصحابه عنكم (وقلبوا لك الأمور) يعني وأجالوا فبك وفي أمرك وفي ابطال دينك الرأي و بالتوا في تخذيّل الناس عنك وقصدهم تشييت أمرك (حتى جاء الحق) يعني النصر والظفر (وظهر أمر الله وهم كارهون) يعني ذلك قوله عز وجل (ومنهم من يقول أنذن لي ولا تفتني) نزلت في الجدين قيس وكان من المنافقين وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز الى غزوة تبوك قال للجدين قيس يا أبا وهب هل لك في جلا دني الاصفر يعني الروم فتخذه منهم سرارى وصفاء فقال الجديا رسول الله لقد عرف قومي اني رجل مغرم بحب النساء واتى أخشي ان رأيت بنات بني الاصفر ان لا أصبر عنهن أنذن لي في القعود ولا تفتني بهن وأعينك بمالي قال ابن عباس اعتل الجدين قيس ولم تكن له علة الا الانفاق فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فانزل الله عز وجل فيه ومنهم يعني من المنافقين من يقول أنذن لي يعني في التخلف والقعود في المدينة ولا تفتني يعني بينات الاصفر وهم الروم (ألا في الفتنة سقطوا) يعني انهم وقعوا في الفتنة العظيمة وهي النفاق ومخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عنه (وان جهنم لمحة بالكارهين) يعني يوم القيامة تحيط بهم ونجيمهم فيها قوله سبحانه وتعالى (ان تصيبك حسنة تسوهم) يعني ان تصيبك يا محمد حسنة من نصر وغنيمة تحزن المنافقين (وان تصيبك مصيبة) يعني من هزيمة أو شدة (يقولوا) يعني المنافقين قد أخذنا أمرنا يعني أخذنا أمرنا بالجيد والحزم في القعود عن الغزو (من قبل) يعني من قبل هذه المصيبة (ويتولوا وهم فرحون) يعني قلوبهم مسرورة (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) يعني قل يا محمد هؤلاء الذين يفرحون بما يصيبك من المصائب والمكرهات لن يصيبنا الا ما قدره الله لنا وعلينا وكتبه في اللوح المحفوظ لان القلب جف بما هو كائن لي يوم القيامة من خير وشرف لا يقدر أحد ان يدفع عن نفسه مكر وهزل به أو يجاب لنفسه نفعاً واداه لم يقدر له (هو مولانا) يعني ان الله سبحانه وتعالى هو ناصرنا وحافظنا وهو أوى بنا من أنفسنا في الموت والحياة (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعني في جميع أمورهم (قل هل تر بصون بنا) يعني قل يا محمد هؤلاء المنافقين هل تنتظرون بنا أيها المنافقون (الا احدى الحسينين) يعني اما النصر والغنيمة واما الشهادة والمغفرة وذلك ان المسلم اذا ذهب الى الغزو والجهاد في سبيل الله اما ان يغلب عدوه فيفوز بالنصر والغنيمة والاجر العظيم في الآخر واما ان يقتل في سبيل الله فتحصل له الشهادة وهي الغاية القصوى ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله وفي رواية تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه في الجهاد في سبيلي وابائنا في قصد بقاء رسلي فهو على ضامن أن أدخله الجنة وأرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة أخرجاه في الصيحين (وقوله سبحانه وتعالى (ونحن نتر بصكم) يعني ونحن ننظر بكم احدى السوابين (أن يصيبكم الله بعداب من عنده) يعني فهل لكم كما هلك من كان قبلكم من الامم الخالية (أو يابدين) يعني أو يصيبكم يابدي المؤمنين بان يظفر نايكم ويظهر ناغليكم (فتر بصوا انامكم متر بصون) قال الحسن فتر بصوا مواعيد الشيطان انامتر بصون مواعيد الله من اظهار دينه واستئصال من خالفه (قل أنفقوا طوعاً وكرهاً)

الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف (وان جهنم لمحة بالكارهين) الآن لان أسباب الاحاطة معهم أوهي تحيط بهم يوم القيامة (ان تصيبك) في بعض الغزوات (حسنة) ظفر وغنيمة (تسوهم) وان تصيبك مصيبة (نكبة) وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم أحد (يقولوا قد أخذنا أمرنا) الذي نحن متسمون به من الحذر واليقظ والعمل بالحزم (من قبل) من قبل ما وقع (ويتولوا) عن مقام التحذير بذلك الى أهاليهم (وهم فرحون) مسرورون (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) أي قضى من خير أو شر (هو مولانا) أي الذي يتولانا وتولاه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله (قل هل تر بصون بنا) تنتظرون بنا (الا احدى الحسينين) وهما النصر والشهادة (ونحن نتر بصكم) احدى السوابين اما (أن يصيبكم الله بعداب من عنده) وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (أو) يعذاب (يابدينا) وهو القتل على الكفر (فتر بصوا) بناماد كرنا (انامكم متر بصون) ما هو عاقبتكم (قل أنفقوا) في وجوه البر (طوعاً وكرهاً) طائعين أو مكرهين نصب على الحال كرها جزوعاً على وهو أمر في معنى الخبر ومعناه

٢ هكذا هو بالنصب فيما يابدين من الفسخ ولعله بالرفع فلتنظر الرواية اه مصححه

(ولوأرادوا الخروج لاعدو الله) للخروج أول للجهاد (عدة) أهبة لانهما كانوا مياسير ولما كان ولوأرادوا الخروج معطيها معنى في خروجهم واستعدادهم للغزو وقيل (ولكن كره الله انبعاثهم) نهوضهم للخروج كأنه قيل ما خرجوا ولكن نبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم (فنبطهم) فكسلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث والتبسيط التوقيف عن الامر بانتهدي فيه (وقيل اقعدا) أى قال بعضهم لبعضاً وقاله الرسول عليه السلام غضبا عليهم وأقاله الشيطان بالسوسة (مع) (٢٤٧) القاعدین) هودم لهم والحق بالنساء

والصبيان والزمنى اللذين شأنهم القعود في البيوت (لو خرجوا فيكم مازادوكم) بنجر وجههم معكم (الا خبالا) الافساد وشرا والاستثناء متصّل لان المعنى مازادوكم شيئا الا خبالا والاستثناء المنقطع أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقوله مازادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذ لم يذ كر وقع الاستثناء من الشيء فكان استثناء متصلا لان الخبال بعضه (ولا وضعوا خلا لکم) وسعوا ينسبك بالضررب والنساء وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا أسرع وأوضعه أنا والمعنى ولا وضعوا ركانهم ينسبك والمراد الاسراع بالنائم لان الرابك أسرع من الماشي وخطف المصحف ولا أوضعوها زيادة الات لان الفتحة كانت تكتب ألفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قر بيا من زول

صلى الله عليه وسلم بخبراقى الاذن لم بقوله تعالى فأذن لمن شئت منهم وأما المنافقون فكانوا يستأذنون في التخلف من غير عذر فغيرهم الله تعالى بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر (ولوأرادوا الخروج) يعنى الى الغزو معكم (لاعدو الله) لتهويله باعداد آلات السفر وآلات القتال من الكراع والسلاح (ولكن كره الله انبعاثهم) يعنى خروجهم الى الغزو معكم (فنبطهم) يعنى منعهم وحبسهم عن الخروج معكم والمعنى ان الله سبحانه وتعالى كره خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم فصرهم عنه وهما يتوجه سؤال وهو ان خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم ما أن يكون فيه مصلحة أو مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال ولكن كره الله انبعاثهم فنبطهم وان كان فيه مفسدة فلم غائب نبه صلى الله عليه وسلم لم اذنه لهم بالقعود والجواب عن هذا السؤال ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه تعالى أخبر عن تلك المفسدة بقوله تعالى لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا فلي غائب الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم فقول الله صلى الله عليه وسلم اذن لهم قبل عام الفحص والكمال التأمل والتدبر في حالهم فلما السبب قال تعالى لم اذنت لهم وقيل انما غائبه لاجل انه اذن لهم قبل ان يوحى اليه في أمرهم بالقعود (وقيل اقعدا ومع القاعدین) معناه انهم لما استأذنوا في القعود قيل لهم اقعدا ومع القاعدین وهم النساء والصبيان والمرضى وأهل الاعذار ثم اختلفوا في القائلين هو فقيل قال بعضهم البعض اقعدا ومع القاعدین وغيل القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك لهم على سبيل الغضب لما استأذنوه في القعود فقال لهم اقعدا ومع القاعدین فاعتدوا ذلك وقعدوا وقيل ان القائل ذلك هو الله سبحانه وتعالى بان ألقى في قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع السامعين الى الجهاد ثم بين سبحانه وتعالى ما في خروجهم من المفساد فقال تعالى (لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا) يعنى لو خرج هؤلاء المنافقون معكم الى الغزو مازادوكم الافساد وشرا وأصل الخبال اضطراب ومرض يؤثر في العقل كالجنون قال بعض النحاة هذامن الاستثناء المنقطع والمعنى لو خرجوا فيكم مازادوكم قوة لكن خبالا والمراد به هنا الافساد وإيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بنهويل الامر وشدة السفر وكثرة العدو وقوتهم (ولا وضعوا خلا لکم) يعنى ولا سعوا فيكم وساروا وينسبك بالقاء التهمة والاحاديث الكاذبة فيكم (ببقونكم الفتنة) يعنى يطلبون لكم ما تفتنون به وذلك أنهم يقولون للمؤمنين لقد جمع لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وانكم ستسزيمون منهم وسيظهرون عليكم نحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التي تحجب وقيل معناه يطلبون العيب والنشر (وفيكم جماعون لهم) قال مجاهد يعنى وفيكم عيون لهم يؤدون اليهم اخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس وقال قتادة وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين ويطيعونهم وذلك أنهم يلقون اليهم أنواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقبولونها منهم فان قلت كيف يجوز أن يكون في المؤمنين الخالصين من يسمع ويطيع للمنافقين قلت بحتمل أن يكون بعض المؤمنين لهم أقارب من كبار المنافقين ورؤسائهم فاذا قالوا قولار بما ترو ذلك القول في قلوب صفة المؤمنين في بعض الاحوال (والله اعلم بالظالمين) وهذا وعد وتهديد للمنافقين الذين يقولون الفتنة والشبهات بين المؤمنين وقوله سبحانه وتعالى (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) يعنى لقد طلبوا واد

القرآن وقد بقي من تلك الانما تر في الطباع فكتبوا صورة لهمزة ألفا وفتحها ألفا أخرى ونحوها ولا اذبحنه (يعنونكم) حال من الضعير في أوضاعه (الفتنة) أى يطلبون ان يفتنوك بان يوقعوا الخلاف فيما ينسبك وبفسد وانباتكم في مغزاكم (وفيكم سماعون لهم) أى ناعون حديثكم فينقلونه اليهم (والله اعلم بالظالمين) بالمنافيقين (لقد ابتغوا الفتنة) بصد الناس أو بان يفتكوا به عليه السلام لبله العقبة أو بالرجوع يوم أحد (من قبل) من قبل غزوة تبوك

رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بشئ فيهما اذنه للمنافقين وأخذه الفداء من أسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون وقال سقيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطيف بدأه بالعفو قبل أن يعير به الذنب

**فصل** استدلل بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء وبيانه من وجهين أحدهما أنه سبحانه وتعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي سابقة الذنب الوجه الثاني أنه سبحانه وتعالى قال لم أذنت لهم وهذا استفهام معناه الانكار والجواب عن الاول اننا لانسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك بوجوب صدور الذنب بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة في التعظيم والتوقير فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظمه لعفا الله عنك ما صنعت في أمرى رضى الله عنك ما جواباك عن كلامى وعافاك الله وغفر لك كل هذه الالفاظ في ابتداء الكلام وافتتاحه تدل على تعظيم المخاطب به قال على بن الجهم يخاطب المتوكل عفا الله عنك الاحزمة \* تعود بفضل ان أبعد \* ألم تر عبادا عدا طوره ومولى عفا ورشيد اهدى \* أفنى أقالكم لم ينزل \* يقول ويصرف عنك الردى

والجواب عن الثاني أنه لا يجوز أن يكون المراد بقوله لم أذنت لهم الانكار عليه وبيانه اما أن يكون قد صدر عنه ذنب في هذه الواقعة أو لا فان كان قد صدر عنه ذنب فقد كر الذنب بعد العفو ولا يليق بقوله عفا الله عنك بدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل أن يتوجه الانكار عليه ولم يكن قد صدر عنه ذنب امتنع الانكار عليه فثبت بهذا ان الانكار يتمتع في حقه صلى الله عليه وسلم وقال القاضى عياض في كتابه الشفاء في الجواب عن قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم أنه أمر لم يتقدم لئبى صلى الله عليه وسلم فيمن الله تعالى نهى فيعد معصية ولا عده تعالى عليه معصية بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغطاوا من ذهب الى ذلك قال نفلوه بعد قد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في أمرين قالوا وقد كان له أن يفعل ما يشاء فيما لم ينزل عليه فيه وحى فكيف وقد قال الله سبحانه وتعالى له فاذن لمن شئت منهم فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم أنه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فافعل وليس عفا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله عنكم عن صدقة الخيل والريق ولم تجب عليهم قط أى لم يلزمكم ذلك ونحوه للشيرى قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لا يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك أى لم يلزمك ذنب قال الداودى انها نكسة وقال مكى هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك وحكى السمرقندى ان معناه عفاك الله وقيل معناه أدام الله لك العفو لم أذنت لهم يعنى فى التعلف عنك وهذا يحمل على ترك الاولى والاكمل لاسما وهذه كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا (حتى يقين لك الذين صدقوا) يعنى فى اعتدائهم (وتعلم الكاذبين) يعنى فيما يعتدون به قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى زلت براءة قوله سبحانه وتعالى (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين) عدة لهم باجزل الثواب (انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا (وارتاب قلوبهم) شكوا فى دينهم واضطربوا فى عقيدتهم (فهم فى ريبهم) يترددون (يتحربون لان التردد يدن التحرب) كأن الثبات يدن المستبصر

(حتى يقين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) يقين لك الصادق فى العذر من الكاذب فيه وقيل شيطان فعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه الفدية من الاسارى فعاتبه الله وفيه دليل جواز الاجتهاد للانبياء عليهم السلام لانه عليه السلام اعاقل ذلك بالاجتهاد وانما عوب مع ان له ذلك اتركه الا فضل وهم يعاتبون على ترك الفضل (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا) ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك فى ان يجاهدوا (باموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين) عدة لهم باجزل الثواب (انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا (وارتاب قلوبهم) شكوا فى دينهم واضطربوا فى عقيدتهم (فهم فى ريبهم) يترددون (يتحربون لان التردد يدن التحرب) كأن الثبات يدن المستبصر

(وجاهدوا بالموالمة أو تفاسمكم) ايحاب الجهاد بهما ان أمكن أو باجدهما على حسب الحال والحاجة (في سبيل الله ذلكم) الجهاد (خير لكم) من تركه (ان كنتم تعملون) كون ذلك خيرا فبادروا اليه ونزل في المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين (لو كان عرضا) هو ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدين اعرض حاضر يا كل منه البر والفاجر أي لو كان (٢٤٥) مادعوا اليه مغنا (قريبا) سهلا المأخذ

(وسفر قاصدا) وسطا  
مقار باو القاصد والقصد  
المعتدل (لا تبوءك)  
لواقفوك في الخروج  
(ولكن بعدت عليهم  
الشقة) المسافة الشاقة  
الشاقة (وسيحلفون بالله  
لو استطعنا خرجنا معكم)  
من دلائل النبوة لأنه اخبر  
بما سيكون بعد القبول  
فقالوا كما أخبروا بالله  
متعلق بسيحلفون أو  
هو من جملة كلامهم والقول  
مراد في الوجهين أي  
سيحلفون يعني المتخلفين  
عند رجوعكم من غزوة  
تبوك معذرين يقولون  
بالله لو استطعنا خرجنا معكم  
أو سيحلفون بالله يقولون  
لو استطعنا قوله خرجنا  
سد مسد جوابي القسم ولو  
جميعا ومعنى الاستطاعة  
استطاعة العدة أو استطاعة  
الابدان كأنهم تمارضوا  
(بهم يكون أنفسهم) بدل  
من سيحلفون أو أحوالهم  
أي مهلكين والمعنى أنهم  
بهاكونها بالخلف  
الكاذب أو حال من خرجنا  
أي خرجنا معكم وان  
أهلكنا أنفسا وأقربنا

حتى المريض والزمن والفقير وليس الامر كذلك فامعنى هذا الامر قلت من العاصم من حمله على الوجوب  
ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخت هذه الآية بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية وقال السدي  
نسخت بقوله ليس على الضعفاء وعلى الرضى الآية ومنهم من حمل هذا الامر على الندب قال مجاهد ان أبا  
أيوب الانصاري شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن غزوة غزاها المسلمون  
بعده فقبل له في ذلك فقال سمعت الله عز وجل يقول انفروا خفافا وثقالا و لا جدنى الا تخفوا و لا تقولوا  
الزهرى خرج سعيد بن السبب وقد ذهبت إحدى عينيه فقبل له انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله  
الخفيف والثقيل فان لم يكن الحرب كثرت السواد أو حفظت المتاع وقال صفوان بن عمر وكنت واليا على  
حصص فلقيت شيخا قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم أنت معذور  
عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا انه من يحب يتلى والصحيح هو القول  
الاول انهم انسوخة وان الجهاد من فرض الكفريات ويدل عليه ان هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك  
وان النبي صلى الله عليه وسلم خلف في المدينة في تلك الغزاة النساء وبعض الرجال فدل ذلك على ان الجهاد  
من فرض الكفريات ليس على الاعيان والله أعلم وقوله سبحانه وتعالى (وجاهدوا بالموالمة أو تفاسمكم  
في سبيل الله) فيه قولان الاول ان الجهاد انما يجب على من له مال بقوة يه به على تحصيل آلات الجهاد ونفس  
سليمة قوية بالصلاح للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد والقول الثاني ان من كان له مال وهو مريض أو مقعد  
أو ضعيف لا يصلح للحرب فعليه الجهاد بما له بان يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد فيغزو بماله فيكون مجاهدا  
بماله دون نفسه (ذلكم) يعني ذلك الجهاد (خير لكم) يعني من القعود والتناقل عنه وقيل بمعناه ان الجهاد  
خير حاصل لكم نوابه (ان كنتم تعملون) يعني ان نواب الجهاد خير لكم من القعود عنه ثم نزل في المنافقين  
الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وقوله عز وجل (لو كان عرضا قريبا) فيه  
اشاره تقديره لو كان ما ندعوه اليه عرضا يعني غنيمة سهلة فريضة التنازل والعرض ما عرض لك من منافع  
الدنيا وماتعها يقال الدين اعرض حاضر يا كل منه البر والفاجر (وسفر قاصدا) يعني سهلا قريبا  
(لا تبوءك) يعني خرجوا معك (ولكن بعدت عليهم الشقة) أي المسافة والشقة السفر البعيد لأنه يشق  
على الانسان سلكها ومعنى الآية لو كان العرض قريبا والغنيمة سهلة والسفر قاصدا لا تبوءك متعافى تلك  
المنافع التي تحصل لهم ولكن لما كان السفر بعيدا وكانوا يستعظمون غزو الزوم لاجرم انهم تخلفوا لهذا  
السبب ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم انه اذا رجع النبي عليه السلام من هذا الجهاد يحلفون بالله وهو  
قوله تعالى (وسيحلفون بالله) يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة  
(لو استطعنا خرجنا معكم) يعني الى هذه الغزوة (بهم يكون أنفسهم) يعني بسبب هذه الايمان الكاذبة  
والنفاق وفيه دليل على أن الايمان الكاذبة تهلل صاحبها (والله يعلم انهم كاذبون) يعني في ايمانهم وهو  
قولهم لو استطعنا خرجنا معكم لانهم كانوا مستطيعين الخروج وقوله عز وجل (عفا الله عنك لم اذنت لهم)  
قال الطبري هذا عتاب من الله عز وجل عاتب الله به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أي في اذنه لم اذن له في  
التخلف عنه من المنافقين حين شخص الى تبوك لغزو الروم والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك في اذنك  
طولا المنافقين استأذونك في ترك الخروج معك الى تبوك قال عمرو بن ميمون الاودى اثنان فعلهما

في النهلكة بما تحمها على المسير في تلك الشقة والله يعلم انهم الكاذبون) فيما يقولون (عفا الله عنك) كناية عن الزلة لان العفو مراد فها  
وهو من طائف العتاب بتصدير العفو في الخطاب وفيه دلالة فضله على سائر الانبياء عليهم السلام حيث لم يذكر مثله لسائر الانبياء عليهم السلام  
(لم اذنت لهم) بيان لما كفى عنه بالعفو ومعناه ما لك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذونك واعتلوا بك بعلهاهم وهلاستين بالاذن

الله عليه وسلم وقال ابن عباس على أبي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك  
 (فصل) في الوجوه المستنبطة من هذه الآية الدالة على فضل سيدى أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه  
 منها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان مطاعا على باطن أبي بكر الصديق في سره  
 واعلانه وأنه من المؤمنين الصادقين الصديقين المخلصين فاختر حبيته في ذلك المكان الخوف لعلهم بحاله ومنها  
 ان هذه الهجرة كانت باذن الله تعالى خص الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم أبابكر دون غيره من أهله  
 وعشيرته وهذا التخصيص يدل على شرف أبي بكر وفضله على غيره ومنها ان الله سبحانه وتعالى عاتب أهل  
 الارض بقوله تعالى الا تنصروا فقد نصره الله سوى أبي بكر الصديق وهذا دليل على فضله ومنها ان سيدنا  
 أبابكر رضى الله تعالى عنه لم يخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر بل كان ملازمه وهذا  
 دليل على صدق محبته وصحة صحبته له ومنها مؤانسته للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل نفسه وفي هذا  
 دليل على فضله ومنها ان الله سبحانه وتعالى جعله ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه وتعالى ثاني  
 اثنين اذهبا في الغار وفي هذا نهاية الفضيلة لاني بكر رضى الله تعالى عنه وقد ذكر بعض العلماء ان أبابكر كان  
 ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر الاحوال ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق الى الايمان  
 بالله فكان أبو بكر أول من آمن ثم دعاه أبو بكر الى الايمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطاحه واليزيد  
 فأتوا على يدى أبي بكر ثم جاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في  
 موقف من غزائه الا أبو بكر معه في ذلك الموقف ومنها انه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الامامة  
 فكان ثانيه ومنها انه ثانيه في ترثه صلى الله عليه وسلم وفي هذا دليل على فضل أبي بكر الصديق ومنها ان الله  
 سبحانه وتعالى نص على محبة أبي بكر دون غيره بقوله سبحانه وتعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ومنها ان الله  
 سبحانه وتعالى كان ثانيا ومن كان الله معه دل على فضله وشرفه على غيره ومنها انزال السكينة على أبي بكر  
 واختصاصه بهادليل على فضله والله أعلم وقوله سبحانه وتعالى (وأبدهم بجحودهم نزلوها) يعني وأبدا النبي صلى  
 الله عليه وسلم بانزال الملائكة ليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته وقيل ألقى الرعب في قلوب  
 الكفار حتى رجعوا وقال مجاهد والكلبي أعانه بالملائكة يوم بدر فاخبر الله سبحانه وتعالى انه نصره وصرف  
 عنه كيدا لاعداءه وهوى في الغار في حالة الفاقة والخوف ثم نصره بالملائكة يوم بدر (وجعل كلمة الذين كفروا  
 السفلى) يعني كلمة الشرك فهي سفلى الى يوم القيامة (وكلمة الله هي العليا والله عز يزكهم) قال ابن عباس  
 هي كلمة لا اله الا الله فهي باقية الى يوم القيامة عالية وقيل ان كلمة الذين كفروا هي ما كانوا قادرين وهافيا  
 بينهم من الكيد للنبي صلى الله عليه وسلم ليقولوه وكلمة الله هي ما وعده من النصر والظفر بهم فكان ما وعده  
 الله سبحانه وتعالى حقا وصدق له سبحانه وتعالى (انقروا وخفوا وثقالا) يعني انقروا وعلى الصفة التي يخف  
 عليكم الجهاد بها وعلى الصفة التي تنقل عليكم فيها وهذا الوصفان دخل تحتها أقسام كثيرة فلهذا  
 اختلفت عبارات المفسرين فيها فقال الحسن والضحك ومجاهد وقتادة وعكرمة يعني شبا وبوشو وخا وقال ابن  
 عباس نشاطا وغير نشاط وقال عطية العوفي ركبانا ومشاة وقال أبو صالح خفافا من المال يعني فقرا وثقالا  
 يعني أغنيا وقال ابن زيد الخفيف الذي لا ضيعة له والنفيل الذي له الضيعة يكره ان يدع ضيعته ويروى عن  
 ابن عباس قال خفافا أهل اليسرة من المال وثقالا أهل العسرة وقيل خفافا يعني من السلاح مققلين منه  
 وثقالا يعني مستكثرين منه وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل أسحاء ومرضى وقيل عزابا ومثاهلين وقيل  
 خفافا من الحاشية والاتباع وثقالا مستكثرين منهم وقيل خفافا يعني مسرعين في الحرب والفر وساعة  
 سماع النفر وثقالا يعني بعد التروى فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام لان هذه الاحوال كلها داخله  
 تحت قوله تعالى انقروا وخفوا وثقالا يعني على أي حال كنتم فيها فان قلت فعلى هذا يلزم الجهاد لكل أحد

(وأبدهم بجحودهم نزلوها) هم  
 الملائكة صرّفوا وجوه  
 الكفار وأبصارهم عن أن  
 يروه وأبدهم بالملائكة يوم  
 بدر والأحزاب وحسين  
 (وجعل كلمة الذين  
 كفروا) أي دعوتهم الى  
 الكفر (السفلى وكلمة  
 الله) دعوته الى الاسلام  
 (هي) فصل (العليا)  
 وكلمة الله بالنصب يعقوب  
 بالعطف والرفع على  
 الاستئناف أوجه اذهي  
 لم تزل كانت عالية (والله  
 عز يز) يعز نصره أهل  
 كلمته (حكيم) بذل أهل  
 الشرك بحكمتهم (انقروا  
 خفافا) في النصور  
 لنشاطكم له (وثقالا) عنه  
 لشقته عليكم أو خفافا لقلّة  
 عيالكم وثقالا لكثرتها  
 أو خفافا من السلاح وثقالا  
 منه أو ركبانا ومشاة أو  
 شبابا وشيوخا ومهازيل  
 ومهانا وأمعها ومرضا



ويقول اللهم ان الاجر اجر الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة فتتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لى قال  
ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت  
أخرجه البخارى بطوله \* شرح غريب الفاظ الحديث قوله لم أعلم أبوى الا وهما يدينان الدين يعنى  
أنهما كانا يتقادان الى الطاعة وركب النعماء بفتح الباء من برك وكسر الفين المججمة اسم موضع بينهما بين  
مكة خمس ليال مما على ساحل البحر الى المدينة من بلاد غفار وقيل هو قلب ماء لبنى نعلبة قوله تنكسب  
المعدوم فيه قولان أحدهما انه لقوة سده وحظه من الدنيا لا يتعد عليه كسب كل شئ حتى المعدوم  
الذى يتعذر كسبه على غيره والقول الثانى انه يملك الشئ المعدوم المتعذر لى لا يتعد عليه ففيه وصفه  
بالاحسان والكرم والكل ما ينقل حله من حقوق الناس وصلة الارحام والقيام بأمر العيال واقراء الضيف  
ونواب الحق ما ينوب الانسان من المغارم وقضاء الحقوق لى يقصده أئالك جارأى حام وناصر ومدافع عنك  
والاستعلان والاعلان اظهار الخفى وقوله فينقذ النساء عليه يعنى يزدجن عليه والذمة العهد والامان  
واخفائها تقضها الالهة الجبل والحرارة الارض التى تعلوها حجارة سود يقال افعل الشئ على رسلك بكسر الراء  
أى على هيئتك والراحلة البعير القوى على الجمل والسير والظاهرة وقت شد الامر والناطق جبل أو نحوه  
تشديه المرأة وسهلها وترفع نوبها من تحتها فتعطف طرفا من أعلاه الى أسفله لئلا يصل الى الارض وقولها  
تقف لى نقى قال تنق الرجل ثقافة اذا صار حاذقا فطنا واللقن السربيع الهسم والادلاج يتخفيف الدال سير  
أول الليل وبتسدها سير آخره والمنحة لثة ذات اللين والرسل بكسر الراء وسكون السين هو اللين يقال  
نقى الراعى بالغنم اذا دعاها لتجتمع اليه والغلس ظلام آخر الليل واخرى بتقدم شرحه فى الحديث وهو  
الماهر بالهداية وأراد به هداية الطريق فهو الدليل وقد غمس حلفا يقال غمس فلان حلفا فى آل فلان اذا  
أخذ بنصيب من عهدهم وحلفهم والاسودة الاشخاص والاكمة التل المرتفع من الارض يقال قرب  
الفرس بقرب تقر بيا اذا دعا عدو او دون الاسراع والكتانة هى اللعبة التى تجعل فيها السهام والازلام  
القداح التى كانوا يستقيمون بها عند طلب الخواج كالقال والعتان الغبار يقال مارزأت فلانا شيا أى  
ماأصبت منه شيا والمراد أنهم لم يأخذوا منه شيا وقوله أى أى أشرف والطاع والاطم البناء المرتفع كالخصن  
وقوله مبيضين هو بكسر الراء أى هم ذو ثياب بياض والمريد الموضع فيه التمر كالبيدرو وقوله هذا الجمال  
هو بالحاء المهملة يعنى هذا الجمل والمحمول من اللين أبر عند الله وأظهر وأبقى ذخرا وأودم منفعة فى الآخرة  
لاجمال خير يعنى ما يحمل من خير بر من القروا لى يبى والطعام المحمول منها والمعنى ان ذلك الجمل الذى  
نحمله من اللين لاجل عمارة المسجد أفضل عند الله مما يحمل من خير وقد روى هذا الجمل بالجمع من  
التجمل والرواية الاولى أشهر وأكثروا الله أعلم قال الزهرى لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر  
الغار أرسل الله سبحانه وتعالى زوجا من حمام حتى باض فى أسفل النقب ونسجت العنكبوت بيتا وقيل  
أنت عامة على قم الغار وقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اعمأ بصارهم فجعل الطلب يضربون بيننا وشمالا  
حول الغار يقولون لودخلنا هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت ووجدت فى بعض  
التفاسير شعرا وقد نسب الى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وهو قوله

قال النبى ولم يجزع بوقرنى \* ونحن فى سدف فى ظلمة الغار

لا تخش شيأ فأن الله نالنا \* وقد تكفل لى منه بظاهر

وانما كيد من تخشى بوادره \* كيد الشياطين قد كادت لكفار

واللهم لكهم طرا بعا صنعوا \* وجعل المنهى منهم الى النار

وقوله سبحانه وتعالى (فازل الله سكينته عليه) يعنى فاازل الله الطمأنينة والسكون على رسوله محمد صلى

فازل الله سكينته) ما لى  
فى قلبه من الامنة التى  
سكن عندها وعلم أنهم  
لا يصلون اليه (عليه) على  
النبى صلى الله عليه وسلم  
أو على أبى بكر لانه كان  
بخاف وكان عليه  
السلام ساكن القلب

فدفعوا اليه واحلتهما واعداه غارثور بعد ثلاث ليال فانما صبح ثلاث فارتحلا وانطلقا معه عامرين  
 فيهيرة والدليل الذي فاخذهم طريق السواحل وفي رواية طريق الساحل قال ابن شهاب فاخذهم في عيد  
 الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن اخي سراق بن مالك بن جعشم ان ابادا خبره انه سمع سراق بن مالك بن  
 جعشم يقول جاء نارسول كثر فر يش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد  
 منهم لمن قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلس أقبل رجل منهم حتى قام علينا  
 ونحن جالس فقال يا سراق اتي قد رأيت آتقا أسودة بالساحل أراها مجدا وأصحابه قال سراق فعرفت أنهم  
 هم فقلت له انهم إيسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا باعينا يتبعون ضالة لهم ثم أبيت في المجلس  
 ساعة ثم فت فدخلت فاصرت جارية بني أن تخرج بفريسي وهي من وراء أكمة فحبسها على وأخذت رجلي  
 فخرجت به من ظهر البيت فخطت بزجه الأرض وخفضت عليه حتى أتيت فريسي فركبتها فرفعتها تقرب في  
 حتى دنوت منهم فعدت في فريسي فغررت عنها فقممت وأهويت بيدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الإزلام  
 فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره فركبت فريسي وعصيت الإزلام تقرب في حتى إذا سمعت  
 قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهولا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يد فريسي في الأرض حتى  
 بلغت الركبتين فغررت عنهما ثم زجرها فمضت فلم تكذب فخرج يدها فلما استوت قائمة الأثر يدها عثان  
 ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالإزلام فخرج الذي أكره فناديهم بالأمان فوقوا فركبت فريسي  
 حتى جثتهم ووقع في نفسى حين لقبت بالقيت من الحبس عنهم أن سظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدبة وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم  
 يرزأ في ولم يسأل في الآن قالوا اخف عنا ما استعطت فسأله أن يكتب لي كتابا من فامر عامر بن فهيرة  
 فكتب في رقعة من أديم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب فاخذهم في عردة بن الزبير  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجار قافلين من الشام فكسا الزبير  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبكر ثياب بياض وسمع المساعون بالمدينة يخرج رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم من مكة فكأنوا يفتنون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حوالظيرة فاقتلبوا أبو مابعد ما أطالوا  
 انتظارهم فلما أودوا إلى بيوتهم وفي رجل من يهود على ظهر أطم من أطامهم لا يمر ينظر إليه فبصر رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يبيضون يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال يا علي صوته يا مشر العرب  
 هذا جدم الذي تنتظرونه قال فنار المساعون إلى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (ظهر الحرة  
 فدخل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول فقام أبو بكر  
 للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الانصار عن أمر رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم يحيى أبابكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه  
 برداه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو  
 ابن عوف بضعة عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ثم ركب راحلته فسار يسعى مع الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي  
 فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مر بد اللق لسهيل وسهل غلامين يتبعين في حجر أسعد بن زرارة فقال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 الغلامين فساومهما بالبر بديته فخذنه مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ان يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في  
 بنيانه ويقول هذا الجبل لاجل خير • هذا أبر بنا وأطهر

العماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال ابن تريديا بأب بكر فقال أبو بكر أخرجني قومي فأريد أن أسبح في  
 الأرض فأعبد ربي فقال ابن الدغنة فإن مثلك يأبأ بكر لا يخرج ولا يخرج منك تسكب المعدوم وتصل الرحم  
 وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانالك جارفارجم واعد ريك بيلدك فرجع وارحل  
 معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قر يش فقال لهم أن أبأ بكر لا يخرج مثله ولا يخرج  
 أن يخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق فلم  
 تكذب قر يش بجوار ابن الدغنة وفي رواية فأنفذ قر يش جوار ابن الدغنة وأنموأ أبأ بكر وقالوا لابن الدغنة  
 مرأبأ بكر فليعبد ربه في داره وليصل فيها وليقرأ ماشاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فانما نخشى أن يفتن  
 نساءنا وبناتنا فقال ذلك ابن الدغنة لاني بكر فليتب أبو بكر كذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته  
 ولا يقرأ في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجدا ببناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فينقذ  
 عليه نساء المشركين وبناتهم وهم يحبون منه وينظرون اليه وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا  
 قرأ القرآن فافزع ذلك أشراف قر يش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا  
 أجونا أبأ بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا ببناء داره فاعلن بالصلاة  
 والقرأة فيه وانا قد خشين أن يفتن نساءنا وبناتنا فانهى ابن الدغنة أن يعبد ربه في داره ففعل  
 وان أباي الآن يعلن بذلك فسله أن يرديك ذمتك فانك قد كرهنا أن نخفرك ولسمنا قريين لاني بكر  
 الاستعلان قالت عائشة فاتي ابن الدغنة الى أبي بكر فقال قد علمت الذي عاهدت لك عليه فاما أن تقتصر على  
 ذلك واما أن ترجع الى ذمتي فاني لأحب أن أسمع العرب اني أخفرت في رجل عقدت له فقال أبو بكر فاني  
 أرد اليك جوارك وأرضي بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم  
 للمسلمين اني رأيت داره هجر تكسب سبعة ذات نخل بين لابتي وهما الخرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة  
 ورجع عامة من كان بارض الحبشة الى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك باي أنت وأمي قال نعم فحس أبو بكر نفسه  
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصعبه وعلف راحلتي كاتنا عنده من ورق السمرو وهو الخطب أربعة  
 أشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن جلوس يوماني بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل  
 هذان رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن ياتين فيها فقال أبو بكر فداء له أبي وأمي والله ما جاء به  
 في هذه الساعة الا أمر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فاذن له فدخل فقال النبي صلى الله  
 عليه وسلم لاني بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك باي أنت وأمي يا رسول الله قال فاني قد أذن  
 لي في الخروج قال أبو بكر الصعبة باي أنت وأمي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال أبو  
 بكر فذهب باي أنت وأمي يا رسول الله احدى راحلتي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالن أن قالت عائشة  
 تجهزناهما أحث الجهاز وصنعناهما مسفرة في جواب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نفاقها فبطت به  
 فم الجراب فذلك سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بفار في جبل نور  
 فكمنافيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما  
 بسحر فيصبح مع قر يش بمكة كباث فلا يسمع أمر ايكاد ان به الاوعاه حتى ياتهم ما يخبر بذلك حين يختلط  
 الظلام ويرعى عليهم ما عاصر بن فهيرة مولى أبي بكر منعة من غنم فبريحها عليهم ما حتى تذهب ساعة من  
 العشاء فيبيتان في رسل حتى ينعق بهما عاصر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث  
 واستاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الدليل وهو من بني عبد بن عدى هادي خريتا  
 واخر يت الماهر بالهداية قد غس حلقا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قر يش فامناه

(اذ أخرجه الذين كفروا)  
 أسند الاخراج الى الكفار  
 لانهم حين هموا باخراجه  
 اذن الله له في الخروج  
 فكانهم أخرجه (ثاني  
 اثنين) أحداثنين كقول  
 ثالث ثلاثة وهما رسول الله  
 وأبو بكر واتصبا على  
 الحال (اذهما) بدل من  
 اذ أخرجه (في الغار)  
 هو نقب في أعلى نور وهو  
 جبل في معنى مكة على مسيرة  
 ساعة مكنا فيه ثلاثا (اذ  
 يقول) بدل ثان (لصاحبه  
 لا تحزن ان الله معنا)  
 بالنصرة والحفظ قيل طلع  
 المشركون فوق الغار  
 فاشتق أبو بكر على رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم  
 فقال ان تصب اليوم ذهب  
 دين الله فقال عليه السلام  
 ما ظنك باثنين الله ثالثهما  
 وقيل لما دخل الغار بعث  
 الله جاستين فباضافتي  
 أسفله والعنكبوت فنسجت  
 عليه وقال رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم اللهم أعم  
 أبصارهم فغفلوا يترددون  
 حول الغار ولا يفتنون قد  
 أخذ الله بأبصارهم عنه وفلوا  
 من أنكر بحجة أبي بكر  
 فقد كفر لانكاره كلام  
 الله وليس ذلك لسائر  
 الصحابة

تناقل عن الخروج معه الى توك فاعلم الله عز وجل انه هو المتكفل بصبر رسوله صلى الله عليه وسلم واعزاز  
 دينه واعلاء كلمته اعانوا ولم يعينوه وانه قد نصره عند قلة الاولياء وكثرة الاعداء فكيف به اليوم وهو في  
 كثرة من العدد والعدد (اذ أخرجه الذين كفروا) يعني انه تعالى نصره في الوقت الذي أخرجه فيه كفار مكة  
 من مكة حين مكروا به وأرادوا قتله (ثاني اثنين) يعني هو واحد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو  
 بكر (اذهما في الغار) يعني اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الغار والغار نقب عظيم يكون في  
 الجبل وهذا الغار في جبل نور وهو قرب من مكة (اذ يقول صاحبه لا تحزن) يعني يقول رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم لابي بكر الصديق لا تحزن وذلك ان أبا بكر خاف من الطلب ان يعلموا بمكانهم فزع من ذلك  
 فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن (ان الله معنا) يعني بالنصرة والمعونة قال الشعبي عاتب الله عز وجل  
 أهل الارض جميعا في هذه الآية غير أبي بكر وقال الحسن بن الفضل من قال ان أبا بكر لم يكن صاحب رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانكاره نص القرآن وفي سائر الصحابة اذا أنكر يكون مبتدع ولا يكون  
 كافرا عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يكرأ أنت صاحب على الخوض وصاحبي في الغار  
 أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبي بكر الصديق قال نظر ثلث أقدم المشركين  
 ونحن في الغار وهم على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو ان أحدهم نظر الى قدمي بصيرة ناحت قدمي فقال يا أبا  
 بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال الشيخ محي الدين النووي معناه ثابتهما بالنصر والمعونة والحفظ  
 والنسب وهو داخل في قوله سبحانه وتعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم توكل  
 النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام وفيه فضيلة لأبي بكر وهي من أجل مناقبه والفضيلة من أوجه منها  
 اللفظ الدال على ان الله ثالثهما ومنها بدله نفسه ومقارنته أهل ماله ورأسه في طاعة الله وطاعة رسوله  
 صلى الله عليه وسلم وملازمة النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير  
 ذلك روى عن عمر بن الخطاب انه ذكر عند أبو بكر فقال وددت ان عملي كله مثل عملك يوما واحدا من أيامه  
 وليلة واحدة من لياليه أليالته فليلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فلما انتهى اليه قال والله  
 لا تدخله حتى أدخل قبلك فان كان فيه شيء أصابني دونك فدخله فكف عنه ووجد في جانبه نقبا فشق ازاره  
 وسد هابه وبقي منها ثقبان فالتصمهما رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجره ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك مخافة أن يشبه رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فسقط دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا أبا بكر فقال لدغت  
 فذلك أبي وأمي فقتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم اتقض عليه وكان سبب موته  
 وأما يومه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أرادت العرب وقالوا لا نؤدى الزكاة فقال لومعني عقلا  
 لجاهلهم عليه فقات يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم فقال لي أجباني في الجاهلية خوار في  
 الاسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين أينما وصا نأجي أخرجه في جامع الاصول ولم يرقم عليه علامة لاحد قال  
 البغوي وروى انه حين انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة  
 خلفه فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا أبا بكر فقال أذكر الطلب فامشي خلفك واذا كره الرصد  
 فامشي بين يديك فلما انتهيا الى الغار قال مالك يا رسول الله حتى استبرأ الغار فدخل فاستبرأ ثم قال انزل  
 يا رسول الله انزل وقال له ان أقل فانارجل واحد من المسلمين وان قتلت هلك الامة

في ذكر سياق حديث الهجرة وهو من أفراد البخاري

عن عائشة قالت لم أعقل أبوي قط الا وهما يدينان الدين ولم يمر عليهما يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم طرفي النهار بكرة وعش يا فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى اذا بلغ برك

(والله لا يهدي القوم الكافرين) حال اختياريهم الثبات على الباطل (يأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم أنفروا) أنفروا (في سبيل الله) (ثأقلتم) ثأقلتم وهو أصله الآن التاء أو دغمت في التاء فصارت ثاء ساكنة (٢٣٩) فدخلت ألف الوصل للابتداء بالساكن أي

تباطأتم (إلى الأرض ضمن

معنى الميل والاخلاق

فعدى إلى أي ما سمي إلى

الديناوشه وهاتها وكرهتم

مشاق السفر ومتابعه أي

ملتزم إلى الإقامة بارضكم

ودياركم وكان ذلك في غزوة

تبوك استنقروا في وقت

عسرة وحظا وقيط مع بعد

الشقة وكثرة العدو فشق

عليهم ذلك وقيل ما خرج

رسول الله صلى الله عليه

وسلم في غزوة الأري عنها

بغيرها إلا في غزوة تبوك

ليستعد الناس تمام العدة

(أرضنتم بالحياة الدنيا من

الآخرة) بدل الآخرة (فما

متاع الحياة الدنيا في

الآخرة) في جنب الآخرة

(الاقبال الانفروا) إلى

الحرب (يعذبكم عذابا

أليما ويستبدل قوما غيركم

ولا تضره شيئا) سخط

عظيم على المتأقنين حيث

أوعدهم بعذاب أليم مطلق

يتناول عذاب الدارين

وإنهما كهم ويستبدل

بهم قوما آخرين خبر انهم

وأطوع وأنه غنى عنهم في

نصرة دينه لا بقدر ثأقلهم

فيها شيئا وقيل الضمير في

ولا تضره للرسول عليه

السلام لأن الله وعده أن

يعصمهم الناس وإن

(والله لا يهدي القوم الكافرين) يعني أنه سبحانه وتعالى لا يرشد من هو كافر أي لم يسلم له في الازل انه من أهل النار ﴿قوله عز وجل﴾ (يأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله أنقلتم إلى الأرض) نزلت هذه الآية في الحث على غزوة تبوك وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف أمر بالجهاد أنفروا الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حين طابت الظلال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد بغزوة الأري بغيرها حتى كانت غزوة تبوك ففزعها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أي ما سمي إلى الجهاد بقال استنقروا الاستنقار الاستنقار الناس إذا همهم على الخروج إلى الجهاد ودعاهم اليوم منه قوله صلى الله عليه وسلم وإذا استنقروا فأنفروا والاسم النفي انقلتم أي ثأقلتم وتباطأتم عن الخروج إلى الغزوا إلى الأرض يعني لزمتم أرضكم ومساكنكم وإنما استنقل ذلك الغزو لشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحروب بعد المسافة والحاجة إلى كثرة الاستعداد من العدد والرجال وكان ذلك الوقت وقت ادراك غمار المدينة وطيب ظلالها وكان العدو وكثيرا فاستنقل الناس تلك الغزوة فعاتبهم الله تعالى بقوله (أرضنتم بالحياة الدنيا من الآخرة) يعني أرضنتم بخفض العيش وزهرة الدنيا ودعاهم فنعيم الآخرة (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) يعني إن ذات الدنيا ونعيمها فانزل بقدر غنى قليل ونعيم الآخرة باقى على الابد فلماذا السبب كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة إلى نعيم الآخرة وفي الآية دليل على وجوب الجهاد في كل حال وفي كل وقت لأن الله سبحانه وتعالى نص على أن ثأقلهم عن الجهاد أمر منكرو فلو لم يكن الجهاد واجباً لما عاتبهم على ذلك الثأقل وبؤ كده هذا الوعيد المذكور الآية الآية وهي قوله تعالى (الانفروا) يعني إن لم تنفروا أيها المؤمنون إلى ما استنقروكم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه (يعذبكم عذابا أليما) يعني في الآخرة لأن العذاب الأليم لا يكون إلا في الآخرة وقيل إن المراد به احتباس المطر في الدنيا قال نجدة بن نفع سألت ابن عباس عن هذه الآية فقال استنقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيامن أحياء العرب فتثأقلوا فامسك الله تعالى عنهم المطر فكان ذلك عذابهم (ويستبدل قوما غيركم) يعني خبر انهم وأطوع قال سعيد بن جبيرهم أضاء فارس وقيل هم أهل اليمن نبه سبحانه وتعالى على أنه قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم وأعزأزديته فإن سارعوا معه إلى الخروج إلى حيث استنقروا حصلت النصر بهم ووقع أجرهم على الله عز وجل وإن ثأقلوا وتخلفوا عنه حصلت النصر بغيرهم وحصل العتي لهم ثلاثتهم أو اعزأز رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته لا تنحل إلا بهم وهو قوله تعالى (ولا تضره شيئا) قيل الضمير راجع إلى الله تعالى يعني ولا تضره الله شيئا لأنه غنى عن العالمين وإنما تضره أنفسكم بترككم الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير راجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ولا تضره محمد صلى الله عليه وسلم شيئا فإن الله ناصره على أعدائه ولا يتخذله (والله على كل شيء قدير) يعني الله تعالى قادر على كل شيء فهو ونصر نبيه وبعزديته قال الحسن وعكرمة هذه الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال الجمهور هذه الآية بحكمة لأنها مخاطبة لقوم استنقروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا كأنقل عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فلا نسخ قوله عز وجل (الانصره فقد نصره الله) يعني الانصروا محمد صلى الله عليه وسلم أيها المؤمنون هذا خطاب لمن

ينصره وعده كائن لا محالة (والله على كل شيء) من التبديل والتعذيب غيرهما (فتدبر الانصروا فقد نصره الله) الانصروا فقد نصره الله من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد فدله بقوله فقد نصره الله على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت

الاشهر الحرم وتعظيمها وكان ذلك مما عسكت به من ملأ ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت عامة معاش  
العرب من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة اشهر متواليين وما وقعت حروب في  
بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تأخير حروبهم الى الاشهر الحلال ففسدوا يعني آخر وأخير شهر الى  
شهر آخر فكانوا يؤخرون تحريم الحرم الى صفر فيستحلون الحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا الى تأخير  
تحريم صفر أخره الى ربيع الاول فكانوا يصنعون هكذا يؤخرون شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم  
على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فخرجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في الحرم عامين ثم حجوا في  
صفر عامين وكذلك اباق في شهر السنة فوافقت حجة أبي بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع المرة الثانية من ذي  
القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجة شهر ذي الحجة وهو شهر  
الحج المشروع فوقف برقة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر يعني وأعلمهم أن أشهر النسيء  
قد ناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى ما وضع الله عليه حساب الاشهر يوم خاني السموات والارض  
وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خاني الله السموات والارض الحديث المتقدم  
وأمرهم بالحفاظة على ذلك للاتباع في مستقبل الأيام واختلافوا في أول من نسا النسيء فقال ابن عباس  
والضحاك وقادة ومجاهد أول من نسا النسيء بنو مالك بن كنانة وكان يليه جنادة بن عوف بن أمية  
السكاني وقال الكلبي أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يقوم على الناس في  
الموسم فاذا هم الناس بالصدر قام فخطب الناس فيقول لامرئ لما قضيت أنا الذي لأعاب ولا أجاب فيقول له  
المشركون لبيك ثم يسألونه أن ينسبهم شهر أغير ون فيه فيقول ان صفر في هذا العام حرام فاذا قل ذلك  
حسبوا الاوتار وزعوا الاسنة والازجة من الرماح وان قال حلال عقدا وأتار القسي وركبوا الاسنة في  
الرماح وأغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي أدرك النبي صلى الله عليه  
وسلم وقال عبد الرحمن بن زبدي بن أسلم هو رجل من بني كنانة يقال له القامس قال شاعرهم

\* وفي ناسي الشهر القامس \* وكانوا يفعلون ذلك اذا اجتمعت العرب في الموسم وروى جوير عن  
الضحاك عن ابن عباس ان أول من نسا النسيء عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف والذي صح من حديث  
أبي هريرة وعائشة عمرو بن لحي أول من سب السوا ب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو  
ابن لحي يجر قصبه في النار فهذا ما ورد في تفسير النسيء الذي ذكره الله في قوله انما النسيء زيادة في  
الكفر يعني زيادة كفره على كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم أمروا بإيقاع كل فعل في وقته من الاشهر الحرم  
ثم انهم بسبب أغراضهم الفاسدة أخره الى وقت آخر بسبب ذلك النسيء فوافقوه في غير وقته من الاشهر  
الحرم فكان ذلك الفعل زيادة في كفرهم (يُضَلُّ به الذين كفروا) قرئ يضل بفتح الباء وكسر الصاد  
ومعناه يضل بالنسيء الذين كفروا وقرئ يضل بضم الباء وفتح الصاد ومعناه ان كبارهم أضلواهم وحلواهم  
عليه وقرئ يضل به الذين كفروا بضم الباء وكسر الصاد ومعناه يضل الله به الذين كفروا أو يضل به الشيطان  
الذين كفروا وبز بين ذلك لهم وقيل معناه يضل به الذين كفروا تابعتهم والآخرين بافعلهم وهذا الوجه أقوى  
الوجهين في تفسير قراة من قرأ يضل بضم الباء وكسر الصاد (يُحَلُّونَهُ عاماً ويحرمونه عاماً) يعني يحلون ذلك  
النساء عاماً ويحرمونه عاماً والمعنى يحلون الشهر الحرم عاماً فيجعلونه حلالاً لا يغير وأفيه ويحرمونه عاماً  
فيجعلونه محرماً لا يغير وفيه (ليواطوا) يعني ليوافقوا (عدة ما حرم الله) يعني أنهم ما حلوا شهر من  
الحرم الا حرموا شهر امكانه من الحلال ولم يحرموا شهر امكانه من الحلال الا حلوا مكانه شهر امكان الحرام لاجل  
أن يكون عدد الاشهر الحرم أربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة للعدد لافي الحكم كذلك قوله  
سبحانه وتعالى (فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا العمل

(يُضَلُّ) كوفي غير أبي بكر  
(به الذين كفروا) بالنسيء  
والضمير في (يحلونه عاماً)  
ويحرمونه عاماً بالنسيء  
أي اذا أحلوا شهرها من  
الاشهر الحرم عاماً رجعوا  
محرمة في العام القابل  
(ليواطوا عدة ما حرم  
الله) ليوافقوا العدة التي  
هي الاربعة ولا يخالفوها  
وقد خالفوا التخصص  
التي هو أحد الواجبين  
واللام تتعاقب يحلونه  
ويحرمونه أو يحرمونه  
غيب وهو الظاهر  
(فيحلوا ما حرم الله) أي  
فيحلوا بمواطأة العدة  
وحدها من غير تخصيص  
ما حرم الله من القتال  
أو من ترك الاختصاص  
للشهر بعينها (زين لهم  
سوء أعمالهم) زين  
الشيطان لهم ذلك فغسبوا  
أعمالهم القبيحة حسنة



وابنه وأخيه في هذه الأربعة الأشهر لم يهجه ولم اجاء الاسلام بزيادها الا حرمة وتعظيمه لان الحسنات والطاعات فيها تتضاعف وكذلك السيئات أيضا أشد من غيرها فلا يجوز انتهاك حرمة الأشهر الحرم (ذلك الدين القيم) يعني ذلك الحساب المستقيم والعدو الصحيح المستوي فالدين هنا يعني الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه يعنى حاسب نفسه وعمل لمباعد الموت وقيل أراد بالدين القيم الحكم الذي لا يغفل ولا يبدل والقيم هنا يعني الدائم الذي لا يزول فالواجب على المسلمين الاخذ بهذا الحساب والعدو في صومهم ونجهم وعبادتهم وبياعاتهم وأجل ديونهم وغير ذلك من سائر أحكام المسلمين المرتبة على الشهور (ق) عن أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها ثلث اشهر هي ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان أى شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سببه بغير اسمه فقال أليس ذا الحجة قلنا بلى قال أى بالله هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سببه بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا واستقروا بكم فيكم عن أعمالكم الألف لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض ألا يبلغ الشاهد الغائب فلعن بعض من يباغ أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ثم قال ألا هل بلغت ألا هل بلغت قلنا نعم قال اللهم أشهد وقوله تعالى (فلا تظلموا فيه من أنفسكم) قيل السكينة في فيه من ترجع الى جميع الأشهر رأى لا تظلموا أنفسكم في جميع أشهر السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات لان المقصود منع الانسان من الاقدام على المعاصي والفساد مطلقا في جميع الاوقات وقيل ان الكناية ترجع الى الأشهر الحرم وهو قول أكثر المفسرين وقال قتادة العمل الصالح أعظم أجرا في الأشهر الحرم والظلم فيه من أعظم منه فيما سواه وان كان الظلم على كل حال عظيما وقال ابن عباس لا تظلموا فيه من أنفسكم يريد استعمال الحرم والغارة فيه وقال محمد بن اسحق بن يسار لا تجعلوا حلالا حراما ولا حراما حلالا كفعل أهل الشرك وهو النسيء وقيل ان الانفس مجبولة بطبعها على الظلم والفساد والامتناع عنه على الإطلاق شاق على النفس لا حرم ان الله خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام لمجتمع الانسان في تلك الاوقات من فعل الظلم والقبايح والمنكرات فرمى تركها في باقي الاوقات فتصير هذه الاوقات الشريفة والأشهر الحرم المعظمة سببا لترك الظلم وفعل المعاصي في غيرهما من الأشهر فهذا وجه الحكمة في تخصيص بعض الأشهر دون بعض بمزيد التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة أيضا قوله سبحانه وتعالى (وقالوا المشركين كافة كما ياتونكم كافة) يعني قالوا المشركين باجمعهم مجتمعين على قتالهم كما أنهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا ضدنا وعلى قتلنا ولم يتخذوا لولا الله تدبرا ولا تواشعا ولا تحجبوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في مقاتلة أعدائكم من المشركين واختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحرم فقال قوم كان كبير اسرارهم نسخ بقوله وقالوا المشركين كافة يعني في الأشهر الحرم وفي غيرهن وهذا قول قتادة وعطاء الخراساني والزهري وسفيان الثوري قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم غزاها وازن بحدين وثقيها بالاطباق وحاصرهم في شوال وبعض ذى القعدة وقال آخرون انه غير منسوخ قال ابن حزم حلف بالله عطاء بن رباح ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الأشهر الحرم وما نأخذ الآن بقائلا فيها (واعلموا أن الله مع المتقين) يعني بالنصر والمعونة على أعدائهم قوله سبحانه وتعالى (أعما النسيء في الكفر) النسيء في اللغة عبارة عن التأخير في الوقت ومنه النسيء في البيع ومعنى النسيء ما لا يورث في الآخرة تأخير شهر حرام الى شهر آخر وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تعتد حرمه

واحد فرد وهو رجب لتجنب الحرب اباه أى لتعظيمه (ذلك الدين القيم) أى الدين المستقيم لما يفعله أهل الجاهلية بمعنى أن تحريم الأربعة الأشهر هو الدين المستقيم ودين ابراهيم واسماعيل وكانت العرب تمسك به فكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى أحدثت النسيء فغيروا (فلا تظلموا فيه من أنفسكم) في الحرم أو في الشهر (أنتسكم) بارتكاب المعاصي (وقالوا المشركين كافة) حال من التفاعل والمفعول (كما يقاتلونكم كافة) جميعا (واعلموا أن الله مع المتقين) أى ناصر لهم ختمهم على التقوى بضمان النصرة لاهلها (أعما النسيء) بالجملة مصدر نساء اذا أخره وتاخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حرب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك الحاربة فيحلونه ويحرمون مكانة شهر آخر حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحریم فكانوا يحرمون من بين شهور العام أربعة أشهر (زيادة في الكفر) أى هذا الفعل منهزم بزيادة في كفرهم

يوم يحمى النار عليها فلما  
حذفت النار قيل يحمى  
لانتقال الاستناد عن النار  
الى عليها كما تقول رفعت  
القصة الى الامير فان لم تذكر  
القصة قلت رفع الى الامير  
(فتكوى بها جباههم -  
وجنوبهم - وظهورهم)  
وخصت هذه الاعضاء لانه  
كانوا اذا ابصروا الفقير  
عبسوا واذا صمهم وايه  
مجلس ازوروا عنه وتولوا  
باركاهم وولوه ظهورهم  
او معناه يكفون على  
الجهات الاربع متقاديم  
وما خبرهم وجنوبهم -  
(هذا ما كنتم لا تفهم)  
يقال لهم هذا ما كنتم  
لتنفع به نفوسكم وما علمتم  
أنكم كنتموه لتضر به  
أنفسكم وهو توبيخ  
(فقد قوما كنتم تكفون)  
أى وبال المال الذى كنتم  
تكفونه أو وبال كونكم  
كافرين (ان عدة الشهور  
عند الله اثنا عشر شهرا)  
من غير زيادة أو بالديان  
ان أحكام الشرع تبنى على  
الشهور القمرية المحسوبة  
بالأهلة دون الشمسية (في  
كتاب) الله فباأثبته وأوجه  
من حكمه أوفى بالوح (يوم  
خانى السموات والارض  
منها أربعة حرم) ثلاثة  
سردن والقعدة للقعود عند  
القتال وذو الحجة للحج

حتى جاءت فلم أنقار حتى قت فقات يارسل الله فذلك أبى وأبى من هم قال هم الا كثرون أموا الا امن قال  
هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقيل ما هم مامن صاحب ابل وبقر ولا  
غنم لا يودى زكاته الاجاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمه نملح بهقروها ونطوؤه باظلالها كما انفتحت  
آخر اها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس هذا اللفظ مسلم وقره البخارى في موضعين ﴿وقوله تعالى  
(يوم يحمى عليها)﴾ يعنى على الكنوز فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبقيش من شدة الحرارة (في نار جهنم  
فتكوى بها جباههم) يعنى بالسكون زجاءه كانزها (وجنوبهم وظهورهم) قال ابن عباس لا يوضع دينار  
على دينار ولا درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدة قال بعض العلماء انما  
خص هذه الاعضاء بالسكى من بين سائر الاعضاء لان الفنى صاحب المال اذا أتاه السائل فطلب منه شيئا تدور  
منه آثار الكراهة والمنع فعند ذلك يقلب وجهه ويكبح ويتجعد أسار بروجه فيتجمع جبينه ثم ان كرر  
السائل الطلب نأى بجانبه عنه ومال عن جهةه وتركه جانبا ثم ان كرر الطلب وألح في السؤال ولاده ظهره  
وأعرض عنه واستقبل جهة أخرى وهى النهاية في الرد والعاية في المنع العدل على كراهية الاعطاء والبذل  
وهذا دأب مافى البر والاحسان وعادة الاخلاء فلذلك خص هذه الاعضاء الثلاثة بالسكى يوم القيامة ﴿وقوله  
سبحانه وتعالى﴾ (هذا ما كنتم لا تفهم) أى يقال لهم ذلك يوم القيامة (فقد قوما كنتم تكفون) أى  
فقد قوما عذاب ما كنتم في الدين من الاموال ومنعتم حق الله منها (ق) عن الاحناف بن قيس قال قدمت  
المدينة فيبتأ ما في حلقة فيها ملامن قريش اذ جاء رجل خشن الثياب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم  
فقال بشر الكافرين برضى يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حدة ندى أحدهم حتى يخرج من نعش  
كتفيه ويوضع على نعش كتفيه حتى يخرج من حامة نديه يترزلق قال فوضع القوم رؤسهم فأرأيت أحدا  
منهم يرجع اليه شيئا قال قادر فابتعته حتى جلس الى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم  
فقال ان هؤلاء لا يعقلون شيئا هذا اللفظ مسلم وفيه زيادة ثم ذكر كرهوا زاد البخارى ١ قلت من هذا قالوا  
أبو ذر قال فقلت اليه فقلت ما شئ سمعتك تقول قبيل فقال ما قلت الاشياء سمعتم من نبيهم صلى الله عليه وسلم  
﴿قوله عز وجل﴾ (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) هى الحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر  
وجادى الاولى وجادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة وهذه شهور السنة  
القمرية التى هى مبنية على سير القمر في المنازل وهى شهور العرب التى يعتد بها المسلمون في صيامهم  
ومواقيت حجهم وأعيادهم وسائر أمورهم وأيام هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخمسون يوما والسنة  
الشمسية عبارة عن دور الشمس في الفلك دورة مائة وهى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربيع يوم فنقص  
السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الحج والصوم  
نار في الشتاء وتارة في الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الآية من أجل النسيء الذى كانت العرب  
تفعله في الجاهلية فكان يقع حجهم نار في وقت وتارة في الحرم وتارة في صفر وتارة في غيره من الشهور فاعلم  
الله عز وجل ان عدة شهور سنة المسلمين التى يعتدونها بها اثنا عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وهو  
قوله تبارك وتعالى ان عدة الشهور عند الله يعنى في علمه وحكمه اثنا عشر شهرا (في كتاب الله) يعنى في اللوح  
المحفوظ الذى كتب الله فيه جميع أحوال الخلق وما يؤتون وما يبدون وقيل أراد بكتاب الله القرآن لان فيه  
آيات تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل أراد بكتاب الله الحكم الذى أوجبه وأمر عباده بالاخذ به (يوم  
خانى السموات والارض) يعنى أن هذا الحكم حكم به وقضاه يوم خلق السموات والارض أن السنة اثنا عشر  
شهرا (منها) يعنى من الشهور (أربعة حرم) وهى رجب فرد وذو القعدة وذو الحجة والحرم ثلاثة متواليه  
وانما سميت حرما لان العرب في الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو ان أحدهم لقي آبيه

الله عليه وسلم كية ثم نوفي آخر فوجد في منزله ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان كان هذا في أول الإسلام قبل أن تفرض الزكاة فكان يجب على كل من فضل معه شيء من المال أخراجه لاحتياج غيره إليه فلما فرضت الزكاة نسخ ذلك الحكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة كبر ذلك على المسلمين فقال عمر أنا فرج عنكم فأنطاني فقال يا بني الله أنه كبر على أصحابك هذه الآية فقال إن الله لم يفرض الزكاة إلا تطيب ما بقى من أموالكم وانما فرض الموارث لتسكون إن بعدكم قال فكبر عمر ثم قال له ألا أخبرك بخبر ما يكنز المرء المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته أخرجه أبو داود عن ثوبان قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كلع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه أنزلت في الذهب والفضة فلو علمنا أي المال خير اتخذناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضله لسان ذا كرو قلب شاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على إيمانه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن والاصحيح من هذه الأقوال القول الأول وهو ما ذكرناه عن ابن عمر إن كل مال أدبت زكاته فليس يكنز ولا يجرم على صاحبه كتمانها وإن كثروا إن كل مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب عليه وإن قل إذا كان محتاج فيه الزكاة ويستحق على منع الزكاة الوعيد من الله لأن بفضل الله وجعل عليه بعقوبة وغفر أنه ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأجميها بيها نار جهنم فيكوى بها جنبه وظهوره ككاردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله أم إلى الجنة وأما إلى النار قيل يا رسول الله قال لا قال ولا صاحب ابل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلها يوم ورودها إلا إذا كان يوم القيامة يطح لها بقاع قرقر وأفرما كانت لا يفقد منها فصلا واحدا تطفو باخفافها وتعضها بقاؤها ككلمار عليها وألاها رده عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله أم إلى الجنة وأما إلى النار قيل يا رسول الله بالقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة يطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء ولا جلاء ولا أعضاء تنطعها بقرتها وتطفو باظلالها ككلمار عليها وألاها رده عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله أم إلى الجنة وأما إلى النار أخرجه مسلم بزيادة فيه قوله ككاردت أعيدت له هكذا هو في بعض نسخ صحيح مسلم ردت بضم الراء في بعضها ردت بالباء وهذا هو الصواب والرواية الأولى هي رواية الجمهور قوله حلها هو يفتح اللام على المشهور وحكى أسكنها وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوى من الأرض الواسع الامس والعقصاء هي الشاة الملتوبة القرنين وانما استنناها لأنها لا تؤلم بطنحها وكذا الجلاء هو الشاة التي لا قرن لها وكذا العضاء هي الشاة المكسورة القرن (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتانا الله لا فم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعا أقرع له ز بيتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ به من مية يعني شدة فيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله سبحانه وتعالى والذين يبيخون بما أتاهم الله من فضله هو خير لهم الآية الشجاع الحي والافر صفة له بطول العمر لأن من طال عمره غرق شعره وذهب وهي صفة أحب الحيات والزبيبتان هما الذبدان في الشدقين والاهز متان عظامان ناتئان في اللحيين تحت الأذنين ﴿وقوله تعالى ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ يعني لا يؤدون زكاتها وانما قال ولا ينفقونها لم يقل ينفقونها لأنه رد الكفاية إلى المال المكتنوز وهي أعيان الذهب والفضة وقيل رد الكفاية إلى الفضة لأنها أغلب أموال الناس (فيشرهم بعد ذاب اليم) يعني الكافر من الذين لا يؤدون زكاة أموالهم (ق) عن أبي ذر قال انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأته قال هم لا يخسرون ورب الكعبة قال فحث

(ولا ينفقونها في سبيل الله)

الضمير راجع إلى المعنى لأن

كل واحد منهما ذانير ودرهم

فهو كقوله وإن طائفتان

من المؤمنين اقتتلوا وأريد

الكنوز والأموال أو معناه

ولا ينفقونها أو الذهب كما أن

معنى قوله

فاني وقبارها القريب

وقبار كذلك وخصاب الذر

من بين سائر الأموال لأنها

قانون القول وأمان الأشياء

وذكر كثرهما دليل على

ماسواهما (فيشرهم

بعذاب اليم) ومعنى قوله

حتى دأوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل أهل الكتاب وسي حتى دان بعضهم بالاسلام وأعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليه حكمه فهذا هو ظهوره على الدين كله (ولو كره المشركون) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان كثير من الاحبار والرهبان) قد تقدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى (وفي قوله سبحانه وتعالى ان كثيرا دأبوا على ان الاقل من الاحبار والرهبان لم يأكوا أموال الناس بالباطل واعلمهم الذين كانوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن أخذ الاموال بالاكل في قوله تعالى (ليأكلون أموال الناس بالباطل) لان المقصود الاعظم من جمع المال الاكل فسمى الشيء باسم ما هو أعظم مقاصده واختلوا في السبب الذي من أجله أكلوا أموال الناس بالباطل فقبيل انهم كانوا يأخذون الرشا من سفلتهم في تخفيف الشرائع والمساخطة في الاحكام وقيل انهم كانوا يكتبون بديهم كتبيا يحرقونها ويبدلونها ويقولون هذه من عند الله ويأخذون بها غنا قليلا وهي المال كل التي كانوا يصيدونها من سفلتهم على تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في كتبهم لانهم كانوا يخافون لو آمنوا به ودفعوه لذهبت عنهم تلك المال كل وقيل ان التوراة كانت مشتملة على آيات الدلالة على نعت النبي صلى الله عليه وسلم وكان الاحبار والرهبان يذكرون في تاريلها وجوها فاسدة باطلة ويحرقون معانيها طيلالرا ياسة وأخذ الاموال ومنع الناس عن الايمان به وذلك قوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) يعني وينعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الاسلام (والذين يكتزون الذهب والفضة) أصل الكتز في اللغة جعل المال بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز مجموع واختلوا في الماديهم هؤلاء الذين ذهبنهم اكل بسبب كنز الذهب والفضة فقبيل هم أهل الكتاب قاله معاوية بن أبي سفيان لان الله سبحانه وتعالى وصفهم بالحرص الشديد على أخذ أموال الناس بالباطل ثم وصفهم باليخل الشديد وهو جمع المال ومنع اخراج الحقوق الواجبة منه وقال ابن عباس والسدي نزلت في ماني الزكامة من المسلمين وذلك انه سبحانه وتعالى لما ذكر قبيح طريقة الاحبار والرهبان في الحرص على أخذ الاموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك وذكر وعيد من جمع المال ومنع حقوق الله منه وقال أبو ذر نزلت في أهل الكتاب وفي المسلمين ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى وصف أهل الكتاب بالحرص على أخذ أموال الناس بالباطل ثم ذكر وعيد من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه سواء كان من أهل الكتاب أو من المسلمين (خ) عن زيد بن وهب قال مررت بالريذة فاذا باني ذر فقلت ما نزلك هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فكان يني ويينه في ذلك كلام فكتب الى عثمان يشكوني فكتب الى عثمان أن أقدم المدينة فقدمتها فكتب على الناس حتى كانوا لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت نحتب فكتبت قريبا فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ولما ولى على عبد حبشي سمعت وأطعت واختاف العلماء في معنى الكتز فقبيل هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد زكاته وروى عن ابن عمر أنه قال له اعراني أخبرني عن قول الله عز وجل والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشرهم بعذاب أليم قال ابن عمر من كنزها فلم يؤد زكاتها ويل لهذا كان قبل أن تنزل الزكاة فلما نزل جعلها الله طهر الاموال أخرجه البخاري وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسأل عن الكتز ما هو فقال هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة ورواه الطبري بسنده عن ابن عمر قال كل ما أدى زكاته فليس يكتزون كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكاته فهو الكتز الذي ذكره الله في القرآن يكوي به صاحبه وان لم يكن مدفونا وروى عن علي بن أبي طالب قال أربعة آلاف فافوقها كنز وما دونها نفقة وقيل الكتز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه وروى الطبري بسنده عن أبي امامة قال قال توفى رجل من أهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال النبي صلى

(ولو كره المشركون بأيتها الذين آمنوا ان كثير من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس) استعار الاكل لاخذ (بالباطل) أي بالرشا في الاحكام (ويصدون) سفلتهم (عن سبيل الله) دينه (والذين يكتزون الذهب والفضة) يجوز ان يكون اشار الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين ذميتين فيهم أخذ الرشوا وكنز الاموال والذين يها من الاتفاق في سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكاذبون غير المتقين وبقرون بينهم وبين المرتدين من أهل الكتاب تغليظا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما أدى زكاته فليس يكتز وان كان باطنيا وما بلغ ان يزكي فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا ولقد كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم كعبد الرحمن ابن عوف وطلحة يفتنون الاموال ويتصرفون فيها وماعابهم أحد من أعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والافتناء مباح لا يذم صاحبه

حيث أطاعوهم في  
تحليل ما حرم الله وتحريم  
ما أحل الله كما يطاع الأرباب  
في وأمرهم ونواهيهم  
(والمسح ابن مريم) عطف  
على أحبارهم أي اتخذوه  
ربا حيث جمع أولاده ابن الله  
وأمره والاي عبدوا الها  
واحدًا يجوز الوقف عليه  
لان ما بعده يصلح ابتداء  
ويصلح وصفا لواحد (الاله  
الاهو سبحانه عما يشركون)  
(بريدون أن يطفؤا نور  
الله بافواههم وبأبي الله الآن  
بتم نوره ولو كره الكافرون)  
مثل حالهم في طاعتهم أن  
يطلبوا نبوة محمد صلى الله  
عليه وسلم بالتكذيب بحال  
من يريد أن ينفخ في نور  
عظيم منبث في الآفاق  
يربذ الله أن يزيده وبلغه  
الغاية القصوى من  
الاشراق ليطفئه بنفخه  
أجزي وبأبي الله مجري  
لا يربذ الله ولذا وقع في  
مقابلة بريدون والاقبال  
كرهت أو أبغضت الا زيدا  
(هو الذي أرسل رسوله)  
محمد عليه السلام (بالهدي)  
بالقرآن (ودين الحق)  
الاسلام (ليظهره) ليعلمه  
(على الدين كله) على أهل  
الاديان كلها وأليظهر دين  
الحق على كل دين

دون الله يعني أطاعوهم في معصية الله تعالى وذلك انهم أحلوا لهم أشياء وحرموا عليهم أشياء من قبل  
أنفسهم فطاعوهم فيها فاتخذوهم كالارباب لأنهم عبدوهم واعتقدوا فيهم الالهية عن عثمان بن حاتم قال  
أثبت النبي صلى الله عليه وسلم في عني صليب من ذهب فقال يا عدي اطرع عنك هذا الوث وسعته بقرا  
في سورة براءة اتخذوا أحيارهم وربهانهم أربابا من دون الله قال أمانهم لم يكونوا يعبدونهم ولا كنهم كانوا  
إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال عبد الله  
ابن المبارك وهل بدل الدين الا الملوك \* وأحبار سوء وربهانها  
(والمسيح ابن مريم) يعني اتخذوه الها وذلك لما اعتقدوا فيه البنوة والحلول واعتقدوا فيه الالهية (ومأمرها)  
يعني ومأمرها في الكتب القديمة المنزلة عليهم على السنة أنبيائهم (الاي عبدوا الها واحدا) لانه سبحانه  
وتعالى هو المستحق للعبادة لا غيره (لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) أي تعالى الله وتنزه عن أن يكون له  
شريك في العبادة والاحكام وأن يكون له شريك في الالهية يستحق التعظيم والاحلال (بريدون) يعني  
يريدون ساء اليهود والنصارى (أن يطفؤا نور الله بافواههم) يعني يريدون لاه ابطال دين الله الذي جاء به محمد  
صلى الله عليه وسلم يتكذبهم أيادوقيل المراد من النور الدلائل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه  
أمورا أحدها المجزآت الباهرات الخارقة للعادة التي ظهرت على يد النبي صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه  
وثانيه القرآن العظيم الذي نزل عليه من عند الله فهو مجزؤه باقية على الابد دالة على صدقه وثالثه الأن دينة  
الذي أمر به وهدى في الاسلام ليس فيه شيء سوى تعظيم الله والثناء عليه والالتقاء لادامه ونهيه واتباع  
طاعته والامر بعبادته والتبري من كل معبود سواه فهذه أمور نيرة ودلائل واضحة على صحة نبوة محمد صلى الله  
عليه وسلم فمن أراد ابطال ذلك فكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله ثم ان الله سبحانه وتعالى وعديته  
محمد صلى الله عليه وسلم بمنزلة انصاروا -لاء الكلمة واطهار الدين بقوله (وبأبي الله الآن بتم نوره ولو كره  
الكافرون) يعني وبأبي الله الآن بعلى دينة ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به رسوله محمد صلى الله عليه  
وسلم ولو كره ذلك الكافرون ﴿ قوله عز وجل ﴾ (هو الذي أرسل رسوله) يعني أن الله الذي بأبي الله الآن بتم  
نوره هو الذي أرسل رسوله يعني محمد صلى الله عليه وسلم (بالهدي) يعني بالقرآن الذي أنزله عليه وجعله هاديا  
اليه (ودين الحق) يعني دين الاسلام (ليظهره) يعني ليعلمه (على الدين كله) يعني على سائر الاديان وقال ابن  
عباس الها في يظهره عائدة الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ليعلمه شرائع الدين كلها ويظهره عليها حتى  
لا يخفى عليه شيء منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة الى الدين الحق والمعنى ليظهر دين الاسلام على  
الاديان كلها وهوان لا يعبد الله الا به وقال أبو هريرة والضحك ذلك عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى  
أهل دين الا دخلوا الاسلام ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي هريرة في حديث نزول عيسى عليه  
السلام قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ومهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام عن المقداد قال سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه الارض يدين مدرك ولا ير الا دخله الله كلمة الاسلام اما بعزير  
أو بذليل أمان يعزهم فيجعلهم من أهله فيعزوا به واما أن يدلهم فيدينون له أخرجه البغوي وغيره  
(م) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تعب الالاب  
والعزى فقلت يا رسول الله اني كنت أظن حين أنزل الله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق  
ليظهره على الدين كله ان ذلك نام قال انه سيكون ذلك ما شاء الله ثم بعث الله محمدا بطيعة تنو في كل من كان في  
قلبه متقال حبة من خردل من إيمان فيتي من لا خيرة فيه فيرجعون الى دين آبائهم قال الشافعي وقد أظهر الله  
دين رسوله صلى الله عليه وسلم على الاديان كلها بان السك من سمع أنه الحق وما خلفه من الاديان باطل  
وقال وأظهره على الشرك دين أهل الكتاب ودين الاميين فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاميين

ذلك قولهم بافواهم) أى قول لا يصعد روحان ولا يسند الى بيان فهاهوالا لفظ يفوهون به فارغ عن معنى تحته كالالفاظ المهمة (يضاهون) قول الذين كفروا من قبل لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهى قولهم قولهم ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب صرفوعا يعنى ان الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهى قولهم قول قدامهم يعنى ائى كفر قديم فيهم غير مستحدث أو الضمير للنصارى أى يضاهى قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم أقدم منهم يضاهون عاصم وأصل المضاهاة المشابهة والاكثر ترك الهمز واشتقاقه من قولهم امرأة ضيئة وهى التى أشبهت الرجال بانها لا تحيض كذا قاله الزجاج (قاتلهم الله) أى هم أحقاه بان يقال لهم هذا (أتى) يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق بعد قيام البرهان (اتخذوا) أى أهل الكتاب (أخبارهم) علماءهم (ورهبانهم) نساكهم (أربابا) أئمة (من دون الله

غادر حرقا فقالوا ان الله لم يخذف التوراة في قلب عزير الا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى هذين القولين ان هذا القول كان قاسما بين اليهود جميعا ثم انقطع واندرس فاجبر الله تعالى به عنهم وأظهره عليهم ولا عبرة بانكار اليهود ذلك فان خبره عزير وجل أصدق وأثبت من انكارهم وأما قول النصارى المسيح ابن الله فكان السبب فيه أنهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وعثمانين سنة يصالون الى القسبة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود درجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا وان النار مصيرنا فمن مغبون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فاني سأحتال وأضاهم حتى يدخلوا النار معنا ثم انه عمدا الى فرس كان يقايل عليه فعرقه وأظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على رأسه ثم انه أتى الى النصارى فقالوا له من أنت قال أنا عذوكم بولص فقد نوديت من السماء انه ليس لك توبة حتى تنصرف وقد ثبت وأثبتكم فادخلوه الكنيسة ونصروه وأدخلوه بيتهم اثم اخرجهم منه سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنهم فيهم ثم انه عمدا الى ثلاثة رجال اسم الواحد منهم نسطور والآخري يعقوب والآخري ملكان فعلم نسطور ان عيسى هو الله لم يزل ولا يزال فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم في خلوة وقال له أنت خالعتى وادع الناس لماعلمتك وأمره أن يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم انى رأيت عيسى فى المنام وقد رضى عني وقال لكل واحد منهم انى سأذبح نفسى تقربا الى عيسى ثم ذهب الى الذبح فذبح نفسه وتفرقوا وتلك الثلاثة فذهبوا كل واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس والآخري الى ناحية أخرى وأظهر كل واحد منهم مقاتله ودعا الناس اليها فقتلهم على ذلك طوائف من الناس ففترقوا واختلوا ووقع القتال فكان ذلك سبب قولهم للمسيح ابن الله وقال الامام نضر الدين الرازى بعد أن حكى هذه الحكاية والاقرار بقربى أن يقال لعل ذلك كلفظ الابن فى الانجيل على سبيل التشريف كما ورد لفظ الخليل فى حق ابراهيم على سبيل التشريف فبالا وفسر والفظ الابن بالبنوة الحقيقية والجمال قبل اولد ذلك منهم وفشا هذا المذهب الفاسد فى اتباع عيسى عليه السلام والله أعلم بحقيقة الحال (ذلك قولهم بافواهم) يعنى انهم يقولون ذلك القول بالنسبة منهم من غير علم يرجعون اليه قال أهل المعاني ليدكر الله قولهم قدامونا بالافواه واللسن الا كان ذلك القول زورا وكذا بالاحقيقة له (يضاهون) قال ابن عباس يضاهون والمضاهاة المشابهة وقال مجاهد بواطئون وقال الحسن يوافقون (قول الذين كفروا من قبل) قال قتادة والسدى معناه ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا للمسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله وقال مجاهد معناه يضاهون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون الملائكة بنات الله وقال الحسن شبه الله كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم الخالية الكافرة وقال القتيبي يريد أن من كان فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قاله وألوههم (قاتلهم الله) قال ابن عباس لعنهم الله وقال ابن جرير قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقابلة ولكنه يعنى التعجب أى حتى ان يقال لهم هذا القول تعجبا من بشاعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يشجب منه قاتله الله ما أعجب فعله (أتى يؤفكون) يعنى أتى يصرفون عن الحق بعد وضوح الدلائل واقامة الحجج بان الله واحد أجد جعلوا له ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله سبحانه وتعالى لا يتعجب من شئ ولكن هذا الخطاب على عادة العرب فى مخاطبتهم فأنه سبحانه وتعالى تعجب بنبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم على الباطل في قولهم سبحانه وتعالى (اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) يعنى اتخذ اليهود والنصارى علماءهم وقراءهم والاخبار العلماء من اليهود والرهبان أصحاب الصوامع من النصارى أربابا من



وسلم لما وجهه الى اليمن امره أن يأخذ من كل حالم أى محتلم ديناراً أو عدله من المعافرة ثياب تكون باليمن  
أخرجه أبو داود والفني صلى الله عليه وسلم أمره أن يأخذ من كل محتلم وهو البالغ ديناراً ولم يفرق بين الغني  
والفقير والمتوسط وفيه دليل على أنه لا تؤخذ الجزية من الصبيان والنساء وإنما تؤخذ من الاحرار البالغين  
وذهب قوم الى أن على كل موسر أربعة دنانير وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير ديناراً وهو قول  
أصحاب الرأي وبدل عليه ما روى عن أسلم أن عمر بن الخطاب ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير  
وعلى أهل الورق أربعة بعين درهم ومع ذلك أرزاق المسلمين وضيافة ثلاثاً أيام أخرجه مالك في الموطأ قال  
أصحاب الشافعي أقل الجزية ديناراً لا يزاد على الدينار الا بالتراضي فإذا رضى أهل الذمة بالزيادة ضربنا على  
المتوسط دينارين وعلى الغني أربعة دنانير قال العلماء إنما قرأ أهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف أهل  
الشرك حرمه لأبائهم الذين انقروا على الدين من شريعة التوراة والانجيل قبل النسخ والتبديل وإيضاً  
فإن بأيديهم كتب باقية فربما تفكروا فيها فيعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فاهلوا لهذا  
المعنى وليس المقصود من أخذ الجزية من أهل الكتاب إقرارهم على كفرهم بل المقصود من ذلك حقن  
دمائهم وإمهالهم رجاء أن يعرفوا الحق فيرجعوا اليه بان يؤمنوا وصدقوا إذا رآوا محاسن الاسلام وقوة  
دلالة وكثرة الدلائل فيه <sup>في</sup> قوله عز وجل (وقالت اليهود عذري بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله)  
الآية لماذا ذكرنا سبحانه وتعالى في الآية المتقدمه أن اليهود والنصارى لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين  
الحق بينما في هذه الآية فآخبر عنهم أنهم أثبتوا لله ولداً ومن جوز ذلك على الله فقد أشرك به لأنه لا فرق بين  
من يعبد صنماً وبين من يعبد المسيح فقد بان بهذا أنهم لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق وقد تقدم سبب  
أخذ الجزية عنهم وإيقاعهم على هذا الشرك وهو حصة الكتب القديمة التي بأيديهم ولعلمهم بتفكيرهم  
فيها يعرفون الحق فيرجعون اليه روى سعيد بن جبيرة وعكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم جماعة من اليهود سلام بن مشكم والنعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا  
كيف تتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا نزعاً عن عزرا بن الله فآثر الله هذه الآية وقال عبيد بن عمير إنما  
قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنعاح بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن أغنياء فعلى  
هذين القولين القائل طهه المقالة جماعة من اليهود أو واحد وإنما نسب ذلك الى اليهود في وقالت اليهود جريا  
على عادة العرب في إيقاع اسم الجماعة على الواحد تقول العرب فلان يركب الخيل وإنما يركب فرساً واحداً  
منها وتقول العرب فلان يجالس الملوك وأعلمه يجالس الواحد منهم وروى عطية العوفي عن ابن عباس  
أنه قال إنما قالت اليهود ذلك من أجل أن عزرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فاضاعوا  
التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله سبحانه وتعالى عنهم التابوت وأساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا  
الله عز وجل أن يرسل اليه التوراة فينبأ هو يصلي مبتهاً الى الله عز وجل نزل نور من السماء فدخل  
جوفه فعدت اليه فأذن في قومه وقال يا قوم قد أتاني الله التوراة وردها الي فقلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله  
ثم أن التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوه  
مشبه فقالوا ما أوفى عزير هذا إلا أنه ابن الله وقال السكاني إن تحت نصر لما زابت المقدس وظهر على بني  
اسرائيل وقتل من قرأ التوراة كان عزير اذ ذاك صغيراً لم يقتله لصغره فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت  
المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله لهم عزير ليحدثهم التوراة ويكون لهم آية بعد ما أماته الله  
مائة سنة قال فأتى ملك بإناء فيه ماء فشرب منه فمات له التوراة في صدره فلما أناهم قال ناعز يرفكذبوه وقالوا  
ان كنت كما نزع فامل علينا التوراة فكذبها لهم من صدره ثم ان رجلاً منهم قال أني حديثي عن جدتي عن جدتي  
التوراة جمعت في خابية ودفت في كرم فاطلقوا معه حتى أخرجوها فاعراضوها بما كتب لهم عزير فوجدوه

(وقالت اليهود) كلهم  
أو بعضهم (عزير بن الله)  
مبتدأ وخبر كقوله المسيح  
ابن الله وعزير اسم  
عجبي ولجيمته وتعريفه  
امتنع صرفه ومن نون  
وهم عاصم وعلى فقد جعله  
عريباً (وقالت النصارى  
المسيح ابن الله)

هو الحق يقال فلا بد من  
 بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده  
 (من الذين اتوا الكتاب)  
 بيان للذين قبله وأما  
 الجوس فالحقون بأهل  
 الكتاب في قبول الجزية  
 وكذا الترك والهنود  
 وغيرهما بخلاف مشركي  
 العرب لما روى الزهري  
 أن النبي عليه السلام  
 صالح عبدة الاوثان على  
 الجزية الامن كان من  
 العرب (حتى يعطوا  
 الجزية) الى أن يقولوا  
 وسميت جزية لأنه يجب  
 على أهلها أن يجزوه أى  
 يقضوه وهي جزاء على  
 الكفر على التحميل في  
 تذليل (عن بد) أى عن  
 يد موائبة غير متمتع ولذا  
 قالوا أعطى بيده اذا انقاد  
 وقالوا زرع يده عن الطاعة  
 أحتى يعطوها عن يداي  
 يد نقد غير نسيئة لا مبعوثا  
 على يد أحد ولكن عن  
 يد المعطى اليه بالآخذ  
 (وهم صاغرون) أى  
 تؤخذ منهم على الصغار  
 والنل وهو أن يأتي بها  
 بنفسه ماشيا غير راكب  
 ويسلمها وهو قائم والمسلم  
 جالس وإن تلتل ثلثة  
 ويؤخذ بتليبه ويقال  
 له أدا الجزية بأذى وإن كان  
 يؤديها ويترك في فقهه  
 وتسقط بالاسلام

الكتاب) يعنى أعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى (حتى يُعْطُوا الجزية) وهي ما يعطى المعاهد من أهل  
 الكتاب على عهده وهي الخراج المضروب على رعايهم سميت جزية للاجتماع بها في حقن دماهم (عن بد)  
 يعنى عن قهر وغلبة يقال لكل من أعطى شيئا كرها من غير طيب نفس أعطى عن يد وقال ابن عباس  
 يعطونها بأبائهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وقيل يعطونها نقد الانسيبة وقيل يعطونها مع اقرارهم بانعام  
 المسلمين عليهم بقبولها منهم (وهم صاغرون) من الصغار وهو النل والاهانة يعنى يعطون الجزية وهم أذلاء  
 مقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قاتلون والقابض جالس وقال ابن عباس تؤخذ الجزية من  
 أحدهم وتوطأ عنقه وقال الكشي اذا أعطى يصفق ففاه وقيل هو ان يؤخذ بخلجته ويضرب في طر منيته  
 ويقال له ادحق الله ياعبد الله وقال الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه الصغار هو سحران أحكام المسلمين  
 عليهم

فصل في بيان أحكام الآية **﴿**اجتمع الاممة على جواز أخذ الجزية من أهل الكتاب وهم اليهود  
 والنصارى اذ لم يكونوا عربا واختلفوا في أهل الكتاب العرب وفي غير أهل الكتاب من كفار الجهم فذهب  
 الشافعي الى ان الجزية على الاديان على الانساب فتؤخذ من أهل الكتاب عربا كانوا أو عجماء ولا تؤخذ  
 من عبدة الاوثان بحال واحتج بما روى عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى كيدر  
 دومة فاخذه فأتوا به فخن دمه وصالحه على الجزية فأخرجه أبو داود وقال الشافعي وهو رجل من العرب  
 يقال أنه من غسان وأخذ من أهل ذمة اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك والاوزاعي الى ان الجزية تؤخذ من  
 جميع الكفار المردة وقال أبو حنيفة تؤخذ من أهل الكتاب على العموم وتؤخذ من مشركي الجهم ولا  
 تؤخذ من مشركي العرب وقال أبو يوسف لا تؤخذ من العربي كتابيا كان أو مشركا وتؤخذ من الجهمي  
 كتابيا كان أو مشركا وأما الجوس فاتفقت الصحابة على جواز الاخذ منهم ويدل عليه ما روى عن بحالة بن  
 عبيدة ويقال عبدة لم يكن عمر أخذ الجزية من الجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر أخرجه البخاري عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب  
 ذكر كرا الجوس فقال ما أدرى كيف أصنع في أمرهم فقال عبد الرحمن بن عوف أشهد أني سمعت رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم يقول سنوهم سنة أهل الكتاب أخرجه مالك في الموطأ عن ابن شهاب قال بلغني ان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس البحر بن وان عمر أخذها من مجوس فارس وان  
 عثمان بن عفان أخذها من البربر أخرجه مالك في الموطأ وفي امتناع عمر من أخذ الجزية من الجوس حتى  
 شهد عبد الرحمن أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذها منهم دليل على أن رأى الصحابة كان على أنها لا تؤخذ  
 من كل مشرك وإنما تؤخذ من أهل الكتاب واختلفوا في أن الجوس هل هم من أهل الكتاب فروى عن  
 علي بن أبي طالب أنه قال كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد أسرى على كتابهم فرفع من بين أظهرهم  
 وانفقوا على تحريم ذبائحهم ومنا كحتم بخلاف أهل الكتاب وأما من دخل في دين اليهود والنصارى من  
 غيرهم من المشركين فينظر فإن كانوا قد دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل فانهم يقرؤون بالجزية وتحل  
 منا كحتم وذبائحهم وإن كانوا دخلوا فيه بعد النسخ عجمي محمد صلى الله عليه وسلم ونسخ ثم يعتم بشر بعته  
 فانهم لا يقرؤون بالجزية ولا تحل ذبائحهم ومنا كحتم ومن شككنا في أمرهم هل دخلوا فيه بعد النسخ أو قبله  
 يقرؤون بالجزية تغلب الحقن الدم ولا تحل ذبائحهم ومنا كحتم تغلب التحريم ومنهم نصارى العرب من  
 تنوخ وهراة ونى تغلب أقرهم عمر بالجزية وقال لا تحل لنا ذبائحهم وأما الصابئة والسامرة فسيبيلهم سبيل أهل  
 الكتاب فهم في أهل الكتاب كاهل البدع في المسلمين وأما قدر الجزية فاقها دينار ولا يجوز أن ينقص عنه  
 ويقبل الدينار من الغنى والفقير والمتوسط ويدل عليه ما روى عن هاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه

الله عنه على الموسم ويكون  
المرء من نهى القربان  
النهى عن الحج والعمرة  
وهو مذهبنا ولا يمنعون  
من دخول الحرم والمسجد  
الحرام وسائر المساجد  
عندنا وعند الشافعي رحمه الله  
يمنعون من المسجد الحرام  
خاصة وعند مالك يمنعون  
منه ومن غيره وقيل نهى  
المشركين أن يقر به  
راجع إلى النهي المسلمين  
عن تمكينهم منه (وان  
خفتم عيلة) أى فقرا  
بسبب منع المشركين من  
الحج وما كان لكم في  
قدومهم عليكم من الارقاق  
والمكاسب (فسوف  
يفنيكم الله من فضله) من  
الغنم والمطر والنبات أو  
من متاج جميع الاسلام  
(ان شاء) هو تعليم لتعليق  
الامور بمشيئة الله تعالى  
لتنقطع الآمال إليه (ان  
الله عليم) باحوالكم  
(حكيم) في تحقيق آمالكم  
أو علم مصالح العباد حكم  
فما حكم وأراد وزل في  
أهل الكتاب (قائلوا الذين  
لا يؤمنون بالله) لان  
اليهود مثنية والنصارى مثلثة  
(ولا باليوم الآخر) لانهم  
فيه على خلاف ما يجب  
حيث يزعمون أن لا كل في  
الجنة ولا شرب (ولا يجرمون  
ما حرّم الله ورسوله) لانهم  
لا يعتقدون دين الاسلام الذي

فيها الاسماء اذ في رواية لغير مسلم وأوصى فقال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يفرغ لذلك أبو  
بكر وأجلاههم عمر في خلافته وأجل ابن يقدم ناجر اثلاثا عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال  
لا يجتمع دينان في جزيرة العرب أخرجه مالك في الموطأ مسلا (م) عن جابر قال سمعت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قد نيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب واسكن في التحريش بينهم قال  
سعيد بن عبد العزيز في جزيرة العرب ما بين الوادي إلى أقصى اليمن إلى نخوم العراق إلى البحر وقال غيره حد  
جزيرة العرب من أقصى عدن إلى ريف العراق في الطول ومن جدة وما والاها من ساحل البحر إلى  
أطراف الشام عرضا والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام فيجوز للكافر أن يقيم فيها بعهد وأمان وذمة  
ولكن لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم وقوله تعالى (بعد عامهم هذا) يعني العام الذي حج فيه أبو بكر  
الصديق بالناس وفيه نادى على براءة وان لا يحج بعد العام مشرك وهو سنة تسع من الهجرة (وان خفتم  
عيلة) يعني فقرا وفاقة وذلك ان أهل مكة كانت معاشهم من التجارات وكان المشركون يجلبون إلى مكة  
الطعام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خاف أهل مكة من الفقر وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول  
الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل وان خفتم عيلة (فسوف يفنيكم الله من فضله) قال عكرمة  
فاغناهم الله بان أنزل المطر مدراروا كثر خيرهم وقال مقاتل أسلم أهل جدة وصنعاء وحرس من اليمن وجلبوا  
الميرة الكثرة إلى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال الضحاك وقادة عوضهم الله منها الجزية فاغناهم  
بها (ان شاء) قيل انما شرط المشيئة في الغنى المطلوب ليكون الانسان دائما المتضرع والابتهال إلى الله تعالى  
في طلب الخيرات ودفع الآفات وان يقطع العبد أمه من كل أحد الا من الله عز وجل فانه هو القادر على  
كل شيء وقيل ان المقصود من ذكر هذه الشرط تعليم رعاية الادب كما في قوله بناوك وتعالى لتدخلن المسجد  
الحرم ان شاء الله آمنين (ان الله عليم) يعني بما يصلحكم (حكيم) يعني أنه تعالى لا يفعل شيئا الا  
عن حكمة ووصاب فن حكمته ان منع المشركين من دخول الحرم وأوجب الجزية والذل والصغار على  
أهل الكتاب فقال تعالى (قائلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) قال مجاهد نزلت الآية حين  
أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الزوم فزأ بعد نزولها غزوة تبوك وقال السكيت نزلت في قريظة  
والنضير من اليهود فضا لهم فكانت أول جزية أصابها أهل الاسلام وأول ذل أصاب أهل الكتاب بأيدي  
المسلمين وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين والمعنى قائلوا أيها المؤمنون القوم الذين  
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فان قلت اليهود والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر  
فكيف أخبر الله عنهم أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قلت إيمانهم بالله ليس كما يمان المؤمنون وذلك  
أن اليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك فليس يؤمن بالله وقيل  
من اعتقد أن عزير ابن الله وان المسيح ابن الله فليس يؤمن بالله بل هو مشرك بالله وقيل من كذب رسولا  
من رسل الله فليس يؤمن بالله واليهود والنصارى يكذبون أكثر الانبياء فليس يؤمنون بالله وأما إيمانهم  
باليوم الآخر فليس كما يمان المؤمنون وذلك انهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجساد يعتقدون أن أهل  
الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا ينجسون ومن اعتقد ذلك فليس إيمانهم كما يمان المؤمنون وان زعم أنه  
مؤمن وقوله تعالى (ولا يجرمون ما حرّم الله ورسوله) يعني ولا يجرمون الجور والخير وقيل معناه أنهم  
لا يجرمون ما حرّم الله في القرآن ولا ما حرّم رسوله في السنة وقيل معناه لا يعملون بمافي التوراة والانجيل بل  
حرفوها وأتوا بحكمهم من قبل أنفسهم (ولا يدينون دين الحق) يعني ولا يعتقدون صحة الاسلام الذي هو  
دين الحق وقيل الحق هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين الله ودينه الاسلام وهو قوله تعالى ان الدين عند  
الله الاسلام وقيل معناه ولا يدينون دين أهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله كطاعتهم (من الذين أتوا

لا يجرمون ما حرّم في الكتاب والسنة ولا يعملون بمافي التوراة والانجيل (ولا يدينون دين الحق) ولا يعتقدون دين الاسلام الذي

(اذ) بدل من يوم (اعجبكم كثرتمكم) فادرك المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجند فانهم مواحق بلغ فاهم مكتوب بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه ايس معه الامم العباس اخذوا بلجام دابته وابوسفان بن الحرث ابن عمه اخذ بركابه فقال للعباس

ليبيك ونزلت الملائكة

عليهم الثياب البيض على

خيول بلقي فاعذر رسول

الله صلى الله عليه وسلم كفا

من تراب فرماهم ثم قال

انهزموا ورب الكعبة

فانهزموا وكان من دعائه

عليه السلام يومئذ اللهم

لك الحمد واليك المشكى

وانت المستعان وهذا دعاء

موسى عليه السلام يوم

انفلاق البحر (فلم تنف

عنكم شيئا وصاقت عليكم

الارض بما رحبت) ما

مصدر بقوله الباء بمعنى مع

أى مع رحبها وحقيقته

ملتبس به على أن الجار

والجور في موضع الحال

كقولك ذلت عليه ثياب

السفر أى ملتبس بها

والعنى لم يحدوا موضعا

لقراركم عن أعدائكم فكانها

صاقت عليكم (ثم وليتم

مدبرين) ثم انهزمتم (ثم أنزل

الله سكينته) رحمة التي

سكنوا بها وأمنوا (على

رسوله وعلى المؤمنين وأنزل

جنود الم نروها) يعنى

الملائكة وكانوا ثمانية

آلاف أو خمسة آلاف أو

سنة عشر ألفا (وعذب

الذين كفروا)

بالقتل والاسر وسى النساء والذرارى (وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد

ذلك على من يشاء) وهم الذين أساءوا منهم (والله غفور)

الذين آمنوا بالاسلام (رحيم) بنصر الولي بعد الانهزام (يا أيها الذين آمنوا أنما

المشركون نجس) أى ذو نجس وهو مصدر يقال نجس نجسا وقد نذر الان معهم الشرك الذى هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا

يفسسون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملاسبة لهم أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها بما عرفت وصفهم بها (فلا يقربوا المسجد الحرام) فلا

مواطن كثيرة ويوم حنين (اذ اعجبكم كثرتمكم) يعنى حين قائم ان تغلب اليوم من قلة (فلم تنف عنكم)

يعنى كثرتمكم (شيا) يعنى ان الظفر بالعدو ليس بكثرة العدد ولكن انما يكون بنصر الله ومعوته (وصاقت

عليكم الارض بما رحبت) يعنى بسعتها وقضائها (ثم وليتم مدبرين) يعنى منزهين (ثم أنزل الله سكينته)

يعنى بعد الهزيمة والسكينة الطمأنينة والامنة وهي فعية لمن السكون وذلك أن الانسان اذا خاف وجف

فؤاده فلا يزال المتحرك كواذا أمن سكن فؤاده وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة

كتابة عن الامن (وقوله تعالى) (على رسوله وعلى المؤمنين) انما كان ازال السكينة على المؤمنين لان

الرسول صلى الله عليه وسلم كان ساكن القلب ليس عنده اضطراب كاحصل للمؤمنين من الهزيمة والاضطراب

في هذه الواقعة ثم تم أن الله عليهم بازال السكينة عليهم حتى رجعوا الى قتال عدوهم بعد الهزيمة بقوة رسول الله

صلى الله عليه وسلم ثابت لم يفر (وأول جنود الم نروها) يعنى الملائكة لتثبيت المؤمنين وتشجيعهم وتخذي

المشركين وتجنبهم للقتال لان الملائكة لم تقايل الا يوم بدر (وعذب الذين كفروا) يعنى بالاسر والقتل

وسبى العيال والاموال (وذلك جزاء الكافرين) يعنى في الدنيا ثم اذا أفضوا الى الآخرة كان لهم عذاب أشد

من ذلك العذاب وأعظم (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) يعنى فيهدى الى الاسلام كاقبل بمن بقى

من هو اذن حيث أساءوا وقد مواعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تائبين فن عليهم وأطاع سببهم (والله

غفور) ان تاب (رحيم) بعباده (وقوله تعالى) (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) قيل أراد بالمشركين

عبدة الاصنام دون غيرهم من أصناف الكفار وقيل بل أراد جميع أصناف الكفار عبدة الاصنام وغيرهم

من اليهود والنصارى والنجس الشئ القذر من الناس وغيرهم وقيل النجس الشئ الخبيث وأراد بهذه

النجاسة نجاسة الحكم لان نجاسة العين سموا نجسا على الذم لان الفقهاء اتفقوا على طهارة أبدانهم وقيل هم

أنجاس العين كالكلب والخنزير حتى قال الحسن بن صالح من مس مشركا فليتوضأ ويروى هذا عن الزيدية

من الشيعة والقول الاول أصح وقال قتادة معاهم نجسا لانهم يتجنبون فلا يغتسلون ويجدونون فلا يتوضؤون

(فلا يقربوا المسجد الحرام) المراد منهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قروا من المسجد

الحرام ويؤكدهما قوله تعالى سبحانه الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام أراد به الحرم لانه أسرى

به صلى الله عليه وسلم من بيت أم هانئ قال الامام وجلة بلاد الاسلام في حق الكفار ثلاثة أقسام أحدها

الحرم فلا يجوز لكفران بدخله بحال ذميا كان أو مستأما الظاهر هذه الآية وبه قال الشافعى وأحمد ومالك

فولوجاء رسول من دار الكفر والامام في الحرم فلا ياذن له في دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه أو يبعث اليه

من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز أبو حنيفة وأهل الكوفة للمعاذ بدخول الحرم القسم الثانى من

بلاد الاسلام الحجاز وحده ما بين البصرة واليمن ونجد والمدنية الشرى بقيل اصفها نهاى ونصفها حجازى

وقيل كلها حجازى وقال ابن الكلبى حد الحجاز ما بين جبل طي وطى بقى العراق سمي حجاز لانه حجز بين تهامة

ونجد وقيل لانه حجز بين نجد والسرقة وقيل لانه حجز بين نجد وتهامة والشام قال الحر فى وتبوك من الحجاز

فيعوز لانه قد دخل أرض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيمون فيها كترقيم من المسافرين وهو ثلاثة أيام (م) عن

ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا خير جن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أترك

فها

ذلك على من يشاء) وهم الذين أساءوا منهم (والله غفور)

الذين آمنوا بالاسلام (رحيم) بنصر الولي بعد الانهزام (يا أيها الذين آمنوا أنما

المشركون نجس) أى ذو نجس وهو مصدر يقال نجس نجسا وقد نذر الان معهم الشرك الذى هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا

يفسسون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملاسبة لهم أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها بما عرفت وصفهم بها (فلا يقربوا المسجد الحرام) فلا

مواطن كثيرة ويوم حنين (اذ اعجبكم كثرتمكم) يعنى حين قائم ان تغلب اليوم من قلة (فلم تنف عنكم)

يعنى كثرتمكم (شيا) يعنى ان الظفر بالعدو ليس بكثرة العدد ولكن انما يكون بنصر الله ومعوته (وصاقت

عليكم الارض بما رحبت) يعنى بسعتها وقضائها (ثم وليتم مدبرين) يعنى منزهين (ثم أنزل الله سكينته)



وسلم ثلثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس وقال غيره لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ غير عمه  
العباس بن عبد المطلب وابن عمه ابوسفيان بن الحرث وأمين بن أم أيمن قتل يوم حنين بين يدي رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وهذا أمين أخو أسامة بن زيد لأمه أمهم ما بركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته  
(م) عن العباس بن عبد المطلب قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ففترت أنا وابوسفيان  
ابن الحرث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفارقهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له  
بيضاء أهداه له فرود بن ثقاتة الجزامي فلما التقى المسلمون والكفار ولي المسلمون مدبر بن فطيق رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ركض بغلته قبل الكفار قال العباس وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أكفها أراد أن لا تسرع وأبوسفيان أخذ بكاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم أي عباس ناد أصحاب السمرة فقال العباس وكان رجلا صينا فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة قال  
فوالله لكان عطفهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا البيك البيك قال فاقتتلوا والكفار  
والدعوة في الانصار يقولون يا معشر الانصار يا معشر الانصار قال ثم قصرت الدعوة على بني الحرث بن الخزرج  
فقالوا يا بني الحرث بن الخزرج يا بني الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته  
كالطاول عليها إلى قاتلهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حي الوطيس قال ثم أخذ رسول الله  
صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فذهب أنظر فاذا القتال  
على هيئته فيما أرى قال فوالله ما هو الآن راهاهم بحصياتهم فغازلت أرى حدهم كيلا وأمرهم مدبر فاقوله حي  
الوطيس أي أشد الحرب قال اخطأني هذه الكلمة لم تسمع قبل أن يقوطها النبي صلى الله عليه وسلم من  
العرب وهي مما اقتضيه وأنشأ والوطيس في اللغة التنوير وقوله حدهم كيلا يعني لا يقطع شيئا (م) عن سلمة  
ابن الأكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيننا قال فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب الأرض ثم استقبل به وجوههم وقال شاهدت الوجوه فهاخا الله منهم  
انسانا الاملا عليه ترابا تلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله بذلك وقسم رسول الله غنائمهم بين المسلمين  
أخرجه مسلم زيادة فيه قال سعيد بن جبير أمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف من الملائكة  
مسومين وروى أن رجلا من بني نصر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال ابن الخيل الباقي والرجال عليهم  
ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم الا كهيمة الشامة وما كان قتلنا الا بأيديهم فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فقال تلك الملائكة وروى أن رجلا من المشركين قال يوم حنين لما التقينا وأصحاب محمد لم يبقوا الا حطب  
شاة أن كشفناهم فينا نحن نسوقهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال قتلنا ناعده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا النا شاهدت الوجوه أرجعوا قال فانهزنا  
وركبوا أكتافنا فكانت اياها واختلفوا هل قالت الملائكة يوم حنين على قولين والصحيح أنهم تقال الا  
يوم بدر وانما كانت الملائكة يوم حنين مددا وعونا وذكر البغوي أن الزهري قال بلغني أن شيعة بن عثمان قال  
استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وأنا أريد قتله بطلعة بن عثمان وعثمان بن أبي طلحة وكانا  
قد قتلوا يوم أحد فأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ما في نفسي فالتفت إلى وضرب في صدري وقال  
أعنيك بالله يا شيعة فارتعدت فرائصي فنظرت إليه وهو أحب إلى من سمعي وبصري فقاتلته شهيدا ثم أخذ رسول  
الله صلى الله عليه وسلم قد أطلعك الله على ما في نفسي فلما هزم الله المشركين ولولوا مدبرين انطلقوا حتى أتوا  
أوطاس وبها عيالهم وأمواهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الاشرعيين يقال له أبو عامر  
وأمره على الجبش فسار إلى أوطاس فاقتتلوا بها وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين ورسى المسلمون  
عيال المشركين وهرب أميرهم مالك بن عوف النصري فأتى الطائف فحصى بها وأخذ ماله وأهله فبين أخذ



وفي هذا دليل على انه اذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا <sup>١</sup> قوله عز وجل (لقد نصركم الله) النصر المعونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم (في مواطن كثيرة) يعني اما كن كثيرة والمراد بهما غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في الصحيحين من حديث زيد بن ارقم تسع عشرة غزوة زاد بر يذ في حديثه قال في ثمان منهن ويقال ان جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة (ويوم حنين) يعني ونصركم الله في يوم حنين ايضا فاعلم الله سبحانه وتعالى انه هو الذي يتولى نصر المؤمنين في كل موقف وموطن ومن يتولى الله نصره فلا غالب له وحسين اسم وادقر يب من الطائف يذمو بين مكة بضعة عشر ميلا وقال عروة هو الى جنب ذي الجواز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه ايام من شهر رمضان فخرج الى حنين لقتال هوازن وتقيف في اثني عشر اثناء عشرة آلاف من المهاجرين والانصار واثنان من الطلقاء وقال عطاء كانوا ستة عشر الفا وقال السكبي كانوا عشرة آلاف وكانوا يومئذ كثيرا كانوا اقطا وكان المشركون اربعة آلاف من هوازن وتقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النصري وعلى تقيف كنانة بن عبد باليل فالتما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن رقيش ان نعل اليوم من قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكاوا الى الكامة الرجل وفي رواية فمرض الله قوله ووكاوا الى أنفسهم وذكر ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب ان القاتل لذلك أبو بكر الصديق وحكي ابن جرير الطبري ان القاتل لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واساذه هذه الكامة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بعد لانه صلى الله عليه وسلم كان في جميع احواله متوقفا على الله عز وجل لا يلتفت الى كثرة عدد ولا الى غيره بل نظره الى ما يأتي من عند الله عز وجل من النصر والمعونة قالوا فاعلموا التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلصوا عن الفرار ثم نادوا يا احياة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وقال قتادة ذكرنا ان الطلقاء انجفوا يومئذ بالناس فلما انجفل القوم هم بوا (ق) عن ابي اسحق قال جاء رجل الى البراء فقال اكنتم وليتم يوم حنين يا باعمر فقال اشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ما لى ولكنه انطلق اخفاء من الناس حسر الى هذا الخي من هوازن وهم قوم رماة فرمواهم برشق من نبل كانوا رجل من جواد فانكشفوا فاقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوسفیان بن الحرث بقوده بغلته فنزل ودعوا استنصر وهو يقول انا النبي لا كذب انا بن عبد المطلب اللهم ازل نصرک زاد ابو خيثمة ثم صفهم قال البراء كنا والله اذا احمر البأس تبقى بهوان الشجاع مثلا نذى بحاذى به يعني النبي صلى الله عليه وسلم ولمس عن ابي اسحق قال قال رجل للبراء بن عازب يا باعمر افررتهم يوم حنين قال لا والله والى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان اصحابه واخفاؤهم حسر ليس عليهم سلاح وكثير سلاح فلقوا قوم رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبنى نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يحطون فاقبلوا هانك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وابوسفیان بن الحرث بن عبد المطلب بقوده فنزل ودعا واستنصر وقال انا النبي لا كذب انا بن عبد المطلب ثم صفهم وروى شعبة عن ابي اسحق قال قال البراء ان هوازن كانوا قوم رماة فلقيناهم جلنا عليهم فانهم موافقوا للمسلمين على الغنائم فاستقبلوا بالبأس فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر قوله ولكنه انطلق اخفاء من الناس الاخفاء جمع خفيف وهم المسرعون من الناس الذين ليس لهم ما يعرفهم والخصر جمع حاصر وهو الذي لا درع عليه يقال اذ رمى القوم بأسهم الى جهة واحدة ومن ارشاقوا الرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه وقوله كذا اذا اجر البأس يعني اذا اشتد الحرب والبأس بالوحدة من تحت الشدة والخوف وقال السكبي كان حول رسول الله صلى الله عليه

دينه على الآباء والابناء والاموال والحظوظ (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) كوقعة بدر وقرينة والنضير والح. بيعة وخيبر وفتح مكة وقيل ان المواطنين التي نصر الله فيها النبي عليه السلام والمؤمنين ثمانون موطنًا ومواطن الحرب مقامان اهما واقفها (ويوم) أي واذا كروا يوم (حنين) واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا وبين هوازن وتقيف وهم اربعة آلاف فلهذا التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساء رسول الله عليه الصلاة والسلام

والعمارة (وأولئك هم  
الفاثرون) لأنهم والمختصون  
بألفوز دونكم (بشرهم  
وبهم) يبشرون حمزة (برحة)  
منه ورضوان وجنات)  
تسكير المشرق وعوراء  
سفة الواصف وتعرف  
المعرف (لهم فيها) في  
الجنات (نعم مقيم) دائم  
(خالدين فيها أبدان الله  
عنده أجز عظيم) لا ينقطع  
لما أمر الله النبي عليه السلام  
بالمجرة جعل الرجل يقول  
لابنه ولاخيه ولقراته انا  
قد أمرنا بالمجرة ففهم من  
يسرع الى ذلك وبهجته  
ومنهم من تتعلق به زوجته  
أولاده فيقول نذ عنا بلائنا  
فنضيق فيجلس معهم  
ويدع المجرة فزل (يأبها  
الذين آمنوا لاتتخذوا  
آباءكم واخوانكم أولياء  
ان استحبوا الكفر على  
الايمان) أى آثروه  
واختاروه (ومن يتوهم  
منكم) أى ومن يتول  
الكافرين (فاولئك هم  
الظالمون قل ان كان آباؤكم  
وأبنائكم واخوانكم  
وأزواجكم وعشيرتكم)  
أفأربكم وعشيرتكم أبو  
بكر (وأموال أقتفقوها)  
أكتسبتموها (وتجارة  
عشون كساده) فوات  
وقت نقافها (وساكن  
ترضونها أحب اليكم

أرى بني عمكم يسقون العسل واللبن وأنتم تسقون النيد. أن حاجتكم أن من يحل فقال ابن عباس الجندة ما بنامن حاجت ولا يحل أنما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه أسامة فاستقى فزنا به بناء من نيد فشرى وسقى فضله أسامة فقال أحسستم أو أجاتكم كذا فاصنعوا فلان يدي تغير بأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم النيد تبرقع في الماء غدوة ويشرب عشاء أو ينقع عشاء ويشرب غدوة وهذا حلل فإن غلى وحض حرم قوله عز وجل (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) يعني أن من كان موصوفا بهذه الصفات يعني الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان أعظم درجة عند الله عن افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام وأعمال يذكر القسم المرجوح لبني فضل القسم الرابع على الإطلاق على من سواه والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة عند الله في الآخرة (وأولئك) يعني من هذه صفتهم (هم الفائزون) يعني بسعادة الدنيا والآخرة (يشترهم بهم) يعني يجبرهم بهم والبشارة الخبر السار الذي يفرح الإنسان عند سماعه وتستبشر بشرة وجهه عند سماعه ذلك الخبر السار ثم ذكر الخبر الذي يشترهم به فقال تعالى (برحمة من رزوان) وهذا أعظم الإشارات لأن الرحمة والرزوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصوده (وجنات لهم فيها نعيم مقيم) يعني أن نعيم الجنة دائم غير منقطع أبدا (خالدين فيها) يعني في الجنان وفي النعيم (أبدا) يعني لا انقطاع له (أن الله عنده أجر عظيم) يعني لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله قوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأبائكم وأخوانكم أولياء) قال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس وطاعة وأمتاعها من الهجرة وقال ابن عباس لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة إلى المدينة فنهض من نفاق به أهلها وأولاده يقولون نشدك الله أن لا تضعنا فيرق لم فيقيم عليهم وبدع الهجرة فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت في السعة الذين ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بكم فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم وأنزل بآبائهم الذين آمنوا بالهجرة وأبائكم وأخوانكم وأبائهم يعني بطاعة وأصدقاؤهم نفوسهم إليهم أسراركم وتوكلون المقام معهم على الهجرة قال بعضهم حمل هذه الآية على ترك الهجرة مشكل لأن هذه السورة نزلت بعد الفتح وهي من آخر القرآن نزول الأقرب أن يقال إن الله سبحانه وتعالى لما أمر المؤمنين بالهجرة من المشركين قالوا كيف يمكن أن يقطع الرجل أباه وأخاه وابنه فقد كره الله أن يقطع الرجل أهلها وأقارب في الدين واجبة فأومر من لا يوالي الكافرين كان أباه وأخاه وابنه وهو قوله تعالى (ان استعصوا الكفر على الإيمان) يعني أن اختاروا الكفر وأقاموا عليه وتركوا الإيمان بالله ورسوله (ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) يعني ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه بمخالفة أمر الله واختيار الكفر على المؤمنين ولما نزلت هذه الآية قال الذين أسلموا أو لهم هاجروا أن نحن هاجرنا ضاعت أموالنا ذهبت تجارتنا وناوش بآبائنا وقطعنا وأرحامنا فانزل الله سبحانه وتعالى (قل) أي قل يا محمد هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة (ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) وقرئ على الجمع وعشيرتكم العشرة هم الأدون من أهل الإنسان الذين يعاشرون دون غيرهم (وأموال أفرتموها) يعني أكنس بقوها (وتجارة تخشون كسادها) يعني برفاقتكم لها (ومساكن ترضونها) يعني تستوطنونها راضين بسكنائها (أحب إليكم من الله ورسوله) يعني أحب إليكم من الهجرة إلى الله ورسوله (وجهاد في سبيله) فبين الله سبحانه وتعالى أنه يحب تحمل جميع المضار في الدنيا ليقب الدين سلبا وأخبر أنه إن كانت رعاية هذه المصالح الدينية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله (فترضوا) أي فاقطعوا (حتى يأتي الله بامرهم) يعني بقضائه وهذا أمر تهديد ونحوه يقول وقال مجاهد ومقاتل يعني بفتح مكة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) يعني الخارجين عن طاعته

الله ورسوله وجهاد في سبيله فترى بصواحي ياتي الله بامر) وهو عذاب عاجل أو عقاب أجل أو فتح مكة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) والآية تنفي على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين اذ لا نجد عند ائورع الناس ما يستحب له

(ولم يحش الآلهة) تنبيه على الاخلاص والمراد الحشية في أبواب الدين بان يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع خوف اذا لمومن قد يحشى المحاذير ولا يتألم ان لا يحشها وقيل كانوا يحشون الانصام ويرجونها فاريد (٢٢٣) في تلك الحشية عنهم (فحسبوا اولئك ان

يكونوا من المهتدين) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لطامعهم في الانتفاع باعمالهم لان عسى كلمة اطماع والمعنى انما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتد بها عند الله دون من سواهم (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ولا يستوفون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين) السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره أ جعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وقيل المصدر بمعنى الفاعل بصدقه قراءة ابن الزبير سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين واعمالهم المحبطة باعمالهم التبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظاههم بالكفر لانهم وضعوا المدح والفخر في غير موضعهما نزات جوابا لقول العباس حين أسر

(ولم يحش الآلهة) يعني ولم يحف في الدين غير الله ولم يترك أمر الله حشية الناس (فحسبوا اولئك ان يكونوا من المهتدين) وعسى من الله واجب يعني وأولئك هم المهتدون المتمسكون بطاعة الله التي تؤدي الى الجنة عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان فان الله عز وجل يقول انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن (ق) عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد اروح أعد الله له الجنة نزلا كما غدا أو راح النزل ما ميبأ للضيف عند نزوله بالقوم (ق) عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى لله مسجدا يتقى به وجه الله تعالى بنى الله له بيتا في الجنة وفي رواية بنى الله له في الجنة مثله وعن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا صغيرا كان أو كبيرا بنى الله له بيتا في الجنة أخرجه الترمذي عن عمرو بن عبسة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا ليند كره الله فيه بنى الله له بيتا في الجنة أخرجه النسائي قوله سبحانه وتعالى (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) الآية (م) عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما بالي أني لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام وقال الآخر الجاهدي سبيل الله فضل مما قلتم فزجروهم عمر وقال لا تفعلوا أصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستتبه فيما اختلفتم فيه فأنزل الله عز وجل أ جعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر الى آخرها وقيل قال العباس حين أسر يوم بدر ان كنتم سبقتونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج فأنزل الله هذه الآية وأخبر ان عمر انهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله وان الايمان والجهاد مع نية خير ما هم عليه وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي نزلت في علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن أبي شبيب افتخروا فقال طلحة أنا صاحب البيت يدي مفاتيحه وقال العباس وأنا صاحب السقاية والقيام عليهما وقال علي ما أدري ما تقولون لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله هذه الآية أ جعلتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهي سقى الحاج وكان العباس بن عبد المطلب يده سقاية الحاج وكان يلهم في الجاهلية فلما جاء الاسلام وأسلم العباس أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وعمارة المسجد الحرام يعني ببناءه وتشديده وممرته (كن آمن بالله واليوم الآخر) فيه حذف تقديره كايمن من آمن بالله واليوم الآخر (وجاهد في سبيل الله) أي وكجهاد من جاهد في سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى السابق والعامر تقديره أ جعلتم ساقى الحاج وعمار المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله (لاستوفون عند الله) يعني لا يستوي حال هؤلاء الذين آمنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لان الله سبحانه وتعالى لا يقبل عملا الا مع الايمان به (والله لا يهدي القوم الظالمين) (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستقى فقال العباس يا فضل اذهب الى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها فقال اسقني فقال يا رسول الله انهم يجعلون أيديهم فيه قال اسقني فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يستقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا ان تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذا يعني عاتقه (م) عن بكر بن عبد الله المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فأتاه عرابي فقال مالي

وفطلق على رضى الله عنه بو نحوه بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم ند كرمساو يناوتدع محاسنا فقيل أولكم محاسن فقال نعمر المسجد ونسقي الحاج ونفك العاني وقيل افتخر العباس بالسقاية وشيبة بالعمارة وعلى رضى الله عنه بالاسلام والجهاد فصدق الله تعالى عليا

ولأن كل بقعة منه مسجدة  
أو أريد جنس المساجد  
وإذا لم يصلحوا إلا بغيره  
جنسها دخل تحت ذلك  
أن لا يعمر والمسجد الحرام  
الذي هو صدر الجنس وهو  
أكد أظن بقصه طريق  
الكاتب كما تقول فلان لا  
يقرأ أكتب الله كنت أني  
لقراءته التفسير أن  
من تصريحك بذلك  
(شاهد بن علي أنفسهم  
بالكفر) باعتبارهم بعبادة  
الاصنام وهو خال من الواو  
في يعمر والواو المعنى المستقام  
لم أن يجمعوا بين أمرين  
متضادين عمارة متعبدات  
الله مع الكفر بالله وعبادته  
(أولئك حبطت أعمالهم  
وفي النار هم خالدون)  
دائمون (انما يعمر مساجد  
الله) عمارتهم ما استمر  
منها وقها وتنظيفها  
وتنويرها بالصباح  
وصياتها مما تبين له المساجد  
من أحداث الدنيا لانها  
بنيت للعبادة والذكر ومن  
الذكر درس العلم (من آمن  
بالله واليوم الآخر) ولم  
يذكر الإيمان بالرسول  
عليه السلام لماعلم ان  
الإيمان بالله قرينة الإيمان  
بالرسول لاقتراحهما في  
الاذان والاقامة وكلمة  
الشهادة وغيرها وأول عليه  
بقوله (واقام الصلوة وآتى  
الزكوة) وفي قوله

يوم بدر ومنهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليهم نفر من أصحاب رسول  
الله صلى الله عليه وسلم بغير وهم بالشرك وجعل على بن أبي طالب يوجع العباس بسبب فقال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وقطعة الرحم فقال العباس ما لي بكم نذ كرون مساونا وتكفون محاسنا فقبل له وهل لكم من  
محاسن قال نعم نحن أفضل منكم نحن نعمر المساجد الحرام ونعجب الكعبة ونسقي الجميع ونفك العاني يعني  
الاسير فنزلت هذه الآية ما كان للمشركين أي ما ينبغي للمشركين أن يعمر وامساجد الله أوجب الله على المسلمين  
منعهم من ذلك لان المساجد انما امر بعبادة الله تعالى وحده فمن كان كافرا بالله فليس له أن يعمر مساجد  
الله واختلفوا في المراد بالعمارة على قولين أحدهما أن المراد بالعمارة العمارة المرفوعة من بناء المساجد  
وتشييد هاور منها عند خرابها فممنع منه الكافر حتى لو أوصى ببناء مسجد لم تقبل وصيته والقول الثاني  
أن المراد بالعمارة دخول المسجد والقعود فيه فممنع الكافر من دخول المسجد بغير إذن مسلم حتى لو دخل  
بغير إذن مسلم عزروا أن دخلوا بغير إذن على جواز دخول الكافر المسجد بالأذن ان النبي صلى الله  
عليه وسلم شد غمامة بن اثال الى سارية من سوارى المسجد وهو كافر والاولى تعظيم المساجد ومنعهم من  
دخولها ۞ وقوله تعالى (شاهد بن علي أنفسهم بالكفر) يعني لا يدخلون المساجد في حال كونهم شاهدين  
وقيل نقدره وهم شاهدون فلما حذفت وهم نصب وقال ابن عباس شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم  
للاصنام وذلك أن كفار قريش كانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون  
بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجودا للاصنام فلم يزدوا بذلك من الله الا بعدا وقال الحسن انهم لم يقولوا  
نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شهادة عليهم بالكفر وقال السدي شهادتهم على أنفسهم بالكفر هو أن  
النصراني يسئل من أنت فيقول نصراني واليهودي يقول يهودي والمشرک يقول مشرك وقال ابن عباس في  
رواية عنه شاهد بن علي رسولهم بالكفر لانهم من أنفسهم (أولئك حبطت أعمالهم) يعني الاعمال التي عملوها  
في حال الكفر من أعمال البر مثل قرى الضيف وسقى الحاج وفك العاني لانهم تركن لله فلم يكن لها أن يبرع  
الكفر (وفي النار هم خالدون) يعني من مات منهم على كفره ۞ قوله عز وجل (انما يعمر مساجد الله  
من آمن بالله واليوم الآخر) لما بين الله عز وجل أن الكافر ليس له أن يعمر مساجد الله بين في هذه الآية  
من هو المستحق لعمارة المساجد وهو من آمن بالله فان الإيمان بالله شرط فيمن يعمر المسجد لان المسجد  
عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله امتنع أن يعمر موضعا يعبد الله فيه واليوم الآخر  
يعني وآمن باليوم الآخر وأنه حق كائن لان عمارة المسجد لاجل عبادة الله وجزاء أسرته انما يكون في الآخرة  
فمن أنكر الآخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجدا فان قلت لم يذكر الإيمان برسول الله مع أن الإيمان به  
شرط في صحة الإيمان قلت ان الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل في الإيمان بالله فان من آمن بالله  
واليوم الآخر فقد آمن برسول الله لان من جهته عرف الإيمان بالله واليوم الآخر لانه هو الداعي الى  
ذلك وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا انما ادعى النبوة طلبا الى رياسة والمالك فاخبر الله عز وجل ان  
محمدا صلى الله عليه وسلم انما ادعى الى الإيمان بالله واليوم الآخر لا طلبا الى رياسة والمالك فلذلك قال سبحانه  
وتعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وترك ذكر الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم  
وقيل انه تبارك وتعالى قال بعد الإيمان بالله واليوم الآخر (واقام الصلاة وآتى الزكوة) وكان ذلك مجابا  
به رسول الله صلى الله عليه وسلم فن أقام الصلاة وآتى الزكاة فقد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم أن  
الاعتبار باقامة الصلاة وآتية الزكاة في عمارة المساجد ان الانسان اذا عمر المسجد أقام الصلاة وآتى الزكاة  
لان عمارة المسجد انما تنجز باقامة الصلاة فيه ولا يشغل بعمارة المسجد الا اذا كان مؤديا للزكاة لان الزكاة  
واجبة وعمارة المسجد نافلة ولا يشغل الانسان بالنافلة الا بعد اكمال الفريضة الواجبة عليه ۞ وقوله تعالى



من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم) أى نقضوا العهد المؤكدة بالإيمان (وطعنوا في دينكم) وعابوه (فقاتله أئمة الكفر) فقاتلوهم موضع ضميرهم وهم رؤساء الشرك أوزعماء قر يش الذين هموا باخراج الرسول وقالوا اذا طعن في دين الاسلام طعننا ظاهر اجاز قتله لان العهد معقود معه على أن لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة أئمة همزتين كوفي (٢٢٠) وشامى الباقون همزة واحدة غير مدودة بعد هاء مكسورة أصلها أئمة

لانها جمع امام كعماد وأعمدة فنقلت حركة الميم الاولى الى الهمزة الساكنة وأدغمت في الميم الاخرى فن حقت الهمزتين أخرجهما على الاصل ومن قلب الثانية ياء فكسرتهما (انهم لأيمان لهم) وانما أثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا أيمانهم لانه أراد أيمانهم التي أظهروها ثم قال لأيمان لهم على الحقيقة وهو دليل لتاعى أن يمين الكافر لا تكون بينا وبينه عند الشافعي رحمه الله انهم لا يوفون به لان يمينهم بين عنده حيث وصفها بالنكث لا ايمان شامى أى لا اسلام (لعلهم يتنبهون) متعلق بقاتلوا أئمة الكفر وما بينهما ما اعتراض أى ليكن غرضكم في مقاتلتهم انتهاءهم عما هم عليه بعد ما وجد منهم من العظام وهذا من غاية كرمه على المسيء ثم حرض على القتال فقال (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) التي حلفوها في

ونوضح بيان آياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة وقال ابن مسعود أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يرك فلا صلاة له وقال ابن زيدا فرضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وأنى أن يقبل الصلاة بالزكاة وقال رحمه الله أبكر ما كان أفقهه يعنى بذلك ما ذكره أبو بكرى حتى من منع الزكاة وهو قوله والله لا فرق بين شريئين جمع الله بينهما يعنى الصلاة والزكاة (ق) عن أنس بن مالك قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخاف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لاني بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه بالجمعة وحسابه على الله عز وجل فقال أبو بكر والله لا قاتلني من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها في ربة عقلا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو الا أن رأيت ان الله شرع صدرا بى بكر للقتال فعرفت انه الحق عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذمتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (وان نكثوا أيمانهم) يعنى وان نقضوا عهدهم (من بعد عهدهم) يعنى من بعد ما عاهدوكم وعليه أن لا يقاتلواكم ولا يظهر واعليكم أحدا من أعدائكم (وطعنوا في دينكم) يعنى وعابوا دينكم الذي أتم عليه وقد حوا فيه وتلبوه وفي هذا دليل على ان الذي اذا طعن في دين الاسلام وعابه ظاهر الباقى له عهد والمراد بهؤلاء الذين نقضوا العهد ككفار قر يش وهو قوله تعالى (فقاتلوا أئمة الكفر) يعنى رؤس المشركين وقادتهم قال ابن عباس زلت في أبى سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وأبى جهل وابنه عكرمة وسائر رؤساء قر يش وهم الذين نقضوا عهدهم وهموا باخراج الرسول وقيل أراد جميع الكفار وانما ذكر الأئمة لانهم الرؤساء والقادة في قتالهم قتال الانبياء وقال مجاهد هم فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان ما قاتل أهل هذه الآية بعد ولم يأت أهلها ولعل حذيفة أراد بذلك الذين يظهرون مع الدجال من اليهود فانهم أئمة الكفر في ذلك الزمان والله أعلم بمراده ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (انهم لأيمان لهم) جمع يعنى أى لا عهد لهم وقيل بمعناه انهم لا وفاء لهم بالمعهد وقرئ لأيمان لهم بكسر الهمزة ومعناه لا دين لهم ولا عديق وقيل هو من الامان أى اقتلوهم حيث وجدوهم ولا تؤمنوهم (لعلهم يتنبهون) أى لى يتنبهوا عن الطعن في دينكم ويرجعوا عن الكفر الى الايمان ثم حض المؤمنين على جهاد الكفار و بين السبب في ذلك فقال تعالى (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) يعنى نقضوا عهدهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية وأعانوا بى بكر على خراعة (وهووا باخراج الرسول) يعنى من مكة حين اجتماعهم في دار الندوة (وهم بدؤكم) يعنى بالقتال (أول مرة) يعنى يوم بدر وذلك أنهم قالوا لا نتصرف حتى نبتال محمد وأصحابه وقيل أراد به انهم بدؤا بقتال خراعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنتخوهم) يعنى أنتخوهم أيما المؤمنين فتتكون قتالهم (فأله أحق أن نخشوه) يعنى في ترك القتال (ان كنتم مؤمنين) يعنى ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده

المعاهدة (وهووا باخراج الرسول) من مكة (وهم بدؤكم أول مرة) بالقتال والبادى قوله أظلم فإيمتهم من أن تقاتلوهم ويخجم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحظ عليه من نكث العهد واخراج الرسول والبدة بالقتال من غير وجب (أنتخوهم) نوبخ على خشية منهم (فأله أحق أن نخشوه) بأن نخشوه فقاتلوا أعداءه (ان كنتم مؤمنين) فأخشوه أى ان فضية الايمان الكامل أن لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالى بن سواه ولما وجههم الله على ترك القتال جرد لهم الاصره بقوله



(ان الله يحب المتقين) يعني ان التراب من هم من أعمال المتقين (كيف وان يظهر واعليكم) تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما أي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهر وا (٢١٩) عليكم أي يظهر وابكم بعد ما سبق لهم من

تأكيد الإيمان والمواثيق (لا يرقبوا فيكم الا ليراعوا) حلفا ولا قرابة (ولاذمة) عهدا (يرضونكم بافواههم) بالوعد بالابمان والوفاء بالعهد وهو كلام مبتدئ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن ومقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد (وتأتي قلوبهم) الايمان والوفاء بالعهد (وأكثرهم فاسقون) ينافقون العهد أو متمر دون في الكفر لامروءة تمنعهم عن الكذب ولا شئنا لن نردعهم عن النكث كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عنهما (اشتروا) استبدلوا (بآيات الله) بالقرآن (ثمنا قليلا) عرضا سيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات (فصدوا عن سبيله) فعدوا عنه وصرقوا غيرهم (انهم ساء ما كانوا يعملون) أي بش الصنيع صنيعهم (لا يرقبون في مؤمن الا ذلما) تكرار لان الاول على الخصوص حيث قال فيكم والثاني على العموم لانه قال في مؤمن (وأولئك هم المعتدون) المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة

فصبر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم ما ان يسلموا وامان بالعدة وبأي بلاد شافا فاسلموا وبعد الاربعه الاشهر والى صواب من ذلك قول من قال انهم قبال من بني بكر وهم خزعة بنو مدلج من ضمرة بنو الدئل وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية ولم يكن نقض العهد الا قريش وبنو الدئل من بني بكر فاسلموا بتمام العهد لم ينقض وهم بنو ضمرة وانما كان الصواب هذا القول لان هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وذلك قبل فتح مكة لان بعد الفتح كيف يقول لشئ قدمضي فاستقاموا اليكم فاستقاموا لهم وانما هم الذين قال الله عز وجل فيهم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئا كما تصح قريش ولم يظهر واعليكم احدا كما ظهرت قريش بن بكر على خزاعة وهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (ان الله يحب المتقين) يعني أنه سبحانه وتعالى يحب الذين يوفون بالعهد اذا عاهدوا وبقون نقضه (كيف وان يظهر واعليكم) قبل هذا امر ودعوى الآية الاولى تقديره كيف يكون لهم عهد وان يظهر واعليكم (لا يرقبوا فيكم الا ليراعوا) وقال الاخفش معناه كيف لا تقتلواهم وهم ان يظهر واعليكم أي يظهر وابكم ويغلبوكم ويعاوا عليكم لا يرقبوا أي لا يحفظوا وقيل معناه لا ينتظروا وقيل معناه لا يراوفا فيكم الا قال ابن عباس يعني قرابة وقيل رجاء وهذا معنى قول ابن عباس أيضا وقال قتادة الا الحلف وقال السدي هو العهد وكذلك الذمة وانما كرر للتأكيد واختلاف اللفظين وقال أبو مجاز ومجاهد الا هو الله عز وجل ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع كلام مسيلة الكذاب ان هذا الكلام لم يخرج من آل يعني من الله وعلى هذا القول يكون معنى الآية لا يرقبون الله فيكم ولا يحفظونه ولا يراوون ولا ذمة يعني ولا يحفظون عهدا (يرضونكم بافواههم) يعني يطعمونكم بالسنة بخلاف ما في قلوبهم (وأكثرهم فاسقون) فان قلت ان الموصوفين بهذه الصفة كفار والكفر أحب وأقبح من الفسق فكيف وصفهم بالفسق في معرض الذم وما الفائدة في قوله وأكثرهم فاسقون مع ان الكفار كاهم فاسقون قلت قد يكون الكافر عدلا في دينه وقد يكون فاسقا خبيث الفسق في دينه فالمراد بوصفهم بكونهم فاسقين انهم نقضوا العهد وبلغوا في العداوة فوصفهم بكونهم فاسقين مع كفرهم فيكون أبلغ في الذم وانما قال أكثرهم ولم يقل كلهم فاسقون لان منهم من وفى بالعهد ولم ينقضه وأكثرهم نقضوا العهد فلذا قال سبحانه وتعالى وأكثرهم فاسقون وقوله تعالى (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) يعني استبدلوا بآيات القرآن والايمان بهار ضا قليلا من متاع الدنيا وذلك انهم نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب كآفة أطعمهم اياها أبو سفيان بن حرب قدمهم الله بذلك قال مجاهد أطعم أبو سفيان حلفاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم (فصدوا عن سبيله) يعني منعوا الناس عن الدخول في دين الله قال ابن عباس وذلك ان أهل الطائف آملوهم بالاموال ليقوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم (انهم ساء ما كانوا يعملون) يعني من الشرك ونقضهم العهد ومنعهم الناس عن الدخول في دين الاسلام (لا يرقبون في مؤمن الا ذلما) يعني ان هؤلاء المشركين لا يراوون في مؤمن عهدا ولا ذمة اذا قدروا عليه قتلوه فلا يتقوا أنهم عليهم كما يبقوا عليكم اذا ظهر واعليكم (وأولئك هم المعتدون) يعني في نقض العهد وقوله عز وجل (فان تابوا) يعني فان رجعوا عن الشرك الى الايمان وعن نقض العهد الى الوفاء به (وأقاموا الصلوة) يعني المرفوضة عليهم بجميع حدودها وأركانها وأنوا الزكاة يعني وبذلوا الزكاة المفروضة عليهم طيبة بها أنفسهم (فاخوانكم في الدين) يعني اذا فعلوا ذلك فهم اخوانكم في الدين لهم مالكم وعليهم ما عليكم (ونفصل الآيات لقوم يعلمون) يعني ونبين حجج أدلتنا

(فان تابوا) عن الكفر (وأقاموا الصلوة) وآتوا الزكاة فآخوانكم) فهم اخوانكم على حذف المبتدأ (في الدين) لاني النسب (ونفصل الآيات) ونبينا (اقوم يعلمون) يفهمون فيتفكرون فيها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تأمل تفصيلها فهو العالم تحرر ضاعلى تأمل ما فصل

(ان الله يحب المتقين) يعني ان فضيلة التقوى ان لا يسوى بين التقيين ذلك (فاذا انسلخ) مضى وأخرج (الاشهر الحرم) التي أُمِّحَ فيها للناكثين أن يسبحوا (فاقتلوا المشركين) الذين نقضوا وظاهروا عابكم (حيث وجدتموهم) من حل أو حرم (وخذوهم) وأسروهم والاخذ الاسر (واحصرهم) وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد (واقعدوا لهم كل مرصد) كل ممر ومجتاز ترصدونهم به واتصاه على الظرف (فان تابوا) (٢١٨) عن الكفر (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فاطلوا عنهم بعد

تجعلوا الوافي كالغادر (ان الله يحب المتقين) يعني ان فضيلة التقوى تقتضي ان لا يسوى بين التقيين يعني الوافي بالعهود الناكث والغادر فيه قوله سبحانه وتعالى (فاذا انسلخ) مضى وأخرج (الاشهر الحرم) يعني فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والحرم وقال مجاهد وعبد بن اسحق هي شهور العهد سميت حرما لحرمه نقض العهد فيها فمن كان له عهد فعهده أربعة أشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضاء الحرم وذلك لخسوس بوما قيل انما قيل لها حرم لان الله سبحانه وتعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم فان قلت على هذا القول هذا مائدة وهي الخمس بوما بعض الاشهر الحرم والله سبحانه وتعالى قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم قلت لما كان هذا القدر من الاشهر متصلا بما مضى أطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضرورة التي يكون معها انسلخ الاشهر الحرم (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) يعني في الحل والحرم وهذه امر اطلاق يعني اقتلواهم في أي وقت وأي مكان وجدتموهم (وخذوهم) يعني وأسروهم (واحصرهم) أي واحبسوهم قال ابن عباس يريد ان تحصروا فاحصرهم وامنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) يعني على كل طريق والمرصد الموضع الذي يقعد فيه للعدو من رصدت الشيء أرصده اذا ترقبته والمعنى كونوا لهم رصدا حتى تآخذوهم من أي وجه توجهوا وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها (فان تابوا) يعني من الشرك ورجعوا الى الايمان (وأقاموا الصلوة) يعني وأتوا أركان الصلوة المفروضة ( وآتوا الزكاة) الواجبة عليهم طيبة بما أنفسهم (فخلوا سبيلهم) يعني الى الدخول الى مكة والتصرف في بلادهم (ان الله غفور) يعني لمن تاب ورجع من الشرك الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة (رحيم) يعني بالايانه وأهل طاعته وقال الحسن بن الفضل نسخت هذه الآية كل آية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على أذى الاعداء قوله تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله) يعني وان استأمنك يا محمد أحد من المشركين الذين أمرت بك بقتلهم وقتلهم بعد انسلخ الاشهر الحرم ليسمع كلام الله الذي أنزل عليك وهو القرآن فاجره حتى يسمع كلام الله ويعرف ما له من الثواب ان آمن وما عليه من العقاب ان أمر على الكفر (ثم أبلغه مأمته) يعني ان لم يسمع مأمته الى الموضع الذي يامن فيه وهو دار قوموه ان قالوا بعد ذلك وقد رت عليه فاقته (ذلك بانهم قوم لا يهتدون) أي لا يهتدون دين الله وتوحيدهم فهم يحتاجون الى سماع كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) هذا على وجه التعجب ومعناه اتحد أي لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يعبدون وينقضون العهد ثم استثنى فقال سبحانه وتعالى (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدي ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحق هم بنو خزاعة بنو الدليل قبائل من بني بكر كانوا دخلوا في عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية وقال مجاهد هم أهل العهد من خزاعة (فاستقاموا لكم) يعني على العهد (فاستقموا لهم) يعني ما أقاموا على العهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد وأعانوا بني بكر على خيانتهم

الاسر واحصر أو فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم (ان الله غفور) يستر الكفر والغدر بالاسلام (رحيم) يرفع القتل قبل الاداء بالالتزام (وان أحد من المشركين استجارك فاجره) أحد من تقع بفعل شرط مضمر يفسره الظاهر أي وان استجارك أحد استجارك والمعنى وان جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه واستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن فامنه (حتى يسمع كلام الله) ويتبره ويطلع على حقيقة الامر (ثم أبلغه) بعد ذلك (مأمته) داره التي يامن فيها ان لم يسمع ثم قال ان شئت وفيه دليل على ان المستأمن لا يؤذي ولا يسأل له الإقامة في دارنا ويمكن من العود (ذلك) أي الامر بالاجارة في قوله فاجره (بانهم قوم لا يعلمون) بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى

يسمعوا أو يفهموا الحق (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) كيف استقامهم معنى الاستسكار فضرب أي مستسكرا ثبت لهؤلاء عهد فلا تظلموا في ذلك ولا تحذوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله (الا الذين عاهدتم) أي ولكن الذين عاهدتم منهم (عند المسجد الحرام) ولم يظهر منهم نكث كبنى كنانة وبني ضمرة فتر بصوا أمرهم ولا تقاتلوهم (فاستقاموا لكم) ولم يظهر منهم نكث أي فاستقاموا على الوفاء وما سرطانية أي فان استقاموا لكم فاستقيموا لهم

رجلا بقرىها فقال ان كان  
الله يرثنا من رسوله فانا  
منه بىء قلبه الرجل الى  
عمر فحكى الاعرابى قراءته  
فغصدها ثم عمر يعلم  
العربية (فان تبين) من  
الكفر والغدر (فهو) أى  
التوبة (خير لكم) من  
الاصرار على الكفر (وان  
توليت) عن التوبة وأثبت  
على التولى والاعراض عن  
الاسلام (فأعلموا) انكم غير  
مجزى الله غير سابقين  
الله ولا فائتين أخذه وعقاب  
(وبشر الذين كفروا  
بعذاب أليم) مكان بشارة  
المؤمنين بنعيم مقبم (الا  
الذين عاهدتم من المشركين  
استثناء من قوله فسيحوا  
فى الارض والمعنى براءة  
من الله ورسوله الى الذين  
عاهدتم من المشركين فقولوا  
لهم سحوا الا الذين  
عاهدتم منهم (ثم لم ينقصكم  
شيئا) من شروط العهدها  
وفوا بالعهد ولم ينقصوه  
ورقى لم ينقصكم أى عهدكم  
وهو أبقى لكن الشهورة  
أبلغ لانه فى مقابلة الخاتم  
(ولم يظاهروا عليكم  
أحدا) ولم يهادوا عليكم  
عدوا (فأتموا عهدهم)  
فادوه الله تاما كاملا (الى  
مدتهم) الى تمام مدتهم

( ٢٨ - ( خازن - ثانی ) والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان أمر وفي الناكثين  
لهم عهد لهم ولا يخرجهم بجرهم ، ولانجاء لوالوفى كالغادر

قبل التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدهم عن مناسكهم فأقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من أمر الحج حتى إذا كان يوم النحر قام على أبي طالب رضى الله عنه فاذن في الناس بالنأي أمر به فقرأ عليهم أول سورة براءة وقال يزد بن تبع سالت عليا باني شئ بعثت في الحجة قال بعثت باربغ لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فوالى مدته ومن لم يكن له عهد فاجلأه أربعة أشهر ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد علمهم هذا في حجة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع (ق) عن أبي هريرة أن أبا بكر بعثه في الحجة التي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل ذلك في حجة الوداع في رهط يؤذون في الناس يوم النحر أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ثم أرفد النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب فأمره أن يؤذن براءة قال أبو هريرة فاذن معناني أهل منى براءة أن لا يحج بالبيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية يوم الحج الأكبر يوم النحر والحج الأكبر والحج وانما قبل الحج الأكبر من أجل قول الناس للعمرة الحج الأصغر قال قتادة أبو بكر إلى الناس في ذلك فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك وأتزل الله في العام الذي نبذ فيه أبو بكر إلى المشركين يأبها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الآية

فصل في قد يتوهم متوهم أن في بعث علي بن أبي طالب براءة أول براءة عزل أبي بكر عن الإمارة وتفضيله على أبي بكر وذلك جهل من هذا المتوهم ويدل على أن أبا بكر لم يزل أميرا على الموسم في تلك السنة أول حديث أبي هريرة المتقدم أن أبا بكر بعثه في رهط يؤذون في الناس الحديث وفي لفظ أبي داود والنسائي قال بعثني أبو بكر فيمن يؤذن في يوم النحر بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بعثني أبو بكر فيه دليل على أن أبا بكر كان هو الأمير على الناس وهو الذي أقام للناس حجهم وعصاهم مناسكهم وأجاب العلماء عن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ليؤذن في الناس براءة بأن عادة العرب جرت أن لا يتولى تقرير العهد وتفضله السيد القبيلة وكبيرها أو رجل من أقاربه وكان علي بن أبي طالب أقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أبي بكر لانه ابن عمه ومن رهطه فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليؤذن عنه براءة أراحته لهذه العلة لا يقولوا هذا على خلاف ما نعرفه من عاداتنا في عقد العهود وتفضله وقيل لما خص أبا بكر بتوليته على الموسم خص عليا بتبليغ هذه الرسالة تطييبا لقلبه ورعاية لحاجته وقيل إنما بعث عليا في هذه الرسالة حتى يصلى خلف أبي بكر ويكون جارا يجرى النبيه على إمامة أبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر أميرا على الحاج ولاة الموسم وبعث عليا خلفه ليقرأ على الناس براءة فكان أبو بكر الإمام وعلي المؤمن وكان أبو بكر الخطيب وعلي المستمع وكان أبو بكر التولي أمر الموسم والأمير على الناس ولم يكن ذلك لعل قد دل ذلك على تقديم أبي بكر على علي وفضله عليه والله أعلم وقوله تعالى (واعلموا أنكم غير معجزين الله) يعني أن هذا الإمهال ليس لجزع عنكم ولكن لمصاحبة واطمأننكم ليتوب بكم ثواب وقيل معناه فسبحوا في الأرض أربعة أشهر عاين أنكم لا تجزون الله بل هو يجزكم بأخذكم لأنكم في ما كرهه وقبضته وتحته قهره وسلطانه وقيل معناه أنا ما همسك هذه المدة لانه لا يخاف الفتور ولا يجزئ شئ (وأن الله يحزى الكافرين) يعني بالقتل والعذاب في الآخرة قوله عز وجل (وإذا من الله ورسوله) (الاذن في اللغة الإعلام ومنه الاذن للصلاة لانه إعلام بدخول وقتها والمعنى وإعلام صادر من الله ورسوله واصل (إلى الناس يوم الحج الأكبر) اختلفوا في يوم الحج الأكبر فروي عنك وعن ابن عباس أنه يوم عرفة وروي ذلك عن ابن عمر وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس وجاهد ومعيد بن المسيب وعن علي بن أبي طالب قال سألت رسول الله

(وعلما أنكم غير معجزين الله) لا تنفوتونه وإن أمهلكم (وأن الله يحزى الكافرين) من طم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب (وأذن من الله ورسوله إلى الناس) ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها والاذن بمعنى الإذن وهو الإعلام بكان الأمان والعطاء بمعنى الإيمان والاعطاء والفرق بين الجملة الأولى والثانية أن الأولى اخبار بنبوت البراءة والثانية اخبار بوجود الإعلام بما ثبت وإنما علفت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذن بالناس لأن البراءة مخصصة بالمجاهدين والناس كثر منهم وأما الاذن فعام لجميع الناس من عاهدوا من لم يعاهد ومن نكث من المعاهد ومن لم ينكث (يوم الحج الأكبر) يوم عرفة لأن الوقوف بعرفة معظم أفعال الحج أو يوم النحر لأن فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحاق والرمي ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر

أربعة أشهر ومن كانت مدته أكثر حطه إلى أربعة أشهر ومن كان عهده بغير أجل معلوم محدود حده باربعة أشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ورسوله يقتل حيث أدرك ويؤسر إلا أن يتوب ويرجع إلى الإيمان وقيل إن المقصود من هذا التأجيل أن يتفكروا ويخطوا لأنفسهم ويعلموا أنه ليس لهم بعد هذه المدة إلا الإسلام أو القتل فيصير هذا داعياً لهم إلى الدخول في الإسلام ولثلاثين نسب المسلمون إلى الفدر ونكت العهد وكان ابتداء هذا الأجل يوم الحج الأكبر وانقضاءه إلى عشرين ربيع الآخر فإما من لم يكن له عهد فإما أجله انسلاخ الأشهر الحرم وذلك خسون يوماً قال الزهري الأشهر الأربعة شوال والقعدة وذو الحجة والحرم لأن هذه الآية نزلت في شوال والقول الأول أصوب وعليه الأكثرون وقال السكبي إنما كانت الأربعة أشهر عهداً من كان له عهد دون الأربعة أشهر فأنتم له الأربعة أشهر فإما من كان عهده أكثر من أربعة أشهر فهذا أمر بأتمام عهده بقبوله تعالى فأتوا إليهم عهدهم إلى مدتهم وقيل كان ابتداءها في العاشر من ذي القعدة وآخرها العاشر من ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة كان في العاشر من ذي القعدة بسبب النسي ثم صار في السنة المقبلة في العاشر من ذي الحجة وفيها أحج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن الزمان قد استدار الحديث وقال الحسن أمر الله عز وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله من المشركين فقال تعالى قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فكان لا يقاتل إلا من قاتله ثم أمره بقتال المشركين والبراءة منهم وأجلهم أربعة أشهر فلم يكن لأحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر لأن من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد وكان الأجل لجميعهم أربعة أشهر وأحل دماء جميعهم من أهل العهود وغيرهم بعد انقضاء الأجل وقال محمد بن سحقي ومجاهد وغيرهما نزلت في أهل مكة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشاً عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشرين يوماً من فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فقاتلهم وأعانتهم قريش بالسلاح فلما نظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمر بن الخطاب حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

لاهم اني ناشد محمدا \* حلف أبينا وأبيه الأتلا  
كنت لنا أباً وكنا ولدا \* ثم أسلمنا ولم نزع يدا  
فانصر هداك الله انصر أبدا \* وادع عباد الله بأنوا مديدا  
فيهم رسول الله قد تجردا \* في فيلق كالبحر يجري مزبدا  
أبيض مثل الشمس يسمو صعدا \* ان شبح خطب وجهه تزيديدا  
ان قريشاً أخلفوك الموعدا \* ونقضوا ميثاقك المؤكدا  
وزعموا ان لست تنجي أحدا \* وهم أذل وأقل عددا  
هم يبتون بالحطيم هجدا \* وقتلونا ركعها وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرت ان لم أنصركم وتجهز إلى مكة ففتنحها سنة ثمان من الهجرة فلما كانت سنة تسع أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحج فقبل له المشركون بمحضرون ويطوفون بالبيت عراً فقال لأحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فبعث أبا بكر في تلك السنة أميراً على الموسم ليقم للناس الحج وبعث معه أربعين منهم سويرة ليقراها على أهل الموسم ثم بعث بعده علياً على ناقته العضياء ليقرا على الناس صديراً وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فرجع أبو بكر فقال يا رسول الله باني أنت وأمي أنزل في شأني شيء فقال لا ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا الرجل من أهلي أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وأنت معي على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر أميراً على الحاج وعلي بن أبي طالب يؤذن براءة فلما كان

لا يقرب البيت بعدهذا  
العام مشرك ولا يطوف  
بالبيت عريان ولا يدخل  
الجنة الا كل نفس مؤمنة  
وان يتم إلى كل ذي عهد  
عهده فقالوا عند ذلك يا علي  
أبلغ ابن عمك اننا قد نبذنا  
العهد وراء ظهرنا وأنه  
ليس بيننا وبينه عهد الا  
طعن بالرمح وضرب  
بالسيوف والأشهر الأربعة  
شوال والقعدة وذو الحجة  
والحرم وأعشرون من ذي  
الحجة والحرم وصفر وشهر  
ربيع الأول وعشرين ربيع  
الآخر وكانت حرماً لائهم  
أمنوا فيها وحرم قتلهم  
وقتلهم وأعلى الغلاب  
لأن ذا الحجة والحرم منها  
والجهو وعلى أباحة القتال  
في الأشهر الحرم وان ذلك  
قد نسخ

هماسورة واحدة (براءة) خبر مبتدأ محذوف أى هذه براءة (من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) من لا بداء الغلبة متعاق  
محذوف وليس بصله كجاء قولك (٢١٤) برئت من الدين أى هذه براءة واصله من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم كقولك

الرحمن الرحيم ووضعتوه فى السبع الطوال ما حاكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ما بأتى عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان اذا نزل عليه شئ دعا به من كان يكتب فيقول ضعوها هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكرفها كذا وكذا واذا نزلت عليه الآية يقول ضعوها هذه الآية فى السورة التى يذكرفها كذا وكذا وكانت الانفال من أوائل ما نزل بالمدنية وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها مشيئة بقصتها وظنفت انهما وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبين لئانها منها أو من غيرهما من أجل ذلك قرنت بينهما ولم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعت فى السبع الطوال أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه الذى بينهما أن فى الانفال ذكر اليهود وفى براءة نقضها وكان قتادة يقول هماسورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لابي يعنى على بن أبى طالب لم تكتبوا فى براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال يابى ان براءة نزلت بالسيف وان بسم الله الرحمن الرحيم أمان وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال لان التسمية ترجمة والرحمة أمان وهذه السورة نزلت فى المنافقين وقال المبرد لم يفتح هذه السورة الشر بقة بسم الله الرحمن الرحيم لان التسمية افتتاح للخبر وأول هذه السورة وعيد ونقض عهد فلذلك لم يفتح بالتسمية وسئل أبى بن كعب عن هذا فقال انها نزلت فى آخر القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر فى كل سورة بكاتبه بسم الله الرحمن الرحيم ولم يامر فى براءة بذلك فضمت الى الانفال لشبهها بها وقيل ان الصحابة اختلفوا فى أن سورة الانفال وسورة براءة هل هماسورة واحدة أم سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لانها من لثانى القتال وجموعهما معا مائتان وخمس آيات فكانت هى السورة السابعة من السبع الطوال وقال بعضهم هماسورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا بينهما فرجة تنبيه على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تنبيه على قول من يقول هماسورة واحدة أما التفسير فقول تعالى (برائة من الله ورسوله) يعنى هذه براءة من الله ورسوله وأصل البرائة فى اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان أى براءة أى انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علة وقيل معناها التباعد مما تكره مجاورته قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك كان المنافقون يرفقون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله سبحانه وتعالى واما تخافن من قوم خيانة الآية فقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمر به ونهى الهم عهودهم قال الزجاج أى قد برئ الله ورسوله من اعطائهم اليهود والوفاء اذا تكذبا (الى الذين عاهدتم من المشركين) الخطاب مع أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وان كان النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى عاهدهم وعاقدهم الا أنه هو الذى عاقدهم وأصحابه بذلك راضون فكأنهم هم عقدوا وعاهدوا وقوله سبحانه وتعالى (فسيحوا فى الارض) أى فسيروا فى الارض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحد من المشركين وأصل السباحة الضرب فى الارض والاتساع فيها والبعد عن مواضع العماره قال ابن الانبارى قوله فسيحوا فيه ضمرا أى قل لهم فسيحوا وليس هذا من باب الامر بل المقصود منه الاباحة والاطلاق والاعلام بمحصل الامان وزوال الخوف يعنى سيحوا فى الارض واتم آمنون من القتل والقتال (أو بعة أشهر) يعنى مددأر بعة أشهر واختلف العلماء فى هذا التأجيل وفى هؤلاء الذين برئ الله ورسوله الهم من اليهود التى كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مجاهد هذا التأجيل من الله للمشركين فمن كانت مدته عهده أقل من أر بعة أشهر رفعه الى

كتاب من فلان الى فلان أو مبتدأ لتخصيصها بصفتها واخبر الى الذين عاهدتم كقولك رجل من بني تميم فى الدار والمعنى ان الله ورسوله قد برئانه من العهد الذى عاهدتم به المشركين وانه منبذ اليهم (فسيحوا فى الارض أر بعة أشهر) فسيروا فى الارض كيف شئتم والسيح السبر على مهل روى انهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فتكثروا الاناس منهم وهم بنو ضرة وبنو كنانة فنبذ الله الهدى الناكثين وأمر وأن يسيحوا فى الارض أر بعة أشهر آمنين أبى شاذ الا يعرض لهم وهى الاشهر الحرم فى قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين وذلك اصابة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن أسيد وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا ركب الغضاب ليقرأها على أهل الموسم فقيل له لو بعث بها الى أبى بكر فقال لا يؤذى عني الا رجل منى فلما دعا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمرا وأما ور قال مأمور فلما كان قبيل التروية خطب أبو بكر وحثهم على مناسكهم وقام على يوم النحر عند جرة العقبه فقال يا أيها الناس انى رسول الله اليكم فقالوا بماذا افرأ عليهم ثلاثين أو أر بعين آية ثم قال أمرت بالربع أن



يريد الملاحقين بعد السابقين الى الهجرة (وهاجر واوجاهد واملعكم فاولئك منكم) جعلهم منهم تقضيلا ورغيبا (واولوا الارحام بعضهم  
أولى ببعض) واولوا القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ التوارث بالهجرة والنصرة (في كتاب الله) في حكمه وقسمته وفي الواح أو في القرآن  
وهو آية المواريث وهو دليل لنا على تورث ذوى الارحام (ان الله بكل شيء

(٢١٣)

وهاجر واوجاهد واملعكم) اختلفوا في قوله من بعد قيل من بعد صلح الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل  
من بعد نزول هذه الآية وقيل من بعد غزوة بدر والاصح ان المراد به أهل الهجرة الثانية لانها بعد الهجرة  
الاولى لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار اسلام بعد الفتح وبديل عليه قوله صلى الله عليه وسلم  
لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه في الصحيحين وقال الحسن الهجرة ثيرة منقطعة وسباج عن هذا  
بان المراد منه الهجرة المخصوصة من مكة الى المدينة فاما من كان من المؤمنين في بلديخاف على اظهار دينه من  
كثرة الكفار وجب عليه أن يهاجر الى بلاد لا يخاف فيه على اظهار دينه وقوله تعالى (فاولئك منكم) يعنى  
انهم منكم وكنتم منهم لكن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين الاولين أشرف وأعظم من مرتبة المهاجرين  
المتأخرين بالهجرة لان الله سبحانه وتعالى أطلق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم منهم  
وذلك معرض المدح والشرف ولولا ان المهاجرين الاولين أفضل وأشرف لم يصح هذا الالحاق وقوله  
تعالى (واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والائاخ حتى  
نزلت هذه الآية واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض أى في الميراث فبين هذه الآية ان سبب القرابة أقوى  
وأولى من سبب الهجرة والائاخ ونسخ هذه الآية ذلك التوارث وقوله في كتاب الله يعنى في حكم الله وقيل  
أراد به في الواح المحفوظ وقيل أراد به القرآن وهي ان قسمه الموارث مذكورة في سورة النساء من كتاب  
الله وهو القرآن وتمسك أصحاب الامام فى حنيفة بهذه الآية في تورث ذوى الارحام وأجاب عنه الامام  
الشافعى رضى الله تعالى عنه بأنه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذى بينه في سورة النساء فصارت  
هذه الآية مقيدة بالاحكام التى ذكرها في سورة النساء من قسمه الموارث واعطاء أهل الفروض فروضهم  
وما بقى للعباسات وقوله سبحانه وتعالى (ان الله بكل شيء عليم) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بكل شيء لا تخفى  
عليه خافية والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

### تفسير سورة التوبة

وهي مدنية باجماعهم قال ابن الجوزى سوى آيتين في آخرها قد جاءكم رسول من أنفكم فانهم ما زلتا بمكة  
وهي مائة وتسع وعشرون آية وقيل مائة وثلاثون آية وأربعة آلاف وثمان وسبعون كلمة وعشرة آلاف  
وأربعمائة وثمان وثمانون حرفا وطله السورة أسماء عشرة سورة التوبة وبسورة براءة وهذا ان الاسمان  
مشهوران وهي المشقشة قال ابن عمر سميت بذلك لانها نقش من النفاق أى تبرى منه وهي المبعثرة  
لانها تبعثر عن أخبار المنافقين وتبعت عنها وتبرها والفاخحة قاله ابن عباس لانها فضحت المنافقين وسورة  
العذاب قاله حذيفة وهي الحزب لان فيها خزى المنافقين وهي المدممة سميت بذلك لان فيها هلاك  
المنافقين وهي المشردة سميت بذلك لانها شردت جوع المنافقين وفقرتهم وهي الثيرة سميت بذلك لانها  
أثارت مخازى المنافقين وكشفت عن أحوالهم وهكت استارهم عن سعد بن جبير قال قلت لابن عباس  
سورة التوبة فقال بل هي الفاخحة ما زلت تقول ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى أحدا الا ذكر فيها قال قلت  
سورة الانفال قال زلت في بدر قال قلت سورة الحشر قال بل سورة نبي الضمير أخرجاه في الصحيحين  
فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية في أول هذه السورة عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما جعلكم  
على ان لا تعدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المثين فقرتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله

الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها تشبه قصة الانفال لان فيها ذكر الله وفي براءة نداء الله ودفعه فقلت فبينهما  
وكانت عدنان القرينتين وعدنان السابعة من الطوال وهي سبع وقيل اختلأ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال  
وبراءة سورة واحدة نزلت في القتال وقال بعضهم ما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وترك بسم الله لقول من قال

بعضهم أولياء بعض) أى يتولى بعضهم بعضاً في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالمجرة وبالنصرة دون ذوى القربا حتى نسخ ذلك بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فويل أراد به النصر والمعاونة (والذين آمنوا ولم يهاجروا) من مكة (مالكم من ولايتهم) من توليهم في الميراث ولايتهم حزة وقيل هما واحد (من شئ حتى يهاجروا) فكان لا يرث المؤمن الذي لم يهاجر عن آمن وهاجر ولما أتى الذين لم يهاجروا اسم الايمان وكانت

(٢١٢)

لا يخرج من الايمان (وان استنصركم) أى من أسلم ولم يهاجر (في الدين فعليكم النصر) أى ان وقع بينهم وبين الكفار قتال وطلبوا معونة فواجب عليكم أن تنصروهم على الكافرين (الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك (والله بما تعملون بصير) تحذرعن تعدى حد الشرع (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظاهره اثبات الموالاة بينهم ومعناه نهى المسلمين عن موالاة الكفار وموارثتهم وإيجاب مباحة منهم ومعارفهم وان كانوا أقارب وان يتركوا ويتوارثون بعضهم بعضاً قال (الا تفعلوه) أى الا تفعلوا ما أمرتكم به من توأصل المسلمين وتولى بعضهم بعضاً حتى في التوارث تفضيلاً لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم يجعلوا قرابة الكفار كقرابة (تكن فتنه في الارض وفساد كبير)

نحصل فتنه في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين بالمصير وايدوا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهراً والفساد زائداً (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصرنا أولئك هم المؤمنون حقا) لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقصده من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والسكن والانسلاخ من المال والدنيا لاجل الدين والعقبي (لم مغفرة وورق كريم) لان مقصده لا تنفص ولا تنكسر ا لان هذه الآية واردة للنساء عليهم مع الوعد الكريم والاولى للامم بالتواصل (والذين آمنوا من بعد

(وهاجروا)

نحصل فتنه في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين بالمصير وايدوا واحدة على الشرك كان الشرك

ظاهراً والفساد زائداً (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصرنا أولئك هم المؤمنون حقا) لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقصده من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والسكن والانسلاخ من المال والدنيا لاجل الدين والعقبي (لم مغفرة وورق كريم) لان مقصده لا تنفص ولا تنكسر ا لان هذه الآية واردة للنساء عليهم مع الوعد الكريم والاولى للامم بالتواصل (والذين آمنوا من بعد

(واقفوا لله) فلا تقصدوا على شيء لم يهد اليكم فيه (ان الله غفور رحيم) (بالحلال ما غنمتم) (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) في ملكتكم كان أيديكم قابضة عليهم (من الاسرى) جمع أسيرين (٢١١) الاسارى أبو عمر وجع أسرى

(ان يعلم الله في قلوبكم خيراً) خلوص ايمان وصحة نية (يؤتكم خيراً مما أخذتمكم) من الغداء اماناً بخلفكم في الدنيا أضاعه أو يثيبكم في الآخرة (ويغفر لكم الله) (والله غفور رحيم) روى أن قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون ألفاً فتوضاً لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذه ما قدر على حله وكان يقول هذا خبر مما أخذتمنى وأرجو المغفرة وكان له عشرون عبدواوان أذناهم ليشرح في عشرين ألفاً وكان يقول أنجز الله أحد الوعدين وأنا على ثقة من الآخر (وان يريدوا) أى الاسرى (خياتك) نكت ما يباعوك عليه من الاسلام بالرداء منع ماضئ من الغداء (فقد خانوا الله من قبل) في كفرهم به ونقض ما أخذوا على كل عاقل من ميثاقه (فأمكن منهم) فأمكنك منهم أى أظفرك بهم كالأرتم يوم بدر فسيمكن منهم ان عادوا الى الخيانة (والله اعلم) بالمآل (حكيم) فيما أمر في الحال (ان الذين آمنوا

حلالاً طيباً وى انه لما نزلت الآية الاولى كف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيديهم عما أخذوا من الغداء فنزل فكفوا عما غنمتم حلالاً طيباً فاحل الله الغنائم بهذه الآية لهذه الامة وكانت ذلك قبل حرما على جميع الامم الماضية صح من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وأحل الله الغنائم ولم تحل لأحد قبلى (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولم تحل الغنائم لأحد قبلنا ثم أحل الله الغنائم وذلك بان الترائى صفين وعجز نافعاً لهما لنا ١٠ وقوله سبحانه وتعالى (واقفوا لله ان الله غفور رحيم) يعنى وخافوا الله ان تعودوا وان تفعلوا شيئاً من قبل أنفسكم قبل أن تؤمر وبهوا بعملوا أن الله قد غفر لكم ما قدمتم عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل في قوله واقفوا الاشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية ١١ قوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) نزلت في العباس ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج معه عشرين أوقية من ذهب ليطعم بها إذا مات نوبته فكانت نوبته يوم الواقعة ببدر فأراد أن يطعم ذلك اليوم فافتتوا لوطاً ليطعم شيئا وبقيت العشرون أوقية معه فلما أسرا أخذت منه فكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحسب العشرين أوقية من فدائه فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أمانى خرجت به لتسعين به علينا فلا أثر لك وكاف فداء ابني أخيه عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحرث فقال العباس يا محمد تتركنى أن تكفف فر يشاماً بقت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فابن الذهب الذى دفنته أم الفضل وقت خرجك من مكة قالت لى لأدرى ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث في حديث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل وقم يعنى بنى فقال العباس وما يدريك يا ابن أخى قال أخبرني به ربي قال العباس أشهد أنك صادق وأشهد أن لاله الا الله وأنت عبده ورسوله لم يطلع عليه أحد الا الله وأمر ابني أخيه عقيلاً ونوفل بن الحرث فاساموا ذلك قوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) (من الاسرى) يعنى الذين أسرتوهم وأخذتم منهم الغداء (ان يعلم الله في قلوبكم خيراً) يعنى ايماناً وتصديقاً (يؤتكم خيراً مما أخذتمكم) يعنى من الغداء (ويغفر لكم) يعنى ما سلف منكم قبل الايمان (والله غفور) يعنى لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه (رحيم) يعنى باهل طاعته قال العباس فأبدى الله خبرهما أخذتمنى عشرين عبداً كلهم تاجر يضرب بال كبراً ذناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية وأعطاني زمزم وما أحب ان لى ما جميع أموال أهل مكة وأنا أتظر المغفرة من رضى عز وجل وقوله تعالى (وان يريدوا) يعنى الاسارى (خياتك) يعنى أن يكفروا بك (فقد خانوا الله) يعنى فقد كفروا بالله (من قبل) وقيل معناه وان نقضوا العهد وجعلوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك (فأمكن) يعنى فأمكن الله المؤمنين (منهم) ببدر حتى قتالوا منهم وأسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشاره للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه يتمكن من كل احد يخونه أو ينقض عهده (والله اعلم) يعنى بما فى بواطنهم وضمائرهم من ايمان وتصديق أو خيانة ونقض عهد (حكيم) يعنى حكمه بأنه يجازى كل بعمله الخير بالثواب والشّر بالعقاب ١٢ قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) يعنى ان الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وجاهدوا يعنى وهجروا ديارهم وقومهم في ذات الله عز وجل وابتغوا رضوان الله وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعنى بذلوا أنفسهم في سبيل الله يعنى في طاعة الله وابتغوا رضوانه (والذين آووا ونصروا) يعنى آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه من المهاجرين وأسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار (أولئك) يعنى المهاجرين والانصار

وجاهدوا) من مكة حبا لله ورسوله (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) هم المهاجرون (والذين آووا ونصروا) أى آووه الى ديارهم ونصروهم على أعدائهم وهم الانصار (أولئك)

في عتاب الاولياء (لولا كتاب من الله) (لولا حكم من الله) (سبق) ان لا يعذب أحد على العمل بالاجتهاد وكان هذا الاجتهاد منهم لانهم نظر وا  
في ان استبقاهم ربما كان (٢١٠) سبباني اسلامهم وان فداءهم بتقوى به على الجهاد وحق عليهم ان قتلهم أغزل لاسلام

واما فداه فجعل الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالخيار ان شاؤوا قتلوه وان شاؤا استعبدوه وان شاؤا فادوه وان شاؤا اعتقوه قال الامام غفر الدين ان هذا السلام يوهن ان قوله فاما منا بعدا فاداءه يزيل حكم الآية التي نحن في تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلمتا الآيتين متوافقتان وكلمتا هـ متادلان على أنه لا بد من تقديم الاختان ثم بعده أخذ الفداء قال العلماء كان الفداء لكل أسير أو بعين أو قية أو الاوقية أو بعون درهما فيكون مجموع ذلك ألفا وستمائة درهم وقال قتادة كان الفداء يوهن لئلا يكون أسير بأربعة آلاف درهم **فصل** قد استدل بهذه الآية من يقدح في عصمة الانبياء وبيانهم وجوه الاول ان قوله ما كان لني أن تكون له أسرى صريح في النهي عن أخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر الوجه الثاني ان الله سبحانه وتعالى أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين يوم بدر فاما يقتلوه بل أسر وهم دل ذلك على صدور الذنب منهم الوجه الثالث ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بأخذ الفداء وهو محرم وذلك ذنب الوجه الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر قعدا يبيكان لاجل أخذ الفداء وخوف العذاب وقرب نزوله والجواب عن الوجه الاول ان قوله سبحانه وتعالى ما كان لني أن تكون له أسرى حتى شخن في الارض بدل على أنه كان الاسر مشروعا ولكن بشرط الاتخان في الارض وقد حصل لان الصحابة رضی الله تعالى عنهم قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من عظماء المشركين وصناديدهم وأسر واسبعين وليس من شرط الاتخان في الارض قتل جميع الناس فدلّت الآية على جواز الاسر بعد الاتخان وقد حصل والجواب عن الوجه الثاني ان الامر بالقتل إنما كان مختصا بالصحابة لاجع المسلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بمباشرة قتال الكفار بنفسه واذا ثبت أن الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان الذنب صادرا منهم لا من النبي صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بأخذ الفداء وهو محرم فنقول لان لم ان أخذ الفداء كان محرما ما قوله سبحانه وتعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة فذبح عتاب اطيف على أخذ الفداء من الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل على تحريم الفداء اذ لو كان حراما في علم الله لعنهم من أخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر قعدا يبيكان يحتمل أن يكون لاجل أن بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتل واشتغل بالاسر استوجب بذلك الفعل العذاب فبكى النبي صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا من نزول العذاب عليهم بسبب ذلك الفعل وهو الاسر وأخذ الفداء والله أعلم **فصل** قوله عز وجل (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) قال ابن عباس كانت الغنائم محرمة على الانبياء والامم فكانوا اذا أصابوا غنما جعلوا له للقرى فان فكانت النار تنزل من السماء فتأكله فاما كان يوم بدر أسرع المؤمنين في أخذ الغنائم والفداء فآثرل الله عز وجل لولا كتاب من الله سبق يعني لولا قضاء من الله سبق في الوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنائم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب أحد ممن شهد بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج لولا كتاب من الله سبق انه لا يضل قوما بعد اذ هدهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه لا يأخذ قوما فلو ابوجهالة المسك يعني لاصابكم بسبب ما أخذتم من الفداء قبل أن تؤمر داه عذاب عظيم قال مجاهد اسحق لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر بدر الا وأحب الغنائم الا عمر بن الخطاب فانه أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد بن معاذ فانه قال رسول الله كان الاتخان في القتل أحب الى من استبقاء الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوزل عذاب من السماء ما يجامنه غير عمر وسعد بن معاذ وقوله تعالى (فكروا عما غنمتم حلالا طيبا) يعني فقد أحلت لكم الغنائم وأخذ الفداء فكلوا مما غنمتم

وأحب لمن وراءهم أو ما كتب الله في الوح أن لا يعذب أهل بدر أو كان لا يؤاخذ قبل البيان والاعذار وفما ذكر من الاستشارة دلة على جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكرى القياس كتاب مبتدأ ومن الله صفة أي لولا كتاب ثابت من الله وسبق صفة أخرى له وخبر المبتدأ محذوف أي لولا كتاب بهذه الصفة في الوجود وسبق لاجوز أن يكون خبرا لان لولا لا يظهر خبرها أي (مسك) لئلاكم وأصابكم (فما أخذتم) من فداء الاسرى (عذاب عظيم) روى أن عمر رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبيكان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء نباكيت فقال أتيك على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة رية منه وروى انه عليه السلام قال لوزل عذاب من السماء ما يجامنه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاتخان في

القتل أحب الى (فكلوا مما غنمتم) روى أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يدوا أي يدهم بها فزلت وقيل هو اباحة للفداء حلالا لانه من جملة الغنائم والفاء للتسبيب والسبب محذوف ومعناه قد أحلت لكم الغنائم فكلوا (حلالا) مطلقا عن العتاب والعقاب من حل العقاب وهو نوب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكلا حلالا (طيبا) لئلا يذهبا هنيئا وحلالا بالشرع طيبا بالطبع

يعني حتى يذل الكفر باشاعة القتل في أهله وبعض الاسلام بالاستيلاء والقهزم الامر بعد ذلك روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بسبعين أسيراً ففهم العباس عمه وعقيل فاستشار النبي عليه السلام بأب بكر ففهم فقال قومك وأهلك اسبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر رضي الله عنه كذبوك وأخرجوك فقدمهم وأضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وان الله أغناك عن الفداء مكن علبا من عقيل وحزة من العباس ومكني من فلان لنسبه فلنضرب أعناقهم فقال عليه السلام مثلك يا أبا بكر كمثل ابراهيم حيث قال ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر كمثل نوح حيث قال رب لا تذرع لي الارض من الكافر ين ديارا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ان شتمت فقتلهم وان شتم فادبهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا باحد فلما أخذوا الفداء نزل الآية (تر بدون عرض الدنيا) متاعها يعني الفداء سماه رافضة لبقائه وسرعة فناءه (والله ير بد الآخرة)

من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذرع لي الارض من الكافر ين ديارا ومثلك يا عبد الله بن رواحة كمثل موسى قال ربنا طمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الابليهم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم أتم عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بقاءه وأضرب عنق قال عبد الله بن مسعود الاسهيل بن بيضاء فأتى سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأرأيتني في يوم أخوف أن تقع على الحجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسهيل بن بيضاء قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم هو ما قلت وأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدان بيكيان فقلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجده بكاء تبكيت لبيك انك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فآثر الله عز وجل عليه ما كان أنبي أن تكون له أسرى حتى يشخن في الارض الآية أخرجه هذا الحديث الترمذي مختصرا وقال في الحديث قصة وهي هذه القصة التي ذكرها البغوي وأخرج مسلم في أفراد من حديث عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما أسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الاسارى فقال أبو بكر يا رسول الله هم بنو العلم والعشيرة فأرى أن تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فغضب الله أن يهدبهم الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم فتمكن علبا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حزة من العباس فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيب لعمر فأضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديد فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم هو ما قلت فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بيكيان فقلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجده بكاء تبكيت لبيك انك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فآثر الله عز وجل عليه ما كان أنبي أن يكون له أسرى حتى يشخن في الارض الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنمية لهم ذكره الجيسدي في مسنده عن عمر بن الخطاب من أفراد مسلم بن يزيد فيه ما تنفسه الآية فقوله تعالى ما كان أنبي أن يكون له أسرى يعني ما كان ينبغي ولا يجب لنبي وقال أبو عبيدة معنم لم يكن لنبي ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى ما كان لنبي أن يجبس كافر اقدر عليه وصار في يده أسير للفداء والمثل والاسرى جمع أسير وأسارى جمع الجمع (حتى يشخن في الارض) الانحان في كل شيء عبارة عن قوته وشدة به يقال انحنه المرض اذا اشتدت قوته عليه والمعنى حتى يبلغ في قتال المشركين ويغلبهم ويقهرهم فاذا حصل ذلك فلان ان يقدم على الاسرى فيأسر الاسارى (تر بدون عرض الدنيا) الخطاب لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعني تر بدون أيها المؤمنون عرض الدنيا باخذكم الفداء من المشركين واعاسمي منافع الدنيا عرضا لانه لا ثبات لها ولا دوام فكانها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الآخرة فانها دائمة لا انقطاع لها وقوله سبحانه وتعالى (والله ير بد الآخرة) يعني انه سبحانه وتعالى ير بدل لكم ثواب الآخرة بقرهم المشركين ونصركم الدين لانها دائمة بلا زوال ولا انقطاع (والله عزير) لا يظهر ولا يغلب (حكيم) يعني في تدبيره ما عاده قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمؤمنون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله سبحانه وتعالى في الاسارى فاما ما نأخذ



أى كفاك الله وكفاك أنباك من المؤمنين قيل أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة أسلم عمر فزلت (بأبها  
النبي حرض المؤمنين على القتال) (٢٠٨) العريض المبالغة في الحث على الأمر من الحرض وهو أن ينهكه المرض

حتى يشرف على الموت  
ان يكن منكم عشرون  
صابرون يغلبوا مائتين  
وان يكن منكم مائة يغلبوا  
ألفا من الذين كفروا وهذه  
عدو من الله وبشارة بان  
الجماعة من المؤمنين ان  
صبروا وغلبوا عشرة أمثالهم  
من الكفار يعون الله  
وتأييده (بأنهم قوم  
لا يفقهون) بسبب ان  
الكفار قوم جهلة يقاتلون  
على غير احتساب وطلب  
نوابك لطلبهم فيقتل ثباتهم  
ويعدمون لجهلهم بالله  
نصرته بخلاف من يقاتل  
على بصيرة وهو رجو  
النصر من الله قيل كان  
عليهم أن لا يفر واوشيت  
الواحد للعشرة ثم قتل  
عليهم ذلك ففسخ وخفف  
عنهم بمقاومة الواحد الاثنتين  
بقوله (الآن خفف الله عنكم  
وعلم أن فيكم ضعفا) ضعفا  
عاصم وحزة (فان يكن  
منكم مائة صابرة) بالياء فيهما  
كوفي واقفه البصري في  
الاولى والمراد الضعفي  
البدن (يغلبوا مائتين وان  
يكن منكم ألف يغلبوا  
ألفين باذن الله والله مع  
الصابرين) وانكسر بمقاومة  
الجماعة لا كثرتها مبرين  
قبل التخفيف بعده

في غزوة بدر وقيل القتال على هذا القول أراد بقوله تعالى ومن اتبعك من المؤمنين يعني الى الغزوة بدر وقيل  
أراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الاضمار وتكون الآية نزلت بالمدينة وقيل أراد جميع المهاجرين  
والانصار ومعنى الآية يا أيها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين وقيل معناه حسبك الله  
ومتبعوك من المؤمنين في قوله عز وجل (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) يعني حثهم على قتال  
عدوهم والتحرّض في اللغة الحث على الشيء بكثرة التزبب ونهيل الخطاب فيه كأنه في الأصل ازالة الحرض  
وهو الهلاك (ان يكن منكم عشرون) يعني رجلا (صابرون) يعني عند اللقاء محتسبين أنفسهم يغلبوا  
مائتين يعني من عدوهم وظاهر لفظ الآية خبر ومعناه الأمر فكانه تعالى قال ان يكن منكم عشرون فيصابروا  
وأيضا هو في قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين ويدل على أن المراد بهذا الخبر الأمر قوله الآن خفف الله عنكم  
لان النسخ لا يدخل على الاخبار إنما يدخل على الأمر فدل ذلك على أن الله سبحانه وتعالى أوجب وأعلى  
المؤمنين هذا الحكم وإنما حسن هذا التكليف لان الله وعدهم بالنصر ومن تكفل الله بالنصر سهل عليه  
الثبات مع الاعداء (وان يكن منكم مائة) يعني صابرة (يغلبوا ألفا من الذين كفروا) خاصة وجوب  
ثبات الواحد من المؤمنين في مقابلة العشرة من الكفار ذلك (بأنهم قوم لا يفقهون) يعني ان المشركين لا  
يقاتلون لطلب ثواب وخوف عقاب إنما يقاتلون حية فاذا قدموهم في القتال فانهم لا يشعرون معهم (الآن  
خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين  
باذن الله) (خ) عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم أن  
لا يفر واحد من عشرة ولا عشرون من مائتين ثم نزلت الآن خفف الله عنكم الآية فكتب أن لا يفر مائة من  
مائتين وفي رواية أخرى عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على  
المسلمين فزلت الآن خفف الله عنكم الآية فمما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من العسير بقدر  
ما خفف عنهم فظاهر هذا ان قوله سبحانه وتعالى الآن خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم في الآية الاولى وكان  
هذا الأمر يوم بدر فرض الله سبحانه وتعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين  
فقل ذلك على المؤمنين فزلت الآن خفف الله عنكم أيها المؤمنون وعلم أن فيكم ضعفا يعني في قتال الواحد  
للعشرة فان تمكن منكم مائة صابرة محتسبة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله فرد من  
العشرة الى الاثنتين فاذا كان المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز لهم أن يفر واما رجل فر من  
ثلاثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فر (والله مع الصابرين) يعني بالنصر والمعونة قال سفيان قال ابن شبرمة  
وأرى الأمر بالهروف والنهي عن المشرك مثل ذلك في قوله تعالى (ما كان لشي أن تكون له أسرى)  
روى عن عبد الله بن مسعود قال ما كان يوم بدر وحي بالأسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا  
في هؤلاء فقال أبو بكر يارسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأمنهم لعل الله أن يتوب عليهم وخنسهم  
فدية تكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يارسول الله كذبوك وأخرجوك فدهم فاضرب أعناقهم مكن  
عليهم عقال فاضرب عنقه ومكن حزة من العباس فاضرب عنقه ومكن من فلان نسيب لعمرك فاضرب  
عنقه فان هؤلاء أمم الكفر وقال عبد الله بن رواحة يارسول الله انظر واديا كثيرا الخطب فادخلهم فيه ثم  
أضرهم عليهم نار فقال له العباس فطمت رحلك فكسر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ثم دخل فقال  
ناس بأخذ بقول أبي بكر وقال ناس بأخذ بقول عمر وقال ناس بأخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فقال ان الله لا يبين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وبشدة قلوب رجال حتى تكون أشد

للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة لا تتفاوت اذا الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة  
لأنه وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالفين (ما ذنابي) ما صح له ولا اعتقاه (أن تكون له أسرى) ان تكون بصري من





رجلا قال لابن سبرين ان فلانا وصى بثلاث ماله للحصون فقال ابن سبرين يشتري به الخيل ويربطها في سبيل الله وقال عكرمة القوة الحصون ومن رباط الخيل يعني الاناث وجه هذا ان العرب ربط الاناث من الخيل بالانفيس للنسب وروى ان خالد بن الوليد كان لا يربك في القتال الا الاناث لقلة صهيلها وعن ابن حجر زقال كانت الصحابة يستحبون ذكر الخيل عند الصفوف واثاث الخيل عند الشنات والغارات وقيل رباط الفحول أولى من الاناث لانها أقوى على السكر والفرو والعدو فكانت الحمار به عليها أولى من الاناث وقيل ان لفظا الخيل عام فيتناول الفحول والاناث فاي ذلك رباط بنية الفزاة كان في سبيل الله (ق) عن عروة ابن الجعد الباري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والنعمة (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة (خ) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسه في سبيل الله ابعانا الله وتصدىقا بوعده فان شبعه ووربه وورثه بوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاثة هي لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فما الذي هي له أجر فرجل رباطها في سبيل الله زاد في رواية لاهل الاسلام فاطل لها في مرج أو روضة فاضا صابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كان له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرقا أو شرفين كانت له آثارها واوراثها حسنات ولو انها مرت بنهر فستر بت منه ولم يرد ان يسقطها كان ذلك له حسنات فهي لذلك الرجل أجر ورجل رباطها تغنيها وتغنيها ولم ينسحق الله في رقابها ولا ظهورها فهي لذلك الرجل ستر ورجل رباطها خراور ياء نوا لاهل الاسلام فهي على ذلك وزر وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجرح فقال ما نزل على قبهائشي الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الطيل الحبل الذي يشده به العرس وقت الرعي والاستئمان الجري والشرف الشوط الذي تجري فيه الفرس وقوله تغنيها يعني استغناء بها عن الطالب لما في أيدي الناس أما حق ظهورها فهو ان يحمل عليها منقطع طعا الى أهله وأما حق رقابها فقبيل أراد به الاحسان اليها وقيل أراد به الجمل عليها فغير بالريقة عن الذات وقوله نوا لاهل الاسلام النوا المعادة يقال نوات الرجل مناواة اذا عادته وقوله تعالى (ترهبون به عدو الله وعدوكم) يعني تخوفون بتلك القوة وبذلك الرباط عدو الله وعدوكم يعني الكفار من أهل مكة وغيرهم وقال ابن عباس تخزون به عدو الله وعدوكم وذلك لان الكفار اذا علموا ان المسلمين متأهبون للجهاد مستعدون له مستكملون لجميع الاسلحة وآلات الحرب واعداد الخيل مرسوطة للجهاد خافوهم فلا يقصدون دخول دار الاسلام بل يصبر ذلك سببا لدخول الكفار في الاسلام أو بذل الجزية للمسلمين وقوله تعالى (وأخبر من دونهم) يعني وترهبون آخرين من دونهم اختلف العلماء فيهم فقال مجاهد هم بنو قريظة وقال السدي هم فارس وقال ابن زيد هم المنافقون لقوله تعالى (لا تعلمونهم) لانهم معكم يقولون بالسنتهم لاله الا الله (الله يعلمهم) يعني انهم منافقون وأورد على هذا القول ان المنافقين لا يقاتلون لظاهرهم كله الاسلام فكيف يخوفون باعدا القوة ورباط الخيل وأجيب عن هذا البراد ان المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آلائهم وأساعدهم كان ذلك مما يخوفهم ويحزنهم فكان في ذلك ارهابهم وقال الحسن هم كفار الجن وصحح هذا القول الطبري قال لان الله تعالى قال لا تعلمونهم ولا شك ان المؤمنين كانوا علمين بعد اورة قريظة وفارس لعلمهم باتهم مشركون ولانهم حارب المؤمنين أما الجن فلا يعلمونهم الله يعلمهم يعني يعلم أحوالهم وأما كنهم دونكم وبعض هذا القول ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الجن وان الشيطان لا يجبل لأحد في داره فارس عتيق ذكر هذا الحديث ابن الجزري وغيره من المفسرين بغير اسناد وقال الحسن ههبل الخيل رهب الجن وقوله سبحانه وتعالى (وما تنفقوا من شيء في سبيل الله)

وميكال (ترهبون به) بما استنظم (عدو الله وعدوكم) أي أهل مكة (وأخبر من دونهم) غيرهم وهم اليهود أو المنافقون أو أهل فارس أو كفرة الجن في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دار فيها فرس عتيق وروى ان ههبل الخيل رهب الجن (لا تعلمونهم) لا تعرفونهم باعيانهم (الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله

حاجة للأمام الى ان ينزل العهد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة  
وهذا في ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرهم الا وجش رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهران  
وذلك على أربع فراسخ من مكة وقوله تعالى (ولا تحسبن) قرى بالناء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم  
والمعنى ولا تحسبن بالحمد (الذين كفروا سبوا) يعني قاتلوا وانهم ما يوم يدورق بالياء على الغيبة ومعناه  
ولا يحسبن الذين كفروا سبوا يعني خاصوا من القتل والاسر يوم بدر (انهم لا يجزون) يعني انهم بهذا  
السبق لا يجزون الله من الانتقام منهم ما في الدنيا بالقتل وما في الآخرة عذاب النار وفيه تسليبة للنبي صلى  
الله عليه وسلم فيمن قاتله من المشركين ولم يقاتله الله انهم لا يجزونه <sup>في</sup> قوله عز وجل (وأعدوا  
لهم ما استطعتم من قوة) الاعداد اتخذوا الشيء لوقت الحاجة اليه في الراد بالقدرة افعال اعدوها كلها جميع  
أنواع الاسلحة والآلات التي تكون لكفة وفي الحرب على قتال عدوك \* الثاني انها الحصون والمعاقل  
الثالث الرمي وقد جاءت مبصرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيمارواه عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة لان القوة الرمي ثلاثا أخرجه مسلم  
(خ) عن أبي أسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صفقتا القرين اذ اذأ كتبوكم يعني  
غشوكم وفي رواية أكثركم فارمهم واستبقوا نبلكم وفي رواية اذأ كتبوكم فعليكم بالنبل (م) عن عقبة  
ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم ويكفكم الله فلا يجز أحدكم  
ان يلهو باسمهم (م) عن قتيبة بن عامر يختلف بين هذين الغرضين وأنت شيخ كبير  
يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعانه قال قلت وما ذلك قال  
سمعت يقول من فعل الرمي ثم تركه فليس منا وقد عصى عن أبي نجيح السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يقول من بلغ بهم فهو له درجة في الجنة فبلغت يومئذ عشرين أسهم قال وسمعت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر أخرجه النسائي والترمذي بمعناه وعنده قال  
عدل رقية محرر وأخرجه أبو داود ايضا عن عقبة بن عامر بمعناه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول ان الله عز وجل ليدخلن بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعهم بحسب في عمله الخبير والرامي به والمعد به  
وفي رواية ومنسلة فارموا واركبوا وان ترموا أحب الي من أن تركوا كل هو باطل ليس من الله محمود الا  
ثلاثة ناديب الرجل فرسه ولاعبته أهله ورميه بقوسه أي نبله فانه من الحق ومن ترك الرمي بعد  
ما علمه رغبة عنه فانها عنة تركها أو كفرها أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي مختصرا الى نبله (خ) عن  
سامة بن الأكو عن قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم يتضاضون بالقوس فقال النبي صلى الله عليه  
وسلم ارموا بني اسمعيل فان أياكم كان رمايما رموا أو أياكم بني فلان فامسك أحد الفريقين بأيديهم فقال  
النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم لا ترمون فقالوا كيف نرمي وأنت معهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا  
وأنا معكم كلكم \* القول الرابع ان الراد بالقوة جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو فكل ما هو آلة  
يستعان بها في الجهاد فهو من جلة القوة المأمور باستعدادها وقوله صلى الله عليه وسلم الا ان القوة الرمي  
لا ينبغي كون غير الرمي من القوة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقوله الندم توبه فهذا لا ينبغي اعتبار  
غيره بل يدل على ان هذا المذكور من أفضل المقصود وأجله فكذلكهاهنا نحن على الاستعداد للقتال  
في الحرب وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الآلات كالرمي بالنبل والنفشاب والسيوف والدرع وتعليم القروسية  
كل ذلك مأمور به الا انه من فروض الكفاية <sup>في</sup> وقوله تعالى (ومن رباط الخيل) يعني اقتناءها ورابطها  
لأغراض سبيل الله والربط شد الغرس وغيره بالمكان للحفظ وسمى المكان الذي يحص بقامة حفظه فيه  
رباطا والمرابطة إقامة المسلمين بالتعزز لحراسة فيها وربط الخيل للجها من أعظم ما يستعان به روى ان

وبالناء وكسر السين غيرهم  
(الذين كفروا سبوا)  
قاتلوا وأقتلوا من أن يظفر  
بهم (انهم لا يجزون) انهم  
لا يفتنون ولا يجدون طابهم  
عاجزا عن ادراكهم انهم  
شامى أي لانهم وكل واحدة  
من المكسورة والمفتوحة  
تعليق غير ان المكسورة  
على طريقة الاستئناف  
والمفتوحة تعليق صريح  
فن قرأ بالناء فالذين كفروا  
مفعول أول والثاني سبوا  
ومن قسرا بالياء فالذين  
كفروا فاضل وسبوا  
مفعول تقديره ان سبوا  
خوف ان وان مخففة من  
الثقل أي انهم سبوا قيد  
مسند المفعولين أو يكون  
الفاعل مضمر أي ولا  
يحسبن محمد الكافرين  
سابقين ومن ادعى تفرد  
حزرة بالقراءة فيه نظرا لما  
ينامن عدم تفرد بهاد عن  
الزهري انها زلت فيمن  
أقلت من قبل المشركين  
(وأعدوا) أيها المؤمنون  
(لهم) لنا نقضي العهد أو  
لجميع الكفار (ما استطعتم  
من قوة) من كل ما يتقوى  
به في الحرب من عدها  
وفي الحديث أن القوة  
الرمي قالها ثلاثا على المنبر  
وقبل هي الحصون (ومن  
رباط الخيل) هو اسم  
للخيل التي تربط في سبيل  
الله أو هو سوجر ربط

الذين كفروا فهم لا يؤمنون)  
 أى أصروا على الكفر فلا  
 يتسوق منهم الإيمان  
 (الذين عاهدت منهم)  
 بدل من الذين كفروا أى  
 الذين عاهدتهم من الذين  
 كفروا وجعلهم شر الدواب  
 لان شر الناس الكفار  
 وشر الكفار المصرون  
 وشر المصربن الناكثون  
 لليهود (ثم ينقضون عهدهم  
 في كل مرة) في كل معاهدة  
 (وهم لا يتقون) لا يخافون  
 عاقبة الغدر ولا يبالون بما  
 فيه من الدار والنار (فاما  
 تنقضهم في الحرب) فاما  
 تصادفهم وتظفرن بهم  
 (ففسد بهم من خلفهم)  
 ففسد عن محاربته  
 ومناصبتك بقتلهم شر قتلة  
 والنكابة فيهم من وراءهم  
 من الكفرة حتى لا يجسر  
 عليك بعدهم أحدا اعتبارا  
 بهم وانما ظالمناهم وقال  
 الزجاج اقل بهم ماتفرق  
 به جمعهم وتطرد به من  
 عداهم (لعلهم يذكرون)  
 لعل المشركين من وراءهم  
 يتعظون (واما تخافن من  
 قوم) معاهدين (خيانة)  
 نكتنابا مرات تلوح لك  
 (فانذروهم) فاطح اليهم  
 العهد (على سواء) على  
 استواء منك ومنهم في الم  
 بنقض العهد وهو حال  
 من النابذ والنبوذ اليهم  
 أى حاصلين على استواء في العلم

يعنى الاولين والآخرين فان مات ما الفائدة في تكرير هذه الآية مرة ثانية قلت فيها فوائد منها ان الكلام  
 الثاني يجري مجرى لتفصيل للكلام الاول لان الآية الاولى فيها ذكر أخذهم وفي الآية الثانية ذكر اغراقهم  
 فهذه تفسير لاولى الفائدة الثانية اهذه ذكر في الآية الاولى انهم كفروا بابايات الله وفي الآية الثانية انهم كذبوا  
 بايات ربهم وفي الآية الاولى اشارة الى انهم أنكروا آيات الله وسجدوا وفي الآية الثانية اشارة الى انهم  
 كذبوا بها مع سجودهم لها وكفرهم بها الفائدة الثالثة ان تكرير هذه القصة للتأكيدي في قوله كذبوا بابايات  
 ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحد الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنب ﴿قوله تعالى﴾ (ان شر  
 الدواب عند الله) يعنى في علمه وحكمه (الذين كفروا فهم لا يؤمنون) والمعنى ان شر الدواب من الانس  
 الكفار المصرون على الكفر زلت في يهود بنى في يطة رحط كعب بن الاشرف (الذين عاهدت منهم) قيل  
 من صلة يعنى الذين عاهدتهم وفى لى للتبعيض لان المعاهدة مع بعض القوم وهم الرؤساء والاشراف (ثم  
 ينقضون عهدهم في كل مرة) قال المفسرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهدي يهود بنى في يطة أن لا  
 يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد وأعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وأصحابه ثم قالوا انسينا وأخطأنا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد أيضا وما لؤ الكفار على رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فواقهم على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهم  
 لا يتقون) يعنى انهم لا يخافون الله في نقض العهد لان عادة من يرجع الى دين وعقل وحزم ان يبقى نقض  
 العهد حتى يسكن الناس الى قوله وبقون بكلامه فبين الله عز وجل ان من جمع بين الكفر ونقض العهد  
 فهو من شر الدواب (فاما تنقضهم في الحرب) يعنى فاما تجدن هؤلاء الذين نقضوا العهد وتظفرن بهم في الحرب  
 (فسرد بهم من خلفهم) قال ابن عباس معناه فتنكل بهم من وراءهم وقال سعيد بن جبيرة انذر بهم من خلفهم  
 وأصل التسر يد في اللغة التفرق مع اضطراب ومعنى الآية انك اذا ظفرت بهؤلاء الكفار الذين نقضوا  
 العهد فاقبل بهم فعلا من القتل والتنكيل تفريقه بجمع كل ناقض للعهد حتى يخافك من وراءهم من أهل مكة  
 واليمن (لعلهم يذكرون) يعنى اهل ذلك النكال ينعمهم من نقض العهد (واما تخافن) يعنى واما نعلمنا بمحمد  
 (من قوم) يعنى معاهدين (خيانة) يعنى نقض العهد بما يظهر لك منهم من آثار الغدر كما ظهر من بنى في يطة  
 والنضير (فانذروهم) أى فاطرح (اليهم) يعنى عهدهم وارم به اليهم (على سواء) يعنى على طريق ظاهر مستو  
 يعنى أعلمهم قبل حربك باهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض  
 العهد سواء فلا يتوهمون انك نقضت العهد ولا ينصب الحرب معهم (ان الله لا يحب الخائنين) يعنى في نقض  
 العهد عن سليم بن عامر عن رجل من حبيرو قال كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم  
 ليقر بحتى اذا انقضى العهد غزاهم فجاءه رجل على فرس أو برذون وهو يقول الله اكبر الله اكبر فوافاه  
 لاغدر افاذ هو عمرو بن عبسة فارسل اليه معاوية فأنه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول  
 من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقده ولا يجاها حتى ينقضى أمدها أو ينذ اليهم على سواء فراجع معاوية  
 أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي عن سليم بن عامر نفسه بلاز باذرة رجل من حبيرو عنده الله اكبر مرة  
 واحدة وفيه جاء على دابة أو فرس وأما حكم الآية فقال أهل العلم اذا ظهرت آثار نقض العهد من هادنهم الامام  
 من المشركين بامر ظاهر مستفيض استغنى الامام عن نذ العهد واعلامهم بالحرب وان ظهرت الخيانة  
 بامارات تلوح وتضغ لمن غير أمر مستفيض خيفة فيجب على الامام ان ينذ اليهم العهد ويعلمهم بالحرب  
 وذلك لان فرقة كانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم أجابوا بأباسفيان ومن معه من المشركين الى  
 مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وبصحابه  
 فنهى باتباع على الامام ان ينذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب وأما اذا ظهر نقض العهد وظهور ما قطعوا به فلا

(وذوقوا) ويقولون لهم وذوقوا معطوف على يضربون (عذاب الحريق) أي مقدمة عذاب النار وذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به أو يقال لهم يوم القيامة وذوقوا جوابا لو عذوف أي رأيت أمرا فظيلا (ذلك بما قدمت أيديكم) أي كسبت وهو رد على الجبرية وهو من كلام الله تعالى أومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره (وأن الله) عطف عليه أي ذلك العذاب بسببين بسبب كفرهم ومعاصيهم وبأن الله (ليس بظلام للعبيد) لأن تعذيب الكفار من العدل وقيل ظلام للكثير (٢٠٣) لاجل العبيد ولتفي أنواع الظلم الكافي (كذاب

الفرعون) في محل الرفع أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه أي داوموا عليه (والذين من قبلهم) من قبل قريش وأمن قبل آل فرعون (كفروا) تفسير لدأب آل فرعون (بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم) أي الله قوي شديد العقاب (والذين جروا على عادتهم في التكذيب فأجرى عليهم مثل ما فعل بهم في التعذيب (ذلك) العذاب أو الانتقام (بأن الله لم يترك مغفرا) نعمه أنعمها على قوم حتى يغير وأما بانفسهم) بسبب أن الله لم يصح في حكمته أن يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال نعم لم يكن لآل فرعون ومشركي مكة حال مرضية فيفسروها إلى حال مسخوطة لكن لما تغيرت الحال المرضية إلى المسخوطة تغيرت الحال المسخوطة إلى أسخط

أجسادهم وأدبر يعني يضربون جميع أجسادهم (وذوقوا عذاب الحريق) يعني وتقول لهم الملائكة عند القتل وذوقوا عذاب الحريق قيل كان مع الملائكة مقامع من حديد محمية بالنار يضربون بها الكفار فتلتهب النار في جراحاتهم وقال ابن عباس تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت وقال الحسن هذه أيام القيامة تقول لهم الزبانية وذوقوا عذاب الحريق (ذلك) يعني الذي نزل بكم من القتل والضرب والحريق (بما قدمت أيديكم) يعني أنما حصل لكم ذلك بسبب ما كسبت أيديكم من الكفر والمعاصي فإن قلت اليد ليست محلا للكفر وإنما محله القلب لأن الكفر اعتقاد والاعتقاد محله القلب وظاهر الآية يقتضي أن فاعل هذا الكفر هي اليد وذلك ممنوع قلت اليد هنا عبارة عن القدرة لأن اليد آلة العمل والقدرة هي المؤثرة في العمل فاليد كناية عن القدرة وقوله تعالى (وأن الله ليس بظلام للعبيد) يعني أنه سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا من خلقه إلا بجرم اجترمه لأنه لا يظلم أحدا من خلقه وإعاني الظلم عن نفسه مع أنه يعذب الكافر على كفره والعاصي على عصيانه لأنه يتصرف في ملكه كيف شاء ومن كان كذلك استحال نسبة الظلم إليه فلا يتوهم متوهم أنه سبحانه وتعالى مع خلقه كفر الكافر وتعذيبه عليهم ظلم فلذلك قال الله سبحانه وتعالى (وأن الله ليس بظلام للعبيد) لأنهم في ملكه ونحت قدرته فهو يتصرف بهم كيف يشاء وقوله تعالى (كذاب آل فرعون) يعني أن عادة هؤلاء الكفار في كفرهم كعادة آل فرعون في كفرهم فجوزي هؤلاء بالقتل والأسر يوم بدر كما جوزي آل فرعون بالأغراق وأصل الدأب في اللغة أدامة العمل يقال فلان يدأب في كذا وكذا أي داوم عليه ويتعب نفسه فيه سميت الأداة بالان لأن الإنسان يداوم على عادته ويواظب عليها قال ابن عباس معناه أن آل فرعون أيقنوا أن موسى عليه السلام نبى من الله تعالى فكذبوه فكذا هؤلاء لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق كذبوه فآزال الله بهم عقوبته كما نزل بالفرعون (والذين من قبلهم) يعني من قبل آل فرعون (كفروا بآيات الله) يعني أن عادة الأمم السالفة هو كفرهم بآيات الله (فأخذهم الله بذنوبهم) يعني بسبب كفرهم وذنوبهم (أن الله قوي) يعني في أخذه وانتقامه عن كفره وكذب رسوله (شديد العقاب) يعني لمن كفر به وكذب رسوله (ذلك بأن الله لم يترك مغفرا) نعمه أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم) يعني أن الله سبحانه وتعالى أنعم على أهل مكة بأن أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وبعث إليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فقبلاوا هذه النعمة بأن تركوا شكره واكذبوا رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وغيروا ما بانفسهم فسلبهم الله سبحانه وتعالى النعمة وأخذهم بالعقاب قال السدي نعمه الله هو محمد صلى الله عليه وسلم أنعم به على قريش فكفروا به وكذبوه ففقد الله تعالى الإناصير (وأن الله سميع) يعني لا أقوال خلقه لا يخفى عليه شيء من كلامهم (عليهم) يعني بما في صدورهم من خبر وشئ فيجازي كل واحد على عمله (كذاب آل فرعون) يعني أن هؤلاء الكفار الذين قتلوا يوم بدر وغيروا نعمة الله عليهم كصنيع آل فرعون (والذين من قبلهم) كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم) يعني أهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخشف وبعضهم بالجاراة وبعضهم بالرجوع وبعضهم بالمسخ فكذاك أهلكنا كفار قريش بالسيف (وأغرقت آل فرعون وكل كانوا ظالمين)

منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث إليهم بالآيات فكذبوه وسعوا في إراقة دمه غيروا حالهم إلى أسوأ مما كانت فيغير الله ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب (وأن الله سميع) لما يقول مكذبوا الرسل (عليهم) بما يفعلون (كذاب آل فرعون) تكبر رلتا كيد أولان في الأولى الأخذ بالذنوب بلا بيان ذلك وهما تبين أن ذلك هو الأهلاك والاستئصال (والذين من قبلهم) كذبوا بآيات ربهم) وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجود الحق (فاهلكناهم بذنوبهم) وأغرقت آل فرعون (بما البحر) وكل) وكاهم من غرق القبط وقتل قريش (كانوا ظالمين) أنفسهم بالكفر والمعاصي

وانه ما شرت بمسيركم حتى  
بلغتني هزيمكم فلما سلموا  
علوا أنه الشيطان (انى  
أخاف الله) أى عقوبته  
(والله شديد العقاب)  
اذكروا (اذ يقول  
المنافقون) بالمدينة (والذين  
فى قلوبهم مرض) هومن  
صفة المنافقين أو أريد  
والذين هم على حرف ليسوا  
بشأنى الاقدام فى الاسلام  
(غرهؤلاء بينهم) يعنون  
ان المسلمين اغتروا بينهم  
فخرجوا وهم ثلثائة وبعة  
عشر الى زهاء ألف ثم قال  
جوابهم (ومن يتوكل  
على الله) بكل اليه أمره  
(فان الله عزيز)  
يسلط القليل الضيف على  
الكثير القوى (حكيم)  
لايسوى بين وليه وعدوه  
(ولو ترى) ولو عاينت  
وشاهدت لان لو ترد  
المصارع الى معنى الماضى  
كأنتردان الماضى الى معنى  
الاستقبال (اذ) نصب على  
الظرف (يتوفى الذين  
كفروا) يقضى أرواحهم  
(الملائكة) فاعل  
(يضر بون) حال منهم  
(وجوههم) اذا أقبلوا  
(وأدبارهم) ظهورهم  
وأستاههم اذا أدبروا أو  
وجوههم عند الاقدام  
وأدبارهم عند الانهزام

افرار من غير قتال وجعل يسكه فدفع فى صدره وانطلق فانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هم الناس  
سراقه فبلغ ذلك سراقه فقال بلغنى أنكم تقولون انى هزمت الناس فوالله ما شرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمكم  
فقالوا أما يتفانى يوم كذا وكذا اخلف لهم فلما سلموا علوا أن ذلك كان شيطانا قال الحسن فى قوله (انى  
أرى مالاترون) قال رأى ابليس جبريل عليه السلام مع تجرأ يرد مشى بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وفى  
يده الاجام يقود الفرس ماركب وقال قتادة قال ابليس انى أرى مالاترون وصدق وقال انى أخاف الله وكذب  
ما به خفاة الله ولكن علم أنه لا قوة له ولا منعة فأوردهم وأسلمهم وتلك عادة عدو الله ابليس لمن أطاعه اذا  
التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ منهم وقيل انه خاف أن يهلك فيمن هلك وقيل خاف أن يأخذه جبريل  
فيعرف حاله فلا يطيعوه وقيل معناه (انى أخاف الله) أعلم صدق وعده ولا يائيه لانه كان على ثقة من أمر به  
وقيل لما رأى الملائكة قد نزلت من السماء خاف أن تكون القيامة (والله شديد العقاب) قيل معناه انى  
أخاف الله لانه شديد العقاب فعلى هذا يكون من تمام قول ابليس وقيل تم كلامه عند قوله انى أخاف الله  
وقوله تعالى والله شديد العقاب ابتداء كلام بقوله الله سبحانه وتعالى والله شديد العقاب لمن خالف الله  
وكفر به عن طلحة بن عبيد الله بن كز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رى الشيطان يوما هو فيه  
أصغر ولا أدرى ولا أحقر ولا أعظم منه فى يوم عرفه وما ذاك الا لما رى من نزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب  
العظام الامار أى يوم بدر فانه قد رأى جبريل يزع الملائكة أخرجهما لك فى الموطن قوله ولا أدرى هو بالبال  
والحاء المهملتين من الدحور وهو الالبعاد والطر دمع الالهانة وقوله يزع الملائكة أى يكتهم ويحبسهم لثلاث  
يتقدم بعضهم على بعض والوازع هو الذى يتقدم ويتأخر فى الصف ليصلحه فان قلت كيف يقدر ابليس  
على أن يتصور بصورة البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا قلت ان الله عز وجل أعطاه  
قوة وأقدره على ذلك كما أعطى الملائكة قوة وأقدرهم على أن ينشكروا بصورة البشر لكن النفس الباطنة  
لم تتغير فربما من تغير الصورة تغير الحقيقة قوله عز وجل (اذ يقول المنافقون) يعنى من أهل المدينة  
(والذين فى قلوبهم مرض) أى شك وارتباب وهم قوم من أهل مكة تنكروا بالاسلام ولم يقولوا بالاسلام فى  
قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما  
نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا (غرهؤلاء بينهم) يعنى ان هؤلاء نفر قليلون يقاتلون أنضعافهم  
فقد غرهم بينهم الاسلام على ذلك وحملهم على قتل أنفسهم رجاء الثواب فى الآخرة فقتلوا جميعا يوم بدر  
وقال مجاهد ان فتنة قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وبوقيس بن الفاكه بن المغيرة والحرب بن  
زعة بن الاسود بن المطلب وعلى بن أمية بن خاف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة  
وهم على الارتباب فحبسهم ارتبابهم فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غرهؤلاء بينهم ثم  
قال تعالى (ومن يتوكل على الله) يعنى ومن يسلم أمره الى الله ويتق بفضله ويعول على احسانه (فان الله)  
حافظه ناصره لانه (عزيز) لا يغلبه شئ (حكيم) فيأقضى وحكم فيوصل الثواب الى أوليائه والعقاب الى  
أعدائه قوله عز وجل (ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) يعنى ولوعاينت بالمجد وشاهدت اذ  
تقبض الملائكة أرواح الذين كفروا وعند الموت لرأيت أمر اعظما ومنظرا فظيعا وعذابا شديدا ينالهم فى  
ذلك الوقت (يضر بون وجوههم وأدبارهم) اختلفوا فى وقت هذا الضرب فقيل هو عند الموت تضرب  
الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم بسياط من نار وقيل ان الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملائكة  
تضرب وجوههم وأدبارهم وقال ابن عباس كان المشركون اذا أقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربت  
الملائكة وجوههم بالسيف واذا أدبروا أدبارهم ضربت الملائكة أدبارهم وقال ابن جرير يوم أقبل من

وقيل فى يتوفى ضمير الله تعالى والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضر بون خبره والاول الوجه لان الكفار

لا يستحقون أن يكون الله متوفهم بلا واسطة دليله قراءة ابن عباس يتوفى باتاءه



ورثاء الناس) هاهنا مكة حين نفر والحماية العرفا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجوعا فقد سلمت غيركم فأتى أبو جهل وقال حتى تقدم بدرنا وأنشرب بها الخمر وتنجح الجزور ونعزف علينا القيان ونظم بها العرب فذلك (٢٠١) بطرهم ورواؤه الناس باطعهم

فوافوها فسقوا كؤوس  
النما مكان الخمر وناحت  
عليهم النوائح مكان القيان  
فنهاهم أن يكونوا مثلهم  
بطر بن طربين مرانين  
بأعمالهم وأن يكونوا من  
أهل التقوى والكفاية  
والخزن من خشية الله  
مخلصين أعمالهم لله والبطر  
أن تشغله كثرة النعمة عن  
شكرها (و يصدون عن  
سبيل الله) دين الله (والله  
بما يعملون محيط) عالم  
وهو وعيد (واذن بن طم  
الشیطان أعمالهم وقال  
لأغلب لكم اليوم من  
الناس) واذا كراذن بن  
طم الشيطان أعمالهم  
التي عملوا في معاداة رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
ووسوس اليهم انهم  
لا يهابون وغالب مبنى نحو  
لأرجل ولكم في موضع رفع  
خبر لا تقدره لأغلب كأن  
لكم (واني جار لكم) أي  
مجير لكم وهمهم ان طاعة  
الشیطان مما يجيرهم  
(فلما تراءت الفئتان) فلما  
تلاقى الفريقان (نكص)  
الشیطان هاربا (على  
عقبه) أي رجع القهقري  
(وقال اني بركم منكم) أي  
رجعت عما ضمنت لكم  
من الامان روى ان ابليس

عليهم (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخموا لقاء العدو فداء القبتموهم فاصبروا  
فوله عز وجل (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا) يعني نخرا وأشرأوا وقيل البطر الطغيان  
في النعمة وذلك أن النعم إذا كثرت من الله تعالى على العبد فإن صرفه في المغاخرة على الاقران وكأثر بها  
أبناء الزمان وأفقها في غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر في النعمة وان صرفه في طاعة الله وابتغاء  
مرضاته فذلك شكرها وهذا معنى قول الزجاج البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها (ورثاء الناس)  
الرياء اظهار الجليل لبراه الناس مع ابطان القبيح والفرق بين الرياء والنفاق ان النفاق اظهار اليمان مع  
ابطان الكفر والرياء اظهار الطاعة مع ابطان المصيبة (و يصدون عن سبيل الله) يعني ويمنعون الناس  
عن الدخول في دين الله تزلت هذه الآية في كفار قريش حين خرجوا الى بدر ولم يفرقوا بيني فقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلها وغرهماجادول وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي  
وعدتني به قال ابن عباس ان أسفيان لما رأى انه قد أحرز عيره أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لقتلنا  
عديركم ورحالكم وأموالكم فقد نجحنا الله فالرجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نرى دبر دواكل في بدر  
موسم من مواسم العرب يجتمع لهم مهاووق في كل عام قال فتقيم عليها ثلاثا وتخرج الجزور ونظم الطعام  
ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسبح بنا العرب فلما رآوا نونا أبادا فمضوا زاد غيره قال فلما أوفوا  
بدر اسقوا كؤوس الحمام عوضا عن الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم الله عبادته المؤمنين أن  
يكونوا مثلهم والمعنى لا يكونن أمركم المؤمنين رياء وسوسة ولا لئام من أعند الناس ولكن أخلصوا  
الله عز وجل النية وقانوا بحسبة في نصر دينكم وموازة بكم صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا الا لئام ولا تطلبوا  
غيره (وقوله تعالى (والله بما يعملون محيط) فيه وعيد وتهديد يعني انه تعالى عالم بجميع الاشياء لا يخفى عن  
علمه شيء لانه محيط بأعمال العباد كما هي اجازي المحسنين ويعاقب المسيئين (وقوله سبحانه وتعالى (واذن بن  
طم الشيطان أعمالهم) يعني اذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم اذن بن الشيطان يريد ابليس للعشركين  
أعمالهم الخبيثة (وقال لأغلب لكم اليوم من الناس واني جار لكم) قال بعضهم كان تز بينه وسوسة ألغاه  
في قلوبهم من غير أن يتحول في صورة غير صورته وقال جهول والمفسر بن تصور ابليس في صورة سراقه بن  
مالك بن جعشم وكان تز بينه أن فر بشالما أجمع على المسير الى بدر ذكرت الذي ينهاه بين بني بكر بن  
الحرث من الحر وبفكاد ذلك أن بشنهم فتبدي لهم ابليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم المدحجي  
وكان من أشرف بني كنانة فقال أبا جار لكم من أن يأتيكم من كنانة شيء تنكرهونه فخر جوسرا عا وقال ابن  
عباس جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معاينة في صورة رجل من رجال بني مدلس سراقه بن مالك  
ابن جعشم فقال للمشركين لأغلب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اصطف الناس أخذ رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قبضة من التراب فمرى بها في وجود المشركين فلو لم يدبر بن وأقبل جبريل عليه السلام الى  
ابليس لعنه الله فلما رآه كانت يده في بدرجل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى مدبروا وشيعته فقال  
الرجل يا سراقه أنت عم انك جار لك فقال اني أرى ما لا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى  
الملائكة وقوله اني جار لكم يعني مجير لكم من كنانة (فلما تراءت الفئتان) أي التي الجمعان رأى ابليس الملائكة  
قد نزوا من السماء فلعن عدو الله ابليس أنه لا طاقة له بهم (نكص على عقبه وقال اني بركم منكم) يعني رجوع  
القهقري وولى مدبراهار باعلى قفاه وقال السكبي لما التي الجمعان كان ابليس في صف المشركين على صورة  
سراقه بن مالك بن جعشم وهو أخذ بيد الحرث بن هشام فكص عدو الله ابليس على عقبه فقال له الحارث

آمنوا اذا لقيتم فئة) اذا  
حاربتم جماعة من الكفار  
وترك وصفه الان المؤمنين  
ما كانوا يلقون الا الكفار  
واللقاء اسم غالب للقتال  
(فانبتوا) لقتالهم وانفروا  
(واذكروا الله كثيرا)  
في مواطن الحرب  
مستظهرين به داعين له  
مستنصرين به داعين له  
على عدوكم اللهم اخذهم  
اللهم اقطع دابرهم (اعلمكم  
تفلحون) تفلقون بمرادكم  
من النصر والتمت به وفيه  
اشعار بان على العبد أن  
لا يفتقرن ذكره بأشغل  
ما يكون قلبا أو أكثر  
ما يكون هموا وان تكون  
نفسه مجتمعة لذلك وان  
كانت متروكة عن غيره  
(وأطيعوا الله ورسوله) في  
الامر بالجهاد والنيات مع  
العدو وغيرهما (ولاننازعو  
فنفشلوا) فتجذبوا وهو  
منسوب باخماران وبدل  
عليه (وتذهب ريحكم)  
أي دولتكم يقال هبت رياح  
فلان اذا دالت له الدولة ونفذ  
أمره شبهت في نفوذ أمرها  
وتشبهت بالرياح وهو بها  
وقيل لم يكن نصر قط الا  
بريح يبعثها الله في الحديث  
نصرت بالصبا وأهلك  
عاد بالبور (واصبروا) في  
القتال مع العدو وغيره

ان العبر قد انصرفت فارجعوا فقال أبو جهل الآن اذبر زلسمك محمداً وأصحابه فلا ترجعوا حتى نستأصلهم انما  
محمداً وأصحابه كاة جزور يعني لقائهم في عينيه ثم قال فلا تقتلوه واربطوهم في الحبال يقول من القدرة التي  
في نفسه والحكمة في تقليل المشركين في أعين المؤمنين تصديقاً بربو بالذي صلى الله عليه وسلم واتقوا بذلك  
قلوب المؤمنين وتزداد جراتهم عليهم ولا يجنبوا عند قتالهم والحكمة في تقليل المؤمنين في أعين المشركين  
لثلاهم بواو اذا استعملوا عدد المسلمين لم يبالوا في الاستعداد والتهاب لقتالهم فيكون ذلك سبب الظهور  
المؤمنين عليهم فان قلت كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل قلت ذلك ممكن في القدرة الالهية فان الله  
سبحانه وتعالى على ما يشاء قدير ويكون ذلك معجزه للذي صلى الله عليه وسلم والمجزة من خوارق العادات  
فلا ينكر ذلك (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) يعني أمرا كان من اعلاء كلمة الاسلام ونصراً أهله واذلال  
كلمة الشرك وخذلان أهله فان قلت وقال في الآية المتقدمه ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا وقال  
في هذه الآية ليقضى الله أمرا كان مفعولا فمعنى هذا التكرار قلت المقصود من ذكره في الآية المتقدمة  
ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه الفهر والغلبة ليكون ذلك معجزه دالة على صدق رسول الله  
صلى الله عليه وسلم والمقصود من ذكره في هذه الآية لأنه تعالى قلل عدد الفر يقيناً في أعين بعضهم بعضاً  
للعظمة التي قضاهما لذلك قال ليقضى الله أمرا كان مفعولا (والى الله ترجع الامور) يعني في الآخرة  
فيجازى كل عامل على قدر عمله فالحسن باحسانه والمسيء باساءته وأ يغفر ﷻ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا  
اذلقيم فئة) يعني جماعة كافرة (فانبتوا) يعني لقتالهم وهو أن يوطنوا أنفسهم على لقاء العدو وقتاله ولا  
يحدوهابا للتولى (واذكروا الله كثيرا) يعني كونوا ذاكرين الله عند لقاء عدوكم ذكر كرا كثيرا يقولو بكم  
وأستذكروا الله عباد المؤمنين وأولياء الصالحين بأن يذكروا في أشد الاحوال وذلك عند لقاء العدو  
وقتاله وفيه تنبيه على أن الانسان لا يجوز أن يتحول قلبه ولسانه عن ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكروا  
الدعاء بالنصر على العدو وذلك ليحصل الامعونة الله تعالى فامر الله سبحانه وتعالى عباد الله أن يسألوه النصر  
على العدو عند اللقاء ثم قال تعالى (اعلمكم تفلحون) يعني وكونوا على رجاء الفلاح والنصر وانظروا فان قلت  
ظاهر الآية يوجب الثبات على كل حال وذلك بهم أنها نسخة لآية التحرف والتحيز قلت المراد من الثبات  
هو الثبات عند المحاربة والمقاتلة في الجلة وآية التحرف والتحيز لا تنقدح في حصول هذا الثبات في المحاربة بل  
ربما كان الثبات ليحصل الا بذلك التحرف والتحيز ثم قال تعالى مؤكداً ذلك (وأطيعوا الله ورسوله) يعني  
في أمر الجهاد والثبات عند لقاء العدو (ولاننازعو افتششوا) يعني ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف  
يوجب الفشل والضعف والجبن ﷻ وقوله تعالى (وتذهب ريحكم) يعني قوتكم وقال مجاهد نصرته لكم قال  
وذهب ريح أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم أحد وقال السدي جوازكم وخذلهم وقال  
مقاتل حدثكم وقال اخفش وأبو عبيدة دولتكم والريح هنا كناية عن نفاذ الامر وجوبه على المراد تقول  
العرب هبت ريح فلان اذا أقبل أمر على ما يريد وقال قتادة وابن زيد يدهي ريح النصر ولم يكن نصر قط الا  
بريح يبعثها الله تعالى فنصر وجوه العدو ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد  
بالبور وعن النعمان بن مقرن قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذ لم يقاتل من أول النهار آخر  
القتال حتى تزل الشمس ونهب الرياح وينزل النصر أخرجه أبو داود ودوقله سبحانه وتعالى (واصبروا) يعني  
عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنهم (ان الله مع الصابرين) يعني بالنصر والمعونة (ق) عن عبد الله بن أبي أوفى  
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض ايامه اتى فيها العدو وانظر حتى اذا ماتت الشمس قام فبهم فقال لهم  
الناس لا تخنوا اقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا التقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف  
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاغزاب اهزمهم وانصر ما

من اعزاد دينه واعلام كلمته واللام تتعلق بمحمد وفاى ليقضى الله امرها كان ينبغي أن يفعل وهو نصر وأولياءه وقهر أعدائه في ذلك قال الشيخ أبو منصور رحمه الله القضاء بحتمل الحكم أى ليحكم ما قد علم أنه يكون كائنات أوليت أمرها كان قد أراد وما أراد كونه فهو مفعول لا محالة وهو عز الإسلام وأهله وذل الكفر وخ بهو يتعلق بيقضى (لهلاك من هلاك عن بيته وبحي من حي عن بيته) حتى نافع وأبو عمرو فالادغام لالتقاء الشائين والظاهر لأن حركاته الشائنة لا ضرورة لثبوتها في المستقبل بخلاف الادغام أكثر استعارة الهلاك والحياة للكفر والإسلام أى يصدر كفر من كفر عن وضوح بيته لاصح مخالفة شبهة حتى لا يبق على الله تحجوه يصدر اسلام من أسلم ابتغاء يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان وقعة بدر من الآيات الواضحة التي من كفر بعدها كان مكابرة لنفسه مغالطاه ولهذا ذكر فيها امرأ كثر الفر يقين وان العير كانت أسفل منهم مع أنهم قد علموا ذلك كله مشاهدة ليعلم الخلق أن النصر والغلبة لا تكون بالكثرة والأسباب بل بالله تعالى وذلك أن العدو القصوى التي أناخ

(١٩٩)

وكانت أرضاً لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار ترسوخ فيها الأرجل ولا يعيش فيها إلا بعت ومشقة وكان العبر ورأ طهو والعدو مع كثرة عددهم وعدتهم وقلة المسلمين وضعفهم ثم كان ما كان (وان الله لسميع) لافقواهم (عالم) بكفر من كفر وعقابه وبإيمان من آمن وثوابه (اذبر يكهم الله) نصب باضاراذ كرا وهو متعاق بقوله لسميع علم أى يعلم الصالح اذ يقفاهم في عينك (في منامك قليلا) أى في رؤياك وذلك ان الله تعالى أراهم في رؤياهم في رؤياهم قليلا فاخبر بذلك أصحابه فكان ذلك تشجيعا لهم على عدوهم (ولو أراهم كره كثير القتل) لجنتهم وهبتم

دينه (لهلاك من هلاك عن بيته) يعنى لجوت من مات عن بيته رآه وعبدة عايناه وحنة قامت عليه (وحييا من حي عن بيته) يعنى ويعيش من عاش عن بيته رآه وعبدة شاهداه وحنة قامت عليه وقال محمد بن اسحق معنا ليعكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويؤمن من آمن على مثل ذلك لان الهلاك هو الكفر والحياة هي الإيمان ونحوه قال قتادة ليل من ضل على بيته يتهدى من اهتدى على بيته (وان الله لسميع علم) يعنى يسمع دعاءكم ويعلم نياتكم ولا تخفى عليه خافية قوله عز وجل (اذبر يكهم الله) يعنى واذا كرا يا محمد نعمة الله عليك اذبر يك المشركين (في منامك) يعنى في نومك (قليلا) قال مجاهد أراهم الله في منامه قليلا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه بذلك وكان ذلك تنبيها وقال محمد بن اسحق فكان ما أراهم الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم يشجعهم بها على عدوهم فكف عنهم مهام تخوف عليهم من ضعفهم لعلمهم بما فيهاهم وقيل لما رأى الله النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش في منامه قليلا فاخبر بذلك أصحابه قالوا رأوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى فصار ذلك سببا لجرأتهم على عدوهم وقوة لقلوبهم وقال الحسن ان هذه الآراء كانت في اليقظة والمراد من المنام العين لانها موضع النوم (ولو أراهم كره كثير القتل) يعنى لجنتهم والفشل ضعف مع جبن والمضي ولو أراهم كره كثير فاذا كرت ذلك لأصحابك لفساوا وجبنوا عنهم (ولتنازع عثم في الامر) يعنى اختلفتم في امر الاقدام عليهم والألحاجم عنهم وقيل معنى التنازع في الامر الاختلاف الذي تكون معه محاصرة ومجادلة ومجازاة كل واحد إلى ناحية والمعنى لا اضطرب أمرهم واختلفت كلمتهم (ولكن الله سلم) يعنى ولكن الله سلمكم من التنازع والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه ولكن الله سلمكم من الهزيمة والفشل (انه علم بذات الصدور) يعنى أنه تعالى يعلم ما يحصل في الصدور من الجراءة واللين والصبر والجزع وقال ابن عباس معناه أنه علم بما في صدوركم من الحب لله عز وجل (واذبر يكهم الله) اذ التقيتم في أعينكم قليلا) يعنى ان الله سبحانه وتعالى قلل عدد المشركين في أعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا في القتال ليتأ كد في اليقظة ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وأخبر به أصحابه قال ابن مسعود اذ قد قتلوا في أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال أراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا لكم كنتم قال كنا ألفا (ويقال لكم في أعينهم) يعنى ويقلنا لكم يا معشر المؤمنين في أعين المشركين قال السدي قال ناس من المشركين

الأقدام ولتنازع عثم في الامر أمر القتال وترددتم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) عصم وأنعم بالسلمة من الفشل والتنازع والاختلاف (انه علم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيهم من الجراءة واللين والصبر والجزع (واذبر يكهم الله) اذ يضيبركم اياهم (اذا التقيتم) وقت اللقاء (في أعينكم قليلا) هو نصب على الحال وانما قفاهم في أعينهم تصديقاً لقوله يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعابوا ما أخبرهم به فيزدوا بيقينهم ويجدوا بثبتهم وقال ابن مسعود رضى الله عنه لقد قتلوا في أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال أراهم مائة وكانوا ألفا (ويقال لكم في أعينهم) حتى قال قائل منهم انما هم أكلة جزر وقيل قفاهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعد ما اجتروا عليهم قلة بمالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيهنوا وبها وبأوجوز أن يبهروا الكثير قليلا بان يستمر الله بعضهم استأروا ويحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه بك واحد فقال مالي لأرى هذين الديكين اربعة

معطوف على بالله أى

ان كنتم آمنتم بالله وبالنزل

(على عبدنا يوم الفرقان)

يوم بدر (يوم التقي

أجمعان) الفرقان من

المسلمين والكافرين

والمراد ما أنزل عليه من

الآيات والملائكة والفتح

يومئذ وهو يدل من يوم

الفرقان (والله على كل

شئ قدير) يقدر على أن

ينصر القليل على الكثير

كقوله يوم بدر (اذ

أنتم) يدل من يوم الفرقان

والتقدير اذكروا اذ

أنتم (بالعدوة) شط الوادى

وبالكسر فهما مكي وأبو

عمرو (الدنيا) القري الى

جهة المدينة تأنيث الاذى

(وهم بالعدوة القصوى)

البعدي عن المدينة تأنيث

الاقصى وكلتا هما فعلى من

بنات الواو والقياس قلب

الواو ياء كالعلياء تأنيث

الاعلى وأما القصوى

فكالقودى مجيئته على

الاصل (والركب) أى العبر

وهو جمع راكب فى المعنى

(أسفل منكم) نصب على

الظرف أى مكانا أسفل

من مكانكم بمعنى فى أسفل

الوادى بثلاثة أميال وهو

مرفوع المحل لانه خبر

المبتدأ (ولو نواعدتم) أنتم

وأهل مكة ونواضع بينكم

على موعد لتلقون فيه لانه قال

أجدوا سحاقا وذهب قوم إلى أن النفل من رأس الغنيمة قبل التخميس كالسلب للقاتل وأما النى وهو ما أصابه المسلمون من أموال الكفار بفريقا يخيل ولا ركا بان صاحبهم على مال يؤدونه وكذلك الجزية وما أخذ من أموالهم إذا دخلوا دار الإسلام التجارة أو موت أحد منهم في دار الإسلام ولا وارث له فهذا كله في أموال النى وكان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مدة حياته وقال عمران الله سبحانه وتعالى قد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا النى بشئ لم يخص به أحد غيره ثم قرأ عمر وما أفاء الله على رسوله منهم الآية فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وكان ينفق على أهله وعياله نفقة سنهم من هذا المال ثم ما بقي يجعله بمجال مال الله في الكراع والسلاح واختلف أهل العلم في مصرف النى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للامة بعده وللإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه فيه قولان أحدهما أنه للمقاتلة الذين أنبت أسياؤهم في ديوان الجهاد لانهم القائمون مقام النبي صلى الله عليه وسلم في اهراب العدو والقول الثاني انه لصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلف أهل العلم في تخميس النى فذهب الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه إلى أنه يتخمس وخمسه لاهل الخس من الغنيمة على خمسة أسهم وأربعة أسهم للمقاتلة وللصالح وذهب الاكثرون إلى أنه لا يتخمس بل يصرف جميعه مصرفا واحدا لجميع المسلمين فيه حق عن مالك بن أنس قال ذكر عمر يوما النى فقال ما أنا أحق بهذا النى عنكم وما أحد منا أحق به من الآخر الا أنا على منازلنا من كتاب الله وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل وقدمه الرجل وبلاؤه والرجل وعياله والرجل وحاجته أخرجه أبو داود وأخرج البيهقي بسنده عنه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الأرض مسلم الا له في هذا النى حق الاما ملكت أيمانكم وقوله سبحانه وتعالى (ان كنتم آمنتم بالله) يعنى واعلموا أيها المؤمنون ان خمس الغنيمة مصرف الى من ذكر في هذه الآية من الاصناف فافعلوا عنه أطباعكم وافنعوا باربعه أخماس الغنيمة ان كنتم آمنتم بالله وصدقتم بوحدة انبيته (وما أنزلنا على عبدنا) يعنى وأنتم بالمثل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه اضافة تشرى بف تعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم والذي أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يستولونك عن الانفال الآية (يوم الفرقان) يعنى يوم بدر قال ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله عز وجل فيه بين الحق والباطل (يوم التقي أجمعان) يعنى جمع المؤمنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر وهو أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة أو لسبع عشرة من رمضان وأحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلثة وبعضة عشر رجلا والمشركون مابين الالف والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زبادة على سبعين وأسر منهم مثل ذلك (والله على كل شئ قدير) يعنى على نصركم أيها المؤمنون مع قتلكم وكثرة أعدائكم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (اذ أنتم) أى اذكروا نعمة الله عليكم يا معشر المسلمين اذ أنتم (بالعدوة الدنيا) يعنى بشفير الوادى الاذنى من المدينة والدنيا هنا تأنيث الاذى (وهم) يعنى المشركين (بالعدوة القصوى) يعنى بشفير الوادى الاقصى من المدينة بمأبى مكة والقصوى تأنيث الاقصى (والركب أسفل منكم) يعنى أساسيان وأحبابه وهم عير قريش التي خرجوا لاجلها وكانوا فى موضع أسفل من موضع المؤمنين الى ساحل البحر على ثلاثة أميال من بدر (ولو نواعدتم) يعنى أنتم والمشركون (لا تختلفتم في الميعاد) وذلك ان المسلمين خرجوا ليأخذوا العبر وخرج الكفار ليمنعوا من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد والمعنى ولو نواعدتم أنتم والكفار على القتال لاختلفتم أنتم وهم لقتلكم وكثرة عدوكم (ولكن) يعنى ولكن الله جمعكم على غير ميعاد (ليقضى الله أمره) كان مفعولا يعنى من نصرنا وليانه واعز دينه واهلك أعدائه وأعداء

(لا تختلفتم في الميعاد) خالف بعضكم بعضا فبطلت قتلتم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وتبطلهم ما فى قلوبهم من تهيب رسول دينه الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق احم من التلاقي ما وقفه الله وسبب له (ولكن) جمع بينكم بلاميعاد (ليقضى الله أمره) كان مفعولا

وبنو المطلب شئ واحد وفي رواية النسائي قال لما كان يوم خير دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوى  
 القربى في بني هاشم وبني المطلب وترك بني نوفل وبني عبد شمس فانطلقت أنا وعثمان بن عفان حتى أتينا  
 النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذى وضعك الله به منهم  
 فما بال اخواننا بني المطلب أعطينهم وتركتنا وقرأنا واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وبنو  
 المطلب لا نفرق في جاهلية ولا اسلام وانما نحن وهم شئ واحد وشبك بين أصابعه واختالف أهل العرب في سهم  
 ذوى القربى هل هو ثاب اليوم أم لا فذهب أكثرهم الى أنه ثابت فيعطى فقرأهم وأغنياؤهم من خمس  
 الجنس لذ كرمثل حظ الاثنين وهو قول مالك والشافعي وذهب أبو حنيفة وأصحاب الراى الى أنه غير ثابت  
 قالوا سهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ذوى القربى مردود في الجنس فيقسم خمس الغنمية على ثلاثة أصناف  
 اليتامى والمساكين وابن السبيل فيصرف الى فقراء ذوى القربى مع هذه الاصناف دون أغنيائهم ونجدة  
 الجمهور ان الكتاب والسنة يدلان على ثبوت سهم ذوى القربى وكذا الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم كانوا يعطون ذوى القربى ولا يفضلون فقيرا على غنى لان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى العباس بن عبد  
 المطلب مع كثرة ماله وكذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه وأحققه الشافعي بالميراث الذى يستحق باسم القرابة غير  
 أنهم يعطون القربى والبعية قال ويفضل الذ كرم على الاثنى فيعطى الذ كرم سهمين والاثنى سهمًا وقوله  
 سبع حانه وتعالى (اليتامى) جمع يتيم يعنى ويعطى من خمس الجنس اليتامى واليتيم الذى له سهم في الجنس هو  
 الصغير المسلم الذى لا أب له فيعطى مع الحاجة اليه (والمساكين) وهم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين  
 (وابن السبيل) وهو المسافر البعيد عن ماله فيعطى من خمس الجنس مع الحاجة اليه فهذا مصرف خمس  
 الغنمية ويقسم أربع أجزاء خاسها الباقية بين الغانمين الذين شهدوا الواقعة وحازوا الغنمية فيعطى للفارس  
 ثلاثة أسهم سهم له وسهمان لفارسه ويعطى الراجل سهمًا واحدًا الماروى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم قسم في النفل للفارس سهمين وللرجل سهمًا وفي رواية نحوه باسقاط لفظ النفل أخرجه البخارى  
 ومسلم وفي رواية في داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسهم للرجل ولفرسه ثلاثة أسهم سهمًا له  
 وسهمين لفارسه وهذا قول أكثر أهل العلم واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك والشافعي  
 واجمده واستحق وقال أبو حنيفة للفارس سهمان وللرجل سهم وبرضخ للبيد والنسوان والصبيان اذا  
 حضروا القتال ويقسم العقار الذى استولى عليه المسلمون كالمنقول وعند أبي حنيفة بتخير الامام في العقار  
 بين ان يقسمه بينهم وبين ان يجعله وقفًا على الصالح وظاهر الآية يدل على انه لا فرق بين العقار والمنقول ومن  
 قتل من المسلمين مشركا في القتال يستحق سلبه من رأس الغنمية الماروى عن أبي قتادة أن رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم قال من قتل قتيلًا له عليه بيته فله سلبه أخرجه الترمذى وأخرجه البخارى ومسلم في حديث طويل  
 والسلب كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح والفرس الذى كان راكبه ويجوز للامام ان ينفل  
 بعض الجيش من الغنمية زيادة عناءه بلا يكون منهم في الحرب يخصهم به من بين سائر الجيش ثم يجعلهم  
 أسواقًا للجماعة في سائر الغنمية (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفل بعض من بيعت  
 من البرايا لانفسهم خاصة سوى عامة الجيش عن حبيب بن سامة القهري قال شهدت رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم نفل الربيع في البدأة والثالث في الرجعة أخرجه أبو داود واختلف العلماء في أن النفل من أين يعطى  
 فقال قوم من خمس الجنس من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال الشافعي  
 وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في بارواه عبادته الصامت قال أخرس رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 يوم خيبر ورمه جنب بعير فقال أيها الناس انه لا يحل لى مما أفاء الله عليكم قدر هذه الجنس والجنس  
 مردود عليكم أخرجه النسائي وقال قوم هو من الاربعه الاخماس بعد اقرار الجنس كهام الغزاة وهو قول

واليتامى والمساكين وابن  
 السبيل) فان خمس كان في  
 عهد رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم بقسم على خمسة  
 أسهم سهمهم لرسول الله  
 وسهم لذوى قرابته من بني  
 هاشم وبني المطلب دون  
 بني عبد شمس وبني نوفل  
 استحقوه حينئذ بالنصرة  
 لقصة عثمان وجبير بن مطعم  
 وثلاثة أسهم اليتامى  
 والمساكين وابن السبيل  
 وأما بعد رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم فهمه ساقط  
 بموته وكذلك سهم ذوى  
 القربى وانما يعطون  
 لفقرهم ولا يعطى أغنياءهم  
 فيقسم على اليتامى  
 والمساكين وابن السبيل  
 وعن ابن عباس رضى الله  
 عنهما أنه كان على ستة لله  
 والرسول سهمًا وسهم  
 لاقارب فاجرى أبو بكر  
 رضى الله عنه الجنس على  
 ثلاثة وكذا عمر ومن  
 بعده من الخلفاء رضى  
 الله عنهم ومعنى لله  
 والرسول لرسول الله كقوله  
 والله ورسوله أحق أن  
 يرضوه

لله خالصا ليس فيه شرك ويخلع مادونه من الانداد والشركاء (فان اتهموا) يعني عن الشرك واقتان المؤمنين وايدأهم (فان الله ياعلمون بصير) يعني فان الله لا يخفي عليه شيء من أعمال العباد ونياتهم حتى يوصل اليهم نواهم (وان تولوا) يعني وان أعرضوا عن الايمان وأعرضوا عن الكفر وعادوا الى قتال المؤمنين وايدأهم (فاعلموا) يعني أيها المؤمنون (ان الله مولاكم) يعني ان الله وليكم ناصركم عليهم وحافظكم (نعم المولى ونعم النصير) يعني ان الله سبحانه وتعالى هو نعم المولى فن كان في حفظه ونصره وكفايته وكلاءه فهو له نعم المولى ونعم النصير ﴿ قوله عز وجل ﴾ (واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان الله حسبه والرسول) الغنم الفوز بالشيء يقال غنم غنما فغنم غنائم واختلف العلماء هل الغنمية والى اسمان المسمى واحداً يختلفان في التسمية فقال عطاء بن السائب الغنمية ما ظهر للمسلمون عليه من أموال المشركين فاخذوه عنوة وأما الارض فهي في قول سفيان الثوري الغنمية ما أصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال وفيما الحسن وأبو بكرة أخماسه لمن شهد الواقعة والى عاصم وحوا عليه بغير قتال وليس فيه خمس فهو لمن سعى الله وقيل الغنمية ما أخذ من أموال الكفار عنوة عن قهر وغلبة والى عاصم بوجف عليه بخيل ولا ركاب كالغشور والجزيرة وأموال الصلح والمهادنة وقيل ان النى والغنمية معناهما واحد وهما اسمان لشيء واحد والصحيح أنهما يختلفان فالنى ما أخذ من أموال الكفار بغير إيجاب خيل ولا ركاب والغنمية ما أخذ من أموالهم على سبيل القهر والغلبة بإيجاب خيل عليه وركاب فقد كره الله سبحانه وتعالى في هذه الآية حكم الغنمة فقال تعالى واعلموا ان ما غنمتم من شيء يعني من أى شيء كان حتى الخطب والمخيطان لله حسبه والرسول وقد ذكر أكثر المفسرين والفقهاء أن قوله الله افتتاح كلام على سبيل التبرك وإنما أضافه لنفسه تعالى لانه هو الحاكم فيه فيسمة كيف شاء وليس المراد منه أن سهمه الله وسوله واحد والغنمية تقسم خمسة أخماس أربعة وقادة وعطاءوا إبراهيم النخعي قالوا سهم الله وسهمه واحد والغنمية تقسم خمسة أخماس أربعة أحاسها لمن قاتل عليها وأحرزها والخمس الباقى خمسة أصناف كما ذكره عز وجل للرسول ولنبي القري واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال أبو العالية يقسم خمس الخمس على ستة أسهم سهم الله عز وجل فيصفر الى الكعبة والقول الاول أصح أى ان خمس الغنمية يقسم على خمسة أسهم سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له في حياته واليوم هو لصالح المسلمين وما فيه قوة الاسلام وهذا قول الشافعى وأحمد وروى الاشمس عن ابراهيم قال كان أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مردودى الكراع والسلاح وقال قتادة هو للخليفة وقال أبو حنيفة سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مردودى الخمس فيقسم الخمس على الاربعه الاصناف المذكور بنى الآية وهم ذوو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ (ولذي القربى) يعني ان سهمهم من خمس الخمس لذى القربى وهم أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا فيهم فقال قوم هم جميع قريس وقال قوم هم الذين لا تحل لهم الصدقة وقال مجاهد وعبي بن الحسين هم بنو هاشم وقال الشافعى رحمه الله تعالى هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس لبنى عبد شمس ولابنى نوفل منه شيء وان كانوا أخوة بدل عليه ما روى عن جبير بن مطعم قال جئت أنا وعثمان بن عفان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقات يارسول الله اعطيت بنى المطلب وتركتنا ونحن وهم منزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وفى رواية أعطيت بنى المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفى رواية قال جبير ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبنى عبد شمس ولا ابنى نوفل شيئا أخرجه البخارى وفى رواية أبى داود ان جبير بن مطعم جاء هو وعثمان بن عفان بكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فباي يقسم من الخمس بنى هاشم وبنى المطلب فقلت يارسول الله قسمت لآخوتنا بنى المطلب ولم تعطنا شيئا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما بنو هاشم

(فان اتهموا) عن الكفر وأسلموا (فان الله بما يعملون بصير) يبيهم على اسلامهم (وان تولوا) أعرضوا عن الايمان ولم ينتهوا (فاعلموا ان الله مولاكم) ناصركم ومعينكم فنقول بولايته ونصرته (نعم المولى) لا يضيع من تولاه (ونعم النصير) لا يغلب من نصره والخصوص بالمدح محذوف (واعلموا ان ما غنمتم) ما يعنى الذى ولا يجوز أن يكتب الانفصلا ولا ذلوا كتب موصولا لوجب أن تكون ما كفة وغنمتم صلته والعائد محذوف والتقدير الذى غنمتموه (من شيء) بيانه قبل حتى الخطب والمخيط (فان الله حسبه) والقاء اجماد خلت لما فى معنى المجازة وان وما عملت فيه فى موضع رفع على أنه خبر مبنداً تقديره فالحكم أن الله حسبه (والرسول ولذى القربى





(وما لهم ألا يعذبهم الله) أي وما كان الله يعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فرقتهم وما لهم ألا يعذبهم الله (وهو يصدون عن المسجد الحرام) وكيف لا يعذبون بما عملهم أنهم (١٩٤) يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام

الله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولادة البيت والحرم فمن نشاء وتدخل من نشاء فقتل (وما كانوا أولياءه) وما استحقوا مع أشراكمهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولادة أمر الحرم (ان أولياءه الائتقون) من المسلمين وقيل الضميران راجعان إلى الله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك كأنه استغنى عن أن يعلم وهو يعاند وأراد بالاكثر الجمل كإيراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء صفيرا كصوت المكاء وهو طائر مليح الصوت وهو فعال من مكاء مكاء إذا صفر (وتصدية) وتصفيا فتفعله من الصدى وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عمارة وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يخاطبون عليه (فدوقوا العذاب) عذاب القتل والامر يوم بدر (بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم وزل في المظلمين يوم بدر

الله صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل على أمانين لآمتي وما كان الله يعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة أخرجه الترمذي وقوله سبحانه وتعالى (وما لهم ألا يعذبهم الله) يعني أي شيء يمنعهم من أن يعذبهم يعني بعد خروجك من بين أظهرهم لأنه سبحانه وتعالى بين في الآية الأولى أنه لا يعذبهم وهو مقبض فيهم بين أظهرهم وبين في هذه الآية أنه معذبهم ثم اختلفوا في هذا العذاب فقتلوا وقتلوا بالامر يوم بدر وقيل أراد به عذاب الآخرة وقيل أراد بالعذاب الأول عذاب الاستئصال وأراد بالعذاب الثاني العذاب بالسيف وقيل أراد بالعذاب الأول عذاب الدنيا وبهذا العذاب عذاب الآخرة وقال الحسن الآية الأولى وهي قوله تعالى وما كان الله يعذبهم منسوخة بقوله وما لهم ألا يعذبهم الله وفيه بعد لان الاخبار لا يدخلها التسخيم بين ما لاجله يعذبهم فقال تعالى (وهو يصدون عن المسجد الحرام) يعني وهم يمنعون المؤمنين عن الطواف بالبيت وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية (وما كانوا أولياءه) قال الحسن كان المشركون يقولون نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله وما كانوا أولياءه يعني ليسوا أولياء المسجد الحرام (ان أولياءه الائتقون) يعني المؤمنين الذين يتقون الشرك (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك قوله عز وجل (وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية) لما ذكر الله عز وجل ان الكفار ليسوا بأولياء للبيت الحرام ذكر عقبه السبب في ذلك وهو ان صلاتهم عنده كانت مكاء وتصدية والمكاء في اللغة الصغير يقال مكأ الطير بمكأ إذا صفر والمكاء امم طير أبيض يكون بالحجاز صغير وقيل هو طائر يألف للرب سمي بذلك لكثرة مكانه يعني صفيره والتصدية التصفيق وفي أصله واستغفارة قولان أحدهما أنه من الصدى وهو الصوت الذي يرجع من الجبل كالنجيب للمكالم ولا يرجع إلى شيء الثاني قال أبو عبيدة أصله تصددة فأبدت الياء من الدال قال الأزهري والمكاء والتصدية ليسا بالصلاة ولكن الله سبحانه وتعالى أخبر أنهم جعلوا مكان الصلاة التي أمر بها المكاء والتصدية قال حسان بن ثابت \* صلاتهم التصدية والمكاء \* قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عمارة يصفرون ويصفقون وقال مجاهد كان نفر من بني عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويستنهضون به ويدخلون أصابعهم في أفواههم ويصفرون فالمكاء جعل الاصابع في الشدق والتصدية الصغير وقال جعفر بن ربيعة سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله الامكاء وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيها صفرا وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قام رجلا عن يمينه يصفران ورجلا عن يساره يصفقان ليلطفا على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته وهم من بني عبد الدار فعلى قول ابن عباس كان المكاء والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوع أذى للنبي صلى الله عليه وسلم وقول ابن عباس أصح لان الله سبحانه وتعالى سمي ذلك صلاة فان قلت كيف سماها صلاة وليس ذلك من جنس الصلاة قلت أنهم يعتقدون ذلك المكاء والتصدية صلاة فخرج ذلك على حسب معتقدهم وفيه وجه آخر وهو أن من كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له فهو كقول العرب من كان السخاء عليه فلا عيب له وقال سعيد بن جبير التصدية صدمه المؤمنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة فعلى هذا التصدية من الصد وهو النحيب وقوله سبحانه وتعالى (فدوقوا العذاب) يعني عذاب القتل والامر في الدنيا وقيل يقال لهم في الآخرة قد دوقوا العذاب (بما كنتم تكفرون) يعني بسبب كفركم في الدنيا قوله سبحانه وتعالى (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) لما ذكر الله سبحانه وتعالى عبادة الكفار البدنية وهي المكاء والتصدية ذكر عقبا عبادتهم المالية التي

الله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولادة البيت والحرم فمن نشاء وتدخل من نشاء فقتل (وما كانوا أولياءه) وما استحقوا مع أشراكمهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولادة أمر الحرم (ان أولياءه الائتقون) من المسلمين وقيل الضميران راجعان إلى الله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك كأنه استغنى عن أن يعلم وهو يعاند وأراد بالاكثر الجمل كإيراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء صفيرا كصوت المكاء وهو طائر مليح الصوت وهو فعال من مكاء مكاء إذا صفر (وتصدية) وتصفيا فتفعله من الصدى وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عمارة وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يخاطبون عليه (فدوقوا العذاب) عذاب القتل والامر يوم بدر (بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم وزل في المظلمين يوم بدر

بنوع آخر من جنس العذاب الاليم فقتل يوم بدر صبراً وعن معاوية انه قال لرجل من سبأ ما أجعل قومك حين ملكوك اعلاهم امرأة قال جهل من قومي قومك قالوا الرسول الله عليه السلام حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا بجارة من السماء ولم يقلوا ان كان هذا هو الحق فاهطلنا له (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) الامام لنا كيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم لانك بعثت رحمة للعالمين وسنته ان لا يعذب قوماً عذاب استئصال مادام بينهم بين أظهرهم وفيه اشعار بانهم مرسدون بالعذاب اذا هاجر عنهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) هو في موضع الحال ومعناه اني الاستغفار عنهم أي ولو كانوا من يؤمن ويستغفرون الكفر لماعذبهم أو معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفرونهم المسلمون بين أظهرهم عن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستغفرين

كان هذا هو الحق يعني القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني ان كان الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من أمر التوحيد وادعاء النبوة وغير ذلك هو الحق أمطر علينا بجارة من السماء يعني كأما مطرها على قوم لوط أو أننا عذاب الالم يعني مثل ما عذبت به الامم الماضية وفي النضر بن الحرث نزل سأل سائل بعذاب واقع قال عطاء لقد نزل في النضر بن الحرث بضع عشرة آية فحاق به ما سأل من العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثة من قریش صبراً طيبة بن عدى وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث وروى أنس بن مالك ان الذي قال ذلك أبو جهل (ق) عن أنس قال قال أبو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا بجارة من السماء الآية فترأت وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم الآية فاصأخروه نزأب وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ﴿قوله عز وجل﴾ (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) اختلفوا في معنى هذه الآية فقال محمد بن اسمعيل هذه الآية المتصلة بما قبلها وهي حكاية عن المشركين وذلك أنهم قالوا ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفر لاي عذاب أمعاً بنبيهم اه فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يدكره جمع النهم وغيرهم واستفتحهم على انفسهم واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ثم قال تعالى رداعليهم وما لهم ألا يعذبهم الله وان كنت بين أظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرام وقال آخرون هذا كلام مستأنف بقول الله عز وجل اخبارا عن نفسه تعالى وتقدس وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم واختلفوا في معناه فقال الضحاك وجاعة ناولها وما كان الله ليعذبهم وأنت يا محمد مقبم فيهم بين أظهرهم قالوا نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقبم بمكة ثم لما خرج منها بقي من المسلمين يستغفرون فانزل الله عز وجل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم لما خرج أولئك المسلمون من بين أظهر الكافرين أذن الله في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم وقال ابن عباس لم يعذب الله قريه حتى يخرج نبيهم منها والذين آمنوا معه ولم يحق بحيث أمر فقال الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم مقبم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين فاصأخروا قال الله وما لهم ألا يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستعفار راجع الى المشركين وذلك أنهم كانوا يقولون بعد فراغهم من الطواف غفرانك غفرانك وقال زيد بن رومان قالت قریش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا بجارة من السماء فلما أسسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فقال الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال قتادة والسدى معناه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون أي لو استغفروا ولكمهم لم يكونوا مستغفرين ولو أقر بالذنوب واستغفروا والله لكانوا مؤمنين وقيل هذا دعاء لهم الى الاسلام والاستغفار بهذه الكلمة كالرجل يقول لعبده لا أعاقبك وأنت تطيعني أي أعطني حتى لا أعاقبك وقال مجاهد وعكرمة وهم يستغفرون أي يسمعون يعني لو أسسوا الماعذوا وقال ابن عباس وفيهم من سبق لهم ان الله العزاية أن يؤمن ويستغفرون مثل أبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وحكيم بن خزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون أي وفي اصلهم من يستغفرون في معنى الآية ان الكفار لما بالغوا وقالوا ان كان محمد محقاني قوله فامطر علينا بجارة من السماء اخبر الله سبحانه وتعالى ان محمد محق في قوله وانه مع ذلك لا يعطر على أعدائه ومنكرى نبوته بجارة من السماء مادام بين أظهرهم وذلك تعذيباً له صلى الله عليه وسلم وأورد على هذا انه اذا كانت اقامته مانعة من نزول العذاب بهم فكيف قال في غير هذه الآية فاقالوهم يعذبهم الله بايدكم فالجواب ان المراد من العذاب الاول هو عذاب الاستئصال والمراد من العذاب الثاني وهو قوله سبحانه وتعالى يعذبهم الله بايدكم هو عذاب القتل والسبي والامر وذلك دون عذاب الاستئصال قال أهل لغات في دات هذه الآية على أن الاستغفار أمان وسلامة من العذاب عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول

من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقال أبو جهل والله لا شيرن عليكم برأى ما أرى غير ما أرى أن تأخذوا من كل بطن من فرس شابا نسبوا وسطا فتيانهم نعل كل فى سيفا صارم ثم يضربوه جميعا مضربة رجل واحد فإذا قتلوه نفرق دمه فى القبائل كلها ولا ظن هذا الحى من بنى هاشم بقون على حرب فرس كاهوا منهم إذا أرادوا ذلك قالوا العقل فتوذى فرس ديتة فقال بليس اللعين صدق هذا الفتى هو أجدكم رأيا أو القول ما قال لأرى غيره فتفرقوا على قول أنى جهل وهم مجتمعون عليه فأتى جبريل صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك وأمر أن لا يبيت فى مضجعه الذى كان يبيت فيه وأذن الله عز وجل له عند ذلك بالخروج الى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب أن يبيت فى مضجعه وقاله انشج بردنى فانه لن ينحاص اليك منهم أمر تكررهم ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ قبضة من تراب وأخذ الله عز وجل أبصارهم عنه فخرج وجعل ينثر التراب على رؤسهم وهو يقرأ أنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا لا يوفهم لا يبصرون ومضى الى الغار من نوره وهو أبو بكر وخاف عليا بمكة حتى يؤدى عنه الودائع التى قبلها وكانت الودائع توضع عنده لصدقه وأمانته قالوا وبات المشركون يحرسون عليا وهو على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسون أنه الذى صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا انوارا اليه ليقتلوه فرأوه عافيا قبل له أين صاحبه قال لا أدري فاقنفوا أثره وأرسلوا فى طلبه فلما بلغوا الغار وأعلى بابيه نزع العنكبوت فقالوا لودخله لم يكن انسج العنكبوت على بابيه أترفتك فى الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة فذلك قوله سبحانه وتعالى وإذا تكلم بك الذين كفروا وأصل المكر احتيال فى خفية (اليتوبك) أى ليعسوك وبتوقك لأن كل من شذ شيئا أو نفعه فقد أثبت له لانه لا يقدر على الحركة (أو يقتلوك) يعنى كما أشار اليهم أبو جهل (أو ينجسوك) يعنى من مكة (ويكرهون) يعنى ويحتالون ويبدرون فى أمره (ويكره الله) يعنى ويجازيهم الله جزاء مكرهم فسمى الجزاء مكر لأنه فى مقابلته وقيل معناه يعاملهم الله معاملة مكرهم والمكر هو التدبير وهو من الله تعالى التدبير بالحق والمعنى أنهم احتالوا فى إبطال أمر محمد صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أظهره وقواه ونصره فضاء فعاهم وتدبيرهم وظهر فعل الله وتدبيره (والله خير الماكرين) فإن قلت كيف قال الله سبحانه وتعالى والله خير الماكرين ولا خبر فى مكرهم قلت محتمل أن يكون المراد والله أقوى الماكرين فوضع خبر موضع أقوى وفيه تنبيه على أن كل مكر يبطل بفعل الله وقيل محتمل أن يكون المراد أن مكرهم فيه خير برزخهم فقال سبحانه وتعالى فى مقابلته والله خير الماكرين وقيل ليس المراد التفضيل بل إن فعل الله خبر مطلق (أو قوله عز وجل) (وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لنشاء لقلنا مثل هذا) نزلت فى النضر بن الحرث بن علقمة من بنى عبد الدار وذلك أنه كان يختلف الى أرض فارس والحيرة ويسمع أخبارهم عن رستم واسف ديار وأحاديث الجم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى فيأمرهم بقرآن التوراة والإنجيل ويركعون ويسجدون ويكون فلما ساءا مكة وجد النبي صلى الله عليه وسلم قد أوحى اليه وهو يقرأ ويصلى فقال النضر بن الحرث قد سمعنا يعنى مثل هذا الذى جاء به محمد لولنشاء لقلنا مثل هذا فذمهم الله بدفعهم الحق الذى لا شبهة فيه بادعائهم الباطل بقولهم لنشاء لقلنا مثل هذا بعد التحدى وأبان عجزهم عن ذلك ولو قدر ما تخلفوا عنه وهم أهل انصاح وفرسان البلاغة فبان بذلك كذبهم فى قولهم لنشاء لقلنا مثل هذا (إن هذا الأساطير الاولين) يعنى أخبار الماضين (أو قوله سبحانه وتعالى) (وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا بحجارة من السماء) واننا نبعذاب أليم) نزلت فى النضر بن الحرث أيضا قال ابن عباس لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم شأن القرون الماضية قال النضر بن الحرث لو شئت لقلت مثل هذا فقال له عثمان بن مظعون اتق الله فان محمد صلى الله عليه وسلم يقول الحق قالوا وأنا أقول الحق قال فان محمد صلى الله عليه وسلم يقول لا اله الا الله قالوا وأنا أقول لا اله الا الله ولكن هذه बात يعنى الاصنام ثم قال اللهم ان

(وأن الله عنده أجمع عظيم) فعليكم أن تحرصوا على طلب ذلك وتزهدوا في الدنيا ولآخرها على جمع المال وحب الولد (يا أيها الذين آمنوا) أن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) نصر الله يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر بالذلال حبه والاسلام باعزاز أهله أو بياناً وظهوراً يشهر أمركم ويثبت صيتكم وأثارتكم في أقطار الارض من قولهم سطع الفرقان أي طلع الفجر أو مخرجا من الشبهات وشر حاله دوراً وفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الأديان وفضلاً ومنزلة في الدنيا والآخرة (و يكفر عنكم) سيا (تكم) أي الصغائر (و يغفر لكم) ذنوبكم أي الكبائر (والله)

الله أي لمن رزق الله والرحمن في اللغة الرزق وقوله تعالى (وأن الله عنده أجمع عظيم) يعني لمن أدى الامانة ولم يخن وفيه تنبيهه على أن سعادة الآخرة وهو ثواب الله أفضل من سعادة الدنيا وهو المال والولد وقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) يعني بطاعته وترك معاصيه (يجعل لكم فرقانا) يعني يجعل لكم نوراً وتوفيقاً فلو تكفروا به بين الحق والباطل والفرقان أصله الفرق بين الشئين لكنه أبلغ من أصله لانه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل والحجة والشبهة قال مجاهد يجعل لكم مخرجاً في الدنيا والآخرة وقال مقاتل مخرجاً في الدين من الشبهات وقال عكرمة نجاة أي يفرق بينكم وبين منافقون وقال محمد بن اسحق فضلاً بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويظلم من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بأن يظهر دينكم ويعليه ويطل الكفر ويوهنه (و يكفر عنكم سيا تكم) يعني ويمح عنكم ما سلف من ذنوبكم (و يغفر لكم) يعني ويسترحمكم بأن لا يفضحكم في الدنيا ولا في الآخرة (والله ذو الفضل العظيم) لانه هو الذي يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه ومن كان كذلك فانه اذا وعد بشئ وفي به قبل انه يفضل على الطائعين يقبل الطاعات ويتفضل على العصاة يغفر ان السيئات وقيل معناه ان يده الفضل العظيم فلا يطلب من عند غيره وقوله سبحانه وتعالى (واذ يترككم الذين كفروا) لما ذكر الله المؤمنين نعمة عليهم بقوله تعالى واذكروا اذ تم قليل ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم نعمة عليه فيما جرى عليه بمكة من قومه لان هذه السورة مدنية وهذه الواقعة كانت بمكة قبل ان يهاجر الى المدينة والمعنى واذكروا بما اذ يترككم الذين كفروا وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير قالوا جميعاً ان قر بشا فر قولاً أسألت الانصار ان يتفاهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر فاجتمع نفر من كفار قريش في دار الندوة وليتشاروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رؤسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبوجهم وأبوسفيان وطعينة بن عدى والنضر بن الحارث وأبوالبختري بن هشام وزعمه بن الاسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأمية بن خلف فاعترضهم ابليس في صورة شيخ فاماروا وقالوا له من أنت قال أنا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فاردت أن أحضركم ولأن أعداءكم من بني تميم فادخل فقال أبوالبختري أما أنا فأرى ان تأخذوا محمدًا وتحبسوه في بيت مقيد أو تشددوا وتشدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه وتر بصوابه رب المنون حتى يهلك كهلاك من قبله من الشعراء فصرخ عدو الله ابليس وهو الشج العبدى وقال بش الرأى رأيت من حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقت دوني الى أصحابه فوشك ان يشوا عليكم فقاتلوه كوا يأخذونه من أيديكم فقالوا صدق الشيخ التجدي فقام هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي فقال أما أنا فأرى ان نحمسوه على بغير ونخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم مانع وأن وقع اذا غاب عنكم واسترحتم منه فقال ابليس اللعين ما هذا الكبر برأى نعدون الى رجل قد أفسد أحلامكم فتخرجونه الى غيركم فيفسدهم ألم تروا الى حلاوة منطقته وطلاقة لسانه وأخذنا القلوب بما سمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك بذهب يستميل قلوب قوم آخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم

ونخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم مانع واسترحتم فقال ابليس بش الرأى يفسد قوماً غيركم ويقال لكم بهم فقال أبو جهل لعنه الله أنا أرى ان تأخذوا من كل بطن غلاماً وتطو سيفا فيضربوه برجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هشام على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال اللعين صدق هذا الفتى هو جودكم رأياً فتفرقوا على رأي أبي جهل مجتمعين على قتله فآخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن لا يبيت في مضجعه وأذن الله له في الهجرة فامر عياضاً في مضجعه وقال انشع

الله على نعمه عليكم ﴿﴾ قوله سبحانه وتعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّخُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ دِينًا وَارْتَمِكُوا بِلِصَّةٍ لِّعَدُوِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ يَحْيُوا بَنَاتُهُمْ إِنَّ خَيْرَ مِمَّا يَحْتَمُونَ بِطَوَّافِينَ عَلَيْكَ وَرَسُولِكَ وَأَعْلَىٰ مِنْهُ عَذَابُ الْعَذَابِينَ الَّتِي لَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ يَوْمَ تُغْفَرُ الْعُظُمُ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) قال الزهري والسكابي نزلت هذه الآية في أبي لبيبة هرون بن عبد المنذر الانصاري من بني عوف بن مالك وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة فأسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صلح عليه أخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى أخوانهم إلى أذرعات تأثر بمحبة من أرض الشام فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك الآن ينزلوا على حكمه من معاذ فأتوا وقالوا أرسل النيا بآب لبيبة بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لأن له ولده وعياله كان عدهم فيمنعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فقاموا بالباب ما ترى أنزل على حكمه من معاذ فاشار أبو لبيبة يده إلى حلقه يعني أنه الذبح فلا تفعلوا قال أبو لبيبة والله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لأذوق طعاما ولا شرابا حتى أوت أو توب الله علي فلبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال مالو الجاهني لاستغفرت له أما ذفل ما فعل فأتى لأطاعه حتى توب الله عليه فكت سبعه أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خرمه فباعه ثم ناب الله عليه فقيل لما بالبابه قد توب عليك فقال والله لأحل نفسي حتى يصكون رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يحلتي بخاءه فله يده ثم قال أبو لبيبة إن تمام تو بنى أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وإن اتخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحز بك الثلث إن تصدق به ففزل فيه يا أيها الذين آمنوا اتَّخُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ دِينًا وَارْتَمِكُوا بِلِصَّةٍ لِّعَدُوِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ يَحْيُوا بَنَاتُهُمْ إِنَّ خَيْرَ مِمَّا يَحْتَمُونَ بِطَوَّافِينَ عَلَيْكَ وَرَسُولِكَ وَأَعْلَىٰ مِنْهُ عَذَابُ الْعَذَابِينَ الَّتِي لَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ يَوْمَ تُغْفَرُ الْعُظُمُ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ قال السدي كانوا يسمعون السهم من النبي صلى الله عليه وسلم فيبشرونه حتى يباع المشركين فنزلت هذه الآية وقال جابر بن عبد الله أن أباسفيان خرج من مكة فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أباسفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تصحبه إن أباسفيان في موضع كذا وكذا فخرجوا إليه واكتموا قال فكتب رجل من المنافقين إليه أن يحدا يريدكم خذوا حذركم فأنزل الله عز وجل اتَّخُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ دِينًا وَارْتَمِكُوا بِلِصَّةٍ لِّعَدُوِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ يَحْيُوا بَنَاتُهُمْ إِنَّ خَيْرَ مِمَّا يَحْتَمُونَ بِطَوَّافِينَ عَلَيْكَ وَرَسُولِكَ وَأَعْلَىٰ مِنْهُ عَذَابُ الْعَذَابِينَ الَّتِي لَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ يَوْمَ تُغْفَرُ الْعُظُمُ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ يعني أنها أمانة وقيل معناه أتمتعوا من أن ما فعلتم من الإشارة إلى الحاق خيانة وأصل الخيانة من الخون وهو النقص لأن من خان شيئا فقد نقصه والخيانة ضد الأمانة وقيل في معنى الآية اتَّخُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ دِينًا فَاتَّخَذُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ دِينًا فَقَدْ خَنَيْتُمْ أَمَانَتَكُمْ وقال ابن عباس معناه اتَّخُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ دِينًا بترك سنته واتَّخُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ دِينًا بترك ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله تعالى والأعمال التي اتخى عليها العباد وقال قتادة أعلم وأن دين الله أمانة فادوا إلى الله ما تمسكتم عليه من فرائضه وحدوده ومن كانت عليه أمانة فليؤدها إلى من أتمت عليه أمانته الحديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أد الأمانة إلى من اتمسكها ولا تخن من خانك أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب ﴿﴾ وقوله عز وجل (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) قيل هذا مما نزل في أبي لبيبة وذلك لأن أمواله وأولاده كانت في بني قريظة فذلك قال ما قال خوف أعلمهم وقيل إنه عام في جميع الناس وذلك أنه ما كان الإقدام على الخيانة في الأمانة هو حب المال والولد به الله سبحانه وتعالى بقوله واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة على أنه يحب على الماقل أن يحذر من المضار المتولدة من حب المال والولد لأن ذلك يشغل القلب ويصير محجوبا عن خدمة المولى وهذا من أعظم الفتن وروى البغوي بسند عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بصبي فقبله وقال أمانتهم مبيعة مجبة وانهم ربحان الله وأخرج الترمذي عن عمر بن عبد العزيز قال زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو محضض أحد ابني ابنته وهو يقول انكم تبتخلون وتخبئون وتخجلون وانكم لمن ربحان الله قال الترمذي لا نعرف لعمر بن عبد العزيز سمعا عن خولة قوله لمن ربحان

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّخُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ دِينًا وَارْتَمِكُوا بِلِصَّةٍ لِّعَدُوِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ يَحْيُوا بَنَاتُهُمْ إِنَّ خَيْرَ مِمَّا يَحْتَمُونَ بِطَوَّافِينَ عَلَيْكَ وَرَسُولِكَ وَأَعْلَىٰ مِنْهُ عَذَابُ الْعَذَابِينَ الَّتِي لَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ يَوْمَ تُغْفَرُ الْعُظُمُ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) قال الزهري والسكابي نزلت هذه الآية في أبي لبيبة هرون بن عبد المنذر الانصاري من بني عوف بن مالك وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة فأسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صلح عليه أخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى أخوانهم إلى أذرعات تأثر بمحبة من أرض الشام فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك الآن ينزلوا على حكمه من معاذ فأتوا وقالوا أرسل النيا بآب لبيبة بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لأن له ولده وعياله كان عدهم فيمنعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فقاموا بالباب ما ترى أنزل على حكمه من معاذ فاشار أبو لبيبة يده إلى حلقه يعني أنه الذبح فلا تفعلوا قال أبو لبيبة والله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لأذوق طعاما ولا شرابا حتى أوت أو توب الله علي فلبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال مالو الجاهني لاستغفرت له أما ذفل ما فعل فأتى لأطاعه حتى توب الله عليه فكت سبعه أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خرمه فباعه ثم ناب الله عليه فقيل لما بالبابه قد توب عليك فقال والله لأحل نفسي حتى يصكون رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يحلتي بخاءه فله يده ثم قال أبو لبيبة إن تمام تو بنى أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وإن اتخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحز بك الثلث إن تصدق به ففزل فيه يا أيها الذين آمنوا اتَّخُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ دِينًا وَارْتَمِكُوا بِلِصَّةٍ لِّعَدُوِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ يَحْيُوا بَنَاتُهُمْ إِنَّ خَيْرَ مِمَّا يَحْتَمُونَ بِطَوَّافِينَ عَلَيْكَ وَرَسُولِكَ وَأَعْلَىٰ مِنْهُ عَذَابُ الْعَذَابِينَ الَّتِي لَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ يَوْمَ تُغْفَرُ الْعُظُمُ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ قال السدي كانوا يسمعون السهم من النبي صلى الله عليه وسلم فيبشرونه حتى يباع المشركين فنزلت هذه الآية وقال جابر بن عبد الله أن أباسفيان خرج من مكة فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أباسفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تصحبه إن أباسفيان في موضع كذا وكذا فخرجوا إليه واكتموا قال فكتب رجل من المنافقين إليه أن يحدا يريدكم خذوا حذركم فأنزل الله عز وجل اتَّخُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ دِينًا وَارْتَمِكُوا بِلِصَّةٍ لِّعَدُوِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ يَحْيُوا بَنَاتُهُمْ إِنَّ خَيْرَ مِمَّا يَحْتَمُونَ بِطَوَّافِينَ عَلَيْكَ وَرَسُولِكَ وَأَعْلَىٰ مِنْهُ عَذَابُ الْعَذَابِينَ الَّتِي لَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ يَوْمَ تُغْفَرُ الْعُظُمُ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ يعني أنها أمانة وقيل معناه أتمتعوا من أن ما فعلتم من الإشارة إلى الحاق خيانة وأصل الخيانة من الخون وهو النقص لأن من خان شيئا فقد نقصه والخيانة ضد الأمانة وقيل في معنى الآية اتَّخُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ دِينًا فَاتَّخَذُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ دِينًا فَقَدْ خَنَيْتُمْ أَمَانَتَكُمْ وقال ابن عباس معناه اتَّخُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ دِينًا بترك سنته واتَّخُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ دِينًا بترك ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله تعالى والأعمال التي اتخى عليها العباد وقال قتادة أعلم وأن دين الله أمانة فادوا إلى الله ما تمسكتم عليه من فرائضه وحدوده ومن كانت عليه أمانة فليؤدها إلى من أتمت عليه أمانته الحديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أد الأمانة إلى من اتمسكها ولا تخن من خانك أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب ﴿﴾ وقوله عز وجل (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) قيل هذا مما نزل في أبي لبيبة وذلك لأن أمواله وأولاده كانت في بني قريظة فذلك قال ما قال خوف أعلمهم وقيل إنه عام في جميع الناس وذلك أنه ما كان الإقدام على الخيانة في الأمانة هو حب المال والولد به الله سبحانه وتعالى بقوله واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة على أنه يحب على الماقل أن يحذر من المضار المتولدة من حب المال والولد لأن ذلك يشغل القلب ويصير محجوبا عن خدمة المولى وهذا من أعظم الفتن وروى البغوي بسند عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بصبي فقبله وقال أمانتهم مبيعة مجبة وانهم ربحان الله وأخرج الترمذي عن عمر بن عبد العزيز قال زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو محضض أحد ابني ابنته وهو يقول انكم تبتخلون وتخبئون وتخجلون وانكم لمن ربحان الله قال الترمذي لا نعرف لعمر بن عبد العزيز سمعا عن خولة قوله لمن ربحان



قلو بناعلى طاعتك عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثراً يقول ياقلب القلب  
 ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول الله قد آمنابك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين  
 أصبعين من أصابع الرحمن بقلها كيف شاء أخرجه الترمذى وهذا الحديث من أحاديث الصفات فيجب على  
 المرء المسلم أن يمر على ما جاء مع الاعتقاد الجازم بتزبه الله تعالى عن الجارحة والجسم وقيل في معنى الآية ان  
 الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيئاً وقيل ان القوم لما دعوا الى القتال  
 والجهاد وكانوا في غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضافت صدورهم فقل لهم قاتلوا في سبيل الله واعلموا  
 أن الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف أمناً والخبين جرأة ﴿وقوله تعالى﴾ (وأنه اليه تحشرون) يعنى في  
 الآخرة فيجزى كل عامل بعمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصي ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (واتقوا فتنة  
 لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة) لما أخبر الله عز وجل أنه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع المرء في الفتنة  
 والمعنى واحذر واتقنة ان نزلت بكم لتقتصر على الظالم خاصة بل تعدى اليكم جميعاً وتصل الى الصالح  
 والطالح وأراد بالفتنة الابتلاء والاختبار وقيل تقدره واتقوا فتنة ان لم تتقوها أصابكم جميعاً الظالم وغير الظالم  
 قال الحسن نزلت هذه الآية في علي وعمرار وطلمحة والزبير قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زماناً وما نرى أماناً  
 أهلها فإذا نحن المعنيون بهاي معنى ما كان منهم في يوم الجبل وقال السدي ومجاهد والضحاك وقادة هذا في قوم  
 مخصوصين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أصابهم الفتنة يوم الجبل وقال ابن عباس أمر الله عز وجل  
 المؤمنين أن لا يقرؤا المنكر بين أظهرهم فيعصمهم الله بالعداب فيصيب الظالم وغير الظالم روى البغوى بسنده  
 عن عدي بن عدي الكندي قال حدثني مولى لنا أنه سمع جدى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم يقول ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى ير والمنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن يشكروه  
 فلا يشكروه فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذي ذكره ابن الأثير في جامع الأصول عن عدي بن  
 عميرة الكندي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا حملت الخطيئة في الارض كان من شهدها فأنكرها كن  
 غاب عنها ومن غاب عنها فرضها كان كمن شهدها أخرجه أبو داود عن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه ولم  
 يغيروا إلا صاهم الله بعقاب قبل أن يموتوا أخرجه أبو داود وقال ابن زبدر أبا الفتنة افتراق السمكة  
 ومخالفة بعضهم بعضاً (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها  
 خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي خير من الساعي من تشرف طاعة شرفه ومن وجد ماجأ  
 أومعاً ذا فليعذبه فان قلت ظاهر قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة يشمل الظالم وغير  
 الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه أن يوصل الفتنة الى من لم يذنب قات أنه تعالى مالك الملك  
 وخالق الخلق وهم عبيدوه في ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فيحسن  
 ذلك منه على سبيل المالكية وألانه تعالى علم اشتغال ذلك على أنواع من أنواع الصالحة والله أعلم بمراده  
 ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (واعلموا ان الله شديد العقاب) فيه تحذير وعيد لمن واقع الفتنة التي حذر  
 الله عنها وقوله عز وجل (واذكروا انكم قليل مستضعفون في الارض) لما أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين  
 بطاعة الله وطاعة رسوله وحذرهم من الفتنة ذكرهم نعمته عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر المؤمنين  
 المهاجرين انكم قليل يعنى في العدد مستضعفون في الارض يعنى في أرض مكة في ابتداء الاسلام (تخافون  
 أن يتخطفكم الناس) يعنى كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقال وهب ابن منبه يعنى فارس والروم  
 (فا وآكم) يعنى الى المدينة (وأيدكم بنصره) يعنى وقواكم بالانصار وقال السكيتي وقواكم يوم بدر باللائكة  
 (ورزقكم من الطيبات) يعنى الغنائم أهلها لكم ولم يحلها الا احد قبلكم (الماكم تشكرون) يعنى تشكرون

(وأنه اليه تحشرون)  
 واعلموا أنكم تتحشرون  
 فينيبكم على حسب سلامة  
 القلوب واخلص الطاعة  
 (واتقوا فتنة) عذاباً  
 لا تصيب الذين ظلموا  
 منكم خاصة هو جواب  
 للامر أى ان أصابكم  
 لا تصيب الظالمين منكم خاصة  
 وليكنها نعمكم وجزاء  
 تدخل النون المؤكدة في  
 جواب الامر لان فيه معنى  
 انهى كما ذكرت انزل عن  
 الدابة لا تفرحك وجزاء  
 لا تفرحك ومن في منكم  
 للتبعض (واعلموا أن  
 الله شديد العقاب) اذا  
 عاقب (واذكروا انكم  
 قليل) اذمفعول به لا ظرف  
 أى وذكروا وقت كونكم  
 أقله أدلة (مستضعفون  
 في الارض) أرض مكة  
 قبل الهجرة تستضعفكم  
 قريش (تخافون أن  
 يتخطفكم الناس) لان  
 الناس كانوا لهم أعداء  
 مضادين (فا وآكم) الى  
 المدينة (وأيدكم بنصره)  
 بظاهرة الانصار وبامداد  
 الملائكة يوم بدر (ورزقكم  
 من الطيبات) من الغنائم  
 ولم يحل لاحد قبلكم (الماكم  
 تشكرون) هذه النعم

لا يعقلونه جعلهم من  
جنس البهائم ثم جعلهم  
شرها لأنهم عاندوا بعد  
الفهم وكاروا بعد العقل  
(ولو علم الله فيهم) في هؤلاء  
الصم البكم (خير) صدقا  
ورغبة (لا سمعهم) لجعلهم  
سامعين حتى يسموه واسماع  
المصدقين (ولو أسمعهم  
لتولوا) عنه أى ولو أسمعهم  
وصدقوا لارتدوا بعد ذلك  
ولم يستقيموا (وهم  
معرضون) عن الإيمان  
(يأبها الذين) آمنوا  
استجيبوا لله وللرسول إذا  
دعاكم (وحد الضمير) أيضا  
كما وحده في قوله لان استجابة  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم كانت تجابته والمراد  
بالاستجابة الطاعة  
والامتثال وبال الدعوة  
البعث والتخريض (لما  
يجيبكم) من علوم البيانات  
والشرائع لان العلم حياة  
أن الجهل موت قال الشاعر  
لأنجبن الجهول حلتهم  
فذلك الميت وثوبه كفن  
أو بمجاهدة الكفار لأنهم  
لورفضوا القلوب وهم وقتلوه  
أو للشهادة لقوله تعالى بل  
أحياء عند ربهم (واعلموا  
أن الله يحول بين المرء  
وقلبه) أى يمتنه فتقوته  
الفرصة التى هو واجدها  
وهى التمكّن من

(الصم) عن سماع الحق (البكم) عن النطق به فلا يقولونه (الذين لا يعقلون) يعنى لا يفهمون عن الله أمره  
ونهيهم ولا يقبلونه وانما سمعهم دواب لقلة تشفعهم بعقولهم قال ابن عباس هم نفر من بنى عبد الدار بن  
قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عمى عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا يوم أحد وكانوا أصحاب  
الواء ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويب بن حزملة (ولو علم الله فيهم خيرا لسمعهم) يعنى  
سماع تفهم واتضاع وقبول للحق ومعنى ولو علم الله قال الامام غفر الدين ان كان ما كان حاصله فيجب أن يعلمه  
الله فعدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه فلا جرم حسن التعبير عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده  
وتقدير السلام لو حصل فيهم خيرا لسمعهم الله الحجج والمواظع سماع تعلم وتفهم (ولو أسمعهم) يعنى بعد  
ان علم انه لا خير فيهم لم يتفقوا بما يسمعون من المواظع والدلائل لقوله تعالى (لتولوا وهم معرضون) يعنى  
لتولوا عن سماع الحق وهم معرضون عنه لعنادهم وبخودهم الحق بعد ظهو ره وقيل انهم كانوا يقولون للنبى  
صلى الله عليه وسلم اى لنا نصيصة فانه كان شغافا ركا حتى يشهدك بالنبوة فنؤمن لك فقال الله سبحانه وتعالى  
ولو أحياءهم قصيا وسمعوا كلامه لتولوا عنه وهم معرضون ﴿ قوله عز وجل ﴾ (يأبها الذين آمنوا) استجيبوا  
لله وللرسول (يعنى أجبوا بما للطاعة والالتقاء لامرهما) (اذادعاكم) يعنى الرسول صلى الله عليه وسلم وانما  
وحد الضمير في قوله تعالى اذادعاكم لان استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وانما يذكر  
أحدهما مع الآخر للتوكيد واستدلال كثير الفقهاء بهذه الآية على ان ظاهر الامر للوجوب لان كل من  
أمره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعل فقد دعاه اليه وهذه الآية تدل على انه لا بد من الاجابة في كل مادعا  
الله ورسوله اليه (خ) عن أنى سعيد بن المعلى قال كنت أصلى فى المسجد فدعا نى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فلما أجبه ثم أتيت فقلت يا رسول الله انى كنت أصلى فقال صلى الله عليه وسلم ألم يقل الله استجبوا لله وللرسول  
اذادعاكم ثم ذكر الحديث عن أنى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أنى بن كعب وهو  
يصرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يابى فالتفت أبى ولم يجبه وصلى أبى وخفت ثم انصرف الى رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام  
ما منعك يابى أن تجيبني اذ دعوتك فقال يا رسول الله انى كنت فى الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم أفلم تجد فيها  
أوحى الله الى استجبوا لله وللرسول اذادعاكم لم الجيبكم قال بلى ولا أعود ان شاء الله تعالى وذكر الحديث  
آخر جه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبى صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ليس  
لاحدا أن يقطع صلاته بعد دعاء أحد آخر وقيل لودعاه أحد لامرهم بالاحتياط للتأخير فله أن يقطع صلاته ﴿  
وقوله تعالى (لما يجيبكم) يعنى اذادعاكم الى ما فيه حياتكم قال السدى هو الإيمان لان الكافر ميت فيجيبا  
بالإيمان وقال قتادة هو القرآن لانه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة فى الدارين وقال مجاهد هو الحق  
وقال محمد بن اسحق هو الجهاد لان الله أعزه به بعد الفذل وقيل هو الشهادة لان الشهداء أحياء عند ربهم  
يرزقون (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقليه) قال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصي الله  
ويحول بين الكافر وبين الإيمان وطاعة الله وهذه اقوال سعيد بن جبيرة والضحاك ومجاهد وقال السدى يحول  
بين الانسان وقليه فلا يستطيع ان يؤمن أو يكفر الا بإذنه وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لان  
أحوال القلوب اعتقادات ودواعي وتلك الاعتقادات والدواعي لا بد أن تتقدمها الإرادة وتلك الإرادة لا بد  
لها من فاعل مختار وهو الله سبحانه وتعالى فثبت بذلك ان المتصرف فى القلب كيف شاء هو الله تعالى (م) عن  
عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بنى آدم بين اصبعين من  
أصابع الرحمن قلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت

(نعد) لنصرته عليكم  
(وان تقني عنكم فتكم)  
جمعكم (شيأ ولو كثرت)  
عددا (وان الله مع المؤمنين)  
بالفتح مدني وشامي  
وحقق أي ولان الله مع  
المؤمنين بالنصر كان ذلك  
وبالكسر غيرهم ويؤيده  
قراءة عبد الله وان الله مع  
المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا)  
أطيعوا الله ورسوله ولا  
تولوا عنه (عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم لان  
الغني وأطيعوا الله ورسوله  
الله كقوله والله ورسوله  
أحق أن يرضوه ولان طاعة  
الرسول وطاعة الله شئ  
واحد من يطع الرسول  
فقد أطاع الله فكان  
رجوع الضمير إلى أحدهما  
كرجوعه إليهما كقولك  
الاحسان والاجال لا ينفع  
في فلان أو يرجع الضمير إلى  
الامر بالطاعة أي ولاتولوا  
عن هذا الامر وامتناله  
وأصله ولاتولوا تخلف  
أحدى التاءين تخفيفا  
(وأتم تسمعون) أي وأتم  
تسمعون أو لا تتولوا عن  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ولا تخلفوه وأتم  
تسمعون أي تصدقون  
لانكم مؤمنون لسم كالصم  
المكذبين من الكفرة (ولا  
تكنوا كالكاذبين قالوا  
سمعنا) أي ادعوا السماع

وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن  
الجوح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر أمر بابي جهل بن هشام أن يلقس في القتلي فقال  
اللهم لا يجزك فلما سمعها جعلته من شأني فعمدت نحوه فضرته ضربة طأيرت قدسه بصف ساقه قال  
وضر بني ابنه عكرمة على عاتق فطرح يدي فتعلقت بجلده وأجهضني القتال عنه فلقد قالت عاملة بومي وأني  
لا سحبه اخافي فلما أذنتني جعلت عليها قديمي ثم غطيت بها حتى طرحتها ثم مر بابي جهل وهو عقير معاذ بن  
عفراء فضر به حتى أثبتته وتركه به رمق فر به عبد الله بن مسعود قال عبد الله وجدته بأخرمق فمرفقه  
فوضعت رجلي على عنقه فقلت هل أترك الله وأبعد الله قال وبماذا أتركاني أعمد من رجل قتلتموه أخبرني  
من الدولة قلت لله ورسوله روي عن ابن مسعود انه قال قال لي أبو جهل لقد ارتقيت ياروي الغنم مرتقي صعبا  
ثم احتزرت رأسه ثم جئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هذا رأس عدو الله أي جهل  
فقال الله الذي لا اله غيره فقلت نعم والذي لا اله الا غيره ثم ألقته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله  
وقال أي بني كعب هذا خطب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل للمسلمين ان تستفتحو  
أي تستنصروا فقد جاءكم الفتح أي النصر (خ) عن خباب بن الارت قال شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وهو متوسد برده في ظل الكعبة فقلنا لا نستنصرنا ألا ندهولنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ  
الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمشافر فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط  
الحديد مادون لجه وعظمه ما يصد ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء  
إلى حضرموت ليخاف الله والذنب على غنمه ولكنكم تستجلبون قلت استدل البيهقي بهذا الحديث  
على مفسر به أي بني كعب الآية وفيه نظر لان هذه الواقعة المذكورة في الحديث كانت بمكة والآية بمدينة  
فلا تعلق لأحد بثفسير الآية والله أعلم ويمكن النبي صلى الله عليه وسلم لمادع الله بيدر وسأله انجاز  
ما وعده من إحدى الطائفتين وألح في الدعاء والمسئلة حتى سقط رداؤه قال الله سبحانه وتعالى يجيبا له ان  
تستفتحو يعني تطلبوا النصر وانجاز ما وعدهم الله به فقد جاءكم الفتح يعني فقد حصل لكم ما طلبتم  
فأشكروا الله على ما أنعم به عليكم من اجابة دعائكم وانجاز ما وعدهم به وهذا القول أولى لان قوله فقد جاءكم  
الفتح لا يليق بالباثنيين هذا اذا نصرنا الفتح بالنصر والظفر على الاعداء اما اذا فرسناه بالقضاء والحكم  
لم يمتنع ان يراد به الكفار ما قوله سبحانه وتعالى (وان تنهوا فهو وخبركم) فهو خطاب للكفار يعني  
وان تنهوا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه فهو خير لكم في الدين والدنيا أما في الدين بان  
تؤمنوا به وتكفوا عنه فيجعل لكم بذلك الفوز بالثواب والخلاص من العقاب وأما في الدنيا فهو الخلاص  
من القتل والاسر (وان تعودوا نعد) يعني وان تهودوا والقتال محمد صلى الله عليه وسلم نعد بتسليطه عليكم  
ونصره عليكم (وان تقني عنكم فتكم) يعني جاعتمكم (شيأ) يعني لا تقني عنكم شيأ ولو كثرت يعني  
جاءتكم (وان الله مع المؤمنين) يعني بالنصر لهم عليكم يا معشر الكفار ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا)  
أطيعوا الله ورسوله يعني في أمر الجهاد لان فيه بذل المال والنفس (ولاتولوا عنه) يعني عن الرسول صلى  
الله عليه وسلم لان التولي لا يصح الا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم لا في حق الله تعالى والمعنى لا تعرضوا عنه  
وعن معونه وتواضعه في الجهاد (وأتم تسمعون) يعني القرآن بتلي عليكم (ولاتكنوا كالكاذبين قالوا)  
بالسنة (سمعنا وهم لا يسمعون) يعني وهم لا يسمعون ولا ينفقون بما ساءه عوامم القرآن والمواظف وهذه  
صفة المنافقين (ان شر الدواب عند الله) يعني ان شر من دب على وجه الارض من خلق الله عند الله

وهم المنافقون وأهل الكتاب (وهم لا يسمعون) لانهم ليسوا بصدقين فكأنهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنسوة فاذا توليتم  
عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها شبيه سماعكم لآيوه ثم قال (ان شر الدواب عند الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في مجنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين أظهرهم وقال شامت الوجوه فانهز موافداً لك قوله عز وجل وما رميت أذريت ولكن الله يرمي الذليل فيوسع أحد من البشر أن يرمى كغمام الحصى في وجوه جيش فلا تبقى عين الاوقد دخل فيها من ذلك شيء فصورة الرمي صدمت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأثيرها صدمت الله عز وجل فلهذا المعنى صح النفي والاثبات وقيل في معنى الآية وما बात أذريت ولكن الله بلغ رميكم وقيل وما رميت بالرعب في قلوبهم أذريت بحصياتك ولكن الله يرمي بالرعب في قلوبهم حتى انهزموا (وليس للمؤمنين منه بلاء حسناً) يعني وابيع على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والاجر والثواب فقد أجمع المفسرون على أن البلاء هنا بمعنى النعمة (ان الله سميع) يعني لدعائكم (عليم) يعني باحوالكم ﴿وقوله تعالى﴾ (ذلكم) يعني الذي ذكرت من أمر القتل والرمي والبلاء الحسن من الظفرهم والنصر عليهم فعلنا ذلك الذي فعلنا (وان الله) يعني واعلموا ان الله سمع ذلك (موهن) أي مضعف (كيد الكافرين) يعني مكرهم وكيدهم ﴿وقوله عز وجل﴾ (ان تستفخروا فقد جاءكم فتح) هذا خطاب مع المشركين الذين قالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وذلك ان أباجهل قال يوم بدر لما اتى الجعنان اللهم أينما كان أغفر يعني نفسه ومحمد صلى الله عليه وسلم قطعاً للرحم فأحنه اليوم وقيل انه قال اللهم أينما كان خير اغن عنك فانصره وقيل قال اللهم انصر أهدى الفئتين وخير الفريقين وأفضل الجعنين اللهم من كان أغفر وأقطع لرحمه فأحنه اليوم فانزل الله عز وجل ان تستفخروا ومعنى الآية ان تستحكموا الله على أقطع الفريقين للرحم وأظلم الفئتين فينصر المظلوم على الظالم فقد جاءكم الفتح يعني جاءكم حكم الله بتصرة المظلوم على الظالم والحق على الباطل والمقطع على القاطع (ق) عن عبد الرحمن بن عوف قال اني لواقف في الصف يوم بدر فطمرت عن يميني وعن شمالي فإذا أنا بعلامين من الانصار حديثه أسنتهما ففتيت أن أكون بين أضاع منهما فغمزني فأحدهما فقال أي عم هل تعرف أبا جهل قلت نعم فأحاجتكم اليه يا ابن أخي قال أخبرني انه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الاعمل منافعة لذلك قال وغمزني الآخر فقال لي مثلهما فلم أنسب أن نظرت الى أبي جهل بل مجول في الناس فقلت لأتربان هذا صاحبكم الذي تسألان عنه قال فابذراه بسيفهما فضر به حتى قتلاه ثم انصر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال أيكما قتله فقال كل واحد منهما أنا قتله فقال هل سمعتماسيبيكم كما فقال لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السيفين فقال كلاهما قتله وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلبه لهما والرجلان معاذ بن عمرو بن الجوح ومعاذ بن عفره (ق) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع أبوجهل فأنطلق ابن مسعود فوجه قد ضربه ابنا عفره حتى برد قال فأخذ بلحيته فقال أنت أبوجهل وفي كتاب البخاري أنت أباجهل هكذا قاله أنس فقال وهل فوق رجل قتلهوه وقال قتله قومه وفي رواية فقال أبوجهل فلو غيراً كارتلتني عن عبد الله بن مسعود قال مرت فإذا أبوجهل صريع قد ضربت رجله فقلت باعد والله بأبأ جهل قيداً خزي الله الآخر قال ولأباهه عند ذلك فقال أعمد من رجل قتله قومه فضر به بسيف غير طائل فلم يغن شيئاً حتى سقط سيفه من يده فضر به حتى برد آخرجه أبو داود وأخرجه البخاري مختصراً قال انه أتى أبي جهل يوم بدر وبه رمق فقال هل أعمد من رجل قتلهوه وقال عكرمة قال المشركون والله مانع من ما جاء به محمد فأفح يدينا ويده بالحق فانزل الله عز وجل ان تستفخروا فقد جاءكم الفتح يعني ان تستفخروا فقد جاءكم القضاء وقال السدي والسبكي كان المشركون لما خرجوا الى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة أخذوا باستتار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزب بين وأفضل الدينين ففهم نزلت ان تستفخروا فقد جاءكم الفتح يعني ان تستفخروا فقد جاءكم النصر وهو على مأسأله فكان النصر لاهدى الفئتين

(وليس للمؤمنين) وابيعطهم) منه بلاء حسناً) عطاء جيلاً والمعنى وللإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل وما فعل الا لتلك (ان الله سميع) لدعائهم (عليم) باحوالهم (ذلكم) اشارة الى البلاء الحسن وعمله الرفع أي الامر ذلكم (وان الله موهن كيد الكافرين) معطوف على ذلكم أي المارد بلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين موهن كيد شامى وكوفي غير حفص موهن كيد حفص موهن غيرهم (ان تستفخروا فقد جاءكم الفتح) ان تستفخروا فقد جاءكم النصر عليكم وهو خطاب لاهل مكة لانهم حين أرادوا ان ينفروا تعلقوا باستتار الكعبة وقالوا اللهم ان كان محمد على حق فنصره وان كنا على الحق فانصرنا وقيل ان تستفخروا خطاب للمؤمنين وان تنهوا للكافرين أي



(ذلك) إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو مبتدأ خبره (بانهم شاقوا الله ورسوله) أي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاققتهم أي مخالفتهم وهي مشتقة من الشق لأن كلا المتعديين في شق خلاف شق صاحبه وكذا المعادة والمخاصمة لأن هـ ذاتي عدوة وخصم أي جانب وذاتي (١٨٤) عدوة وخصم (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب)

هو جالس إذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب قد قدم فقال أبو لهب يا ابن أخي فعدك الخبر اليقين جلس إليه الناس قيام عليه فقال أبو لهب يا ابن أخي أخبرني كيف كانت أحوال الناس قال لا شيء والله أن كان الآن لقيناهم فخنناهم كخافنا يقتلوننا ويأسرونا كيف شأنا وأيم الله مالت الناس لقينا رجلا يبضاع على خيل يلق بين السماء والأرض والله لا يتلقاهم شيء ولا يقول لهم شيء قال أبو رافع فرفعت طرف الحجر يدي وقلت نالك والله الملائكة فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضرباً شديداً فثأرته فاحتما لي فضرب في الأرض ثم بكى على صدرى وكنت رجلاً ضعيفاً فقامت إليهم الفضة بعمود من عمدة الحجرة فضر بته ضرباً فالت رأسه مشجعة منكروة وقالت تستضعفان غلب عنه سيده فقام موايلداً يلا فوالله ما عاش الأسبوع أياماً حتى رماه الله تعالى بالعدسة فقتله وروى مقدم عن ابن عباس قال كان الذي أسير العباس أبو اليسر كعب بن عمرو واخوه بني سلمة وكان أبو اليسر رجلاً يجمعوا وكان العباس رجلاً جدياً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاني اليسر كيف أسرت العباس قال يا رسول الله لقد أعاني عليه رجل ماراً به قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعانك عليه مالك كرم وكانت وقعة بدر في صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (ذلك) يعني الذي وقع من القتل والأسير يوم بدر (بانهم شاقوا الله ورسوله) يعني بانهم خالفوا الله ورسوله والمشاة والمخالفة وأصلها المجانية كأنهم صاروا في شق وجانب عن شق المؤمنين وجانبهم وهذا مجاز معناه أنهم شاقوا أولياء الله وهم المؤمنون وأشاقوا دين الله قال سبحانه وتعالى (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) يعني أن الذي نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والأسير شيء قليل فيما أعد الله لهم من العقاب يوم القيامة ﷻ ثم قال تعالى (ذلكم) إشارة إلى القتل والأسير الذي نزل بهم (فدوقوه) يعني عاجلاً في الدنيا لأن ذلك يسير بالإضافة إلى المؤجل الذي أعد الله لهم في الآخرة من العذاب وهو قوله (وأن للكافرين عذاب النار) يعني في الآخرة عن ابن عباس قال ما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر فقبل له عليك بالعباس من دونها شيء قال فناداه العباس من وثاقه لا يصلحك لأن الله وعدك أحدي الطائفتين وقد أعطاك الله ما وعدك قال صدقت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ﷺ وقوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا القيمم الذين كفروا زحفا) يعني بجته من متزاحفين بعصمكم إلى بعض والتزاحف التدافى في القتال وأصل الزحف مشى مع جر الرجل كابتعاث الصبي قبل أن يمشي وسمى مشي الطائفتين بعضهم إلى بعض في القتال زحفاً لأنهم تشبوا طائفة إلى صاحبتهما ياربوا وذلك قبل التدافى للقتال وقال تعلى الزحف المشى قليلاً قليلاً إلى الشيء (فلا تولوهم الادبار) يعني فلا تولوهم ظهوركم منهم من منهم فإن التهمز بولى ظهره وودبره (ومن يولهم يومئذ دبره) يعني ومن يهزمه بول دبره يوم الحرب والقتال (المتحرف للقتال) يعني المنقطع إلى القتال يرى عدوه من نفسه الانهزام وقصد طلب الكرة على العدو والعود إليه وهذا هو أحد أبواب الحرب وخدعها وما يكادها ﷻ وقوله تعالى (أو متحيزاً إلى فئة) يعني أو متحيزاً وصاراً إلى جماعة من المؤمنين يريدون العود إلى القتال (فقد باء بغضب من الله) يعني من اهزم من المسلمين وقت الحرب إلا في هاتين الحالتين وهي التحرف للقتال والتحيز إلى فئة من المسلمين فقد رجع بغضب من الله (وما أوا جهنم وبئس المصير) ٥

والكاف في ذلك خطاب الرسول وأهله وأهله على حدوتي ذلك المكفرة على طريقة الالتفات ومحل الرفع على ذلك المكفرة أو العقاب (ذلك فذوقوه) والواو في (وأن للكافرين عذاب النار) بمعنى مع أي ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير (يا أيها الذين آمنوا إذا القيمم الذين كفروا زحفا) حال من الذين كفروا والزحف الجيش الذي يرى أكثرته كأنه يزحف أي يدب دبيبا من زحف الصبي إذا دب على استه قليلاً قليلاً سعى بالصدر (فلا تولوهم الادبار) فلا تنصرفوا عنهم منهم من أي إذا القيممهم للقتال وهم كثير وأنتم قائل فلا تنصرفوا لأن تدانهم في العدو تدانوا وهم أحوال من المؤمنين أو من الفريقين أي إذا القيممهم متزاحفين هم وأنتم (ومن يولهم يومئذ دبره) المتحرف (القتال) هو الكر بعد الفر يخيل عدوه أنه

منهم ثم يعطف عليه وهو من خدع الحرب (أو متحيزاً) منضم إلى فئة إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وهذا حال من ضمير المفاعلي في يولهم (فقد باء بغضب من الله وما أوا جهنم وبئس المصير) ووزن متحيز متفعيل لا متفعّل لأنه من حاز بحوزة فبأنه متفعّل منه متحوز ولما كسر وأهل مكث وقولوا أسروا وكان القاتل منهم يقول تفاخر أقتلت وأسرت قيل لهم



عنهم وسوسة الشيطان وملأته أنفسهم وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلاً على حصول النصر والظفر فذلك قوله سبحانه وتعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به يعني من الأحداث والجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) يعني وسوسته التي ألقاها في قلوبكم (وليربط على قلوبكم) يعني بالنصر واليقين والربط في اللغة الشد وكل من صبر على أمر فقد ربط نفسه عليه قال الواحدي ويشبه أن تكون لفظة على صلة والمعنى وليربط قلوبهم بالصبر وما وقع فيها من اليقين وقيل إن لفظة على ليست بصلة لأنها تقدير الاستعلاء فيكون المعنى إن القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كأنه علا عليها وارتفع فوقها (ويثبت به الأقدام) يعني إن ذلك المطر ليد الأرض وقوى الرمل حتى تثبت عليه الأقدام وحواقر الدواب وقيل المراد به تثبيت الأقدام بالصبر وقوة القلب لأن من يكون ضعيف القلب لا يثبت قدمه بل يفر ويهرب عند اللقاء وقوله سبحانه وتعالى (اذبحوا ربك إلى الملائكة في معكم) يعني إن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى الملائكة الذين أمدهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في معكم بالنصر والمعونة (فتبوا الذين آمنوا) أي قوا قلوبهم واختلجوا في كيفية هذه الثقة وبالتثبيت فقيل كان للشيطان قوة في القضاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالشرك فذلك الملك قوة في القضاء الإلهام في قلب ابن آدم بالخبر ويسمى ما يلقي الشيطان وسوسة وما يأتي الملائكة والطهارة فذا هو التثبيت وقيل إن ذلك التثبيت هو حضورهم معهم القتال ومعوتهم لهم أي ثبوتهم بقتال معكم المشركين وقيل معناه بشر وهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشي في صورة رجل أمام الصف ويقول لبشر وافتان الله ناصركم عليهم (سأقي في قلوب الذين كفروا الرعب) يعني الخوف وكان ذلك نعمة من الله على المؤمنين حيث ألقى الرعب والخوف في قلوب الكافرين (فاضربوا فوق الأعناق) قيل هو خطاب مع المؤمنين فيكون منقطعاً عما قبله وقيل هو خطاب مع الملائكة فيكون متصلاً بما قبله قال ابن الأنباري ما كانت الملائكة تعرف قتال بني آدم فعلمهم الله ذلك بقوله تعالى فاضربوا فوق الأعناق قال عكرمة يعني الرأس لأنها فوق الأعناق وقال الضحاك معناه فاضربوا الأعناق وفوق صلبة وقيل معناه فاضربوا على الأعناق فتكون فوق بمعنى على (واضربوا منهم كل بنان) يعني كل مفصل وقال ابن عباس يعني الأطراف وهي جمع بنانه وهي أطراف أصابع اليدين سميت بذلك لأن بها صلاح الأحوال التي يمكن الإنسان أن يبين ما يريد أن يعمل بيديه وأما خصت بالذكور من دون سائر الأطراف لأجل أن الإنسان بها يقاتل ويهاجمك السلاح في الحرب وقيل أنه سبحانه وتعالى أمرهم بضرب أعلى الجسد وهو الرأس وهو أشرف الأعضاء وبضرب البنان وهو أضعف الأعضاء فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد وقيل أمرهم بضرب الرأس وفيه هلاك الإنسان وبضرب البنان وفيه تعطيل حركة الإنسان عن الحرب لأن البنان يتمكن من مسك السلاح وحمله والضرب به فاذا قطع بنانه تعطل عن ذلك كما مروى عن أبي داود والمذاقني وكان شهيداً يذبحه فقال أني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه بأذني رأسه قبل أن يصل إليه سيقي فعرفت أنه قد تلهى عني وعن سهل بن حنيف قال أقتل ابن آدم يذبحه أحدنا بالبشر بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف وروى عكرمة عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاماً لعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الإسلام قد دخل علينا أهل البيت فأسامت أم الفضل وأسامت وكان العباس يكره خلافهم وكان يكرههم إسلامه وكان ذمال كثير متفرق في قومه وكان عدواً لله أبوطب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فاما جاءه الخبر عن مقتل أصحاب بدر كتبته الله وأخاه وجدنا في أنفسنا قوة وعزاً قال أبو رافع وكنت رجلاً ضعيفاً أعمل القداح وأنتجت في نخرة من فم فوالله أني لأجالس أشعث القداح وعندي أم الفضل جالسة إذ قبل الفاسق أبوطب بجر رجليه حتى جلس على طنب الحجر فكان ظهري إلى ظهره فيبينها

أن يقع على مقتل أو غير مقتل فاضربهم أن يحجموا عليهم النوعين

(وما جعله الله) أى الامداد الذى دل عليه معكم (الابشرى) (ابشارة) لى النصر (ولطمأن به فلوكم بكم) يعنى انكم استغنم ونصر عنكم

لقتاكم فكان الامداد باللائكة

(١٨٢)

بشارة لكم بالنصر ونسكنكم و بطل على قلوبكم (وما النصر الا من

عند الله) أى ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان النصر هو الله لكم والملائكة أو وما النصر من الملائكة وغيرهم من الاسباب الامن عند الله والمنصور من نصره الله واختلف في قتال الملائكة يوم بدر ف قيل نزل جبريل عليه السلام في خيامة ملك على اليمينة وفيها أبو بكر رضى الله عنه وميكائيل في خيامة على اليسرة وفيها على رضى الله عنه في صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوها أذنانها بين أكتافهم فقالت حتى قالأبو جهل لاني مسعود من أين كان ياتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل للملائكة قال فهم غلبونا لا تم وقيل لمقاتلوا وانما كانوا يكثر ون السوادو يشتبون المؤمنين والافلاك واحد كافى اهلاكم أهل الدنيا (ان الله عزيز) بنصر أوليائه (حكيم) بقهر أعدائه (اذ يشاءكم) يدل ثان من اذ يعدكم ومنصوب بالنصروا باضارا ذكريعشيتكم مدنى (النعاس) النوم والقائل

خيامة وميكائيل عليه السلام في خيامة في صور الرجال على خيل باقى عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوها بين أكتافهم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ناضر به وقال أبو بكر ان الله يجزلك ما وعدك خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في المر يشتم انبى فقال ياأبا بكر اناك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثيابه التقع (خ) عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برفأس فرسه عليه أداة الحرب يعنى آلة الحرب قال ابن عباس كان سببا للملائكة يوم بدر عثمان بيض ويوم حنين عثمان خضر ولم تقال للملائكة في يوم سوى يوم بدر من الأيام وكانوا يكونون فيها سواء عداو ومداوروى عن أبى أسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدر الله قال بعد ما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم بيدرومى بصري لارىتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة وقد تقدم الكلام في سورة آل عمران هل قاتلت الملائكة أم لا والصحيح انهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس في الذى ضرب به بالسوط خطم أنفه وشق وجهه وكانوا فيها سوى يوم بدر مدداو عونا وقيل انهم لم يقاتلوا وانما نزلوا اليكثر واسود المسلمين ويشبههم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى (وما جعله الله لى بشرى) يعنى وما جعل الله الاراداف بالملائكة لى بشرى (ولطمأن به فلوكم) وهذا يحقق انهم انما نزلوا لذلك للقتال والصحيح هو الاول وأنهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيها سواء من الأيام وقوله تعالى (وما النصر الا من عند الله) يعنى ان الله هو ينصركم أي المؤمنين فنقوا بنصره ولا تتكأوا على قوتكم وشدة باسكم وفيه تنبيه على ان الواجب على العبد المسلم أن لا يتوكل الا على الله تعالى في جميع أحواله ولا يشق بغيره فان الله تعالى يبدء النصر والاعانة (ان الله عزيز) يعنى انه تعالى قوى منيع لا يقهره شئ ولا يعلبه غالب بل هو يقهر كل شئ ويغلبه (حكيم) يعنى في تدبيره ونصره بنصر من يشاء ويخذل من يشاء من عباده قوله سبحانه وتعالى (اذ يغشاكم النعاس أمنة منه) أى واذا كروا اذ يلقى عليكم النعاس وهو النوم الخفيف أمنة منه أى أمانا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم قال عبد الله بن مسعود النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة من الشيطان والقاعدة في كون النعاس أمنة في القتال أن الخائف على نفسه لا يأخذ به النوم فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عدوهم وعددهم وقلة المسلمين وقلة عددهم وعددهم وعطشوا وعطشوا عشا شديدا ألقى عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتكفوا من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيا بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم وقيل في كون هذا النوم كان أمنة من الله انه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول النعاس لهذا الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد أمر خارج عن العادة فلهاذا السبب قيل ان ذلك النعاس كان في حكم المعجزة لانه أمر خارج للعادة وقوله سبحانه وتعالى (ويُنزل عليكم من السماء ماء) يعنى المطر (ليطهركم به) وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كثير من مل أعفرتسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وكان المشركون قد سبقوهم الى ماء بدر فنزلوا عليه وأصبح المسلمون على غير ما هم وبعضهم محدث وبعضهم جنب وأصابهم العطش فوسوس لهم الشيطان وقال تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وأولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصالون عهدين ومجدين فكيف ترجون أن تظهروا على عدوكم فاقر الله سبحانه وتعالى مطر اسال منه الوادى فشر به المؤمنين واغسلوا ونوضوا وسقوا الركاب واملأوا الاسقية وطأوا الغبار وابدأ الأرض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت

هو الله على القراءتين يغشاكم العاس مكى وأبو عمرو (أمنة) مفعول له أى اذ تنعسون أمنة يعنى أمنا عنكم أو مودعكم أى فامنتم أمنة فأنتم بريح العارب وريح النفس (منه) صفة لها أى أمنة حاصلة لكم من الله (وينزل) بالتخفيف مكى وبصري ما تشدد بغيرهم (عليكم من السماء ماء) مطر (ليطهركم به) بالماء من الحدث والجناية



يقع في رجالكم حتى تناول النساء وأنت تسمع ولم يكن عندك غدة لشيء مما سمعت قال قلت قد والله فعلت ما كان مني اليمن من شيء وأيم الله لا تعرض له فإن عادلا كفيكته قال فعددت في اليوم الثالث من رؤي يا عائشة وأنا حديد مغضب أرى أني قد فأتني شيء أحب أن أدركه منه قال فدخلت المسجد فريته ففوالله اني لأمر نحوه أو تعرضه أيعود لبعض ما قال فاقع به وكان أبو جهل رجل خفيف فاحد يد الوجه حديد اللسان حديد النظر اذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال العباس فقلت في نفسي ما له لعنه الله كل هذا فرأيت ما كان شأنه قال فاذا هو قد سمع ما لم أسمع سمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ بيطن الوادي واقفا على بعيره وقد جدد بعيره وحول رجله وحش قيصة وهو يقول يا معشر قريش الاطعمة الاطعمة هذه أو الكم مع أبي سفيان وقد عرض طامحاً في أصحابه ولا أرى أن تدركوها الغوث الغوث قال فتشغلي عنه وشغله عني ما جاء من الامر قال فتجهز الناس سرا عا لم يتخلف من أشرف قريش أحد إلا أن أباطب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش للسيرة ذكرت الذي بيننا وبين بني بكر بن عبد مناف بن كنانة من الحرب فقالوا لئن نحن أن يا توأمن خلفنا فكذلك أن ينضم قتيبي لهم يا بليل في صورة سراقه ابن مالك بن جعشم وكان من أشرف بني بكر فقال أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم شيء تكرهونه نخرجت قريش سرا عا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ليل مضت من شهر رمضان حتى بالغ واذا يقال له ذاق فأنه اخبر عن مسير قريش ليمتعوا عن غيرهم فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالروحاء أخذ نعيه القوم فاخبره بخبرهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عيناه من جهة حليفاً للانصار يدعى أربقط فأنه أخبر القوم وسبق العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فتل جبريل عليه السلام وقال ان الله وعدكم إحدى الطائفتين أنهما الحكم اما العير واما قريش وكانت العير أحب اليهم فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في طلب العير وحسب النضر فقام أبو بكر فقال وأحسن وقام عمر فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله ما نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا نقاعدون ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو مرت بنا إلى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجادلنا معك من دونه حتى نبأه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير اودعنا له بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس وأنابوا إلى الانصار وذلك لانهم عدد الناس وأنهم حين يابعدوا بالعقبه قالوا يا رسول الله انابرأ من ذمامك حتى تصل إلى دارنا فإذا وصلت إليها فانت في ذمامنا فمنعك عما تمنع منه أبناء نونساء فافكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الانصار ترى عليها نضرته الا نحن دهمهم بالدينه من عدوه وأن ليس عليهم أن يسيروا معه إلى دومة من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكانك تريد ان يار رسول الله قال أجل قال قد آمنابك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهد ودناهم وايقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعصمت بيهذا البعير لخصمتهم لخصناهم معك ما يتخلف منا أحد وما نكره أن نأق ببناءه ونأودع ذلك اننا صبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله عز وجل أن يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سعد ونسطه ذلك فقال سبروا على بركة الله وأبشروا فان الله عز وجل قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم (م) عن أنس ابن مالك أن عمر بن الخطاب حدثه عن أهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالامس يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى قال عمر فوالذي بعثه بالحق ما أخطوا الحدود التي حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا في

والنفي والتقدير واذيعدكم  
الله أن احدى الطائفتين  
لكم

أبوجهل قد أقبل فقالوا عليك العبد و قد قام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنت ما قام سعد ابن عباد فقال انظر أمرك فامض فواته لو سرت الى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو امض لما أمرك الله فامنعك حيث أحببت لا تقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك (١٧٩) فقاتلانا هاهنا فاعدون ولكن

اذهب أنت وربك فقد لا  
انامعكما قاتلون مادامت  
عين مناظر فضحك  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وقال سعد بن معاذ  
امض يا رسول الله لما أردت  
فوالذي بعثك بالحق لو  
استعرضت بنا هذا البحر  
خفتة خضناه معك ما  
تخلف منا رجل واحد فسر  
بنا على بركة الله ففرج  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ونشطه قول سعد بن  
قال سيروا على بركة الله  
أبشروا فان الله وعده في  
احدى الطائفتين والله  
لكأنى الآن انظر الى  
مصارع القوم وكانت  
الكراهة من بعضهم لقوله  
وان فريقا من المؤمنين  
للكارهون قال الشيخ أبو  
منصور رحمه الله يحتمل  
أنهم منافقون كرهوا ذلك  
اعتقادا ويحتمل أن  
يكونوا اخلاصين وأن يكون  
ذلك كراهة طبع لانهم غير  
متأهين له (بجادلونك في  
الحق) الحق الذي جادلوا فيه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم  
تلقى التغير لا يشارهم عليه

وسلاحهم (بجادلونك في الحق) وذلك ان المؤمنين لما يقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لم تعلمنا أن نالقي  
العدو فستعداقتاهم وانما خرجنا لطلب العدو فلذلك جداهم (بعد ما تبين) يعني تبين لهم أنك لاتضع شيئا  
الا يامر بك وتبين لهم صدقك في الوعد (كأنما يساقون الى الموت) يعني لشدة كراهتهم القتال (وهم  
ينظرون) يعني الى الموت شبه جاهلهم في فرط فزعهم يحال من يجر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر  
اليه ويعلم أنه آتية ﴿ قوله عز وجل (واذ يبعثكم الله احدى الطائفتين) يعني الفرقتين فرقة أبى سفيان  
مع العير وفرقة أبى جهل مع النضير (أنها لكم) يعني احدى الفرقتين لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير  
ومحمد بن اسحق والسدي أقبل أبو سفيان بن حرب من الشام في عير فر يش في أر بعين راكبا من كفار  
فر يش منهم عمرو بن العاص ومخزوم بن نوفل الزهري ومعهم بحارة كبيرة وهى الطائفة يريد بالاطيمة الجال  
التي تحمل العطر والبرغير المبردة حتى اذا كانوا فر يما من بدر بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فندب أصحابه  
اليهم وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه عير فر يش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن  
ينفلكم وما فائدته بالناس نخف بعضهم وتقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صل الله عليه وسلم  
يأتي حرا فالنماسة أبو سفيان بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه استأجره ضم بن عمرو الغفاري فعنه  
الى مكة وأمره أن يأتي فر يشا يستنفرهم ويخبرهم أن محمد أفى أصحابه قد عرض اعيرهم فخرج ضمضم  
سر يعالى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت رؤيا قبل قدوم ضمضم مكة بثلاثة أيام أفرغت فاجتمعت  
الى أخيه العباس بن عبد المطلب فقالت يا أخى والله لقد رأيت الالهة رؤى بالفرقتين وخشيت أن يدخل على  
قومك منها شر ومصيبة قال هو أمارأت قالت رأيت راكبا أقبل على بعيره حتى وقف بالابطع ثم صرخ بأعلى  
صوته ألافنا روبايا آل غدر الى مصارعكم في ثلاث فإرى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس  
يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها بأعلى صوته ألافنا روبايا آل غدر الى  
مصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعده على رأس أبى قبيس فصرخ مثلها ثم أخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوى حتى  
اذا كانت باسفل الجبل أرفضت فأتى بيت من بيوت مكة ولادار من دورها الاود خلفها مائة فاقعة فقال العباس  
والله ان هذه الرؤيا فظيفة فاقعتها ولا نذكر بها لاحد ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة وكان صديقا  
للعباس فذكر رؤيا عاتكة له واستكتمها اباه فاذا كره الوليد لايه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به فر يش  
بمكة قال العباس فعمدت أطوف بالبيت وأبوجهل بن هشام بن نقرم فر يش يتحدثون برؤيا عاتكة  
فقدوت أطوف فلما رأى أبوجهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل الينا قال العباس فلما فرغت  
من طوافي أقبلت اليهم حتى جلست معهم فقال لى أبوجهل يا بنى عبد المطلب متى حدثت هذه النبية فيكم قلت  
وماذا قال الرؤيا التي رأت عاتكة قلت وما رأت قال يا بنى عبد المطلب أمارضتم أن تنبأ رجالكم حتى تنبأ  
نساءكم لقد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال الرؤيا في ثلاث فسنتر بص بكم هذه الثلاث فان يك ما قالت  
حقا فسيكون وان تحض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء كتبت عليكم كتابا بانكم أكذب أهل بيت في  
العرب قال العباس فواتها ما كان منى اليه من كيرشنى الا انى سجدت ذلك وأنكرت أن تكون عاتكة رأت  
شيئا ثم نفر قنا فلما أمسبت لم تنق امرأة من بنى عبد المطلب الا أنقن فقلن أفررت لهذا الفاسق الخبيث أن

تلقى العير (بعد ما تبين) بعد اعلام رسوله صلى الله عليه وسلم بانهم نصررون وجداهم قوطم ما كان خروجنا الا لله مردوا فلا قلت  
لنا لستعد وذلك لكرههم القتال (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) شبه جاهلهم في فرط فزعهم يسارهم الى الظفر والفتية محال  
من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليه الا يشك فيها وقيل كان خوفهم اقلة العدو وانهم كانوا رجالا وما  
كان سهم الافارسان (واذ يبعثكم الله احدى الطائفتين) اذ منسوب باذ كروا وحدى مفعول نان (أنها لكم) بدل من احدى الطائفتين وهما العير

(لم درجات) مراتب بعضها فوق بعض على قدر الاعمال (عند ربهم ومغفرة) ونحوها ولسياهم (ورزق كريم) صاف عن كد الاكتساب وخوف الحساب الكاف في (كما أخرجك (١٧٨) ر بك) في محل النصب على انه صفة لصدر الفعل المقدر والتقدير قبل الانفال

استقرت لله والرسول  
وثبتت مع كراهتهم نباتا  
مثل نبات الخراج ر بك  
ايك من يشك وهم  
كارهون (من يشك)  
يريد بنبه بالذنب والمنة  
نفسها لانها مهاجرة  
ومسكنه فهي في  
اختصاصها كاختصاص  
البيت لسا كنه (بالحق)  
اخراجا لمتبسا بالحكمة  
والصواب (وان فرقا  
من المؤمنين لكارهون)  
في موضع الحال أي  
أخرجك في حال كراهتهم  
وذلك ان عيرقر يش  
أقبلت من الشام فيهاجرة  
عظيمة ومعها هار بعون  
راكبهم أبو سفيان  
فاخرجهم بل النبي عليه  
السلام فاخبر أصحابه فاعجبهم  
تلقى العير أكثره الخير وقلة  
القوم فلما خرجوا علمت  
قر يش بذلك فخرج أبو  
جهل بجميع أهل مكة وهو  
الغير في المثل السائر لاني  
العير ولا في التنفير ف قيل له  
ان العير أخذت طريق  
الساحل ونجت فاني وسار  
بين معالي بدر وهو ماء  
كانت العرب تجتمع فيه  
لسوقهم يوماني السنة  
ونزل جبريل عليه السلام  
فقال يا محمد ان الله وعدكم

لغير عبد الله بن مسعود فاخبرناه بما قالوا قال فارددتم عليهم قلنا لم نرد عليهم شيئا قال هلا قلتم لهم أمن أهل  
الجنة أتم ان المؤمنين هم أهل الجنة وقال سفيان الثوري من زعم انه مؤمن حقا عند الله ثم لم يشهد انه في  
الجنة فقد آمن بنصف الآخرة دون النصف الآخر \* الوجه الرابع ان قولنا اننا مؤمن ان شاء الله للتعجب  
لأنك فهو كقول صلي الله عليه وسلم وان شاء الله بك لاحقون مع العلم القطعي انه لاحق بأهل القبور  
\* الوجه الخامس ان المؤمن لا يكون مؤمنا حقا الا اذا ختم له بالايمان ومات عليه وهذا لا يحصل الا عند الموت  
فان هذا السبب حسن ان يقول اننا مؤمن ان شاء الله فالمراد صرف الاستثناء الى الخاتمة وأجاب أصحاب هذا  
القول وهم أصحاب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنهم عن استدلال أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهم  
بقولهم ان المتحرك لا يجوز ان يقول اننا متحرك ان شاء الله بان الفرق بين وصف الانسان بكونه مؤمنا  
وبين وصفه بكونه متحركا كان الايمان يتوقف حاله على الخاتمة والحركة فعل يقضي حصول الفرق بينهما  
والجواب عن الوجه الثاني وهو قولهم انه سبحانه وتعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم لهم بكونهم  
مؤمنين حقا لله تعالى حكم للموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية بكونهم مؤمنين حقا اذا أتوا بتلك  
الاصواف الخمسة ولا يقدر احد ان يأتي بتلك الاصواف على الحقيقة ونحن نقول أيضا ان من أتى بتلك  
الاصواف على الحقيقة كان مؤمنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك أحد والله أعلم بما رده وأسرار كتابه وقوله  
تعالى (لم درجات عند ربهم) يعني لهم مراتب بعضها أعلى من بعض لان المؤمنين متفاوتوا أحوالهم في  
الاخذ بتلك الاصواف المذكورة فلها تفاوت مراتبهم في الجنة لان درجات الجنة على قدر الاعمال قال  
عطاء درجات الجنة يرفعون فيها بأعمالهم وقال الربيع بن أنس درجات الجنة سبعون درجة ما بين  
الدرجتين حوض الفرس المضر سبعين سنة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة  
مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال  
ان في الجنة مائة درجة كل درجة لسان العالمين اجتماعي واحد من لوسبعهم (ومغفرة) يعني لهم مغفرة لأنهم  
(ورزق كريم) يعني ما أعد لهم في الجنة وصفه بكونه كرميلا منافسه حاصلة لهم دائما عليهم مقرونة  
بالاكرام والتعظيم قوله سبحانه وتعالى (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) اختلفوا في الجالب لهذه  
الكاف ما هو فقال المبرد تقديره قل الانتقال لله والرسول وان كرهوا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان  
كرهوا وقيل معناه امض لامر ربك في الانتقال وان كرهوا كما مضت لامر ربك في الخروج من البيت  
لطلب العير وهم كارهون وقيل معناه فائقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم كان الخراج محمد  
صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق هو خير لكم وان كرهه فربكم وقيل هو راجع الى قوله سبحانه وتعالى لم  
درجات عند ربهم تقديره وعد الله المؤمنين بالدرجات حتى ينجزه الله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك  
بالحق وأئتمز الوعد بالنصر والظفر وقيل هي متعلقة بما بعده فالتقدير كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على  
كرهه فربكم منهم كذلك يكرهون القتال ويحاذونك فيموجب الكاف بمعنى أي امض على الذي أخرجك  
ربك من بيتك بالحق فانه حق وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره والذي أخرجك ربك من بيتك وجوابه  
يحاذونك في الحق وقيل الكاف بمعنى اذنته واذكر يا محمد اذا أخرجك ربك من بيتك بالحق قبل المراد  
بهذا الاخراج اخرجهم من مكة الى المدينة للهجرة وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو خروجه  
من المدينة الى بدر ومعناه كما مر بك بالخروج من بيتك بالمدينة بالحق يعني بالوحي لطلب المشركين  
(وان فرقا من المؤمنين لكارهون) يعني لقتال وانما كرهوه لقلعة عددهم وقلة سلاحهم وكثرة عدوهم

وسلاحهم

احدى الطائفتين اما العير واما فرقا شافعا شافعا رضي الله عنه وقال العير أحب اليكم أم

التنفير قالوا بل العير أحب اليك من لقاء العدو وفتر وجوز رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا



(الذين يقيمون الصلاة وعمارزقناهم ينفقون) جمع بين أعمال القلوب من الوجل والاخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (أولئك هم المؤمنون حقا) هوصفة لصدور محذوف أى أولئك هم المؤمنون (١٧٧) إيماناً حقا أو هو مصدر مؤكد

للمجملات التي هي أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا أى حق ذلك حقا وعن الحسن رحمه الله أن رجلا سأله أؤمن أنت قال ان كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله إنما المؤمنون الآية فلا أدري أنا منهم أم لا وعن الثوري من زعم أنه مؤمن بالله حقاً لم يشهد أن من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية أى كمالاً يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقاً فلا يقطع بأنه مؤمن حقا وهذا يتنبه من يقول أنا مؤمن ان شاء الله وكان أبو حنيفة لا يقول ذلك وقال لقائدة لم تستثنى في إيمانك قال اتبعا لآل إبراهيم في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال له هلا قديت به في قوله أولم تؤمن قال بلى وعن إبراهيم التيمي قل أنا مؤمن حقاً فان صدقت أثبت عليه وان كذبت فكفر كاشد من كذبك وعن ابن عباس رضى

يصر بحيث لا يبق له اعتماد في شيء من أموره الأعلى الله عز وجل واعلم أن هذه المراتب الثلاث أعنى الوجل عند ذكر الله وزيادة الإيمان عند تلاوة القرآن والتوكل على الله من أعمال القلوب ولما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الصفات الثلاث أتبعها بصفتين من أعمال الجوارح فقال سبحانه وتعالى (الذين يقيمون الصلاة وعمارزقناهم ينفقون) يعنى يقيمون الصلاة المفروضة بحمد ردها وأركانها وأوقاتها وينفقون أموالهم فيها أمرهم الله به من الاتفاق فيهم يدخل فيه النفقة في الزكاة والحج والجهاد وغير ذلك من الاتفاق في أنواع البر والقرابات ثم قال تعالى (أولئك) يعنى من هذه صفتهم (هم المؤمنون حقا) يعنى يتينا لا شك في إيمانهم قال ابن عباس برؤا من الكفر وقال قتادة استحقوا الإيمان وأحقه الله لهم وفيه دليل على أنه لا يجوز أن يصف أحد نفسه بكونه مؤمناً حقا لان الله سبحانه وتعالى إنما وصف بذلك أقواماً مخصوصين على أوصاف مخصوصة وكل أحد لا يتحقق وجود تلك الأوصاف فيه وهذا يتعلق بمسئلة أصولية وهي أن العلماء انفقوا على أنه يجوز للرجل أن يقول أنا مؤمن واختافوا في أنه يجوز له أن يقول أنا مؤمن حقا لم فقال أصحاب الإمام أبى حنيفة الأولى أن يقول أنا مؤمن حقا ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله واستدلوا على صحة هذا القول بوجهين \* الأول أن المتحرك لا يجوز أن يقول أنا متحرك ان شاء الله وكذا القول في القائم والقاعد فكذلك هذه المسئلة يجب فيها أن يكون المؤمن مؤمناً حقا ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله \* الوجه الثاني أنه سبحانه وتعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا وفي قوله أنا مؤمن ان شاء الله تشكيك فيما قطع الله لهم به وذلك لا يجوز وقال أصحاب الإمام الشافعي رضى الله تعالى عنه الأولى أن يقول الرجل أنا مؤمن ان شاء الله واحتجوا بالصحة هذا القول بوجوه \* الأول أن الإيمان عندهم عبارة عن الاعتقاد والقرار والعمل وكون الإنسان آتيا بالأعمال الصالحة المتقبولة أمر متشكوك فيه والشك في أحد أجزاء الماهية يوجب الشك في الماهية فيجب أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله وان كان اعتقاده وقراره صحيحاً وعند أصحاب أبى حنيفة أن الإيمان عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل من معنى الإيمان فلم يلزم حصول الشك \* الوجه الثاني أن قولاً أنا مؤمن ان شاء الله ليس هو على سبيل الشك ولكن إذا قال الرجل أنا مؤمن فقد مدح نفسه بما عظم المدائح فربما حصل له بذلك عجب فإذا قال ان شاء الله زال عنه ذلك العجب وحصل له الانكسار وروى أبى حنيفة قال اقتداء لم استثبت في إيمانك فقال قتادة اتبعا لآل إبراهيم عليه السلام في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال أبو حنيفة هلا قديت به في قوله أولم تؤمن قال بلى فانتقطع قتادة قال بعضهم كان لقائدة أن يقول ان إبراهيم قال بعد قوله إيماناً من قلبى فطلب مزيد الطمأنينة \* الوجه الثالث ان الله سبحانه وتعالى ذكر في أول الآية إنما المؤمنون واظفلة إنما تنفيد الحصر يعنى أعمال المؤمنون الذين هم كذا وكذا وذكر بعد ذلك أوصافاً خاصة وهي الخوف من الله والاخلاص لله والتوكل على الله والاتباع بالصلاة كما أمر الله سبحانه وتعالى وإيتاء الزكاة كذلك ثم بعد ذلك قال أولئك هم المؤمنون حقا يعنى أن من أتى بجميع هذه الأوصاف كان مؤمناً حقا ولا يمكن لأحد أن يقطع بحصول هذه الصفات له فكان الأولى له أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله وقال ابن أبى نجيب سأل رجل الحسن فقال أؤمن أنت فقال الحسن ان كنت سألتني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا بها مؤمن وان كنت سألتني عن قوله إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية فلا أدري أنا منهم أم لا وقال علقمة كفى في سرفلتية أقوم فقلنا من القوم فقالوا نحن المؤمنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى

( ٢٣ - (شازن) - ثاني ) أنه عندهم ما لم يكن منافقاً فهو مؤمن حقا وقد احتج عبد الله على أحد فقال إيش اسمك فقال أحد فقال أنقول أنا أحد حقا وأنا أحد ان شاء الله فقال أنا أحد حقا فقال حيث سمائك والدالك لا تستثنى وقد سمائك الله في القرآن مؤمناتثنى

مؤمنين لان الايمان يستلزم الطاعة بين في هذه الآيات صفات المؤمنين وأحوالهم فقال سبحانه وتعالى أما المؤمنون ولقطة انما اتقى الحصر والمعنى ليس المؤمنون الذين يخافون الله ورسوله انما المؤمنون الصادقون في ايمانهم الذين اذا ذكر الله وجأت قلوبهم أى خضعت وخافت ورفقت قلوبهم وقيل اذا خوفوا بالله انتقادوا خوفا من عقابه وقال أهل الحقائق الخوف على قسمين خوف عقاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لانهم يعلمون عظمة الله عز وجل فيخافونه أشد خوف وأما العصاة فيخافون عقابه قائلون اذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر مرتبته في ذكر الله فان قلت انه سبحانه وتعالى قال في هذه الآية وجلت قلوبهم بمعنى خافت وقال في آية أخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما قلت لانما قلنا بين هاتين الحالتين لان الوجهل هو خوف العقاب والاطمئنان انما يكون من تلحيق اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة واتم حيد وهذا مقام الخوف والرجاء وقد جمعنا في آية واحدة وهي قوله سبحانه وتعالى تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم في ذكر الله والمعنى تقشع جلودهم من خوف عقاب الله ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر الله ورجاء نوابه وهذا حاصل في قلب المؤمن عليه السلام ثم قال تعالى (واذا نابت عليهم آياته زادتهم ايمانا) يعنى واذا قرئت عليهم آيات القرآن زادتهم تصديقا لله قاله ابن عباس والمعنى انما كلما جاءهم شيء من عند الله آمنوا به فزيدادون بذلك ايمانا وتصديقا لان زيادة الايمان بزادة التصديق وذلك على وجهين الاول وهو الذى عليه عامة أهل العلم على محاكاة الواحدى ان كل من كانت الدلائل عنده أكثر وأقوى كان ايمانه أزيد لان عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون معرفته بالله أقوى فزيداد ايمانه الوجه الثانى هو انهم يصدقون بكل ما ينال عليهم من عند الله ولما كانت التكالييف متوالية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكما تجد تكليف صدقوا به فزيدادون بذلك الاقرار بتصديقنا و ايمانا ومن المعلوم ان من صدق انسانا في شئين كان أكبر ممن يصدق في شئ واحد وقوله تعالى واذا نابت عليهم آياته زادتهم ايمانا معناه انهم كلما سمعوا آية جديدة أتوا باقرار جديد وتصديق جديد فكان ذلك زيادة في ايمانهم واختلاف الناس في ان الايمان هل يقبل الزيادة والنقص أم لا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق القلبي قالوا لا يقبل الزيادة لاجماع أهل اللغة على أن الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة عن مجموع أمور ثلاثة وهي التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح والاركان فقد استدل على ذلك بهذه الآية ومن وجهين أحدهما ان قوله زادتهم ايمانا صريح في أن الايمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة عن التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد قبل النقص الوجه الثانى انه ذكر في هذه الآية أوصاف متعددة من أحوال المؤمنين ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك أولئك هم المؤمنون حقا وذلك يدل على أن تلك الاوصاف داخلية في معنى الايمان وروى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها إطاعة الاذى عن الطريق والحياة شعبة من الايمان أخرجاه في الصحيحين في هذا الحديث دليل على أن الايمان فيه أعلى وأدنى واذا كان كذلك كان قابلا للزيادة والنقص قال عمر بن حبيب وكان له صحبة ان لا ايمان زادة ونقصا قيل له في زبادته قال اذا ذكرنا الله وجدناه فذلك زبادته واذا سهاونا وغفنا فذلك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن عدي ان الايمان فرائض وشرائط وشرائع وحدود وسنن فمن استكملها فقد استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان عليه السلام وقوله سبحانه وتعالى (وعلى ربهم يتوكلون) معناه يفوضون جميع أمورهم اليه ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه اعلم أن المؤمن اذا كان واتقوا عبد الله وعبيده كان من المتوكلين عليه لا على غيره وهي درجة عالية ومربية تشرى بصفة لان الانسان

استعظامه وتهيبان  
جسالة وعزه وسلطانه  
(واذا نابت عليهم آياته)  
أى القرآن (زادتهم ايمانا)  
ازدادوا بها يقيناً وطمأنينة  
لان تظاهر الأدلة أقوى  
للمدلول عليه وأثبت  
لقدومه أو زادتهم ايمانا بذلك  
الآيات لانهم لم يؤمنوا  
بأحكامها قبل (وعلى ربهم  
يتوكلون) يعتمدون ولا  
يفوضون أمورهم الى غير  
ربهم لا يخشون ولا يرجون  
الاياه

في غنائم بدر وفي قسمتها  
فسألوا رسول الله كيف  
تقسم وان الحكم في قسمتها  
للمهاجرين أم للانصار أم  
لهم جميعا فقيل له قل لهم هي  
لرسول الله وهو الحاكم  
فيها خاصة بحكم فيها ما يشاء  
ليس لاحد غيره فيها حكم  
ومعنى الجمع بين ذكر الله  
والرسول أن حكمها مختص  
بالله ورسوله بامر الله  
بقسمتها على ما تقتضيه  
حكمته ويمثل الرسول أمر  
الله فيها وايضا الامر في  
قسمتها مفوضا الى رأى  
أحد (فاتفقوا الله) في  
الاختلاف والتخاصم  
وكونوا متآخين في الله  
(وأصلحو ذات بينكم)  
أحوال بينكم بمعنى ما بينكم  
من الأحوال حتى تكون  
أحوال ألفة ومحبة واتفاق  
وقال الزجاج معنى ذات  
بينكم حقيقة وصلكم  
والين الوصل أى فاتفقوا  
الله وكونوا مجتمعين على  
ما أمر الله ورسوله به قال  
عبادة بن الصامت رضى الله  
عنه تزأت فينا يامعشر  
أصحاب بدر حين اختلفنا  
في النفل وساعت فيه  
أخلاقنا ففرزعه الله من  
أيدينا فجعله لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم قسمه  
بين المسلمين على السواء  
(وأطيعوا الله ورسوله)  
فما أمرتم به في الغنائم

صلى الله عليه وسلم نقل كل امرئ ما أصاب وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ولولنا نحن ما صبرتموه وقال الذين  
يخرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كننا نهد أن نقاتل العدو ولكننا خفنا على رسول الله صلى الله  
عليه وسلم غرة العدو فتمتدأدونه فما تم باحق منافزات هذه الآية وروى مكحول عن أبي امامة الباهلي قال  
سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا معشر أصحاب بدر نزات حين اختلفنا في النفل وساعت فيه  
أخلاقنا ففرزعه الله من أيدينا وجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ينبنا عن بواء يقول على سواء وكان فيه تنقوى الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصلاح ذات البين  
وعن سعد بن أبي وقاص قال لما كان يوم بدر جثت سيف فقلت يا رسول الله ان الله قد شدني صدرى من  
المشركين وأنحو هذا أهبطى هذا السيف فقال هذا ليس لى ولا لك فقات عسى أن يعطى هذا من لى لى بلائى  
لجاء في الرسول فقال انك سألتنى وايس لى وانه قد صار لى وهولك فنزلت يستأولونك عن الانفال الآية أخرجه  
أبو داود والترمذى وقال حدث حسن صحيح وأخرجه مسلم في جلة حديث طوى يل يتضمن فضائل سعد  
ولفظ مسلم فيه قال أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة واذا فيها سيف فاخذته فانبت به رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فقلت فنقلنى هذا السيف فانما من قد علمت حاله فقال رده من حيث أخذته فانا ظلت به  
حتى أردت أن ألقيه في القبط لا متنى نفسى فرجعت اليه فقلت أعطني قال فشد على صورته رده من حيث  
أخذته فانزل الله عز وجل يستأولونك عن الانفال وقال ابن عباس كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
خاصة ليس لاحد فيها شئ وما أصاب سرايا المسلمين من سبي أو ثوبه فبن حبس منه ابرة أو سدا كفهو غاؤل وما  
التفسير فقوله سبحانه وتعالى يستأولونك عن الانفال استفتاء يعنى يسألك أصحابك بما يحمد عن حكم الانفال  
وعلمه وهو سؤال استفتاء لسؤال طب وقال الضحاك وعكرمة هو سؤال طب وقوله عن الانفال أى من  
الانفال وعن بمعنى من وقيل عن صلة أى يستأولونك الانفال والانفال هي الغنائم في قول ابن عباس وعكرمة  
ومجاهد وقناة وأصله اذادة سميت الغنائم أنفالا لانها اذادة من الله عز وجل لهذه الامة على الخصوص  
وأكثر المفسرين على انها نزات في غنائم بدر وقال عطاء هي ما شذ عن المشركين الى المسلمين بغير قتال من  
عبد أو امرأة أو متاع فهو لى صلى الله عليه وسلم يضع فيه ما يشاء (قل الانفال لله والرسول) أى قل لهم بما حمد  
ان الانفال حكمها لله ورسوله يقسمها كيف شاء وأختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال مجاهد وعكرمة  
والسدى هذه الآية منسوخة ففسخها الله سبحانه وتعالى بالخمس في قوله واعلموا أن ما غنمتم من شئ فان الله  
خسه والرسول الآية وقيل كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شاء ولن شاء ثم نسخها  
الله بالخمس وقال بعضهم هذه الآية ناسخة من وجهه منسوخة من وجهه وذلك ان الغنائم كانت حراما على الامم  
الذين من قبلنا في شرايع انبيائهم فأباحها الله هذه الامة بهذه الآية وجعلها ناسخة اشرع من قبلنا ثم نسخت  
بأية الخمس وقال عبد الرحمن بن زيد انها محكمة وهي احدى الروايات عن ابن عباس ومعنى الآية على هذا  
القول قل الانفال لله والرسول يضعها حيث أمره الله وقد بين الله مصارفها في قوله واعلموا أن ما غنمتم من  
شئ فان الله خسه والرسول الآية وصرح من حديث ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية  
فغنمنا ابلا فاصاب كل واحد منا شئ عشر بعيرا أو نفلنا بعيرا بعيرا أخرجا في الصحيحين فعلى هذا تكون الآية  
محكمة ولا مام أن ينقل من شاء من الجيش ما شاء قبل التخمس (فاتفقوا الله) يعنى اتقوا الله بطاعته واتقوا  
مخالفته واتركوا المنازعة والمخاصمة في الغنائم (وأصلحو ذات بينكم) أى أصلحو الحال فيما بينكم بترك المنازعة  
والمخالفة وبسليم أمر الغنائم الى الله ورسوله (وأطيعوا الله ورسوله) فيما يأمركم به وينهاكم عنه (ان  
كنتم مؤمنين) يعنى ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعديه قوله سبحانه وتعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر  
الله وجلت قلوبهم) لما أمر الله سبحانه وتعالى بطاعته وطاعة رسوله في الآية المتقدمة قال به بذلك ان كنتم

وغيرها (ان كنتم مؤمنين) كالملى الايمان (انما المؤمنون) انما الكاملون الايمان (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فرغت لذكركه

ليكون ابتداء عمله بالذكر واختتامه بالذكر وقيل لما كانت الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر  
مكروها استحب للعبد ان يذكر الله في هذين الوقتين ليكون في جميع أوقاته مشغلا بما يقر به الى الله  
عز وجل من صلاة أو ذكر ﴿ قوله عز وجل (ان الذين عند ربك) يعني الملائكة المقر بين لما أمر الله  
عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالذكر في حالة التضرع والخوف أخبر ان الملائكة الذين عنده  
مع عالمهم يتهمهم وشرفهم وعصمتهم (لا يستكبرون عن عبادته) وطاعته لانهم عبيده خاضعون لعظمته  
وكبريائه عز وجل (و يسبحونه) يعني وينزهونه عن جميع النقائص ويقولون سبحان ربنا (وله يسجدون)  
لغيره فان قلت التسبيح والسجود دخلان في قوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته لانهم من جملة العباد  
فكيف أفردهما بالذكر قلت أخبر الله عز وجل عن حال الملائكة انهم خاضعون لعظمته لا يستكبرون عن  
عبادته ثم أخبر عن صفة عبادتهم انهم يسبحونه وله يسجدون ولما كانت الاعمال تنقسم الى قسمين أعمال  
القلوب وأعمال الجوارح وأعمال القلوب هي تنزيه الله عن كل سوء وهو الاعتقاد القلبي عبر عنه بقوله  
و يسبحونه وغيره عن أعمال الجوارح بقوله وله يسجدون وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيستحب  
للقارئ والمستمع ان يسجد عند قوله وله يسجدون ليوافق الملائكة المقر بين في عباداتهم (ق) عن عبد  
الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد وتسجد معه حتى  
ما يجيد بعضها وموضع المكان جهته في غير وقت صلاة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ابن آدم ابشرك بالسجدة فسجد فله الجنة  
وأمرت بالسجود فايئت في النار (م) عن نوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود لله فانك لا تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة وحط عنك  
بها خطيئة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

#### ﴿ تفسير سورة الانفال ﴾

مدنية كلها الاسمع آيات منها زلت بمكة وهي من قوله سبحانه وتعالى واذا يكر بك الذين كفروا الى آخر سبع  
آيات والاصح انها زلت بالمدينة وان كانت الواقعة مكية وهي خمس وسبعون آية وألف وخمس وسبعون  
كلمة وخمسة آلاف وثمانون حرفا

#### ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله سبحانه وتعالى (يسئلونك عن الانفال) (ق) عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس عن سورة  
الانفال قال زلت في بدر واختلف أهل التفسير في سبب نزولها فقال ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ومن أتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا ومن قتل  
قتيلا فله كذا فتنسارع الشباب وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤا بطلون ما جعل لهم  
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لانه هبوا به دونوا ولا تستأثروا به علينا فاننا كنا ردا لكم ولو  
انكشتم انكشتمم الينفختنازعوا فانزل الله عز وجل يسئلونك عن الانفال الآية قال أهل التفسير قام أبو  
اليسر بن عمرو الانصاري أخو بني سامة فقال يا رسول الله انك وعدت ان من قتل قتيلا فله كذا وكذا وانك  
قتلتنا سبعين وأسرنا سبعين وقام سعد بن معاذ فقال والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهاد في الآخرة  
ولاجن من العدو لكن كرهنا ان نرى مصافك فتعطيك عليك خيل من المشركين فيصيبونك فاعرض  
عنهم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله ان الناس كثير والغنيمة دون ذلك فان تعط هؤلاء  
الذين ذكرت لا يبقى لنا صحابا كثيرين فنزلت هذه الآية يسئلونك عن الانفال وقال محمد بن اسحق أمر رسول  
الله صلى الله عليه وسلم بمائى العسكر فجمع فاختلف المسلمون فيه فقال من جمعه هوانا وكان رسول الله

(ان الذين عند ربك)  
مكانة ومنزلة لا مكانا ومنزلا  
يعني الملائكة (لا يستكبرون  
عن عبادته) لا يتعظمون  
عنها (و يسبحونه)  
وينزهونه عما لا يليق به  
(وله يسجدون) ويختصونه  
بالعبادة لا يشتركون به  
غيره والله أعلم  
﴿ سورة الانفال مدنية  
وهي خمس وأست وأسبع  
وسبعون آية ﴾  
(بسم الله الرحمن الرحيم)  
(يسئلونك عن الانفال)

لا يقرأ سواء أقرأ الإمام أو جهر يروى ذلك عن جابر واليه ذهب أصحاب الرأي حجة من لا يرى القراءة خلف الإمام ظاهر هذه الآية وحجة من قال يقرأ في السرية دون الجهرية قال إن الآية تدل على الأمر بالاستماع لقراءة القرآن ودلت السنة على وجوب القراءة خلف الإمام خلفاً مدلول الآية على صلاة الجهرية وحملنا مدلول السنة على صلاة السرية جمعاً بين دلائل الكتاب والسنة وحجة من أوجب القراءة خلف الإمام في صلاة السرية والجهرية قال الآية واردة في غير الفاتحة لأن دلائل السنة قد دلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام ولم يفرق بين السرية والجهرية قالوا واذقرأ الفاتحة خلف الإمام تتبع سكتاته ولا ينادي عه في القراءة ولا يجهر بالقراءة وخلفه ويدل عليه ما روى عن عباد بن الصامت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فنقلت عليه القراءة فلما انصرف قال أراكم تقرؤون وراءكم أم لا؟ قال قلنا يا رسول الله أي والله قال لا تفعلوا إلا بما قال الإمام فإنه لا صلاح لمن لم يقرأ بها أخرجه الترمذي بطوله وأخرجاه في الصحيحين أقصر منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاح لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج يبقوها ثلاثاً غير تمام فقيل لابي هريرة أن تكون وراء الإمام قال أراها في نفسك وذكر الحديث ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (اعلمكم نرحون) يعني لكي يرحمكم بكم باتباعكم ما أمركم به من أمراً منه ونواهيه ﷺ قوله عز وجل (واذ كررك في نفسك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من أمته لأنه عام لساائر المكلفين قال ابن عباس يعني بالذكر القرآن في الصلاة يداقر أسرافى نفسك والفائدة فيه أن ارتفاع الإنسان بالذكر إنما يكمل إذا وقع الذكر بهذه الصفة لأن ذكر النفس أقرب إلى الاخلاص والبعد عن الرياء وقيل المراد بالذكر في النفس أن يستحضري قلبه عظمة المذكور وجل جلاله وإذا كان الذكر باللسان عارياً عن ذكر القلب كان عديم الفائدة لأن فائدة الذكر حضور القلب واستنساخه عظمة المذكور عز وجل (تضرعاً) يقال ضرع الرجل يضرع ضراعاً إذا خضع وذلل واستكان لغيره (وخيفة ودون الجهر من القول) يعني وخوفاً والمعنى تضرع إلى وخف عذابي وقال مجاهد وابن جريج أمر أن يذكره في الصدور بالتضرع والاستسكان دون رفع الصوت في الدعاء وهما لطيفة وهي أن قوله سبحانه وتعالى واذ كررك في نفسك فيه إشعار بقرب العبد من الله عز وجل وهو مقام الرجاء لأن لفظ الرب مشعر بالترىيق والرحمة والفضل والاحسان فإذا تذكّر العبد انعام الله عليه واحسانه إليه فعند ذلك يقوى مقام الرجاء ثم اتبعه بقوله وتضرعاً وخيفة وهذا مقام الخوف فإذا حصل في قلب العبد داعية الخوف والرجاء قوى إيمانه والمستحب أن يكون الخوف أغلب على العبد في حال محته وقوته فإذا قرب الموت ودنا آخر أجله فاستحب أن يغلب رجاءه على خوفه عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تنجدك قال أرجو الله يا رسول الله وإنى أخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجونه وأمنه بما يخاف أخرجه الترمذي ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (بالغدو) جمع غدوة (والأصال) جمع أصل وهي ما بين صلاة العصر إلى المغرب والمعنى اذ كررك بك بالبكر والعشيات وأما خاص هذين الوقتين بالذكر لأن الإنسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو أخو الموت فاستحب له أن يستقبل حالة الانبعاث من النوم وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكر ليكون أول أعماله ذكر الله عز وجل وأما وقت الأصال وهو آخر النهار فإن الإنسان يريد أن يستقبل النوم الذي هو أخو الموت فيستحب له أن يستقبله بالذكر لأنها حالة تشبه الموت ولعله لا يقوم من تلك النوم فيكون موته على ذكر الله عز وجل وهو المراد من قوله سبحانه وتعالى (ولا تسكن من الغافلين) يعني عما يقر بك إلى الله عز وجل وقيل إن أعمال العبد تصعد أول النهار وآخره فيصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر إلى المغرب فاستحب له الذكر في هذين الوقتين

لعلم نرحون) ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في الصلاة وغيرها وقيل معناه إذا نال عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجهر الصحابة رضى الله عنهم على أنه في استماع المؤمن وقيل في استماع الخطبة وقيل فيها وهو الأصح (واذ كررك في نفسك) هو عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك (تضرعاً وخيفة) متضرعاً وخائفاً (ودون الجهر من القول) ومتكلماً كلاماً دون الجهر لأن لاختفاء أدخل في الاخلاص وأقرب إلى حسن التفكير (بالغدو والآصال) الفضل هذين الوقتين وقيل المراد إدامة الذكر باستقامة الفكر ومعنى الغدو وأوقات الغدو وهي الغدوات والآصال جمع أصل والأصل جمع أصيل وهو العشى (ولا تسكن من الغافلين) من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه

قوله عز وجل (واذلم تأتهم بآية) يعني واذا لم تأتهم بالمشركين بالمجد بآية ومعجزة باهرة (قالوا) يعني قال المشركون (ولولا جنتيئنا) يعني افعلناها وانشأناهم من قبل نفسك واختيارك تقول العرب اجتبت الكلام اذا اختلقته وافعلته وقال السكبي كان أهل مكة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الآيات فتأثافا تأخرت اتموه وقالوا لولا اجتبتنا يعني هلا أخذناهم وانشأناهم من عندك (قل) أي قل بالمجد هؤلاء المشركين الذين سألو الآيات (انما اتبع ما يوحى الى من ربي) يعني القرآن الذي أنزل على وليس لي أن أفتتح الآيات والمعجزات (هذا بصائر من ربكم) يعني هذا القرآن حجة وبرهان وأصل البصائر من الابصار وهو ظهور الشيء حتى يبصره الانسان ولما كان القرآن سبب البصائر العقول في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أطلق عليه اسم البصائر فهو من باب تسمية السبب باسم المسبب (وهدي) يعني وهو هدى (ورحمة) يعني وهو رحمة من الله (لقوم يؤمنون) وهنا لطيفة وهي الفرق بين هذه المراتب الثلاث وذلك ان الناس متفاوتون في درجات العلوم فبهم من بلغ الغاية في علم التوحيد حتى صار كل شاهد وهم أصحاب عين اليقين ومنهم من باغ درجة الاستدلال والنظر وهم أصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستدل وهم عامة المؤمنين وهم أصحاب حق اليقين فالقرآن في حق الاولين وهم السابقون بصائر وفي حق القسم الثاني وهم المستدلون هدى وفي حق القسم الثالث وهم عامة المؤمنين رحمة ﴿قوله تعالى﴾ (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) لما ذكر الله سبحانه وتعالى عظم شأن القرآن بقوله هذا بصائر من ربكم وهدي ورحمة لقوم يؤمنون أتبعه بما يجب من تعظيم شأنه عند قراءته فقال سبحانه وتعالى واذا قرئ عليكم بها المؤمنون القرآن فاستمعوا له يعني أصغوا اليه بما يحكمكم تفهموا معانيه وتدبروا مواظمه وأنصتوا يعني عند قراءته والانصات السكوت للاستماع يقال نصت وأنصت واتصت بمعنى واحد واختلف العلماء في الحال التي أمر الله عز وجل بالاستماع لقارئ القرآن والانصات له اذا قرأ لأن قوله فاستمعوا له وأنصتوا أمر وظاهر الامر للوجوب فقطاضه أن يكون الاستماع والسكوت واجبين وللعلماء في ذلك أقوال القول الاول وهو قول الحسن وأهل الظاهر ان تجرى هذه الآيات على العموم في أي وقت وأي موضع قرئ القرآن يجب على كل أحد الاستماع له والسكوت والقول الثاني انها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة وروى عن أبي هريرة أنهم كانوا يسكنون في الصلاة بحوائجهم فأمر بالسكوت والاستماع لقراءة القرآن وقال عبد الله كنا نسلم بعضنا على بعض في الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان قال فجاء القرآن واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا القول الثالث انها نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الامام روى عن أبي هريرة قال نزلت هذه الآية في رفع الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود انه سمع ناسا يقرءون مع الامام فلما انصرف قال أما أن لكم أن تفقهوا واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا كما أمركم الله وقال السكبي كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر كراجنة والنار القول الرابع انها نزلت في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء قال مجاهد الانصات للامام يوم الجمعة وقال عطاء وجب الصمت في اثنتين عند الرجل يقرأ القرآن وعند الامام وهو يخطب وهذا القول قد اختاره جماعة وفيه بعد لان الآية مكية والخطبة انما وجبت بالمدنية وانفقوا على أنه يجب الانصات حال الخطبة بدليل السنة وهو ما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك أنصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت أخرجه في الصحيحين واختلف العلماء في القراءة خلف الامام فذهب جماعة الى استحبابها سواء جهر الامام بالقراءة أو أسر روى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ وهو قول الاوزاعي واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الى أنه يقرأ فيها أسر الامام فيه القراءة ولا يقرأ فيها جهر الامام فيه يروى ذلك عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد به قال الزهري ومالك وابن المبارك وأحمد واسحق وذهب قوم الى انه

وانما جمع الضمير في اخوانهم والشية طان مفرد لان المراد به الجنس (واذا لم تأتهم بآية) مقترحة (قالوا لولا جنتيئنا) هلا اخترعنا أي اختلقناها كما اختلفت ما قبلها (قل أتما أتبع ما يوحى الى من ربي) ولست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن دلائل تبصركم وجوه الحق (وهدي ورحمة لقوم يؤمنون) به (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا



كانه ينخس الناس حين  
يعرهم على المعاصي وجعل  
التزعج نازعا كاقبل جدده  
أو ارى بدفع الشيطان  
اعتراء الغضب كقول أبي  
بكر رضي الله عنه أنى  
شيطاني عرتني (انه سمع)  
لتزعجه (عليه) بدفعه (ان)

الذين اتقوا اذا مسهم  
طائف من الشيطان  
طيف مكي وبصرى وعلى  
أى امة منه مصدر من قولهم  
طاف به الخيال يطيف  
طيفا وعن أبي عمر وهما  
واحدوهي الوسوسة وهذا  
نا كيد لما تقدم من  
وجوب الاستعاذة بالله  
عند تزج الشيطان وان  
عادة المتقين اذا أصابهم  
أذى تزج من الشيطان  
والمام بوسوسته (نذكروا)  
ما أمر الله به ونهى عنه  
(فاذا هم مبصرون)  
فابصروا السداد ودفعوا  
وسوسته وحقيقته أن  
يفروا منه الى الله فيزدادوا  
بصيرة من الله بالله  
(واخوانهم) وأما اخوان  
الشياطين من شياطين  
الانس فان الشياطين  
(يبدونهم في النى) أى  
يكونون مدد لهم فيه  
ويعدونهم ويبدونهم  
من الامداد مدنى (م)  
لا يقصرون (م) لا يسكون  
عن اغوائهم حتى يبصروا

الله عليه وسلم فكيف بالغضب يارب قاتل الله عز وجل واما ينزعك من الشيطان تزغ فاستعذ بالله انه  
سميع عليم وتزعج الشيطان عبارة عن وسوسه ونخسه في القلب وقيل التزعج الانزعاج أو كثر ما يكون عند  
الغضب وأصله الانزعاج بالحركة الى الشر والافساد يقال تزغت بين القوم اذا أفسدت بينهم وقال الزجاج  
التزعج أذى حركة تكون ومن الشيطان أذى وسوسة والمعنى واما يصيبك يا محمد ويعرض لك من الشيطان  
وسوسة أو نخسة (فاستعذ بالله) يعني فاستجبر بالله والجا إلى به دفعه عنك (انه سمع) يعني لدعائك (عليه)  
بحملك وقيل ان الشيطان يجد مجالا في حل الانسان على ما لا ينبغي في حالة الغضب والغليظ فامر الله بالتعزاء  
اليه والتعوذ به في تلك الحالة فهي تجري مجرى العلاج لذلك المرض

فصل واحتج الطاعون في عصمة الانبياء بهذه الآية فقالوا لو كان النبي معصوما لم يكن للشيطان  
عليه سبيل حتى ينزع في قلبه ويحتاج الى الاستعاذة والجواب عنه من وجوه الاول ان معنى الكلام ان حصل  
في قلبك تزغ من الشيطان فاستعذ بالله وان لم يحصل ذلك له البتة فهو كقوله انى أشركت وهو برى من  
الشرك البتة والوجه الثاني على تقدير انه لو حصل وسوسة من الشيطان لكن الله عز وجل عصم نبيه صلى  
الله عليه وسلم عن قبولها وثبوتها في قلبه (م) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم  
من أحد الا قد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي الآن الله  
أعاني عليه فأسلم فلا يمر في الاخبير قال الشيخ محي الدين النووي وروى فأسلم بفتح الميم وضهافن رفع قال  
معناه فأسلم أنا من شره وقتته ومن فتح قال معناه ان القرين أسلم من الاسلام يعني صار مؤمنا لا يمر في الاخبير  
قال الخطابي الصحيح المختار الرفع ورجح القاضي عياض الفتح قال الشيخ وهو المختار قوله فلا يمر في  
الاجب قال القاضي عياض واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان في جسمه  
وخاطره ولسانه وفي هذا الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين وسوسته واغوائه اعلمنا انه لا يعجز عنه  
عنه بحسب الامكان والله أعلم الوجه الثالث يحتمل أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره  
ومعناه واما ينزعك أي الانسان من الشيطان تزغ فاستعذ بالله فهو كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله  
قوله سبحانه وتعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف (من الشيطان) وهما لغتان ومعناه  
الشيء يل بالانسان وقيل بينهما فارق فالطائف ما يطوف حول الانسان والطيف الوسوسة وقيل الطائف  
ما طاف به من وسوسة الشيطان والطيف اللمم والمس وقال الازهرى الطيف في كلام العرب الجنون وقيل  
للعجب طيف لان الغضب ان يشبه الجنون وقيل سمى الجنون والغضب والوسوسة طيفا لانه من الشيطان  
تشبه لمة الخبال فذكر في الآية الاولى التزعج وهو أخف من الطيف المذكور في هذه الآية لان حالة الشيطان  
مع الانبياء أضعف من حاله مع غيرهم (نذكروا) يعني عرفوا ما حصل لهم من وسوسة الشيطان وكيد  
قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضب فيذكر الله فيكظم غيظه وقال مجاهد هو الرجل يل بالنسب فيذكر  
الله فيقوم ويده (فاذا هم مبصرون) يعني انهم يبصرون مواقع الخطأ بالتذكر والتفكير وقال السدي  
اذا زلوا تابوا وقال مقاتل هو الرجل اذا أصابه تزغ من الشيطان نذكر وعرف انه معصية فابصروا تزغ عن  
مخالفة الله عز وجل (واخوانهم) يعني واخوان الشياطين من المشركين (يبدونهم) أى يبدونهم الشياطين  
(في النى) قال السكبي لكل كافر أخ من الشياطين يبدونهم أى يطالبون لهم في الاغواء حتى يستمروا عليه  
وقيل يزبدونهم في الضلالة (ثم لا يقصرون) يعني لا يكفون عن الضلالة ولا يتركوا وهذا بخلاف حال  
المؤمنين المتقين لان المؤمن اذا أصابه طيف من الشيطان نذكر وعرف ذلك فزع عنه وتاب واستغفر  
والكافر مستقر في ضلته لا يترك ولا يزعى وقال ابن عباس الانس لا يقصرون عما يعملون من السيئات  
ولا الشياطين يسكون عنه فعلى هذا القول يحمل قوله لا يقصرون عن فعل الانس والشياطين جميعا

اجتهدتم في كيدى لم تصالوا الى ضرى لان الله يدفع عني وقال الحسن كانوا يخوفونه باهتهم فقال الله تعالى قل ادعوا شركاءكم كم كيدون (فلانتظرون) أى لتهملون وعجلوا في كيدى أتم وشركاؤكم (ان ولي الله) يعنى ان الذى يتولى حفظي وينصرني عليكم هو الله (الذى نزل الكتاب) يعنى القرآن والمعنى كما يأتى في القرآن على كذلك يتولى حفظي وينصرني (وهو يتولى الصالحين) يعنى يتولاهم بنصره وحفظه فلا تضرمهم عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم عن أرادهم بسوء أو كادهم بشرقال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعدلون بالله شأ ولا يعصونه وفي هذا مدح للصالحين لان من تولاه الله يحفظه فلا يضرمه شئ في قوله عز وجل (والذين يدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) هذه الآية قد تقدم تفسيرها والفائدة في تكريرها أن الآية الأولى مذكورة على جهة التقرير والتوبيخ وهذه الآية مذكورة على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وهو الله الذى يتولى الصالحين بنصره وحفظه وبين هذه الاصنام وهى ليست كذلك فلا تكون معبودة وقوله سبحانه وتعالى (وان ندعوهم الى الهدى لا يسמעوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) قال الحسن المراد بهذا المشركون ومعناه وان تدعوا أيها المؤمنون المشركين الى الهدى لا يسמעوا دعاءكم لان آذانهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم ينظرون اليك يا محمد وهم لا يبصرون يعنى يبصرون لغيرهم وذهب أكثر المفسرين الى أن هذه الآية أيضا ورادة في صفات الاصنام لانها جاد لا تضرم ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر وقوله تعالى (خذ العفو) العفو هنا الفضل وما جاء بلا كفة والمعنى اقبل اليسور من أخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستعصوا عليك فتتولد منه العداوة والبغضاء وقال مجاهد يعنى خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس وذلك مثل قبول الاعتذار منهم وترك البحث عن الاشياء والعفو التسهيل في كل شئ (خ) عن عبد الله بن الزبير قال ما نزلت خذ العفو وأمر بالعرف الا في أخلاق الناس وفي رواية قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أقوال الناس وكذا في جامع الاصول وفي الجيع بين الصحيحين للحميدى قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أقوال الناس أو كما قال وقال ابن عباس يعنى خذ ما عفاك من أموالهم فأترك به من شئ نخذه وكان هذا قبل أن تنزل براءة بقرائض الصدقات وتفضلها وما انتهت اليه وقال السدى خذ العفو أى الفضل من المال لدخول الآية الزكاة وقال الضحاك خذ ما عفا من أموالهم وهذا قبل أن تفرض الصدقة المفروضة (وأمر بالعرف) يعنى وأمر بكل ما أمرك الله به وهو كل ما عرفته بالوحى من الله عز وجل وكل ما عرفه الشارع وقال عطاء وأمر بقول لا اله الا الله (وأعرض عن الجاهلين) أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصفح عن الجاهلين وهذا قبل أن يؤمر بقتال الكفار فلما أمر بقتالهم صار الامر بالاعراض عنهم منسوخا بآية القتال قال بعضهم أول هذه الآية وآخرها منسوخ ووسطها محكم يريد بنسخ أو طأ أخذ الفضل من الاموال فنسخ بفرض الزكاة والامر بالمعروف محكم والاعراض عن الجاهلين منسوخ بآية القتال روى انه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل ما هذا قال لأدري حتى أسأل ثم رجع فقال ان ربك يا مراك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ذكره البغوى بهيرسند وقال جعفر الصادق أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق ولبس في القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق من هذه عن عائشة قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الاسواق ولا يجزى بالسببة السببة ولكن يعفو ويصفح أخرجه الترمذى وروى البغوى بسنده عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعثني لتقام مكارم الاخلاق وتقام محاسن الافعال في قوله عز وجل (واما ينظرونك من الشيطان نزغ) قال ابن زبدي ما نزل قوله سبحانه وتعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال النبي صلى

الله عليهم فأمر ان يخاطبهم بذلك وبالياء يعقوب (ان ولي) ناصرى عليكم (الله الذى نزل الكتاب) أوحى الى وأغزى برسالته (وهو يتولى الصالحين) ومن سنته أن ينصر الصالحين من عباده ولا يجتهد لهم (والذين يدعون من دونه) من دون الله (لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) وان ندعوهم الى الهدى لا يسמעوا وتراهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حذته الى الشئ ينظر اليه (وهم لا يبصرون) المرئى (خذ العفو) هو ضد الجهد أى ما عفاك من أخلاق الناس وأفعالهم وانطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفسروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا (وأمر بالعرف) بالمعروف والجيسل من الافعال أو هو كل خصلة يرتضيها العقل ويقبلها الشرع (وعرض عن الجاهلين) ولا تكتفى السفهاء بمثل سفهمهم وانما رهم واحلم عليهم وفسر هاجبيل عليه السلام بقوله صل من قطعك وأعط من حرمك وأعف عمن ظلمك وعن الصادق أمر الله نبيه عليه السلام بمكارم الاخلاق ولبس في القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق منها (واما ينظرونك من الشيطان نزغ)

وهم يخلقوا الله فليعبدوا خالقهم أولعابدين والمعبودين وجعهم كادى العلم تقليداً للعابدين (ولا يستطيعون لهم لعبتهم نصرًا ولا أنفسهم ينصرون) فدفعون عنها ما يعترها من الحوادث كالسكر وغيره بل عيبتهم هم الذين يدفعون عنهم (وان تدعوهم) وان تدعوا هذه الاصنام (الى الهدى) الى ما هو هدى وارشاد والى أن يهدوكم أى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى (لا يتبعوكم) الى مرادكم وطلبكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله لا يتبعوكم نافع (سواء عليكم أدمعوا تموه أم أتم صامتون) عن دعائهم فى أنه لا فلاح معهم ولا يجيبونكم والاندول عن الجملة الفعلية الى الاسمية لرؤس الآى (ان الذين تدعون من دون الله) أى تعبدونهم وتسمونهم آلهة (عباد أمثالكم) أى يخلقون مما لوكون أمثالكم (فادعوه) جلب نفع أو دفع ضرر (فلا يستجيبوا لكم) فلا يجيبوا (ان كنتم صادقين) فى أنهم آلهة تم

ما لا يخلق رعية لحكم ظاهر اللفظ وجع قوله وهم يخلقون رعية لجانب المعنى فان قلت كيف جمع بالواو والنون لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل من الناس قلت لما اعتقد عابداً الاصنام أنهم تعقل وتصور وهذا الجع بناء على ما يعتقدونه ويصورونه وقوله تعالى (ولا يستطيعون لهم نصرًا) يعنى أن الاصنام لا تقدر على نصرهم أن أطاعها وعبدوها ولا تضرهم عصاها والنصر المعونة على الاعداء والمعنى أن المعبود الذى يجب عبادته يكون قادر على اصال النفع ودفع الضرر وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يلقى بالفاعل أن يعبدوها ثم قال تعالى (ولأنفسهم ينصرون) يعنى ولا يقدرون على أن يدفعوا عن أنفسهم مكر وهافان من أراد كسر هافدر عليه وهى لا تقدر على دفعه عنها ثم خاطب المؤمنين فقال سبحانه وتعالى (وان تدعوهم الى الهدى) يعنى وان تدعوا أيها المؤمنون المشركين الى الهدى (لا يتبعوكم) لان الله سبحانه وتعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلون الهداية (سواء عليكم أدمعوا تموه أم أتم صامتون) أى ساكنون عن دعائهم فهم فى كلا الحالى لا يؤمنون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما بين فى الآية المتقدمة عجز الاصنام بين فى هذه أنه لا علم لها بشئ البتة والمعنى أن هذه الاصنام التى يعبدوها المشركون معلوم من حالها انها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع لمن دعاه الى خير وهدى ثم قوى هذا المعنى بقوله سبحانه وتعالى سواء عليكم أدمعوا تموه أم أتم صامتون وذلك أن المشركين كانوا اذا وقعوا فى شدة وبلاء تضرعوا لاصنامهم فاذا لم تكن لهم الى الاصنام حاجة سكتوا وصمتوا فاقبل لهم لافرق بين دعائكم للاصنام أو سكتكم عنها فانها عاجزة فى كل حال وقوله سبحانه وتعالى (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) يعنى ان الاصنام التى يعبدوها هؤلاء المشركون انما هم عابكو لله أمثالهم وقيل انها مسخرة مبدلة مثل ما أتم مسخرون مبدلون قال مقاتل فى قوله سبحانه وتعالى عباد أمثالكم انهم الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة والقول الاول أصح وفيه سؤال وهو أن وصفها بانها عباد مع أنها جادوا والجواب أن المشركين لما ادعوا أن الاصنام تضر وتنفع وجب أن يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة فوردت هذه الالفاظ على وفق معتقدهم تنكية اهلهم وتوخيخا لذلك قال عز وجل (فادعوههم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) فى كونها آلهة وجواب آخر وهو أن هذا اللفظ انما ورد فى معرض الاستهزاء بالمشركين والمعنى أن فصارى هذه الاصنام التى تعبدونها أحياء عاقلة على معتقدكم فهم عباد الله أمثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم يعبدوهم وجعلتهم وهم آلهة وجعلتهم أنفسكم لهم عبيداً ثم وصفهم بالعجز فقال تعالى (ألم أرى أنهم يشنون بهائمهم ألم يدببشون بهائمهم ألم أعين يصرون بهائمهم ألم أذان يسمعون بهائمهم) يعنى ان قدرة الانسان المخلوق انما تكون بهذه الجوارح الاربع فانها آلات يستعين بها الانسان فى جميع أموره والاصنام ليس لها من هذه الاعضاء والجوارح شئ فهم مفضالون عليها بهذه الاعضاء لان الرجل المشاة أفضل من الرجل العاجزة عن المشى وكذلك اليد الباطشة أفضل من اليد العاجزة عن البطش والعين الباصرة أفضل من العين العاجزة عن الادراك والاذن السامعة أفضل من الاذن العاجزة عن السمع فظهر بهذا البيان أن الانسان أفضل من هذه الاصنام العاجزة بكنية بل لا فضل لها البتة لانها بخارج وجاد لا تضر ولا تنفع واذا كان الامر كذلك فكيف يلقى بالانسان العاقل الأفضل أن يشتغل بعبادة الاخص الادون الارذل الذى لا فضل له البتة ولا يضر ولا ينفع فامتنع بهذه الحجية كون الاصنام آلهة ثم قال تعالى (قل ادعوا شركاءكم) أى قل يا محمد هؤلاء المشركين ادعوا شركاءكم هذه الاصنام التى تعبدونها حتى يتبين عجزها (ثم كيون) يعنى أتم وشركاؤكم وهذه متصل بما قبله فى استكمال الحجية عليهم لانهم لما قرعوا بعبادة من لا يملك ضرراً ولا نفعاً قيل محمد صلى الله عليه وسلم قل ان معبودي بلك الضر والنفع فلو

من وحى الشيطان يعنى من وسوسته وحديثه كجاء انه خدعهم امرتين مرة فى الجنة ومرة فى الارض قال ابن عباس لما ولد له اول ولد آتاه ابايس فقال انى سأصحبك فى شأن ولدك هذا تسميه عبدالحارث وكان اسمه فى السماء الحارث فقال آدم أعوذ بالله من طاعتك انى أطعتك فى أكل الشجرة فاخرجتني من الجنة فان أطيعك فأت ولدته ثم ولد له بعد ذلك ولد آخر فقال أطعني والامات كرامات الاول ففصاه فأت ولدته فقال لا أزال أقتلهم حتى تسميه عبدالحارث فلم يزل به حتى سباه عبدالحارث فذلك قوله تعالى (فلما آتاهما صالحا) جعله لهما شركاء فيما آتاهما قال ابن عباس اشركاه فى طاعته فى غير عبادة ولم يشركه بالله ولكن أطاعاه وقال قتادة اشركاه فى الاسم ولم يشركه فى العبادة وقال عكرمة ما أشرك آدم ولا حواء وكان لا يعيش لهما ولد فأتاهما الشيطان فقال ان شركاؤكم يعيش لهما ولد فسمياه عبدالحارث فهو قوله تعالى جعله لهما شركاء فيما آتاهما قرئ شركاء بكسر الشين مع التنوين ومعناه شركاء وقال أبو عبيدة معناه حظا ونصيبا وقرئ شركاء بضم الشين مع المدجج شركاء يعنى ابايس عبر عن الواحد بلفظ الجمع يعنى جعله لهما شركاء كالأسماء ولدهما عبد الحارث قال العلماء ولم يكن ذلك شركا فى العبادة ولأن الحارث رب لهما لان آدم عليه الصلاة والسلام كان نبيا معصوما من الشرك ولكن قصدا بتسميتهما الولد بعد الحارث ان الحارث كان سببا لنجاة الولد وسلامته وسلامة أمه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به أنه مملوك كما قال الشاعر

\* واتى لعبد الضيف مادام ناويا \* أخبر عن نفسه انه عبد الضيف ما أقام عنده مع بقاء الحرية عليه وانما أراد بالعبودية خدمة الضيف والقيام بواجب حقوقه كقيام العبد بواجب حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب بغير الالف واللام على غير الله كقول يوسف عليه الصلاة والسلام اعز بزمصرانه ربى أحسن مثواى أراد به الترتيب ولم يرده انه ربه ومعبوده فكذلك هنا وانما أخبر عن آدم عليه الصلاة والسلام بقوله سبحانه وتعالى جعله لهما شركاء فيما آتاهما لان حسنات الابرايسيات المقر بينه ولان منصب النبوة أشرف المناصب وأعلاها فعبادته الله على ذلك لانه نظر الى السبب ولم تنظر الى السبب والله أعلم بمراده وأسرار كتابه قال العلماء وعلى هذا فقد تم الكلام عند قوله فيما آتاهما \* ثم ابتدأ فى الخبر عن الكفار بقوله تعالى (فتعالى الله عما يشركون) نزه نفسه سبحانه وتعالى عن اشراك المشركين من أهل مكة وغيرهم وهذا على العموم ولو أراد آدم وحواء لقال سبحانه وتعالى فتعالى الله عما يشركان على التثنية لاعتلى الجمع وقال بعض أهل المعاني ولو أراد به ما سبق فى معنى الآية فستقيم أيضا من حيث انه كان الاول بهما لان لا فعلا ما أتياه من الاشراك فى التسمية فكان الاول أن يسمياه عبد الله لعبد الحارث وفى معنى الآية قول آخر وهو أنه راجع الى جميع المشركين من ذرية آدم وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه وجعل أولادهم لهما شركاء خذف ذكر الاولاد وأقامهم مقامهم كإضاف فعل الآباء الى الابناء بقوله ثم اتخذتم الجبل واذ قلتم نفسا فغير به عن اليهود الذين كانوا موجودين فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من فعل آبائهم وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله هو الذى خلقكم من نفس واحدة أى خلق كل واحد من آبيه وجعل منها زوجا أى وجعل من جنسها وزوجها آدمية مثله وهذا قول حسن الا أن القول الاول أصح لانه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم من المفسرين وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادافهم ودهم ونصرهم وقال ابن كيسان هم الكفار سموا أولادهم بعد العزى وعبد شمس وعبد الدار ونحو ذلك \* وقوله سبحانه وتعالى (أشركون) قرئ بالثناء على خطاب الكفار وقرئ بالياء على الغيبة (مالا يخلق شيئا) يعنى ابايس والاصنام (وهم يخلقون) أى وهم يخلقون فان قلت كيف وحدهم يخلق ثم جمع فقال وهم يخلقون قلت ان لفظة ما تقع على الواحد والاثنتين والجمع فهى من صيغ الواحدان بحسب ظاهر اللفظ ومحملة للجمع بحسب المعنى فوحده قوله

السوى (جعل له شركاء) أى جعل أولادهم شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه وكذلك (فما آتاهما) أى آتى أولادهم دليله (فتعالى الله عما يشركون) حيث جمع الضمير وأدم وحواء برئان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس ونحو ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم أو يكون الخطاب لقريش الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي أى هو الذى خافكم من نفس واحدة قصي وجعل من جنسها زوجها عريضة قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوى جعله لهما شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار والضمير فى أشركون لهما وما ولأعقابهم الذين اقتدوا بهما فى الشرك شركا مدنى وأبو بكر أى ذرى شرك وهم الشركاء (أشركون) مالا يخلق شيئا) يعنى الاله نام (وهم يخلقون)

وقد رد (ان أنا الانذير وبشير)

ان أنا الاعداء أرسلت نذيرا  
وبشيرا وامن شأني أن  
أعلم الغيب واللام في  
(لقوم يؤمنون) يتعلق  
بأنذر والبشير لان النذارة  
والبشارة أنما ينفعان فيهم  
أو بالبشير وحده والمتعلق  
بالتنذير محذوف أي لا  
نذير للكافرين وبشير  
لقوم يؤمنون (هو الذي  
خلقكم من نفس واحدة)  
هي نفس آدم عليه السلام  
(وجعل منها زوجا) حواء  
خلقها من جسد آدم من  
ضلع من أضلاع (ليسكن  
الهما) ليطمئن ويحبلان  
الجنس الى الجنس أميل  
خصوصا اذا كان بعضانه  
كليسكن الانسان الى ولده  
وعنه حبة نطفه لكونه  
بصفة منصفه كليسكن  
بعد ما أتت في قوله واحدة  
وخلق منها زوجا ذهابا الى  
معنى النفس ليسكن  
المراد بها آدم (فلما تمشاهما)  
جامعا (جلا خفيفا)  
خف عليها ولم تلق منها ما  
يلقى بعض الحبالى من  
جاهل من الكبر والاذى  
ولم تستقله كما يستقله  
(قرت به) خضت به الى  
وقت ميلاده من غير  
اخذاج ولا زلاقي وحلت  
جلا خفيفا يعنى النطفة  
فرت به فقامت به وقعدت

يعنى الضر والفقير والجوع وقال ابن جريج معناه لا أمك لنفسى فقالوا لضر من الهدى والضلالة ولو كنت  
أعلم الغيب يرد وقت الموت لاستكثر من الخير يعنى من العمل الصالح وقيل ان أهل مكة لما سألوا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة أنزل الله تعالى الآية الاولى وهذه الآية ومعناها أنا لا أدعى علم الغيب  
حتى أخبركم عن وقت قيام الساعة وذلك لما طالبوه بالاخبار عن الغيوب فدكر أن قدرته قاصرة عن علم  
الغيب فان قلت قد أخبر صلى الله عليه وسلم عن المغيبات وقد جاءت أحداث في الصحيح بذلك وهو من  
أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم فكيف الجمع بينهما وبين قوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير  
قلت يحتمل أن يكون قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع والادب والمعنى لا أعلم الغيب الآن بطلعنى  
الله عليه ويقدره لى يحتمل أن يكون قال ذلك قبل أن يطلع الله عز وجل على الغيب فلما أطلع الله  
عز وجل أخبر به كإكمال تعالى فلا يظهر على غيبه أحد الامن ارضى من رسول أو يكون خرج هذا  
الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم ثم بعد ذلك أظهر الله سبحانه وتعالى على أشياء من المغيبات فاخبر عنها  
ليكون ذلك معجزته وله دلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله وامسنى السوء يعنى الجنون وذلك  
أنهم نسبوه الى الجنون وقيل ومعناه لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من تحصيل الخير واحترزت عن الشر  
حتى أصير بحيث لا يمسنى السوء قيل ومعناه لو كنت أعلم الغيب لاعلمتكم بوقت قيام الساعة حتى تؤمنوا وما  
مسنى السوء يعنى قولكم لو كنت نبيا لعلمت متى تقوم الساعة (ان أنا الانذير) يعنى ما أنا الا رسول أرسلنى  
الله اليكم أنذركم وأخوفكم عقابه ان لم تؤمنوا (وبشير) يعنى وأبشر بوابه (لقوم يؤمنون) يعنى يصدقون  
بقوله عز وجل (هو الذى خلقكم من نفس واحدة) يعنى آدم عليه السلام (وجعل منها زوجا) يعنى  
وخلق منها زوجا حواء وقد تقدم كيفية خاق حواء من ضلع آدم في أول سورة النساء (ليسكن الهما) يعنى  
ليأمن بهما ويأوى (فلما تمشاهما) يعنى واقعها واجامعها كنى به عن الجماع أحسن كناية لان الغشيان انبان  
الرجل المرأة وقد غشها وتغشاهما اذا علاها ونجاها (جلا خفيفا) يعنى النطفة والملى لان أول ما تحمل  
النطفة وهى خفيفة عليها (قرت به) يعنى انها استمرت بذلك الحبل فقامت وقعدت وهو خفيف عليها (فلما  
اتقلت) أى صارت الى حال الثقل وكبر ذلك الحبل ودفنت مدة ولادتها (دعوا الله بهما) يعنى ان آدم وحواء  
دعوا الله ربهما (لئن آتيتنا صالحا) يعنى لئن أعطيتنا بشرا سويا مثلنا (انكونن من الشاكرين) يعنى لك  
على انعامك علينا قال المفسرون لما هبط آدم وحواء الى الارض أقيمت الشهوة في نفس آدم فاصاب حواء  
خملت من ساعتها فلما نقل الحبل وكبر الولد أنها ابليس فقال لها ما الذى فى بطنك قالت ما أدري قال لى  
أخاف أن يكون بهيمة أو كلبا أو خنزيرا أن ترى فى الارض الابهيمة وأنحوها قالت لى أخاف بعض ذلك قال  
وما يدريك من أين يخرج أمن دبرك أو من فيك أو يبق بطنك فيقة لك نخافت حواء من ذلك وذكرته  
لآدم فلم يزل فى غم من ذلك ثم عاد اليها ابليس فقال لها لى من الله بمنزلة فان دعوت الله أن يجعله خلقا سويا  
مثلك ويهمل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسم ابليس فى الملائكة الحارث فذكرت ذلك حواء  
لآدم عليه السلام فقال لها صاحبنا الذى قد علمت فعاودها ابليس فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سمياه  
عبد الحارث وقال ابن عباس كانت حواء تلد لآدم فسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيسميهم الموت  
قائما لها ابليس فقال ان سرى كأن يعيش لكوا ولد فسمياه عبد الحارث فولدت فسمياه عبد الحارث فعاش عن  
سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جلت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد  
فقال سميه عبد الحارث فسمته فعاش وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره أخرجه الترمذى وقال حديث  
حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم عن قتادة قال قد رواه بعضهم ولم يرفعه وقوله وذلك

(فلما اتقلت) حان وقت نقل جالها (دعوا الله بهما) دعاء آدم وحواء ربهما وما لك أمرهما الذى هو الحقيق بان يدعى ولبجأ ليه فقالا  
(لئن آتيتنا صالحا) لئن وهبت لنا ولدا سويا فدلص به انه أولاد ذكر الان الذكور من الصلاح (انكونن من الشاكرين) لك والضمير فى

كل من أهلها من الملائكة  
والتقاتين أهمه شأن الساعة  
ومعنى أن ينجلي لعلها  
ويشقى عليه حقاؤها وتقل  
عليه أو تقلت فيهلان أهلها  
بمخافون شدة اندهاؤها والها  
(لأنكم الابتعة) جنة  
على غفلة منكم (يسئلونك  
كانك حفي عنها) كأنك  
علمها حقيقة كانك بليغ  
في السؤال عنها لأن من  
بالغ في المسئلة عن الشيء  
والتنقير عنه استحکم علمه  
فيها وأصل هذا التركيب  
المباغة ومنه أحقاء الشارب  
أو عنهما متعلق يسئلونك أي  
سئلونك عنها كانك حفي أي  
علمها (قل أنما علمها عند الله)  
وكرر يسئلونك وأنما علمها  
عند الله لا تكيد ولزادة  
كانك حفي عنها وعلى هذا  
تكرير العلماء في كتبهم  
لا يخجلون المكرر من فائدة  
منهم محمد بن الحسن رحمه  
الله (ولكن أكره الناس  
لا يعلمون) أنه المختص  
بالعلم ما قل لأملك لنفسي  
نفسا ولا ضرا إلا ما شاء  
الله) هو اظهار العبودية  
وبراءة عما يختص بالربوبية  
من علم الغيب أي أنا عبد  
ضامف لأملك لنفسي  
اجتلاب نفع ولا دفع ضرر  
كالملك إلا ما شاء الله  
من النفع والى الدفع عنى

فمن يطالع عليه أحد أو مر حديث الإيمان والاسلام والاحسان وسؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم قال  
فاخبرني عن الساعة قال ما المسؤول عنها أعلم من السائل قال الحقون ومبب أخفاء علم الساعة ووقت قيامها  
عن العباد ليكونوا على خوف وحذر منها لانهم اذا لم يعلموا متى يكون ذلك الوقت كانوا على وجل وخوف  
واشفاق منها فيكون ذلك ادعى لهم الى الطاعة والتوبة وأزجر لهم عن المعصية (لا يجلبها الوقتها الا هو) قال  
مجاهد لا ياتي بها الا هو وقال السدي لا يرسلها الوقتها الا هو والتجلية اظهار الشيء بعد خفاءه والمعنى لا يظهرها  
لوقت المعين الا الله ولا يقدر على ذلك غيره (تقات في السموات والارض) يعني تقل أمرها وحق علمها على  
أهل السموات والارض فكل شيء خفي فهو ثقيل شديد وقال الحسن اذا جاءت تقات وعظمت على أهل  
السموات والارض وانما تقلت عليهم لان فيها فاء هم وموتهم وذلك ثقيل على القلوب (لأنكم الابتعة) يعني  
جنة على حين غفلة من الخلق (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقوم الساعة  
وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطاولانه وتلقون الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا  
يطعمه وتلقون الساعة وهو يلط حوضه فلا يسقي فيه وتلقون الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها  
واللقحة بفتح اللام وكسر هاء الناقة القرية العهد بالناس قوله يلط حوضه ويروى بلوط حوضه يعني يطينه  
ويصلحه يقال لاط حوضه يلطه أو يلوطه ذات طينه وأصله من الاصوق والاكاة يضم الهمزة للفتحة وقوله  
سبحانه وتعالى (يسئلونك كانك حفي عنها) يعني يسألك قومك عن الساعة كانك حفي بهم يعني بار بهم  
شفيق عليهم فعلى هذا القول فيه تقديم وتأخير تقديره يسئلونك عنها كانك حفي بهم قال ابن عباس يقول  
كان بينك وبينهم مودة وكانك صديق لهم قال ابن عباس لما سأل الناس محمد صلى الله عليه وسلم عن الساعة  
سأله سؤال قوم كأنهم يرون ان محمد صلى الله عليه وسلم حفي بهم فأوحى الله عز وجل اليه أنما علمها عنده  
استأثر بعلمها فإذ يطالع عليها مكد ولا رسولا وقيل معناه يسئلونك عنها كانك حفي بهما أي عالم بهما من قولهم  
أحفيت في المسئلة اذا بالغت في السؤال عنها حتى علمتها (قل) يعني قل يا محمد (أنما علمها عند الله) يعني  
استأثر الله بعلمها فلا يعلمنى الساعة الا الله عز وجل فان قلت قوله سبحانه وتعالى يسئلونك عن الساعة أيان  
مرساها وقوله سبحانه وتعالى نأينا يسئلونك كانك حفي عنها فيه تكرار قلت ليس فيه تكرار لان السؤال  
الاول سؤال عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني سؤال عن أحوالها من تقلها وسدائها فلهما يلزم التكرار  
فان قلت عبر عن الجواب في السؤال الاول بقوله تعالى علمها عندى وعن الجواب في السؤال الثاني بقوله  
تعالى علمها عند الله فهل من فرق بين الصورتين في الجوابين قلت فيه فرق لطيف وهو انما كان السؤال  
الاول واقعا عن وقت قيام الساعة عبر عن الجواب فيه بقوله تعالى علم وقت قيامها عندى ولما كان السؤال  
الثاني واقعا عن أحوالها وسدائها وتقلها عبر عن الجواب فيه بقوله سبحانه وتعالى علمها عند الله لانه أعظم  
الاسماء (ولكن أكره الناس لا يعلمون) يعني لا يعلمون أن علمها عند الله وانته استأثر بعلم ذلك حتى  
لا يدأوا عنه وقيل ولكن أكره الناس لا يعلمون السبب الذي من أجله أخفى علم وقت قيامها الغيب عن  
الخلق وقوله سبحانه وتعالى (قل لأملك لنفسى نفعا ولا ضرا) قال ابن عباس ان أهل مكة قالوا يا محمد ألا  
يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشترى به فترج فيه عند الغلاء والارض التى يريد ان يجذب  
فترحل عنها الى ما قد أنخصبت فأنزل الله عز وجل قل لأملك أى قل يا محمد لأملك ولا أقدر لنفسى نفعا أى  
اجتلاب نفع بان أرع فيما أشتريه ولا ضرا يعنى ولا أقدر ان أدفع عن نفسى ضرا نزل بهابان ارتحل الى  
الارض الخصبة وأترك الجدبة (الإمامة) يعني أن أملكه وأقدر عليه (ولو كنت أعلم الغيب  
لاستكثرت من الخير) يعني ولو كنت أعلم وقت الخصب والجذب لاستكثرت من المال (وامسنى السوء)

(ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) أى لكانت حالى على خلاف ما هى عليه  
عن استكثار الخير واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسنى شيء منها ولم أكن غالباً مرة ومرة بل بأخرى في الحروب وقيل الغيب الاجل واخبر





سبحانه وتعالى وبخاص النية في دعائه مع كثرة التعظيم والتعجيل والتقديس لله ويعزم المسئلة مع رجاء  
الاجابة ويعترف لله سبحانه وتعالى بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية فإذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعاء  
وكان له تأثير عظيم (وذروا الذين يلحدون في أسماؤه) معنى الالحاد في اللغة الميل عن القصد والعدل عن  
الاستقامة وقال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق المدخل فيه مالمس منه يقال ألحد في الدين الحاد إذا  
عبدل عنه ومال إلى غيره قال المحققون الالحاد يقع في أسماء الله تعالى على وجودها إطلاق أسماء الله  
عز وجل على غيره وذلك ان المشركين سمووا أصنامهم بالآلة واشتقوا لها أسماء من أسماء الله تعالى فسموا  
الآلات والعزى ومناة واشتقاق الآلات من الآله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا معنى قول ابن عباس  
ومجاهد الوجه الثاني وهو قول أهل المعاني ان الالحاد في أسماء الله هو تسميته بماليسم به نفسه ولم يرد فيه  
نص من كتاب ولا سنة لان أسماء الله سبحانه وتعالى كلها توقيفية كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع  
بل ندعو الله بأسمائه التي وردت في الكتاب والسنة على وجه التعظيم الوجه الثالث مراعاة حسن الادب  
في الدعاء فلا يجوز أن يقال يا مناع يا خالق القردة على الانفراد بل يقال يا مناع يا نافع يا معطي يا خالق  
الخلق الوجه الرابع ان يسمى الله العبد باسم لا يعرف معناه فانه باسم لا يليق اطباعا لما يقع على جلال  
الله سبحانه وتعالى ولا يجوز أن يسمى به لما فيه من الغرابة وقوله سبحانه وتعالى (سيعجزون ما كانوا  
يعملون) يعني في الآخرة وفيه وعيد وتهديد بل ألحد في أسماء الله عز وجل وقوله عز وجل (ومن خلقنا  
أمة) يعني جماعة وعصابة (يمهدون بالحق وبه يعدلون) قال ابن عباس يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم  
وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان قال قتادة باغت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ  
هذه الآية قال هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون  
(ق) عن معاوية قال وهو يخاطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر  
الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وفي الآية دليل على أنه لا يجوز مان  
من قائل بالحق يعمل به ويهدي إليه (والذين كذبوا بآياتنا) يريد به جميع المكذبين بآيات الله وهم الكفار  
وقيل المراد بهم أهل مكة والاولى أولى لان صيغة العموم تتناول الكل الاما دل الدليل على خروجه منه  
(سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) قال الازهرى سنأخذهم قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون وذلك ان الله  
سبحانه وتعالى يفتح عليهم من النعم ما يبتغون به ويركون اليه ثم يأخذهم على غرثهم ما يغفلون  
وقيل معناه سننقر بهم أي ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراهم ما يراهم لانهم كانوا إذا أتوا  
بحرم أو أقدموا على ذنب فتح الله عليهم من أبواب الخير والنعم في الدنيا فزادون بذلك تماديا في النفي  
والضلال وتدرجون في الذنوب والمعاصي فيأخذهم الله أخذة واحدة أغفل ما يكتونون عليه وقال الضحاك  
معناه كلما جدد وامعصية جددت انعمه وقال الكلبي نزل في أعمالهم ثم نهلهم بها وقال سفيان الثوري  
نسب عليم النعم ثم نسلهم الشكر روى أن عمر بن الخطاب لما حمل إليه كنوز كسرى قال اللهم اني أعوذ  
بك أن أكون مستدرجا فاني سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال أهل المعاني الاستدراج  
ان ينسج الشئ إلى الشئ في خفية قليلا قليلا ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه في الشئ ومنه درج  
الكتاب إذا طواه شيئا بعد شئ (وأولى لهم) يعني وأهلهم وأطيل مدة أعمارهم والاملاء في اللغة  
الامهال والطالة المدة والمعنى اني أطيل مدة أعمارهم ليتادوا في الكفر والمعاصي ولا عاجلهم بالعقوبة ولا  
افتح لهم باب التوبة (ان كيدى متين) يعني ان أخذى شديد والمتين من كل شئ هو القوى الشديد وقال  
ابن عباس معناه ان مكري شديد يقال المفسرون نزات هذه الآية في المستهزئين من قريش وذلك أن الله  
سبحانه وتعالى أهلهم ثم قتلهم في ليلة واحدة وفي هذه الآية دليل على مسئلة القضاء والقدر وأن الله

الحسن وذلك أن اسمه بهما  
لا يجوز عليه نحو أن يقولوا  
باسمى يارفيق لانه لم يسم  
نفسه بذلك ومن الالحاد  
تسميته بالجسم والجوهر  
والعقل والعلة يلحدون  
حزرة لحد وألحد مال  
(سيعجزون ما كانوا يعلمون)  
ومن خلقنا للجنة لانه في  
مقابلة ولقد زرأنا الجنة  
(أمة يهدون بالحق وبه  
يعدلون) في أحكامهم  
قيل هم العلماء والدعاة إلى  
الدين وفيه دلالة على ان  
اجماع كل عصر حجة  
(والذين كذبوا بآياتنا  
سنستدرجهم) سنستدرجهم  
قليلا قليلا إلى ما يهلكهم  
(من حيث لا يعلمون) ما  
يرادهم وذلك ان بوارثه  
نعمه عليهم مع انهما كهم  
في التي فكما جدد الله  
عليهم نعمة ازادوا وبطرا  
وجدوا وامعصية فيتدرجون  
في المعاصي بسبب ترادف  
النعم ظانين أن ترادف  
النعم أثر فمن الله تعالى  
وتقرىب وانما هو خذلان  
منه وتبديد وهو استفعال  
من الدرجة بمعنى الاستعداد  
والاستئزال درجة بعد  
درجة (وأولى لهم) عطف  
على سنستدرجهم وهو  
داخل في حكم السنين أي  
أهلهم (ان كيدى متين)  
أخذى شديد ساء كيد لانه

الحسب الجليل الكريم الرقيب المحيَّب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق  
 الوكيل القوى المتين الولي الجيد المحصي المبدئ للعبد المحيِّ المميت المحي القيوم الواجد  
 الماجد الواحد الصمد القادر المقدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي  
 المتعالى البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالِك الملك ذوالجلال والاكرام المقسط الجامع الغنى  
 المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البدیع الباقي الوارث الرشيد الصبور قال  
 الترمذی حدثنا به غیر واحد عن صفوان بن صالح ولا تعرفه الا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند  
 أهل الحديث قال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا  
 نعلم في كثير من الروايات ذكر الاسماء التي في هذا الحديث قال ابن الاثير وفي رواية ذكرها زين بن رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم تلاقوه ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذر الذين يلحدون في اسمائه سيجزى  
 ما كانوا يعملون فقال ان الله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما الحديث قال الشيخ محي الدين النوري رحمه  
 الله تعالى اتفق العلماء على ان هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمائه سبحانه وتعالى وليس معناه انه ليس له  
 أسماء غير هذه التسعة والتسعين وانما المقصود من الحديث ان هذه التسعة والتسعين اسماء من أحصاها دخل  
 الجنة قال مراد الاخبار عن دخول الجنة بأحصائها الا الاخبار بحصر الاسماء ولهذا جاء في الحديث الآخر  
 أسألك بكل اسم سميت به نفسك وأستأثرت به في علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن العربي  
 المالكي عن بعضهم ان الله ألف اسم قال ابن العربي وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من أحصاها دخل  
 الجنة تقدم فيه قول البخاري ان معناه حفظها وهو قول أكثر المحققين ويعضده الرواية الأخرى من حفظها  
 دخل الجنة وقيل المراد من الإحصاء العدد أى عدّها في الدعاء بها وقيل معناه من أطاها وأحسن المراعاة لها  
 والمحافظ على ما تقتضيه وصدق بما أنبأها وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل معنى أحصاها حضر بباله عند  
 ذكرها معناها وتذكر في مدلولها معتبرا متديرا إذا كرر أخبارا راجعا معظمها ولمساها ومقدسات الله  
 سبحانه وتعالى وأن يحظر بباله عند ذكر كل اسم الوصف الدال عليه وقوله والله وترى حبب الورد الفرد  
 ومعناه في وصف الله تعالى أنه الواحد الذي لا شريك له ولا نظير وفيه تفصيل الورد في الأعمال لأن أكثر  
 بطاعات وتر وفيه دليل على أن أشهر أسمائه سبحانه وتعالى الله لاضافة الاسماء اليه فيقال الرؤف والكريم  
 واللطيف به أسماء الله ولا يقل من أسماء الرؤف والكريم واللطيف الله وقد قيل ان لفظة الله هو الاسم  
 الاعظم قال أبو القاسم القشيري في دليل على ان الاسم هو المسمى اذ لو كان غيره لكانت الاسماء لغيره وقد  
 قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال الامام غفر الدين الرازي دلت الآية على ان الاسم غير المسمى لانها  
 تدل على ان أسماء الله كثيرة لان لفظ الاسماء لفظ الجمع وهو يفيد الثلاثة فما فوقها فثبت ان أسماء الله  
 كثيرة ولا شك ان الله واحد فزعم القطع بان الاسم غير المسمى وأضافوا له سبحانه وتعالى ولله الاسماء الحسنى  
 يقتضى اضافة الاسماء الى الله واضافة الشيء الى نفسه محال وقال غيره الاسم عبارة عن اللفظ الدال على الشيء  
 المسمى به فهو غير وقال أهل اللغة انما جعل الاسم تنويها على المعنى لان المعنى تحت الاسم والتسمية غير الاسم  
 لان التسمية عبارة عن وضع اللفظ المعين لتعريف ذات الشيء والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق  
 ظاهر قال العلماء وكل يجب تزي به الله عن جميع النقص فكذلك يجب تزي به أسمائه أيضا وقوله سبحانه  
 وتعالى (فادعوه بها) يعني ادعوا الله باسمائه التي سمي بها نفسه وأسماءها رسوله وفيه دليل على ان أسماء  
 الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية وما يدل على صحة هذا القول ويؤكد أنه يجوز أن يقال يا جواد ولا يجوز أن  
 يقال يا سخي ويجوز أن يقال يا عالم ولا يجوز أن يقال يا عاقل ويجوز أن يقال يا حكيم ولا يجوز أن يقال  
 يا طبيب ولله عاشر ائمته ان يعرف الداعي معاني الاسماء التي يدعو بها ويستحضر في قلبه عظمة المدعو

هنا حسنة فبها ما يستحقه  
 بحقائقه كالقديم قبل كل  
 شيء والباقي بعد كل شيء  
 والقادر على كل شيء والعالم  
 بكل شيء والواحد الذي  
 ليس كمثله شيء ومنها ما  
 تستحسنه النفس لآثارها  
 كالغفور والرحيم والشكور  
 والحليم ومنها ما يوجب  
 التخلع به كالفضل والعفو  
 ومنها ما يوجب مراقبة  
 الاحوال كالسميع والبصير  
 والمقتدر ومنها ما يوجب  
 الاجلال كالعظيم والجبار  
 والمتكبر (فادعوه بها)  
 فسموه بتلك الاسماء

فقال تعالى (لم قلوب لا يفقهون بها) يعني لا يفقهون بها ولا يعقلون بها وأصل الفقه في اللغة الفهم والعلم  
 بالشئ ثم صار علما على اسم العلم في الدين لشرفه على غيره من العلوم يقال فقه الرجل يفقه فهو فقيه اذا فهم  
 ومعنى الآية لم قلوب لا يتفكرون بها في آيات الله ولا يتدبرونها ولا يعلمون بها الخير والهدى ولا عراضهم  
 عن الحق وتركهم قبوله (ولم أعين لا يبصرون بها) يعني لا يبصرون بها طريق الحق والهدى ولا ينظرون  
 بها في آيات الله وادلة توحيد (ولم آذان لا يسمعون بها) يعني لا يسمعون آيات القرآن ومواعظه فيعتبرون  
 بها قال أهل المعاني ان الكفار لم قلوب يفقهون بها مصالحهم المتعلقة بالدنيا ولم أعين يبصرون بها  
 المراتب وآذان لا يسمعون بها الكلمات وهذه الحواس الداركة علم بذلك ان المراد بذلك رجوع الى مصالح الدين وما  
 يبصرون ولا يسمعون مع وجود هذه الحواس الداركة علم بذلك ان المراد بذلك رجوع الى مصالح الدين وما  
 يفقهون في الآخرة وحاصل هذا الكلام انهم مع وجود هذه الحواس لا ينتفعون بها فيما ينتفعون في أمور  
 الدين والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما يصلح له ومنه قول الشاعر

وعوراء الكلام صممت عنها \* واني أنشأها بهاسميع

فانه أثبت له صمما مع وجود السمع قال مجاهد لم قلوب لا يفقهون بها شيئا من أمر الآخرة ولم أعين  
 لا يبصرون بها الهدى ولم آذان لا يسمعون بها الحق ثم ضرب لهم مثلا فقال سبحانه تعالى (أولئك  
 كالانعام) يعني ان الذين ذرأهم لجهنم وهم الذين حقت عليهم الكرامة الازلية كالانعام وهي البهائم التي  
 لاتفهم ولا تعقل وذلك لان الانسان وسائر الحيوانات مشتركون في هذه الحواس الثلاثة التي هي القلب  
 والبصر والسمع وانما فضل الانسان على سائر الحيوانات بالعقل والادراك والفهم المؤدى الى معرفة الحق  
 من الباطل والخير والشر فاذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الانعام التي لاتدرك  
 شيئا ثم قال تعالى (بل هم أضل) يعني بل ان الكفار أضل من الانعام لان الانعام تعرف ما يضرها وما  
 ينفعها والكافر لا يعرف ذلك فصار أضل من الانعام ولان الانعام تعط القوة العقلية والانسان قد أعطيها  
 فألم يستعمل العقل فيما ينفعه صار أخص حال من الانعام وحين ان الانعام مطيعة لله عز وجل والكافر غير  
 مطيع لله عز وجل فصارت الانعام أفضل منه ثم قال الله تعالى (أولئك هم الغافلون) يعني عن ضرب هذه  
 الامثال لم قوله سبحانه تعالى (ولله الاسماء الحسنى) قال مقاتل ان رجلا دعا الله في صلته ودعا للرجن  
 فقال بعض مشركي مكة قال ابن الجوزي هو أبو جهل ان سجدا وأصحابه يزعمون انهم يعبدون ربوا واحدا  
 بالهذين عواثين قال الله هذه الآية ولله الاسماء الحسنى والحسنى تأنيب الاحسن ومعنى الآية ان  
 أسماء الله سبحانه وتعالى المقدسة كلها حسنى وليس المراد ان فيها ما ليس بحسن والمعنى ان الاسماء الحسنى  
 ليست الا لانه هذا اللفظ يفيد الحصر ويميل ان الاسماء اللفاظ الدالة على معاني فهي انما تحسن بمعانيها ولا  
 معنى للحسن في حق الله تبارك وتعالى الا ذكره بصفات الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين  
 أحدهما عدم افتقاره الى غيره الثاني افتقاره غيره اليه وانه هو المسمى بالاسماء الحسنى (ق) عن أبي هريرة  
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة والله وترى يحب الزور في  
 رواية من أحصاها في رواية أخرى لله تسعة وتسعون اسما مائة الواحد الا يحفظها أحد الا دخل الجنة وهو  
 وترى يحب الزور قال البخاري أحصاها حفظها في رواية الترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله  
 تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس  
 السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب  
 الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكيم  
 العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت

انما خلق منهم لالعبادة من  
 علم انه يعبدوه وأما من علم  
 انه يكفر به فاما خلقه  
 علم انه يكون منه فالخاصل  
 ان من علم منه في الازل  
 انه يكون منه العبادة خلقه  
 للعبادة ومن علم منه انه  
 يكون منه الكفر خلقه  
 لذلك وكمن علم رادبه  
 الخصوص وقول المعتزلة  
 بان هذه لام العاقبة أي لما  
 كان عاقبتهم جهنم جعل  
 كآتهم خلقها لافرار عن  
 ارادة العاصي عدول عن  
 الظاهر (لم قلوب لا يفقهون  
 بها) الحق ولا يتفكرون فيه  
 (ولم أعين لا يبصرون  
 بها) الرشد (ولم آذان  
 لا يسمعون بها) الوعظ  
 (أولئك كالانعام) في عدم  
 الفقه والنظر للاعتبار  
 والاستماع للتفكير (بل هم  
 أضل) من الانعام لانهم  
 كابروا العقول وعاندوا  
 الرسول وارتكبوا الفضول  
 فالانعام تطالب منافعتها  
 وتهرب عن مضارها وهم  
 لا يعلمون مضارهم حيث  
 اختاروا النار وكيف  
 يستوى المكلف المأمور  
 والخلى المذنب وفلا أدبى  
 ر وحاشي شهواتى وماوى  
 أرى فان غلب روجه هو  
 فاق ملائكة السموات وان  
 غلب هو روحه فاقته  
 بهائم الارض (أولئك هم

القرآن المجز ومافيه  
وبشرنا الناس باقتراب  
مبعثه (فاقص القصص)  
أى قصص بلى الذى هو نحو  
قصصهم (لعلهم يتفكرون)  
فيحذرون مثل عاقبته  
اذا ساروا نحو سيرته (ساء)  
مثلا القوم الذين كذبوا  
بآياتنا) أى مثلا القوم  
خفف المضاف وفاعل ساء  
مضمر أى ساء المثل مثلا  
واتصاب مثلا على التخيير  
(وأنفسهم كانوا يظلمون)  
معطوف على كذبوا  
فيدخل في حيز الصلة أى  
الذين جعوا بين التكذيب  
بآيات الله وظلم أنفسهم أو  
منقطع عن الصلة أى وما ظلموا  
الأنفسهم بالتكذيب وتقديم  
المفعول به للاختصاص  
أى وخصوا أنفسهم بالظلم  
لم يتعد إلى غيرها (من يهد  
الله فهو المهتدى) حل على  
اللفظ (ومن يضل) أى  
ومن يضل) (فأولئك هم  
الخاسرون) حل على المعنى  
ولو كان الهدى من الله  
البيان كما قالت المعتزلة  
لاستوى الكافر والمؤمن  
اذ البيان ثابت في حق  
الفر يقين فدل انهم من الله  
تعالى التوفيق والعصمة  
والمعونة ولو كان ذلك  
للكافر لا هدى كما هتدى  
المؤمن (ولقد ذرأنا لجهنم

العطش الى الفوز بطلو به من الدنيا فكانت حالته شبيهة بحالة الكلب الذى أدلع لسانه من اللبث في غير  
حاجة ولا ضرورة ومعنى ان تحمل عليه يلهث وأنت تركه يلهث أى ان شددت عليه وأهيجته هلث وان تركته  
على حاله هلث لان اللبث طبيعة أصلية فيه فكذلك حال الجر يص على الدنيا وان وعظته فهو حر يص لا يقبل  
الوعظ ولا يذبح فيه وان تركته ولم تعظ فهو حر يص أيضا لان الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة له لازمة  
كما ان اللبث طبيعة لازمة للكلاب (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعنى ان المثل الذى ضرب بناء للذى  
أتناه آياتنا فانسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فعم هذا المثل جميع من كذب بآيات الله وجدها  
فوجه التمثيل بينهم وبين السكاب اللاهث انهم اذا جاءتهم الرسل ليهذوهم لم يهتدوا وان تركوا لم يهتدوا  
أيضا بل هم ضلال في كل حال ثم قال سبحانه وتعالى (فاقص القصص) وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم  
وسلم يعنى فاقص القصص بالمحمد على قومك أى اخبرهم من كفر بآيات الله (لعلهم يتفكرون) يعنى  
فيستعظون وقيل هذا المثل لكفار مكة وذلك انهم كانوا يمتنون هاديا يهد بهم ويدعوهم الى طاعة الله عز وجل  
فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الله والى طاعته وهم يعرفونه ويعرفون صدقه كذبوا ولم  
يقبلوا منهم ثم قال سبحانه وتعالى (ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعنى بس مثل المثل القوم الذين كذبوا  
بآياتنا (وأنفسهم كانوا يظلمون) يعنى يتكذبونهم بآياتنا قوله عز وجل (من يهد الله فهو المهتدى) يعنى من  
يرشده الله الى دينه فهو المهتدى وقيل معناه من يتولى الله هدايته وارشاده فهو المهتدى (ومن يضل) يعنى  
ومن يتولى ضلاله (فأولئك هم الخاسرون) يعنى فى الآخرة وفى الآية دليل على ان الله سبحانه وتعالى هو  
الهادى المضل ﴿وقوله سبحانه وتعالى (ولقد ذرأنا) يعنى خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس) أخبر الله  
سبحانه وتعالى انه خلق كثيرا من الجن والانس للآر وهم الذين حقت عليهم الكرامة الازلية بالنسبة اذ وقمن  
خاقله الله للآر فلا حيلة له فى الخلاص منها واستدل البغوى على صحة هذا التأويل بما رواه عن عائشة قالت دعى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صى من الانصار فقات يارسول الله طوبى لي لهذا عصفو ومن عصافير  
الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال أو غير ذلك باعائشة ان الله خالق الجنة اهلها خلقهم لها وهم فى أصلاب  
آبائهم وخلق للآر اهلها خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم أخرجه مسلم قال الشيخ محي الدين النوروى في شرح  
مسلم أجمع من يعتد به من علماء المسلمين ان من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة لا نه ليس مكلفا  
وتوقف فيهم بعض من لا يعتد به حديث عائشة هذا وأجاب العلماء عنه بانه لعل صلى الله عليه وسلم نهاها عن  
المسارعة الى القطع من غير ان يكون عندها دليل قاطع كما أنكروا على سعد بن أبى وقاص افظة انى لاره  
مؤمنا فقالوا ومسلم الحديث ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل ان يعلم ان أطفال المسلمين فى الجنة  
فلما علم ذلك قال به وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب قال الاكثرون هم فى النار تبع الآبائهم وتوقف  
طائفة فيهم - والثالث وهو الصريح الذى ذهب اليه المحققون انهم من أهل الجنة ويسند لى باشياء منها خبر  
ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم حين رآه تعالى صلى الله عليه وسلم فى الجنة وحوله وأولاد الناس فقالوا  
يارسول الله وأولاد المشركين قالوا وأولاد المشركين رواه البخارى في صحيحه ومنها قوله سبحانه وتعالى وما كنا  
معذبين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه على المولد التكليف ولا يلزمه قبول قول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق  
عليه والله أعلم وفى الآية دليل وحجة واضحة انه هب أهل السنة فى ان الله خالق أعمال العباد جميعا خيرا  
وشرا لان الله سبحانه وتعالى بين بصريح اللفظ انه خالق كثيرا من الجن والانس للآر ولا تزد على بيان الله  
عز وجل لان العاقل لا يختار لنفسه دخول النار فلما عمل بما يؤجره دخول النار به علم ان له من يضطره الى  
ذلك العمل الموجب الى دخول النار وهو الله عز وجل وقيل اللام فى جهنم للعاقبة أى عاقبتهم جهنم ثم وصفهم

وادرکه وصار قريضا له  
(فكان من الغاوين) فصار  
من الضالين الكافرين  
روى ان قومه طلبوا منه  
ان يدعو على موسى ومن  
معه فاني فلم يزأوا به حتى  
فعل وكان عنده اسم الله  
الاعظم (ولوشئنا رفعناه)  
الى منازل الابرار من العلماء  
(بها) بتلك الآيات (ولكنه  
أخذ الى الارض) مال الى  
الدنيا ورغب فيها (واتبع  
هواه) في اتيار الدنيا ولذاتها  
على الآخرة ونعيمها (فأله  
كنزل الكلب ان نحمل  
عليه) أي نزجره ونطرده  
(يلث أو تتركه) غير  
مطروء (يلث) والمعنى  
فصفته التي هي مثل في  
الخسة والضعة كهفة  
الكلب في أخص أحواله  
وأذلها وهي حال دلم  
اللاه به سواء جل عليه أي  
شد عليه وهيج فطر دأوزك  
غير متعرض له بالجل عليه  
وذلك ان سائر الحيوان  
لا يكون منه اللاه الا اذا  
حرك أما الكلب فيلث في  
الحالين فكان مقتضى  
الكلام ان يقال ولكنه  
أخذ الى الارض فخطئناه  
ووضعنا منزلة فوضع هذا  
التخيل موضع فخطئناه أبلغ  
خط ومحل الجلبة الشرطية  
النصب على الحال كما نه قيل

وفي رواية عن ابن عباس ما نزلت في البسوس وهو رجل من بني اسرائيل وكان قد أعطى ثلاث دعوات  
مستجابات وكانت له امرأته منها أولاد فقال له اجعل لي منها دعوة فقال لك منها واحدة كآثر بدن قالت  
ادع الله أن يجعلني أجمل امرأته فبني اسرائيل فدعاها فصار ثوبا للنساء فلما علمت أنه ليس في نساء بني  
اسرائيل مثلها رغبت عنه فغضبت فدعاها فصار ثوبا للنساء فلما علمت أنه ليس في نساء بني  
وقالوا ليس لنا على هذا الامر قرار قد صارت أمنا كلبه نباحه والناس تعيرنا بذلك فادع الله أن يرد هالي حالها  
الاول فدعا الله فعدادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات جميعا والقولان الاولان أشهر وقال الحسن وابن  
كيسان نزلت في منافق أهمل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته كما يعرفون  
أبناءهم ثم أنكره وقال قتادة هذا مثل ضرب به الله لن عرض عليه الهدى فلم يقبله وقوله تعالى أن تبتدأ آياتنا  
قال ابن عباس كان يعلم اسم الله الأكبر وقال ابن زبدي كان لا زال الله شيئا الأعطاء وقال السدي كان يعلم  
اسم الله الأعظم وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه وثق كتابا و قيل ان الله آتاه بحجة وأدله وهي الآيات التي  
أوتينا (فانسلخ منها) يعني نخرج من الآيات التي كان الله آتاه إياها كما تنسلخ الحية من جلدها وقال ابن  
عباس نزع منه العلم (فاتبعه الشيطان) يعني لحقه وأدركه وصبره الشيطان تابعا لنفسه في معصية الله يخاف  
أمره به ويطيع الشيطان وهواه ﴿قوله تعالى﴾ (ولوشئنا رفعناه) يعني رفعنا رتبته ومزنته  
خافص به وأطاع هواه وشيطانه ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ولوشئنا رفعناه بها) يعني رفعنا رتبته ومزنته  
بتلك الآيات التي أوتينا وقال ابن عباس لرفعناه بعملها وقال مجاهد وعطاء معناه ولوشئنا رفعناه الكفر  
وعصمناه بالآيات (ولكنه أخذ الى الارض) يعني ولكنه سكن الى الدنيا و مال اليها ورضى بها وأوصله من  
الخلود وهو الدوام والمقام والارض هنا عبارة عن الدنيا لان الارض عبارة عن المفاز والقفار وفيها المدن  
والضياح والمعادن والنبات ومنها يستخرج ما يعاش به في الدنيا فالعالم كاهي الارض (واتبع هواه) يعني  
انه أعرض عن نفسه كما آتاه الله من الآيات واتبع الهوى فغسر دنياه وآخرته ووقع في هواية الردى  
والهلاك وهذه الآية من أشد الآيات على العلماء الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس ويتبعون  
الهوى وذلك لان الله عز وجل خص هذا الرجل بآياته وحكمته وعلمه اسمه الاعظم وجعل دعاه مستجابا  
ثم انما اتبع هواه وركن الى الدنيا ورضى بها عوضا عن الآخرة نزع منه ما كان أعظمه وانسلخ من الدين  
غسر الدنيا والآخرة ومن الذي يسلم من الميل الى الدنيا واتباع الهوى الامن عصمه الله بالورع وثبته بالعلم  
وبصره به يوب نفسه عن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذنبان جالغان  
أرسلاني غنم بأفده لهما من حوص المرعى الى المال والشرف لدينه أخرجه الترمذي \* ثم ضرب الله عز وجل  
مثلا لهذا الرجل الذي آتاه آياته فانسلخ منها واتبع هواه فقال تعالى (فأله كنزل الكلب ان نحمل  
عليه) يلهث أو تتركه يلهث) يقال لث الكلب يلهث اذا أدلع لسانه من العطش وشدة الحر وعند الاعياء  
والتعب وهذا مثل ضرب به الله عز وجل لمن آتاه آياته وحكمته فتركها وعدل عنها واتبع هواه وترك آخرته  
وأترد دنياه بأخص الحيوانات وهو الكلب في أخص أحواله وهو اللاه لان الكلب في حاله لا يقدر على  
نفع نفسه ولا ضررها كذلك العالم الذي يتبع هواه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضررها في الآخرة لان التخيل به  
على انه يلهث على كل حال ان حملت عليه أو تركته كان لاهنا وذلك عادة منه وطبيعته وهي مواظبته على اللاه  
دائما فكذلك من آتاه الله العلم والدين وأغناه عن النعرض لحطام الدنيا الخسيسة ثم انه مال اليها وأطبعها  
كانت حاله كحال الكلب اللاه وقيل ان العالم اذا وصل بعلمه الى طلب الدنيا فإنه يظهر علومه عند أهلها  
وبدل لسانه في تقرير تلك العلوم وبيانها وذلك لاجل ما يحل عنده من حرارة الحرص الشديد وشدة

كنزل الكلب ذليلا دائم الالهة لاهنا في الحالين وقيل لمادعا يعلم على موسى خرج اسانه فوق  
على صدره ورجل يلهث كما يلهث الكلب وقيل معناه هو ضال وعظا أوزك وعن عطاء من علم ولم يعمل فهو كالكلب ينسبح ان طرأ أوزك



أخذ الحربة بذراعها واعتمد برقبته على خصرته وأستند الحربة إلى حليته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم  
هكذا نفعل بمن عصاك ورفع الطاعون من بني إسرائيل فغضب من مات منهم في ذلك الطاعون فيها بين  
الرجال ذلك الرجل المرأة إلى أن قتلته فنحاص فوجدوه قد هلك سبعون ألفاً في ساعة واحدة من النهار  
فمن هنالك يعطى بنو إسرائيل ولده فنحاص من كل ذبيحة يذبحونها الفضة والذراع والذهب لاعتباره بالحربة  
على خصرته وأخذها ياها بذراعها واستندته إليها إلى حليته ويعطوهم البكر من كل أموالهم لأنه كان بكر العيزار  
وفي بلعام أنزل الله عز وجل وأتل عليهم نبأ الذي آتيناها الآية وقال مقارن الملك البقاء قال بلعام ادع  
الله على موسى فقال بلعام إنه من أهل ديني ولا أدعو عليه فنصب له خشبة ليصلب عليها فلما رأى ذلك  
خرج على أنان ليدعو على موسى فلما عاين عسكرهم وقفت به الاتان ففصر بها فقالت لم تقصر بني وأ  
مأمورة وهذه نار أمي قد معتنى أن أمشي فرجع إلى الملك فأخبره بذلك فقال لتدعون عليه أولاً صلبتك  
فدعا على موسى بالاسم الاعظم أن لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى ومن معه من بني إسرائيل في  
التيه بداء بلعام عليه فقال موسى يارب باي ذنب وقعت في التيه قال بداء بلعام قال فكما سمعت دعاءه على  
فاسمع دعائي عليه فدعا موسى عليه السلام أن ينزع عنه الاسم الاعظم والايمن فنزح الله سبحانه وتعالى منه  
المعرفة وسأله منها فخرجت من صدره حكمة بيضاء فذلك قوله سبحانه وتعالى آتيناها إنا فأنسلخ منها فإن  
قلت هذه النصة ذكرها جماعة من المفسرين وفيها أن موسى عليه السلام دعا على بلعام بأن ينزع عنه الاسم  
الاعظم والايمن وكيف يجوز لموسى عليه السلام مع علو منصبه في النبوة أن يدعو على إنسان بالكفر بعد  
لايمان أو يرضى له بذلك قلت الجواب عنه من وجوه أحدها منع صحة هذه القصة لأنها من الاسرائيليات  
ولا يلتفت إلى ما سطره أهل الاخبار إذا خالف الأصول الوجه الثاني أن سبب وقوع بني إسرائيل في التيه هو  
عبادتهم الجبل أوقولهم لموسى عليه السلام اجعل لنا الهافكان ذلك هو سبب وقوعهم في التيه لدعاء بلعام  
عليهم الوجه الثالث على تقدير صحة هذه القصة وأن موسى عليه السلام دعا على بلعام وأن موسى عليه السلام  
لم يدع عليه إلا بدأن ثبت عندنا أن بلعام كفر وارتد عن الايمان بدعائه على موسى وإشاره الحياة الدنيا  
ودعا عليه مقابلته دعائه عليه والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ذلك كله والمقصود من ذلك تنزيهه من منصب النبوة  
عمما قيله أصحاب الاخبار في كتبهم من غير نظر فيه ولا بحث من معناه وقال عبد الله بن عمر بن العاص  
وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم ترات هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي وكانت قصته أنه كان قد قرأ  
الكتب القديمة وعلم أن الله سبحانه وتعالى مرسل رسولاً فرجأ أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل محمد  
صلى الله عليه وسلم وشرفه الله بالنبوة حسده وكذبه وكان أمية صاحب حكمة وشعر ومواعظ حسنة فقصد  
بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل أقرباه  
فلما مات أمية أتت أخته فارعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن  
وفاة أخيها فقالت بينا هور أقراءه اثنا عشر فكشفنا سقف البيت ونزلاً فقتلناه أحدهما عند رأسه والآخر عند  
رجليه فقال الذي عند رجائه الذي عند رأسه أوعى قال أذكرى قال أذكرى قالت فسأله عن ذلك فقال  
خير أريدني فصرغني ثم غشي عليه فلما أفاق من غشيته قال شعرا

كل عيش وإن تطاول دهره ۞ صائر مره إلى أن يزولا

ليتني كنت قبل ما قد بدالي ۞ في قلال الجبال أرمي الوعولا

ان يوم الحساب يوم عظيم ۞ شاب فيه الصغير يومائقلا

فقال طار رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدني من شعر أخيك فأنشدته بعض قصائده فقال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه فأنزل الله عز وجل وأتل عليهم نبأ الذي آتيناها إنا فأنسلخ منها الآية

ذلك التفصيل البليغ  
(نفصل الآيات) لهم  
(واعلمهم يرجعون) عن  
شركهم فصلها الى هذا  
ذهب المحققون من أهل  
التفسير منهم الشيخ أبو  
منصور والزجاج والبخاري  
وذهب جمهور المفسرين  
الى ان الله تعالى اخرج ذرية  
آدم من ظهر آدم مثل الشر  
وأخذ عليهم الميثاق أنه  
ر بهم بقوله ألتبر بكم  
فاجابوه ببلى قالوا وهى  
الغطرة التى فطر الله الناس  
عليها وقال ابن عباس رضى  
الله عنهما اخرج الله من  
ظهر آدم ذريته وأرأياهم  
كهيئة الذر وأعطاهم العقل  
وقال هؤلاء ولدك أخذ  
عليهم الميثاق ان يعبدونى  
فيل كان ذلك قبل دخول  
الجنة بين مكة والطائف  
وقيل بعد النزول من الجنة  
وقيل فى الجنة والحجة للاولين  
انه قال من بنى آدم من  
ظهورهم ولم يقل من ظهر  
آدم ولانا لاتند كرك ذلك  
فانى بصير هجة ذرياتهم  
مدنى وبصرى وشامى ان  
تقولوا أو تقولوا أبو عمرو  
(واتل عليهم على اليهود  
نبا الذى آتينا آياتنا)  
هو عالم من علماء بنى  
اسرائيل وقيل هو بلعم  
باعوراء أو قى علم بعض  
كتب الله

أهل النظر قالوا معناه ان الله نصب هذه الدلائل وأظهر هالة القول للايقولوا انما أمر كذا على سبيل التقليد  
لآيات الان نصب أدلة التوحيد قائم معهم فلا عذر لهم فى الاعراض عنه والاقبال على تقليد الآباء فى  
الشرك وقوله تعالى (وكذلك نفصل الآيات) يعنى ليتدبرها العباد فيرجعوا الى الحق والابحان ويعرضوا  
عن الباطل والكفر وهو المراد من قوله (واعلمهم يرجعون) يعنى عن الشرك الى التوحيد وقيل معناه  
واعلمهم يرجعون الى الميثاق الاول فيذ كرونه ويعلمون بموجب مقتضاه وقوله عز وجل (واتل عليهم)  
يعنى وأقرأ على قومك بالحمد (نبا) يعنى خبر (الذى آتينا آياتنا) اخبرنا وفيه فقال ابن عباس هو بلعم بن  
باعوراء وقال مجاهد بلعام بن باعر وقال ابن مسعود هو بلعم بن ابر قال عطية قال ابن عباس انه كان من بنى  
اسرائيل وفى رواية أخرى عنه أنه كان من الكنعانيين من بلاد الجبارين وقال مقاتل هو من مدينة البلقاء  
وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس ومحمد بن اسحق والسدى وغيرهم من أصحاب الاخبار والسير قالوا ان  
موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبار بن ونزل أرض كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام اليه وكان  
عنده اسم الله الاعظم فقالوا ان موسى رجل حديد وان معه جنودا كثيرة وانه قد جاء بخرجناء من بلادنا  
ويقتلنا ويحلبنا بنى اسرائيل وانت رجل محاب الدعوة فخرج وادع الله ان يردهم اذ قالوا ولكن نبي الله  
ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف ادعوا عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم وانى ان فعلت هذا ذهب ديناى  
وأخترى فراجعوه والحوا عليه فقال حتى أوامر ربى وكان لا يدع حتى أوامر ربى فى المنام فأتى فى المنام  
فقال لا تدع عليهم فقال لقومه انى قد أمرت ربى ففانى أن ادعوا عليهم فاهدوا له هدية فقبلها وراجعوه  
فقال حتى أوامر ربى فأمرو فلم يوح اليه شئ فقال قد أمرت ربى فلم يوح الى شئ فقالوا له لو كره ربك أن  
تدعوا عليهم انما كنهك أول مرة فلم يزالوا يتضرعون اليه حتى فتدعو فافتتن فركب أناله متوجها الى جبل  
يطلعه على عسكر بنى اسرائيل يقال لذلك الجبل جبل حسان فلما سار على أناله غير بعيد رى بض فتزل عنها  
وضر بها فقامت وركبها فلم تسر به كثيرا حتى رى بض ففرض بها حتى قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى رى بض  
ففرض بها حتى أذلقتها فاذن الله عز وجل لمضى السكلام وأنطقه الله بكلمة من حجة عليه فقالت ويحك يا بلعام  
أتدري أين تذهب أتاترى الملائكة أمامى بردونى عن وجهى هذا ويحك أتذهب الى نبي الله والمؤمنين  
فتدعوا عليهم فلم ينزع غلى الله سبيل الا انان فانطلقت به حتى اذا أشرفت به على جبل حسان ومعه قومه جعل  
يدعوا فلم يدع بشئ الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعوا له ومعه جنود الا صرف الله به لسانه الى بنى اسرائيل  
فقال له قومه يا بلعام أتدري ما تصنع انما تدعوا عليهم وتدعوا علينا فقال هذا ام لا ملكه هاتشى قد غلب الله عليه  
وانداع اسانه فوقع على صدره فقال لقومه قد ذهبت منى الدنيا والاخرة ولم يبق لي الا المسكر والحيلة فسامكر  
اسكم واحتالتم قال جلوا النساء وزينوهن وأعطينهن السبع ثم ارسلوهن الى عسكر بنى اسرائيل ليعبثن  
عليهم ومروهن أن لاتنزع امرأة نسهام من رجل أرادها فان زنى رجل منهم بواحدة تمضن كفيتموهم  
ففعلا ذلك فلما دخل النساء على العسكر مررت امرأة من الكنعانيين اسمها كسنى بنت صور على رجل من  
عظماء بنى اسرائيل يقال له زمرى بن شلوم وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب فقام الى المرأة وأخذ يديها  
حين أعجبها لهما ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام وقال انى لاطنك أنك تقول هذه حرام  
عليك فقال أجل هى حرام عليك لا تقرب بها قال والله انى لا أطيعك فى هذا ثم قام ودخل بها الى قبة فوقع  
عليها فارسل الله عز وجل الطاعون على بنى اسرائيل فى ذلك الوقت وكان فتوحا بن العيزار بن هرون  
وكان صاحب أمر موسى وكان رجلا فطافا على يسلطة فى الخلق وقوة فى البطش وكان غائبا حين صنع  
زمرى بن شلوم ما صنع فجاءه الطاعون بموسى بنى اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ سر به وكانت من حديثها  
ثم دخل عليهم القبة وهما متضايعان فطعنهما بمجر به فأتاهم هماما خرج بهما وهو رافعهما الى السماء وقد

جعل فيه من السبب الذي يؤخذ به الميثاق وهو العقل والتكليف فيكون معنى الآية واذا باخذ بك من  
 بنى آدم ويشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم والتكليف الذي به يترب  
 على صاحبه الثواب والعقاب يوم القيامة فان قلت فما المختار من هذين المذهبين في تفسير هذه الآية قلت  
 المذهب الاول هو المختار لانه مذهب جمهور المفسرين من السلف ورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه  
 وسلم فان قلت اذا كان المختار في تفسير هذه الآية هو مذهب السلف في ذلك وان الله تعالى اخرج الذرية من  
 ظهر آدم لاخذ الميثاق عليهم كما ورد في الحديث ايضا فكيف يحمل تفسير الفاظ هذه الآية على هذا القول  
 قلت قد صح الحديث بان الله مسح ظهر آدم فاخرج ذرية به واخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الآية والحديث  
 كما تقدم في تفسير الفاظ الآية من أن الله اخرج ذرية آدم من ظهره على سبيل التولد بعضهم من بعض كما  
 في الخراج وكلهم باجمعهم من ظهر آدم الذي هو أصلهم فهذا الطريق أمكن الجمع بين الآية والحديث اذ  
 ليس في معنى الفاظ الآية ما يبدل على بطلان ذلك ونفيه وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير  
 اليه والاخذ به جمعا بين الآية والحديث وحكي الواحدى عن صاحب النظم أنه قال ليس بين قوله عليه الصلاة  
 والسلام ان الله مسح ظهر آدم فاخرج منه ذرية وبين الآية اختلاف بحمد الله لانه تعالى اذا اخرجهم من  
 ظهر آدم فقد اخرجهم من ظهور ذرية بلان ذرية آدم ذرية كثرية بعضهم من بعض قال وتحصل الفائدة  
 بهذا الفصل بانه تعالى أثبت الحجة على كل منفوس من بلغ ومن لم يبلغ الميثاق الذي اخذ عليهم وزاد على من  
 بلغ منهم الحجة بالآيات والدلائل التي اصبها بالرسول المنقذة الميهم بشرى ومنذر ين وبالوعظ وقال غيره  
 فائدة اخذ الميثاق عليهم في القدم أن من مات منهم صغيرا أدخل الجنة باقراره بالميثاق الاول وهذا على قول  
 من يقول ان أطفال المشركين يدخلون الجنة اذا ماتوا صغارا فاما من لا يحكم لهم بالجنة فانه يقول هم من كان  
 من أهل الشقاوة من الذرية السوداء وانما اقراره بالعرفه كراهة لمن عنهم ذلك شيئا ومن بلغ وعقل لم  
 يغن عنه اقراره بالميثاق الاول شيئا حتى يؤمن ويصدق عند باو وعقله بان الله به وثاقه وصدق رسوله  
 فيما جاز به من عنده وانما فعل ذلك لثلاثة اقول الكفار انا كنعان هذا الميثاق والايمن بان الله ربنا فاعلم  
 اولثلاثا نقول اخلافهم انما أشرك آبائنا ونحن نسير على آثارهم ظنا منهم أن الحق ما كانوا عليه فان قلت ان  
 ذلك الميثاق لا يذكروا أحد اليوم فكيف يكون حجة عليهم اليوم وفكيف يذكرونه يوم القيامة حتى يحتج  
 عليهم به قلت لما اخرج الذرية من صلب آدم ركب فيهم العقل واخذ عليهم الميثاق فلما أعيدوا الى صلب  
 آدم بطل ما ركب فيهم فتولدوا ناسين لذلك الميثاق لاقتضاء الحكمة الالهية نسيانهم ثم ابتدأهم  
 بالخطاب على السنة الرسول عليهم الصلاة والسلام وأصحح الشرائع فقام ذلك مقام الذكر اذ الدار دار  
 تكليف وامتحان ولولم ينسوه لا تفتت الحجة والابناء والتكليف فقامت الحجة عليهم لاما داهم بالرسول  
 واعلامهم بحجربان اخذ الميثاق عليهم وبذلك قامت الحجة عليهم ايضا يوم القيامة لاخبار الرسول اياهم بذلك  
 الميثاق في الدنيا فغن أنكره كان معاندا ناقض للعهد ولزمتهم الحجة ولم تقط الحجة عنهم بنسيانهم وعدم حفظهم  
 بعد اخبار الصادق صاحب الشرع والمجربات الباهرات وقوله تعالى (أو يقولوا) يعنى الذرية (انما أشرك  
 آبائنا من قبل) يعنى انما اخذ الميثاق عليهم لثلاثا يقول المشركون انما أشرك آبائنا من قبل (وكناد ذرية من  
 بعدهم) يعنى وكنائبا علمهم فاقتد بنابهم في الشرك (أفهلكتنا) يعنى أفتعذبنا (بما فعل الميطلون) قال  
 المفسرون هذا اقطع اعذار الكفار فلا يستطيع أحد من الذرية أن يقول يوم القيامة انما أشرك آبائنا من قبلنا  
 ونقضوا العهد والميثاق وكنائنا نحن الذرية من بعدهم فقلنا نعم واقتد بنابهم وكنائنا غفلة عن هذا الميثاق  
 فلا ذنب لنا فلا يمكنهم أن يحتجوا بثل ذلك وقد اخذ عليهم جميعا الميثاق وجاءتهم الرسل وذكروهم به وثبتت  
 الحجة عليهم بذلك يوم القيامة وأما الذين جادلوا معنى الآية على أن المراد منه مجرد نصب الدلائل وهو مذهب

(أو يقولوا) أو كراهة ان  
 يقولوا (انما أشرك آبائنا  
 من قبل وكناد ذرية من  
 بعدهم) فاقتد بنابهم  
 لان نصب الدلالة على  
 التوحيد وما نهوا عليه  
 قائم معهم فلا عذر لهم في  
 الاعراض عنه والافتداء  
 بالآباء كما لا عذر لأبائهم في  
 الشرك وأدلة التوحيد  
 منصوبة لهم (أفهلكتنا  
 بما فعل الميطلون) أى  
 كانوا السبب في شركنا  
 لتأسيسهم الشرك وتركه

كهيمته الذريضاء فقال ادخلوا الجنة برحمتي ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه كهيمته الذريضاء فقال  
ادخلوا النار ولا أبالي بذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال أأنت بر بكم  
قالوا بلى فأطاعه طائفة طاعتين وطائفة كارهين على وجه التبعية زاد في رواية وذلك حيث يقول وله أسلم  
من في السموات والأرض طوعا وكرها وقال محمد بن كعب القرظي أقره باليمين والمعرفة الأرواح قبل خلق  
أجسادها وقال مقاتل مسح صفحة ظهره آدم اليمين فأخرج منها ذرية يضاء كهيمته الذريضاء يتحركون ثم مسح  
صفحة ظهره اليسرى فأخرج منها ذرية سوداء كهيمته الذريضاء يتحركون فقال ياء آدم هؤلاء ذرية ياء آدم  
أأنت بر بكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أصحاب اليمين وقال للسوداء هؤلاء في النار ولا أبالي  
وهم أصحاب الشمال ثم أعادهم جميعا في صلب آدم فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق جميعا  
وروى أن الله سبحانه وتعالى قال لهم جميعا أعلموا أنه لا اله الا الله كم غيري وأنا ربكم لا رب لكم غيري فلا تنسوا  
في شيئا فاني سأستقيم عن أشركي في ولم يؤمن بي وفي مرسل اليكم رسلا يدعونكم عهدي وهم يثاقوني ومنزل  
عليكم كتابا فتسكموا جميعا وقالوا شهدنا أنك ربنا بالرب لنا غيرك فأخذ بذلك موافيقهم ثم كتب آجالهم  
وأرزاقهم ومصائبهم فنظر اليوم آدم عليه السلام فرأى من الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال  
رب هلا سويت بينهم فقال اني أحب أن أشكر فلما قرروهم بتوحيدهم وأشهد بعضهم على بعض أعادهم الى  
صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ منه الميثاق وقال الزجاج وجاز أن يكون الله سبحانه وتعالى جل  
لامثال الذر عتلا وفهم ما عقل به كما قال تبارك وتعالى في الخلة قالت نساءها لعل ادخلوا مساكنكم وكما قال  
وسخر ناعم داود الجبال يسبحن والطير والابن الانباري مذهب أصحاب الحديث وكبراء أهل العلم في هذه  
الآية أن الله تعالى أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب أولاده وهم ورث الكلال وأخذ عليهم الميثاق أنه  
خالقهم وأنهم مصنوعه فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد أن ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما  
جعل للجبيل عقولا حتى حوطوا بآية ولا يبالون في معصيته وكما جعل للبعير عقلا حتى سجدوا للبي صلى الله عليه  
وسلم وكذلك الشجرة سمعت لاسمه وانقادت ومعنى قوله أأنت بر بكم على هذا التفسير قال الله سبحانه  
وتعالى للذرية أأنت بر بكم فهو إيجاب للربوبية عليهم قالوا بلى يعني قالت الذرية بلى أنت ربنا فهو جواب  
منهم له وأقراره بالربوبية واعتراف على أنفسهم بالعبودية (شهدنا) فيه قولان أحدهما أنهم لما أقرأه  
بالربوبية قال الله عز وجل للأنكة اشهدوا وقالوا شهدنا على أقرارهم فعلى هذا القول يحسن الوقف على  
قوله سبحانه وتعالى بلى بأن كلام الذرية تم وانقطع وقوله شهدنا كلام مستأنف والقول الثاني أن قوله  
سبحانه وتعالى شهدنا من كلام الذرية والمعنى شهدنا على أنفسنا بهذا الإقرار وعلى هذا لا يحسن الوقف على  
بلى لتعلقه بما بعده <sup>١</sup> وقوله سبحانه وتعالى (أن يقولوا) وقرئ آياتنا على خطاب الذرية ومعناها لئلا تقولوا  
أيها الذرية (يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) يعني الميثاق (غافلين) وقرئ أن يقولوا أي على الغيبة ومعناها  
لئلا تقولوا أي الذرية انا كنا عن هذا غافلين والمذهب الثاني في معنى هذه الآية وهو مذهب أهل الكلام  
والنظر انه سبحانه وتعالى أخرج الذرية وأنشأهم بعد أن كانوا انطفا في أصلاب الآباء وهم أولاد بني آدم  
فأخرج الذرية الى الدنيا على تربيتهم في الوجود وأشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من العقول وأراهم  
مخاب خلقه وغرائب صنعه ودلائل وحدانيته فهذا الشاهد صاروا كأنهم قالوا بلى وأشهدهم على أنفسهم  
أنهم بهم وذلك بما أظهر لهم من دلائل آياته وبراهينه التي تضطرهم الى أن يعلموا أنه خالقهم وبارئهم  
وربهم وناقذا الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم الى التصديق بوحدانيته وربوبية فقالوا بلى شهدنا على  
أنفسنا أنك أنت ربنا وخالقنا فعلى هذا القول يكون قولهم بلى شهدنا على أنفسنا على الجواز لا على الحقيقة  
وهذا النوع من الجواز والاستعارة مشهور في كلام العرب فكل من بلغ وعقل فقد أخذ عليه الميثاق بما

(شهدنا) هـذا من باب  
التخييل ومعنى ذلك انه  
صحب لهم الادلة على  
ربوبيته ووجدانيته  
وشهدت بها عقولهم التي  
ركبها فيهم وجعلها بمنزلة  
بين الهدى والضلالة فكانه  
أشهدهم على أنفسهم  
وقرروهم وقال لهم أأنت  
بر بكم وكانهم قالوا بلى أنت  
ربنا شهدنا على أنفسنا  
وأقررنا بوحدانيتك (ان  
يقولوا) مفعول له أي  
فعلنا ذلك من نصب الادلة  
الشاهدة هـ على صحتها  
العقول كراهة أن يقولوا  
(يوم القيامة انا كنا عن  
هذا غافلين) لم ننبه عليه



(ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) أي الميثاق المذكور في الكتاب (أن لا يقولوا على الله الالحق) أي أخذ عليهم الميثاق في كتابهم أن لا يقولوا على الله الصدق وهو عطف بيان لميثاق الكتاب (ودرسوا ما فيه) وقرأوا ما في الكتاب وهو عطف على ألم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه (والدار الآخرة خبر) من ذلك العرض الحسبي (الذين يتقون) الرشا والمجاهرين (أفلا يعقلون) انه كذلك وبالله (١٥٤) مدني وحفص (والذين يسكنون بالكتاب) يسكنون أبو بكر والامساك والخميسك

سيغفر لي فيطمع عليه الآخرون فاذا مات أُنزِعَ من الحكم وجعل مكانه آخر فن كان يطمع عليه ارثي أيضا يقول الله عز وجل وان يات الآخرون عرض الدنيا ياخذونه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) يعني ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في أحكامهم العهد والمواثيق في الكتاب وهو التوراة (أن لا يقولوا على الله الالحق) يعني أنا أخذنا عليهم الميثاق على أن يقولوا الحق فقالوا الباطل وخافوا أمر الله وهو قولهم سيغفر لنا والمراد من هذا التوبيخ والتقريع لليهود في ادعائهم على الله الباطل قال ابن عباس هو ما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها (ودرسوا ما فيه) يعني ما في الكتاب والمعنى انهم ذاكرون لما أخذ عليهم من العهد والمواثيق في الكتاب لانهم درسوه ولم يتركوه ولكن درسوه وضميعوا العمل به (والدار الآخرة) يعني وما في الدار الآخرة مما أعد الله لا يلباه وأهل طاعته العاملين بما أمرهم الله به من كتابه ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يتشوا في الأحكام (خير للذين يتقون) يعني يتقون الله ويتحفظون عقابه (أفلا يعقلون) يعني أفلا يعقل هؤلاء الذين يرضون بعرض الدنيا ما في الآخرة خيرا وأبني انهادار المتقين (والذين يسكنون بالكتاب) يقال سكنت بالشيء ونسكنت به واستمسكت به وامسكت به وأتراد بالتمسك بالكتاب العمل بما فيه من احلال حلاله وتحريم حرامه واقامة حدوده والتمسك باحكامه نزلت هذه الآية في الذين أسلموا من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه لانهم تسكوا بالكتاب الاول ولم يحررهم فو لم يغيروا فاداهم ذلك التمسك الى الايمان بالكتاب الثاني وهو القرآن (وأقاموا الصلاة) يعني واداموا على اقامتها في مواقيتها وانما أفردها بالذكر وان كانت الصلاة داخلية في التمسك بالكتاب تنبيه على عظم قدرها وانما من أعظم العبادات بعد الايمان بالله ورسوله (اننا لنضع أجرا للمصلحين) قوله عز وجل (واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة) يعني واذا كرى يا محمد اقلعنا الجبل فرفعناه فوق بني اسرائيل كانه ظلة يعني جعلناه فوقهم كالظلة والظلة كل ما على الانسان كالسقف ونحوه (وظنوا) أي وعلموا وابتقوا (انه واقع بهم) يعني الجبل (خذوا) يعني وقلنا لهم خذوا واضمار القول كثير في القرآن وكلام العرب (ما أتيناكم) يعني التوراة (بقوة) يعني بمجد واجتهاد (واذا كروا ما فيه) يعني واعملوا بما فيه من الاحكام (لعلكم تتقون) قال أصحاب الاخبار ان بني اسرائيل لما أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لما فيها من التكليف الشاقة أمر الله عز وجل جبريل برفع جبلا عظيما حتى صار على رؤسهم كالظلة فلما نظر الى الجبل فوق رؤسهم خروا ساجدين فمسح دكل واحد منهم على خده وحاجبه الايسر وجعل ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا أن يسقط عليه ولذلك لا تسجد اليهود الا على شق وجوههم الايسر ﷻ قوله تعالى (واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرهم بذنهم) وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى الآية عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر ابن الخطاب سئل عن قوله سبحانه وتعالى واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرهم بذنهم الآية قال سئل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء لاجنته وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء لنا ولربهم يعملون فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

والتمسك الاعتصام والتعلق بشئ (وأقاموا الصلاة) خص الصلاة مع ان التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادتها لانهما عماد الدين والذين مبتدأ واخبر (انا لنضع أجرا للمصلحين) انا لا نضع أجراهم وجزاء ان يكون مجرورا عطف على للذين يتقون وانا لا نضع اعتراض (واذ نتقنا الجبل فوقهم) واذا كراذ قلعناه ورفعناه فوقهم كالظلة (هي كل ما على الجبل) هي كل ما على الجبل فوقهم كالظلة (وظنوا انه واقع بهم) وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وتقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرس خافي فرسخ وقيل لهم ان قبلوهما بما فيها والايقين عليكم فلما نظر الى الجبل خروا ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترضى

يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنها العقوبة وقلنا لهم (خذوا ما أتيناكم) الله من الكتاب (بقوة) وعزم على احتلال مشافه وتكاليفه (واذا كروا ما فيه) من الاوامر والنواهي ولا تنسوه (لعلكم تتقون) ما أتتم عليه (واذا أخذ ربك من بني آدم) أي واذا كراذ أخذ (من ظهورهم) بدل من بني آدم والتقدير واذا أخذ ربك من ظهورهم (ذرهم) ومعنى أخذ ذر باتهم من ظهورهم اخر اجهم من اصلاب آبائهم (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى



وراء الصين (ومنهم دون ذلك) ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الفسقة ومحل دون ذلك الرفع وهو صفة لوصف منحرف أي ومنهم ناس من منحطون عن الصلاح (وبلواناهم بالחסنات والسيئات) بالنعم والنقم والخصب والجذب (لعلهم يرجعون) يتوبون فينبون (خلف من بعدهم) من بعد المذكورين (خلف) وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف بدل السوء بخلاف الخلف فهو الصالح (ورثوا الكتاب) التوراة ووقفوا على ما فيها من الاوامر والنواهي والتعليل والتعريض ولم يملوا بها (ياخذون عرض هذا الاذني) هو حال من الضمير في ورثوا والعرض المتاع أي حطام هذا الشيء الاذني ير بد الدنيا وما يتمتع بها وهو من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشافي الاحكام وعلى تحريف الكلام وفي قوله هذا الاذني تخسيس وتحقير (ويقولون سيفقر لنا) لاؤاخذنا الله بما أخذنا

قوله تعالى (وقطعناهم في الأرض أمة) يعني وفرقنا بني اسرائيل في الارض جماعات متفرقة فلا تجد بلدا الا وفيه من اليهود طائفة وجاعة قال ابن عباس كل أرض يدخلها قوم من اليهود (منهم الصالحون) يعني من هؤلاء الذين وصفهم الله من بني اسرائيل صالحون وهم من آمن بالله ورسوله ونبت منهم على دينه قبل مبعث عيسى عليه الصلاة والسلام وانما وصفهم بذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وكفرهم برهم ذكره الطبري ولم يبد كغيره وروى البغوي وغيره من المفسرين عن ابن عباس ومجاهد ان المراد بالصالحين الذين أدركو النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود آمنوا به واصبحهم ما ذكره الطبري يدل عليه قوله بعد خلف من بعدهم خلف واختلف اما كان بعد هؤلاء الذين وصفهم بالصلاح من بني اسرائيل ﴿ وقوله تعالى (ومنهم دون ذلك) يعني الذين كفروا من بني اسرائيل و بدلوا وغيروا (وبلواناهم) يعني جميعا الصالح وغيره وهي بلاي اختصار ومتحان (بالحسنات) يعني الخصب والعافية (والسيئات) يعني الجذب والشدّة (لعلهم يرجعون) يعني لكي يرجعوا الى طاعته بهم ويتوبوا اليه قال أهل التعالي كل واحدة من الحسنات والسيئات اذا فسرت بالنعم والشدّة تدعو الى طاعة الله تعالى أما النعمة فيزداد عليها شكرا فيرغب في الطاعة وأما الشدة فيخاف سوء عاقبتها فيهرب منها ﴿ قوله تعالى (خلف من بعدهم) يعني من بعد هؤلاء الذين وصفناهم (خلف) يعني خلف سوء يعني حدث من بعدهم وتبدل منهم بدل سوء يقال منه هو خلف صدق بفتح اللام وخلف سوء يسكونها كثيرا يقال في المدح بفتح اللام وفي الذم يسكونها وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح قال حسان بن ثابت في المدح

لدا القدم الاولى اليك وخلفنا \* لاولنا في طاعة الله تابع

فسكن اللام في قوله وخلفنا وهو ير يد المدح وقال البيهقي في الذم

ذهب الذين يعاش في كذا فقه \* وبقيت في خلف جكد الاجرب

ففتح اللام وهو ير بد الذم وأصله من الفساد يقال خلف الماين اذا فسد وتغير في السقاء ويقال للردى من لقول خلف وخلف الشيء تغير ومنه خلاف قوم الصائم والمعنى جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم خلف واختلف القرن الذي يجي بعد قرن كان قبله (ورثوا الكتاب) يعني اتقل اليهم الكتاب عن آبائهم والمراد بالكتاب التوراة (ياخذون عرض هذا الاذني) العرض بفتح الراء جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض حاضر بيا كل مثل البهر والفاجر والعرض بسكون الراء جميع المال سوى الدراهم والنانير والمعنى انهم كانوا ياخذون الرشافي الاحكام على تبدل الكلام وتغييره وذلك الذي ياخذونه من حطام الدنيا هو الشيء المتاع الخسيس الحقيق لان الدنيا باسرها فانية خيرة والراغب فيها أحقر منها قاله دودورثوا التوراة وعلموا ما فيها وضيعوا العمل بما فيها وتركوا أخذوا الرشافي الاحكام ويعلمون أنها حرام ثم اتهمهم مع اقدامهم على هذا الذنب العظم يصرون عليه (ويقولون سيفقر لنا) يعني ذوونا يفتقون على الله الاماني الباطلة الكاذبة عن شدا بن أوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكبس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني أخرجه الترمذي وقال في قوله عليه الصلاة والسلام دان نفسه يعني حاسبها في الدنيا قبل ان يحاسب يوم القيامة وموضع الاستشهاد من الحديث على الآية قوله وتمنى على الله الاماني لان اليهود كانوا يفتقون على الذنوب ويقولون سيفقر لنا وهذا هو التمني وقوله تعالى (وان بأنهم عرض مثله ياخذونه) وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب والمعنى انهم اذا اتاهم شيء من الدنيا أخذوه حلالا كان أو حراما يفتقون على الله المغفرة وان وجدوا من الغد مثله أخذوه قال السدي كانت بنو اسرائيل لا يستعصون قاضي الا لا تشفى في الحكم فيقال له ما بالك ترتش فيقول

(٢٠ - خازن) - ثاني) والفعل مستند الى الاخذ والى الجار والمجرور أي لنا (وان اتهمهم عرض مثله ياخذونه)

الاول والحقال أي يرجون المغفرة وهم مصررون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين

ينهون عن السوء) عن العذاب الشديد) وأخذنا الذين ظلموا) الراكبين للمسكر والذين قالوا لم تعظون من الناجين فمن الحسن نجت فرقان وهلك فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان (بعذاب بئس) شديد يقال بؤس بؤس ما إذا اشتد فهو بئس بئس شامئ يس مدني بئس على وزن فيعل أبو بكر غير جاد (بما كانوا يفسقون فلما عتوا ما نهوا عنه فلما هم قردة فلما كانوا خاسئين) أي جعلناهم قردة أذلاء مبعدين وقيل فلما عتوا تنكر برقوله فلما نسوا والعذاب البئس هو المسخ قيل صار الشيطان قردة والشيوخ خنازير وكانوا يعرفون أفعالهم ويبيكون ولا يتكلمون والجمهور على انها ماتت بعد ثلاث وقيل بقيت وتناسلت (وإذا نادى بك) أي أعلم وأجري مجرى فعل القسم ولذا أعجب بما يجاب به القسم وهو قوله (ليبعثن عليهم) أي كتب على نفسه لسلطن على اليهود (إلى يوم القيامة من يسومهم) من لهم (سوء العذاب) فكانوا يؤدون الجزية إلى المجوس إلى أن بعث محمد صلى الله

وقالت لهم الفرقة المعتدلة لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا والاعتنى لم تعظونا وقد علمتم أن الله مهلكنا أو منزل بنا عذابه والقول الأول أصح لانهم لو كانوا فرقتين لكان قولهم معذرة إلى ربكم خطا بل المنهاية المعتدلة ﴿وقوله تعالى﴾ (فلما نسوا ما ذكرناه) أي فلما تركوا ما وعظوا به (أنجينا الذين ينهون عن السوء) وهم الفرقة الناهية (وأخذنا الذين ظلموا) يعني الفرقة المعتدلة العاصية (بعذاب بئس) أي شديد وجيع من البأس وهو الشدة (بما كانوا يفسقون) يعني أخذناهم بالعذاب بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجه عن من طاعتنا وروى عكرمة عن ابن عباس قال أسمع الله يقول (أنجينا الذين ينهون عن السوء) وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس فلا أدري ما فعلت الفرقة الساكتة وجعل يبيكي قال عكرمة فقلت له جعلني الله فداء لك ألا تراهم قد أنكروا وهو ما هم عليه وقالوا لم نعتظون قوما الله مهلكهم وإن لم يقبل الله أنجيهم لم يقبل أهلكتهم قال فأعجبه قولي ورضي به وأمر لي يردن فكسايب ما وقال نجت الساكتة وقال بيان بن رباب نجت الطائفتان الذين قالوا لم نعتظون والذين قالوا معذرة وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان وهذا قول الحسن وقال ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان وهذه الآية أشد آية في ترك النهي عن المنكر ﴿وقوله تعالى﴾ (فلما عتوا ما نهوا عنه) قال ابن عباس أبو أن يرجعوا عن المعصية والعتو عبارة عن الإباء والعصيان والمعتي فلما عتوا عما نهوا يعني عن ترك ما نهوا عنه وتمردوا في العصيان من اعتدائهم في السبت واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك في يوم السبت وأكله (فلما هم كونا قردة خاسئين) يعني صاغرين مبعدين من كل خير قال قتادة لما عتوا عما نهوا عنه مسخهم الله فصيرهم قردة تتعابى بعدما كانوا رجالا ونساء وقال ابن عباس جعل الله منهم القردة والخنازير فرفعهم ابن شبان القوم صاروا قردة وإن المشيخة صاروا خنازير قيل انهم بقوا ثلاثة أيام ينظر الناس اليهم ثم هلكوا جميعا ﴿وقوله تعالى﴾ (وإذا نادى بك) (الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ومعنى نادى نادى أذن وأذن الأعلام يعني أعلم ربك وقيل معناه قال ربك وقيل حكى بك وقيل آلى ربك بمعنى أقسم ربك (ليبعثن عليهم) (اللام في قوله ليبعثن جواب القسم لان قوله وإذا نادى ربك جار مجرى القسم لكونه نجزا وجواب القسم ليعثن عليهم واختافوا في الضمير في عليهم إلى من يرجع فقيل يقتضى أن يكون راجعا إلى قوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين لكن قد علم أن الذين مسخوا لم يبق منهم أحد فيحتمل أن يكون المراد الذين بقوا منهم فالحق الأدل بهم وقيل بأن المراد سائر اليهود من بعدهم لان الذين بقوا من أهل القرية كانوا صالحين والذي بعث الله على اليهود وهو غنص ورجلهم وبناؤهم الرزم فساموهم سوء العذاب وقيل المراد بقوله ليبعثن عليهم اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعث الله عليهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمنه فآزم من لم يسلم منهم الصغار والنساء والرجال ولازمة لليهود إلى يوم القيامة وأورد على هذا بيان في آخر الزمان يكون لهم عزة وذلك عند خروج الدجال لان اليهود أتباعه وأشياعه وأجيب عنه بأن ذلك العز الذي يحصل لهم هو في نفسه غاية الذلة لانهم يدعون الهية الدجال فيزدادون كفرا على كفرهم فإذا هلك الدجال أهلكهم المسلمون وقتلوهم جميعا فذلك هو الذلة والصغار المشار إليه بقوله تعالى ليبعثن عليهم (إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) وهذا نص في أن العذاب إنما يحصل لهم في الدنيا مستقرا عليهم إلى يوم القيامة ولهذا أفسر هذا العذاب بالأهابة والذلة وأخذ الجزية منهم فإذا أفضوا إلى الآخرة كان عذابهم أشد وأعظم وهو قوله تعالى (إن ربك لسيرع العقاب) يعني لمن أقام على الكفر فغية دليل على أنه يجمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب الآخرة فيكون العذاب مستمرا عليهم في الدنيا والآخرة ثم ختم الآية بقوله تعالى (وإنه لغفور رحيم) يعني لمن آمن منهم ورجع عن الكفر واليهودية ودخل في دين الاسلام

(اذيعدون في السبت) اذيجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقتبناوعنه اذيعدون في محل الحرج بدل من القرية والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل وأسألم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من (١٥١) بدل الاشتغال (اذتأنيهم) منصوب بيبعدن

أوبدل بعد بدل  
(حيثانهم) جمع حوت  
أبدلت الواو بياء لسكونها  
وانكسار ما قبلها (يوم  
سبتهم شرعا) ظاهرة على  
وجه الماء جمع شارع حال  
من الحيتان والسبت  
مصدر سبت اليهود اذا  
عظمت سبتها بترك الصيا  
والاشتغال بالتعب والمخى  
اذيعدون في تعظيم هذا  
اليوم وكذا قوله يوم  
سبتهم معناه يوم تعظيمهم  
أمر السبت وبدل عليه  
(ويوم لايسبتون  
لأتأنيهم) ويوم ظرف  
للا تأنيهم) كذلك نبلوهم  
بما كانوا يفسقون) مثل  
ذلك البلاء الشديد  
نبلوهم بفسقهم (واذ  
قالت) معطوف على اذ  
يعدون وحكمه حكمه في  
الاعراب (أمة منهم)  
جاعة من صلحاء القرية  
الذين أيسوا من وعظهم  
بعد ما ركبوا الصعب  
والذلول في موعظتهم  
لآخرين لا يلقون عن  
وعظهم (لم تعظون قوما  
الله مهلكهم أو معذبهم  
عذابا شديدا) وانما قالوا ذلك  
لعلهم ان الوعظ لا ينفع  
فيهم (قالوا معذرة الى ربكم)  
أي موعظتنا ابلاء عذرا لى

بهذه القصة محزنة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه كان أميا لا يقرأ الكتب القديمة ولم يعرف أخبار الاولين ثم أخبرهم بما جرى لاسلافهم في قديم الزمان وانهم بسبب مخالفتهم أمر الله عز وجل مسخوقون وذخاير  
واختلفوا في هذه القرية فقال ابن عباس ٢ هي قرية بين مصر والمدينة والغرب وقيل بين مدين والطور  
على شاطئ البحر وقال الزهري هي طرية الشام وفي رواية عن ابن عباس قال هي مدين وقال وهب  
هي ما بين مدين وعيونى بمعنى القرية التي كانت على ساحل البحر وقرية منه (اذيعدون في السبت)  
يعنى يتجاوزون حد الله فيه وما أمرهم به من تعظيمه يخالفوا أمر الله وصادوا فيه السمك (اذتأنيهم  
حيثانهم يوم سبتهم شرعا) يعنى ظاهرة على الماء كثيرة وقال الضحاك ثابتهم متتابعة يبيع بعضها بعضا  
وقيل كانت تأنيهم يوم السبت مثل الكباش البيض السماء (ويوم لايسبتون لأتأنيهم) يعنى الحيتان  
(كذلك نبلوهم) يعنى مثل هذا الاختبار الشديد تختبرهم ونحن أعلم بحالهم (بما كانوا يفسقون) يعنى  
ان ذلك الابتلاء والاختبار بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله وما أمره به قال أهل التفسير ان اليهود  
أمروا بيوم الجمعة فتركوه واخذوا السبت فابتلوا به وهو أن الله أمرهم بتعظيمه ونهاهم عن العمل فيه  
وسم عليهم فيه الصلدة فلما أراد الله أن يبتليهم كانت الحيتان تظهر لهم في يوم السبت ينظرون اليها في البحر  
فاذا انقضى السبت ذهبت فلم تزل السبت المقبل فلما ابتلوا به وسوس اليهم الشيطان وقال ان الله لم ينهكم  
عن الاصطياد وانما نهاكم انكم عن الاكل فاصطادوا وقيل انه وسوس اليهم انكم انما نهيتهم عن الاخذ فاحذوا  
حيضا على ساحل البحر وسوقوا اليها الحيتان يوم السبت فاذا كان يوم الاحد خذوها فاعلوا ذلك زمانا  
ثم انهم تجردوا على السبت وقالوا ما ترى السبت الا قد حل لنا فاصطادوا فيه وأكلوا باعوا وصار أهل  
القرية أحرابا لانه وكانوا انخوا من سبعين ألفا فثلبت نهوا عن الاصطياد وثلبت سكنوا ولم ينهوا وقالوا للناهيين  
لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلبت هم أصحاب الخطيئة الذين خالفوا أمر الله واصطادوا وأكلوا باعوا فلما  
لم ينهوا عما هم فيه من المعصية قال الناهون لانسائكم في قرية واحدة فقسما القرية بينهم بحدود  
للهناهيين باب يدخلون ويخرجون منه وللعاصين باب ولعنهم داود عليه الصلاة والسلام وكانوا في زمنه فاصبح  
الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا ان لهم لثأنا لعل الخرق غلبتهم فعلا على الجدار الذى  
بينهم فاذا هم قد مسخوقون قد فتحو اعليهم الباب ودخلوا اليهم فصار القردة يعرفون أنسابهم من الناس  
ولم يعرف الناس أنسابهم من القردة فجعلت القردة تاتى أنسابها من الناس فنشبت اليها فيقول لهم أهلوهم ألم  
تهلكم فنقول القردة برأسها منهم فنجأ الناهون وهلك سائرهم فلذلك قوله تعالى (واذا قالت أمة منهم لم تعظون  
قوما الله مهلكهم ومعذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم) واختلفوا في القائلين هذه المقالة فقال بعض  
المفسرين ان أهل القرية يافرقوا ثلاث فرق فرقة اعتدت وأصاب الخطيئة وفرقة قتلهم عن ذلك الفعل  
وفرقة أمسكت عن الصيد وسكنت عن موعظة المعتدين وقالوا للناهيين لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم  
عذابا شديدا يعنى انهم لا موهم على موعظة قوم يعادون أنهم غير معتظنين ولا متزجرين فقالت الفرقة الناهية  
للذين لا موهم معذرة الى ربكم يعنى ان موعظتنا اياهم معذرة الى ربكم لان الامر بالمعروف والنهي عن  
المنكر واجب علينا فلو عظناهم لؤا عذرنا عند الله (ولعلمهم يتقون) أى وجازر عندنا ان يتقوا بالموعظة  
فيتقوا الله ويتركوا ما هم فيه من الصيد وقال بعضهم ان أهل القرية كانوا فرقتين فرقة نهت وزجرت عن  
السوء وفرقة عملت بالسوء فعلى هذا يكون الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم الفرقة المعتدية وذلك  
ان الفرقة الناهية قالوا للفرقة المعتدية اتهموا قبيل أن ينزل بكم عذاب شديد ان لم تنتهوا عما أنتم فيه

انه لئلا ينسب في النهى عن المنكر الى التفريط معذرة حفص على انه مفعول لى أى وعظناهم لامعذرة (ولعلمهم يتقون) واطمئنا أن يتقوا  
٢ (قوله) هي قرية بين مصر والمدينة والغرب في نسخة هي ايلة بين مصر والمدينة والعرب تسمى المدينة قرية وقال الزهري الخ اه

(وظلنا عليهم العمام) وجعلناه ظليلا عليهم في التيه (وأثرنا عليهم المان والسوى) وقتلناهم (كأوامن طبيبات مارزقنا كم وظلونا) أي ومارجع البناضر وظلهم (١٥٠) بكفرانهم النعم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ولكن كانوا يضرون أنفسهم ويرجع

يعني لا يدخل سبط على سبط في مشربهم (وظلنا عليهم العمام) يعني في التيه بغيرهم حوال الشمس (وأثرنا عليهم المان) هو الترحيب (والسوى) جنس من الطير جعل الله ذلك طعاما لهم في التيه (كأوامن طبيبات مارزقنا كم) أي وقتلنا كلوا (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) في الكلام حذف ترك ذكره للاستغناء عنه ودلالة الكلام عليه تقديره كأوامن طبيبات مارزقنا كم فاجوز ذلك رسموه وقالوا لن نصير على طعام واحد وسألوهم غيره لأن المكاف إذا أمر بشئ فتركه وعدل عنه إلى غيره يكون عاصيا بفعله ذلك فلهمنا قال وما ظلمونا يعني وما أدخلوا علينا في ما سكنوا أساطنا نقصا بمسئلتهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يعني بخالفهم ما أمر به وقد تقدم بسط الكلام على هذه الآية في سورة البقرة ﴿وقوله تعالى (واذ قيل لهم)﴾ يعني واذا كرم يا محمد لقولكم اذ قيل لهم يعني لبني اسرائيل (اسكنوا هذه القرية) يعني بيت المقدس وقال في سورة البقرة اذ دخلوا هذه القرية ولا منافاة بينهما لأن كل ساكن في موضع لا بد له من الدخول اليه (وكاوا منها حيث شئتم) يعني وكاوا من ثمار القرية وزروعها وحجوبها بقولها حيث شئتم وأين شئتم وقال في البقرة فكلوا ابالغاء وهذا بالواو والفرق بينهما أن الدخول حالة مقتضية لا كل عقبه حسن دخول الغلاء التي هي للتعقيب ولما كانت السكنى حالة استمرار حسن دخول الواو عقب السكنى فيكون الاكل حاصلاتى شأوا وانما قال في سورة البقرة رعدا ولم يقله هنا لأن الاكل عقب الدخول ألزما كالأكل مع السكنى والاستمرار فليس كذلك فحسن دخول لفظة رعدا هنا ذلك بخلافهنا (وقولوا حطة) أي حط عنا ذنوبنا (وادخلوا الباب سجدا) وقال في البقرة عكس هذا اللفظ ولا منافاة في ذلك لأن المقصود من ذلك تعظيم أمر الله واطهار الخشوع والخشوع له فلم يفتاوت الحال بسبب التقديم والتأخير (تغفر لكم خطيئاتكم) يعني تغفر لكم ذنوبكم ولم تؤخذ كم بها وإنما قال هنا خطيئاتكم وفي البقرة خطاياكم لأن المقصود غفران ذنوبهم سواء كانت قليلة أو كثيرة إذا أتوا بالدعاء والتضرع (سنزيد المحسنين) وقال في سورة البقرة وسنزيد بالواو ومعناه أنه قد وعد المسبئين بالغفران وبإزالة المحسنين من الثواب واسقاط الواو لا يخل بهذا المعنى لأنه استئناف من رب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فليله سنزيد بالمحسنين (فبذل الذين ظلموا منهم قولوا غير الذي قيل لهم) يعني غير الذين ظلموا أنفسهم بمخالفتهم ما أمر بنى اسرائيل فقالوا ولا غير الذي قيل لهم وأمر به وذلك أنهم أمروا أن يقولوا حطة فقالوا حطة في شريعة فكان ذلك تبدلهم وتغيرهم (فأرسلنا عليهم رجزا من السماء) يعني بعنا عليهم عذابا من السماء أهلكتهم ولا منافاة بين قوله تعالى هنا أرسلنا وبين قوله في سورة البقرة أنزلنا لأنهم لا يكونان إلا من أعلى إلى أسفل وقيل بينهما فرق وهو أن الانزال لا يشعر بالكثرة والارسال يشعر بذلك فكانه تعالى بدأ بأزال العذاب قليلا ثم أرسله عليهم كثيرا (عما كانوا يظلمون) يعني أن إرسال العذاب عليهم بسبب ظلمهم ومخالفتهم أمر الله وقال في البقرة عما كانوا يفسقون والجمع بينهما أنهم لما ظلموا أنفسهم عما غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله تعالى وقد تقدمت هذه القصة أيضا في تفسير سورة البقرة ﴿وقوله عز وجل (واسألوهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر)﴾ الخطاب للتي صلى الله عليه وسلم أي سل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك عن حال أهل القرية وهذا السؤال سؤال توبيخ وتقريرع لأسؤال استفهام لأنه عليه الصلاة والسلام كان قد علم حال أهل هذه القرية بوحى الله عز وجل اليه وأخباره إياهم بحالهم وإنما المقصود بهذا السؤال تقريرع اليهود على أقدامهم على الكفر والمعاصي قد بما وان اصرارهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وانكار نبوته ومجيزاته ليس شيئا قد حدث منهم في زمانه بل اصرارهم على الكفر كان حاصلًا لسلافهم في قديم الزمان وفي الاخبار

و بال ظلمهم اليهم (واذ قيل لهم) واذا كذا قيل لهم (اسكنوا هذه القرية) بيت المقدس (وكاوا منها حيث شئتم) وقولوا حطة (وادخلوا الباب سجدا) تغفر لكم خطاياكم (تغفر لكم مدني وشاي خطيئاتكم مدني خطاياكم أبو عمر وخطيئتمكم شاي (سنزيد المحسنين فبذل الذين ظلموا منهم قولوا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء عما كانوا يظلمون) ولاننا نقض بين قسوله اسكنوا هذه القرية وكاوا منها في هذه السورة بين قوله في سورة البقرة ادخلوا هذه القرية فكلوا والوجود الدخول والسكنى وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أو أخروها فهم جامعون بينهما وترك ذكر الرعد لا يناقض اثباته. وقوله تغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعده بشئتين بالغفران وبإزالة وطرح الواو لا يخل بذلك لأنه استئناف من رب على قول القائل وماذا بعد الغفران فليله سنزيد بالمحسنين وكذلك زيادة منهم

بقوله كن فكان هو على العموم يعني يؤمن بجميع كلمات الله تعالى (واتبعوه) يعني واقتدوا به أيها الناس فجاياهم كم به وبها كم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة في الأقوال ومتابعة في الأفعال أما المتابعة في الأقوال فإن يمثل التابع جميع أماره المتبوع على طريق الأمر والنهي والترغيب والترهيب وأما المتابعة في الأفعال فإن يقتدي به في جميع أفعاله وأدابه الأماخض به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت بالدليل أنه من خصائصه فلا متابعة فيه ﷺ وقوله تعالى (اعلمكم تهتدون) يعني لكي تهتدوا وترشدوا وتصيبوا الحق والصواب في متابعتكم إياه ﷺ وقوله عز وجل (ومن قوم موسى) يعني من بني إسرائيل (أمة) أي جماعة (يهودون بالحق) يعني يهتدون بالحق ويستقيمون عليه ويعملون به ويرشدون إليه (وبه يعملون) يعني وبالحق يحكمون وبالعدل يأخذون ويعطون ويتصفون واختلقوا في هؤلاء من هم فقيل هم الذين أسلموا من بني إسرائيل مثل عبد الله بن سلام وأصحابه فانهم آمنوا بموسى والتوراة وآمنوا بحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واعترض على هذا بانهم كانوا قليلين ولغظ الأمة يقتضي الكثرة وأجيب عنه بأنهم لما كانوا مختصين في الدين جاز إطلاق لفظ الأمة عليهم كافي قوله إن إبراهيم كان أمة وقيل هم قوم بقوا على الدين الحق الذي جاء به موسى عليه الصلاة والسلام قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس إليه وقال السدي وابن جرير وجاء من المفسرين أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وإن يبعدهم عنهم ففتح الله لهم نفقا في الأرض فصاروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هناك خائفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا قال ابن جرير قال ابن عباس ساروا في السرب سبعة ونصافوا راه الطبري وحكي البغوي عن الكلبي والضحاك والربيع قالوا هم قوم خائف الصين بقصى الشرق على نهر يسمى نهر الأردن ليس لأحد منهم مال دون صاحبه يظفرون بالليل ويصحون بالنهار ويزرعون ولا يصل إليهم أحد مناوهمهم على الحق وذكرا لأن جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء به فسلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تسلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الأمي فاتموا به وقالوا يا رسول الله أن موسى أوصانا أن من أدرك منك أحد فليقرأني عليه السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم موسى وأقرأهم عشر سور من القرآن نزلت عليه بمكة وأمرهم بالصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكاتبهم وكانوا يسجدون فأمرهم أن يجتمعوا ويتركوا السبت وهذه الحكاية ضيعة من وجوه الأول قولهم إن أحدنا من لا يصل إليهم وإذا كان كذلك فن ذا الذي أوصل خبرهم إلينا الوجه الثاني قولهم إن جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء به وهذا لم يرد به نقبل صحيح ولا رواه أحد من أئمة الحديث ولا يلتفت إلى قول الأخباريين والقصاص في ذلك الوجه الثالث قولهم أنهم بلغوا النبي صلى الله عليه وسلم سلام موسى وقد صح في حديث المعراج أنه سلم عليه في السماء السادسة وأيضا قولهم وأقرأهم عشر سور وقد نزل عليه بمكة أكثر من ذلك وكان فرض الزكاة بالبدنة فكيف يأمرهم بها قبل فرضها فاذا ثبت بما ذكرناه بطلان هذه الرواية فالخاتمة في تفسير هذه الآية أنها إما أن تكون نزلت في قوم كانوا متسكين بدين موسى قبل التبديل والتغيير ثم ما تواراهم على ذلك وإما أن تكون قد نزلت فيمن أسلم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه والله أعلم بمراده ﷺ وقوله تعالى (وقطعناهم) يعني وفرقنا بيني إسرائيل (اثني عشرة أسباطا) يعني من أولاد يعقوب لأن يعقوب هو إسرائيل وأولاده الأسباط وكانوا اثني عشر ولدا (أما) يعني وجاءت وقبائل (وأوحينا إلى موسى إذا استسقاء قومه) يعني في التيه (أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست) يعني فانبجرت وقيل عرفت وهو الانبجاس (منه) أي من الحجر (انثاء عشرة عينا) يعني لسل سبطا عين (فدع كل أناس مشرهم)

عليه ولما في الالتفات من منزلة البلاغة ويعلم أن الذي وجب الإيمان به هو هذا الشخص الموصوف بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته كأنهم كان أنا وأغري أظهر النصفة وتنادي من العصبية لنفسه (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق) أي يهدون الناس محقين أو بسب الحق الذي هم عليه (وبه يعملون) و بالحق يعملون بينهم في الحكم لا يجورون قبل هم قوم وراء الصين آمنوا بحمد عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج وأمرهم عبد الله بن سلام وأمرهم (وقطعناهم) وصبرناهم قطعاً أي فرقا وبيننا بعضهم من بعض (اثني عشرة أسباطا) كقولك اثني عشرة قبيلة والأسباط أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثني عشرة قبيلة من اثني عشر ولداً من ولد يعقوب عليه السلام ثم ميز ما عدا العشرة مفرد فكان ينبغي أن يقال اثني عشر سبطا لكن المراد وقطعناهم اثني عشرة قبيلة وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباط موضع قبيلة (أما) بدل من اثني

عشرة أي وقطعناهم إيماناً كل أسباط كانت أمة عظيمة وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤم الأخرى (وأوحينا إلى موسى إذا استسقاء قومه أن اضرب بعصاك الحجر) فضرب (فانبجست) فانبجرت (منه) اثنا عشرة عينا فدع كل أناس مشرهم) هواسم جمع غير تكسیر

أن يعلموا بما في التوراة من الأحكام فكانت تلك الدائد (والاغلال التي كانت عليهم) يعني ويضع الاثقال والشدائد التي كانت عليهم في الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس في التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض التجاسة عن البدن والذوب بالمقراض وتعيين القصاص في القتل وتحريم أخذ الدية وترك العمل في السبت وان صلاتهم لا تجوز الا في الكنائس وتنبع العروق في اللحم وغير ذلك من الشدائد التي كانت على بني اسرائيل شبيهت بالاغلال مجازا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل شبت الاغلال التي تجمع اليد الى العنق كما ان اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد الى الحرام الذي نهيت عنه وكانت هذه الاثقال في شر يعق موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاء محمد عليه الصلاة والسلام نسخ ذلك كله وبديل عليه قوله عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة (فالذين آمنوا به) يعني بمحمد عليه الصلاة والسلام (وعزروه) يعني وقروه وعظموه واصل التعزير بالمرع والنصرة وعزز بر النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه واجلأه ودفع الاعداء عنه وهو قوله (ونصروه) يعني على أعدائه (وتابعوا النور الذي أنزل معه) يعني القرآن سمي القرآن نورا لان به يستنير قلب المؤمن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة الى ضياء اليقين والعلم (أولئك هم الفلاحون) يعني هم الناجون الفائزون بالهداية ﴿قوله تعالى (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل يا محمد للناس اني رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضهم دون بعض ففي الآية دليل على عموم رسالته الى كافة الخلق لان قوله يا أيها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع الناس ثم أمر الله عز وجل بان يقول اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا الى جميع الناس (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خصالا يعطى بها من قبله كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أمة وأسر وأحاث لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض طيبة وطيهورا ومسجدا فإما رجل أدى ركعته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة وفي رواية أعطيت خصالا يعطى بها أحد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطيهورا فإما رجل من أمتي أدى ركعته الصلاة فليصل وأحاث لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقوله في الرواية الاولى وبعثت الى كل أمة وأسر وقيل أراد بالاجر الحجم وبالسود العرب وقيل أراد بالاجر الانس وبالسود الجن فعلى هذا تكون رسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة الخلق من الانس والجن (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بستة اعطيت جوامع الحكم ونصرت بالرعب وأحاث لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجدا وطيهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختمت في النبيين ﴿قوله تعالى (الذي له ملك السموات والأرض) لما أمر الله عز وجل رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بان يقول يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا أردفه بما يدل على محبة دعواه يعني أن الذي له ملك السموات والأرض وهو مدبرها ومالك أمرها هو الذي أرسلني اليكم وأمرني بان أقول لكم اني رسول الله اليكم جميعا (الاله الا هو يحيي ويميت) وصف الله نفسه بالالهية وأنه لا شريك له فيها وأنه القادر على احياء خلقه واماتهم ومن كان كذلك فهو القادر على ارسال الرسل الى خلقه (فأمنوا بالله ورسوله) لما أمر الله رسوله بمحمد صلى الله عليه وسلم بان يقول للناس اني رسول الله اليكم جميعا أمر الله جميع خلقه بالايمان به ورسوله وذلك لان الايمان بالله هو الاصل والايمان برسوله فرع عنه فلذلك ابد الايمان بالله ثم نفي الايمان برسوله فقال فمن آمن بالله ورسوله فهو آمن بالله وقال تعالى (الذي الايمان) تقدم معناهما (الذي يؤمن بالله وكلماته) قال قتادة يعني آياته وهو القرآن وقال مجاهد والسدي أراد بكلمة عيسى بن مريم لانه خاتم النبيين

ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي محي وميت بيان اختصاصه بالالهية اذ لا يقدر على الاحياء والامانة غيره بقوله

(فأمنوا بالله ورسوله النبي الذي يؤمن بالله وكلماته) أي الكتب المنزلة



وصفه بالامى قال ابن عباس هو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب قال الزجاج في معنى الامى هو الذى على صفة أمة العرب لان العرب أكثرهم لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب فالتى صلى الله عليه وسلم كان كذلك فلذلك وصفه الله تعالى بكونه أميا وصح في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال نحن أمة أمية لاننا كتب ولا نحسب قال أهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كان أميا من أكبر معجزاته وأعظمها وبيانه أنه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا الكتاب العظيم الذى أعجزت الخلائق فصاحته وبلاغته وكان يقرؤه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى سنقرنك فلا تنسى وقيل أنه لو كان يحسن الكتابة ثم أنه أتى بهذا القرآن العظيم اسكان منها فيه لاحتمال أنه كتبه ونقله عن غيره فلما كان أميا وأتى بهذا القرآن العظيم الذى فيه علم الاولين والاخرين والمغيبات دل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وإضافان الكتابة تعين الانسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم أنه أتى بهذه الشريعة الشريفة والاداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقائق دقيقة من غير مطالعة كتب ولا اشتغال على أحد فدل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الامى الذى هو منسوب الى أمة كأنه لم يخرج بعد عما ولدته عليه وقيل سمي أميا لانه منسوب الى أم القرى وهى مكة وقوله تعالى الذى يجدره مكتوب باعندهم فى التوراة والانجيل يعنى يجدره صفته ونعته ونبوته مكتوب عندهم يعرفها عماماؤهم وأخبارهم ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه وغيره حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا يخافونه فقد زلت رياستهم ووقعوا فى الذلل والهوان (خ) عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمر بن العاص فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال لأجل أنه لم يوصف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن يأبى الله تعالى أن أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرز اللاميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يدفع بالسببة السببة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقبضه الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعين عماوى وأذاننا من قبله باغلا

### شرح غريب أفعال الحديث

الفظ السبي الخلق والغليظ الجافى وقوله سخاب بالسبب والصاد وهو كثير الصياح فى الاسواق والاعوجاج ضد الاستقامة وأراد بالملة العوجاء الكفر والقلب الاغلف الذى لا يصل اليه شئ ينفعه شبهه بالاغلف كأنه فى غلاف وروى البغوى بسنده عن كعب الاحبار قال أتى أجندى فى التوراة مكتوبا بمحمد رسول الله لافظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسببة ولكن يعفووا يصفع أمته الحامدون ومحمدون الله فى كل منزلة ويكبرونه على كل نجد يأتزون على أنصافهم ويفضون أطرافهم صفهم فى الصلاة وصفهم فى القتال سواء منادهم بنادى فى جوف السماء لهم فى جوف الليل دوى كدوى التحل مولده بمكة ومهاجروه بطيبة وملكه بالشام وقوله تعالى (يا مريم يا مريم يا مريم) يعنى بالايمن وتوحيد الله (ويناهاهم عن المنكر) يعنى عن الشرك بالله وقيل المعروف ما عرف فى الشر يعقوا السنة والمنكر ما لا يعرف فى شريعة ولا سنة وقال عطاء يامرهم بالمعروف بخلاف الاندادو بمكارم الاخلاق وصلة الارحام ويناهاهم عن المنكر عن عبادة الاوثان وقطع الارحام (ويحل لهم الطبيات) يعنى بذلك ما كان محررا عليهم فى التوراة من الطبيات وهو لحوم الابل وشحم الغنم والمز والبقر وقيل هو ما كانوا يحرمونه على أنفسهم فى الجاهلية من البحائر والسواب والواصل والحواشى وقيل هى المستنابات التى تستطيرها الانفس (ويحرم عليهم خبائث) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يرد الميتة والهم والحمل الخنزير وقيل هو كل ما يستخذه الطبع وتستغذره النفس فان الاصل فى الاضرار حرمة الاماله دليل متصل بالحل (ويضع عنهم اصرهم) يعنى ثقاهم وأصل الاصر الثقل الذى يامر صاحبه أى يحبس عنه الحركة لثقله والمراد بالاصر هنا العهد والميثاق الذى أخذ على بني اسرائيل

اليك وهذا قول جميع المفسرين وأصل اليهود الرجوع رفق قال بعضهم وبه سميت اليهود وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم فلما نسخت شريعتهم صار اسم ذم وهو لازم لهم (قال) يعني قال الله عز وجل وأوصى عليه الصلاة والسلام (عذابي أصيب به من أشاء) يعني من خاتي وليس لاحد على اعتراض لان الكل ملكي وعبيدي ومن تصرف في خالص حقه فليس لاحد عليه اعتراض (ورجتي وسعت كل شيء) يعني ان رجتي سبحانه وتعالى عمت خلقه كلهم وقال بعضهم هذا من العالم أريد به الخاص فرجته الله عمت البر والفاجر في الدنيا وهي للمؤمنين خاصة في الآخرة وقيل هي للمؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة ولكن الكافر برزق ويدفع عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله فاذا كان يوم القيامة وجبت للمؤمنين خاصة قال جماعة من المفسرين لما نزلت ورجتي وسعت كل شيء تطاول ابليس اليها وقال أنا من ذلك الشيء فزعمها الله تعالى من ابليس فقال تعالى (فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) فابليس منها وقالت اليهود نحن تتق وتؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فزعمها الله من اليهود وأثبتها لهذه الامة فقال تعالى للذين يتقون الرسول النبي الامي الآية وقال نوف البكالي لما اختار موسى من قومه سبعين رجلا قال الله تعالى لموسى اجعل لك الارض مسجدا وطهورا فاصولون حيث أدرتكم الصلاة الا عندم حاض أو حرام أو قبح واجعل السكينة في قلوبكم واجعلكم تقرأون التوراة عن ظهر قلوبكم يقرأوها رجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نرى نصل الى الافى الكنائس ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا ولا نستطيع ان نقرأ التوراة عن ظهر قلوبنا ولا نرى نبدأ نقرأها الا نظر قال الله تعالى فسأ كتبها للذين يتقون الى قوله المفاجون فجعلها الله تعالى لهذه الامة فقال موسى رب اجعلني منهم قال اجعلني منهم قال انك لن تدريكم قال موسى يارب أنتبتك فوفدني اسرائيل فجعلت وفادتنا عفيرا فانزل الله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون فرضى موسى أمة التفسير بقوله الذين يتقون يعني الشرك وسائر ما هو اعنه لان جميع التكليف محصورة في نوعين الاول التروك وهي الاشياء التي يجب على الانسان تركها والاحتراز عنها ولا يقر بها واليه الاشارة بقوله تعالى للذين يتقون والثاني الافعال المأمور بها وتلك الاعمال بدنية وقلبية أما البدنية قالها الاشارة بقوله ويؤتون الزكاة وهذه الآية وان كانت في حق المال لكن يختص البدن باخائها والاعمال القلبية كالإيمان والمعرفة واليه الاشارة بقوله تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴿١﴾ وقوله عز وجل (الذين يتقون الرسول النبي الامي الذي يجدهم مكتوب عنهم في التوراة والانجيل) ذكر الامام غفر الدين الرازي في معنى هذه التبعة وجهين أحدهما ان المراد بذلك ان يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا وصفه في التوراة اذ لا يجوز ان يتبعوه في شرائعه قبل ان يبعث الى الخلق وفي قوله والانجيل ان المراد وسجدونه مكتوب في الانجيل لان من المحال ان يجده فيه قبل ما نزل الله الانجيل الوجه الثاني ان المراد من الحق من بنى اسرائيل زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغي ان المراد هؤلاء الاحقيق لا يكتب لهم رحمة الآخرة الا اذا اتبعوه قال وهذه القول أقرب لان اتباعه قبل ان يبعث لا يمكن فبين هذه الآية ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بنى اسرائيل الا من اتقى وآتى الزكاة وآمن بآيات الله في زمن موسى عليه الصلاة والسلام ومن كانت هذه صفته في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع ذلك متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم في شرائعه فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله الذين يتقون الرسول من بنى اسرائيل خاصة وجهوهم المفسرين على خلاف ذلك فانهم قالوا المراد بهم جميع أمة الذين آمنوا به واتبعوه سواء كانوا من بنى اسرائيل أو غيرهم واجمع المفسرون على ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصفه بكونه رسولا لا اله الا هو واسطة بين الله وبين خلقه المبلغ رسالته وأمره ونواهيه وشرائعه البهم ثم وصفه بكونه نبيا وهذا ايضا من أعلى مراتب وأشر فهاو ذلك بدل على انه رفيع الدرجات عند الله الخبر عنه ثم

(قال عذابي) من صفته اني (أصيب به من أشاء) أى (لأعفو عنه) (ورجتي وسعت كل شيء) أى من صفته رجتي أنها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر الا وعليه أترجتي في الدنيا (فسأ كتبها) أى هذه الرحمة (للذين يتقون) الشرك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ويؤتون الزكاة) المفروضة (والذين هم بآياتنا) بجميع كتبنا (يؤمنون) لا يكفرون بشئ منها (الذين يتقون الرسول) الذي نوحى اليه كتابا مختصا به وهو القرآن (النبي) صاحب المعجزات (الاممي الذي يجدهم مكتوب عنهم) أي يجدهم أولئك الذين يتبعونه من بنى اسرائيل (مكتوب) باعتداهم في التوراة والانجيل

(فلما أخذتهم الرجفة)  
الزلة الشديدة (قال رب  
لو شئت أهلكتهم من  
قبل) بما كان منهم من  
عبادة الجبل (وابى)  
لقتلى القبطى (أهلكنا  
بما فعل السفهاء منا)  
أهلكنا عقوبة بما فعل  
الجهال منا وهم أصحاب  
الجبل (إنهى الافتتنك)  
ابتلاؤك وهو راجع الى  
قوله انافدفتنا قومك من  
بعدك فقال موسى  
هى تلك الفتنة التى أخبرتنى  
بها وهى ابتلاء الله تعالى  
عباده بما شاء ونبلوكم  
بالشر والخير فتنة (فصل  
بها) بالفتنة (من تشاء) من  
علمت منهم اختيار الضلالة  
(وتهدى) بها (من تشاء)  
من علمت منهم اختيار  
الهدى (أنت ولينا) مولانا  
القائم بأمورنا (فاغفر لنا  
وارحنا وأنت خير الغافرين  
واكتب لنا) وأثبت لنا  
وأقم (فى هذه الدنيا  
حسنة) عافية وحياة طيبة  
أو توفيقا للطاعة (وفى  
الآخرة) الجنة (أناهدنا  
الىك) تبنا اليك وهاد  
اليك بهودا ذار جمع وتاب  
والهدو جمع هائد وهو  
التائب

بنى اسرائيل فقال لهم موسى اختاروا من شئتم فاختاروا سبعين رجلا فلما اتوا اليه قالوا يا هرون من قتلك  
قال ما قتلتى أحد ولكن الله توفانى فأخذتهم الرجفة فجعل موسى يرجع عينا وشمالا ويقول رب لو شئت  
أهلكتهم من قبل وياى الآية قال فاحياهم الله عز وجل وقيل إنما أخذتهم الرجفة لتركههم فراق عبدة الجبل  
لأنهم كانوا من عبدة قال ابن عباس أمانا واثم الرجفة لأنهم لم يزالوا القوم حين نصبوا الجبل وما كرهوا  
أن يجامعهم عليه قال ابن جرير فاختار جوارود عوا الله أنهم ثم أحياهم وقال مجاهد واختر موسى قومه  
سبعين رجلا لميقنا الميثاق الموعد فلما أخذتهم الرجفة بعد أن خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله  
ويسألونه أن يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم علم موسى أنهم قد أصابوا من المعصية ما أصاب قومهم وقال  
محمد بن كعب القرظى لم يستجب لهم من أجل أنهم لم ينهوا عن المنكر ولم يأمرهم بالمعروف فأخذتهم  
الرجفة فأتوا ثم أحياهم الله ﷻ وقوله تعالى (فلما أخذتهم الرجفة) أصل الرجف الاضطراب الشديد الذى  
يحصل معه التغيير والهلاك وهذا اختلفوا فى تلك الرجفة التى حصلت طولا هل كان معها موت أم لا فعظم  
الروايات التى تقدمت أنهم ماتوا بسبب تلك الرجفة وقال وهب بن منبه لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن  
القوم لما رأوا تلك الهيئة أخذتهم الرجفة فقلقوا ورزقوا حتى كادت أن تبين مفاسدهم فلما رأى موسى ذلك  
رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا لهوز راء على الخير سامعين له مطيعين فعند ذلك دعا  
موسى وبكى وناشده به فكشف الله عنهم تلك الرجفة فأطمانوا وسمعوا كلام الله فذلك قوله تعالى فلما  
أخذتهم الرجفة (قال) يعنى موسى (رب) أى يارب (لو شئت أهلكتهم من قبل) يعنى من قبل عبادتهم  
الجبل (وابى) وذلك أنه خاف أن ينهم بنو اسرائيل على السبعين إذا رجع اليهم وما هم معه ولم يصدقوه  
بأنهم ما أتوا فقال رب لو شئت أهلكتهم من قبل يعنى قبل خروجهم الى الميثاق وياى معهم فكان بنو اسرائيل  
يعانين ذلك ولا يهتمون (أهلكنا بما فعل السفهاء منا) قال الفرأظن موسى أنهم أهلكوا باخذنا أصحاب  
الجبل فقال أهلكنا بما فعل السفهاء يعنى عبدة الجبل وأنما أهلكوا بسبب مسئلتهم الرؤية وهى  
قولهم أرنا الله جهرة وهذا قول الكسبي وجاعة وقال جماعة من أهل العلم لا يجوز أن يظن موسى أن الله  
تعالى يهلك قوما يذنبون غيرهم ولكن قوله أهلكنا بما فعل السفهاء منا استفهام بمعنى الحمد أى لست تفعل  
ذلك وهذا قول ابن الأبارى وقال المبرد هذا استفهام استعطاف أى لا تهلكنا (إنهى الافتتنك) قال  
الواحدي الكناية فى هى تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الاز يد والمعنى ان تلك الفتنة التى وقع فيها السفهاء  
لم تكن الافتتنك أى اختبارك وابتلاك وهذا كيد اقله أنهم أهلكنا بما فعل السفهاء منا لان معناه  
لا تهلكنا بفعلهم فان تلك الفتنة كانت اختبارا منك وابتلاء أضلت بها قوما فافتتوا وهديت قوما فصمتهم  
حتى ثبتوا على دينك وهو المراد من قوله (تضل بهما من تشاء وتهدى من تشاء) قال الواحدي وهذه الآية  
من الحجج الظاهرة على القدرة التى لا يلقى لهم معاذر (أنت ولينا) يعنى أنت يارب بنا ناصرنا وناوفاظنا وهذا  
يفيد الحصر أى لاولى لنا ولا ناصر ولا حافظ الا أنت (فاغفر لنا) سأل موسى عليه الصلاة والسلام لنفسه  
ولقومه الغفران أما لنفسه فاقوله انهى الافتتنك وهذا فيه اقدم على الحضرة المقدسة وأما قومهم فقلوهم  
أرنا الله جهرة وفى هذا اقدم على الحضرة المقدسة فلما هذا السبب سأل موسى عليه الصلاة والسلام الغفران له  
ولقومه (وارحنا) أى واشملنا برحمتك التى وسعت كل شئ (وأنت خير الغافرين) يعنى ان كل من سواك أغنا  
يعفر الذنوب طلبا للثناء الجميل وألطف ضررنا ما أنت يارب تغفر ذنوب عبادك لا لطلب عوض ولا لغرض  
بل لحض الفضل والكرام فان خير الغافرين ﷻ قوله تعالى (واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة)  
يعنى قال موسى فى دعائه واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة أى واجعلنا من كتبته له حسنة وهى ثواب الاعمال  
الصالحة وفى الآخرة أى واكتب لنا فى الآخرة مغفرة لذنوبنا (أناهدنا اليك) قال ابن عباس معناه أنا تبنا

تبي (وفي نسخها) النسخ عبارة عن النقل والتحويل فاذا نسخت كتابا من كتاب حرفا بحرف فقد نقلت ما في الأصل الى الفرع فعلى هذا قيل ارادهم بالالواح لانها نسخت من اللوح المحفوظ وقيل ارادهم بالنسخة المكتوبة من الالواح التي أخذها موسى بعد ما تكسرت وقال ابن عباس وعمر بن دينار لما أتى موسى الالواح فكسرت صامأر بعين يوما فردت عليه في لوحين وفيهما ما في الأولى بعينها فيكون نسخها نقلها وعلى قول من قال ان الالواح لم تنكسر وأخذها موسى بعينها بعد ما ألقاها يكون معنى وفي نسخها المكتوب فيها (هدى ورجة) قال ابن عباس يعني هدى من الضلالة ورجة من العذاب (الذين هم لهم رهبون) يعني للخاصين من رهبهم <sup>١</sup> قوله عز وجل (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) الاختيار افعال من لفظ الخيار يقال اختار الشيء اذا أخذ خيره وخياره والمعنى واختار موسى من قومه خذف كامة من وذلك سائغ في العربية لدلالة الكلام عليه قال أصحاب الاخبار ان موسى عليه الصلاة والسلام اختار من كل سبط من قومه ستة نفر فكانوا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلا نرسله فقال لمن قد منكم مثل آخره خرج فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وقيل انه لم يجد الاستين شيخا فاجرى الله اليه أن يختار من الشباب عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخا فامرهم أن يصوموا ويظهروا ويظهروا ويطهروا ويطهروا ثم ذهب بهم الى ميقات ربه واختلف أهل التفسير في ذلك الميقات فقيل انه الميقات الذي كلفه فير به وسأل فيه الرؤى وذلك انه لما خرج الى طور سيناء أخذ معه هؤلاء السبعين فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى أحاط بالجبل كله ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله تعالى وهو يكلمهم موسى يأمرهم وينهاهم ففعل كذا الانفعل كذا فلهذا انكشف الغمام أقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره فأخذتهم الصاعقة وهي المارد من الرجة المذكورة في هذه الآية وقال السدي ان الله أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتدرون اليهم من عبادة الجبل وغدهم موعدا فاختار موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم الى ميقات ربه ليعتدروا فلما أتوا ذلك المكان قالوا ان نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهره فانك قد كلفته فارنا فخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا أقول ابني اسرائيل اذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم رب لو شئت أهلكتهم من قبل وياي وقال محمد ابن اسحق اختار موسى من بني اسرائيل سبعين رجلا الخبر قال خبر وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه ما صنعتم واسألوه ان يبعثوا على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا ونظفروا وظهروا ثيابكم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات وقت ملاه به وكان لا يأتيه الا اذن منه وعلم فقال السبعون فيما ذكرى حين فعلوا ما أمرهم به وخرجوا مع موسى لميقات ربه اطبل لئلا مع كلام ربنا فقال أقبل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى غشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا ففعلوا فوقعوا على جبهته نور اطبل لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر اليه فضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا فسمعوا الله وهو يكلمهم موسى يأمرهم وينهاهم ففعلوا ففعل فلما فرغ من أمره انكشف عن موسى الغمام فأقبل اليهم فقالوا له ان نؤمن لك حتى نرى الله جهره فأخذتهم الصاعقة وهي الرجة ففعلوا جميعا فقام موسى ينادي به ويدعوهم ويرغب اليه يقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل وياي وقال ابن عباس كان الله أمر موسى أن يختار من قومه سبعين رجلا فاختار سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا بهم فكان فمادعوا الله ان قالوا اللهم اعطنا ما لم نعطه أحد قبلنا ولا نعطه أحد بعدنا ففكره الله ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وياي وقيل انما أخذتهم الرجة من أجل انهم ادعوا على موسى انه قتل هرون قال علي بن أبي طالب انطلق موسى وهرون الى سفح جبل فنام هرون على سر بر فثوبوا الله فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا له أنت قتلتهم حسدتنا على خلقه ولينته وكان هرون حسن الخلق محبيا في

التي ألقاها (وفي نسخها) وفيما نسخ منها أي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة (هدى ورجة) الذين هم لهم رهبون) دخلت اللام لتقدم المفعول وضعف عمل الفعل فيه باعتباره (واختار موسى قومه) أي من قومه خذف الجار وأصل الفعل (سبعين رجلا) قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة فبلغوا اثنين وسبعين رجلا فقال ليتخلف منكم رجلا نرسله فقعد كالب ويوشع (لميقاتنا) لا اعتذارهم عن عبادة الجبل

من ربهم وذلة في الحياة الدنيا) يعني سينالهم عقوبة من ربهم وهوان بسبب كفرهم وعبادتهم العجل وذلك في عاجل الحياة الدنيا ثم للفسرين في هذه الآية قولان أحدهما ان المراد بالذين اتخذوا الجبل الذين يباشروا عبادته وعلى هذا القول ففي الآية سؤال وهوان أولئك الاقوام الذين اتخذوا الجبل تابوا الى الله تعالى بقتلهم أنفسهم كما امره فتاب عليهم فكيف ينالهم الغضب والذلة مع التوبة والجواب أن ذلك الغضب انما حصل لهم في الدنيا وهو نفس القتل فكان ذلك القتل غضبا عليهم والمراد بالذلة هو اسلامهم أنفسهم للقتل واعترافهم على أنفسهم بالضلال والخطأ فان قلت السين في قوله سينالهم للاستقبال فكيف تكون للماضى قلت هذا الكلام انما هو خبر عما أخبر الله به موسى عليه الصلاة والسلام حين أخبره بافتتان قومه واتخاذهم الجبل ثم أخبره الله في ذلك الوقت انه سينالهم غضب من ربهم وذلة فكان هذا الكلام سابقا للوقوع وهو القتل الذي أمرهم الله به بعد ذلك وقال ابن جرير في هذه الآية ان هذا الغضب والذلة لمن مات منهم على عبادة الجبل ولو من فر من القتل وهذا الذي قاله ابن جرير وان كان له وجه لكن جميع المفسرين على خلافه القول الثاني ان المراد بالذين اتخذوا الجبل اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم وأبأؤهم هم الذين عبدوا الجبل وأراد بالغضب عذاب الآخرة وبالذلة في الدنيا الجزية وقال عطية العوفي سئل أولاد الذين عبدوا الجبل وهم الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد بالغضب والذلة ما أصاب بني النضير وبني قريظة من القتل والجلاء وعلى هذا القول ففي تقرير الآية وجهان الاول ان العرب تعبر الابناء بقبايح أفعال الآباء كما تفعل ذلك في المناقب فتقول لآل بناء فلانم كذا وفعلمت كذا وانما فعل ذلك من مضى من آبائهم فكذلك ههنا وصف اليهود الذين كانوا على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم اتخذوا الجبل وان كان آبأؤهم فعلا ذلك ثم حكم على اليهود الذين كانوا في زمنه بأنهم سينالهم غضب من ربهم في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا لوجه الثاني ان تكون الآية من باب حذف المضاف والمعنى ان الذين اتخذوا الجبل يباشروا عبادته سينال أولادهم الخ ثم حذف المضاف لدلالة الكلام عليه ﴿وقوله تعالى﴾ (وكذلك نجزي المقتربين) يعني وكما جزينا هؤلاء الذين اتخذوا الجبل انما نجزي كل من افترى على الله كذبا وعبد غيره وقال أبو فلابه هي والله جزاء كل مفتر على يوم القيامة ان يذله الله وقال سفيان بن عيينة هذا في كل مبتدع الى يوم القيامة وقال مالك بن أنس ما من مبتدع الا هو يحدق في رأسه ذلة ثم قرأ هذه الآية قال والمبتدع مقتفى دين الله (والذين عملوا السيئات) يعني عملوا الاعمال السيئة و يدخل في ذلك كل ذنب صغير وكبير حتى الكفر فادونه (ثم تابوا من بعده) يعني ثم رجعوا الى الله من بعد أعمالهم السيئة (وآمنوا) يعني صدقوا بالله تعالى وانه يقبل توبة التائب ويغفر الذنوب (ان ربك) بالتحديد وأبأبها الانسان التائب (من بعده) يعني من بعد توبتهم (لفقور رحيم) يعني انه تعالى يغفر الذنوب ويرحم التائبين وفي الآية دليل على ان السيئات تيسر صغرها وكبيرها مشتركة في التوبة وان الله تعالى يغفرها جميعا بفضل ورحمته ونقدس بالآية ان من أتى بجميع السيئات ثم تاب الى الله وأخلص التوبة فان الله يغفرها له و يقبل توبته وهذا من أعظم البشائر للذين التائبين ﴿قوله تعالى﴾ (ولما سكنت عن موسى الغضب) يعني سكن لان السكوت أصله الامساك عن الشيء ولما كان السكوت بمعنى السكون استعير في سكون الغضب لان الغضب لا يتسكك لكنه لما كان بقو رته والاعلى ما في نفس الغضب كان بمنزلة الناطق فاذا سكنت تلك القوة كان بمنزلة السكوت عما كان متسككاً به وقيل معناه ولما سكنت موسى عن الغضب فهو من المقلوب كما تقول أدخات القلمسوة في رأسي والمعنى أدخات رأسي في القلمسوة والقول الاول أصح لانه قول أهل اللغة والتفسير (أخذ الاالواح) يعني التي ألقاها قال الامام غفر الله له والذين وظاهر هذا يدل على ان الاالواح لم تنكسر ولم رفع من التوراة

من ربهم) هو أمروا به من قتل أنفسهم توبة (وذلة في الحياة الدنيا) خروجهم من ديارهم فالغربة تذلة الاعناق وأضرب الجزية عليهم (وكذلك نجزي المقتربين) الكاذبين على الله ولا فرقة أعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى (والذين عملوا السيئات) من الكفر والمعاصي (ثم تابوا) رجعوا الى الله (من بعدها وآمنوا) وأخلصوا الايمان (ان ربك من بعده) أي السيئات والتوبة (لفقور رحيم) استور عليهم محاملا كان منهم (رحيم) منع عليهم بالجنة وان مع اسمها وخبرها خبر الذين وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو الجبل وغيرهم عظم جنايتهم وألامهم أردفوا بهظم رحمة ليعلم أن الذنوب وان عظمت فغفوه أعظم ولما كان الغضب أشده كانه هو الأمر لموسى بما فعل قيل (ولما سكنت عن موسى الغضب) وقال الزجاج معناه سكن وقرئ به (أخذ الاالواح)

والخصوص بالذي محذوف تديره بس خلق خلقونهم امن بعدى خلافتكم ومعنى من بعدى بعد قوله خالفتموني من بعد ما رأيت مني من توحيد الله ونفى الشركاء عنه فمن بعدما كنت أجل بنى اسرائيل على التوحيد بدأ كفهم عن عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الهام كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء أن يسروا (١٤٢) بسيرة المستخاف (اعلمتم) أسبقتم عبادة العجل (أمر ربكم) وهو اتابني لكم

بالتوراة بعد أربعين ليلة وأصل العجلة طلب الشيء قبل حينه وقيل لعجلتم بمعنى تركتم (وأنقى الألواح) ضجرا عند استنساخه حديث العجل غضب الله وكان في نفسه شدة الغضب وكان هرون أبين منه جانبا ولذلك كان أحب إلى بنى اسرائيل من موسى فكسرت فرعت ستة أسباعا وبقى سبع واحد وكان فبارفع تفصيل كل شئ وفيما بقي هدى ورجعه (وأخذ برأس أخيه) بشعر رأسه غضبا عليه حيث لم يتبعهم عن عبادة العجل (بحجره إليه) عتابا عليه لاهوائه وهو حال من موسى (قال ابن أم) بنى الان مع الام على القبح كخمس عشرة وبكسر الميم حزة وعلى وشامى لأن أصله أحمى خذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة وكان ابن أمه وأبيه وانما ذكر الام لأنها كانت مؤمنة ولأن ذكرها ادعى الى العطف (ان القوم استضعفوني) وكادوا يقتلوني أى فى لم آل جهدا في كفهم بالوعظ والانذار ولكنهم استضعفوني وهو اقبلت (فلا تسمت في الاعداء) الذين عبدوا العجل أى لا تنقل في ما هو أمينتهم من الاسمات في والاساءة الى (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أى قريتناهم بغضبك على فلما اوضح له عن أخيه (قال رب اغفر لي ولا تخني) ليرضى أخاه وبنى الشبهة عنه بإشراكه معه في الدعاء والمعنى اغفر لي ما فرط مني في حق أخى ولا تخني ان كان فرط في حسن الخلافة (وأدخلنا في رحمتك) عصمتك في الدنيا وعزجتك في الآخرة (وأنت أرحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل) اهلا سينالهم غضب

من الذين عبدوا العجل أى لا تنقل في ما هو أمينتهم من الاسمات في والاساءة الى (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أى قريتناهم بغضبك على فلما اوضح له عن أخيه (قال رب اغفر لي ولا تخني) ليرضى أخاه وبنى الشبهة عنه بإشراكه معه في الدعاء والمعنى اغفر لي ما فرط مني في حق أخى ولا تخني ان كان فرط في حسن الخلافة (وأدخلنا في رحمتك) عصمتك في الدنيا وعزجتك في الآخرة (وأنت أرحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل) اهلا سينالهم غضب



(عجلا) مفعول اتخذ (جسدا) بدل منه أي بدنا ذا اللحم ودم كاسر الاجساد (له خوار) هو صوت البقر والمفعول الثاني محذوف أي  
الها ثم عجب من عقوبتهم السخيفة فقال (ألم يروا) حين اتخذوه الها (انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل  
حتى يختاره على من لو كان البحر مادا اسكماه لتفقد البحر قبل أن تنفذ (١٤١) كما أنه وهو الذي هدا الخلق

الى سبيل الحق بما  
أركر في العقول من الادة  
وبما أنزل في الكتب ثم  
ابتدا فقال (اتخذوه) الها  
فاقدموا على هذا الامر  
المنكر (وكانوا ظالمين واما  
سقط في أيديهم) ولما شئت  
تدمهم على عبادة العجل  
وأصله أن من اشتد تدمه  
أن بعض يده غمما فقصير  
يده مسقوط فيها لان فاه  
وقع فيها سقط مسندا الى  
في أيديهم وهو من باب  
الكناية وقال الرجاء معناه  
سقط التدم في أيديهم أي  
في قلوبهم وأنفسهم كما يقال  
حصل في يده مكروه وان  
استحال أن يكون في اليد  
تشبها لما يحصل في القلب  
وفي النفس بما يحصل في  
اليدين يرى بالعين (ورأوا  
انهم قد ضلوا) وتبينوا  
ضلالهم تبينا كأنهم  
أبصروهم بعينهم (قالوا لئن  
لم يرجنار بناو يغفر لنا لن  
لم يرجنار بناو تغفر لنا حجة  
وعلى واتعاب و بنا على  
الذداء (انك كون من  
الخاسرين) الغبون في  
الدنيا والآخرة (ولما  
رجع موسى) من

فبني الحلي ابني اسرائيل ملكا لهم فاندك قال الله تعالى من حلهم فلما بطأ موسى عليهم جمع السامري ذلك  
الحلي وكان رجلا معاطا بني اسرائيل فلذلك قال تعالى واتخذ قوم موسى واتخذ هو واحد فغضب الفعل  
الى السك لانه كان برضاهم فكأنهم أجمعوا عليه وكان السامري رجلا صاغا فاصاغ لهم (عجلا جسدا)  
يعني من ذلك الحلي وهو الذهب والفضة وأتي في ذلك الجبل من تراب أثر فرس جبريل عليه السلام فتعول  
عجلا جسدا الجادما (له خوار) هو صوت البقر وهذا معني قول ابن عباس والحسن وقادة وجهور أهل  
التفسير وقيل كان جسدا لا روح فيه وكان يسمع منه صوت وقيل ان ذلك الصوت كان خفيق الريح  
وذلك انه جعله مجوفا وضع في جوفه أنابيب على وضع مخصوص فاذا هبت الريح دخلت في تلك الانابيب  
فيسمع لها صوت كصوت البقر والقول الاول أصح لانه كان يخور وقيل انه خار مرة واحدة وقيل انه  
كان يخور كثيرا وكما خار سجدوا له واذا سكث رفعا ورؤسهم قال وهب كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك  
وقال السدي كان يخور ويمشي (ألم يروا) يعني الذين عبدوا العجل وقيل أن بني اسرائيل كلهم عبدوا العجل  
الاחרون عليه الصلاة والسلام بدليل قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده وهذا يفيد العموم وقيل ان  
بعضهم عبدوا العجل وهو الصحيح وأجب عن قوله واتخذ قوم موسى انه خرج على الغلب وكذا قوله ألم  
يروا (انه) يعني العجل الذي عبده (لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) يعني ان هذا العجل لا يمكنه أن يتكلم  
بصواب ولا يهدي الى رشد ولا يقدر على ذلك ومن كان كذلك كان جادا أو حيا أو ناقا فصاعجا زوا على كذا  
التقديرين لا يصلح لان يعبد (اتخذوه وكانوا ظالمين) يعني لا تفهم حيث أعرضوا عن عبادة الله تعالى  
التي يضرو بنفع واشتغلوا بعبادة العجل الذي لا يضر ولا ينفع ولا يتكلم ولا يهديهم الى رشد وصواب قوله  
عز وجل (ولما سقط في أيديهم) يعني ولما قدموا على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على أمر سقط  
في يده وذلك لان من شأن من اشتد تدمه على أمر ان بعض يده تدمه يضرب على فخذه فتصير يده ساقطة  
لان السقوط عبارة عن النزول من أعلى الى أسفل (ورأوا أنهم قد ضلوا) يعني وتيقنوا انهم على الضلالة في  
عبادتهم العجل (قالوا لئن لم يرجنار بناو يغفر لنا) يعني يتب علينا ويتجاوز عنا (لنكون من الخاسرين)  
يعني الذين خسروا أنفسهم بوضعهم في عبادة غير موضعها وهذا كلام من اعترف بعظيم ما أقدم عليه  
من الذنب وتدم على ماصد رمنه ورغب الى الله تعالى في اقاله عثرته واعترفهم على أنفسهم بالخسران ان لم  
يغفر لهم بهم ويرحمهم كلام التائب النادم على ما فرط منه وانما قالوا ذلك لما رجع موسى عليه الصلاة  
والسلام اليهم وهو قولي تعالى (ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا) يعني ولما رجع موسى عليه الصلاة  
والسلام من مناجاة به الى قومه في بني اسرائيل رجوع غضبان أسفا لان الله تعالى كان قد أخبره انه قد فتن  
قومه وان السامري قد أضلهم فكأن موسى في حال رجوعه غضبان أسفا قال أبو الدرداء الاسف أشد  
الغضب وقال ابن عباس والسدي الاسف الحزن والاسف الحزن قال الواحدى والقولان متقاربان لان  
الغضب من الحزن والحزن من الغضب فاذا جاءك ما تنكره من هودوك غضبت واذا جاءك ما تنكره من هودوك  
فوقك حزن قدسمى احدي هاتين الحالتين حزنا والآخرى غضبا فعلى هذا كان موسى عليه الصلاة  
والسلام غضبان على قومه لاجل عبادتهم العجل أسفا حزن لان الله تعالى فتنهم وان الله تعالى قد أعلمه  
بذلك فحزن لاجل ذلك (قال) يعني موسى عليه الصلاة والسلام لقومه (بشما خلقتهموني من بعدى)

الطور (الى قومه) بني اسرائيل (غضبان) حال من موسى (أسفا) حال أيضا أي حزينا (قال بشما خلقتهموني) فتم مقامي  
وكنتم خلفائي (من بعدى) والخطاب لعبدة العجل من السامري وأشباعه وأطرو من معه من المؤمنين و يدل عليه قوله اخلقتني في  
فومي والمعنى بشما خلقتهموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله وحيث لم تأمروا بعبادة غير الله فاعل بشم مضمرب يفسره ما خلقتهموني

(سار يكمدار الفاسقين) دار فرعون وقومه وهي مصر ومنازل عاد وثمود والقرن والملكة كيف أقفرت منهم لتعتبر وافلاتن قوامثل  
فسمهم فينكل بكم مثل نكلهم أوجهم (سأصرف عن آياتي) عن فهمها قال ذوالنون قدس الله روحه أنه إله أن بكر قلوب البطالين بمكنون  
حكمة القرآن (الذين يتكبرون) (١٤٠) يتطاولون عن قبول الحق وحقه يقتله التكف للكبريات التي اختصت بالبارى عزت

قدرته في الأرض بغير  
الحق) هو حال أي يتكبرون  
غير محققين لأن التكبر  
بالحق لله وحده (وان يروا  
كل آية) من الآيات المنزل  
عليهم (لا يؤمنوا بها وان  
يروا سبيل الرش) طريق  
صلاح الامر أو طريق  
الهدى الرش حجة وعلى  
وهما كالسقم والسقم  
(لا يتخذوه سبيلا وان يروا  
سبيل النى) الضلال  
(يتخذوه سبيلا) ومحل  
(ذلك) الرفع أى ذلك  
الصرف (بأنهم كذبوا  
بآياتنا) بسبب تكذيبهم  
(وكانوا عنها غافلين) غفلة  
عناد واعراض لا غفلة سهو  
وجهل (والذين كذبوا  
بآياتنا ولقاء الآخرة)  
هو من اضافة المصدر الى  
المفعول به أى ولقاءهم  
الآخرة ومشاهدتهم  
أحوالها (حبطت أعمالهم)  
خبر والذين (هل يجزون)  
الاما كانوا يعملون) وهو  
تكذيب الاحوال بالتكذيب  
الارسال (واتخذ قوم  
موسى من بعده) من بعد  
ذهابه الى الطور (من  
حلبهم) وانما نسب اليهم

وكالاتصار حسن والاصب أحسن منه فأمرنا أن ياخذوا بالاشد على أنفسهم ليكون ذلك أعظم في الثواب  
فهو كقولهم اتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقيل ان  
الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح والاحسن الاخذ بالاشد والاشتق على النفس وقيل معناه  
باحسنا بحسبها وكما أحسن وقوله تعالى (سار يكمدار الفاسقين) قال مجاهد يعنى مصيركم في الآخرة  
وقال الحسن وعطاء بن يذبحهم بخبركم أن تكونوا منهم وقال قتادة سأدخلكم الشام فأر يكمن منازل القرون  
الماضية الذين خالفوا الله تعالى لتعتبر بها وقيل عطية العوفى يعنى دار فرعون وقومه وهي مصر وقال  
السدى يعنى منازل الكفار وقال السكبي هي منازل عاد وثمود والقرن والذين هلكوا فـ كانوا يروا عليها  
اذا سافروا ﴿ قوله عز وجل ﴾ (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) قال ابن عباس  
يريد الذين يتكبرون على عبادى ويحاربون أولياى سأصرفهم عن قبول آياتي والتصدق بها حتى لا يؤمنوا  
في عوقبوا بحرمان الهداية لعادهم الحق وقال سفيان بن عيينة سأمنعهم فهم القرآن وقيل معناه سأصرفهم  
عن التفكير في خلق السموات والأرض وما فيها من الآيات والعبر وقيل حكم الآية لاهل مصر خاصة وأراد  
بالآيات الآيات التسع التي أعطاها الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام والاكثر على ان الآية عامة  
وقيمة دليل المذهب أهل السنة على ان الله تعالى يهدى من يشاء ويضل من يشاء ويصرف عن آياته وقبول  
الحق من يشاء ويوفى بالتفكر في آياته وقبول الحق من يشاء لانه القادر على ما يشاء لا يستل عما يفعل وهم  
يستلون ومعنى الذين يتكبرون الذين يرون أنهم أفضل الحق وان لهم من الحق ما ليس بغيرهم والتكبر  
على هذه الصفة لا يكون الا لله عز وجل لانه هو الذى له القدرة والفضل الذى ليس لاحد سواه قالت تكبرى  
حق الله عز وجل صفة مدح وفي حق المخالفين صفة ذم لانه تكبر بما ليس له ولا يستحقه وقيل التكبر اظهار  
كبر النفس على غير هاهو صفة ذم في حق جميع العباد وقوله يتكبرون من الكبر لا من التكبر أى يفتعلون  
التكبر ويرون أنهم أفضل من غيرهم فلذلك قال يتكبرون في الارض بغير الحق بل بالباطل (وان يروا  
كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرش) يعنى طريق الحق والهدى والساد والاصواب (لا يتخذوه  
سبيلا) يعنى لا يختاروه لانفسهم طر يقايسل كونه الى الهداية (وان يروا سبيل النى) يعنى طريق الضلال  
(يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) يعنى ذلك الذى اختاروه لانفسهم من ترك الرش واتباع النى  
بسبب انهم كذبوا بآيات الله الدالة على توحيد (وكانوا عنها غافلين) يعنى عن التفكير فيها والاعتابها  
(والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) يعنى ولقاء الدار الآخرة التي فيها الثواب والعقاب (حبطت  
أعمالهم) يعنى بطلت فصارت كأن لم تكن والمعنى انه قد يكون في الذين يكذبون بآيات الله من يعمل البر  
والاحسان والخير فيبين الله تعالى بهذه الآية ان ذلك ليس ينفعهم مع كفرهم وتكذيبهم بآيات الله  
وانكارهم الدار الآخرة والبعث (هل يجزون الاما كانوا يعملون) يعنى هل يجزون في العقبى الآخرة  
العمل الذى كانوا يعملونه في الدنيا ﴿ قوله تعالى ﴾ (واتخذ قوم موسى من بعده) يعنى من بعد اطلاق موسى  
الى الجبل لمناجاة به وعز وجل (من حلبهم) يعنى الى استعارهم قوم فرعون وذلك ان بني اسرائيل  
كان لهم عيد فاستعاروا من القبط الخلى ليتزينوا به في عيدهم فبقى عندهم الى أن أهلك الله فرعون وقومه

مع انها كانت عوارى في أيديهم لان الاضافة تكون لادنى ملاسة وفيه دليل على ان من حلف أن لا يدخل دار فلان  
فدخل دار استعارها بحث على أنهم قد ملكوها بعد الملهكين كما ملكوا غيرهم من أملاكهم وفيه دليل على ان الاستيلاء على أموال الكفار  
بوجوب زوال ملكهم عنها نعم المتخذ هو السامرى ولكنهم رضوا به فاسند الفعل اليهم والحق جمع حلى وهو اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة  
حلبهم حزة وعلى بالانباع

السلام (وكتبنا له في  
الاولاح) الاولاح التوراة  
جمع لوح وكانت عشرة  
ألواح وقيل سبعة وكانت  
من زمرد وقيل من خشب  
نزلت من السماء فيها التوراة  
(من كل شيء) في عمل النصب  
على انه مفعول كتبنا  
(موعظة وتفصيلا لكل  
شيء) بدل منه والمعنى  
كتبنا له كل شيء كان بنو  
اسرائيل محتاجين اليه في  
دينهم من المواعظ وتفصيل  
الاحكام وقيل أنزلت  
التوراة وهي سننهم  
وقر بعبر لم يقرأها  
كلها الأربعة نفر موسى  
ويوشع وعزير وعيسى  
(نخذها) فقلنا نخذها  
عطفا على كتبنا والضمير  
للالواح ولكل شيء لانه في  
معنى الاشياء (بقوة) بجهد  
وعزيمة فعل أولي العزم  
من الرسل (وأمر قومك  
ياخذوا باحسنا) أي فيها  
ما هو حسن وأحسن  
كالقصاص والعسفو  
والانتصار والصبر فمرهم  
أن ياخذوا بما هو أودخل في  
الحسن وأكثر للثواب  
كقوله واتبعوا أحسن  
ما أنزل اليكم من ربكم

انها كانت سبعة ألواح وروى عنه انها لواح واختاره الفراء قال وانما جعت على عادة العرب في اطلاق  
الجمع على الاثنين وقال وهب كانت عشرة ألواح وقال الربيعة بن أنس نزلت التوراة  
وهي وقر سبعين بعبراً أيضاً الجزء منها في سنة ولم يقرأها الأربعة نفر موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى  
عليهم الصلاة والسلام والمراد بقوله لم يقرأها يعني لم يحفظها وقرأها عن ظهر قلبه الا هؤلاء الاربعة وقال  
الحسن هذه الآية في التوراة بالآية يعني قوله (وكتبنا له في الاولاح من كل شيء) يعني يحتاج اليه  
من أمر ونهي (موعظة) يعني نهياً عن الجمل وحقيقة الموعظة التذكير والتحذير عما يخاف عاقبته  
(وتفصيلا لكل شيء) يعني وتبيينا لكل شيء من الأمر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام مما  
يحتاج اليه في أمور الدين وروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه قال كتب له يعني في التوراة لا تترك  
في شياً من أهل السماء ولا من أهل الأرض قال ذلك خافي ولا تخلف باسمي كاذبان من حلف باسمي  
كاذباً فلا أتريك وقر والديك وروى البغوي باسناد الثعلبي عن كعب الجبار ان موسى عليه الصلاة  
والسلام نظري في التوراة فقال اني أجد أمة خير الامم أخرجت للناس بامرون بالمعروف وبنهون عن  
المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقانون أهل الضلالة حتى يقانون الاعور والبال  
رب اجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى فقال رب اني لأجد أمة هم الجادون رعاة الشمس المحكمون  
اذا أراد أمر أقالوا تفعل ان شاء الله فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال رب اني أجد في التوراة أمة يا يكون  
كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبيون والمستجاب لهم الشافعون  
المشفوع لهم فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال يا رب اني أجد أمة اذا أشرف أحد هم على شرف كبر الله  
واذا هبطوا واحد الله الصعيد لهم ظهور والأرض لهم مسجد حينما كانوا يتطهرون من الجنابة يطهرونهم  
بالصعيد كلهم وهم بالماء حيث لا يوجد الماء غر محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي قال هي أمة  
محمد قال يا رب اني أجد أمة اذا هم أحد هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فعملها وان عملها كتبت  
بعشرة أمثالها إلى سبعةائة ضعف فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال يا رب اني أجد أمة مرحومة  
ضعفاء يرثون الكتاب الذين اصطفيتهم ففهم ظالم لنفسهم ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد  
أحد منهم الا مرحوماً فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال رب اني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم ويلبسون  
ألوان ثياب أهل الجنة يصفون في صلاتهم صفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوى النحل  
لا يدخل النار أحد منهم أبداً الامن يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء البحر فاجعلهم أمتي قال هي  
أمة محمد فلما سجد موسى من الخير الذي اعطاه الله عز وجل محمد اصلى الله عليه وسلم وأتمه قال يا بني من  
أصحاب محمد فلوحي الله ثلاث آيات يرضيهن يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي  
إلى قوله سأريكم دار الفاسقين ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضى موسى كل  
الرضا ۞ وقوله تعالى (نخذها بقوة) يعني وقلنا لموسى عليه الصلاة والسلام إذ كتبنا له في الاولاح من كل  
شيء نخذها بجهد واجتهاد وقيل عناء فخذها بقوة قلب وصحة عزيمته صادقة لان من أخذ شيئاً بضعف  
نية أداه إلى الفتنور (وأمر قومك ياخذوا باحسناً) قال ابن عباس يحلو احلاهاو بحر مواجرها ويتدبروا  
أمنالها ويعملوا بمحكمها ويقفوا عند متشابهها وكان موسى عليه الصلاة والسلام أشد عبادة من  
قومه فامرهم بمثل رؤسهم وابه وقيل ظاهر قوله وأمر قومك ياخذوا باحسانها يدل على ان بين التكليفين فرقا  
ليكون في هذا الفصل فائدة وهي ان التكليف كان على موسى أشد لانه تعالى لم يرخص له ما رخص لغيره من  
قومه فان قلت ظاهر قوله تعالى ياخذوا باحسانها يدل على ان فيها ما ليس بحسن وذلك لم يقبل به أحد فامعني  
قوله ياخذوا باحسانها فالتكليف كان على حسن وبه أحسن كالقصاص حسن ولكن العفو أحسن

اخترتك واتخذتك صفوة الاصطفاء الاستخلاص من الصفوة والاجتماع المعنى اني فضلتك واجتبيتك على الناس وفي هذا نسبية لموسى عليه الصلاة والسلام عن منع الرؤيا حين طلبها لان الله تعالى عده عليه نعمه التي اتمها عليه وامره ان يشتغل بشكرها كانه قال له ان كنت منعت من الرؤيا التي طلبت فقد اعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيقت صدرك بسبب منع الرؤيا وانظر الى سائر انواع النعم التي خصصتك بها وهي الاصطفاء على الناس رسالاتي وبكلامي يعني من غير واسطة لان غيره من الرسل منع كلام الله تعالى الا بواسطة الملك فان قلت كيف قال اصطفتك على الناس برسالاتي مع ان كثيرا من الانبياء قد ساءوا في الرسالة قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال جوابين أحدهما ذكره البغوي فقال المالم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله اصطفتك على الناس وان شاركه فيها غيره كما يقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتى وان كان قد شاور غيره اذ الم تكن المشورة على العموم فيكون مستقما وفي هذا الجواب نظرا لان من جملة من اصطفاه الله برسالته محمد صلى الله عليه وسلم وهو افضل من موسى عليه الصلاة والسلام فلا يستقيم هذا الجواب الجواب الثاني ذكره الامام غفر الدين الرازي فقال ان الله تعالى بين انه خصه بمجموع أمرين وهما الرسالة مع الكلام بغير واسطة وهذا المجموع ما حصل لغيره فثبت انه لما حصل التخصص هيئنا لانه سمع ذلك الكلام بغير واسطة وانما كان الكلام بغير واسطة سببا ليد الشرف بناء على العرف الظاهر لان من سمع كلام الملك العظيم من فيه كان أعلى وأشرف ممن سمعه بواسطة الخجاب والنواب وهذا الجواب فيه نظر أيضا لان محمد صلى الله عليه وسلم اصطفاه برسالته وكه ليله المعراج بغير واسطة وفرض عليه وعلى أمته الصلوات وخاطبه بيا محمد بدل عليه قوله فأوحى الى عبدي ما أوحى ورفعني الى حيث سمع صريف الاقدام وهذا كله يدل على مزيد الفضل والشرف على موسى عليه الصلاة والسلام وغيره من الانبياء فلا يستقيم هذا الجواب أيضا والذي يعتمد في الجواب عن هذا السؤال ان الله اصطفى موسى عليه الصلاة والسلام برسالته وبكلامه على الناس الذين كانوا في زمانه وذلك انه لم يكن في ذلك الوقت أعلى منصبا ولا أشرف ولا أفضل منه وهو صاحب الشريعة الظاهرة وعليه نزلت التوراة فدل ذلك على انه اصطفاه على ناس زمانه كما اصطفى قومه على عالمي زمانهم وهو قوله تعالى يا بني اسرائيل اذ كروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين قال المفسرون يعني على عالمي زمانهم ﴿وقوله تعالى﴾ (نفسا آتيتك) يعني ما فضلتك وأكرمتك به (وكن من الشاكرين) يعني على انعمي عليك وفي القصة ان موسى عليه الصلاة والسلام كان بعدما كلمه به لا يستطيع أحد ان ينظر اليه لما غشي وجهه من الدور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت زوجته يا مالم أرك منذ تلك بك فكشف لها عن وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت ساجدة وقالت ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة قال ذلك لك ان لم تتزوجي بعدى فان المرأة لا تآخر أزواجه ﴿قوله تعالى﴾ (وكتبنا له في الألواح) قال ابن عباس يريد الألواح التوراة والمعنى وكتبنا لموسى في الألواح التوراة قال البغوي وفي الحديث كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعا وافي الحديث خافي الله تعالى آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وقال الحسن كانت الألواح من خشب وقال السكبي من زبرجدة خضراء وقال سعيد بن جبير من ياقوتة حمراء وقال ابن جرير من زمرد أمر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى جاء بها من جنة عدن وكتبها باللحم الذي كتب به الذر واستخدم من نهر النور وقال الربيع بن أنس كانت الألواح من زبرجد وقال وهب أمر الله بقطع الألواح من صخرة صماء لينالها فقطعها بيده ثم شقها باصبعه وسمع موسى عليه الصلاة والسلام صريف الاقدام بالكمات العشرة وكان ذلك في أول يوم من ذى الحجة وكان طول الألواح عشرة أذرع على طول موسى وقيل ان موسى خرصعا يوم عرفه فاعطاه الله التوراة يوم العصر وهذا أقرب الى الصحيح واختلقوا في عدد الألواح فروى عن ابن عباس

(نفسا آتيتك) أعطيتك  
من شرف النبوة والحكمة  
(وكن من الشاكرين)  
على النعمة في ذلك فهي  
من أجل النعم قبل خ  
موسى صعبا يوم عرفه  
وأعطى التوراة يوم النحر  
ولما كان هرون ووزيرا  
وتابعا لموسى تخصص  
الاصطفاء بموسى عليه

للجبل) أي ظهر وبان ظهورا بلا كيف قال الشيخ أبو منصور رحمه الله معنى التجلي للجبل ما قاله الاشعري انه تعالى خلق في الجبل حياة وعلما ورؤية حتى رأى ربّه وهذا نص في اثبات كونه مرئيا وبه الوجه يبين جهل منكري الرؤى وقولهم بان موسى عليه السلام كان عالما بانه لا يرى ولكن طلب قومه أن يريهم به كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله لن تؤمن لك حتى تری الله جهره فطلب الرؤى ليعين الله تعالى انه ليس بمرئي باطل اذ لو كان كما زعموا لقال ارفعهم بنظر واليك ثم يقول له ان يروني (١٣٧) ولانها لو لم تكن جائزة لما أضر

موسى عليه السلام الرد عليهم بل كان يرد عليهم وقت قرع كلام سمعها فيه من التقرير على الكفر وهو عليه السلام بعث لتغييره لا لتقريره ألا ترى انهم لما قالوا له اجعل لنا الها كما لهم آله لم يجعلهم بل رد عليهم من ساعته بقوله انكم قوم تجهلون (جعل له دكا) مدكوكا مصدر بمعنى المفعول كضرب الامير والدق والدك اخوان دكاء جزء وعلى أي مستوية بالارض لأكمة فيها وناقعة دكاء لاسنام لها (وخر موسى صقعا) حال أي سقط مغشيا عليه (فلما أفاق) من صقعة (قال سبحانك تبت اليك) من السؤال في الدنيا (وأنا أول المؤمنين) بعظمتك وجلالك وبأنك لاتعطي الرؤى في الدنيا مع جوازها وقال الكعبي والاصم معنى قوله أرفى أنظر اليك أرفى آية أعلمك بها بطريق الضرورة كافي أنظر اليك لن تراني لن تطيق معرفتي به -

للجبل جعله دكا) قال ابن عباس ظهر نور به للجبل فصار ترابا واسم الجبل زبير وقال الضعفاك أظهر الله عز وجل من نور الحجب مثل مغزاة التور وقال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ما تجلي للجبل من عظمة الله تعالى الامتل سم الخياط حتى صار دكا وقال السدي ما تجلي الا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال هكذا أوضع الاحبار على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل ذكره البغوي هكذا ابفر سندا أخرجه الترمذي أيضا عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فلما تجلي به للجبل جعله دكا قال حماد هكذا أو أسك بطرف ابهامه على أنملة أصبعه الخني فساخ الجبل وخر موسى عليه السلام صقعا وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من حديث حماد بن سامة ويروي عن سهل بن سعد الساعدي ان الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نور اقدر الدرهم فجعل الجبل دكا يعني مستويا بالارض وقال ابن عباس جعله ترابا وقال سفيان ساخ الجبل حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه وقال عطية العوفي صار رملا هائلا وقال الكبي جعله دكا يعني كسرا جبالا صقارا وقيل انه صار لعظمة الله تعالى ستة أجبال فوقع ثلاثة بالمدنية وهي أحد وورقان ورضوى ووقع ثلاثة بمكة وهي نور وثير وخرأ وقال تعالى (وخر موسى صقعا) قال ابن عباس والحسن يعني مغشيا عليه وقال قتادة يعني ميتا والاول أصح لقوله (فلما أفاق) والميت لا فاقيه له انما يقال أفاق من غشيتة قال الكبي صقع موسى عليه الصلاة والسلام يوم الخميس وهو يوم عرفة وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر وقال الواقدي لما خر موسى صقعا قالت ملائكة السموات لابن عمران وسؤال الرؤى وفي بعض الكتب ان ملائكة السموات أنوا موسى وهو في غشيتة فجعلوا بركونه ويقولون يا ابن النساء الخيض اطعمت في رؤى قرب العزة فلما أفاق يعني من غشيتة ورجع عقله اليه وعرف انه سأل أمر اعظيا لا ينبغي له (قال سبحانك) يعني تنزيها لك من النقصان كلها (تبت اليك) يعني من مسئلتك الرؤى بغير ادراك وقيل من سؤال الرؤى في الدنيا وقيل لما كانت الرؤى بمخصوصة بمحمد صلى الله عليه وسلم فتحها قال سبحانك تبت اليك يعني من سؤالي ما ليس لي وقيل لما سأل الرؤى ومنعها قال تبت اليك يعني من هذا السؤال وحسنات الابراشيات المقر بين (وأنا أول المؤمنين) يعني بانك لا ترى في الدنيا وقيل وأنا أول المؤمنين يعني من بني اسرائيل بقي في الآية سوالات الاول ان الرؤى بعين النظر فكيف قال أرفى أنظر اليك وعلى هذا يكون التقدير أرفى حتى أراك والجواب عنه ان معنى قوله أرفى اجعلني متمكنا من رؤيتك حتى أنظر اليك وأراك السؤال الثاني كيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر لي حتى يكون مطابقا لقوله أنظر اليك والجواب ان النظر لما كان مقدمة الرؤى كان المقصود هو الرؤى لا النظر الذي لا رؤى معه السؤال الثالث كيف استدرك وكيف اتصل الاستدراك من قوله ولكن انظر الى الجبل بمقابله والجواب ان المقصود منه تعظيم أمر الرؤى وبان أحد الاقوي على رؤيته تعالى الامن قواه الله تعالى بموته وتأييده ألا ترى انه لما ظهر أثر التجلي للجبل اندك وتقطع هذا هو المراد من هذا الاستدراك لانه يدل على تعظيم أمر الرؤى وانه أعلم بمراده (قال ياموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) يعني قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام ياموسى اني

(١٨ - (خازن) - ثاني) الصفة ولكن انظر الى الجبل فاني أظهر له آية فان ثبت الجبل لتجليها واستقر مكانه فسوف تثبت لها وتطيق. وهذا فاسد لانه قال أرفى أنظر اليك ولم يقل اليها وقال لن تراني ولم يقل لن أرتب وكيف يكون معناه ان ترأيت وقد أراه أعظم الآيات حيث جعل الجبل دكا (قال ياموسى اني اصطفيتك على الناس) اخترتك على أهل زمانك (برسالاتي) هي أسفار التوراة برسالاتي بحجازي (وبكلامي) وبكلامي اياك

ذلك كون الرؤية في نفسها جائزة وإنما قلنا ذلك لانه تعالى عاقب رؤيته على استقرار الجبل وهو قوله تعالى (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) وهو أمر جائز الى جود في نفسه وإذا كان كذلك ثبت ان رؤيته جائزة الوجود لان استقرار الجبل غير مستحيل عند التعلي اذا جعل الله تعالى له قوة على ذلك والعلق باللا يستحيل لا يكون محالاً والله أعلم بمراده قال وهب ومحمد بن اسحق لمساءل موسى عليه الصلاة والسلام ربه عز وجل الرؤية بأمر الله تعالى والاسباب والحوادث والعدو والبرق والظلمة حتى أحاطت بالجبل الذي عليه موسى عليه الصلاة والسلام أو بع فراسخ من كل جانب وأمر الله تعالى أهل السموات ان يعترضوا على موسى عليه الصلاة والسلام فحُت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر تنديع أفواههم بالتسبيح والتقديس بصوات عظيمة كهوت الاعداء الشديدين فقال موسى رب اني كنت عن هذا غنيا ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى واعتصموا عليه فهبطوا عليه مثال الاسود لهم جلب بالتسبيح والتقديس ففرغ العبد الضعيف موسى بن عمران عما رأى وسمع واقتضت كل شعرة في رأسه وبذنه ثم قال لقد ندمت على مسئتي فهل ينجيني عما نافية مثني فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا موسى اصبر لمساءلت قليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة ان اهبطوا على موسى واعتصموا عليه فهبطوا عليه أمثال النور لهم صف ورجف وجلب شديد وأفواههم تنديع بالتسبيح والتقديس لهم جلب كجلب الجيش العظيم ألوانهم كاهب النار ففرغ موسى واشتد زعمه وأيس من الحياة فقال له خير الملائكة ورئيسهم مكانك يا ابن عمران حتى ترني ما لا يصبر لك عليه ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا على موسى فاعتصموا عليه فهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مرّوا قبلهم كاهب النار وساير خلقهم كالنحل الأبيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يبقار بهم شيء من أصوات الذين مرّوا به قبلهم فاصططت ركبتاه وأرعد قلبه واشتد بكاءه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران اصبر لمساءلت قليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا على موسى فاعتصموا عليه فهبطوا عليه لهم سبعة ألوان فلم يستطع موسى ان يذهبهم بصره ولم ير مثاهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوفه خوفا واشتد حزنه وكثر بكاءه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى ما لا يصبر عليه ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على موسى فاعتصموا عليه فهبطوا عليه وفي ذلك واحد منهم مثل النحلة العظيمة الطويلة النار أشد ضوءاً من الشمس ولباسهم كاهب النار اذ اسبحوا وقدموا جاوبهم من كان قبلهم من الملائكة كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبح قدوس رب العزة أبدا لا يموت في رأس كل ملك منهم أو بع أوجه فامارهم موسى عليه الصلاة والسلام رفع صوته يسبح معهم وهو يركب ويقول رب اذكري ولا تنس عبدك فلا أدري أنثأت مما نافية لم أن خربت احترقت وان أفت مت فقال له كبير الملائكة ورئيسهم قد أوشكت يا ابن عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر لاني سألت ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة فاما بदनور العرش انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى ورفعت الملائكة أصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة بديا بديا فارتفع الجبل لشدة أصواتهم واندك واندك كل شجرة كانت في وخر العبد الضعيف موسى صقاعا على وجهه ليس معه وجهه فارسل الله تعالى برحمته الروح ففتشته وقاب عليه الحجر الذي كان جالس عليه موسى فصار عليه كهيئة النقبة لئلا يحترق موسى عليه الصلاة والسلام وأقامت الروح عليه مثل اللامة فاما أفاق موسى قام يسبح ويقول أنت بك وصدقت أنه لا ربك أحد فبها ومن نظر الى ملائكتك انخل قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب ومالك الملوكة والاله العظيم لا يعبد لك شيء ولا يقوم لك شيء رب ثبت اليك الحمد لك لا مريم لك ما أعظمك وما أجلك يا رب العالمين فذلك قوله تعالى (فلما نجا ربه

بالسؤال بعين فأنى به بالعلم والنوال بعين باقية وهو دليل لنا أيضا لانه لم يقل ان أرى ليكون نقيا للجواز ولو لم يكن مرثيا لآخر به ليس يرى اذ الحلة حالة لحاجة الى البيان (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه) في على حاله (فسوف تراني) وهو دليل لنا أيضا لانه عاقب الرؤية باستقرار الجبل وهو يمكن وتعايق الشيء بما هو يمكن بدل على امكانه كانه تعليق بالممتنع بدل على امتناعه والدليل على انه يمكن قوله جل جلاله دكار لم يقل انك وما أوجهه تعالى كان جائز أن لا يوجد لولم يوجد لانه مختار في فعله ولا نه تعالى. آتسه عن ذلك ولا عاتبه عليه ولو كان ذلك محالاً لاتبه كعقاب نوحا عليه السلام بقوله اني أعظك أن تكون من الجاهلين حيث سأل انجاء ابنه من الفرق (فلما نجا ربه



(ولما جاء موسى لميقاتنا) يعني للوقت الذي وقتناه له أن يأتي فيه لمناجاتنا وهو قوله (وكلمه به) وفي هذه الآية دليل على أن الله عز وجل كلم موسى عليه الصلاة والسلام واختلف الناس في كلام الله تعالى فقال الزمخشري كلمه به عز وجل من غير واسطة كما يكلم الملك ونكلمه أن يخلق الكلام منطوقاً به في بعض الأجرام كما خلقه مخلوطاً في الألواح هذا كلامه وهذا مذهب المعتزلة ولا شك في بطلانه وفساده لأن الشجرة أو ذلك الجرم لا يقول اني انا لله لا اله الا انا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهب الحنابلة ومن وافقهم إلى أن كلام الله تعالى حروف وأصوات متقطعة وأنه قديم وذهب جمهور المتكلمين إلى أن كلام الله تعالى صفة مغايرة لهذه الحروف والأصوات وذلك الصفة قديمة أزلية والقاتلون بهذا القول قالوا أن موسى عليه الصلاة والسلام سمع تلك الصفة الأزلية الحقيقية وقالوا كأنه لا يبعد رؤيته وأنه وليست جسماء لا عرضاً كذلك لا يبعد سماع كلامه مع أن كلامه ليس بصوت ولا حرف ومذهب أهل السنة وجمهور العلماء من السلف والخلف أن الله تعالى متكلم بكلام قديم وسكتوا عن الخوض في تأويله وحقيقته قال أهل التفسير والأخبار للمجاهد موسى عليه الصلاة والسلام لميقات ربّه فظهر وطهر ثيابه وصام ثم أتى طوره وسبّاه وفي القصص أن الله تعالى أنزل ظله تغش الجبل على أربع فراسخ من كل ناحية وطرد عنه الشيطان وهوام الأرض ونحى عنه الملوك وكشط له السماء فرأى الملائكة قياماً في الهواء ورأى العرش بارزاً وأدنا به حتى سمع صريف الأقلام على الألواح وكلمه الله تبارك وتعالى وناجاه وأسمعه كلامه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلم الله تعالى به موسى فاستحلى كلام ربّه عز وجل واشتاق إلى رؤيته (قال رب أرني أنظر إليك) قال الزجاج فيه إخصار تقديره أرني نفسك أنظر إليك وقال ابن عباس معناه أعطني أنظر إليك وأغاسأل موسى عليه الصلاة والسلام الرؤبة مع علمه بأن الله تعالى لا يرى في الدنيا لما حاج به من الشوق وقاض عليه من أنواع الجلال حتى استغرق في بحر المحبة فعند ذلك سأل الرؤبة وقيل أغاسأل الرؤبة ظناً منه بأنه تعالى يرى في الدنيا فتعالى الله عن ذلك (قال لن تراني) يعني ليس لبشر أن يراني في الدنيا ولا يطبق النظر إلى في الدنيا ومن أنظر إلى في الدنيا مات فقال موسى عليه الصلاة والسلام الهى سمعت كلامك فاشتقت إلى النظر إليك ولأن أنظر إليك ثم أموت أحب إلى من أن أعيش ولا أراك وقال السدي لما كلم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام غاص عدو الله إبليس الخبيث في الأرض حتى خرج من بين قدمي موسى فوسوس إليه أن مكلمك شيطان فعند ذلك سأل موسى عليه الصلاة والسلام رب الرؤبة فقال رب أرني أنظر إليك قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام لن تراني

وفصل ﴿وقد تمسك من نفي الرؤبة من أهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة بظاهر هذه الآية وهو قوله تعالى لن تراني قالوا لن تكون للتأييد والرداء ولا حجة لهم في ذلك ولا دليل ولا شهدهم في ذلك كتاب ولا سنة وما قالوه في أن لن تكون للتأييد خطأ بين ودعوى على أهل اللغة أن ليس بشهد لما قالوه نص عن أهل اللغة والعربية ولم يقل به أحد منهم وبدل على محبة ذلك قوله تعالى في صفة اليهود ولن يتموه أقدامهم أنهم يمتنون الموت يوم القيامة بدل عليه قوله تعالى ونادوا يا مالك ليقتض عليمنا بك وقوله يا ليتنا كانت القضية فإن قالوا أن لن معناها تأكيد النفي كما التني في المستقبل قلنا أن سمع هذا التأويل فيكون معنى لن تراني يحول على الدنيا إلى لن تراني في الدنيا جمعاً بين دلائل الكتاب والسنة فإنه قد ثبت في الحديث الصحيح أن المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة في الدار الآخرة وأيضاً فإن موسى عليه الصلاة والسلام كان عارفاً بالله تعالى وما يجب ويجوز ويتع على الله عز وجل وفي الآية دليل على أنه سأل الرؤبة فلو كانت الرؤبة بمنعته على الله تعالى لما سألها موسى عليه الصلاة والسلام فثبت سألها علمنا أن الرؤبة جائزة على الله تعالى وأيضاً فإن الله عز وجل علّق رؤيته على أمر جائز والمعلق على الجائر جائز فيلزم من

(ان هؤلاء) يعني عبدة تلك التماثيل (متبر) مهلك من التبار (ماهم فيه) أي يتبرأ الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على بدى وفي ايقاع هؤلاء  
 اسمالان وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرها واسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وأنه لا يهدوهم البتة (وباطل ما كانوا يعملون)  
 أي ما عملوا من عبادة الاصنام (١٣٤) باطل، ضم محل (قال أغبر الله أبنيكما لها) أي أغبر المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا

(وهو فضلكم على العالمين) الله هذا كقَالَ قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة والذي نفسي بيده اتركبن منين من كان قبلكم أخرجه  
 الترمذي ﴿ وقوله تعالى (ان هؤلاء متبر ما هم فيه) أي مهلك والتبر التبريد الاهلاك (و باطل ما كانوا يعملون)  
 البطالان عبارة عن عدم الشيء ما به دانه أو بضم فائه ترفعهم والمراد من بطلان عملهم أنه لا يعود عليهم  
 من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضرر لانه عمل الغير الله تعالى فكان باطلا لا نفع فيه (قال أغبر الله أبنيكما لها)  
 لما قال بنو اسرائيل لموسى عليه الصلاة والسلام اجعل لنا إلها كما لهم آلهة تحكم عليهم بالجمالة وقال مجيد الهام  
 على سبيل التعجب والانسكار عليهم أغبر الله أبنيكما لها يعني أطلب لكم وأبغى لكم إلها (وهو فضلكم على  
 العالمين) والمعنى أن الاله ليس هو شيأ يطلب ويستمس بل الاله هو الذي فضلكم على العالمين لانه  
 القادر على الانعام والافضل فهذا هو الذي يستحق أن يعبد ويطاع لعبادة غيره ومعنى قوله فضلكم على  
 العالمين يعني على عالمي زمانكم وقيل فضلهم بما خصهم به من الآيات الباهرة التي لم تحصل لغيرهم وان كان  
 غيرهم أفضل منهم ﴿ قوله عز وجل (واذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون  
 أبناءكم ويستحيون نساءكم ذى ذلكنم بلاع من ربكم عظيم) هذه الآية تقدم نفسها في سورة البقرة  
 والفائدة في ذكرها في هذا الموضع أنه تعالى هو الذي أنعم عليكم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم  
 الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ﴿ قوله عز وجل (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة)  
 يعني وواعدنا موسى عليه الصلاة والسلام لئلا نجاءنا ثلاثين ليلة وهي ذوالقعدة (وأعظمها بعشر) يعني عشر  
 ذي الحجة وهذا قول ابن عباس ومجاهد قال المفسرون ان موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني اسرائيل اذا  
 أهلك الله تعالى عدوهم فرعون أن يأتيهم بكتاب من عند الله عز وجل فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما  
 أهلك الله تعالى فرعون سأل موسى به عز وجل أن ينزل عليه الكتاب الذي وعد به بني اسرائيل فأمره  
 أن يصوم ثلاثين يوما فصامها فأنعمت أنكر خلو في ففسقك يعود خنوب وقيل بل أكل من ورق الشجر  
 فقالت الملائكة كذا انهم من فيك راحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله أن يصوم عشرين ذي الحجة  
 وقاله أنا علمت أن خالو فيم الصائم أطيب عندي من ريح المسك فكانت فتنة بني اسرائيل في تلك العشر  
 التي زادها الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام وقيل أن الله تعالى أمر موسى عليه الصلاة والسلام ان  
 يصوم ثلاثين يوما يعمل فيها ما يتقرب به الى الله ثم كلمه وأعطاه الألواح في العشر التي زادها فلما ذاق  
 وأعظمها بعشر وهذا التفصيل الذي ذكره هنا هو تفصيل ما أجله في سورة البقرة وهو قوله تعالى واذا وعدنا  
 موسى أربعين ليلة فذكره هناك على الاجمال وذكره هنا على التفصيل ﴿ وقوله تعالى (فتم ميقات ربه  
 أربعين ليلة) يعني فتم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى عليه الصلاة والسلام وعبادته أربعين ليلة لان  
 الميقات هو الوقت الذي قدر أن يعمل فيه عمل من الاعمال ولهذا قيل مواقيت الحج (وقال موسى لأخيه  
 هرون اخلفني في قومي) يعني كني أنت خليفتي فيهم من يهدى حتى أرجع اليك (وأصلح) يعني وأصلح أمور  
 بني اسرائيل واجامهم على عبادة الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما غير بدل الفرق بهم والاحسان اليهم  
 (ولا تتبع سبيل المفسدين) يعني ولا تألك طريق المفسدين في الارض ولا تطعمهم والمقصود من هذا الامر  
 التأكيد لان هرون عليه الصلاة والسلام لم يكن ممن يتبع سبيل المفسدين فهو كقوله ولكن ابطمن قلبي

(وهو فضلكم على العالمين) حال أي على عالمي زمانكم (واذ أنجيناكم من آل فرعون) أنجياكم شامى (يسومونكم سوء العذاب) يغنونكم شدة العذاب (من سام السعة اذ طلبها وهو استثناف لا محل له أو حال من المحاطين أي من آل فرعون) يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم (يقتلون نافع (وفي ذلكم) أي في الانجاء أوفى العذاب (بلاء) نعمة أو محنة (من ربكم عظيم وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) لاعطاء التوراة (وأعظمها بعشر) روى أن موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان أهلك الله عدوهم أنعم بكتاب من عند الله فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوما وهي شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلو في ففسقك فأوحى الله اليه أنا علمت أن خالو فيم الصائم أطيب عندي من ريح المسك فأمره أن يصوم عشرين ذي الحجة فلما ذاق

وكقولك

أيام من ذي الحجة لذلك (فتم ميقات ربه) ما وقت له من الوقت وضرب له (أربعين ليلة) نصب على

الحال أي تم بالفاضة العدد ولقد أجل ذكر الاربعين في البقرة وفضلها هنا (وقال موسى لأخيه هرون) هو عطف بيان لأخيه (اخلفني في قومي) كني خليفتي فيهم (وأصلح) ما يجب أن يصلح من أمور بني اسرائيل (ولا تتبع سبيل المفسدين) ومن دعاك منهم الى الفساد فلا تتبعه ولا تطعه

اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام (مشارق الارض ومغارها) يعني أرض مصر والشام (التي باركنافها) بالخطب وسعة لار زاق وكثرة الانهار والاشجار (ومت كلمتر بك الحسنى على بنى اسرائيل) هو قوله عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض أو يورث أن يمن على الذين استضعفوا في الارض (١٣٣)

ثابت الاحسن صفة للكلمة وعلى صلة أى مضت عليهم واسقرت من قولك تم على الامر اذ مضى عليه (بما صبروا) بسبب صبرهم وحسبك به حائنا على الصبر ودال على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر ضمن الله له الفرج (ودمرنا) أهلكتنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من العمارات وبناء القصور (وما كانوا يعرشون) من الجنات أو ما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وبضم الراء شامى وأبو بكر وهذا آخر قصة فرعون والقبط وتكديهم بآيات الله ثم أتبعه قصة بنى اسرائيل وما أحدثوه بعد انقاذهم من فرعون ومعاينتهم الآيات العظام ومجادتهم البحر من عبادة البقر وغير ذلك ليسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمآرة من بنى اسرائيل بالدينه (وجاؤنا بنى اسرائيل البحر)

فقتلوا بنائهم واستخدموهم فصرهم مستضعفين تحت أيديهم (مشارق الارض ومغارها) يعني أرض الشام ومصر وأراد بمشارقها ومغارها جميع جهاتها ونواحيها وقيل أراد بمشارق الارض ومغارها الارض المقدسة وهو بيت المقدس وما يليه من الشرق والغرب وقيل أراد جميع جهات الارض وهو اختيار الزجاج قال لان داود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهما كانا من بنى اسرائيل وقدم ملكا لارضهم وقوله عز وجل (التي باركنافها) يدل على أنها الارض المقدسة يعني باركنافها بالثمار والاشجار والزرع والخطب والسعة (ومت كلمتر بك الحسنى على بنى اسرائيل) يعني وتمت كلمة الله وهي وعدهم بالنصر على هدوهم وانتمكين في لارض من بعدهم وقيل كلمة الله هي قوله عز وجل أن يمن على الذين استضعفوا في الارض الآية والحسنى صفة للكلمة وهي ثابت الاحسن وغناه التجاوز ما وعدهم به من تمكنه في الارض واهلاك عدوهم (بما صبروا) يعني انما حصل لهم ذلك النجاة وهو ما أنعم الله تعالى به عليهم من انجاز وعده لهم بسبب صبرهم على دينه وأذى فرعون لهم (ودمرنا) يعني وأهلكنا والعمار من الهلاك باستئصال (ما كان يصنع فرعون وقومه) في أرض مصر من العمارات والبنان (وما كانوا يعرشون) يعني يسقمون من ذلك البنان وقال مجاهد ما كانوا يبنون من البيوت والقصور وقال الحسن وما كانوا يعرشون من الثمار والاعناب وقوله عز وجل (وجاؤنا بنى اسرائيل البحر) هي وقفتنا بنى اسرائيل البحر بعد هلاك فرعون وقومه واغراقهم فيه يقال جارا لادى وجاؤنا اذ قطعهم وخلفهم وراء ظهرهم وقال الكلبي عبر موسى البحر يوم عاشوراء بعد هلاك فرعون وقومه فصامه شكر الله تعالى (فانوا على قوم يعكفون على أصنامهم) يعني فر بنوا اسرائيل بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون أى يقفون ويواظبون على أصنامهم لهم يعني تمثال لهم كانوا يعبدونها من دون الله قال ابن جرير كانت تلك الاصنام تمثال بشر وذلك أول شأن الجبل وقال قتادة كان أولئك القوم من نهم وكانوا زولا بالقرعة يعني بالقرعة ساحل البحر وقيل كان أولئك الاقوام من الكهنة الذين أمر موسى عليه الصلاة والسلام بقتلهم (قالوا) يعني قال بنو اسرائيل لموسى لما رأوا ذلك التمثال (يا موسى اجعل لنا الها كهاهم آلهة) يعني كهاهم أصنام يعبدونها ويعظمونها فاجعل لنا آتالها نعبده ونعظمه قال البغوي رجه الله ولم يكن ذلك شكاً من بنى اسرائيل في وحدانية الله تعالى وانما معناه اجعل لنا شيا نعظمه وننقر بتعظيمه الى الله تعالى وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم وقال غيره هذا يدل على غيا جهل بنى اسرائيل وذلك انهم توهّموا أنه يجوز عبادة غيره الله تعالى بعد ما رأوا الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وكما قدرته وهي الآيات التي نوات على قوم فرعون حتى أغرقهم الله تعالى في البحر بكفرهم وعبادتهم غير الله تعالى فخلعهم جهلهم على أن قالوا انبهم موسى عليه الصلاة والسلام اجعل لنا الها كهاهم آلهة فرد عليهم موسى عليه الصلاة والسلام بقوله (قال انكم قوم تجهلون) يعني تجهلون عظمة الله تعالى وانه لا يـستحق أن يعبد سواه لانه هو الذى أنجاكم من فرعون وقومه فأغرقهم في البحر وأنجاكم منه عن أى واقدا لا يرضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزة وحزن مر بشجرة للشركين كانوا يعاقبون عليها أسلمحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كهاهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان

يوم عاشوراء بعد ما هلك الله فرعون وقومه فصامه وشكر الله (فانوا على قوم) فر واعليمهم (يعكفون على أصنامهم) يواظبون على عبادتها وكانت تمثال بشر وبكر الكاف حزة وعلى (قالوا يا موسى اجعل لنا الها) صما تكف عليه (كهاهم آلهة) أصنام يعكفون عليها وما كفة للكاف ولذلك وقعت الجلة بعده اقال يهودى الى رضى الله عنه اختلفتم بعد نبيكم قيل أن نجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا اله ولم نجف أفداسكم (قال انكم قوم تجهلون) تعجب من قولهم على أن ما رأوا من الآية العظمى فوسفهم بالجهل المطلق وأكده

(والجراد) فاكلت زرعهم وعمارهم وسقوف بيوتهم ونيابهم ولم يدخل موت بني اسرائيل منها شيئا (والقمل) وهي الدبى وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والبراغيث أو  
(١٣٢) كبار القردان (والضفادع) وكانت تقم في طعامهم وشربهم حتى

سبعة أيام لا يشربون الا الدم وقال زيد بن اسلم ان الدم الذى سطا الله عز وجل عليهم كان الرعاف فانوا موسى عليه الصلاة والسلام وشكوا اليه ما يلقون وقالوا ادع لنار بك يكشف عنا هذا الدم فعرض يؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعوا موسى عليه الصلاة والسلام به فكشف عنهم ذلك فلم يؤمنوا وذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان (والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات) يعنى يتبع بعضها بعضا ونصف ليهان كل عذاب كان يقوم عليهم أسبوعا أو بين كل عذابين مدة شهر (فاستكبروا) يعنى عن الايمان فلم يؤمنوا (وكانوا قوما مجرمين) يعنى آل فرعون (وقوله تعالى) (ولما وقع عليهم الرجز) يعنى ولما نزل بهم العذاب الذى ذكره في الآية المتقدمة من الطوفان وما بعد وقال سعيد بن جبير الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التى تقدمت فزل بهم الطاعون حتى مات منهم في يوم واحد سبعون ألفا قاسموا وهم لا يتدافعون (ق) عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما طاعون رجزا أرسل على طائفة من بنى اسرائيل وأعلى من كان قبلكم فإذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه وادوا وقع بارض وأتتهم بها فلانخرجوا فرار منهم (وقوله تعالى) (قالوا يا موسى ادع لنار بك بمعاهد عندك) يعنى بمأواذك وقيل بمأناك وقيل بمعاهد عندك لمن اجابه دعوتك (لئن كشفت عذاب الرجز) يعنى العذاب الذى وقع بنا (لنؤمن لك واترسلنا) معك بنى اسرائيل) يعنى لنصدق بما جئت به ولنخلى بين بنى اسرائيل حتى يذهبوا حيث شاؤوا (فلما كشفنا عنهم الرجز) يعنى بدعوة موسى عليه الصلاة والسلام (الى أجل هم باله) يعنى الى الوقت الذى أجل لهم وهو وقت اهلا كههم بالفرق في اليم (إذا هم ينكتون) يعنى إذا هم ينقضون العهد الذى التزموه فلم يفوا به واعلم ان ما ذكره الله تعالى في هذه الآيات هي معجزات في الحقيقة الدالة على صدق موسى عليه الصلاة والسلام ووجه ذلك أن العذاب كان مختصا بالفرعون دون بنى اسرائيل فاختصاصه بالقبلى دون الاسرائيل معجز وكون بنى اسرائيل في أمان منه عافية وقوم فرعون في شدة وعذاب وبلاء مع اتحاد المساكن معجز أيضا فان اعترض معترض وقال ان الله تعالى علم من حال آل فرعون أنهم لا يؤمنون بتلك المعجزات فما الفائدة في تواليها عليهم واظهار الكثير منها فالجواب على مذهب أهل السنة أن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وأما على قول المعتزلة في رعاية الصلحة فلعله تعالى علم من قوم فرعون ان بعضهم كان يؤمن بتولى تلك المعجزات وظهورها فلذلك السبب والاهاء عليهم والله أعلم بمراده (وقوله عز وجل) (فانتقمنا منهم) يعنى كافأناهم عقوبة لهم على سوء صنيعهم وأصل الانتقام في اللغة سلب النعمة بالعذاب (فاغرقناهم في اليم) والمعنى أن الله تعالى لما كشف عنهم العذاب مرارا فلم يؤمنوا ولم يرجعوا عن كفرهم فلما سلبوا الاجل الذى أجل لهم انتقم منهم بان أهلكهم بالفرق فذلك قوله فاغرقناهم في اليم يعنى في البحر واليم الذى لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه قال الازهرى اليم معروف لفظه سر باية عربتها العرب ويقع اسم اليم على البحر الملح والبحر العذب وبدل على ذلك قوله تعالى فاغرقه في اليم والمادة بيل مصر وهو عذب (بانهم كذبوا بآياتنا) يعنى أهلكناهم وأغرقناهم بسبب انهم كذبوا بآياتنا الدالة على وحدانيتنا وصدق نبينا (وكانوا نعيا) يعنى عن آياتنا (غافلين) يعنى معرضين وقيل كانوا عن حلول النعمة بهم غافلين ولما كان الاعراض عن الآيات وعدم الالتفات اليها كالغفلة عنها سوا غافلين تجوز الان الغفلة ليست من فعل الانسان (وقوله عز وجل) (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) يعنى ومكننا القوم الذين كانوا يهترون ويغلبون على أنفسهم وهوان فرعون وقومه كانوا قد تسلطوا على بنى اسرائيل

إذا تكلم الرجل تقع في فيه (والدم) أى الرعاف وقيل مياههم انقلب دما حتى ان القبلى والاسرائيلى إذا اجتمعا على اناة فيكون ما يلى الاسرائيلى ماء وما يلى القبلى دما وقيل سال عليهم النيل دما (آيات) حال من الاشياء المذكورة (مفصلات) مبيئات ظاهرات لا يشك على عاقل أهمان آيات الله أو مقررات بين كل آيتين شهر (فاستكبروا) عن الايمان بموسى (وكانوا قوما مجرمين) ولما وقع عليهم الرجز العذاب الاخير وهو الدم أو العذاب المذكور واحد بعد واحد (قالوا يا موسى ادع لنار بك بمعاهد عندك) ما مصدرية أى بهمه عندك وهو النبوة والباء تتعلق بادع أى ادع الله لتأموسلا اليه بعده عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن وترسلن معك بنى اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز إلى حد من الزمان (هم بالغوه) لاحتالة فرعون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله (إذا هم ينكتون) جواب لما أى

فلما كشفنا عنهم ما جأوا اليك ولم يؤخروا (فانتقمنا منهم) هو ضد الانعام كان العقاب هو ضد الثواب (فاغرقناهم في البحر) هو البحر الذى لا يدرك قعره وهو لجة البحر ومعظم مائه واستقامه من التيم لان المشتبهين به يقصدونه (بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا نعيا غافلين) أى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكريهم فيها (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) هم بنو

فدعا موسى ربه عز وجل فكشف الله عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت وفي الخبر  
مكتوب على صدر كل جراد جنة الله الأعظم ويقال أن موسى عليه السلام خرج إلى الفضاء فاشار بعصاه  
نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد من حيث جاء وكان قد بقي من زروعهم وعارهم بقية فقالوا قد بقي لنا  
ما هو كافينا نحن بتاركى دننا فلم يؤمنوا ولم يوفوا بما عاهدوا عليه وعادوا إلى أعمالهم الخبيثة فأتاهم واشهرها  
في عافية ثم بعث الله عز وجل عليهم القمل واختلفوا فيه فرأى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله  
عنهما أن القمل هو السوس الذي يخرج من الخنطة وقال مجاهد وقتادة والسدى والكلبي القمل الذي وهو  
صفار الجراد الذي لا أجنحة له وقال أبو عبيدة هو الجنان وهو ضرب من الجراد وقال عطاء الخراساني هو  
القمل نفسه وكان الحسن يقرأ بفتح القاف وسكون الميم قال أصحاب الأخبار أمر الله عز وجل موسى عليه  
الصلاة والسلام أن يعنى إلى كتيب رمل أعقر بقرية من قرى مصر تسمى عين الشمس فشئ إلى ذلك  
الكتيب فصر به بعصاه فانها لم عليهم القمل فتنبع ما بقى من حروثهم وزروعهم ونثارهم فأكلها كلها وحس  
الأرض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيعضه فإذا أكل أحدهم طعاما امتلأ قلا قال سعيد بن  
المنسب القمل السوس الذي يخرج من الحبوب وكان الرجل منهم يخرج بعشرة أجرة إلى الرحي فلا يرد  
بها ثلاثة أقفز فلم يصابوا بلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذت أشعارهم وأبشارهم وحواجرهم وأشفار  
عيونهم ولزم جلودهم كانه الجسد رى عليهم ومنهم النوم والقرار فصرخوا بموسى أن انتوب فادع النار بك  
يكشف عنا هذا البلاء فدعا موسى ربه فرفع الله عنهم القمل بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى  
السبت فتكنوا بعد ذلك ورجعوا إلى أختب ما كانوا عليه من الأعمال الخبيثة وقالوا ما كنا نأق أحق أن  
نستيقن أنه سبحانه اليوم يجعل الرمل دواب فدعا موسى عليهم بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى  
الضفادع فامتلا منها بيوتهم وأقبيتهم وأطمعتهم وأنتهم فلا يكشف أحداناه ولا طعاما الأوج فيه  
الضفادع وكان الرجل منهم يجلس في الضفادع فتبلغ إلى حلقه فإذا أراد أن يتكلم شب الضفدع فيدخل  
في فيه وكانت تشب في قدورهم فتفسد طعامهم عليهم وتطعمي نيرانهم وكان أحدهم إذا اضطجع ركبته  
الضفادع حتى تكون عليه كما فلا يستطيع أن ينقلب إلى شقه الآخر وإذا أراد أن يأكل سبعة الضفادع  
إلى فيه ولا يجن أحدهم بحميا الامتلاء ضفادع ولا يفتح قدر الامتلاء ضفادع فلقوا من ذلك بلاء شديدا  
وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت الضفادع برة فلما أرسلها الله عز وجل على آل  
فرعون سمعت وأطاعت وجعلت تغدق بانفسها في القدور وهي تغلى على النار وفي التناخير وهي تغور  
إنها الله عز وجل يحسن طاعتها برد الماء فلما رآوا ذلك بكوا وشكوا إلى موسى عليه الصلاة والسلام ما يلحقونه  
من الضفادع وقالوا هذه الملة تتوب ولا تعود فأخذ موسى عليه السلام عليهم العهد والمواثيق ثم دعا الله  
عز وجل فكشف عنهم الضفادع بعدما أقامت عليهم سبعين السبب إلى السبت فاقاموا شهر في عافية ثم نقضوا  
العهد وعادوا إلى كفرهم فدعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام فإرسل الله عز وجل عليهم الدم فقال النيل  
عليهم دما عبيطاً وصارت مياههم كالدما وكل ما يستقون من الآبار والأنهار يجدونه دما عبيطاً فشكوا  
ذلك إلى فرعون وقالوا ليس لنا شراب إلا الدم فقال سحركم فقالوا من أين يسحرنا ونحن لا نجد في أو عيتنا  
شيئاً من الماء إلا دما عبيطاً فكان فرعون يجمع بين القبطي والأمري إلى على إناه وأحد فيكون ما يلي  
الأمري إلى على وما يلي القبطي دما وبفرغان الجرعة فيها الماء فيخرج للقبطي دما ولا سرائيل إلى على ما يلي  
المرأة من آل فرعون تأتي إلى المرأة من بني إسرائيل حين جهدهم العطش فتقول لها استقي من مائك فتصب  
لها في قربتها فيصير في إناه دما حتى كانت تقول اجعلي في فيك ثم يجيء في في فتفعل ذلك فيصير دما ثم إن  
فرعون اعتراه العطش حتى أنه يضطر إلى مضغ الإشجار الرطبة فإذا مضغها صار ماء فاشربوا ما مضغوا على ذلك

حتى قاموا في الماء إلى  
نراقبهم فن جلس غرق  
ولم يدخل بيت بني  
إسرائيل من الماء قطرة أو  
هو الجردى أو الطاعون

(فأجابهم الحسنة) الصحة والخصب (قالوا لانهذه) أي هذه التي نستحقها (وان تصهم سيئة) جذب ومرض (يطبروا) أسهله وتطبروا  
فادغمت التداء في الطاء لانهما من (١٣٠) طرف اللسان وأصول التنايا (بجوسى ومن معه) تشاء مواهبهم وقالوا هذه بشؤمهم

انهم عند نزول العذاب وتلك المحن عليهم والسدد لم يزادوا الا نردوا وكفر افعال تعالى (فأجابهم الحسنة)  
يعنى الغيث والخصب والسعة والعافية والسلامة من الآفات (قالوا لانهذه) أى نحن مستحقون لها ونحن  
أهلها على العادة التي جرت اننا في سعة الارزاق وصحة الابدان ولم يردنا ذلك من فضل الله عليهم فيشكروا على  
انعامه (وان تصهم سيئة) يعنى القحط والجذب والمرض والبلاء ورأى ما يكرهون في أنفسهم (يطبروا)  
يعنى يتشاءموا أصله يطبر يطبروا وان تطير التشاؤم في قول جميع المفسرين (بجوسى ومن معه) يعنى انهم قالوا  
ما أصابنا بلاء الا حين رأيناهم وما ذلك الا بشؤم موسى وقومه قال سعيد بن جبيرة ومحمد بن المنكدر كان ملك  
فرعون أر بعنة سنة وعاش ستائة وعشرين سنة لم يركر وهاطق ولو كان حصل له في تلك المدة جوع يوم  
أو حى ليلة أو جوع ساعة لما ادعى الرب بية فقط (الأنما طأطأهم عند الله) يعنى ان نصيبهم من الخصب  
والجذب والخير والشر كله من الله قال ابن عباس رضى الله عنهما طأطأهم ما قضى لهم وقدر عليهم من عند الله  
وفي رواية عنه شؤمهم عند الله تعالى ومعناه انه أعاجبهم بكفرهم بالله وقيل الشؤم العظيم هو الذى لهم  
عند الله من عذاب النار (ولكن أكرمهم لا يعلمون) يعنى ان ما أصابهم من الله تعالى وانما قال أكرمهم  
لا يعلمون لأن أكثر الخلق يضيئون الحوادث الى الاسباب ولا يضيئونها الى القضاء والقدر قوله تعالى  
(وقالوا) يعنى قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام (مهما تأنابنا من آية) يعنى من عند ربك فهى  
عندنا سحر وهو قولهم (لتسحرنا بها) يعنى لتصرفنا عما نحن عليه من الدين (فما نحن لك بمؤمنين) يعنى  
بمصدقين وكان موسى عليه الصلاة والسلام رجلا حليدا مستجاب الدعوة فدعا عليهم فاستجاب الله عز وجل  
دعاه فقال تعالى (فارسنا عابهم الطوفان) قال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبيرة وقادة  
ومحمد بن اسحق دخل كلام بعضهم في بعض قالوا لما أمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبى هو وقومه  
الا الاقامة على الكفر والتمادى في الشرف تابع الله عز وجل عليهم الآيات فأخذهم أولابا لسنين وهو  
القحط ونقص الثمرات وأرأهم قبيل ذلك من المعجزات اليد والعاف لم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يارب  
ان عبدك فرعون علفى الارض وبني عتاروان قومه قد نقصوا العهد رب نخذهم بقوتى تجعلها عليهم  
نقمة ولقوى عظة ولن بعدهم آية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء فارسل الله عليهم المطر من السماء  
وبيوت بنى اسرائيل وبيوت القبط مختلطة مشبكة قامت ثلاث بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم  
ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بنى اسرائيل شئ وركد الماء على أرضهم فلم يقدروا  
على التحرك ولم يعملوا شيئا ودام ذلك الماء عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وقال مجاهد وعطاء الطوفان  
الموت وقال وهب الطوفان الطاعون بلغة أهل اليمن وقال أبو قتادة الطوفان الجدرى وهم أول من عذوباه  
ثم بقى في الارض وقال مقاتل الطوفان الماء طفا فوق حروثهم وفي رواية ابن عباس رضى الله عنهما ما ان  
الطوفان أمر من الله عز وجل طاف بهم فعند ذلك قالوا يا موسى ادع لنار بك يكشف عنا هذا المطر فنحن  
نؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا موسى عليه الصلاة والسلام به فرفع عنهم الطوفان وأنبأ الله لهم  
ذلك السنه شاماً لبنته قبيل ذلك من السكلا والزرع والتمر وأخضبت بلادهم فقالوا ما كان هذا الماء الانعمة  
علينا فلم يؤمنوا وأقاموا شهرافى عافية فبعث الله عليهم الجراد فاكل عمامة زرعهم وثمرهم وورق الشجر  
وأكل الابواب وسقوف البيوت والخشب والنبات والامتنعوا كل المساء برا الحد يذفى الابواب وغيرها  
وابنى الجراد الجوع فكان لا يشبع وامتنعت دور القبط منه لم يصب بنى اسرائيل من ذلك شئ فجحوا  
وضجوا وقالوا يا موسى ادع لنار بك اتن كسفت عنا هذا الرجل لنؤمن لك وأعطوه عهد الله وميثاقه بذلك  
بنالك استهزاء (فارسنا

ولولا مكانهم لما أصابنا وانما  
دخل اذ فى الحسنة وعرفت  
الحسنة وان فى السيئة  
ونكرت السيئة لان جنس  
الحسنة وقوعه كالكاثر  
لكثرته وأما السيئة فلا تقع  
الا فى الندرة ولا يقع الا شئ  
منها (الأنما طأطأهم) سبب  
خيرهم وشرهم (عند الله)  
فى حكمه ومشيئته والله هو  
الذى يقدر ما يصيبهم من  
الحسنة والسيئة قل كل من  
عند الله (ولكن أكرمهم  
لا يعلمون) ذلك (وقالوا  
مهما تأنابنا من آية  
لتسحرنا بها) فما نحن لك  
بمؤمنين أصل مهمامنا  
فما الأولى للجزاء ضمت  
اليها المالمزيدة المؤكدة  
للجزاء فى قولك متى ما  
تخرج أخرج أينا تكونوا  
فما تذهب بك الا ان الاثنت  
قلت هاء استقلا لكثر  
التجانسين وهو المذهب  
السديد البصرى وهو فى  
موضع النص بتأنا أى  
أيا شئ ومن آية تبين لهما  
والضمير فى به وهما راجع  
الى مهمما لان الأولى ذكر  
على اللفظ والثانى أت على  
المعنى لهما فى معنى الآية  
وانما سموها آية اعتبارا  
لتسمية موسى أو قصدوا  
بنالك الاستهزاء (فارسنا

عليهم الطوفان) مطاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل قيل طفا الماء فوق حروثهم  
وذلك انهم مطروا ثمانية أيام فى ظلمة شديدة لا يرون شمس ولا قمر ولا يقدرون احد أن يخرج من داره وقيل دخل الماء فى بيوت القبط



وانافوقهم قاهر (ون) سنفقل تخجزي أى سنعيد عليهم قتل الابناء ليعلموا اناعلى ما كناعليهم من الغلبة والقهر وانهم مفقرون تحت أيدينا كما كانوا ولايتوهم العامة اياه هو المولد الذى تحدث المنجمون بذهاب ملكنا على يده فيسبهم ذلك عن طاعتنا وبدوهم الى اتباعه (قال موسى لقومه استمعوا لى الله واصبروا) قال لهم ذلك حين جزعوا من قول فرعون سنفقل ابناءهم نسليه لهم ووعدا بالصر عليهم (ان الارض) اللام للعهد أى أرض مصر والجنس فيتناول أرض مصر تناولا اوليا (لله بورنهامن يشاء من عاده) فيه متمية يابهم أرض مصر (والعاقبة للمتقين) بشاره بان الحاة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط (١٢٩) وأخيت هذه الجلة عن الواو لانه جلة

مستأنفة بخلاف قوله وقال الملا لانها معطوفة على ما سبقها من قوله قال الملا من قوم فرعون (قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئنا) بعنوت قتل أبنائهم قبل مولد موسى إلى أن استفي وأعادته عليهم بعد ذلك وذلك اشتكاه من فرعون واستبطاه لوعده النصر (قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض) تصرح بعارض اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في أرض مصر ينظر كيف تعملون) فيرى الكائن منكم من العمل حسنة وقيبحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان وطلب المصور

عباس رضى الله عنهما كان قد ترك القتل في بني اسرائيل بعد ما ولد موسى فلما جاءهم موسى بالرسالة وكان من أمره ما كان قال فرعون أعبدوا عليهم القتل فاعادوا القتل على بني اسرائيل والمعنى ان فرعون قال انما يتقوى موسى بقومه فعن نسي في قتله لعدو قومه بالقتل لشوكته ثم بين فرعون انه قادر على ذلك بقوله (وانافوقهم قاهر)ون) يعنى بالغلبة والقدره عليهم. ولما نزل بني اسرائيل منازل لشكوا الى موسى منازل بهم (قال موسى لقومه) يعنى لما شكوا اليه (استمعوا لى الله واصبروا) يعنى استمعوا لى الله على فرعون وقومه فيها نزل بكم من البلاء فان الله هو السكا فيكم واصرروا على ما املككم من المكافاة في أنفسكم وأبناكم (ان الأرض لله) يعنى أرض مصر وان كانت الأرض كلها لله تعالى (بورنهامن يشاء من عباد) وهذا اطماع من موسى عليه الصلاة والسلام لبني اسرائيل ان يهلك فرعون وقومه ويملك بنو اسرائيل أرضهم وبلادهم بعد اهلاكهم وهو قوله تعالى (والعاقبة للمتقين) يعنى ان النصر والظفر للمتقين على عدوهم وقيل أراد الجنة يعنى ان عاقبة المتقين الصابرين الجنة (قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئنا) قال ابن عباس رضى الله عنهما لما آمنت السحرة بتبع موسى ستمائة ألف من بني اسرائيل والمعنى أن بني اسرائيل لما سمعوا ما قاله فرعون ووعدهم به من القتل مرة ثانية قالوا لموسى قنا أؤذينا من قبل أن تأتينا يعنى بالرسالة وذلك ان بني اسرائيل كانوا مستضعفين في يد فرعون وقومه وكان يستعملهم في الاعمال الشاقة الى نصف النهار فلما جاء موسى بالرسالة وسرى ما جرى شدد فرعون في استعمالهم فكان يستعملهم جميع النهار وأعاد القتل عليهم فقالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئنا يعنى بالرسالة والظواهر هذا السكلام بهم أن بني اسرائيل كرهوا محبة موسى بالرسالة وذلك كفر والجواب عن هذا الابهام أن موسى عليه الصلاة والسلام كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة والمتعة فظنوا ان ذلك يكون على الفور فلما رأوا انه قد زادت الشدة عليهم قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئنا فيكون ما وعدناه من زوال ما نحن فيه (قال موسى لمحبيها لهم) عسى ربكم ان يهلك عدوكم) يعنى فرعون وقومه (ويستخلفكم في الأرض) يعنى ويجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد اهلاكهم (فينظر كيف تعملون) يعنى فيرى بكم كيف تعملون من بعدهم قال الزجاج فيرى وقوع ذلك منهم لان الله تعالى لا يجازيهم بما عملوا منهم وأما يجازيهم على ما بقع منهم قوله عز وجل (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) يعنى بالقطط والجذب تقول العرب مستهم السنة يعنى أخذهم الجذب في السنة ويقال أستوا كما يقال أجد بواقال الشاعر هو رجال مكة مستنون عفاف ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ومعنى الآية ولقد أخذنا آل فرعون بالجذب والقطط والجوع سنة بعد سنة (ونقص من الثمرات) يعنى واتلاف الغلات بالآفات قال قتادة أما السنون فلا هل البواى وأما نقص الثمرات فلا هل الامصار (لعلهم يذكرن) يعنى لعلهم يتعلمون فيرجعوا أعمالهم فيه من الكفر والمعاصي وذلك لان الشدة ترقق القلوب وترغب فيها عند الله عز وجل من الخير ثم بين الله تعالى

(١٧ - (خارن) - ثاني) زيادة له روفهم توجدهم فقرأهم وهذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخاف فذكر له ذلك وقال قديقي فينظر كيف تعملون (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) سني القحط وهن سبع سنين والسنة من الاسماء الغالبة كالذابة والنجم (ونقص من الثمرات) قبل السنون لاهل البواى ونقص الثمرات لا امصار (لعلهم يذكرن) ليعتوا وايقنوا على أن ذلك لا سرارهم على الكفر ولان الناس في حال الشدة فاضرع خدودا وأوراق أفئدة وقد ل عاش فرعون أربعين سنة وها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو أصابه في تلك المدة وجع أو جوع أو حرجي لما دعى الربوبية

(قال فرعون آمتم به) على الخبر حفص وهذا توخيخ منه لهم وبهم زين كوفي غير حفص فالاولى همزة الاستفهام ومناه الانكار الاستبعاد (قبل أن أذن لكم) قبل اذنى لكم (ان هذا المكر مكرتوه في المدينة لتخرج جوانها أهلها) ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها وأتم موسى في مصر قبل أن تخرجوا (١٢٨) الى الصحراء اغرض لكم وهوان تخرجوا من مصر القبط وتسكنوا بني

اسرائيل (فسوف تعلمون) وعيد أجهل ثم فصله بقوله (لا قطعن ايديكم وأرجلكم من خلاف) من كل شق طرفا (ثم لأصلبنكم أجمعين) هو أول من قطع من خلاف وصلب (قالوا) انالى ربنا من قبلون) فلا نبالى بالموت لا تقبلنا بنالى لقاء ربنا ورحتنا واناجيعا يذنبون أنفسهم وفرعون تنقلب الى الله فيحكم بيننا (ومانتقم منا الآن أنما با ياتر بنالماء تننا) تعيب منا الايمان بايات الله أرادوا وماتعيب منا الاماهو أصل المناقب والمفاخر وهو الايمان ومنه قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم  
بهن فلول من قراع الكتائب  
(ر بنا أفرغ علينا صبرا) أى اصعب صبا ذريعا والمعنى هب لنا صبرا واما واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افرغا (وتوفنا مسلمين) ثابتين على الاسلام (وقال الملا من قوم فرعون أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض) أرض مصر بالاستعلاء

فخر واسجدوا وقالوا منابر العالمين رب موسى وهرون ﴿قوله عز وجل﴾ (قال فرعون آمتم به قبل أن أذن لكم) يعنى قال فرعون للسحرة آمتم موسى وصدقتموه قبل أن آمركم به وأذن لكم فيه (ان هذا المكر مكرتوه في المدينة) يعنى ان هذا الصنع الذى صنعتموه أنذر موسى في مدينة مصر قبل خروجه الى هذا الموضع وذلك ان فرعون رأى موسى يحدث كبير السحرة فظن ان موسى وكبير السحرة قد توطأ عليه وعلى أهل مصر وهو قوله (اتخرجوا منها أهلها) وتستولوا عليها ثم (فسوف تعلمون) فيه وعيد وتهديد يعنى فسوف تعلمون ما فعل بكم ثم فسر ذلك الوعيد فقال (لا قطعن ايديكم وأرجلكم من خلاف) وهوان تقطع إحدى اليدين وإحدى الرجلين فيخالف بينهما في القطع (ثم لأصلبنكم أجمعين) يعنى على شاطئ نيل مصر قال ابن عباس رضى الله عنهما أول من صلب وأول من قطع الايدي والارجل فرعون (قالوا) يعنى مجيبين لفرعون حين وعدهم بالقتل (انالى ربنا من قبلون) يعنى انالى ربنا راجعون واليه صأرون في الآخرة (ومانتقم منا) وماتكمه منا ما قطعن علينا وقال عطاء معناه وما لنا نغندك من ذنب تمذبناعليه (الآن أنما با ياتر بنالماء تننا) ثم فزعوا الى الله تعالى وسألوه الصبر على تعذيب فرعون اياهم فقالوا (ر بنا أفرغ علينا صبرا) أى اصعب علينا صبرا كما ملأنا ما ملأنا ابنى لفظ التكسير يعنى صبرا وأى صبرا عظيم (وتوفنا مسلمين) يعنى واقبضنا على دين الاسلام وهودين خليلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا في أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء قال السكبي ان فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم وقال غيره انه لم يقدر عليهم انه لقوله تعالى لا يصلون اليك باياتنا أو نأمر من اتبعك الغالبون ﴿قوله تعالى﴾ (وقال الملا من قوم فرعون أنذر موسى) يعنى وقال جماعة من أشراف قوم فرعون افرعون أنذر موسى (وقومه) من بني اسرائيل (ليفسدوا في الارض) يعنى أرض مصر وأراد بالافساد فيها انهم يأمرهم بمخالفة فرعون وهو قوله (ويذكر وأهلك) يعنى ويذكر وليذكر ويذكر أهلك فلا يعبدك ولا يعبد هأ قال ابن عباس رضى الله عنهما كانت لفرعون بقرة كان يعبد هاو كان اذا رأى بقرة حسنة أمرهم بعبادتها ولذلك أخرج لهم السامري عجلأ وقال السدي كان فرعون قد اتخذ لقومه أصناما وكان يأمرهم بعبادتها وقال لهم أنار بكم ورب هذه الاصنام وذلك قوله أنار بكم الاعلى والاولى أن يقال ان فرعون كان دهر يماستر الوجود الصانع فكان يقول مبر هذا العالم السفلى هي الكواكب فاتخذ أصناما على صورة الكواكب وكان يعبد هاو يأمر بعبادتها وكان يقول في نفسه انه هو المطاع والمخدوم في الأرض فلها قال أنار بكم الاعلى وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وابن عباس والشامي والضحاك ويذكر وأهلك بكسر الالف ومعناه ويذكر وعبادتك فلا يعبدك لان فرعون كان يعبد ولا يعبد وقيل أراد بالالهة الشمس والكواكب لانه كان يعبد هاو قال الشاعر

تروحنامن اللعبة قصرا \* وأعلمنا بالالهة أن نؤبا

أراد بالالهة الشمس (قال) يعنى فرعون مجيبا لقومه حين قالوا له أنذر موسى وقومه (سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم) يعنى نتركهم أحياء وذلك ان قوم فرعون أرادوا اغراء فرعون على قتل موسى وقومه أو جس موسى انزال العذاب بقومه ولم يقدر فرعون أن يفعل بموسى عليه الصلاة والسلام شيئا ما أرادوا به اقوة موسى عليه السلام بمساعدة من المجزة فعدل الى قومه فقال سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وقال ابن

فيها وتغير دين أهلها لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة ألف نفر (ويذكر وأهلك) عطف على عباس ليعسدوا قيل صنع فرعون لقومه أصناما ما أمرهم ان يعبدوها تقر با اليك يعبد عبد الاصنام الاصنام ويقولون ايقربونا الى الله زلنى ولذلك قال أنار بكم الاعلى (قال) فرعون مجيبا للملا (سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم

قلب الاعين وصرفها عن ادراك ذلك الشيء والمجزة قلب نفس الشيء عن حقيقة كقلب عصا موسى عليه  
 الصلاة والسلام حياة تسمى (واسترهبوهم) يعني أروهبوهم وأفرعوهم بمفاعلوهم من السحر وهذا قوله  
 تعالى (وجاؤا) يعني السحرة (بسحر عظيم) وذلك انهم ألقوا بحبالا غلاظا وخشبًا طولا فاذا هي حيات  
 كأمثال الحبال قدملا ث الوادي يركب بعضها بعضا ويقال انهم طاولوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا داخل  
 تلك العصي زئبقا أيضا وألقوها على الأرض فلما أثير حر الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض حتى  
 تخيل للناس أنها حيات ويقال ان الأرض كانت سبعة أميال في ميل فصارت كلها حيات وأفاغى ففرع الناس  
 من ذلك وأوجس في نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه الصلاة والسلام لأجل سحرهم  
 لانه عليه الصلاة والسلام كان على يقين وثقة من الله تعالى أنهم لن يغلبوه وهو غالبهم وكان عالما بان كل ما أنوا  
 به على وجه المعارضة لمجزة فهو من باب السحر والتخيل وذلك باطل ومع هذا الجزم بمنع حصول الخوف  
 لموسى من ذلك بل كان خوفه عليه الصلاة والسلام لأجل فرع الناس واضرابهم مما رأوا من أمر تلك  
 الحيات تخاف موسى عليه الصلاة والسلام أن يتفرقوا قبل ظهور رمجه وبعثته فلذلك أوجس في نفسه  
 خيفة موسى ﷺ قوله تعالى (وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك) يعني فألقها (فاذا هي تلقف) يعني  
 تتلعق (ما يافكون) يعني ما يكذب فيه السحرة لأن أصل الأفك قلب الشيء عن غيره وجهه ومنه قيل  
 للكذاب أفك لانه يقبل الكلام عن وجهه الصحيح إلى الباطل قال المفسرون أوحى الله عز وجل إلى  
 موسى عليه الصلاة والسلام أن لا تخف وألق عصاك فألقها فصارت حية عظيمة حتى سدت الأفق قال ابن  
 زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية يقال بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فنتحت فاهما ثابن ذراعا فاذا  
 هي تلقف يعني تتلعق كل شيء أتوا به من السحر فكانت تتلعق حبالهم وعصيمهم واحدا واحدا حتى ابتلت  
 الكل وقصدت التوم الذين حضروا ذلك الجميع ففرعوا وقع الزحام بينهم فبات من ذلك الزحام خمسة  
 وعشرون ألفا ثم أخذها موسى عليه الصلاة والسلام فصارت في يده عصا كما كانت أول مرة فلما رأى السحرة ذلك  
 عرفوا انه من أمر السماء وليس بسحر وعرفوا ان ذلك ليس من قدرة البشر وقوتهم فعند ذلك خروا  
 سجدا وقالوا آمنا رب العالمين وذلك قوله تعالى (فوقع الحق) يعني فظهر الحق الذي جاء به موسى (وبطل  
 ما كانوا يعملون) يعني من السحر وذلك ان السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحر البقيت حبالنا وعصينا  
 فلما نفذت وتلاشت في عصا موسى علموا ان ذلك من أمر الله وقدرته (فقلبوها نالك) يعني فعند ذلك غلب  
 فرعون وسحرته وجوعه (واقبلوا صاغرين) يعني ورجعوا ذليلين مقهورين (وألقى السحرة ساجدين)  
 يعني ان السحرة لما عاينوا من عظيم قدرة الله تعالى باليس في قوتهم مقابلته وعلموا انه ليس بسحر خروا  
 لله ساجدين وذلك ان الله عز وجل ألهمهم معرفته والايان به (قالوا آمنا رب العالمين) فقال فرعون  
 إياي تعنون فقالوا بل (رب موسى وهرون) قال مقاتل قال موسى لكبير السحرة تؤمن بي ان غلبتك فقال  
 لأتبعن بسحر ليعاقبه سحر ولئن غلبتني لأؤمنن بك وقيل ان الحبال والعصى التي كانت مع السحرة كانت  
 جل ثلثمائة بعير فلما ابتاعها عصا موسى كلها قال بعضهم لبعض هذا أمر خارج عن حد السحر وما هو الا  
 من أمر السماء فآمنوا به وصدقوه فان قلت كان يجب أن يأتوا بالايان قبل السجود فيا فائدة تقديم  
 السجود على الايمان قلت لا فائدة الله عز وجل في قلوبهم الايمان والمعرفة خروا وسجدوا لله تعالى شكر اعالى  
 هدايتهم اليه وعلى ما ألهمهم من الايمان بالله وتصديق رسوله ثم أظهر وابتعد ذلك ايمانهم وقيل لما رأوا  
 عظيم قدرة الله تعالى وسلطانه في أمر العساوانه ليس بقدر على ذلك أحد من البشر وزالت كل شبهة كانت  
 في قلوبهم بادروا الى السجود لله تعظيما لشأنه لما رأوا من عظيم قدرته ثم انهم أظهروا الايمان بالاسنان قال  
 ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما رأوا السحرة مارت عرف أن ذلك من أمر السماء وليس بسحر  
 كفار اسحرة وفي آخره شهادة بررة (قالوا آمنا رب العالمين رب موسى وهرون) هو بدل مما قبله

فرعون ما كان يقدر على حبس موسى بعد أن رأى من أمر العصا ما رأى (وأرسل في المدائن) جمع مدينة واشتقاقها من مدن بالسكان أي أقام به يعني مدائن صعيد مصر (حاشرين) يعني رجالا يحشرون اليك السحرة من جميع مدائن الصعيد والمعنى أنهم قالوا لفرعون أرسل إلى هذه المدائن رجالا من أعوانك وهم الشرط يحشرون اليك من فيهم من السحرة وكان رؤساء السحرة باقيا بمدائن الصعيد فان غابهم موسى صدقناه واتبعناه وان غلبوه علمناه أنه ساحر فذلك قوله (يأتوك) يعني الشرط (بكل ساحر) وقرئ ساحر والفرق بين الساحر والسحار أن الساحر هو المبتدئ في صناعة السحر فيتعلم ولا يعلم والسحار هو الماهر الذي يتعلم منه السحر وقيل الساحر من يكون سحره وقتادون وقت والسحار الذي يدوم سحره ويعمل في كل وقت (علم) يعني ماهر بصناعة السحر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن اسحق والسدي أن فرعون لما رأى من سلطان الله وقدرته في العصا قال انالناقتال موسى الابن هو أشد منه سحرا فاتفخذه غلمانا من بني اسرائيل وبعث بهم إلى مدنه يقال لها القوصاء يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كبيرا واعد فرعون موسى موعدا ثم بعث إلى السحرة فآذوا معهم معلمهم فقال فرعون لهم ماذا صنعت قال قد علمتهم سحرا لا يطيقه سحرة أهل الأرض الآن يكون أمرهم من السماء فانه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في ملكه فلم يترك ساحر الا أني به واختلفوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنا منهم من القط وهما رئيسا القوم وسبعون من بني اسرائيل وقال السكبي كان الذين يعلمونهم رجلاين مجوسيين من أهل ينسوى وكانوا سبعين غير رئيسهم وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر ألفا وقال محمد بن اسحق كانوا خمسة عشر ألفا وقال عكرمة كانوا سبعين ألفا وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين ألفا وقال السدي كانوا اضعافا وثمانين ألفا ويقال رئيس القوم شمعون وقيل يوحنا <sup>عليه السلام</sup> قوله عز وجل (وجاء السحرة فرعون) يعني لما اجتمعوا وازوا إلى فرعون (قالوا ان لنا اجرا) يعني جعلا لادعاهم فاعطاهم فبذلك (ان كنا نحن الغالبين) يعني لموسى قال الامام غفر الدين الرازي ولما قل أن يقول كان حق السلام أن يقول وجاء السحرة فرعون فقالوا بالفاء وجوابه هو على تقدير سائل سأل ما قالوا اذ جاءوا فاجيب بقوله قالوا ان لنا اجرا ان كنا نحن الغالبين يعني لموسى (قال نعم) يعني قال لهم فرعون لكم الاجر والعطاء (وانكم لمن المقر بين) يعني ولكم المنزلة الرفيعة عندي مع الاجر والمعنى ان فرعون قال للسحرة اني لا أقصر معكم على الاجر بل ازيد بكم عليه وتلك الزيادة اني اجعلكم من المقر بين عندي قال السكبي تكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج من عندي (قالوا) يعني السحرة (يا موسى اما ان تلقى) يعني عصاك (واما ان تكون نحن الملقين) يعني عصينا وحبالنا في هذه الآية دقيقة لطيفة وهي ان السحرة راعوا مع موسى عليه الصلاة والسلام حسن الأدب حيث قدموه على أنفسهم في الالتقاء لاجرم ان الله عز وجل عوضهم حيث تأدبوا مع نبيه موسى صلى الله عليه وسلم أن من عليهم بالابمان والهداية لمارعوا الادب أولا وأظهروا ما يدل على رغبتهم في ذلك (قال) يعني قال لهم موسى (القولوا) يعني أتم فقدمهم على نفسه في الالتقاء فان قلت كيف جاز لموسى أن يأمر بالافتاء وقد علم انه سحرة وفعل السحرة غير جائز قلت ذكر العلماء رحمهم الله تعالى فيه أجوبة أحدها ان معناه ان كنتم محققين في فعلكم قالوا والا فلا تناقوا الجواب الثاني انما أمرهم بالافتاء لانه لم يكن لهم أن يلقوا بالسحرة بل لم تظهر مجازة موسى في عصاه الجواب الثالث ان موسى علم انهم لا بد ان يلقوا تلك الحبال والعصى وانما وقع التغيير في التقديم والتأخير فاذن لهم في التقديم لتظهر مجازة ايضا فبما علم انه لو ألوا لم يكن له غلب وظهور عليهم فلذلك المعنى أمرهم بالافتاء ولا (فلما ألقوا) يعني حبالهم وعصيمهم (سحروا أعين الناس) يعني صرفوا أعين الناس عن ادراك حقيقة ما فعلوه من التقوية والتخييل وهذا هو السحر وهذا هو الفرق بين السحر الذي هو فعل البشر وبين مجازة الانبياء عليهم الصلاة والسلام التي هي فعل الله وذلك لان السحر

حاشرين) جامعين (يأتوك بكل ساحر علم) سحار حزة وعلى أي يأتوك بكل ساحر علم مثله في المهارة أو تحسير منه (وجاء السحرة فرعون) يريد فارسل اليهم خضروا (قالوا ان لنا اجرا) على الخبر واثبات الاجر ٧ العظم مجازي وحفص ولم يقل فقالوا لانه على تقدير سؤال سائل ما قالوا اذ جاءوا فاجيب بقوله قالوا ان لنا اجرا لجهلا على الغلبة والتسكير للتعظيم كأنهم قالوا لا بد اننا من أجركم عظيم (ان كنا نحن الغالبين قال نعم) ان لكم اجرا (وانكم لمن المقر بين) عندي فتكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وكانوا ثمانين ألفا وسبعين ألفا أو بضعة وثلاثين ألفا (قالوا يا موسى اما ان تلقى) عصاك (واما ان تكون نحن الملقين) لمامعنا وفيه دلالة على ان رغبتهم في أن يلقوا وقبله حيث أكد ضميرهم المتصل بالمفصل وعرف الخبر (قال) لهم موسى عليه السلام (ألقوا) تخييرهم اياه أدب حسن راعوه معه كما يفعل المناظرون قبل ان يتحاوروا في الجدال وقد سوغ لهم موسى ما رغبوا

يجمع الناس للنظر إليه  
 روى أنه أرى فرعون يده  
 وقال ما هذه فقال بذلك ثم  
 أدخلها في جيبه وزعها  
 فإذ هي بيضاء غلب شعاعها  
 شعاع الشمس وكان موسى  
 عليه السلام آدم شديد الادمة

(قال الملامن من قوم فرعون  
 ان هذا الساحر عليم) عالم  
 بالسحر ما هو فيه قد خيل  
 الى الناس العاصية  
 والادم أبيض وهذا  
 الكلام قد عسى الى  
 فرعون في سورة الشعراء  
 وانه قال للملامن وهن عسى  
 اليهم فيحتمل انه قد قاله  
 هو وقالوا لهم فحكى قوله  
 ثمة وقولهم هنا وقاله ابتداء  
 فنقلته منه الملامن قالوه  
 لاعتقاهم (يريد أن  
 يخرجكم من أرضكم) يعني  
 مصر (فإذا تأمرون)  
 تشيرون من أمرته فأمرني  
 بكذا اذا شاورته فأشار  
 عليك برأى وهو من كلام  
 فرعون قاله للملامن قالوا  
 ان هذا الساحر عليم يريد  
 أن يخرجكم (قالوا أرجو)  
 يسكن الهاء عاصم وحزة  
 أي آخر واحبس أي آخر  
 أمره ولا تنجل أو كونه هم  
 بقتله فقالوا أخر قتله  
 واحبسوا ولا تقتله ليتبين  
 سحره عند الخلق (وأخاه)  
 هرون

عباس وغيره أخرجه من جيبه فراهبا بيضاء من غير سوء يعني من غير برص وقيل ان موسى عليه الصلاة  
 والسلام أدخل يده تحت جيبه ثم زعها منه وقيل أخرجه من تحت ابطة فإذ هي بيضاء لها شعاع غلب  
 نور الشمس وكان موسى عليه الصلاة والسلام آدم اللون ثم ردها الى جيبه فأخضر جهها فإذ هي كما كانت ولما  
 كان البياض المفرط عيبا في الجسد وهو البرص قال الله تعالى في آية أخرى بيضاء من غير سوء يعني من  
 غير برص والمعنى فإذ هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء لانتظاره الا اذا كان بيضاها عجبها بخار جاعن  
 العادة يتجيب منه

فصل في بيان المجزوءة وكونها دليلا على صدق الرسل **ع** اعلم ان الله تبارك وتعالى كان قادرا على خلق  
 المعرفة والايمان في قلوب عباده ابتداء من غير واسطة واسكن أرسل اليهم رسلا تعرفهم معالم دينه وجميع  
 نكايته وذلك الرسول واسطة بين الله عز وجل وبين عباده يبلغهم كلامه ويعرفهم أحكامه وجاز أن تكون  
 تلك الواسطة من غير البشر كاللائكة مع الانبياء وجاهز أن تكون الواسطة من جنس البشر كالانبياء مع أممهم  
 ولا مانع لهذا من جهة العقل واذا جاز هذا في دليل العقل وقد جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام بمجربات  
 دلت على صدقهم فوجب تصديقهم في جميع ما أتوا به لان المجزوءة مع التحدي من النبي قائمة مقام قول الله  
 عز وجل صدق عبدى فاطيعوه واتبعوه ولان مجزئ النبي شاهد على صدقه فيأية قوله وسميت المجزوءة مجزوءة  
 لان الخلق يحزنون عن الانبياء يمثلها هو على ضرب بين فضررب منها هو على نوع قدرة البشر ولكن عجز راعنه  
 فججزهم عنه دل على انه من فعل الله ودل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم كتمني الموت في قوله فتمنوا  
 الموت ان كنتم صادقين فلما صر فواعن تمنيهم مع قدرتهم عليه علم انه من عند الله ودل على صدق النبي صلى  
 الله عليه وسلم الضرب الثاني ما هو خارج عن قدرة البشر كحياة الموتى وقلب العاصية واخراج ناقمة من  
 صخرة وكلام الشجر والجاد والحيوان ونسج الماء من بين الاصابع وغير ذلك من المجربات التي عجز البشر  
 عن مثلها فإذ أتى النبي بشئ من تلك المجربات الخارقة للعادة علم ان ذلك من عند الله وان الله عز وجل هو  
 الذي أظهر ذلك المجزئ على يده بديله يكون حجة على صدقه فياخرج به عن الله عز وجل وقد ثبت بدليل  
 العقل والبرهان القاطع ان الله تعالى قادر على خلق الاشياء وابتداعها من غير أصل سبق لها وابتداعها من  
 العدم الى الوجود وانه قادر على قلب الاعيان وخوارق العادات والله تعالى أعلم **ع** قوله عز وجل (قال الملامن  
 قوم فرعون ان هذا يعني موسى (ساحر عليم) يعني انه لا يأخذ بآعين الناس حتى يتخيل لهم ان العصا صارت  
 حية ويرى الشئ بخلاف ما هو عليه كما أراههم يده بيضاء وهو آدم اللون وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو  
 الغالب في ذلك الزمان فلما أتى بما يجزئ عنه غيره قالوا ان هذا الساحر عليم فان قلت قد أخبر الله تعالى في هذه  
 السورة ان هذا الكلام من قول الملامن لفرعون وقال في سورة الشعراء وقال فرعون للملامن حوله ان هذا الساحر  
 عليم فكيف الجمع بينهما قلت لا يتعنع أن يكون قوله فرعون أو لا ثم انهم قالوه بعده فأخبر الله تعالى عنهم هنا  
 وأخبر عن فرعون في سورة الشعراء وقيل يحتمل ان فرعون قال هذا القول ثم ان الملامن قومهم وهم خاصته  
 سمعوه منه ثم انهم بلغوه الى العامة فأخبر الله عز وجل هذا عن الملامن وأخبر هناك عن فرعون **ع** وقوله (يريد  
 أن يخرجكم من أرضكم) يعني يريد موسى أن يخرجكم أي القبط من أرض مصر (فإذا تأمرون) يعني فإي  
 شئ تشيرون أن نفعل به وقيل ان قوله فإذا تأمرون من قول الملامن لان كلام فرعون ثم عند قوله يريد أن  
 يخرجكم من أرضكم فقال الملامن يحيبين افرعون فإذا تأمرون وانما خاطبه بلفظ الجمع وهو واحد على عادة  
 الملوك في التفعيض والمعنى فاشيرون أن تفعل به والقول الاول أصح لسياق الآية التي بعده ما هو  
 قوله تعالى (قالوا أرجو وأخاه) يعني آخر أمرها ولا تنجل فيه فضررب عجلتك عليك لالاك والارجاء للتأخير في  
 اللغة وقيل معنى أرحه احبسه وأخاه وهذا القول ضعيف لان الار جاء في اللغة هو التأخير لا الحبس ولان

الكفر لانهم من وادوا حدان الشرك اظلم عظيم واظفلهوا الناس بسديها حين اذ آمن اولاته اذ اوجب الايمان بها فكفر وايدل  
 الايمان كان كفرهم بها ظاهرا حيث وضعوا الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان (فاظفر كيف كان عاقبة المفسدين) حيث صاروا مفرقين  
 (وقال موسى يا فرعون) يقال للملوك مصر الفراعنة كما يقال للملوك فارس الاكاسرة وكأنه قال يملك مصر واسفه قابوس والوليد بن  
 مصعب بن الزيان (اني رسول من رب العالمين) اليك قال فرعون كذبت فقال موسى (حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق) أي أنا حقيق  
 على قول الحق أي واجب على (١٢٤) قول الحق أن أكون قائله والقائم به حقيق على نافع أي واجب على ترك القول على

الله الا الحق أي الصديق  
 وعلى هذه القراءة تنقف  
 على العالمين وعلى الاول  
 يجوز الوصل على جعل  
 حقيق وصف الرسول وعلى  
 بمعنى الباء كقراءة أي  
 اني رسول خليق بان لا أقول  
 أو يعلق على بمعنى الفعل  
 في الرسول اي اني رسول  
 حقيق جدير بالرسالة  
 أرسلت على أن لا أقول على  
 الله الا الحق (قد جئتكم  
 بينة من ربكم) ما بين رسائي  
 (فارسل معي بني اسرائيل)  
 غفلهم به ذهاب معي راجعين  
 الى الارض المقدسة التي هي  
 وطنهم وذلك ان يوسف  
 عليه السلام لما توفي غلب  
 فرعون على نسل الاسباط  
 واستعبدهم فانقذهم  
 الله بموسى عليه السلام  
 وكان بين اليوم الذي  
 دخل يوسف عليه السلام  
 مصر واليوم الذي دخله  
 موسى أربع مائة عام  
 حفص (قال ان كنت  
 جئت بأية) من عندهم  
 أرسلك (فأت بها ان كنت

الآيات معجزات ظاهرة فاهرة فكفروا بها ووضعوا الكفر موضع الايمان (فاظفر كيف كان عاقبة  
 المفسدين) أي انظر يا محمد بعين العقل والبصيرة كيف فعلناهم وكيف أهلكناهم (وقال موسى يا فرعون  
 اني رسول من رب العالمين) يعني ان موسى عليه الصلاة والسلام لما دخل على فرعون دعاه الى الله تعالى والى  
 الايمان به وقال له اني رسول الله الذي ارسل اليك والى قومك من رب العالمين يعني ان الله الذي خالق السموات  
 والارض وخالق الخلق وهو سيدهم ومالكهم هو الذي ارسلني اليك (حقيق) أي واجب (على أن لا أقول  
 على الله الا الحق) يعني اني رسول والرسول لا يقول على الله الا الحق في وصفه وتزيهه ونوحه وحده وانه لا اله  
 غيره (قد جئتكم بينة من ربكم) يعني يبرهان على صدق فيما ادعى من الرسالة والمراد بينته معجزته وهي  
 العصا واليد البيضاء ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما فرغ من تبليغ رسالته رتب على ذلك الحكم فقال  
 موسى (فارسل معي بني اسرائيل) يعني خل عنهم وأطلقهم من أسرك وكان فرعون قد استعبد بني اسرائيل  
 واستعملهم في الاعمال الشاقة مثل ضرب الابن ونقل التراب ونحو ذلك من الاعمال الشاقة (قال ان كنت  
 جئت بأية فأت بها ان كنت من الصادقين) يعني ان فرعون قال لموسى عليه الصلاة والسلام بعد تبليغ  
 الرسالة ان كنت جئت من عندهم أرسلك بينة تدل على صدق فاتي بها وأحضرها عندى لتصح دعواك  
 ويثبت صدقك فيها قلت (فاتي عصاه فاذا هي ثعبان ميين) أي بين والثعبان الذكر من الحيات وصفه هنا  
 بأنه ثعبان والثعبان من الحيات العظيم الضخم ووصفه في آية أخرى بأنه جان والجان الحية الصغيرة والجمع  
 بين هذين الوصفين أنها كانت في عظام الجنة كالثعبان العظيم وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة وهي الجان  
 قال ابن عباس والسدي ان موسى لما أتى العصا صارت حية عظيمة صفراء شعراء فآخرة فاها بين لحبيها  
 ثمانون ذراعا وارتفعت من الارض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحبيها الاسفل في الارض ولحبيها  
 الأعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتأخذه فوثب فرعون عن سريره غار بأو أحدث وقيل انه  
 أحدث في ذلك اليوم أربع مائة مرة وقيل انها أخذت قبة فرعون بين أنيابها وحلت على الناس فانهمزوا  
 وصاحوا وقتل بعضهم بعضا فمات منهم في ذلك اليوم خمسة وعشرون ألفا ودخل فرعون البيت وصاح  
 ياموسى أنشدك بالذي أرسلك أن تأخذها وأنا مؤمن بك وأرسل ملك بني اسرائيل فعدت في يده عصا كما  
 كانت وفي كون الثعبان مينا وجوه الاول انه تميز وتبين ذلك عصا علمته السحرة من التحو به والتليس  
 وبذلك تميز معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن نحو به السحرة وتحويلهم الوجه الثاني انهم  
 شاهدوا العصا تقبلت حية ولم يشبه ذلك عليهم فلذلك قال ثعبان ميين أي بين الوجه الثالث ان ذلك  
 الثعبان لما كان معجزة لموسى عليه الصلاة والسلام كان من أعظم الآيات التي أبانت صدق قول موسى عليه  
 الصلاة والسلام في أنه رسول من رب العالمين ﷺ وقوله تعالى (وزع بداه) التزع في اللغة عبارة عن اخراج  
 الشيء عن مكانه والمعنى انه أخرجه من جيبه أو من تحت جناحه (فاذا هي بيضاء للناظرين) قال ابن

من الصادقين) فاتي بها لتصح دعواك ويثبت صدقك فيها (فاتي موسى) عليه السلام (عصاه) من يده  
 (فاذا هي) اذ اذهبه المفاجأة وهي من ظروف المكان بمنزلة قبة وهناك (ثعبان) حية عظيمة (ميين) ظاهر أمره روى انه كان ذكر فاغراه  
 بين لحبيها ثمانون ذراعا وضع لحبيها الاسفل في الارض والأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك  
 وحل على الناس فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قلت بعضهم بعضا فصاح فرعون ياموسى خذها وأنا مؤمن بك فاخذها موسى فعاد عصا (وزع  
 بداه) من يده (فاذا هي بيضاء للناظرين) أي فاذا هي بيضاء للنضارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بيضا عجيبا جاء العادة



مستأنف أي ونحن نختم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) الوعظ (تلك القرى نقص عليك من أنبائها) قوله هذا يعني شيعاني أنه مبتدأ وخبر وحال أو تكون القرى صفة تلك ونقص خبر أو المعنى تلك القرى المذكورة من (١٢٣) قوم نوح إلى قوم شعيب نقص

أي ونحن (على قلوبهم فهم لا يسمعون) يعني لا يسمعون موعدة ولا يقبلون الإيمان ويطيع منقطع عما قبله والمعنى ونحن نطبع على قلوبهم ويجوز أن يكون معطوفاً على الماضي وإفظة لفظ المستقبل والمعنى ولو شئنا طبعنا على قلوبهم (تلك القرى) يعني هذه القرى التي ذكرنا لك يا محمد أمرها وأمر أهلها وهي قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب (نقص عليك من أنبائها) يعني نخبرك عنها وعن أخبار أهلها وما كان من أمرهم وأمر رسلكم الذين أرسلوا إليهم لتعلم يا محمد أن النصر ورسنا والذين آمنوا معهم على أعدائنا وأعدائهم من أهل الكفر والعناد وكيف أهلكتناهم بكفرهم وبمخالفتهم رسلكم فيه تسلياً للتي صلى الله عليه وسلم ونخبرك بكفار قريش أن يصيبهم مثل ما أصابهم (ولقد جاءتهم) يعني لاهل تلك القرى (رسلكم بالبينات) يعني جاءتهم رسلكم بالمعجزات الباهرات والبراهين الدالة على صدقهم (فكانوا يؤمنوا بما كذبوا من قبل) اختلف أهل التفسير في معنى ذلك فقيل معناه ما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكتناهم من أهل القرى ليؤمنوا عند إرسالنا إليهم رسلكم بما كذبوا من قبل ذلك وهو يوم أخذنا منهم حين آخرجه من ظهر آدم عليه السلام فأقر بالأسان وأضمرنا التأكيد وهذا معنى قول ابن عباس والسدي قال السدي آمنوا كره يوم أخذنا الميثاق وقال مجاهد فـ كانوا أوليائهم بعد اهلاكم ومعاً بينهم العذاب ليومنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم وقيل معناه كانوا يؤمنوا وعندهم محيى والرسول عاصم لحكم في علم الله أنهم يكذبون به حين آخرجه من صلب آدم عليه الصلاة والسلام قال أي بن كعب كان سبق لحكم في علمه يوم أقر وأله بالميثاق أنهم لا يؤمنون به وقال الربيع بن أنس يحق على العباد أن يأخذوا من العلم ما يبدى لحكم ربه من أن لا يتأولوا علم ما أنشئ الله تعالى عنهم فان علمه نافذ فيما كان وفيما يكون وفي ذلك قال تعالى ولقد جاءتهم رسلكم بالبينات فـ كانوا يؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم أنهم المطيع من العاصي حيث خلقهم في صلب آدم عليه الصلاة والسلام قال الطبري وأولى الأقوال بالصواب قول أي بن كعب والربيع بن أنس وذلك أن من سبق في علم الله أنه لا يؤمن به فلا يؤمن أبداً وقد كان سبق في علم الله أن هلك من الأمم الذين قص خبرهم في هذه السورة أنهم لا يؤمنون أبداً فأخبر عنهم أنهم لم يكونوا يؤمنوا بما هم مكذبون به في سابق علمه قبل محيى والرسول عند مجيئهم إليهم (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) يعني كما يطبع الله على قلوب كفار الأمم الحالية وأهلكهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب الله عليهم أنهم لا يؤمنون من قومك (وما وجدنا لاكثرهم من عهد) يعني وما وجدنا لاكثر الأمم الحالية والقرون الماضية الذين قصنا خبرهم عليك يا محمد من وفاء بالعهد الذي عهدناه إليهم وأصيناهم به يوم أخذنا الميثاق قال ابن عباس إنما هلك الله أهل القرى لأنهم لم يكونوا يحفظوا مواصدهم به (وان وجدنا أكثرهم لفاسقين) أي وما وجدنا أكثرهم لفاسقين خارجين عن طاعتنا وأمرنا ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ثم بعثنا من بعدهم) يعني ثم بعثنا بعد الأنبياء الذين تقدم ذكرهم وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام (موسى بآياتنا) يعني نبجنا وأدلنا بالدالة على صدقهم مثل اليد والعصا ونحو ذلك من الآيات التي جاءهم موسى عليه الصلاة والسلام (إلى فرعون وملئه) قيل إن كل من ملك مصر كان يسمى فرعون في ذلك الزمان مثل ما كان يسمى ملك القرس كسرى وملك الروم قيسر وملك الحبشة النجاشي وكان اسم فرعون الذي أرسل إليه موسى عليه الصلاة والسلام الوليد بن مصعب بن الريان وكان ملك القبط والملا أشرف قومه وإنما خصوا بالذكر لانه إذا آمن الأشراف آمن الاتباع (فظلموا بها) يعني فجحدوا بها لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه وكانت هذه

دخولاً في الخففة واللام الفارقة ولا يجوز ذلك إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما (ثم بعثنا من بعدهم) الضمير للرسول في قوله ولقد جاءتهم رسلكم أو للام (موسى بآياتنا) بالمعجزات الواضحات (إلى فرعون وملئه فظلموا بها) فكفروا بآياتنا جوى الظلم بحري

الضراء والسراء) أي قالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو يعقوبه الذنب فكونوا على ما أنتم عليه (فاخذناهم بقتة) فجأة (وهم لا يشعرون) ينزل العذاب واللام في (ولأن أهل القرى) أشار إلى أهل القرى التي دل عليها ما أرسلنا في قرية من نبي كأنه قال ولأن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا (أمنوا) بدل كفرهم (وانقوا) الشرك مكان ارتكابه (انقضاءهم) لفتح حاشي (بركات من السماء والارض) أراد المطر والنبات ولا تفتناهم بالخبر من كل وجه (واسكن كذبوا) الانبياء (فاخذناهم بما كانوا يكسبون) (١٢٢) بكفرهم وسوء كسبهم وبجوزان تكون اللام للجنس (أفانم أهل القرى)

يريد الكفار منهم (أن ياتهم بأسنا) عذابنا (بيانا) ليلا أي وقت يات يقال يات بيانا (وهم نامون) وأمن أهل القرى أن ياتهم بأسنا (صحي) نهارا والضحى في الأصل ضوء الشمس إذا اشرفت والغاء والواو في أفانم وأمن حرفا عطف دخل عليها حمزة الانكار والمعطوف عليه فاخذناهم بقتة وقوله ولو أن أهل القرى إلى يكسبون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطف بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بقتة بعد ذلك أمن أهل القرى أن ياتهم بأسنا بيانا أو أمنوا أن ياتهم بأسنا صحي أو أمن شاي وخجاري يعني نهارا لان الضحى صدر النهار (وهم يلعبون) يعني وهم ساهون لاهون غافلون عما يراد بهم والمقصود من الآية أن الله خوفهم ينزل العذاب وهم في غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذي يغلب على الانسان التشاغل فيه بماور الدنيا أو ماور الدنيا كلها اعب ويحتمل أن يكون المراد خوضهم في كفرهم وذلك اعب أيضا لانه يضر ولا ينفع (أفانموا مكر الله) يعني استدرأجه اياهم بما أنعم عليهم من الدنيا وقيل المراد أن ياتهم عذابه من حيث لا يشعرون وعلى هذا الوجه فيكون بمعنى التحذير وسمى هذا العذاب مكرًا انزولهم وفي غفلة عنه لا يشعرون به (فلا يامن مكر الله القوم الخاسرون) يعني انه لا يامن أن يكون ما أعطاهم من النعمة مع كفرهم استدرأجا لامن خسر في آخره وهلك مع الهالكين (ألم يهد) يعني أولم يبين (للذين يرتون الارض من بعد) هلاك (أهلها) الذين كانوا من قبلهم فورثوها عنهم وخلقوهم فيها (أن لو شاء أصدناهم بذنوبهم) يعني لو شاء أخذناهم وعاقبناهم بسبب كفرهم (ونطبع)

بعد جلة (وهم يلعبون) يشغلون بما لا يجدي لهم (أفانموا) تكرر لقوله أفانم أهل القرى (مكر الله) أخذه العبد أي من حيث لا يشعرون عن الشيء قدس الله وجهه العزيز مكرهم تركه اياهم على ما هم عليه وقالت ابنة الربيع بن خثيم لا يهمل ما يرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال يابن تميم أن أباك يخاف البيات أراد قوله أن ياتهم بأسنا بيانا (فلا يامن مكر الله القوم الخاسرون) الا الكافرون الذين خسروا أنفسهم حتى صاروا إلى النار (ألم يهد) يبين (للذين يرتون الارض من بعد أهلها) أن لو شاء أصدناهم بذنوبهم (أن لو شاء صرفع عابنا فاعل يهد وان مخففة من التقلية أي ألم يهد للذين يخلفون من خلايلهم في ديارهم ويرثونها أرضهم هذا الشأن وهو ان لو شاء أصدناهم بذنوبهم كما أصدنا من قبلهم فاهلكنا الوارثين كما أهلكنا المورثين وانما عدى فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين (ونطبع)

(الذين كذبوا شيعيا) مبتدأ أخبره (كان لم يغنوا فيها) لم يقيموا فيها في المكان أقام (الذين كذبوا شيعيا) مبتدأ أخبره (كانوا هم)  
الخامس من) لاسن قالوا لهم انكم اذا خامسون وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه (١٢١) قيل الذين كذبوا شيعيا هم  
المحصوصون بان اهلكوا  
كان لم يقيموا في درهم لان  
الذين اتبعوا شيعيا قد  
أعجبهم الله الذين كذبوا  
شيعيا هم المحصوصون  
بالخسران العظيم دون  
أتباعه فهم الرابحون وفي  
التكرار مبالغة واستعظام  
انكذبهم وما جرى عليهم  
(فتولى عنهم) بعد ان نزل  
هم العذاب (وقال يا قوم  
لقد ابلغتكم رسالاتي في  
نصحت لكم فكيف آسى)  
أخزن (على قوم كافرين)  
اشتد خزنه على قومه ثم أنكر  
على نفسه فقال كيف يشتد  
خزني على قوم ليسوا باهل  
للحزن عليهم لكفرهم  
واستحقاقهم ما نزل بهم أو  
أراد لقد أعذرت لكم في  
الابلاغ والتحذير مما حل  
بكم فلم تصدقوني فكيف  
آسى عليكم (وما أرسلنا في  
قرية من نبي) يقال لكل  
مدينة قرية بوقية حذف  
أى فكذبوه (الا أخذنا  
أهلها بالأساء) بالبر  
والفقر (والضراء) الضر  
والمرض لاستكبارهم  
عن اتباع نبيهم أو هما  
نقصان النفس والمال  
(لهم) يضرعون  
ليتضرعوا ويتذللوا

ملوك مدین وكان ملڪهم فی زمن شعيب يوم الظلة اسمہ کلن فلما هلك قالت ابنته شعرا تبكيه وترثيه به  
كلن هدم ركنی \* هلكه وسط المحله

سيد القوم أتاه \* هلك نار تحت ظله \* جعلت نار اعليهم \* درهم كل مضحله  
وقوله تعالى (الذين كذبوا شيعيا كأن لهم فيها جنة) يعني كأن لم يقيموا فيها ولم ينزلوها بما من الدهر  
يقال غنبت بالمكان أى أقتب به المغانى المنازل التي بها أهلها واحد هاتفي قال الشاعر  
ولقد غنوتوا فيها بنعم عيشة \* في ظل ملك ثابت الاوتاد

أراد أقاموا فيها وقيل في معنى الآية كأن لم يعيشوا فيها متنعين مستغنيين يقال غنى الرجل اذا استغنى وهو  
من الغنى الذى هو ضد الفقر (الذين كذبوا شيعيا كانوا هم الخامس من) يعنى خسروا أنفسهم هلاكمهم  
(فتولى عنهم) يعنى فاعرض عنهم شعيب شاخصا من بين أظهرهم حين أناتهم العذاب (وقال يا قوم لقد  
أبلغتكم رسالاتي ونصحت لكم) يعنى انه قال لهم ذلك لما تيقن نزول العذاب بقومه واخذوا فاهل كان  
ذلك القول قبل نزل العذاب أو بعده على قولين سيقا قصة صالح عليه الصلاة والسلام (فكيف  
آسى) يعنى أأخزن (على قوم كافرين) والاسم أشد الحزن وانما اشتد خزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين  
وكان يتوقع منهم الاجابة والايان فلما نزل بهم ما نزل من العذاب عرى نفسه فقال كيف أخزن على قوم  
كافرين لانهم هم الذين اهلكوا أنفسهم باصرارهم على الكفر وقيل في معنى الآية ان شيعيا قال لقد  
أعذرت اليكم في الابلاغ والنصحة والتحذير فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا نصحي فكيف أخزن عليكم يعنى انكم  
لستم مستحقين لان يحزن عليكم فعلى القول الاول انه حصل لشعيب خزن على قومه وعلى القول الثانى لم يحزن  
عليهم والله أعلم بوقوله تعالى (وما أرسلنا في قرية من نبي) فيه اضمار وحذف تقديره فكذبوه (الا أخذنا  
أهلها بالأساء والضراء) قال ابن مسعود بالأساء الفقر والضراء المرض وهو معنى قول الزجاج فانه قال  
بالأساء كل ما ناله من الشدة في أموالهم والضراء كل ما ناله من الامراض وقيل بالأساء الشدة ومضيق  
العيش والضراء الضر وسوء الحال (لهم يضرعون) يعنى انما فعلنا بهم ذلك لكي يتضرعوا ويتوبوا  
والضرع الخسوع والافتقار لامر الله عز وجل والمراد من هذه الآية ان الله عز وجل لما عرف نبيه صلى الله  
عليه وسلم احوال الانبياء مع أهلهم المكذبة وقص عليهم من أخبارهم وعرفه مسته في الامم الذين خلوا من قبله  
وما صاروا اليه من الهلاك والعذاب عرفه في هذه الآية انه قد ارسل رسلا إلى أمم آخر فكذبوا رسلاهم  
فاخذهم بالأساء والضراء كما فعل بمن كذب رسله وفيه تخويف وتحذير لكفار قريش وغيرهم من الكفار  
ليترجموا وعما هم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين تعالى انه لا يجزى تديبره في أهل القرى على خط واحد  
وسنة واحدة انما يديرهم بما يكون الى الايمان أقرب وهو قوله تعالى (ثم بدلنا مكان السبئية الحسنة) لان  
ورود النعمة على البدن والمال بعد الشدة والضيق يستدعى الانقياد للطاعة والاستغفار بالشكر قال أهل  
اللغة السبئية كل ما سوء صاحبه والحسنة كل ما يستحسنه الطبع والعقل فالسبئية والى حسنة هنا الشدة  
والرخاء والممة انه تعالى بدل مكان الأساء والضراء النعمة والسعة والخصب والصحة في الابدان فاخبر الله  
تعالى في هذه الآية انه يأخذ أهل المعاصي والكفر نارة بالشدة وتارة بالرخاء على سبيل الاستدراج وهو قوله  
(حتى عفوا) يعنى انه فعل ذلك بهم حتى كثروا وكثرت أموالهم يقال عفا الشعر اذا كثروا ط قال مجاهد حتى  
كثرت أموالهم وأولادهم (وقالوا) يعنى من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا الى الرخاء والسعة (قدمس آباءنا

(١٦ - خازن - ثاني)

من البلاء والخسرة والرخاء والسعة والصحة (حتى عفوا) كثروا وعفا في أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا الذنوب اذا كثروا منه وقوله عليه  
السلام وعافوا الله (وقالوا قدمس آباءنا

من ذلك اجراء كلامه  
على حكم التغليب (وما  
يكون لنا) وما ينبغي لنا  
وما يصح (أن نعود فيها  
الآن يشاء الله بنا) الا  
أن يكون سبق في مشيئته  
أن نعود فيه اذ الكائنات  
كلها بمشيئة الله تعالى خيرها  
وشرها (وسع بنا كل شيء  
علما) فغير أي شيء هو عالم بكل  
شيء فهو يعلم أحوال عباد  
كيف تتحول وقلوبهم  
كيف تنقلب (على الله  
توكلنا) في أن يشئنا على  
الايان وبوقفنا لزياد  
الايان (ربنا افتح بيننا  
وبين قومنا بالحق) أي  
احكم والفتاحة الحكومة  
والقضاء بالحق بفتح الامر  
المعاني فلذا سمي فتحا  
ويسمى أهل عمان القاضي  
فتحا (وأنت خير الفاتحين)  
كتوله وهو خير الحاكمين  
(وقال الملأ الذين كفر وا  
من قومه) أي اتبعتم شعيبا  
انكم اذا خامرون مقبولون  
افسوات فلو اذ البغس  
والتظفيع باتباعه لانه  
ينهاكم عنهم وأمركم  
على الإبقاء والتسوية  
وجواب القسم الذي  
وطأته الام في ان اتبعتم  
وجواب الشرط انكم اذا  
خامرون فهو ساد مسد  
الجوابين (فاخذتهم  
الرجفة) الزلزلة (فأصبحوا  
في دارهم جاثمين) ميتين

نحي قومه الذين آمنوا به من تلك الملة الباطلة الا أن شعيبا انظم نفسه في جلتهم وان كان برشا كما كانوا عليه  
من الكفر فاجرى الكلام على حكم التغليب وقيل معنى اننا الله منها علمنا قبح ملتكم وفسادها فكانت  
خلصنا منها (وقوله تعالى اخبار عنه) (وما يكون لنا أن نعود فيها الآن يشاء الله بنا) يعني وما يكون لنا أن  
نرجع الى ملتكم ونترك الحق الذي نحن عليه الآن يشاء الله بنا يعني الان يكون قد سبق لنا في علم الله  
أن نعود فيها فحينئذ يعرض قضاء الله وقدره فينا بنفسه سابقا بمشيئته علينا وقال الواحدى معنى العود هنا  
الا ابتداء والذي عليه أهل العلم والسنة في هذه الآية أن شعيبا وأصحابه قالوا كما نلنا رجوع الى ملتكم بعد ان  
وقفنا على انها ضلالة تكسب دخول النار الان بان يد الله اهلا كنافا ورا رجعة الى الله غير خارجة عن  
قبضته يسعد من يشاء باطاعة ويشقى من يشاء بالمعصية وهذا من شعيب وقومه استسلام لمشيئة الله ولم تزل  
الانبياء والا كابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر ألا ترى الى قول الخليل عليه الصلاة والسلام واجتنبى ونى  
أن تعبد الاصنام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول بالمقلب القلوب ثبت قلمي على دينك قال  
الزجاج رحمه الله تعالى المعنى وما يكون لنا أن نعود فيها الآن يكون قد سبق في علم الله ومشيئته ان نعود فيها  
وتصديق ذلك قوله (وسع بنا كل شيء علما) يعني انه تعالى يعلم ما يكون قبل أن يكون وما سيكون وانه تعالى  
كان علما في الازل بجميع الاشياء فالسعيد من سعد في علم الله تعالى والشقى في علم الله تعالى (على الله  
توكلنا) أي على الله تعتمد واليه تستند في أمورنا كلها فانه السكا في أن توكل عليه والمعنى على الله توكلنا على  
غيره فكأنه ترك الاسباب ونظر الى مسبب الاسباب (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) لما ليس شعيب من  
ايان قومه دعاها الذعاء فقال ربنا افتح أي اقض وافصل واحكم بيننا وبين قومنا بالحق يعني بالعدل الذي  
لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف (وأنت خير الفاتحين) يعني خير الحاكمين قال الفراء ان أهل عمان يسمون  
القاضي الفاتح والفتاح وقال غير من أهل اللغة هي لغة مرادوا تشد لبعضهم في ذلك  
ألا يبلغ بنى عصم رسولاً \* قالى عن فتى حكم غنى ٧

أراد انه غنى عن حكمهم وقاضيه وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما كت أدري ما معنى قوله ربنا افتح بيننا  
وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين حتى سمعت ابنة ذى بن ن تقول تعال أفاتحك يعني أقاضيك وهذا قول  
قنادة السدي وابن جرير وجهو المفسرين ان الفاتح هو القاضي والحاكم سمي بذلك لانه بفتح اطلاق  
الاشكال بين الخصوم ويفصلها وقال الزجاج وجاز أن يكون معناه بنا أظهر أمرنا حتى بفتح بيننا وبين  
قومنا وينكشف المراد منه أن ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم ميطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين  
وعلى هذا الوجه فالفتح برادبه الكشف والتمييز (وقال الملأ الذين كفروا من قومه) أي اتبعتم شعيبا  
وقال جماعة من أشراف قوم شعيب بمن كفر به لاخرين منهم أي اتبعتم شعيبا على دينه وتركتم دينكم  
وملتكم وما أنتم عليه (انكم اذا خامرون) يعني انكم لم تكونوا في فعلكم (فاخذتهم الرجفة) يعني الزلزلة  
الشديدة (فأصبحوا في دارهم جاثمين) قال ابن عباس وغيره فتح الله عليهم بابا من جهنم فأرسل عليهم حر  
شديد من جهنم فاخذوا بناسهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا في الاسراب ليردوا فيها وجدوها أشد حر  
من الظاهر فخرجوا بها الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فاذا ظلتهم وهي الظلة فوجدوا  
لها بردا ونسيجا فدى بعضهم بعضهم اذ اجتمعوا تحت السحابة رجاهاهم ونساؤهم وصبياتهم ألهم الله  
عليهم نارا ور جفت بهم الارض من تحتهم فاحترقوا كاحترق الجراد في القلى وصاروا مدا او روى أن الله  
تعالى حبس عنهم الريح مدة أيام ثم سلب عنهم الحر حتى هلكوا وقال قنادة بعث الله شعيبا الى أصحاب  
الايكة والى أهل مدين فأما أصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة وأما أهل مدين فاختذتهم الرجفة صاحبهم جبريل  
عليه السلام صبعة هلكوا جميعا قال أبو عبد الله المجلى كان أبو جاد وهو زوج حطى وكان وسعصف وفرشت  
٧ هكنا بالاصل واهله عن فتى فتح حتى يتم الاستبها اه مصححه

(وتبغونها) وتطلبون لسبيل الله (عوجا) أى تصفونها بالناس بانها اسيدل معوجة غير مستقيمة فتمتعوهم عن سلوكها وحمل توعدون وما عطف عليه النص على الحال أى لا تقعدوا مع دين وصادين عن سبيل الله وباغين عوجا (واذكر واذا كنتم قليلا) اذمفعول به غير ظرف أى واذكر واعى جهة الشكر وقت كونكم قليلا عدكم (فكترتم) الله وفردكم (١١٩) وقيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرجى الله في نسبها بابركة والنساء فكثروا وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) آخر امر من أقصد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (وان بان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به ووطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) فانتظروا (حتى يحكم الله بيننا) أى بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم وأهو حث للمؤمنين على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من المشركين الى أن يحكم الله بينهم. وبتنقم لهم منهم أو هو خطاب للفر يقين أى ليصبر المؤمنون على أذى الكفار والكافرين على مابسوءهم من إيمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب (وهو خير الحاكمين) لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الجور (قال الملائكة) استكبروا من قومه

وتخوفونه بالقتل قال ابن عباس كانوا يجلبون على الطريق فيخبرون من أتى عليهم ان شعبيا الذي تريدونه كذاب فلا يفتنكم عن دينكم (وتبغونها عوجا) يعنى ويريدون اعوجاج الطريق عن الحق وعدو طماع القصد وقيل معناه وتلمسون لها الرغ والاضلال ولا تستقيمون على طريق الهدى والرشاد (واذكر واذا كنتم قليلا فكترتم) يعنى ان شعبيا عليه الصلاة والسلام ذكرهم نعمة الله عليهم قال الزجاج يحتمل ذلك ثلاثة أوجه كثر عدكم وكثركم بالغنى بعد الفقر وكثركم بالقوة بعد الضعف ووجه ذلك انهم اذا كانوا اقراء ضعفاء فهم بمنزلة القليل والمعنى انه كثرتم بعد القوة وأعزكم بعد النعمة فاشكروا نعمة الله تعالى عليكم وآمنوا به (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) يعنى وانظروا واعتبار ما نزل من كتابكم من الامم السالفة والقرن الحالية حين عتوا على ربهم وعصوا رسله من العذاب والهلاك وأقرب الامم اليكم قوم لوط فانظروا كيف أرسل الله تعالى عليهم حجارة من السماء لعاصوه وكذبوا رسله (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به ووطائفة لم يؤمنوا) يعنى وان اختلفتم في رسالتى فصبرتم فريقين فرقة آمنت بى وصدق برسالتى وفرقة كذبت وجحدت رسالتى (فاصبروا) فيه وعيد وتهديد (حتى يحكم الله بيننا) يعنى حتى يقضى الله بفصل بيننا فيعين المزمعين المصدقين وينصرهم ويهلك المكذبين الجاحدين ويعذبهم (وهو خير الحاكمين) يعنى انما حكم عادل منزوع عن الجور والميل والحيص في حكمه وانما قال خير لحباكتين لانه قد يسمى بعض الاشخاص حاكما على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم في الحقيقة فلهذا قال وهو خير الحاكمين (قال الملائكة الذين استكبروا من قومه) يعنى قال الجماعة من أشرف قومه الذين تكبروا عن الايمان بالله ورسوله وتعظموا عن اتباع شعيب (انخر جنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) يعنى أن قوم شعيب أجابوه بان قالوا لا بد من أحد أمرين اما اخراجك ومن تبعك على دينك من بلدنا أو لترجعن الى ديننا وملتنا وما نحن عليه وهذا فيه اشكال وهوان شعبيا عليه الصلاة والسلام لم يكن قضا على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه فامعنى قوله ولتعودن في ملتنا أو يجب عن هذا الاشكال بان اتباع شعيب كانوا قبل الايمان به على مللة أولئك الكفار فخطبوا شعيبا وأتباعه جميعا فدخل هو في الخطاب وان لم يكن على ملتهم قط وقيل معناه لتصيرن الى ملتنا فوقع العود على معنى الابتداء كما نقول قد عاد على من فلان مكروه يعنى قد خلقتى منه ذلك وان لم يكن قد سبق منه مكروه فهو كالسائر فان تكن الايام أحسن مدة \* الى فقد عادت لهن ذنوب

أراد فقد صارت لهن ذنوب ولم يرد ان ذنوب كانت لهن قبل الاحسان (وقوله تعالى) (قال أولو كنا كارهين) أى لا نعود في ملتكم وان أكرهتمونا وأوجبرتمونا على الدخول فيها فلا نقبل ولا ندخل (قد افترى ناعلى الله كذبا بان عدنانى ملتكم بعد ادخاجنا الله منها) يعنى ان شعبيا جاب قومه اذ دعوه ومن آمن به الى العودالى ملتهم والدخول فيها فاقول قد افترى ناعلى الله كذبا ونخر صناعليه من القول باطلان نحن رجعنا الى ملتكم وقد علمنا فساد ما أتم عليه من الملة والدين وقد أنفذنا الله وخلصنا منها وبصرنا خطاها وهذا أيضا فيه من الاشكال مثل ما فى الاول وهوان شعبيا عليه الصلاة والسلام ما كان في ملتهم قط حتى يقول ان عدنانى ملتكم بعد ادخاجنا الله منها أو الجواب عنه مثل ما يجب عن الاشكال الاول وهوان نقول ان الله

والذين آمنوا معك من قريتنا ولتعودن في ملتنا) أى ليسكون أحد الأمرين اما اخراجكم واما عدكم في الكفر (قال) شعيب (أولو كنا كارهين) الهمة للاستفهام والوالولاحل تقدره أن تعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين قالوا نعم ثم قال شعيب (قد افترى ناعلى الله كذبا بان عدنانى ملتكم) وهو قسم على تقدير حذف اللام أى والله لا افترى ناعلى الله كذبا بان عدنانى ملتكم (بعد ادخاجنا الله منها) خلاصنا الله فان قلت كيف قال شعيب ان عدنانى ملتكم والكفر على الانبياء عليهم السلام محال قلت أراد عود قومه الانه انظم نفسه

(الامرأته كانت من الغابرين) من الباقيين في العذاب والذين كبر تغليب الذكور على الاناث وكانت كافر قموالية لاهل سدوم ووروي انها التفت فاصحابها جحرفات (وأمرنا عليهم مطرا) وأرسلنا عليهم نواعمن المطر محجبا قالوا مطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خشف بالمقيميين منهم وأمرت بحجارة (١١٨) على مسافرهم وقال أبو عبيدة مطر في العذاب ومطر في الرحمة (فانظر كيف كان

عاقبة المجرمين) الكافرين يعني فأتجنيحوا لوطا ومن آمن به واتبعه على دينه وقيل المراد بالهال المصلون به بسبب النسب والمراد بادهاله ابتداء (الامرأته) يعني زوجته (كانت من الغابرين) يعني كانت من الباقيين في العذاب لانها كانت كافرة وقيل معناه كانت من الباقيين المعمرين قد أتى عليها دهر طويل ثم هلكت مع من هلك من قوم لوط وانما قال من الغابرين ولم يقل من الغابرات لانها هلكت مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال من الغابرين (وأمرنا عليهم مطرا) يعني حجارة من سمعيل قد نجت بالكبريت والنار يقال مطرت السماء وأمطرت وقال أبو عبيدة يقال في العذاب أمطرت وفي الرحمة مطرت (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) يعني انظر يا محمد كيف كان عاقبة هؤلاء الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا الفواحش كيف أهلكهم قال مجاهد نزل جبريل عليه السلام فادخل جناحيه تحت مائدة قوم لوط فاقتله وافرغها إلى السماء ثم قالها فجعل أعلاها أسفلها ثم انبعوا بالحجارة وقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين وان كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره من أمته ليعتبروا بما جرى على أولئك فيزجروا بذلك الاعتبار عن الأفعال القبيحة والفواحش الخبيثة قوله عز وجل (والى مدين أخاهم شعيبا) يعني وأرسلنا إلى مدين أكثر المنسرين على ان مدين اسم رجل وهو مدين بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فعلى هذا يكون المعنى وأرسلنا إلى ولد مدين ومدين اسم للقبيلة كما يقال بنو تميم وبنو عدى وبنو أسد وقيل مدين اسم للماء الذي كانوا عليه وقيل هو اسم لمدن بنو على هذين القولين يكون المعنى وأرسلنا إلى أهل مدين والصحيح هو الاول لقوله أخاهم شعيبا يعني في النسب لاني في الدين وشعيب هو ابن نوب بن مدين بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام قاله عطاء وقال محمد بن اسحق هو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وأم ميكيل بنت لوط عليه السلام وقيل هو شعيب بن يثرون بن نوب بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وكان شعيب أعمى وكان يقال له خطيب الانبياء حسن مراجمته قومه وكان قومه أهل كفر ونحس في المكيل والميزان (قال) يعني شعيب (يا قوم اعبدوا الله مالكم من الله غيره قد جاءكم بينكم من ربكم) يعني قد جاءكم تخفون به ان ربكم بتحقيقه ما أقول وصدق ما ادعى من النبوة والرسالة اليكم لانه لا بد لكل نبي من معجزة تدل على صدق ما جاء به من عند الله غير ان تلك المعجزة التي كانت لشعيب لم تذكر في القرآن وليست كل آيات الانبياء معجزة كورة في القرآن وقيل أراد بالنبوة محي شعيب بالرسالة اليهم وقيل أراد بالنبوة الموعظة وهي قوله (فاوقوا الكيل والميزان) يعني فاوقوا الكيل والميزان وأعطوا الناس حقوقهم وهو قوله (ولا تبغوا الناس أشياءهم) يعني لا تظلموا الناس حقوقهم ولان الله صوهم اياها فطفقوا الكيل والوزن يقال نحس فلان في الكيل والوزن اذا نقصه وطفقه (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) يعني بعد ان أصلحها الله تعالى ببعثة الرسل واقامة العدل وكل نبي يبعث الى قوم فهو صلاحهم (ذلكم) يعني الذي ذكرت لكم وأمرتكم به من الايمان بالله ورفاء الكيل والميزان وترك الظلم والبغس (خير لكم) يعني بما أتمم عليهم من الكفر وظلم الناس (ان كنتم مؤمنين) يعني ان كنتم مصدقين بما أقول (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) يعني ان شعيبا قال لقومه الكفار ولا تقعدوا على كل طريق من الدين والحق تمنعون الناس من الدخول فيه وتهتدونهم على ذلك وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون من يرى بالايمان بالله برسوله شعيب وهو قومه تعالى (وتصدون عن سبيل الله من آمن به) يعني وتمنعون من يرى بالايمان بالله وتقولون ان شعيبا كذاب

الليل والنهار (ذلكم) شارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البغس والافساد في الارض (خير لكم) في الانسانية وتحسن الاحدونة (ان كنتم مؤمنين) مصدقين لي في قولي (ولا تقعدوا بكل صراط) بكل طريق (توعدون) من آمن بشعيب بالعباد (وتصدون عن سبيل الله) عن العبادة (من آمن به) بالله وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين ونخوفونه



(ولوط اذ قال لقومه) أي واذكر لوطوا واذبل منه (أتأتون الفاحشة) أنه فعلون السيئة المذمومة في القبح (ماسبقكم بها) ماعلمها قبلكم والباء للتعبية ومنه قوله عليه السلام سبقكم بها عاكشة (من أحد) من زائدة (١١٧) لتأكيد النفي وفادة معنى الاستغراق

(من العالمين) من للتبعية  
وهذه جملة مستأنفة أنكر  
عليهم أولا بقوله أتأتون  
الفاحشة ثم ونههم عليها  
فقال أتم أول من عملها  
وقوله تعالى (أنتم)  
لتأتون الرجال) بيان  
لقوله أتأتون الفاحشة  
والهزة مثلها في أتأتون  
لأنكار أنكم على الأخبار  
مدني وحفص يقال أتى  
المرأة ذاعضا (شهوة)  
مفعول له أي للاشتهاء  
لاحمال اسمك عليه لا مجرد  
الشهوة ولا ذم أعظم منه  
لأنه وصف لهم باليهيمة  
(من دون النساء) أي  
لأن النساء (بل أتم قوم  
مصرفون) أضرب عن  
الإنكار إلى الأخبار عنهم  
بالحال التي توجب ارتكاب  
القبح وهو أنهم قوم  
عادتهم الاسراف وتجاوز  
الحدود في كل شيء فمن  
اسرفوا في باب قضاء الشهوة  
حتى تجاوز المعتاد إلى غير  
المعتاد (وما كان جواب  
قومه الآن قالوا آخر جوهم  
من قريتهم) أي لوطا  
ومن آمن معه يعني ما أجابوه  
بما يكون جوابا عما  
كلهم بل لو من أنكار  
الفاحشة ووصفهم بصفة  
الاسراف الذي هو أصل

فبعث الله الناقة فكانت تزد من هذا الفج وتصد من هذا الفج وتشر به ماءهم يوم يوم ودها وأراهم مرتقى  
الفصل من القارة فتعوا عن أمرهم وعقر وهافا هلك الله من تحت أديم السماء منهم في مشارق الأرض  
ومغارها الأرجل واحد يقال له أبو رغال وهو أبو نقيف كان في حرم الله فحرم الله تعالى من عذاب الله  
فلم يخرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ودفن معه عفن من ذهب وأراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر  
أبي رغال فنزل القوم وأبتدروا بسياهم وحفر وراغنه واستخرجوا ذلك العفن وكانت الفرقة المؤمنة من قوم  
صالح أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضرموت فلما دخلوها مات صالح فسمي حضرموت ثم بنوا أربعة  
آلاف مدينة وسموها حضورا وقال قوم من أهل العلم توفي صالح عليه الصلاة والسلام بمكة وهو ابن ثمان  
وخمسين سنة وقام في قومه عشرين سنة (ولوط) يعني وأرسلنا لوطا وقيل معناه واذكر يا محمد  
لوطا وهو لوط بن هاران بن نارخ وهو ابن أخي إبراهيم وإبراهيم عمه (اذ قال لقومه) يعني أهل سدوم والبهم  
كان قد أرسل وذلك أن لوطا عليه السلام لما هاجر مع عمه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام إلى الشام فنزل  
إبراهيم عليه الصلاة والسلام أرض فلسطين ونزل لوط الأردن أرسله الله تعالى إلى أهل سدوم يدعوهم إلى الله  
وتعالى وينهاهم عن فعلهم الفج وهو قوله تعالى (أتأتون الفاحشة) يعني أنفعواون الفعل الخبيثة التي هي غاية  
في القبح وكانت فاحشتهم آيات الذكران في أدبارهم (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) من الأولى زائدة  
لتوكيد النفي وفادة معنى الاستغراق والثانية للتبعية والمعنى ماسبقكم بها القوم بهذه الفعل الفاحشة  
أحد من العالمين قبلكم وفي هذا الكلام توخي لهم ونقر ببيع على فعلهم تلك الفاحشة قال عمر بن دينار ما ترا  
ذكر على ذكر في الدنيا إلا كان من قوم لوط (أنتم لتأتون الرجال) يعني في أدبارهم (شهوة من دون  
النساء) يعني أن أدبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء (بل أتم) يعني أيها القوم (قوم مسرفون)  
أي مجاوزون الحلال إلى الحرام وأنما ذمهم وغيرهم وبنههم بهذا الفعل الخبيث لأن الله تبارك وتعالى خلق  
الإنسان ورب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا وجعل النساء محلا للشهوة وموضع النسل  
فأذا تركهن الإنسان وعدل عنهن إلى غيرهن من الرجال فكأنما قد أسرف وجاوز واعتدى لأنه وضع الشيء  
في غير محله وموضعه الذي خلق له لأن أدبار الرجال ليست محلا للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة  
في الإنسان وكانت قصة قوم لوط على ما ذكره محمد بن اسحق وغيره من أهل الأخبار والسيرة أنه كانت قري  
قوم لوط محبة ذات زروع وغمار يكن في الأرض مثلها فقصدهم الناس فأذوهم وضيقوا عليهم فعرض  
لهم إبليس في صورة شيخ وقال لهم اذفعلتم بهم كذا وكذا انجوتم منهم فابوا فاعلم الخ الناس عليهم قصدوهم  
فأصابوا غلما ناسا ناسا فاختبوا فاختبوا واستحجم ذلك فيهم قال الحسن كانوا لا ينسكحون إلا للرباء وقيل  
استحجم ذلك الفعل فيهم حتى نكح بعضهم بعضا وقال السكاني أن أول من عمل به عمل قوم لوط إبليس وذلك  
لأن بلادهم أخصبت فقصدها أهل البلدان فتعطل لهم إبليس في صورة شاب أمره دفن عالى نفسه فكان أول  
من نكح في دبره فأمر الله تعالى السماء أن تحصبهم والأرض أن تحسفهم (ولوط عز وجل) وما كان  
جواب قومه) يعني وما كان جواب قوم لوط لوطا ذووهم على فعلهم القبح وركوبهم ما حرم الله تعالى  
عليهم من العمل الخبيث (الآن قالوا) يعني قال بعضهم لبعض (آخر جوهم من قريتهم) يعني آخر جواب  
لوطا وأتباعه وأهل دينهم بآدم (أنهم أناس يتطهرون) يعني أنهم أناس يتزهدون عن فعلكم وعن  
أدبار الرجال لأنهم موضع النجاسة ومن تركها فقد تطهر وقيل إن البعد عن المعاصي والآثام يسجد طهارة  
فمن تباعد عنها فقد تطهر فلما قال أنهم أناس يتطهرون أي من فعل المعاصي والآثام (فانجيها وأهلكه)

الشر ولسكنهم جاؤا بشئ آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الأمر بإخراجه ومن معهم المؤمنين من قريتهم (أنهم أناس يتطهرون) يدعون  
الطهارة ويدنون فعلنا الخبيث عن ابن عباس رضي الله عنهما عابوهم بما يندح به (فانجيها وأهلكه) ومن يخص به من دونه من المؤمنين

باجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل فلما اوصى بحوائى اليوم الثانى اذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدم  
 فصاحوا وضجوا و بكوا و ايقنوا انه العذاب فلما اوصوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يومان من الاجل  
 وحضركم العذاب فلما اوصى بحوائى اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كأنما طابت بالغار فصاحوا جميعا الا  
 قد حضركم العذاب فلما كانت ليلة الاحد خرج صالح عليه الصلاة والسلام ومن أسلم معه من بين أظهرهم  
 الى الشام فزلزلة فظلم ظلمات فى اليوم الرابع فكفوا وتخطوا و أقربا بانفسهم الى الارض  
 يقبلون أبصارهم الى السماء مرة الى الارض مرة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضجى من  
 يوم الاحد أنهم صيحة عظيمة من السماء فيه اصوت كل صاعقة وصوت كل شئ له صوت فى الارض فتقطعت  
 قلوبهم فى صدورهم وهلكوا جميعا الا جارية مقعدة يقال لها ذرية بنت سالف وكانت كافرة شديدة العداوة  
 لصالح عليه الصلاة والسلام فاطاق الله تعالى رجلها بعد ما عاينت العذاب وبأصاب ثمود فخرجت مسرعة  
 حتى أتت وادى القرى فاخبرتهم بما عاينت من العذاب الذى بشؤدهم استقت ماء فسقت فلما شربت ماتت  
 فى الحال وذكر السدى فى عقر الناقة فقال أوصى الله عز وجل الى صالح عليه الصلاة والسلام ان قومك  
 سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك صالح فقالوا ما كنا لنفعل فقال صالح انه سيولد فى شهركم هذا غلام يعقرها  
 فيكون هلاككم على يده فقالوا لا يولد ان فى هذا الشهر ولد الا قتلتاه قال فولد لثلاثة منهم فى ذلك الشهر اولاد  
 فذبحوهم ثم ولد للغامشر ولدا فى أن يذبحه لانه كان لم يولد له قبل ذلك ولد وكان الولد الذى ولد له أحر أزرق  
 فبنت نباتا سر يعافى كان اذ امر بالنسعة فرأوه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هـ هذا الغلام فغضب  
 النسعة على صالح لانه كان سبب قتل أبنائهم فتعاسوا بالله يعنى فتحوا القوا بالله ليدبته وأهله وقالوا نخرج  
 فنرى الناس انافذ خرجنا الى سفر فنأتى الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده  
 أتينا فقتلناه ثم رجع الى الغار فنكون فيه حتى تنصرف الى رحلتنا فنقول ما شهدنا مهلك أهله وانا  
 اصادقون فيصدقوننا فيظنون انافذ خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم فى القرية بل كان يبيت  
 فى مسجده خارج القرية فاذا أصبح أناهم فيعظهم ويذكرهم فاذا أمسى خرج الى مسجده فيتعب فيه  
 قال فاطلاق النسعة الى الغار فخالوا فسقط عليهم فقتلوا فاطلاق رجال عن كان قد اطلع على أمرهم  
 لينظر واما فعل أولئك النفر فرأوهم وهم رضى فرجعوا الى القرية يصيحون ماضى صالح يقتل أولادهم  
 حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق كان النسعة قد تعاسوا على تببيت صالح بعد  
 عقر الناقة وقال السدى وغيره لما ولد للغامشر ولد سمى به بقدر فكان يشب سر يعا فلما كبر جلس مع  
 أناس يشربون الخمر فارادوا ما ليمزجوا به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد  
 شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نضع نحن بلبن هذه الناقة ولو كنا نأخذ هذا الماء الذى تشر به الناقة  
 فنسقيه لانعامنا وزرعنا كان خيرا لنا وقال ابن العاشر هل لكم ان أعقرها لكم قالوا نعم فقهرها (ق) عن  
 ابن عمر رضى الله عنهما قال لما روى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا  
 أنفسهم أن يصيبكم ما يصابهم الا أن تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع الميسر حتى جاوز وادى وفى رواية  
 لمسلم لا تدخلوا على هؤلاء العذابين ثم ذكر مثله ولما عاين الناس نزول امر رسول الله صلى الله عليه وسلم على  
 الحجر أرض ثمود فاستعوا من آبائهم وعجنوا به الجبين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهرقوا ما  
 استعوه ويعلفوا الابل الجبين وأمرهم أن يستقوا من البئر التى كانت تردها الناقة وللخارى ان رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحجر فى غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من آبارها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجننا  
 منها واستقينا فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يطرخوا ذلك الجبين ويهرقوا ذلك الماء وفى بعض  
 الاحادىث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسالوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح والارسلوهم الآية

وجهوا كثرهم ما لافاجاه الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف وكان رجلاً أزرق قصيرا  
 وزعمون انه كان ابن زانية ولم يكن اسالف ولا كنه ولد على فراشه فقالت عنيزة لقدار أي بناتي شئت  
 أعطيتك أن تعقر الناقة وكان قدار عز يزانية ما في قومهم (ق) عن عبد الله بن زمعة رضي الله تعالى عنه  
 أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والنبي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ  
 انبعث أشنة اها انبعث لها رجل عز يزاعم منيع في رهطه مثل أي زمعة قوله انبعث أي قام بسرعة والعارم  
 الخبيث الشرير والعرامة الشدة والقوة والشراسة والمنيع الممتنع عن أراده قال أصحاب الاخبار فانطلق  
 قدار بن سالف ومصدق بن مهبج فاستقبرا غواة ثم ودفا تبعهم سبعة نفر فكانوا تسع رهط فانطلق قدار  
 ومصدق وأصحابهم فاصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طرفها وكمن  
 لها مصدع في أصل صخرة أخرى فرت على مصدع فرماها بسهم فانتهط في عضلة ساقيها فخرجت أم غنم عنيزة  
 وأمرت ابنتها فسفرت عن وجهها وكانت من أحسن الناس وجهاً ليراها قدار ثم حشته على عقرها وأغرته به  
 فسقط قدار على الناقة بالسيف فكشف عرقها فخرت ورغت رغاء واحدة فصدرت سقيها من الجبل ثم طعن  
 قدار في ابنتها فخرها فخرج أهل البلاد فاقسموا لجها فلما رأى سقيها ذلك انطلق هارباً حتى أتى جبلاً منيعاً  
 يقال له صور وقيل قارة وأتى صالح عليه الصلاة والسلام فقيل له أدرك الناقة فقد عقرت فاقبل نحوها وخرج  
 أهل البلدة يتلقونه يعتذرون اليه ويقولون يا بني الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظر واهل  
 تدركون فصليها فان أدركتموه فغسي أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا في طلبه فمروا على الجبل فذهبوا  
 ليأخذوه فأوحى الله تعالى الى الجبل أن تطاول فتطاول حتى مانتا له الطير وجاء صالح عليه الصلاة والسلام  
 فاماراه الفصل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثاً ثم انفعرت الصخرة فدخلها فقال صالح لكل رغو فأجل  
 يوم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وقال ابن اسحق تبع السقب أربعة نفر من التسعة الذين  
 عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهبج وأخوه ذؤاب فرماه مصدع بسهم فاصاب قلبه ثم جذبه فانهزله وألقوا  
 لجمع لحم أمه وقال لهم صالح عليه الصلاة والسلام اتهمكم حرمة الله فابشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم  
 يهزؤون به ومضى ذلك يا صالح وما آية ذلك وكنا نؤيسمون الايام في ذلك الوقت الاحد أول الاثنين أهون  
 والاثنا عشر والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروية والست شبار وكانوا عقروا الناقة يوم  
 الاربعاء فقال لهم صالح عليه الصلاة والسلام حين قالوا ذلك تصبحون غداً يوم مؤنس وجوهكم مصفرة ثم  
 تصبحون يوم العروية وجوهكم حمرة ثم تصبحون يوم شبار وجوهكم مسودة ثم تصبحون العذاب يوم أول  
 فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلموا فلقنقتل صالحا فان كان صادقا فلعنناه قبلنا وان كان  
 كاذبا كننا قد اخطأنا فبقاؤه ليلنا ليلتنا فلو في أهله فدمعتهم الملائكة بالجاردة فلما أبطلوا على أصحابهم  
 أنوا منزل صالح عليه الصلاة والسلام فوجدوه وقد رضعوا بالجاردة فقالوا لصالح أنت قتلته ثم هموا به  
 فقامت عشيته ودنه وقالوا لا تقتلوه ابدافانه قد وعدكم العذاب انه نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا لم تزدوا  
 ر بكم الا غضبا عليكم وان كان كاذبا فاقدموا مني يدون فانصرفوا عنه تلك الليلة فاصبوا يوم الخميس  
 وجوههم مصفرة كما طلبت بالخلق صغيرهم وكبيرهم ذكهم وأنثاهم فاقبوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا  
 قد صدقهم فيها قال فطلبوه ليلتنا فلو في أهله فدمعتهم الملائكة بالجاردة فلما أبطلوا على أصحابهم  
 واسمه نقيل وبكى باني هذب وهو مشرك فقتل صالحا فمقدروا عليه وكانوا اعمدوا الى أصحاب صالح ليدلوهم  
 عليه فقال رجل من أصحاب صالح له لم يدع من هم يا بني الله انهم يعدون انك قد قتلهم عليك أن تدلهم عليك  
 قال نعم فدلوهم عليه فانوا أباهذب فكلموه في أمر صالح فقال هو عندى وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه  
 وتركوه وشغلهم منازلهم من العذاب فجعل بعضهم يخبر بعضا برون في وجوههم فلما أمسوا صاحوا

وفيه فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم أقواما قد جيفوا فقال ما أنتم باسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون  
وقيل إنما خاطبهم صالح بذلك ليكون عبرة لغيرهم فينبذ عن مثل تلك الطرقة التي كانوا عليها  
✽ ذكر كفة ثم دعى ما ذكره محمد بن اسحق وذهب بن منبه وغيرهما من أصحاب السيرة والخبر  
قالوا جميعا أن عاد الماهلكت وانقضت أمرها عمرت ثم دبت بعد هوائها واستخلفت في الأرض فدخلوا فيها واكثروا  
وعمر وراحت أن أحدهم لبني المسكن من المدر فينهدم والرجل حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا  
وكانوا في سعة من العيش والرءاء فعدوا وأفسدوا في الأرض وعبدوا غير الله فبعث الله تعالى إليهم صالحا  
نبيا وكانوا قوم ماعر باؤكان صالح من أوسطهم نسبيا وأفضلهم بيتا وحسبا فبعثه الله تعالى إليهم وهو غلام فلم يزل  
يدعوهم إلى الله تعالى وإلى عبادة حتى شبط وكبر فلم يلقه منهم الا قليل مستضعفون فلم يأخ عليهم صالح  
بالدعاء والتبليغ وأكثرتهم التخذير والتخويف سألوه أن يرهم آية تكون مصداقا على ما يقول فقال  
صالح أي آية تريدون فقالوا نخرج معنا إلى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون فيه أصنامهم وذلك في يوم معلوم  
من السنة وقالوا ندعوا لك وندعوا آلهتنا فان استجيب لك انبتناك وان استجيب لنا انبتنا فقال لهم  
صالح نعم فخرجوا باصنامهم إلى عيدهم وخرج صالح معهم ودعوا أولادهم وسألوه أن لا يستجاب لصالح في  
شيء مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن حواش وهو يومئذ سيد ثمود يصلح أخرج إنا من هذه الصخرة  
لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاتبة ناقة تخترجة جوفاء براء عشرة أو الخمسة ماشا كانت  
البحث من الابل فان فعات أنما بك وصدفناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لأن فعلت لتصدقن ولتؤمنن بي  
قالوا نعم قال فصلى صالح عليه الصلاة والسلام ركعتين ودعا به عز وجل فمضت الصخرة كما تمحض  
التوحيج بولدها ثم تحركت الهضبة عن ناقة عشرة جوفاء براء كسألو أو وصفوا غير أن لا يعلم ما بين جنبها  
الا الله عز وجل أعظمها وهم ينظرون اليها ثم تجت سقيا لمائها العظم فلم يبه جندع بن عمرو وردها معه من  
قومه وأراد بقية أشرف ثمود أن يؤمنوا به ويصدقوه فنعهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والخباب وكانا صاحبي  
أولادهم وباب بن ضمير وكان كاهنهم وكانوا من أشرف ثمود فلما خرجت الناقة من الصخرة قال لهم صالح  
هذه ناقة طاهر بولكم شرب يوم معلوم فكشفت الناقة ومهاسبها في أرض ثمود ترى الشجر وتشرب الماء  
وكانت ترد الماء غيا فاذا كان يوم ورودها وضعت رأسها في بئر الحجر يقال لها بئر الناقة فترفع رأسها حتى  
تشرب كل ما فيها فلا تدع قطرة ثم ترفع رأسها فتعجج لهم فيعجبون ماشاؤا منها من ابن فيشر بون  
ويدخرون حتى يملؤا أو انهم كاهنهم تصدر الناقة من غير الفج الذي وردت منه ولا تقدر أن تصدر من حيث  
وردت حتى اذا كان من الغد مكان يوم ثمود فيشر بون ماشاؤا الله من الماء ويدخرون ماشاؤا ليوم  
الناقة فهم على ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر يظفر الوادي فتهرب منها  
مواشيهم الابل والبقر والغنم فتهبط إلى بطن الوادي فتسكون في حره وجسده واذا كان الشتاء  
فتشت الناقة في بطن الوادي فتهرب المواشي إلى ظهري فتسكون في البرد والجذب فاضرب ذلك بمواشيهم  
للامر الذي يريد الله بهم والبلاء والاختبار فكبر ذلك عليهم فمعتوا عن أمرهم بهم وحلمهم ذلك  
على عقر الناقة فاجتمعوا على عقرها وكانت امرأتان من ثمود يقال لاهما عنبيرة بنت غاثم بن مخلد  
وتكنى بام غنم وكانت عجوزا مسنة وهي امرأت ذؤاب بن عمرو وكانت ذات ثبات حسان وذات مال من ابل  
وبقر وغنم والمرأة الاخرى يقال لها صدقة بنت المختار وكانت جميلة غنية ذات مواش كثيرة وكانت من أشد  
الناس عداوة لصالح عليه الصلاة والسلام وكانت تحبان عقر الناقة لما أضرت بمواشيهم ما فتحت حيلتا في عقر الناقة  
فدعت صدقة رجلا من ثمود يقال له الحباب لمقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل فأتى عليها فدعت  
ابن عم لها يقال له مصدع بن مهزج بن الحيا وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة وكانت من أحسن الناس

منجية تدرأ الفضيحة  
ولكنها وخيمة نورث  
السخيمة روى ان عقرهم  
الناقة كان يوم الاربعاء  
فقال صالح تعيشون بعده  
ثلاثة أيام تصفرو وجوهكم  
أول يوم وتحمرو في الثاني  
ونسود في الثالث ويصيبكم  
العذاب في الرابع وكان  
كذلك روى أنه خرج في  
مائة وعشرين من المسلمين  
وهو يبكي فلما علم انهم  
هلكوا رجع بمن معه  
فكنوا ديارهم

ولانتعوا في الارض مفسدين) روى ان عاد الما اهلكتم عثرت ثود بلادها وحلقوها في الارض وعمر وأعمارها والافتحوا البيوت من الجبال خشية الانهدام قبل المات وكانوا في سعة من العيش فتعوا على الله وأفسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعت الله اليهم صالحا وكانوا قوما ربا صالحا من أوسطهم نسا فدا عاهم الى الله فلم يتبعه الاقل منهم مستضعفون فالتزمهم فساؤا وأن يخرج من صخرة بعينها ناقة عشرة افعلى ودعاه به فتمحضت فتمحض التوج بولد هان فخرج منها ناقة كاشا واما من به جندع ورهط من قومه (قال الملا الذين استكبروا من قومه) وقال شامى (الذين استضعفوا) الذين استضعفهم رؤساء الكفار (١١٣) (من آمن منهم) بدل من الذين

استضعفوا باعادة الجار وفيه دليل على أن البدل حيث جاءه كان في تقدير عادة العامل والضمير في منهم راجع الى قومه وهو بدل على أن استضعفهم كان مقصورا على المؤمنين أو الى الذين استضعفوا وهو يدل على أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين (أعلمون أن صالحا مرسل من ربه) قالوه على سبيل السخرية (قالوا انما أرسل الله به مؤمنون) وانما صار هذا جوابا لهم سألوه عن العلم بارساله فجعلوا رساله أمر معلوما مسلما كانتهم قالوا الله سلم بارساله وبما أرسل به لاشبهه فيه وانما الكلام في وجوب الايمان به فتخيركم اياه بمؤمنون (قال الذين استكبروا انما بالذي أنتم به كافرون) فوضعوا أنتم به موضع أرسل به ردا لمجابهة المؤمنين معلوما مسلما (فقروا الناقة) أسند

(ولانتعوا في الارض مفسدين) قال قتادة معناه ولا تسيروا في الارض مفسدين فيها والعنوا أشد الفساد وقيل أراد به عقر الناقة وقيل هو على ظاهره فيدخل فيه النهي عن جميع أنواع الفساد (قال الملا الذين استكبروا من قومه) يعني قال الاشرف الذين تعظموا عن الايمان باصالح (الذين استضعفوا) يعني المساكين (من آمن منهم) يعني قال الاشرف المتعلمون في أنفسهم لاتباعهم الذين آمنوا باصالح وهم الضعفاء من قومه (أعلمون أن صالحا مرسل من ربه) يعني أن الله أرسله اليك (قالوا انما أرسل الله به مؤمنون) يعني قال الضعفاء انما أرسل الله به صالحا من الدين والهدى والحق مصدقون (قال الذين استكبروا) يعني عن أمر الله والايمان به وبرسوله صالح (انما بالذي أنتم به كافرون) أي جاحدون منكرين (فقروا الناقة) يعني فقرت ثود الناقة والعقر قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقر الان ناحرا البعير يعقر ثم ينحره (وعتوا عن أمر ربهم) أي تكبروا عن أمر ربهم وتعضوه وامتوا العلو في الباطل والتكبر عن الحق والمعنى أنهم عصوا الله وتركوا أمره في الناقة وكذبوا بينهم صالحا عليه الصلاة والسلام (وقالوا يا صالح انتنا بما تعدنا) يعني من العذاب (ان كنت من المرسلين) يعني ان كنت كما تزعم انك رسول الله فان الله تعالى ينصر رساله على أعدائه وانما قول ذلك لاهم كانوا مكذبين في كل ما أخبرهم به من العذاب فجعل الله لهم ذلك فقال تعالى (فاخذتهم الرجفة) قال القراء والزجاج الرجفة الزلزلة الشديدة العظيمة وقال مجاهد والسدي هي الصيحة فيعتمد أهلها خذتهم الزلزلة من تحتهم والصيحة من فوقهم حتى هلكوا وهو قوله تعالى (فاصبحوا في ديارهم جائئين) يعني فاصبحوا في أرضهم وبلدهم جائئين ولذلك وحد الدار كما قال دار الحرب أي بلد الحرب ودار بني فلان بمعنى موضعهم ومجمعهم وجمع في آية أخرى فقال في ديارهم لأنه أراد ما لكل واحد منهم من الديار والمساكن وقوله جائئين يعني ياركبن على الركب والجنوم للناس والطير بمنزلة البروك للبعير وجنوم الطير هو وقوعه لاطا بالارض في حال نومهم وسكونه بالليل والمعنى أنهم أصبحوا جائئين على وجوههم موتى لا يتحركون (فتولى عنهم) يعني فاعرض عنهم صالح وفي وقت هذا التولى قولان أحدهما أنه تولى عنهم بعد ان تناووا هلكوا وبدل عليه قوله فاصبحوا في ديارهم جائئين فتولى عنهم والفاء للتعقيب فدل على أنه جعل هذا التولى بعد جنومهم وهو موتهم والقول الثاني أنه تولى عنهم وهم أحياء قبل موتهم وهلاكهم وبدل عليه أنه خاطبهم (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالتي وأصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) وهذا الخطاب لا يليق الا بالاحياء فعلى هذا القول يحتمل أن يكون في الآية تقديم وتأخير تقدير فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالتي وأصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في ديارهم جائئين وأجاب أصحاب القول الاول عن هذا أنه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم توبيخا وتقر بعاك خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قنلى بدر حين ألقوا في القليب فجعل يناديهم باسمائهم الحديث في الصحيح

(١٥ - خازن - ثاني) العقر الى جميعه وان كان العاقر قد اربى ساقا له كان برضاهم وكان قد اربى أزرق قصيرا كما كان فعرون كذلك وقال عليه السلام يا على أشقى الاولين عاقر ناقة صالح وأشقى الآخرين قاتلك (وعتوا عن أمر ربهم) وتولوا عنه واستكبروا وأمر ربهم ما أمر به على اسان صالح عليه السلام من قوله قد روهاتنا كل في أرض الله وأشار ربهم وهو دينه (وقالوا يا صالح انتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من المرسلين) فاخذتهم الرجفة (الصيحة التي زلزلت لها الارض واضطر بها) فاصبحوا في ديارهم أي مساكنهم (جائئين) أي ميتين قودا (قال الناس جنم قودا لا حراك بهم) بلادهم لا يتسكمون (فتولى عنهم) لما عقر الناقة (وقال يا قوم) عند فراقه اياهم (لقد أبلغتكم رسالتي وأصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) الأمرين بالهدى لاستحالة الهوى والنصيحة

بتا ويل القبيلة وقيل  
سميت نود لثمة ماها من  
الجمد وهو الماء القليل  
وكانت مساكنهم بالحجر  
بين الحجاز والشام (أخاهم  
صالح قال يقوم اعيد والله  
مالك من اله غير ه قد  
جاءتكم بيته من ربكم)  
ايه ظاهرة شاهدة على صحة  
نوبى فكانه قيل ما هذه  
البينة فقال (هذه ناقة الله)

وهذه اضافة تخصيص  
ونعظيم لانها يتكبر به تعالى  
بلا صلب ولا رحم (لكم  
آية) حال من الناقة  
والعامل معنى الاشارة  
في هذه كانه قيل أشير اليها  
آية ولكم بيان لمن هي له  
آية وهي نود لانهم عابوها  
(فدروها) تأكل في أرض  
الله أى الارض أرض الله  
والناقة ناقة الله فدروها  
تأكل في أرض ربهم  
نبتا ربها فليس عليكم  
مؤنتها (ولا تمسوها بسوء)  
ولا تضربوها ولا تعفروها  
ولا تطردوها اكراما لآية  
الله (فياخذكم) جواب  
التمنى (عذاب آليم  
واذكروا اذ جعلكم خلفاء  
من بعد عاد وبوأكم)  
ونزلكم الباءة المنزل في  
الارض في أرض الحجر بين  
الحجاز والشام (تتخذون  
من سهو طافورا) غرقا  
للصيف (وتنحتون الجبال  
بيوتا) للشتا وبيوتا حال

عاد وقيل ابن عزحين دعوا عكة قيل لهم قد أعطيتم منكم فاختاروا لنفسكم غير أنه لا سبيل الى الخلود ولا بد من  
الموت فقال مرثدا اللهم اعطني براود صدفافا عطى ذلك وقال لقمان اللهم اعطني عمرا فاقبل له اخيرا فاختار عمر  
سبعة أشهر فكان يأخذ الفرج حين يخرج من البيضة وكان يأخذ الذكر كرافونه فيربيه حتى يموت فاذا مات  
أخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى أتى على السابع وكان كل سر يعيش ثمانين سنة وكان السابع من النور  
اسمه لبد فلما مات لبد مات لقمان معه وأما قيل فانه اختار لنفسه ما يصب قومه فتقبل له انه اهلك فقال لا أبلى  
لاحاجة لي في البقاء بعد قومي فاصابه الله الذي أصاب عادا فهلك ومن معه من الوفد الذين خرجوا يستسقون  
لعاد فانت الريح ما خرجوا من الحرم فاهلكتهم جميعا فله أهلك الله عادا فارتحل هود ومن معه من المؤمنين من  
أرضهم بعد هلاك قومه الى موضع يقال له الشجر من أرض اليمن فنزل هناك ثم أدركه الموت فدفن بارض  
حضر موت يروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ان قبره ودعاه عليه الصلاة والسلام بمحضر موت في كتيب  
أجر وقال عبد الرحمن بن شعبة بين الركن والمقام وز من قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبره هود وصالح وشعيب  
واسمه عيل عليهم الصلاة والسلام في تلك البقعة وروى ان كل نبي من الانبياء اذا هلك قومه جاءه هو والصالحون  
من قومه معه الى مكة يعبدون الله تعالى حتى تقوموا بها فله عز وجل (والى نود أخاهم صالح) يعنى وأرسلنا  
الى نود وهو نود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن عابر وكانت مساكن نود بالحجر بين الحجاز  
والشام والى وادى القري وما حوله ومعنى السلام والى بنى نود أخاهم صالح لان نود قبيلة قال أبو عمر وبن  
العلاء سميت نودا لثمة ماها والجمد الماء القليل وقيل سموا نودا باسم ايهم الذى ينسبون اليه أخاهم صالحا  
يعنى في النسب لاني الدين وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسع بن عبيد بن حاذر بن نود (قال يقوم اعيدوا  
الله مالك من اله غيره) يعنى قال لهم صالح حين أرسله الله تعالى اليهم اعيدوا الله تعالى ولا تشركوا به شيئا  
فمالك من اله يستحق أن يعبد سواه (قد جاءكم آية من ربكم) يعنى جاءكم آية من ربكم كبرهان على صدق  
ما أقول وأدعوا اليه من عبادة الله تعالى وأن لا تشركوا به شيئا وعلى تعدى بقى بانى رسول الله اليكم فمسر تلك  
البينة فقال (هذه ناقة الله لكم آية) يعنى دلالة على صدق قول العلماء رحمتهم الله تعالى ووجه كون هذه الناقة  
آية على صدق صالح ومجربته خارقة لعادة أنها خرجت من صخرة في الجبل وكونها لادن ذكر لا من أنثى  
وكال خلفها من غير رجل ولا ندر يجلاتها خلقت في ساعة وخرجت من الصخرة وقيل لانه كان لها شرب يوم  
ولجميع قبيلة نود شرب يوم وهذه من المعجزة أيضا لان ناقة تشرب ما تشرب به قبيلة معجزة وكانوا يجلبونها في  
يوم شربها فمر ما يكفهم جميعهم ويقوم لهم مقام الماء وهذا أيضا معجزة وقيل ان سائر الوحوش والحيوانات  
كانت تمتنع من شرب الماء في يوم شرب الناقة وتشرب الحيوانات الماء في غير يوم الناقة وهذا أيضا معجزة وإنما  
أضافه الى الله تعالى في قوله هذه ناقة الله على سبيل التفضيل والتشريف كما يقال يات الله وقيل لان الله تعالى  
خالقه باغير واسطة ذكر وأنثى وقيل لانه لم يملكها أحد الا الله تعالى وقيل لانها كانت حجة على قوم صالح  
(فدروها) تأكل في أرض الله) يعنى فدروا الناقة تأكل العشب من أرض الله فان الارض لله والناقة أيضا  
لله وأمس لكم في أرض الله شئ لانه هو الذى أنبت العشب فيها (ولا تمسوها بسوء) يعنى ولا تطردوها ولا  
تضربوها شئ من أنواع الاذى ولا تعفروها (فياخذكم عذاب آليم) يعنى بسبب عقرها وأذاها  
(واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) يعنى ان الله اهلك عادا وجعلكم خلفاءهم في الارض وتعمرونها  
(وبوأكم) يعنى وأمسكم وأنزلكم (في الارض) تتخذون من سهو طافورا) يعنى بتون القصور  
من سهولة الارض لان القصور اعمدتها من اللبن والأجر المتخذ من الطين السهل اللين (وتنحتون الجبال  
بيوتا) يعنى وتسقون بيوتا من الجبال وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء وهذا يدل  
على أنهم كانوا متعممين مترقبين (فاذكروا آلاء الله) أى فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروا عليه



وان الله هو الهى \* على الله التوكل والرجاء  
زادنى رواية لقد حكم الاله وليس جورا \* وحكم الله ان غلب الهواه  
على عاد وعاد شرقسوم \* فقد هلكوا وليس لهم بقاء  
وانى لن أفارق دين هود \* طوال الدهر أوتى الفتاة

فقال جلهمه بن الخبير بجيب المرندين سعد حين فرغ من مقاتله وعرف انه اتبع دين هود وآمن به  
ألا يسعد انك من قبيس \* ذوى كرم وأمسك من نمود  
فانا لانطيعك ما بقينا \* ولستنا فاعلين لما تريد  
أنامى نالستك دين وفد \* ورمسل والصداء مع الصمود  
ونترك دين أباء كرام \* ذوى رأى وتبضع دين هود

ثم قال جلهمه لعادو بن بكر وأبيه بكر احسانا مرئى فلا يقدم من معانكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا  
ثم خرجوا الى مكة يستسقون بها العاد فلم اولوا الى مكة خرج مرئى بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى  
أدركهم بمكة قبل أن يدعوا الله بشئ مما خرجوا اليه فلما انتهى اليهم قام يدعو الله وهو فادعوا بدعوه فقال  
مرئى اللهم أعطنى سؤلئى وحدى ولا تدخلنى فيما يدعوك به وفد عاد وقيام قيل بن عذرا أس وفد عاد يدعوا فقال  
اللهم أعط قبيلا مسألك وقال الوفد معه واجعل سؤلئى مع سؤلئى وكان قد تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد وكان  
سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعواتهم قام لقمان فقال اللهم انى جئتك وحدى فى حاجتى فاعطنى سؤلئى وسأل  
طول العمر فعمر عمر سبعة أشهر وقال قيل بن عذرا حين دعاها الهناتان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا  
فانشأ الله تعالى سحائب ثلاثا بيضاء وجرأ وسوداء ثم ناداه مناد من السماء اقبل اختر لك ومك ولنفسك من  
هذه السحائب فقال قيل قد اخترت السحابة السوداء فانها كثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت رمادا  
رمدا لا يبقى من آل عاد أحد واساق الله تعالى السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النعمة الى  
عاد حتى خرجت عليهم من وادهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض مطر نايقول الله  
عز وجل بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ أى كل شئ مرت به بامر ربها وكان أول من  
أبصر ما فيها عرف انهار ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت ما فيها من العذاب صاحت ثم  
صعقت فلما ان أفاق قالت قالوا لها ما ذا رأيت قالت رأيت الريح فيها كشهب النار أمامها رجال يوقدونها  
فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فلم تدع من آل عاد أحدا إلا أهلكته واعتزل هود ومن  
معه من المؤمنين فى حظيرة ما يصيبه ومن معه من الريح الامتلى عليه الجلود وتلذذ به الانفس وانتهى قوتها  
لنربها نظمن من عاد فتم حمالهم بين السماء والارض وتدمعهم بالجاراة وخرج وفد عاد من مكة حتى مر بامعابوة  
ابن بكر فنزلوا عليه فبيناهم عنده اذا قبل الريح رجل على ناقته ليلية مقمرة وذلك مساء ثالثة من مصاب عاد  
فاخبرهم الخبر فقالوا له أين فارقت هودا وأصحابه فقال فارقتهم بساحل البحر وكانهم شكوا فاجابا حديثهم به  
فتمت هذه ليلة بنت بكر صدق ورب الكعبة وقال السدى بعث الله عز وجل على عاد الريح العقيم فلما دنت  
منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فلما رأوها تبادروا الى البيوت فدخلوها  
وأغلقوا الابواب فجاءت الريح فتلعت أبوابهم ودخلت عليهم فاهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فلما  
أهلكتهم أرسل الله عليهم طيرا أسود فقلعهم الى البحر فاقامهم فيه وقيل ان الله تعالى أمر الريح فقامت  
عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين تحت الرمل ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم  
الرمل ثم اجتمعتهم فرمت بهم فى البحر ولم تخرج ريح قط الا بكيمال الا يومئذ فانهما عت على الخزنة ففليتهم فلم  
يعلموا كم كان مكيد الهوا فى الحديث انما خرجت على مثل خرق الخاتم وقيل ان مرئى بن سعد ولقمان بن

لابنى مافى قافية البيت  
الثانى

والاحقاف الرمل فباين عمان وحضر موت من أرض اليمن وكانوا قد فسقوا في الأرض كلها وقهر وأهلها  
 بفضل قوتهم التي جعلها الله فيهم وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله عز وجل صم يقال له صداء  
 وصم يقال له صمود صم يقال له الهباء فبعث الله عز وجل فيهم هودا عليه الصلاة والسلام وهو من أسطلم  
 نسباً وأفضلهم موضعاً فاسمهم أن يوحدوا الله ولا يجعلوا معه الهة غيره وأن يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم  
 بغير ذلك فيبدأ كرفاً وعليه وكذبوه وقالوا لمن أشد منه أقوة واتبعه منهم ناس فآمنوا به وهم يسير يكتفون  
 إيمانهم وكان ممن صدقه وآمن به رجل يقال له مرثد بن سعد بن عفير وكان يكتف إيمانه فلما عتوا على الله  
 وكذبوا بنبيهم وأكثروا في الأرض الفساد وتجبروا وبنو ابتكر ربع آية واتخذوا المصانع لعلمهم يتخذون فلما  
 فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء  
 وجهد يطلون الفرج من الله عز وجل وذلك عند بيته الحرام بمكة ومثهم ومشر كهم وكان يجتمع بمكة ناس  
 كثير يختلفون إليهم وكل معظم مكة معترف بحرمتها ومكانتها من الله عز وجل وكان البيت معروفاً كانه من  
 الحرم وكان سكان مكة يومئذ العماليق وإنما سموها العماليق لأن أباهم كان تملق بن لاويز بن سام بن نوح  
 وكان سيد العماليق يومئذ يقال له معاوية بن بكر وهو رجل من عاد وكانت أم معاوية بكاهدة بنت الخيرى وهو رجل  
 من عاد وكانت عاد أحوال معاوية سيد العماليق فلما حطت عاد ودخل عنهم المطر قالوا جهزوا منكم وفد إلى  
 مكة ليستسقوا لكم فأنكم قد هلكتم فبعثوا قسراً من عاد عزروهم من هزال من هذيل وعقيل بن صدين بن عاد  
 الأكبر مرثد بن سعد بن عفير وكان مساهما فيكم أسلاماً وجملة بن الخيرى خال معاوية بن بكر سيد  
 العماليق ولقمان بن عاد فأتى كل رجل من هؤلاء القوم ومعه جماعة من قومه فباغ عدد وفد عاد سبعين  
 رجلاً فلما قد مواصلة نزلوا على معاوية بن بكر وهو يظاهر بمكة خارجاً عن الحرم فازلمهم وأكرمهم وكانوا  
 أخواله وأصهاره فاقاموا عند شهر ايشريون الحرم وتغنيهم الجرادان وهما قيتان لمعاوية بن بكر فلما رأى  
 معاوية بن بكر طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم يتغنون لهم من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه  
 وقال هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء مقبجون عندى وهم ضيق نازلون على والله ما أدرى كيف أصنع فأتى  
 أستحج أن أمرهم بالخروج لمأبئوا إليه فيظنون أنه ضيق منى بمكانهم عندى وقد هلك من وراءهم من  
 قومهم جهد وعطشا قال وشكى ذلك من أمرهم إلى قيتيه الجرادتين فقاتلا قل شعر اغنيهم ولا يدرون من  
 قاله لعل ذلك أن يحركهم فقال معاوية

ألا يا قسيل وبحك قم فيهم \* أهد الله يسقينا غمما \* فسبى أرض عادان عاداً  
 قد اسوا لا يبنون الكلام \* من العطش الشديد فليس رجو \* به الشيخ الكبير ولا الغلام  
 وقد كانت نساؤهم بخير \* فقد أمت نساؤهم أياى \* وان الوحش تاتيهم جهاراً  
 ولا تخشى اهادى سها \* وأنتم ههنا فيا شهنيم \* نهاركم وليكم غمما  
 فقمج وفدكم من وفد قوم \* ولاتقوا التحية والسلاما

فلما قال معاوية هذا الشعر وغنتهم الجرادتان وعرف القوم ما غنت به قال بعضهم لبعض يا قوم إنما بعثكم  
 قومكم ليتغنوا بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا قومكم فقال  
 مرثد بن سعد بن عفير أنكم والله لاتسقون بدعانكم ولكن إن أطعتم نبيكم ونبتكم إلى ربكم سقيتم وأظهر  
 أسلامه عند ذلك وقال فى ذلك

عصت عاد رسولهم فامسوا \* عطاشا ماتبهم السماء  
 لهم صم يقال له صمود \* يقابله صداء والهباء  
 فبصرنا الرسول سبيل رشد \* فابصرنا الهدى وجلى العماء

بيته الحرام فأفردوا إليه  
 قيل بن عزرو نعم بن هزال  
 ومرثد بن سعد وكان يكتف  
 إيمانه يهود عليه السلام  
 وأهل مكة اذ ذلك العماليق  
 أولاد عمليق بن لاويز بن  
 سام بن نوح وسيدهم  
 معاوية بن بكر فتر لواعليه  
 بظاهره مكة فقال لهم مرثد  
 لن تسقوا حتى تؤمنوا بهود  
 تخلفوا مرثداً وخرجوا  
 فقال قيل اللهم اسق عاداما  
 كنت تسقيهم فأنشأ الله  
 سحابات ثلاثا بيضاء وجرأه  
 وسوداء ثم ناداه مناد من  
 السماء يا قسيل اختر لنفسك  
 ولقومك فاختر السوداء  
 على ظن أنها أكثر  
 ماء فخرجت على عاد من  
 وادهم فاستبشروا وقالوا  
 هذنا عارض مطر ناخفاهم  
 منها ريح عقيم فاهلكتهم  
 وتجاهدوا والمؤمنون معه  
 فاتوا مكة فعبدوا الله فيها  
 حتى ماتوا

و يسبلون أذيالهم على ما يكون منهم (أوعجبت أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا أن جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) أي خلفتموهم في الأرض أوفى مساكنهم واذمفعول به وليس بظرف أي اذ كروا وقت استخلافكم (واذكروا في الخلق بسطة) طولا وامتدادا فكان أقصرهم ستين ذراعا وطولهم مائة ذراع بسطة سحازى وعاصم وعلى (فاذكروا الآلاء الله في استخلافكم وبسطة أجرهم وما سواها من عطاياهم وواحد الآلاء إلى نحواني والآباء (لعلكم تفلحون) ومعنى (١٠٩) المجيء في (قالوا أجبنا) أن

يكون هو ود عليه السلام مكان معترزل عن قومه يتحت فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرأه قبل المبعث فلما أوحى إليه جاء قومه يدعوهم (لنعبد الله وحده ونؤثر ما كان يعبد آبائنا) أنكرُوا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الأصنام شركاء معهم جبالنا شوا عليه (فاتنبا بعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) ان العذاب نازل بنا (قال قد وقع) أي قد نزل (عليكم) جعل المتوقع الذي لابد من نزوله بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب اليك بعض المطلب قد كان (من ربكم رجس) عذاب (وغضب) سخط (أتجادلوني في أسماء سميتوها) في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تخمس اسميات لأنكم تسمون الأصنام آلهة وهي خالية عن معنى الألوهية (أنتم وآبائكم ما نزل الله بها من سلطان) حجة (فاتنظروا) نزول العذاب

(أمين) يعني على تبليغ الرسالة وأداء النصح والامتنان على ما تائق عليه حتى الله عن نوح عليه الصلاة والسلام انه قال وأصبح لكم وحكي عن هود عليه الصلاة والسلام انه قال وأنا لكم ناصح فالاول بصيغة الفعل والثاني بصيغة اسم الفاعل والفرق بينهما ان صيغة الفعل تدل على تجدد النصيحة ساعة بعد ساعة فكان نوح يدعو قومه ليلا ونهارا كما أخبر الله عنه بقوله قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة الفعل فقال وأصبح لكم وأما هود فذكره بل كان يدعوهم وقتا ودون وقت فلهذا قال وأنا لكم ناصح أمين والمدح بالنفس باعظم صفات المدح غير لائق بالاعلاء وإنما قيل هود ذلك وقال هذا القول لأنه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك وصدود الردع عنهم في قوتهم واما ذلك من الكاذبين فوصف نفسه بالامانة وأنه أمين في تبليغ ما أرسل به من عند الله ففيه تقرر للرسلالة والنبوة وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه في موضع الضرورة الى مدحها (أوعجبت أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) يعني أعجبت أن أنزل الله وحيه على رجل تعرفونه لينذركم بأس ربكم ويخوفكم عقابه (واذكروا ان جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) يعني واذكروا نعمة الله عليكم اذ اهلك قوم نوح وجعلكم خلفوهم في الأرض (واذكروا في الخلق بسطة) يعني طولا وقوة قال السكبي والسدي كانت قائمة اطول بل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا وقيل سبعين ذراعا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمانين ذراعا وقال مقاتل اثني عشر ذراعا وقال وهب كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة (فاذكروا الآلاء الله) يعني نعم الله وفيه اضرار تقديره فاذكروا نعمة الله عليكم واعملوا عملا يليق بذلك الانعام وهو أن تؤمنوا به وتتركوا ما كنتم عليه من عبادة الاصنام (لعلكم تفلحون) يعني لكي تفوزوا بالفلاح وهو البقاء في الآخرة (قالوا) يعني قال قوم هود مجيبين له (أجبنا) يا هود (لنعبد الله وحده ونؤثر ما كان يعبد آبائنا) يعني من الاصنام (فاتنبا بعدنا) يعني من العذاب (ان كنت من الصادقين) يعني في قولك انك رسول الله (قال) يعني قال هود مجيبا لهم (قد وقع) يعني نزل ووجب (عليكم من ربكم رجس وغضب) أي عذاب وسخط (أتجادلوني) يعني أناخصمونني (في أسماء سميتوها) أي وأبأركم) يعني وضعت لها أسماء من عند أنفسكم والمراد منه الاستفهام على سبيل الانكار عليهم لانهم سمو الأصنام بالآله وذلك معدوم فيها (ما نزل الله بها من سلطان) يعني من حجة وبرهان على هذه التسمية وانما سميتوها أنتم من عند أنفسكم بغير دليل (فاتنظروا) يعني العذاب (اني معكم من المنتظرين) يعني نزول العذاب بكم (فاتنجيناه) يعني فأنجينا هودا عند نزول العذاب بقومه (والذين معه برحمة منا) يعني وأنجيناه أتباعه الذين آمنوا به وصدقوه لانهم كانوا مستحقين للرحمة (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) يعني وأهلكنا الذين كذبوا هودا من قومه وأراد بالآيات معجزات هود عليه الصلاة والسلام الدالة على صدقه وهذا هلاك استئصال فهلكوا جميعا ولم يبق منهم واحد (وما كانوا مؤمنين) يعني لانهم لم يكونوا صدقين بالله ولا برسوله هود عليه الصلاة والسلام

هذا كرفصة عاد على ما ذكره محمد بن اسحق وأصحاب السير والأخبار قالوا جميعا كانت منازل عاد وجاثمهم حين بعث الله تعالى فيهم هود عليه الصلاة والسلام الاحقاف (اني معكم من المنتظرين) ذلك (فاتنجيناه والذين معه) أي من آمن به (برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) الدابر الاصل أو الكائن خلف الشيء وقطع دابرهم استعمالهم وتدميرهم عن آخرهم (وما كانوا مؤمنين) فائدة في الايمان عنهم اثبات التكذيب بآيات الله الاشعار بان هلاك خص المكذبين وقصتهم ان عاد اقد بسطوا في البلاد ما بين عمان وحضر موت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمودا ولها عبيت الله اليهم هودا فكذبوه فامسك القطر عنهم ثلاث سنين وكانوا اذا نزل بهم بلاء طلموا إلى الله الفرج منه عند

فنسبوه الى الكذب (فأنجيناهم والذين معه) وكانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام وياث وستة من آمن به (في الفلك) يتلقى معه كانه قيل والذين صحبوه في الفلك (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا أنهم كانوا قوماً عَمِينَ) عن الحق يقال أعمى في البصر وعم في البصيرة (والى عاد) وأرسلنا (١٠٨) الى عاد وهود عطف على نوح (أخاهم) واحداً منهم من قولك يا أخا العرب لا واحد

منهم وانما جعل واحداً منهم لانهم عن رجل منهم أقوم فكانت الحجّة عليهم أنهم (هوداً) عطف بيان لآخاهم وهود هود بن شالخ بن ارغش بن سام بن نوح (قال ياقوم اعبدا الله ما لكم من الله غيرة أفلا تتقون) وانما يقل فقال كفى قصة نوح عليه السلام لانه على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال ياقوم اعبدا الله وكذلك (قال الملائكة الذين كفروا من قومه) وانما وصف الملائكة بالذين كفروا دون المسلمين قوم نوح لان في أشرف قوم هود من آمن بهم منهم مرشد بن سعد فريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في أشرف قوم نوح عليه السلام مؤمناً (اننا نراك في سفاهة) في خفة حلم وسخافة عقل حيث نهج ردين قومك الى دين آخر وجعت السفاهة ظراً مجازاً يعني انه متمكن فيها غير متمكن عنها (وانا نلتك من الكاذبين) في ادعائك الرسالة (قال ياقوم ليس بي

يعني فكذبوا نوحاً (فأنجيناهم) يعني من الطوفان والفرق (والذين معه) يعني من آمن من قومه معه (في الفلك) يعني في السفينة (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا أنهم كانوا قوماً عَمِينَ) قال ابن عباس رضي الله عنهما عَمِيَ قلوبهم عن معرفة الله تعالى وقال الزجاج عموماً عن الحق واليمان يقال رجل عم في البصيرة وأعمى في البصر وأشدوا قول زهير

وأعلم ما في اليوم والامس قبله \* واكتنى عن علم ما في غد دعم

قال مقاتل عموماً عن نزول العذاب بهم وهو الفرق (وقوله تعالى (والى عاد آههم هوداً) أى وأرسلنا الى عاد وهود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهي عاد الاولى آخاهم هودا يعني آخاهم في النسب لاني الدين وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقال ابن اسحق هو هود بن شالخ بن ارغش بن سام بن نوح وانفقوا على ان هودا عليه الصلاة والسلام لم يكن آخاهم في الدين ثم اختلفوا في سبب الاخوة من أين حصلت فقبل انه كان واحداً من القبيلة فيتوجه قوله آخاهم لانه واحد منهم وقيل انه لم يكن من القبيلة ثم ذكروا في تفسير هذه الاخوة وجهين الاول قال الزجاج انه كان من بني آدم ومن جنسهم لامن الملائكة وبكى هذا القدر في تسمية الاخوة والمعنى اننا أرسلنا الى عادوا واحداً من جنسهم من البشر ليكون الفهم والانسان بكلامه ثم وأكمل ولم نبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك أو الجن والثاني أنه آخاهم يعني صاحبهم والعرب تسمى صاحب القوم آخاهم وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي عند عمان وحضرموت (قال ياقوم اعبدا الله ما لكم من الله غيرة) أى اعبدا الله وحده ولا تجعلوا معه الهة أخرى فانه ليس لكم اله غير الله والفرق بين قوله في قصة نوح فقال وهنا قال ان نوحاً كان مواظباً على دعوة قومه غير متوان فيها لان الفاء تدل على التعقيب وأما هود فليكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة في الدعاء فأخبر الله تعالى عنه بقوله قال ياقوم اعبدا الله ما لكم من الله غيرة (أفلا تتقون) يعني أفلا تتخافون عقابه بعبادتك غير دولما كانت هذه القصة منسوبة على قصة قوم نوح وقد علموا ما حل بهم من الفرق حسن قوله هنا أفلا تتقون يعني أفلا تتخافون ما نزل بهم من العذاب ولما لم يكن قبل واقعة قوم نوح شئ حسن تخويفهم من العذاب فقال هناك اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (قال الملائكة الذين كفروا من قومه اننا نراك في سفاهة) يعني اننا نراك يا هود في حق وجهه الفؤولة عن الحق والصواب أخبر الله تعالى عن قوم نوح انهم قالوا له اننا نراك في ضلال مبين وأخبر عن قوم هود انهم قالوا له اننا نراك في سفاهة والفرق بينهما ان نوحاً لما خوف قومه بالطوفان وطفق في عمل السفينة قاله قومه عند ذلك اننا نراك في ضلال مبين حيث تتعب في اصلاح سفينة في أرض ليس فيها من الماء شئ وأما هود عليه السلام فانه لما زيف عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قالة العقل قابله بعقله فقالوا اننا نراك في سفاهة (وانا نلتك من الكاذبين) يعني في ادعائك انك رسول من عند الله (قال) يعني قال هود هؤلاء الملائكة الذين نسبوا الى السفه (يا قوم ليس بي سفاهة) يعني ليس الامر كما تدعون ان بي سفاهة (ولكني رسول من رب العالمين) يعني اليكم (أبلغكم رسالات ربي) يعني أؤتي اليكم ما أرسلني به من أوامره ونواهيه وشرائعه وتكاليفه (وانا لكم ناصح) يعني فيما أمركم به من عبادة الله عز وجل وترك عبادة ما سواه

سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وانالكم ناصح) فبدأ دعوكم اليه (أمين)

(أمين) على ما أقول لكم وانما قال هوداً انالكم ناصح أمين لقولهم وانالكم من الكاذبين أى ليقابل الاسم الاسم وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من ينسبهم الى الضلالة والسفاهة بما أجابوه به من الكلام الصادر عن الحلم والاعضاء وترك المبالغة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصوصهم أضل الناس وأسفهم أدب حسن وخلق عظيم واخبار الله تعالى ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفاهة وكذا ننسب عنهم

(فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الغيرة) غيره على فالرفع على المحل كأنه قيل ما لكم الغيرة فلا تعبدوا معه غيره والمجرى على اللفظ (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان (قال الملائكة) أى الأشراف والسادة (من قومه انا انراك في ضلال مبين) أى بين في ذهاب عن طريق الصواب والرؤية القلب (قال) (١٠٧) يا قوم ايس في ضلالة) ولم يقل ضلال كما قالوا لان الضلالة

أخص من الضلال فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه كأنه قال ليس شئ من الضلال ثم استدرك لتأكيد نفي الضلالة فقال (ولكنى رسول من رب العالمين) لان كونه رسولا من الله مبلغا لرسالته في معنى كونه على الصراط المستقيم فكان في الغاية القصوى من الهدى (أبلغكم رسالاتى) ما أوحى الى في الأوقات المتطاوله وفى المعاني المختلفة. فن الادام والنواهي والمواظب والبشار والنظار أبلغكم أبو عمرو وهو كلام مستأنف بيان لكونه رسول رب العالمين (وأصح لكم) وأقصد صلاحكم بإخلاص يقال نصحت ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على المحاض النصيحة وحقيقة الصح ارادة الخير لغيرك مما تريد لنفسك وأنهاية في صدق العناية (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أى من صفاته يعنى قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه

تعالى بعد ادريس وكان نوح عليه الصلاة والسلام نجارا و قيل معنى الارسل ان الله تعالى جله رسالة ليؤدبها الى قومه فعلى هذا التقدير فالرسالة تكون متضمنة للبعث أيضا ويكون البعث كالتابع لانه أصل قال ابن عباس رضى الله عنهما بعثه الله وهو ابن أربعين سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة وقيل وهو ابن مائة سنة وقال ابن عباس رضى الله عنهما سمى نوحا لكثرة ما صاح على نفسه واختلعه وفى سبب نوحه فقيل لدعوته على قومه باطلاك وقيل لما رجعت به في شأن ابنه كنعان وقيل لانه صر بكاب مجذوم فقال له اخسا يا قبيح فأوحى الله تعالى اليه أعيتني أم عبت السكاب (فقال) يعنى نوحا قومه (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الغيرة) يعنى اعبدوا الله تعالى فانه هو الذى يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم الله المعبود سواه فانه هو الذى يستوجب أن يعبد (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) يعنى ان لم تصلوا ما أمركم به من عبادة الله تعالى واتباع أمره وطاعته وأيوم الذى خافه عليهم هو ما يوم الطوفان واهلاكهم فيه أو يوم القيامة انا قال أخاف على السك وان كان على يقين من حلول العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم أيعالاهم أم يتأخر عنهم العذاب الى يوم القيامة (قال الملائكة) وهم الجماعة الاشراف (من قومه انا انراك) يعنى يا نوح (في ضلال مبين) يعنى في خطأ وزوال عن الحق بين (قال) يعنى نوحا (يا قوم ايس في ضلالة) يعنى ما يماثلون من الضلال (ولكنى رسول من رب العالمين) يعنى هو أرسلى اليكم لانذركم وأخوفكم ان لم تؤمنوا به وهو قوله (أبلغكم رسالاتى) يعنى بتحذيرى اياكم عقابه على كفركم ان لم تؤمنوا به (وأصح لكم) يقال نصحته ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له والصح ارادة التحذير غيره كما يريد بنفسه وقيل النصح تحرى قول أو فعل فيه صلاح للغير وقيل حقيقة النصح تعريف وجهه المصلحة مع خالص النية من شوائب المكروه والمعنى انه قال أبلغكم جميع تكاليف الله وشرايعه وأرشدكم الى الوجه الاصل والاصوب لكم وأدعوك الى ما دعانى اليه وأحب لكم ما أحب لنفسي قال بعضهم والفرق بين ابلاغ الرسالة وبين النصيحة هو أن تبليغ الرسالة أن يعرفهم جميع وأمر الله تعالى ونواهيهم جميع وأنواع التكاليف التى أوجها الله تعالى عليهم. وأما النصيحة فهو أن يرغبهم في قبول تلك الاوامر والنواهي والعبادات ويحذرهم عقابه ان عصوه (وأعلم من الله ما لا تعلمون) يعنى وأعلم انكم ان عصيت أمره عاقبكم بالطوفان والفرق في الدنيا يعذبكم في الآخرة عذابا عظيما وقيل أعلم ان مغفرة الله تعالى لمن تاب وعقوبته لمن أصر على الكفر وقيل لعل الله تعالى أعلمه على سر من أسرارهم فقال وأعلم من الله ما لا تعلمون (أو عجبتم) الالف ألف استفهام والواو للتعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا الاستفهام استفهام انكار معناه أ كذبتم وعجبتم (أن جاءكم ذكركم ربكم) يعنى وحيا من ربكم (على رجل منكم) تعرفونه وتعرفون نسبه وذلك لان كونه منهم يزىل التعجب وقيل المراد بالذكركم الكتاب الذى أنزله الله تعالى على نوح عليه الصلاة والسلام سماعا كما يسمى القرآن ذكرا وقيل المراد بالذكركم المبعث الذى جاءهم نوح عليه السلام فعلى هذا تكون على معنى أى مع رجل منكم قال الفراء على هنا معنى مع (لينذركم) يعنى جاءكم لاجل أن ينذركم (وللتقوا) أى ولاجل أن تتقوا (ولعلمكم ترجون) لان المقصود ان ارسال الرسل الانذار والمقصود من الانذار التقوى عن كل ما لا يذنبى والمقصود بالذكورى الفوز بالجنة فى الدار الآخرة (فكذبوه)

وان بأسه لاردع القوم المجرمين (أو عجبتم) الهمز لا انكار والواو للتعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أ كذبتم وعجبتم (أن جاءكم) من ان جاءكم (ذكر) موعظة (من ربكم على رجل منكم) على لسان رجل منكم أى من جنسكم وذلك لانهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ماسمعهنا هذا أبائنا الاولين يعنون ارسال البشر وواشعار بنال انزال ملائكة (لينذركم) لينذركم عاقبة الكفر (واتقوا) ولتوحد منكم التقوى وهى الخشية بسبب الانذار (ولعلمكم ترجون) ولترجو بالتقوى ان وجدت منكم (فكذبوه)

أحيائها بعد موتها قادر على إحياء الأجساد بعد موتها والمعنى أن ما وصفت ما وصفت من التشبيه والمثيل  
 لكي تعتبر وأنتذكر وتعلم وأن من فعل ذلك كان هو الذي يعيد ويحيي ﴿قوله تعالى (والبالد الطيب)  
 يعني والارض الطيبة التربة السهلة السمحة﴾ يخرج نباته بأذن ربّه يعني إذا أوصاه المطر أخرج نباته بأذن  
 الله عز وجل (والذي خبت لا يخرج) يعني والباد الذي خبت أرضه فهي سبعة لا يخرج يعني لا يخرج  
 نباته (الأنكباد) يعني عسرة ومشقة وكلفة قال الشاعر في المعنى يذم انسانا

لا تنجز الوعدان وعدت وان • أعطيت أعطيت القليل بعسر ومشقة قال المفسرون

يعني بالتألف القليل وبالكسب العسر ومعناه أنك أن أعطيت أعطيت القليل بعسر ومشقة قال المفسرون  
 هذا مثل ضرب به الله تعالى للمؤمن والكافر فشبّه المؤمن بالارض الحرة الطيبة وشبّه نزول القرآن على قلب  
 المؤمن بنزول المطر على الارض الطيبة فإذا نزل المطر عليها أخرجت أنواعا من الزهور والثمار وكذلك المؤمن  
 إذا سمع القرآن آمن به وانتفع به وظهرت منه الطاعات والعبادات وأنواع الاخلاق الحيدة وشبّه الكافر  
 بالارض الرديئة الغليظة السبخة التي لا ينتفع بها وإن أصابها المطر فكذلك الكافر إذا سمع القرآن لا ينتفع  
 به ولا يصدقه ولا يزده الاعتوا وكفروا وعمل الكافر حسنة في الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها  
 في الآخرة قال ابن عباس رضي الله عنهما هذا مثل ضرب به الله تعالى للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما  
 ان البلد الطيب ثمرة طيب ثم ضرب بمنزل الكافر كالبلاد السبخة الماخلة التي خرجت منها البركة قال الكافر  
 خبيث وعمله خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضرب به الله تعالى لأدم وذريته كلهم منهم خبيث وطيب وبدل على  
 محبة هذا التأويل ماروي عن أبي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ان مثل ما يعني الله تعالى به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة  
 قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء ففجع الله تعالى بها الناس  
 ففسدوا منها وسقوا وزرعوها وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك  
 مثل من فقه في دين الله عز وجل ونفعه ما يعني الله تعالى به فعل وعلم ومن لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى  
 الله تعالى الذي أرسات به خرجاه في الصحيحين ﴿قوله تعالى﴾ كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون  
 يعني كأمير بن هاشم المثل كذلك تبين الآيات الدالة على التوحيد والإيمان آية بعد آية وحجة بعد حجة لقوم  
 يشكرون والله تعالى على انعامه عليهم بالهداية وحيث جنهم سبيل الضلالة وإنما خص الشاكرين بالذكر  
 لانهم هم الذين انتفعوا بسماع القرآن ﴿قوله عز وجل﴾ لقد أرسلنا نوحا الى قومه اعلم ان الله تبارك  
 وتعالى لما ذكر في الآيات المتقدمة دلائل آثار قدرته وغرائب خلقه وصنعة الدالة على توحيد دور بعبادته  
 وأقام الدلالة القاطعة على صحة المبعث بعد الموت اتبع ذلك بقصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما جرى  
 لهم مع أمتهم وفي ذلك نسيئة للذي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه فقط عن قبول الحق بل قد  
 أعرض عنه سائر الامم الحالية والقرون الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة أولئك الذين كذبوا لرسول كانت الى  
 الخسار والهلاك في الدنيا وفي الآخرة الى العذاب العظيم فمن كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم من قومه كانت  
 عاقبته مثل أولئك الذين خلوا من قبله من الامم المكذبة وفي ذكر هذه القصص دليل على صحة نبوة محمد  
 صلى الله عليه وسلم لانه كان آميلا يقرأ ولا يكتب ولم يبق أحد من علماء زمانه فلما أتى بمثل هذه القصص  
 والأخبار عن القرون الماضية والامم الحالية علم بشكره عليه أحد علم بذلك انه أنعم آتي به من عند الله  
 عز وجل وأنه أوحى اليه ذلك فكان دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله  
 تعالى لقد أرسلنا نوحا الى قومه لقد أرسلنا نوحا جواب قسم محذوف وتقديره والله لقد أرسلنا نوحا وهو نوح  
 ابن المك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام

(والبالد الطيب) الارض  
 الطيبة التربة (يخرج نباته  
 بأذن ربّه) يتسببه وهو موضع  
 الحال كأنه قيل يخرج  
 نباته حسنا وافيالانه واقع  
 في مقابلة تكندا (والذي  
 خبت) صفة للبلد أي  
 والبلد الخبيث (لا يخرج)  
 أي نباته مخدوف للاكتفاء  
 (الأنكباد) هو الذي لا خير  
 فيه وهذا مثل لمن ينجع  
 فيه الوعد وهو المؤمن  
 ولن لا يؤثر فيه شيء من  
 ذلك وهو الكافر وهذا  
 التمثيل واقع على أثر مثل  
 ذلك المطر وانزاله بالبدل  
 الميت واخراج الثمرات  
 به على طريق الاستطراد  
 (كذلك) مثل ذلك  
 التصرف (نصرف الآيات)  
 نردها ونكرها (لقوم  
 يشكرون) نعمة الله وهم  
 المؤمنون ليتفكروا فيها  
 ويعتبروا بها (لقد أرسلنا)  
 جواب قسم محذوف أي  
 والله لقد أرسلنا (نوحا الى  
 قومه) أرسل وهو ابن  
 خنوخ سنة وكان نجارا  
 وهو نوح بن المك بن  
 متوشلخ بن اخنوخ وهو  
 اسم ادريس عليه السلام



يقول الرب من روح الله تعالى ثاني بالرحمة تأتي بالعذاب فإذا رآه يقول فلا تسبوا واسألوا الله من خبرها واستعينوا بالله من شرها رواه الشافعي رضى الله عنه بطوله وآخر جهه أبو داود في المسند عنه وقال كعب الاحبار وجلس الله الرب عن عباده ثلاثة أيام لا تنأى كثرة أهل الأرض وقوله تعالى (حتى إذا قلت سبحاناً ثلثاً) يقال أقل فلان الشيء إذا حله واشتقاق الأقال من القلة فإن من رفع شيئاً براه قليلاً والسحاب جميع سحابة وهو الغيم فيه ماء لم يكن فيه ماء سمي سحاباً لأنه سحبه في الهواء والغنى حتى إذا حلت هذه الرياح سحابة لا بما فيه من الماء قال السدي أن الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتأتي بالسحاب من بين الخافقين وهما ظر السماء والأرض حيث يلتقيان فتخرج منه ثم تم نشره فتسقط في السماء كيف يشاء ثم تفتح له أبواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم مطر السحاب بعد ذلك وقيل إن الله تعالى دبر بحكمته أن الرياح تتحرك تحركاً شديداً فتثير السحاب ثم يضم بعضه إلى بعض فيتراكم وينعقد ويحمل الماء ثم تسوقه إلى حيث يشاء الله عز وجل وهو قوله تعالى (سقناه بالدمية) يعني إلى بلد فتكون اللام يهني إلى وقيل معناه لأجل حياة بالدمية وإنما قال سقناه لأن لفظ السحاب مذكر وإن كان جمع سحابة فكان ورود الكناية عنه على سبيل التذكير جائزاً نظراً إلى اللفظ قال الأزهري رحمه الله تعالى قال الليث البلد كل موضع من الأرض عامراً وغير عامر خال أو مسكون والطائفة منها بلدة والجمع بلاد زاد غيره والمفازة تسمى بلدة لكونها مسكن الوحش والجن قال الأعشى

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة للجن بالليل في حافاتها زجل

أجل النعم (حتى إذا قلت) حلت ورفعت واشتقاق الأقال من القلة لأن الرافع المطبق يرى ما رفعه قليلاً (سحاباً ثلثاً) بالياء جمع سحابة (سقناه) الضمير للسحاب على اللفظ ولوحل على المعنى كالثقال لانت كالرحل الوصف على اللفظ قليل ثقيلاً (البلد ميت) لأجل بلد ليس فيه مطر ولسقيه ميت مدني وحرمة وعلى وحفص (فأزناناه الماء) بالسحاب أو بالسوق وكذلك (فأخرجنا به من كل الثمرات) كذلك (مثل ذلك الإخراج) وهو إخراج الثمرات (نخرج الوقي للعلم) تذكرون فيؤيدكم التذكري إلى الإيمان بالبعث إذ لا فرق بين الإخراجين لأن كل واحد منهما إعادة الشيء بعد انقائه

ومطى الآية أن سقنا السحاب إلى البلدة ميت محتاج لأنزال الماء لم ينزل فيه غيث ولم تنبت فيه خضرة (فأزناناه الماء) اختلافوا في الضمير في قوله تعالى به إلى ماذا يعود فقال الزجاج رحمه الله وابن الأنباري جائز أن يكون المعنى فأزنانا بالبلد الميت الماء وجائز أن يكون المعنى وأزنانا بالسحاب الماء لأن السحاب آلة لنزول الماء (فأخرجنا به) يعني بذلك الماء لأن أنزال الماء كان سبب الإخراج للثمرات وقيل بمحمّل أن يكون المعنى فأخرجنا بذلك الميت (من كل الثمرات) يعني وأخرجنا بذلك البلد بعد موته وجذبه من أصناف الثمار والزروع (كذلك نخرج الوقي) يعني كما أحيينا بالبلد الميت كذلك نخرج الموتي أحياء من قبورهم بعد فناتهم ودروس آثارهم واختلفوا في وجه التشبيه فقيل إن الله تعالى كما يخلق النبات بواسطة أنزال المطر كذلك يحيي الموتي بواسطة أنزال المطر أيضاً قال أبو هريرة وابن عباس رضى الله عنهما إن الناس إذا ماتوا في النفخة الأولى أمطر الله تعالى عليهم ماء من تحت العرش يدعى ماء الحيوان أو بعين سنة فينبئون كما ينبت الزرع من الماء وفي رواية أو بعين يومافينبون في قبورهم نبات الزرع حتى إذا استكملت أجسادهم انفتح فيهم الروح ثم يلقي عليهم الروم فينأمون في قبورهم فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم يمجدون طعم النوم في رؤسهم وأعينهم كالبحر النائم حين يسقط من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيناديهم هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد إذا أراد الله تعالى أن يخرج الموتي أمطر السماء حتى تنشق الأرض ثم يرسل الأرواح فتعود لكل روح إلى جسدها فكذلك يحيي الله الموتي بالمطر كما حيّاه الأرض به وقيل إنما وقع التشبيه بأصل الأحياء والمعنى أنه تعالى كما أحياه بالبلد الميت بعد موته فأنبت فيه الزرع والشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيي الله الموتي ويخرجهم من قبورهم أحياء بعد أن كانوا أمواتاً ورمماً بالية لأن من قدر على إخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس قادر على أن يحييهم ويخرجهم من قبورهم إلى حشرهم وأنشرهم (أعلمكم ذلك) تذكرون الخطاب المتكرري البعث يقول أنكم شاهدتم الأشجار وهي من هرة موروقة مشمرة في أيام الربيع والصيف ثم أنكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك الأزهار والأوراق والثمار ثم إن الله تعالى أحيّاها مرة أخرى فالقادر على

بعد ان أصلحه الله تعالى فيدخل فيه المنع من إتلاف النفس بالقتل أو فسادها بقطع بعض الاعضاء أو فساد  
 الاموال بالغصب والسرقة وأخذ من الغير بوجوه الخيل وفساد الاديان بالكفر واعتقاد البدع والاهواء  
 المضلة وفساد الانساب بالافتاد على الزنا وفساد العقول بسبب شرب المسكر وذلك لان المصالح العتبية في  
 الدنيا هي هذه الخمسة فنع الله من ادخال الفساد في ما هيها **﴿﴾** وقوله تعالى (وادعوه خوفا وطمعا)  
 أصل الخوف انزعاج في الباطن لما لا يؤمن من المضر وقيل هو توقع مكره يحصل فيما بعد والطمع توقع  
 محبوب يحصل له والمعنى وادعوه خوفاً ومن عقابه وطمعاً فيما عنده من جزيل ثوابه وقال ابن جرير معناه  
 خوف العدل وطمع الفضل وقيل معناه ادعوه خوفاً من الرياء في الذكر والدعاء وطمعاً في الاجابة فان قلت  
 قال في أول الآية ادعوا بكم نصر عا وخفية وقال هو ادعوه وهذا عطف الشيء على نفسه فما فائدة ذلك  
 قلت الفائدة فيه ان المراد بقوله تعالى ادعوا بكم أي ليكن الدعاء مقروناً بالتضرع والابحاث وقوله وادعوه  
 خوفاً وطمعاً ان فائدة الدعاء أحد هذين الامرين فكانت الآية الاولى في بيان شرط صحة الدعاء والآية  
 الثانية في بيان فائدة الدعاء وقيل معناه كونوا جامعين في أنفسكم بين الخوف والرجاء في أعمالكم كلها  
 ولا تملوا ما أنتم وفيتم حتى الله في العباداة والدعاء وان اجتهدتم فيهما (ان رحت الله) أصل الرحمة رقة  
 تقتضي الاحسان الى المرحوم وتستعمل نارة في الرقة المجردة عن الاحسان ونارة في الاحسان المجردة عن  
 الرقة واذا وصف بها الباري جل وعز فليس يراد بها الا الاحسان المجرد دون الرقة فرحة الله عز وجل عبارة  
 عن الفضل والالعام على عباده وإيصال الخير اليهم وقيل هي ارادة إيصال الخير والنعمة الى عباده فعلى القول  
 الاول تكون الرحمة من صفات الافعال وعلى القول الثاني تكون من صفات الذات (قرب من الحسين)  
 قال سعيد بن جبير الرحمة ههنا الثواب فرجع اللفظ الى المعنى دون اللفظ وقيل ان تانيث الرحمة ليس  
 بحقيق وما كان كذلك جاز في التذكير والتانيث عند أهل اللغة كون الرحمة قريبة من الحسين لان  
 الانسان في كل ساعة من الساعات في ادبار عن الدنيا واقبال على الآخرة واذا كان كذلك كان الموت أقرب  
 اليه من الحياة وليس يبينه وبين رحمة الله التي هي الثواب في الآخرة الموت وهو قريب من الانسان قوله  
 عز وجل (وهو الذي يرسل الرياح) هذا عطف على ما قبله والمعنى ان بكم الله الذي خلق السموات  
 والارض وهو الذي يرسل الرياح (بشرا) قرئ نثر بالنون أراد جمع نشور وهي الريح الطيبة المحبوبة  
 التي تهب من كل ناحية وقيل هو جمع ناشرة الريح بمعنى أحياءها وقال الفراء النثر الريح الطيبة  
 المبينة التي تهب من السحاب وقال ابن الانباري النثر المنتشرة الواسعة المحبوبة وقيل النثر خلاف الطي  
 فيحتمل أنها كانت باقطةاها كالمطوية فانتشرت بمعنى أرسلت وقرئ بشرا بالياء جمع بشيرة وهي التي  
 تبشر بالخير والريح هو الهواء المتحرك بمسحة وبسرة والرياح أربعة الصبا وهي الشرقية والدبور وهي  
 الغربية والشمال وهي التي تهب من تحت القطب الشمالي والجنوب وهي القبلية وعن ابن عمر رضي الله  
 عنهما ان الرياح ثمان أربعة منها عذاب وهي المقاصف والعاصف والصرصر والقيم وأربع منها رحمة  
 وهي النائشرات والمبشرات والمارسلات والذاريات (بين يدي رحمة) يعني أمام المطر الذي هو رحمة وانما  
 سماه رحمة لانه سبب حياة الارض الميتة قال أبو بكر بن الانباري رحمه الله تعالى اليدان تستعملهما العرب  
 في المجاز على معنى التقدمة تقول هذه تكون في القمن بين يدي لساعة يريدون قبل أن تقوم الساعة تشبها  
 وتغليها اذا كانت بدا الانسان تقدمانه كذلك الرياح تتقدم المطر وتؤذنه \* عن أبي هريرة رضي  
 الله عنه قال أخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر حجاج فاستندت فقال عمر لمن حوله ما بها حكم في الريح فلم  
 يرجعوا اليه شيئا وبلغني الذي سأل عمر عنه من أمر الريح فاستجشنت راحتي حتى أدركت عمر وكنت في  
 مؤخر الناس فقلت يا أمير المؤمنين أخبرتك أنك سألت عن الريح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالظلم بعد العدل (وادعوه خوفا وطمعا) حالان أي خائفين من الرد طامعين في الاجابة أومن التبران وفي الجنان أومن الفراق وفي التلاق أومن غيب العاقبة وفي ظاهر الهداية أو من العدل وفي الفضل (ان رحت الله قريب من الحسين) ذكر كقرب على تاويل الرحمة بالرحم أو الترحم أو لانه صفة موصوف محذوف أي شيء قريب أو على تشبيهه بفعل الذي هو بمعنى مفعول ولان تانيث الرحمة غير حقيق والأضافة الى المذكر (وهو الذي يرسل الرياح) الريح مكي وحسرة وعلى (نشرا) حيرة وعلى مصدر نشر واتصاها اما لان أرسل ونشرة ارباب فكأنه قيل نشرها نشرنا واماعلى الحال أي منشورات بشرا عاصم تخفيف بشرا جمع بشير لان الرياح تبشر بالخير نشرنا شامى تخفيف نشر كرسل ورسل وهو قراءة الباقين جمع نشور أي ناشرة للمطر (بين يدي رحته) أي نعمته وهو الغيب الذي هو من

ودام كماله زل ولا يزال وأصل البركة الثبوت ويقال تبارك الله ولا يقال متبارك ولا مبارك لأنه لم يرد به التوقيف قوله عز وجل (ادعوا ربكم) قيل معناه اعبدوا ربكم لأن معنى الدعاء طلب الخير من الله تعالى وهذه صفة العبادة ولأنه تعالى عطف عليه قوله وادعوه خوفاً وطعماً والمطلوب يجب أن يكون مغايراً للمعطوف عليه وقيل المراد به حقيقة الدعاء وهو الصحيح لأن الدعاء هو السؤال والطالب هو نوع من أنواع العبادة لأن الداعي لا يقدم على الدعاء إلا إذا عرف من نفسه الحاجة إلى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله وعرف أن به تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته وهو قادر على إيصالها إلى الداعي فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالججز والنقص ويعرف به بالقدرة والسكال وهو المراد من قوله تعالى (نضرعاً) يعني ادعوا ربكم تذلاً واستكانة وهو اظهار الذل الذي في النفس والخشوع يقال ضرع فلان فلان إذا ذل له وخشع وقال الزواج نضرعاً يعني تخلفاً وحقيقة تان ندعوه خاضعين شاشعين متعبدين بالدعاء له تعالى (وخفية) يعني سرافى أنفسكم وهو ضد العلانية والادب في الدعاء أن يكون خفياً لهذه الآية قال الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ولا يسمع لهم صوت إن كان الاخصاء بينهم وبين ربهم وذلك أنه تعالى يقول ادعوا ربكم نضرعاً وخفية وإن الله تعالى ذكر عبداً صالحاً رضى فوله فقال تعالى إذا نادى ربك بذاء خفية (ق) عن أنى موسى الأشعري رضى الله عنه قال كناعم رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمل الناس بجهنم والناس بجهنم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس اربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائباً انكم تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته قال أبو موسى رضى الله عنه وأما خلفه أقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم في نفسى فقال يا عبد الله بن قيس ألا ذلك على كنز من كنوز الجنة قالت بلى يا رسول الله قال لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم يعني ارفعوا بها وأقصر واعن الصياح في الدعاء (ق) وقوله تعالى (انه لا يحب المعتدين) يعني في الدعاء وقال أبو مجزهم الذين يسألون منازل الانبياء عن عبد الله بن معقل انه سمع ابنه يقول اللهم انى أسألك القصر الأبيض عن بين الجنة إذا دخلتها قال أى نبي سأل الجنة وتعدوه من النار فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الطهور والدعاء أخرجه أبو داود وقال ابن جرير الاعداء رفع الصوت والدعاء والصياح في الدعاء وقيل الاعداء مجاوزة الحد في كل شئ فكل من خالف أمر الله ونهيه فقد اعتدى ودخل تحت قوله تعالى انه لا يحب المعتدين وفرع بعض أرباب الطريقة بقوله تعالى ادعوا ربكم نضرعاً وخفية هل الأفضل اظهار العبادات أم لا فذهب بعضهم إلى ان اخفاء الطاعات والعبادات أفضل من اظهارها لهذه الآية ولكنها أبعد عن الرأى ما ذهب بعضهم إلى ان اظهارها أفضل لا يقتدى به الغير فيعمل مثل مجمله وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خائفاً على نفسه من الرأى فالأولى اخفاء العبادات صوماً لعمله عن البطلان وإن كان قد بلغ في الصفاء وقوة اليقين إلى التمكن بحيث صار مابياً ناشئة الرأى كان الأولى في حقه اظهارها لكان حصل فائدة الاقتداء به وذهب بعضهم إلى أن اظهار العبادات المفروضات أفضل من اخفائها فاصلاة المكتوبة في المسجد أفضل من صلاته في بيته وصلاته في البيت أفضل من صلاته في المسجد وكذا اظهار الزكاة أفضل من اخفائها واخفاء صدقة التطوع أفضل من اظهارها ويقاس على هذا سائر العبادات (ق) قوله تعالى (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) يعني ولا تفسدوا وأما الناس في الارض بالمعاصي والكفر والدعاء إلى عبادة الله بعد اصلاح الله اياها بعثة الرسل وبيان الشرائع والدعاء إلى طاعة الله تعالى وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكلبي وقال ابن عطية لا تفسدوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرت بسبب معاصيكم فعلى هذا يكون معنى قوله بعد اصلاحها يعني بعد اصلاح الله اياها بالمطر والحب وقيل معنى الآية ولا تفسدوا في الارض شيئاً

ادعوا ربكم نضرعاً وخفية) نصب على الحال أى ذوى نضرع وخفية واقتصر تفعل من الضراعة وهي الذل أى تذلاً وتلقاً قال عليه السلام انكم لا تدعون أصم ولا غائباً انما تدعون سميعاً غالباً انما تدعون سميعاً قريباً انه معكم أينما كنتم عن الحسن بين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفاً (نه لا يحب المعتدين) المجاوزين ما أمر به وفيه في كل شئ من الدعاء وغيره وعن ابن جرير الرافعين أصواتهم بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكرره وبدءه وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) أى بالمعصية بعد الطاعة أو بالشرك بعد التوحيد أو

تعالى الرحمن على العرش استوى قال انه مستوعب على عرشه كما أخبر فقال الرجل انما معنى قوله استوى أى استولى فقال له ابن الاعراب ما يدرك أن العرب لا تقول استولى فلان على الشيء حتى يكون له فيه مضاد فانه ما غاب قيل لمن غاب قد استولى عليه والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما أخبر لا كما ظننه البشر والله أعلم بقوله تعالى (يغشى الليل النهار) يعنى أنه تعالى يأتي بالليل على النهار فيغطيه ويلبسه حتى يذهب بنوره وفيه حذف تقديره ويغشى النهار الليل وانما لم يذكر النهار لالة السلام عليه (طلبه حثينا) يعنى سرى بما ذكرنا أنه اذا كان يعقب أحدهم الآخر ويخلفه فكانه يطلبه حكى الامام غز الدين الرازى عن الثقال انه قال ان الله تعالى لما أخبر عباده باستوائه على العرش أخبر عن استمرار أمور الخلق على وفق مشيئته وأمرهم بذلك فيما يشاهدونه منها لينضم العيان الى الخبر وتزول الشبهة من كل الجهات قال الامام واعلم أنه سبحانه وتعالى وصف هذه الحركة بالسرعة الشديدة وذلك لان تعاقب الليل والنهار انما يحصل بحركة الفلك الاعظم وتلك الحركة أشد الحركات سرعة فان الانسان اذا كان فى أشد عدو ومقدار رفع رجله ووضعهما يتحرك الفلك الاعظم ثلاثة آلاف ميل وهى ألف فرسخ فانها قال تعالى يطلبه حثيثا السرعة حركته (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) معنى التسخير التذليل وقال الزجاج وخلق هذه الاشياء جارية في مجاريها بأمره وقال المفسرون يعنى بقدر خبرهن نذليلهن لما يراد منها من طوع وغروب وسير ورجوع اذ ليس هي قادات بانفسهن وانما هن يتصرفن في مقاصد فانهن على ارادة المبرهن الحكيم في تدبيرهن ونصر يفهن على ما أراد منهن والمراد بالامر في قوله بأمره نفاذ ارادته لان الغرض من هذه الآية تبين عظمة قدرته ومهمتهم جل الامر على الامر الذي هو السلام وقال انه تعالى أمر هذه الاحرام بالسير الدائم والحركة المستمرة الى قضاء الدنيا وخراب هذا العالم فان قلت ان الشمس والقمر من النجوم فلم أفردهما بالذكرة ثم سطفت عليهما ما ذكر النجوم قلت انما أفردهما بالذكر لبيان شرفهما على سائر الكواكب لما فيهما من الاشراف والنور وسيرهما في المنازل لتعرف الاوقات فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله له جبريل وميكائيل قطع جبريل وميكائيل على ذكر الملائكة وان كانا من الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما على غيرهما من الملائكة وقوله تعالى (ألا الخالق والامر) يعنى له الخلق لانه خالقهم وله أن يامرهم بما أراد وله أن يحكم فيهم بما شاء وعلى هذا المعنى الامر هنا الذى هو تقيض النهى واستخراج سفیان بن عيينة من هذا المعنى ان كلام الله عز وجل ليس بمخلوق فقل ان الله تعالى فرق بين الخالق والامر فمن جمع بينهما فقد كفر يعنى من جعل الامر الذى هو كلامه تعالى من جملة ما خلقه فقد كفر لان المخلوق لا يقوم بمخلوق مثله وقيل له معناه ان جميع ما فى العالم لله عز وجل والخلق لانه خلقهم وجميع الامور تجري بقضائه وقدره فهو مجربها ومنبئها فلا يبقى بعده هذا الاحدثنى وقيل المراد بالامر هنا الارادة لان الغرض من الآية تعظيم القدرة وفى الآية دليل على انه لا خالق الا الله عز وجل ففيه رد على من يقول ان للشمس والقمر والكواكب تأثيرات في هذا العالم فانه هو الخالق المبرر لهذا العالم لا الشمس والقمر والكواكب وله الامر المطلق وليس لاحد أمر غير هو الامر والنهي الذى يفعل ما يشاء وبحكم ما يربد لاعتراض لاحد من خلقه عليه (تبارك الله) يعنى تعجد وتعظم وارتفع وقال الزجاج تبارك تفعل من البركة ومعنى البركة لكثرة من كل خير وقيل معناه تعالى وتعظم الله (رب العالمين) يعنى انه هو الذى يستحق التعظيم وذلك ان الله تعالى لما افتتح هذه الآية بقوله ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض وذكر الأشياء من عظم خلقه وان له الخلق والامر والنهى والقدرة عليهم ختم الآية التناء عليه لانه هو المستحق للمدح والمطابق للثناء والتعظيم وقال ابن عباس رضى الله عنهم معناه جاء بكل بركة وقيل تبارك معناه مقدس والتقديس الطهارة وقيل معناه باسمه يتبرك في كل شئ وقال المحققون معنى هذه الصفة ثبت

(يغشى الليل النهار) يغشى حزة وعلى وأبو بكرى يلحق بالليل بالنهار والنهار بالليل (طلبه حثيثا) حال من الليل أى سرى والطالب هو الليل كأنه لسرعة ضيه يطالب النهار (والشمس والقمر والنجوم) أى وخلق الشمس والقمر والنجوم (مسخرات) حال أى مذلات والشمس والقمر والنجوم مسخرات شامى والشمس مبتدأ والبقية معطوفة عليها والخبر مسخرات (بأمره) هو أمر تكوين ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بأمره قال (ألا الخالق والامر) أى هو الذى خلق الاشياء وله الامر (تبارك الله) كثر خبره وأدام بره من البركة التفاء أو من البروك الثبات ومنه البركة (رب العالمين)

البحر في أهل السنة يقولون: الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الرجل الإيمان به ويكفل العلم به إلى الله عز وجل وذكر حديث مالك بن أنس مع الرجل الذي سأله عن الاستواء وقد تقدم وروى عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهة أقرؤها كما جاءت بلا كيف وقال الامام غفر الدين الرازي رحمه الله بعد ذكره الدلائل العقلية والسَّمعية أنه لا يمكن جعل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز وعند هذا حصل للعالماء الراسخين مذهبان الأول القطع بكونه تعالى متعالياً عن المكان والجهة ولا تخوض في تأويل الآية على التفصيل بل نفوض علمها إلى الله تعالى وهو الذي قررنا في تفسير قوله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به وهذا المذهب هو الذي تختاره ونقول به ونعتمد عليه. والمذهب الثاني أن تخوض في تأويله على التفصيل وفيه قولان ملخصان الأول ما ذكره الففال فقال العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملك ثم جعل ثل العرش كناية عن نقض الملك يقال نزل عرشه أي انتقض ملكه وإذا استقام له ملكه واطرد أمره ونفذ حكمه قالوا استوى على عرشه واستوى على سريره ملكه هذا قاله الففال والذي قاله الففال حق وصواب ثم قال والله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره العالم على الوجه الذي ألفوه من ملوكهم واستقر في قلوبهم تنبيهاً على عظمة الله جل جلاله وكمال قدرته وذلك مشروط بنبي التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة وجوب إن المشيئة قال وبدل على محبة هذا قوله في سورة يونس ثم استوى على العرش يدبر الأمر فقله يدبر الأمر جري مجرى التفسير لقوله ثم استوى على العرش وأورد على هذا القول أن الله تعالى لم يكن مستوياً على الملك قبل خلق السموات والأرض والله تعالى منزوع عن ذلك وأجيب عنه بأن الله تعالى كان قبل خلق السموات والأرض ملكها لكن لا يصح أن يقال شيع ببدل الأعداء كنه الطعام فإذا أفسر العرش بالملك صح أن يقال أنه تعالى إنما استوى على ملكه بعد خلق السموات والأرض والقول الثاني أن يكون استوى بمعنى استولى وهذا مذهب المعتزلة وجاعة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر

قد استوى بشر على العراق \* من غير سيف ودم مہراق

وعلى هذا القول إنما خص العرش بالأخبار عنه بالاستيلاء عليه لأنه أعظم الخلوقات ورد هذا القول بان العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى وإنما يقال استولى فلان على كذا إذا لم يكن في ملكه ثم ملكه واستولى عليه والله تعالى لم يزل مالاً للآلئاء كلها ودمه متولياً عليها فأى تخصيص للعرش هذا دون غيره من الخلوقات ونقل البيهقي عن أبي الحسن الأشعري أن الله تعالى فعل في العرش فعلاً استواء كإفعل في غيره فعلاً اسماؤه رزقا ونعمة وغيرهما من أفعاله ثم لم يكيف الاستواء إلا أنه جعله من صفات الفعل لقوله تعالى ثم استوى على العرش ولم يترسخ في التراخي إنما يكون في الأفعال وأفعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه إياها ولا حركة وحكي الاستاذ أبو بكر بن فوركان عن بعض أصحابنا أنه قال استوى بمعنى علان العلو قال ولا يريد بذلك علواً بالمسافة والتجيز والكون في المكان متمكناً فيه ولكن يريد معنى نفى التحيز عنه وأنه ليس بما يحويه طبق أو يحيط به قطر ووصف الله تعالى بذلك طريقه الخبر ولا يتعدى ما ورد به الخبر قال البيهقي رحمه الله تعالى وهو على هذه الطريقة من صفات الذات وكلمة ثم تعلقت بالمستوى عليه بالاستواء قال وقد أشار أبو الحسن الأشعري إلى هذه الطريقة حكاية فقال قال بعض أصحابنا أنه صفة ذات قال وجوابي هو الأول وهو أن الله تعالى مستوعب عرشه وأنه فوق الأشياء مأش منها بمعنى أنه لا تحله ولا يحلها ولا يماسها ولا يشبهها وليست النبوة بالعزلة تعالى الله ربنا عن الحلول والمماسات علواً كبيراً وقد قال بعض أصحابنا أن الاستواء صفة لله تعالى تنفي الأعوجاج عنه وروى أن ابن الأعرابي جاءه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ما معنى قوله

وطعها وأخرج ماءها وصرعها وخلق دوابها وحشها وجميع ما فيها في يومين وهما الخميس والجمعة وخلق آدم في يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد ثم استوى الى السماء فخلقها وجمع ما فيها يوم الاثنين والثلثاء ثم مد الارض ودحاها يوم الاربعاء والخميس وخلق آدم يوم الجمعة وأسكنه الجنة هو وزوجته حواء ثم أهبطهما الى الارض في آخر ساعة من يوم الجمعة وقيل أول ما خلق الله القلم ثم ألوح فكتب فيه ما كان وما سيكون وما خفي وما هو خافي الى يوم القيامة ثم خلق الظلمة والنور ثم خلق العرش ثم خلق السماء من درة بيضاء ثم خلق التربة ثم خلق السموات وما فيها من نجوم وشمس وقمر ثم مد الارض وبسطها من التربة التي خلقها أولا ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب وغير ذلك ثم خلق آدم آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة وفيه أهبط الى الارض فتكامل جميع الخلق في ستة أيام كل يوم مقداره ألف سنة وهذا قول جمهور العلماء وقيل في ستة أيام من أيام الدنيا فان قلت ان الله عز وجل قادر على أن يخلق جميع الخلق في لحظة واحدة ومنه قوله تعالى وما أمرنا الا واحدة كأمح بالصرف الفائدة في خلق السموات والارض في ستة أيام وما الحكمة في ذلك قلت ان الله سبحانه وتعالى وإن كان قادرا على خلق جميع الاشياء في لحظة واحدة الا أنه تعالى جعل لكل شيء حدا محددا ووقفا معلوما فلا يدخل في الوجود الا في ذلك الوقت والمقصود من ذلك تعليم عباده التثبت والتأني في الامور وقال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا على خلق السموات والارض في لحظة فخلقهن في ستة أيام لتعلمنا خلقه التثبت والتأني في الامور كما في الحديث الثاني من الله والجهل من الشيطان وقيل ان الشيء اذا حدث دفعة واحدة فله ان يتحجر ببال بعضهم أن ذلك الشيء انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا أحدث شيأ بعد شي على سبيل المصلحة والحكمة كان ذلك أبلغ في القدرة وأقوى في الدلالة وقيل ان الله تعالى أراد ان يوقع في كل يوم أمرا من أموره حتى تستعظمه الملائكة وغيرهم عن شاهد وقيل ان التحجيل في الخلق أبلغ في القدرة وأقوى في الدلالة والتثبت أبلغ في الحكمة فاراد الله تعالى اظهار حكمته في خلق الاشياء بالتبث كما أظهر قدرته في خلق الاشياء بكن فيكون ۞ وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) العرش في اللغة السرير وقيل هو ما على أفاضل وسمى مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه وبكثي عن العز والسلطان واما ملكة بالعرش على الاستعارة والمجاز يقال فلان نزل عرشه بمعنى ذهب عزه وملكه وسلطانه قال الراغب في كتابه مفردات القرآن وعرش الله عز وجل مما يعلمه البشر الابالاسم على الحقيقة وليس هو كما يذهب اليه أوهام العامة فابلهو كان كذلك لكان حامله تعالى عن ذلك وليس كما قال قوم انه الفلك الاعلى والكرسي فلك الكواكب واما استوى بمعنى استقر فصره اليب في كتابه الاسماء والصفات بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كما هو قال أما الاستواء فالتقدم من أصحابنا كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه كنهو منه يهيم في أمثال ذلك وروى بسنده عن عبد الله بن وهب أنه قال كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواءه قال فاطرق مالك وأخذته الرخصاء ثم رفع رأسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجه فخرج الرجل وفي رواية يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك بن أنس جاء رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواءه فاطرق مالك برأسه حتى علت الرخصاء ثم قال الاستواء غير مجعول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما رآك الا مبتدعا فامر به أن يخرج وروى البيهقي بسنده عن ابن عيينة قال كل ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه تفسيره لا تلوته والسكوت عنه قال البيهقي والآثار عن السلف في مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة يبدل مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه واليه ذهب أحد بن حنبل والحسن بن الفضل البيهقي ومن المتأخرين أبو ساجان الخطاطي قال

(ثم استوى) استوى  
(على العرش) أضاف  
الاستيلاء الى العرش وان  
كان سبحانه وتعالى  
مستويا على جميع المخلوقات  
لان العرش أعظمها  
وأعلاها وتفسير العرش  
بالسرير والاستواء  
بالاستقرار كما نقوله المشبهة  
باطل لانه تعالى كان قبل  
العرش ولا مكان وهو الآن  
كما كان لان التغير من  
صفات الاكوان والمنقول  
عن الصادق والحسن وأبي  
حنيفة ومالك رضي الله  
عنهم ان الاستواء معلوم  
والتكليف فيه مجهول  
والايمان به واجب والجحود  
له كفر والسؤال عنه بدعة



أقر على أنفسهم واعترفوا حين لا ينفعهم ذلك الاعتراف والاقرار والمعنى ان الكفار أقر واثان الذى  
 جاءت به الرسل من الايمان والتصديق والحشر والنشر والبعث يوم القيامة والثواب والعقاب حق وصدق  
 وانما أقر واثانهم لانه شاهدوا معانيه وذلك حين لا ينفعهم ولمسوا وأثانهم في العذاب قالوا (فهل  
 لنا من شفعا فيشفعوا لنا) وزد فتعمل غير الذى كنا عمل) يعنى أنه ليس لنا طر يق الى الخلاص مما نحن  
 فيه من العذاب الآن شفعنا اننا شفيع نندربنه فيقبل شفاعة فينا فبما نحن من هذا العذاب وزد الى الدنيا  
 فتعمل غير الذى كنا عمل فيها فيقبل الكفر بالتوحيد والايمان والمآسى بالطاعة والامابة (قد خسروا  
 أنفسهم) يعنى ان الذى طلبوا ولا يحصل لهم فبين خسارهم واهلاكهم أنفسهم لانهم كانوا في الدنيا اول  
 مرة فلم يعملوا بطاعة الله ولوردوا الى الدنيا بعدوا الى ما كانوا عليه من الكفر والعصيان لسابق علم الله  
 تعالى بهم (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعنى وبطل وذهب عنهم ما كانوا يزعمون ويكذبون في الدنيا  
 من ان الاصنام تشفع لهم فلما افضوا الى الآخرة ذهب ذلك عنهم وعلموا أنهم كانوا في دعواهم كاذبين  
 قوله عز وجل (ان ربكم الله) يعنى ان سيدكم ومالككم ومصمكم وموصل الخبرات اليكم والذى  
 يدفع عنكم المكار هو الله (الذى خلق السموات والارض) أصل الخلق في اللغة التقدير ويستعمل في  
 ابداع الشيء من غير أصل سبق ولا ابتداء تقدم فقوله خالق السموات والارض يعنى أبدعها وأنشأ خلقها  
 على غير مثال سبق وقدر أحوالها في ستة أيام) فان فات اليوم عبارة عن مقدار من الزمان وذلك المقدار  
 هو من طلوع الشمس الى غروبها فكيف قال في ستة أيام ولم يكن شمس واسماء قلت معناه في مقدار ستة  
 أيام فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا يعنى على مقدار البكر والعشي في الدنيا لان الجنة لا ليل فيها  
 ولا نهار واختاف العلماء في اليوم الذى ابتداء عز وجل يخلق الاشياء فيه فقل في يوم السبت وهو قول  
 محمد بن اسحق وغيره ويدل على صحة هذا القول ما روى مسلم في افرادهم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه  
 قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي فقال خالق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد  
 وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المسكر يوم الثلاثاء وخلق انور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس  
 وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل  
 وهذا الحديث وإن كان في صحيح مسلم ففيه مقال وقد أنكره بعض العلماء ما فيه من المخالفة لآية الكرعة  
 لان الله تعالى يقول خالق السموات والارض في ستة أيام وقال في آية أخرى وخلقنا السموات والارض  
 وما بينهما في ستة أيام قبل هذين النصين على ان جميع الخلق تم وكل في ستة أيام والذي في الحديث ان  
 بعض الخلق وقع في سبعة أيام وذلك مجموع أيام الاسبوع فالهنا السبب أنكره من أنكره من العلماء وقد  
 ذكرنا الاثر في كتابه تهذيب اللغة ما يقوى الحديث فقال وقال ابن الانباري السبت القطع وسمى يوم  
 السبت لان الله تعالى ابتداء الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض خالق السموات والارض وقبل ان ابتداء الخلق  
 كان يوم الاحد وهو قول عبد الله بن سلام وكتب الاخبار والضحاك ومجاهد واختار ابن جرير الطبري قال  
 لطبري خالق الله السموات والارض في ستة أيام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس  
 والجمعة وروى بسنده عن مجاهد قال بدأ خالق العرش والماء والهواء وخلق الارض من الماء وبدأ الخلق  
 يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وجميع الخلق في يوم الجمعة وتمت وتوالت اليهود في يوم السبت  
 و يوم من الستة الايام كالف سنة مما تعدون ويصعد هذا القول ما حكاه صاحب المحكم ابن سيدة قول وسمى  
 سابع الاسبوع سبتا لان ابتداء الخلق كان من يوم الاحد الى يوم الجمعة ولم يكن في السبت خالق قال أصحاب  
 الاخبار والسير والتواريخ ان الله تعالى خالق التربة التي هي الارض بلاد حو ولا بط في يوم الاحد والاثنين  
 ثم استوى الى السماء فساها سبعم سموات في يومين وهما الثلاثاء والاربعاء ثم دحا الارض وبسطها

(اهل لان من شفعا فيشفعوا  
 لنا) جواب الاستفهام  
 (أزرد) جملة معطوفة على  
 جملة قبلها اذا خلة معها في حكم  
 الاستفهام كأنه قيل فهل لنا  
 من شفعا أو هل نرد رافعه  
 وقوعه موقعا يصلح للاسم  
 كقولك ابتداء هل يضرب  
 زيدا أو عطف على تندير هل  
 يشفع لنا شافع أو هل نرد  
 (فتعمل) جواب الاستفهام  
 أيضا (غير الذى كنا عمل  
 قد خسروا أنفسهم وضل  
 عنهم ما كانوا يفترون)  
 ما كانوا يبدونهم من الاصنام  
 (ان ربكم الله الذى خلق  
 السموات والارض في ستة  
 أيام) أراد السموات  
 والارض وما بينهما وقد  
 فصلها في حم السجدة أى  
 من الاحد الى الجمعة لا اعتبار  
 باللائكة شيئا فشيئا والاعلام  
 بالتأني في الامور ولان لكل  
 عمل يوما ولان انشاء شيء  
 بعد شيء أدل على عالم مدبر  
 مر يدبره على اختياره  
 ويحج به على مشيئته

وزفكم الله) من غيرهم  
 الاشر به لخدوله في حكم  
 الافاضة أو أريد وألقوا  
 علينا عار زفكم الله من  
 الطعام والفاكهة كقولك  
 علفنا بكذا أو ما باردا  
 أي وسقيتها وانما سألو  
 ذلك مع بأسهم عن الاجابة  
 لان المتعجب ينطق بما يفيد  
 وبما لا يفيد (قالوا ان الله  
 حرهم على الكافرين)  
 هو تحرهم منع كافي وحرما  
 عليه المراضع وتقف هنا  
 ان رفعت وأوصبت ما بعده  
 ذما وان جرته وصفا  
 للكافرين فلا (الذين  
 اتخذوا دينهم طوا  
 ولعبا) خرموا وأحسوا  
 ماشاؤا ودينهم عيدهم  
 (وغرتهم الحياة الدنيا)  
 اغترا باطول البقاء (فالיום  
 ننسأهم) نتركهم في  
 العذاب (كأنسوا لقاء  
 يومهم) هذا وما كانوا  
 باياتنا يحسدون أي  
 كنسأهم وبكنا فضلناه  
 ميزنا حلاله وحرامه وما اعطه  
 وقصه (على علم) عالين  
 بكيفية تفصيل أحكامه (هدى  
 ورجة) حال من منصوب  
 فضلائه كان على علم حال  
 من مرفوعه (لقوم  
 يؤمنون هل ينظرون)  
 ينظرون (الأنأو به) الا

عاقبة أمره وما يؤل اليه من تبين صدقه وظهور محبة ما نطق به من الوعد والوعيد (يوم يأتي تأويله  
 يقول الذين نسوه من قبل) تركوه وأعرضوا عنه (قد جاء ترسل ربنا بالحق) أي تبين وصمهم جازا بالحق فأقر واحين لا ينههم

(يعرفون كلا) من زمرة السعداء والاشقياء (بسيماهم) بعلامتهم قيل سبأ المؤمنين بياض الوجوه وتضارها وسبأ الكافرين سواد الوجوه وزرقة العيون (ونادوا) أى أصحاب الاعراف (أصحاب الجنة أن سلام عليكم) (٩٧) انه سلام أو أى سلام وهو

تهنئة منهم لاهل الجنة (لم يدخلوها) أى أصحاب الاعراف ولأجل له لانه استثناف كأن سائلا سأل عن أصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها (وهم يطعمون) فى دخولها أوله محل وهو وصف لرجال (وإذا صرف أبصارهم) أبصار أصحاب الاعراف وفيه ان صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا (تلقاء) ظرف أى ناحية (أصحاب النار) ورأوا قائلوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين (فاستعاذوا بالله وفزعوا الى رحمة ربهم) (ونادى أصحاب الاعراف رجالا) من رؤس الكفرة (يعرفونهم بسيماهم) ما غنى عنكم جمعكم المال أو كثرتمكم واجتماعكم وما افية (وما كنتم تستكبرون) واستكباركم على الحق وعلى الناس ثم يقولون لهم (اهؤلاء) مبتدأ (الذين) خبر مبتدأ مضمرة تقديره هؤلاء الذين (أقسمتم) حلفتى فى الدنيا والشار البيه فقراء المؤمنين كصهيب وسلمان ونحوهما (لا ينالهم الله برحمة) جواب أقسمتم وهو داخل فى صلة الذين

يعرفون أهل الجنة وأهل النار فقيل لاني مجاز ان الله تعالى يقول وعلى الاعراف رجال وأنت تقول انهم ملائكة فقال ان الملائكة ذكور واسوأ باناث وضعف الطبري قول أبى مجاز قال لان لفظ الرجال فى لسان العرب لإطلاق الاعلى الذكور من نبي آدم دون اناتهم ودون سائر الخلق وحاصل هذه الاقوال ان أصحاب الاعراف أفضل من أهل الجنة لانهم أعلى منهم منزلة وأفضل وقيل إنما جلسهم الله فى ذلك المكان العالى لغير ما بين أهل الجنة وبين أهل النار والله أعلم بمراد وأسرار كتابه ﴿وقوله عز وجل﴾ (يعرفون كلا بسيماهم) معنى أن أصحاب الاعراف يعرفون أهل الجنة بسيماهم وذلك بياض وجوههم ونضرة النعيم عليهم ويعرفون أهل النار بسيماهم وذلك بسواد وجوههم وزرقة عيونهم وبالسبأ العلامة الدالة على شئ وأصله من السمعة قال ابن عباس رضى الله عنهما أصحاب الاعراف اذا رأوا أصحاب الجنة عرفوهم بياض الوجوه وذراؤا أصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه فان قلنا ان أصحاب الاعراف من استوت حسناتهم وسيئاتهم وهم دون أهل الجنة فى الدرجة كان وقوعهم على الاعراف ليسكونا درجة متوسطة بين الجنة والنار فاذا رأوا أهل الجنة عرفوهم بياض وجوههم نادوهم أن سلام عليكم وهو قوله تعالى (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) يعنى نادى أصحاب الاعراف أصحاب الجنة أن سلام عليكم سلمتهم من الآفات وحصل لكم الأمن والسلامة واذا رأوا أهل النار يعرفونهم بسواد وجوههم قائلوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وان قلنا ان أصحاب الاعراف هم الاشراف والافضل من أهل الجنة كان جلوسهم على الاعراف ليطلعوا على أهل الجنة وأهل النار ثم لينقلهم الله عز وجل الى لدرجات العلية فى الجنة ﴿وقوله تعالى﴾ (لم يدخلوها وهم يطعمون) يعنى فى دخول الجنة قال الحسن ما جعل الله ذلك الطمع فى قلوبهم الا كرامة يريد بهاهم ﴿وقوله تعالى﴾ (واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) يعنى واذا صرفت أبصار أصحاب الاعراف تلقاء أصحاب النار يعنى وجاههم وحياهم فنظروا اليهم وإلى سواد وجوههم وماهم فيهم من العذاب (قائلوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) يعنى الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان أصحاب الاعراف اذا نظروا أهل النار وما فيهم من العذاب تضرعوا الى الله تعالى وسألوه أن لا يجعلهم منهم ﴿وقوله تعالى﴾ (ونادى أصحاب الاعراف رجالا) يعنى نادى أصحاب الاعراف رجالا كانوا عظماء فى الدنيا وهم من أهل النار (يعرفونهم بسيماهم) يعنى بسيما أهل النار (قائلوا) يعنى أصحاب الاعراف هؤلاء الذين عرفوهم فى النار (ما غنى عنكم جمعكم) يعنى ما كنتم تجمعون من الاموال والعدد فى الدنيا (وما كنتم تستكبرون) يعنى وما غنى عنكم تكبركم عن اليمان شيأ قال السكبي ينادونهم وهم على السور ياولدين الغربية بأباجهل بن هشام يافلان ويافلان ثم ينظرون الى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء مع كانوا يستزنون بهم مثل سلمان وصهيب وخباب وبلا وأشباههم فيقول أصحاب الاعراف لا أولئك الكفار (اهؤلاء) لفظ استفهام يعنى هؤلاء الضعفاء (الذين أقسمتم) بالله (لا ينالهم الله برحمة) يعنى انكم حلفتهم انهم لا يدخلون الجنة وقد دخلوا الجنة ثم يقول الله تعالى لأصحاب الاعراف (ادخلوا الجنة) بفضلى ورحمتى (لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وقيل ان أصحاب الاعراف اذا قالوا لأصحاب النار ما أخبر الله عنهم قال لهم أهل النار ان أولئك دخلوا الجنة وأنتم لم تدخلوها فيهم ونههم بذلك ويقسمون انهم لا يدخلون الجنة ولا ينالهم الله برحمة فتقول الملائكة لاهل النار اهؤلاء يعنى أصحاب الاعراف الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ثم تقول الملائكة لأصحاب الاعراف ادخلوا الجنة برحمة الله لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴿وقوله عز وجل﴾ (ونادى

(١٣ - خازن - ثابى) تقديره أقسمتم عليهم بان لا ينالهم الله برحمة أى لا يدخلهم الجنة بحتق ونهم افقرهم فيقال لأصحاب الاعراف (ادخلوا الجنة) وذلك بعد ان نظروا الى الفريقين وعرفوهم بسيماهم وقالوا ما قالوا (لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) ونادى

الجنة والنار وقيل بين أهل الجنة وأهل النار حجاب وهو المذكور في قوله تعالى فضرِب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار وقال السدي وبينهما حجاب هو السور وهو الاعراف وقوله (وعلى الاعراف رجال) الاعراف جمع عرف وهو كل مرتفع من الارض ومنه قيل عرف الديك لارتفاعه على مساواه من الجسد سمي بذلك لانه بسب ارتفاعه صار أعرف وأمين مما انخفض وقال السدي انما سمي الاعراف لان أصحابه يعرفون الناس وقال ابن عباس رضى الله عنهم الاعراف النجى المشرف وعنه قال الاعراف سور كعرف الديك وعنه ان الاعراف جبل بين الجنة والنار يحبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار واختلف العلماء في صفة الرجال الذين أخبر الله عنهم انهم على الاعراف وما السبب الذي من أجله صاروا هناك فروى عن حذيفة انه سئل عن أصحاب الاعراف فقال هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتخلفت بهم حسناتهم عن النار فوقوا هناك على السور حتى يقضى الله تعالى فيهم قال بعضهم انما جعلوا على الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار فهم لامن أهل الجنة ولا من أهل النار لكن الله تعالى يدخلهم الجنة بفضلِهِ ورحمته لانه ليس في الآخرة دار الا الجنة والنار وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسنة أكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئة أكثر بواحدة دخل النار وان الميزان يخفف ويثقل بمثل حبة من خردل ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الاعراف فوقوا على الاعراف فاذا نظروا الى أهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا نظروا الى أهل النار قالوا ربنا اجعلنا مع القوم الظالمين فهناك يقول الله تعالى لم يدخلوها وهم بظلمعون فكان الطمع دخولا قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه اذا عمل العبد حسنة كتب له بها عشرين واذا عمل سيئة لم تكتب له الا واحدة ثم قال هلاك من غلب آثامه عشرين اية وقال ابن عباس رضى الله عنهم الاعراف سور بين الجنة والنار وأصحاب الاعراف هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فهم بذلك المسكان حتى اذا أراد الله تعالى أن يعاقبهم انطلق بهم الى هنرى يقال له نهر الحياة خافوا فصب الذهب مكال بالثؤثر بابه المسك فالقوا فيه حتى تصالح ألوانهم وتبدو في محوهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى اذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال غنوا ما شئتم فيتمنون حتى اذا انقطعت أمتينهم قال لهم لكم الذى تمنيتُم ومثله سبعون ضعفا فيدخلون الجنة ذكره ابن جرير في تفسيره وقال شريح بن ساعد أصحاب الاعراف قوم خرجوا في الغزو من غير اذن آبائهم ورواه الطبري بسنده الى يحيى بن غيل مولى لبنى هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف فقال هم قوم قتلوا عاصاة آبائهم فغضبهم فقتلهم في سبيل الله عن النار ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة زادني رواية فهم آخر من يدخل الجنة وذكر ابن الجوزي أنهم قوم رضى آبائهم دون أمهاتهم وأمهاتهم دون آبائهم ورواه عن ابراهيم وذ كر عن أبي صالح مولى التوأمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم أنهم أولاد الزنا وقيل انهم الذين ماتوا في الفترة وفيه بعد لان آخر أمر أصحاب الاعراف الى الجنة وهؤلاء الذين ماتوا في الفترة انما عمل بمحاطهم وهو يتولى أمرهم وقيل انهم أولاد المشركين الذين ماتوا أطفالا وهذا القول يرجع معناه الى القول الذى قبله لانه داخل في حكمه فهذه الاقوال تدل على أن أصحاب الاعراف دون أهل الجنة في الدرجات وان كانوا يدخلون الجنة بدرجة الله تعالى وقال مجاهد أصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء فعلى هذا القول انما يكون انهم على الاعراف على سبيل التزهة وليرى غيرهم شرفهم وفصلهم وقيل انهم أنبياء حكماة بن الانبياء وانما جلسهم الله على ذلك المكان العالى تمييزا لهم على سائر أهل القيامة واظهارا لفضلهم وعلاوهم بينهم وليكونوا مشرفين على أهل الجنة والنار ومطاعين على أحوالهم ومقادير ثواب أهل الجنة وعقاب أهل النار وقال أبو مجاز وأصحاب الاعراف ملائكة يعرفون الفرقين بسيماهم يعنى

(وعلى الاعراف) على  
أعراف الحجاب وهو السور  
المضروب بين الجنة والنار  
وهي أعاليه جمع عرف  
استعبر من عرف الفرس  
وعرف الديك (رجال)  
من أفاضل المساكين أو  
من آخرهم دخولا في الجنة  
لاستواء حسناتهم  
وسيئاتهم أو من لم يرض  
عنه أحد أبويه أو أطفال  
المشركين

الجنة) ان مخففة من التوبة واسمها مخدوف والجهة بعدها خبرها تقديره ونود وادناه تلك الجنة والها ضمير الشأن أو بمعنى أى كانه قيل وقيل لهم نلك الجنة (أورتموها) أعطيتموها وهو حال من الجنة والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة (بما كنتم تعملون) سماها ميراثا لانها لاستحقاق بالعمل بل هي محض فضل الله وعده على الطاعات كالميراث من الميت (٩٥) ليس بموضع عن شيء بل هو صلة

خاصة قال الشيخ أبو منصور رحمه الله ان المعتزلة خالفوا الله فيها خبر ونوحا عليه السلام وأهل الجنة والنار وأبليس لانه قال الله تعالى يفضل من يشاء ويهدي من يشاء وقال نوح عليه السلام ولا يفتنكم فصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم وقال أهل الجنة وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وقال أهل النار لو هدانا الله لهديناكم وقال ابليس فيها أغورني (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) يعني أصحاب النار أن قد وجدنا أن قد وجدنا النار وعدنا في الدنيا على أن استقره من الثواب على الإيمان به وبرسوله وطاعته حقا (فهل وجدتم ما وعدكم بحقا) بمعنى من العذاب على الكفر (قالتوا نعم) يعني قال أهل النار مجيبين لاهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقا فان قلت هذا النداء من كل أهل الجنة لكل أهل النار أو من البعض للبعض قلت ظاهر قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار يفيد العموم والجمع اذا قبل الجميع يوزع الفرد على الفرد فكل فر يق من أهل الجنة ينادى من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا فان قلت اذا كانت الجنة في السماء والنار في الارض فكيف يمكن ان يبلغ هذا النداء وكيف يصح ان يقع قلت ان الله تعالى قادر على أن يقوى الاصوات والاسماع فيصير البعيد كالقريب ﴿وقوله تعالى (فأذن مؤذن بينهم) يعني نادى منادوا علم لان أصل الاذان في اللغة الاعلام والتمتني نادى منادا سمع الفريقين وهذا المنادى من الملائكة وقيل انه اسرافيل صاحب الصور كره الواحدى (أن لعنة الله على الظالمين) يعني يقول المؤذن ان لعنة الله على الظالمين ثم يفسر الظالمين من هم فقال تعالى (الذين يصدون عن سبيل الله) يعني الذين يمنعون الناس عن الدخول في دين الاسلام (ويغوونها عوجا) يعني ويحاولون ان يغيروا دين الله وطريقته التي شرع لعباده ويبدلونها وقيل معناه انهم يضلون لغير الله ويعظمون مالم يراه الله وذلك انهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغير الله وتكلموا بغير الله فاختلوا الطريق وضلوا عن السبيل (وهم بالآخرة كافرون) يعني وهم يكون الآخرة واقعة جاحدون منكرونها ﴿قوله عز وجل (و يبين ما يحجب) يعني بين

الجنة) يعني ونادى منادى أهل الجنة ان هذه الجنة التي كانت الرسل وعدتكم بها في الدنيا واختلفوا في اننادي فقيل هو الشجر وجل وقيل الملائكة ينادون بأمر الله عز وجل وقيل هذا النداء يكون في الجنة (م) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد ان لكم ان تحبوا فلا تتوبوا ابدوا وان لكم ان تصحوا فلا تسيئوا ابدوا وان لكم ان تشبوا فلا تنهروا ابدوا وان لكم ان تتعوا فلا تنبأوا ابدوا فلذلك قوله عز وجل ونود وان لكم الجنة وأورتموها بما كنتم تعملون وقوله تعالى (أورتموها بما كنتم تعملون) روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فاما الكافر فانه يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة زاد في رواية فذلك قوله تعالى وأورتموها بما كنتم تعملون قال بعضهم لما سمى الله الكافر ميتا بقوله أموات غيبا وسعى المؤمن حيا بقوله ليندر من كان حيا وفي الشمرع ان الاحياء يرثون الاموات فقال أورتموها يعني ان المؤمن سى وهو يرث الكافر منزله من الجنة لانه في حكم الميت وقيل معناه ان أمرهم يؤل الى الجنة فكان الميراث يؤل الى الوارث وقيل وأورتموها عن الاعمال الصالحة التي عملتموها لان الجنة جعلت لهم جزاء وثوابا على الاعمال ولا يعارض هذا القول ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة أحد بعمله وانما يدخلها برحمة الله فان دخول الجنة برحمة الله وانقسام المنازل والدرجات بالاعمال وقيل ان العمل الصالح ان يناله المؤمن ولن يبلغه الا برحمة الله تعالى وتوفيقه وماذا كان العمل الصالح بسبب الرحمة كان دخول الجنة في الحقيقة برحمة الله تعالى وجعلها الله ثوابا جزاء لهم على تلك الاعمال الصالحة التي عملوها في دار الدنيا والله أعلم ﴿قوله تعالى (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) يعني ونادى أهل الجنة أهل النار وهذا النداء انما يكون بعد استقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار تقول أهل الجنة بأهل النار (أن قد وجدنا ما وعدنا نارنا حقا) يعني ما وعدنا في الدنيا على أن استقره من الثواب على الإيمان به وبرسوله وطاعته حقا (فهل وجدتم ما وعدكم بحقا) بمعنى من العذاب على الكفر (قالتوا نعم) يعني قال أهل النار مجيبين لاهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقا فان قلت هذا النداء من كل أهل الجنة لكل أهل النار أو من البعض للبعض قلت ظاهر قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار يفيد العموم والجمع اذا قبل الجميع يوزع الفرد على الفرد فكل فر يق من أهل الجنة ينادى من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا فان قلت اذا كانت الجنة في السماء والنار في الارض فكيف يمكن ان يبلغ هذا النداء وكيف يصح ان يقع قلت ان الله تعالى قادر على أن يقوى الاصوات والاسماع فيصير البعيد كالقريب ﴿وقوله تعالى (فأذن مؤذن بينهم) يعني نادى منادوا علم لان أصل الاذان في اللغة الاعلام والتمتني نادى منادا سمع الفريقين وهذا المنادى من الملائكة وقيل انه اسرافيل صاحب الصور كره الواحدى (أن لعنة الله على الظالمين) يعني يقول المؤذن ان لعنة الله على الظالمين ثم يفسر الظالمين من هم فقال تعالى (الذين يصدون عن سبيل الله) يعني الذين يمنعون الناس عن الدخول في دين الاسلام (ويغوونها عوجا) يعني ويحاولون ان يغيروا دين الله وطريقته التي شرع لعباده ويبدلونها وقيل معناه انهم يضلون لغير الله ويعظمون مالم يراه الله وذلك انهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغير الله وتكلموا بغير الله فاختلوا الطريق وضلوا عن السبيل (وهم بالآخرة كافرون) يعني وهم يكون الآخرة واقعة جاحدون منكرونها ﴿قوله عز وجل (و يبين ما يحجب) يعني بين

والنار (أن لعنة الله على الظالمين) أن لعنة مكي وشامى وحزقوعى (الذين يصدون) يمنعون (عن سبيل الله) دينه (ويغوونها عوجا) مفسعون نان ليغوونها أى يطلبون لها الاعوجاج والتناقض (وهم بالآخرة) بالدار الآخرة (كافرون وبينهم) وبين الجنة والنار أو بين الفريقين (حجاب) وهو السور المذكور في قوله فضر بيبهم بسور

من شرائع دينه وعملوا بما أمرهم به وأطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه لا تكف نفسا الا وسعها يعني لا تكف نفسا الا ما يسعها من الاعمال وما يسهل عليها ويدخل في طوقها وقد رتبا ما لا حرج فيه عليها ولا ضيق قال الزجاج الوسع ما يقدر عليه وقال مجاهد معناه الا ما افترض عليها يعني الذي افترض عليها من وسعها الذي تقدر عليه ولا تجز عنه وقد غاط من قال ان الوسع بذل المجهود قال أكثر أصحاب المعاني ان قوله تعالى لا تكف نفسا الا وسعها اعترض وقم بين المبتدأ والخبر والتقدير والذين آمنوا وعملوا الصالحات (أو لك) أصحاب الجنة هم فيها خالدون لا تكف نفسا الا وسعها وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر لأنه من جنس هذا الكلام لأنه تعالى لما ذكر عملهم الصالح ذكر ان ذلك العمل من وسعهم وطافتهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على ان الجنة مع عظم قدرها ومخاطباتها بتوصل اليها بالعمل الصالح السهل من غير تحمل كلفة ولا مشقة صعبة وقال قوم من أصحاب المعاني هو من تمام الخبر وضعه ورفع والعائد محذوف كأنه قال لا تكف نفسا منهم الا وسعها الخذف العائد لعل به قوله تعالى (وزرعنا ما في صدورهم من غل) يعني وقلنا وأخرجنا ما في صدور المؤمنين من غش وحسد وحقد وعداوة كانت بينهم في الدنيا ومعنى الآية أن زلنا تلك الاحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين لا يجسد بعضهم بعضا على شيء خص الله به بعضهم دون بعض ومعنى نزع الغل تصفية الطباع واسقاط الوسوس ودفعها عن ان ترد على القاب روى عن علي رضي الله عنه قال فينا والله أهل بدر زلت وزرعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين روى عنه أيضا أنه قال اني لارجو ان أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم وزرعنا ما في صدورهم من غل وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتل بعضهم من بعض مظلما كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونفقوا اذن الله لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لا احدهم أهدى بمنزلة في الجنة منه بمنزلة في الدنيا وقال السدي في هذه الآية ان أهل الجنة اذا سبقوا إلى الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عيان فشر بوا من احداها فينزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى جثرت عليهم نضرة النعيم فلن يشعروا ان يشعروا بعد ما بدأ وقيل ان درجات أهل الجنة متفاوتة في العلو والكمال فيعص أهل الجنة أعلى من بعض وأخرج الله عز وجل الغل والحسد من صدورهم وأزاله عنهم وزرع من قلوبهم فلا يجسد صاحب الدرجة النازلة صاحب العالية وأورد على هذا القول كيف يعقل أن الانسان يرى الدرجات العالية والنعمة العظيمة وهو محبوس عنها لا يصل اليها ولا يملك بطبعه اليها ولا يفتح بسبب حرمانه منها وان كان في ذلك ونعيم وأجيب عن هذا بان الله تعالى قد وعد بآز الحقد والحسد من قلوب أهل الجنة حتى تكمل لهم اللذة والسرور حتى ان احدهم لا يرى نفسه الا في كمال وزادة في النعيم الذي هو فيه فيرضى بما هو فيه ولا يجسد احدا بذا بهذاته فينعم ولذته وكل سروره وبهجته وقوله تعالى (تجربهم تحتهم الانهار) لما أخبر الله تعالى بما أنعم به على أهل الجنة من ازالة الغل والحسد والحدة من صدورهم أخبر بما أنعم به عليهم من اللذات والخبرات والمسررات (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) يعني ان المؤمنين اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذي وفقنا وأرشدنا للعمل الذي هدانا اليه وهذا ثوابه وتفضل علينا به رحمة منه واحسانا وصرف عنا عذاب جهنم بفضل وكرمه فله الحمد على ذلك (وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله) يعني وما كنا لشرذ لذلك العمل الذي هدانا اليه لولا انه أرشدنا اليه ووفقنا بفضل ومنه وكرمه وفي الآية دليل على ان المهتدي من هداه الله ومن لم يهد الله فليس بهتد (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) يعني ان أهل النعيم اذا دخلوا ورأوا ما أعد الله (ونودوا ان نلهم) طم فيهم من النعيم قالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني انهم رأوا ما وعدهم به الرسل عيانا (ونودوا ان نلهم)

أى مشقة (أو لك) مبتدأ والخبر (أصحاب الجنة) والجنة خبران في لا تكف نفسا الا وسعها اعترض بين المبتدأ والخبر (هم فيها) خالدون وزرعنا ما في صدورهم من غل) حقد كان بينهم في الدنيا فلم يبق بينهم الا التواد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم (تجربهم تحتهم الانهار) حال من هم في صدورهم والعمل فيها معنى الاضافة (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) لما هو وسيلة الى هذا الفوز العظيم وهو الايمان (وما كنا) ما كنا بغير واوشامى على أنها جملة ووضحة للاولى (لننهتدي) لولا ان هدانا الله (اللهم) لتوكيد النفي أى وما كان يصح ان نكون مهتدين لولا هداية الله وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فكان لطفنا وتبيينا على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا بما نالوا واطهار لما اعتقدوا (ونودوا ان نلهم)



بما كنتم تكذبون)

بكسبكم وكفركم وهو من قول القادة للسلفه ولا وقف على فضل أومن قول الله لهم جيعوا والوقف على فضل (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء) أى لا يؤذن لهم فى صعود السماء ليدخلوا الجنة اذهى فى السماء أولا يصعد لهم عمل صالح ولا تنزل عليهم البركة أولا تصعد راحهم اذا ماتوا كانه سدأرواح المؤمنين الى السماء وبالتناء مع التخفيف أبو عمرو وبالباء معه حزة وعلى (ولا يدخلون الجنة حتى بلج الجبل فى سم الخياط) حتى يدخل البعير فى ثقب الابرة أى لا يدخلون الجنة أبدا لانه علقه بما لا يكون والخياط والحيط ما يحاط به وهو الابرة (وكذلك) ومثل ذلك الجزء الفطيع الذى وصفنا (نجزى المجرمين) أى الكافرين بدلالة التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها (لم من جهنم مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) أغطية جمع غاشية (وكذلك) نجزى الظالمين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تكاف نفسا الاوسعها) لما ذكره الله تعالى فى الآية (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تكاف نفسا الاوسعها) طافها والتكليف الزام ما فيه كافة

وهذا يحتمل أن يكون من قول القادة للاتباع والامة الاولى للاخرى التى بعدها ويحتمل أن يكون من قول الله تعالى معنى يقول الله للجميع فذوقوا العذاب (عما كنتم تكذبون) يعنى بسبب ما كنتم تكذبون من الكفر والاعمال الخبيثة ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ان الذين كذبوا بآياتنا) يعنى كذبوا بآيات التوحيد فلم يصدقوا به ولم يتبعوا رسنا (واستكبروا عنها) أى وتكبروا عن الايمان بها والتصدق لها وأقنعوا عن اتباعها والانتقاد لها والعمل بمقتضاها تكبرا (لا تفتح لهم أبواب السماء) يعنى لا تفتح لارواحهم اذا خرجت من أجسادهم ولا يصعد لهم الى الله عز وجل فى وقت حياتهم قول ولا عمل لان أرواحهم وأقوالهم وأعمالهم كلها خبيثة وانما يصعد الى الله تعالى الحكم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس رضى الله عنهما لا تفتح أبواب السماء لارواح الكفار وتفتح لارواح المؤمنين وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا قال لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج لا تفتح أبواب السماء لاعمالهم ولا لارواحهم وروى الطبري بسنده عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر وأنه يصعد به الى السماء فى قبضه يدون بها فلا يبرن على ملائكة الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة قال فيقولون فلان باقبح اسمائه التى كان يدعى بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء فيستفتحون له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى بلج الجبل فى سم الخياط وقيل فى معنى الآية لا تنزل عليهم البركة والخبر لان ذلك لا ينزل الا لمن السماء فاذا لم تفتح لهم أبواب السماء فلا ينزل عليهم من البركة والخبر والرحمة نبي ﴿ وقوله تعالى ﴾ (ولا يدخلون الجنة حتى بلج الجبل فى سم الخياط) الولوج الدخول والجبل معروف وهو الذر من الابل وسم الخياط ثقب الابرة قال الأقرء الخياط والحيط ما يحاط به والمراد به الابرة فى هذه الآية وانما خص الجبل بالذر من بين سائر الحيوانات لانه أكبر من سائر الحيوانات جساما عند العرب قال الشاعر جسم الجبال وأحلام العاصفير \* وصف من هجاه هذا بعظم الجسم مع صغر العقل جسم الجبل من أعظم الاجسام وثقب الابرة من أضيق المنافذ فكان ولوج الجبل مع عظم جسمه فى ثقب الابرة الضيق محالا فكذلك دخول الكفار الجنة محال ولما وصف الله دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط وكان وقوع هذا الشرط محال ثابت أن الموقوف على المحال محال فوجب بهذا الاعتبار ان دخول الكفار الجنة مأبوس منه قطعاً وقال بعض أهل المعاني لماعق الله تعالى دخولهم الجنة بولوج الجبل فى سم الخياط وهو خرق الابرة كان ذلك نفيال دخولهم الجنة على التأييد وذلك لان العرب اذا علق ما يبحوز كونه بما لا يبحوز كونه استحال كون ذلك الجائر وهذا كقولك لا أتيتك حتى يشيب الغراب وبييض القار ومنه قول الشاعر اذا شاب الغراب أثيت أهلى \* وصار القار كالابن الحليب

﴿ قوله تعالى ﴾ (وكذلك) نجزى المجرمين) أى ومثل الذى وصفنا نجزى المجرمين يعنى الكافرين لانه تقدم من صفتهم أنهم كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب حمل لفظ المجرمين على أنهم الكفار ولما بين الله عز وجل أن الكفار لا يدخلون الجنة أبدا بين انهم من أهل النار ووصف ما أعد لهم فيها فقال تعالى (لم من جهنم مهاد) يعنى لهم من نار جهنم فراش وأصل المهاد التمهيد الذى يقعد عليه ويضطجع عليه كالفرش والبساط (ومن فوقهم غواش) جمع غاشية وهى الغطاء كاللحاف ونحوه ومعنى الآية ان النار محيطة بهم من تحتهم ومن فوقهم قال محمد بن كعب القرظى والضحك والسدى المهاد الفراش والغواش اللحاف (وكذلك) نجزى الظالمين) يعنى وكذلك تكافى ونجازى المشركين الذين وضعوا العبادة فى غير موضعها ﴿ قوله عز وجل ﴾ (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تكاف نفسا الاوسعها) لما ذكره الله تعالى فى الآية (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تكاف نفسا الاوسعها) طافها والتكليف الزام ما فيه كافة

(قَالَوا ضَالُوْنَا) غَابُوا عَنْ أَفْلاَحِ الرَّاهِمِ (وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ) اعْتَرَفُوا بِكَفَرِهِمْ بِلفظ الشهادة التي هي لتحقيق الخبر (قَالَ ادْخُلُوا) أَيْ (٩٢) يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ ادْخُلُوا (فِي أُمَمٍ) فِي مَوْضِعِ الْخِلَافِ

كَانَ فِي ذِي جَلَّةِ أُمَمٍ مُصَاحِبِينَ لَهُمْ (قَدْ خَلَتْ) مَضَتْ (مَنْ) قَبْلَكُمْ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ (مَنْ) كَفَرُوا بِالْجَنِّ وَالْإِنْسِ (فِي النَّارِ) مُتَعَلِّقٌ بِادْخُلُوا (كَلِمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ) النَّارِ (أَعْنَتْ أَخْنَهَا) شَكَّاهَا فِي الدِّينِ أَيْ الَّتِي ضَلَّتْ بِالْإِقْتِدَاءِ بِهَا (حَتَّى إِذَا دَارَكُوا) فِيهَا (أَصْلَهُ) تَدَارَكُوا أَيْ تَلَاحَقُوا وَاجْتَمَعُوا فِي النَّارِ فَابْدَلْتَ التَّوَادُّعَ الْأَوَّلَ سَكَنَتْ لِلادِّغَامِ ثُمَّ ادْخَلْتَ هَمْزَةَ الْوَصْلِ (جَمْعًا) حَالٌ (قَالَتْ) أَخْرَاهُمْ مِنْزَلَةً وَهِيَ الْإِتْبَاعُ وَالسَّفَلَةُ (لَاوَلَاهُمْ) مِنْزَلَةً وَهِيَ الْقَادَةُ وَالرُّؤُسُ وَمَعْنَى لَاوَلَاهُمْ لِأَجْلِ أَوَلَاهُمْ لِأَنَّ خُطَابَهُمْ مَعَ اللَّهِ لَامِعُهُمْ (رَبَّنَا) يَارَبَّنَا (هَؤُلَاءِ) أَضْلَوْنَا فَاتَّهَمُوا عَذَابًا ضَعِيفًا (مَضَاعِفًا) (مَنْ) النَّارُ قَالَ لِكُلِّ ضَعْفٍ (لِلْقَادَةِ) بِالْفَوَايِدِ وَالْإِغْوَاءِ وَاللَّاتِبَاعِ بِالْكَفْرِ وَالْإِقْتِدَاءِ (وَالصَّكْنِ لِأَنَّهُمْ) مَا لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ مِنَ الْعَذَابِ لَا يَعْلَمُونَ أَبُو بَكْرٍ أَيْ لَا يَعْلَمُ كُلُّ فَرِيقٍ مَقْدَارَ عَذَابِ الْفَرِيقِ (وَقَالَتْ) أَوَلَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَكَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ غَضَلٍ (عَطْفًا وَاحِدًا) الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْسَّافِلَةِ

إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِعَنِ الْمَلَائِكَةِ الْعَذَابَ بِتُوفُونَهُمْ بِعَنِ يَسْتَوْفُونَ عَذَابَهُمْ عِنْدَ حَشَرِهِمْ إِلَى النَّارِ قَالُوا أَيْنَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ بَنِي شِرْكَاءَ أَوْلِيَاءَ تَعْبُدُونَهُمْ مَنْ دُونَ اللَّهِ فَادْعُوهُمْ لِإِدْفَعُوا عَنْكُمْ بِجَاءَهُمْ كَمْ مِنْ أَمْرٍ اللَّهِ (قَالُوا) بِعَنِ الْكَافَرِ بِجَبِينٍ لِلرُّسُلِ (ضَالُوْنَا) بِعَنِ بَطَلَاوْا وَذَهَبُوا عَنْ نَاوَرُ كَوْنَا عِنْدَ حَاجَتِنَا إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَنْفَعُونَا (وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ) يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى وَشَهِدُوا هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ عِنْدَ مَعَابِنَةِ الْعَذَابِ أَنَّهُمْ كَانُوا جَاهِلِينَ وَحِدَانِيَةَ اللَّهِ وَاعْتَرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ) يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ أَفْتَرَى عَلَيْهِ الْكَذِبَ وَجَعَلَ لَهُ شِرْكَاءَ مَنْ خَلَقَهُ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ بِعَنِ فِي جَلَّةِ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ بِعَنِ قَدْ مَضَتْ وَسَلَفَتْ وَأَعْمَالُ قَدْ خَلَتْ وَلَمْ يَقْبَلْ قَدْ خَلُوا لِأَنَّهُ أَطْلَقَ الضَّمِيرَ عَلَى الْجَمَاعَةِ بِعَنِ فِي جَلَّةِ جَمَاعَةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ (فِي النَّارِ) أَيْ ادْخُلُوا جَمِيعًا فِي النَّارِ الَّتِي هِيَ مُسْتَقَرٌّ وَمَأْوَاكُمْ وَأَعْمَالُ فِي الْأُمَمِ الْجَمَاعَاتِ وَالْأَحْزَابِ وَأَهْلُ الْمِلَلِ الْكَافِرَةِ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ (كَلِمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ) بِعَنِ كَلِمَا دَخَلَتْ جَمَاعَةُ النَّارِ (أَعْنَتْ أَخْنَهَا) بِعَنِ كَلِمَا دَخَلَتْ أُمَّةُ النَّارِ لَعْنَتْ أَخْنَهَا مِنْ أَهْلِ مِلَّتِهَا فِي الدِّينِ لِأَنَّ النَّسَبَ قَالَ السَّيِّدُ كَلِمَا دَخَلَتْ أَهْلُ مِلَّةِ النَّارِ لَعْنُوا أَصْحَابَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الدِّينِ فَيَلْعَنُ الْمُشْرِكُونَ الْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئُونَ الصَّابِئِينَ وَالْمَجُوسُ الْمَجُوسَ تَلْعَنُ الْآخَرَةُ الْأُولَى (حَتَّى إِذَا دَارَكُوا) بِعَنِ تَدَارَكُوا وَتَلَاحَقُوا (فِيهَا جَمِيعًا) بِعَنِ تَلَاحَقُوا وَاجْتَمَعُوا فِي النَّارِ جَمِيعًا وَأَدْرَكَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَاسْتَقَرُّوا فِي النَّارِ (قَالَتْ) أَخْرَاهُمْ لِأَوَلَاهُمْ (قَالَ) ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِعَنِ قَالَ أَخْرَجَهُمْ أَهْلُ الْأَوَّلِ (قَالَ) ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ذَلِكَ الدِّينَ وَقَالَ مَقَاتِلٌ بِعَنِ قَالَ أَخْرَجَهُمْ دَخَلُوا النَّارَ وَهُمْ الْإِتْبَاعُ لِأَوَّلِهِمْ دَخَلُوا وَهُمْ الْقَادَةُ لِأَنَّ الْقَادَةَ يَدْخُلُونَ النَّارَ أَوَّلًا (رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضْلَوْنَا) بِعَنِ يَقُولُ الْإِتْبَاعُ بِنَاهُؤُلَاءِ الْقَادَةِ وَالرُّسَاءُ أَضْلَوْنَا عَنْ الْهَدْيِ وَزَيَّنُوا لِلطَّاعَةِ الشَّيْطَانَ وَقِيلَ أَعْمَالُ الْمُتَأَخَّرِينَ ذَلِكَ لَأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ تَعْظِيمَ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ أَسْلَافِهِمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَهُمْ فِي الضَّلَالَةِ وَاتَّبَعُوا طَرِيقَهُمْ فِيهَا كَانُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَبَيَّنَ لَهُمْ فُسَادُ مَا كَانُوا عَلَيْهِ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضْلَوْنَا لَأَنَّا اتَّبَعْنَا سَبِيلَهُمْ (قَاتَهُمْ) عَذَابًا ضَعِيفًا مِنَ النَّارِ (أَيْ) أَضْعَفَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ (قَالَ) أَبُو عُبَيْدَةَ الضَّعْفُ هُوَ مِثْلُ الشَّيْءِ مَرَّةً وَاحِدَةً قَالَ الْأَزْهَرِيُّ وَالَّذِي قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ هُوَ مَا يَسْتَعْمَلُهُ النَّاسُ فِي مَجَازِ كَلَامِهِمْ وَأَمَّا كِتَابُ اللَّهِ فَهُوَ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ فَيُرَدِّفُ نَفْسَهُ إِلَى مَوْضِعِ كَلَامِ الْعَرَبِ الضَّعْفُ فِي كَلَامِهِمْ مَازَادُوا لَيْسَ بِمَقْصُورٍ عَلَى مِثْلَيْنِ وَجَازَتْ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هَذَا الضَّعْفُ أَيْ مِثْلُهُ وَثَلَاثَةُ أَمْثَالِهِ لِأَنَّ الضَّعْفَ فِي الْأَصْلِ زِيَادَةُ غَيْرِ مَحْصُورَةٍ وَأَوَّلَى الْأَشْيَاءِ بِهِ أَنْ يَجْعَلَ عَشْرَةً أَمْثَالَهُ قَافِلُ الضَّعْفِ مَحْصُورٌ وَهُوَ الْمِثْلُ وَأَكْثَرُهُ غَيْرُ مَحْصُورٍ وَقَالَ الزَّجَاجُ فِي تَفْسِيرِهِ هَذَا الْآيَةَ فَاتَّهَمُوا عَذَابًا ضَعِيفًا أَيْ مَضَاعِفًا لِأَنَّ الضَّعْفَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى ضَرَبَيْنِ \* أَحَدُهُمَا الْمِثْلُ وَالْآخَرُ أَنْ يَكُونَ فِي مَعْنَى تَضَعِيفِ الشَّيْءِ أَيْ زِيَادَتِهِ (قَالَ) بِعَنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (لِكُلِّ ضَعْفٍ) بِعَنِ لَاوَلَاكُمْ ضَعْفٌ وَلَاخَرًا كَمْ ضَعْفٌ وَقِيلَ مَعْنَاهُ لِلتَّابِعِ ضَعْفٌ وَلِلْمُتَبَوِّعِ ضَعْفٌ لِأَنَّهُمْ قَدْ دَخَلُوا فِي الْكَفْرِ جَمِيعًا (وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ) بِعَنِ مَا أَعْدَدَ اللَّهُ لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنَ الْعَذَابِ وَقُرِئَ بِالْيَاءِ وَمَعْنَاهُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُ كُلُّ فَرِيقٍ مَا أَعْدَدَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْعَذَابِ لِلْفَرِيقِ الْآخَرِ (وَقَالَتْ) أَوَلَاهُمْ بِعَنِ فِي الْكَفْرِ وَهُمْ الْقَادَةُ (لَاخَرَاهُمْ) بِعَنِ الْإِتْبَاعِ (فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ) بِعَنِ قَدْ ضَلَّامَتْ كَافَّةً لَأَنَّهُمْ كَفَرُوا قَبْلَكُمْ وَقِيلَ فِي مَعْنَى الْآيَةِ وَقَالَتْ كُلُّ أُمَّةٍ سَافَتْ فِي الدُّنْيَا لِأَسْرَافِهَا الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ مَنْ مَضَى قَبْلَهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا حَلَّ بِنَا مِنْ عِقَابِ اللَّهِ بِسَبَبِ كَفَرْنَا وَوَعَصَيْتُمْ آيَاهُ جَاءَتْكُمْ بِذَلِكَ الرُّسُلِ وَالنَّذْرُ فَا رَجَعْتُمْ عَنْ ضَلَالَتِكُمْ وَكُفَرْتُمْ (قَدْ وَقُوا) الْعَذَابَ

وهذا

لكل ضعف أى فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وأنفسنا وون في استحقاق الضعف (فقدوقوا

العذاب

يَقْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي)  
بِقُرْآنٍ عَلَيْهِمْ كَتَبْتُ لَهُمْ  
فِي مَوْضِعٍ رَفِيعٍ صَفْهًا لِرُسُلِ  
وَجَوَابَ الشَّرْطِ (فَنِ  
أَتَى) الشَّرْكَ (وَأَصْلَحَ)  
الْعَمَلَ مِنْكُمْ (فَلَا خَوْفَ  
عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ مِغْرَنُونَ)  
أَصْلًا فَلَا خَوْفَ يَعْقُوبُ  
(وَالَّذِينَ كَذَبُوا) مِنْكُمْ  
(بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا)  
تَعْظُمُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا  
(أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ فَنِ أَظْلَمُ) فَنِ  
أَشْنَعُ ظَلَمًا (مَنْ أَفْترَى  
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَكَذَبَ  
بِآيَاتِهِ) عَنْ تَقْوَلِ عَلَى اللَّهِ  
مَا لَمْ يَقُلْهُ أَوْ كَذَبَ مَا قَالَهُ  
(أُولَئِكَ يَنْهَكُمُ نَصِيبُهُمْ مِنَ  
الْكِتَابِ) مَا كُتِبَ لَهُمْ  
مِنْ الرِّزْقِ وَالْأَعْمَارِ  
(حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا)  
مَلَكَ الْمَوْتُ وَأَعْوَانُهُ وَحَتَّى  
غَاةً أَنْ يَلْبِثُ عَنْ نَصِيبِهِمْ وَاسْتَفْتَاهُمْ  
لَهُ وَهِيَ حَتَّى التَّيِّبَتُ بِدَأْ  
بَعْدَهَا الْكَلَامَ وَالْكَلامَ  
هِنَا الْجُمْلَةُ الشَّرْطِيَّةُ وَهِيَ إِذَا  
جَاءَهُمْ رُسُلُنَا (تَتَوَفَّوهُمْ)  
يَقْبِضُونَ أَرْوَاحَهُمْ وَهُوَ  
حَالٌ مِنَ الرُّسُلِ أَيْ تَتَوَفَّوهُمْ  
وَمَا فِي (قَالُوا) إِنَّا كُنْتُمْ  
نَدْعُونَ فِي خُطِّ الْمَصْحَفِ  
مَوْصُولَةٌ بَيْنَ وَحَقَّقْنَا أَنَّ  
تَكْتُبُ مَفْصُولَةٌ لِأَنَّهَا  
مَوْصُولَةٌ وَالْمَعْنَى أَيْنَ الْأَلْهَةِ  
الَّذِينَ يَعْبُدُونَ (مَنْ دُونَ  
اللَّهِ) لِيَذْبُو عَنْكُمْ

وجزاء هذا الشرط هو الفداء وما بعده من الشرط والجزاء هو قوله فن اتقى وأصلح يعني منكم وأما قال  
رسول بلفظ الجمع وإن كان المراد به واحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم لأنه غامض أن النبي هو ومرسل إلى  
كافة الخلق فذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم فملى هذا ليكون الخطاب في قوله يا بني آدم لأهل مكة  
ومن يلحقهم وقيل أراد جميع الرسل وعلى هذا فالخطاب في قوله يا بني آدم عام في كل بني آدم وأما قال منكم  
يعني من جنسكم ومثلكم من بني آدم لأن الرسول إذا كان من جنسهم كان أقطع أئمة لهم وأثبت للحجة  
عليهم لأنهم يعرفونه ويعرفون أحواله فإذا أناهم بما لا يليق بقدرته أو بقدره أمثاله علم أن ذلك الذي أتى  
به معجزته وحجته على من خالفه (يقصون عليكم آياتي) يعني يقرؤن عليكم كتابي وأدلة أحكامي وشرائعي التي  
شرعت لعبادي (فن اتقى) يعني فن اتقى الشرك وخالفه رسلي (وأصلح) يعني العمل الذي أمر به رسلي  
فعمل بطاعتي وتجنب عصيتي ومانهيتي عنه (فلا خوف عليهم) يعني حين يخاف غيرهم يوم القيامة من  
العذاب (ولا هم يحزنون) يعني على ما فهم من دنياهم التي تركوها (والذين كذبوا بآياتنا) يعني ومن  
يحدوا آياتنا وكذبوا برسلنا (واستكبروا عنها) يعني واستكبروا عن الإيمان بها وما جاءت برسلنا (أو لئن  
أعجاب الناس بها لخالدون) يعني لا يخرجون منها أبدًا ﴿وقوله تعالى﴾ (فن أظلم من أفتري على الله كذبا)  
يعني فن أظلم ظلمات من يقول على الله ما لم يقله أو يجعل له شركا كان خافه وهو مزده عن الشرك والولد  
(أو كذب بآياته) يعني أو كذب بالقرآن الذي أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم (أو لئن  
ينالهم نصيبهم من الكتاب) يعني ينالهم حظهم مما قدر لهم وكتب في اللوح المحفوظ واختلقوا في ذلك  
النصيب على قولين أحدهما أن المراد به هو العذاب للعين لهم في الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال الحسن  
والسدي ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون وقال ابن عباس في رواية  
عنه كتب لمن يفتري على الله كذبا أن وجهه أسود وقال الزجاج هو المذكور في قوله فالذركم نارًا تانظي  
وفي قوله إذا اغلغل في أعناقهم فهذه الأشياء هي نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم والقول  
الثاني أن المراد بالنصيب المذكور في الكتاب هو شيء سوى العذاب ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس رضي  
الله عنهما في رواية أخرى عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبيرة عطية في قوله ينالهم نصيبهم من الكتاب قالوا هو  
السعادة والشقاوة وقال ابن عباس ما كتب عليهم من الأعمال وقال في رواية أخرى عنه من عمل خيرا  
جوزى به ومن عمل شرا جوزى به وقال قتادة جزء أعمالهم التي عملوها وقيل معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما  
عدوا في الكتاب من خيرا وشرقا له مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا وقال  
الربيع بن أنس ينالهم ما كتب لهم في الكتاب من الرزق وقال مجاهد كعب القرظي عمله ورزقه وعمره  
وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الأعمال والارزاق والاعمار فإذا فرغ هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم  
ومحج الطبري هذا القول الآخر وقال لأن الله تعالى أتبع ذلك بقوله حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم فابان  
أن الذي ينالهم هو ما قدر لهم في الدنيا فإذا فرغ توفيتهم رسل ربهم قال الامام غفر الدين رحمه الله تعالى وأما  
حاصل الاختلاف لأن لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين حله على العمر والرزق أولى لأنه  
تعالى بين أنهم وأنهم وبلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم فانه ليس بمنع أن ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر  
فضلا من الله سبحانه وتعالى لكي يصطلحوا ويتوبوا ﴿وقوله تعالى﴾ (حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) يعني  
حتى إذا جاءت هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب رسلنا يعني ملاك الموت وأعوانه أقبض أرواحهم عند  
استكمال أعمالهم وأرزاقهم لأن لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى (قالوا) يعني قال الرسل وهم الملائكة لا الكفار  
(أعما كنتم تدعون من دون الله) وهذا سؤال توبيخ وتقرع وتبكيت لسؤال استعلام والمعنى أين الذين  
كنتم تعبدونهم من دون الله ادعوا لهم ليدفعوا عنكم ما تزل بكم وقيل إن هذا يكون في الآخرة والمعنى حتى

على الآخر لا اختصاص كل واحد منهما بإصاحبه ولا يرضى أن يشاركه أحد فيه فلذلك ذنب عنه وبمنعه من غيره وأما العيرة وفي وصف الله تعالى فهو منع من ذلك ونحوه ويدل على ذلك قوله ومن غيرته سرح الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقد يحتمل أن تكون غيرته تغيير حال فاعل ذلك بعقاب والله أعلم وقوله تعالى (والأثم) يعني وحرم الأثم واختلفوا في الفرق بين الفاحشة والأثم فقيل الفواحش الكبائر لأنه قد تفاحش قبحها وتزايدها والأثم عبارة عن الصفات من الذنوب فعلى هذا يكون معنى الآية قل إنما حرم ربى الكبائر والصفات وقيل الفاحشة اسم لما يجب فيه الحد من الذنوب والأثم اسم لما لا يجب فيه الحد وهذا القول قريب من الأول واعترض على هذين القولين بأن الأثم في أصل اللغة الذنب فيدخل فيه الكبائر والصفات وقيل إن الفاحشة قاصم لاكبيرة والأثم اسم لطلق الذنب سواء كان كبيراً أو صغيراً والفائدة فيه أن يقال لماسح الله الكبيرة بقوله قل إنما حرم ربى الفواحش أردفه بتحرير مطلق الذنب لئلا يتوهم متوهم أن التحريم مقصور على الكبائر فقط وقيل إن الفاحشة وإن كانت بحسب اللغة اسم لكل ما تفاحش من قول وفعل لكنه قد صار في العرف مخصوصاً بالزنا لأنه إذا أطلق لفظ الفاحشة لم يفهم منه إلا ذلك فوجب حمل لفظ الفاحشة على الزنا وأما الأثم فقد قيل إنه اسم من أسماء الجور وهو قول الحسن وعطاء قال الجورى قد تسمى الخمر إنما واستدل عليه بقول الشاعر

شربت الأثم حتى ضل عقلى \* كذا الأثم يذهب بالعقول

وقال ابن سيده صاحب المحكم وعندى أن تسمية الخمر بالأثم صحيح لأن شربها أثم وهذا المعنى يظهر الفرق بين اللفظين وأنكر أبو بكر بن الأنباري تسمية الخمر بالأثم قال لأن العرب ماسمة أفعالهم في جاهلية ولا في اسلام ولكن قد يكون الخمر داخل تحت الأثم لقوله قل فيها مآثم كبير ﴿وقوله تعالى (والبنى) أى وحرم البنى (بغير الحق) والبنى هو الظلم والكبر والاستعلاء على الناس ومجاوزة الحد في ذلك كما وسعنى البنى بغير الحق هو أن يطلب ما ليس له بحق فإذا طالب ما لا يحق خرج من أن يكون بغياً (وأن تشركوا) أى وحرم أن تشركوا (بالله ما ينزل به سلطاناً) هذا فيه نهيكم بالشركين والسفارة لأنه لا يجوز أن ينزل بحجة وبرهاناً بأن يشرك به غيره لأن الإقرار بشئ ليس على نبوته بحجة ولا برهان ممنوع فله امتنع حصول الحجية والبيضة على صحة القول بالشرك وجب أن يكون باطلاً على الإطلاق \* فإن قلت البنى والاشترك داخلان تحت الفاحشة والأثم لأن الشرك من أعظم الفواحش وأعظم الأثم وكذا البنى أيضاً من الفواحش والأثم \* قالت أنما أفردهما بالله كرتل تنبيه على عظم قبحهما كأنه قال من الفواحش المحرمة البنى والشرك فكأنه بين جلته ثم نصه الله ﴿وقوله (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) تقدم تفسيره ﴿وقوله تعالى (واسكن أمة أجل) أجل الوقت المأثوم لا نقضاء وقت المأثم في هذا أجل المذكور في الآية قولاً أحدهما أنه أجل العذاب والمعنى أن لكل أمة كذب رسالها وقام عيناؤها جلاسمى أمهاتهم إلى ذلك الوقت (فإذا جاء أجلهم) يعني فإذا حل وقت عذابهم (لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعني فلا يؤخرون ولا يلقون قدر ساعة ولا أقل من ساعة وإنما ذكرت الساعة لأنها أقل أسماء الأوقات في العرف وهذا حين سألوا نزول العذاب فأخبرهم الله تعالى أن لهم وقتاً إذا جاء ذلك الوقت وهو وقت أهلاكهم واستنصاهم فلا يؤخرون عنه ساعة ولا يستقدمون والقول الثاني أن المراد بهذا الأجل هو أجل الحياة والعمر فإذا انقضى ذلك الأجل وحضر الموت فلا يؤخرون ساعة ولا يقدم ساعة وعلى هذا القول يلزم أن يكون لكل واحد أجل لا يقع فيه تقديم ولا تأخير وإنما قال تعالى لكل أمة انتقارب أعمار أهل كل عصر فكأنهم كالقوله في مقدار العمر وعلى هذا القول أيضاً يكون المقتول ميتاً بجعله خلافاً لنقول القائل قطع عليه أجله ﴿وقوله عز وجل (يا بني آدم اياي تنسكوا) (يا بني آدم اياي تنسكوا) هي أن الشرطية ضمت إليهما موكدة لعنى الشرط

سرهما ولعانيهما (والأثم) أى شرب الخمر أو كل ذنب (والبنى) والظلم والكبر (بغير الحق) متعلق بالبنى ومحل (وأن تشركوا بالله ما ينزل به سلطاناً) حجة النصب كأنه قال حرم الفواحش وحرم الشرك ينزل بالتخفيف مسك وبصرى وفيه تنهـكم اذ لا يجوز أن ينزل برهاناً على أن يشرك به غيره (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وأن تقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره (ولكل أمة أجل) وقت معين بأنهم فيه عذاب الاستئصال إن لم يؤمنوا وهو وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالأثم (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) قيد بساعة لأنها أقل ما يستعمل في الأهال (يا بني آدم اياي تنسكوا) هي أن الشرطية ضمت إليهما موكدة لعنى الشرط لأن ما لا شرط ولذا لزمت فعلها التوثيق له أو أخفيفة (رسل منكم

(انه لا يحب المسرفين) وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت ما أخطأك خصلتان سرف ومخيلة وكان للرشيد طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له علي قد جع الله الطب كله في نصف آية من كتابه وهو قوله وكلوا واشربوا (٨٩) ولا تسرفوا فقال النصراني ولم يرو

عن رسولكم شيء في الطب فقال قد جع رسولنا الطب في ألفاظ يسيرة وهي قوله عليه السلام المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما نرك كتابكم ولا نبيكم بل جالينوس طبيبهم استفهم انكارا على محرم الحلال بقوله (قل من حرم زينة الله الذي خلقه ليعباده) يعني قل يا محمد طهوا لآله الجاهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التي خلقه ليعباده ان تنز بنواها وتلبسوها في الطواف وغيره ثم في تفسير الزينة قولان أحدهما وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذي يسترا العورة والقول الثاني ذكره الامام غفر الدين الرازي انه يتناول جميع أنواع الزينة فيدخل تحته جميع أنواع الملبوس والحلي ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال لخالق هذا العموم ولكن النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال دون النساء (والطيبات من الرزق) يعني ومن حرم الطيبات من الرزق التي أخرجه الله لعباده وخالفها لهم ثم ذكر وفي معنى الطيبات في هذه الآية قول أحدها ان المراد بالطيبات اللحم والدم الذي كانوا يحرمونه على أنفسهم أيام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد الله تعالى عليهم بقوله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثاني وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما وقصد ان المراد بذلك ما كان أهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسواب قال ابن عباس رضي الله عنهما ان أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أكلها الله تعالى من الرزق وغيرها وهو قول الله تعالى قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهذا أنزل الله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثالث ان الآية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويستهي من سائر المطاعم والآمهي عنه وورد نص بتحريمه (قل هي للذين آمنوا) يعني قل يا محمد ان الطيبات التي أخرج الله من رزقه للذين آمنوا (في الحياة الدنيا) غير خاصة لهم لانه يشركهم فيها المشركون (خاصة لهم) يوم القيامة) يعني لا يشركهم فيها أحد لانه لا حظا لمشركين يوم القيامة في الطيبات من الرزق وقيل معناه خاصة لهم يوم القيامة من التكدير والتنفيس والغم لانه قد يقع لهم في الحياة الدنيا في تناول الطيبات من الرزق كسرو تنفيس فاعلمهم أنها خاصة لهم في الآخرة من ذلك كله (كذلك تفصل الآيات أقوم يعلمون) يعني كذلك نبين الحلال مما أحلت والحرام مما حرم أقوم علموا اني أنا الله وحدي لا شريك لي فاحلوا حلالا وحرموا حراما (قل انه حرام في الفواحش) جمع فاحشة وهي ما قبح وخش من قول أو فعل والمعنى قل يا محمد طهوا لآله المشركين الذين يجردون من الثياب ويطوفون بالبيت عراة ويحرمون أكل الطيبات مما أحل الله لهم ان الله يحرم ما يحرمونه أنتم بل أحله الله لعباده وطيبه لهم وأما حرم ربي الفواحش من الافعال والاقوال (ما ظهر منها وما بطن) يعني علانيته وسره (ق) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأحد أعمامه من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب اليه المسح من الله من أجل ذلك مدح نفسه أصل الغيرة توران القاب وهي جان الحفيظة بسبب المشاركة فيها يختص به الانسان ومنه غيرة أحد الزوجين

في نصف آية فقال وكلوا واشربوا ولا تسرفوا في الآية دليل على ان جميع المطاعم والمشروبات حلال الا ما خصه الشرع بدليل في التحريم لان الاصل في جميع الاشياء الاباحة الا ما حظره الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل (انه لا يحب المسرفين) يعني ان الله تعالى لا يحب من أسرف في المأكل والمشرب والملبوس وفي هذه الآية وعيد وتهديد لمن أسرف في هذه الاشياء لان محبة الله تعالى عبارة عن رضاه عن العبد وإيصال الثواب اليه واذ لم يحبه علم انه تعالى ليس هو راض عنه فدلت الآية على الوعيد الشديد في الاسراف ﴿ قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده) يعني قل يا محمد طهوا لآله الجاهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التي خلقه ليعباده ان تنز بنواها وتلبسوها في الطواف وغيره ثم في تفسير الزينة قولان أحدهما وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذي يسترا العورة والقول الثاني ذكره الامام غفر الدين الرازي انه يتناول جميع أنواع الزينة فيدخل تحته جميع أنواع الملبوس والحلي ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال لخالق هذا العموم ولكن النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال دون النساء (والطيبات من الرزق) يعني ومن حرم الطيبات من الرزق التي أخرجه الله لعباده وخالفها لهم ثم ذكر وفي معنى الطيبات في هذه الآية قول أحدها ان المراد بالطيبات اللحم والدم الذي كانوا يحرمونه على أنفسهم أيام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد الله تعالى عليهم بقوله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثاني وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما وقصد ان المراد بذلك ما كان أهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسواب قال ابن عباس رضي الله عنهما ان أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أكلها الله تعالى من الرزق وغيرها وهو قول الله تعالى قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهذا أنزل الله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثالث ان الآية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويستهي من سائر المطاعم والآمهي عنه وورد نص بتحريمه (قل هي للذين آمنوا) يعني قل يا محمد ان الطيبات التي أخرج الله من رزقه للذين آمنوا (في الحياة الدنيا) غير خاصة لهم لانه يشركهم فيها المشركون (خاصة لهم) يوم القيامة) يعني لا يشركهم فيها أحد لانه لا حظا لمشركين يوم القيامة في الطيبات من الرزق وقيل معناه خاصة لهم يوم القيامة من التكدير والتنفيس والغم لانه قد يقع لهم في الحياة الدنيا في تناول الطيبات من الرزق كسرو تنفيس فاعلمهم أنها خاصة لهم في الآخرة من ذلك كله (كذلك تفصل الآيات أقوم يعلمون) يعني كذلك نبين الحلال مما أحلت والحرام مما حرم أقوم علموا اني أنا الله وحدي لا شريك لي فاحلوا حلالا وحرموا حراما (قل انه حرام في الفواحش) جمع فاحشة وهي ما قبح وخش من قول أو فعل والمعنى قل يا محمد طهوا لآله المشركين الذين يجردون من الثياب ويطوفون بالبيت عراة ويحرمون أكل الطيبات مما أحل الله لهم ان الله يحرم ما يحرمونه أنتم بل أحله الله لعباده وطيبه لهم وأما حرم ربي الفواحش من الافعال والاقوال (ما ظهر منها وما بطن) يعني علانيته وسره (ق) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأحد أعمامه من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب اليه المسح من الله من أجل ذلك مدح نفسه أصل الغيرة توران القاب وهي جان الحفيظة بسبب المشاركة فيها يختص به الانسان ومنه غيرة أحد الزوجين

(١٢ - خازن - ثاني) خبرنا أن أخرجه مبتدأ مخدوف أي هي خاصة وغيره نصها على الحال من الضمير الذي في الظرف الذي هو الخبر أي هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا في حال خلوها يوم القيامة (كذلك تفصل الآيات) تميزا للحلال من الحرام (أقوم يعلمون) أنه لا شريك له (قل انه حرام في الفواحش) ربي حرة الفواحش ما نقاش قبحه أي تزايد (ما ظهر منها وما بطن)

الشقاوة كمان السحرة كانوا يعملون بعمل أهل الشقاوة ثم صاروا إلى السعادة و يصح هذا القول ماروي  
عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الرجل يعمل الزنم الطويل  
بعمَل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار وإن الرجل يعمل الزنم الطويل بعمل أهل النار ثم يختم  
له عمله بعمل أهل الجنة أخرجه مسلم وقال الحسن وبجاءني معنى الآية كبدأكم تخلفكم في الدنيا ولم  
تكنوا شيئا فاحياكم ثم يميتكم كذلك تعودون أحياء يوم القيامة ويشهد صحة هذا القول ماروي عن  
ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انك  
تخشرون إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كبدأ بأول خاتق نعيده وعدا علينا أنا كفافا عابدين أخرجه البخاري  
ومسلم وقوله تعالى (فر يقا هدى) يعني هداهم الله إلى الإيمان به ومعرفته وفقهه وإطاعته وعبادته  
(وفر يقا حق عليهم الضلالة) يعني وخذل فر يقا حتى وجبت عليهم الضلالة السابقة التي سبقت لهم في  
الازل بأنهم أشقىا وفيه دلائل على أن الهدى والضلالة من الله عز وجل وماروي عن عبد الله بن عمرو بن  
العاص رضي الله عنهم ما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خاتق خاتقة في ظلمة فالتى عليهم من نوره  
فمن أصابه من ذلك التوراه تدي ومن أخطأه ضل أخرجه الترمذي وقوله تعالى (انهم اتخذوا الشياطين  
أولياء من دون الله) يعني أن الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين نصرا واءوأنا أطاعوهم  
في أمرهم وهم بمن الكفروا المعاصي والمعنى أن الداعي الذي دعاهم إلى الكفر والمعاصي هو أنهم اتخذوا  
الشياطين أولياء من دون الله لأن الشياطين لا يقدرون على اضلال أحد وقوله (ويحسبون أنهم  
مهدتون) يعني أنهم مع ضلالتهم يظنون ويحسبون أنهم على هداية وحق وفيه دلائل على أن الكافر الذي  
يظن أنه في دينه على الحق والجاحد والمعاذ في الكفر سواء في قوله عز وجل (يا أيها آدم خذوا زينتكم  
كل مسجد) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما قال كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من  
يعبرني تطوفا فتحمله على فرجه وهي تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله \* وما يدا منه فلا حله

فنزلت هذه الآية خذوا زينتكم عند كل مسجد أخرجه مسلم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله  
عنهم ما قال كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وذكر الحديث زاد في رواية أخرى عنه  
فامرهم الله تعالى أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا وقال مجاهد كان يخفى من أهل البيت كان أحدهم إذا قدم حاجا  
أو معتمرا يقول لا ينبغي لي أن أطوف في ثوب قد عصبت فيه فيقول من يعبرني مئزرا فان قدر عليه والاطاف  
عريانا فآثر الله تعالى فيه ما تمسعون خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الزهري أن العرب كانت تطوف  
بالبيت عراة إلا الحس وهم قريش وأحلافهم فمن جاء من غير الحس وضع ثيابه وطاف في ثوب أحس وبرى  
أنه لا يحل له أن يلبس ثيابه فان لم يجد من يعبره من الحس فانه يلبس ثيابه ويحلف عريانا فان طاف في ثياب  
نفسه لثاها فاذق طوافه وحرمها أي جعلها حراما عليه فلذلك قال الله تعالى خذوا زينتكم عند كل  
مسجد والمراد من الزينة لبس الثياب التي تستر العورة قال مجاهد ما يورى عورتكم ولوعباءه وقال السكبي  
الزينة ما يورى العورة عند كل مسجد كطواف وصلاة وقوله تعالى خذوا زينتكم أمر بظاهر الوجوب وفيه  
دليل على أن ستر العورة واجب في الصلاة والطواف وفي كل حال وقوله تعالى (وكلوا واشربوا)  
الكلبي كانت بنو عامر لا يأكلون في أيام حجهم إلا قنونا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسامون  
نحن أحق أن نفع ذلك يا رسول الله فآثر الله عز وجل وكلوا واشربوا يعني الدسم واللحم (ولا تسرفوا)  
يعني بغير مليم بغير ماله من أكل اللحم والدسم قال ابن عباس رضي الله عنهم ما كل ما شئت واشرب ما شئت  
والدس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخبة وقال علي بن الحسين بن واقد قد جع الله الطيب كله

ابتداء بغيركم احتج عليهم  
في انكارهم الاعادة بابتداء  
الحلق والمعنى أنه يحدكم  
فيجاز بكم على أعمالكم  
فاخسوا له العبادة (فر يقا  
هدى) وهم المسامون  
(وفر يقا) أي أضل فر يقا  
(حق عليهم الضلالة) وهم  
الكافرون (انهم) أن  
الفريق الذين حق عليهم  
الضلالة (اتخذوا الشياطين  
أولياء من دون الله) أي أنصارا  
(ويحسبون أنهم مهتدون)  
والآية حجة لنا على أهل  
الاعتزال في الهداية  
والاضلال (يا أيها آدم خذوا  
زيتكم) لباس زينتكم  
(عند كل مسجد) كلما  
صليتم وقيل الزينة الشط  
والطيب والسنن أن يأخذ  
الرجل أحسن هيائه  
لصلاة لأن الصلاة مناجاة  
الرب فيستحب لها الزين  
والنظر كما يجب التستر  
والنظير (وكلوا) من  
اللحم والدسم (واشربوا)  
ولا تسرفوا) بالشروع في  
الأحرام أو في مجاوزة الشيع



أولياء للذين لا يؤمنون)

فيه دلالة لخافي الافعال (واذا

فعلوا فاحشاً) ما يبالغ في

قبحه من الذنوب وهو

طوافهم بالبيت عرة

وشركهم (قالوا وجدنا

عليها آباءنا والله أمرنا بها)

أى اذ فعلوها اعتدروا بان

آباءهم كانوا يفعلونها

فافتقدوا بهم وبان الله

أمرهم بان يفعلوها حيث

أمرنا عليها ذلك كرهنا فقلنا

عنها وهو ما بطلان لان

أحدهما تقليد للجهال

والثاني افتراء على ذى

الجلال (قل ان الله لا يأمر

بالفحشاء) اذ المأمور به

لا بد أن يكون حسناً وان

كان فيه على مراتب على

ما عرفت في أصول الفقه

(أتقولون على الله مالا

تعلمون) استهزاء انكار

وتوبيخ (قل أمر ربى

بالقسط) بالعدل وبما هو

أحسن عندك عاقل

فكيف يامر بالفحشاء

(واقموا وجوهكم عند

كل مسجد) رقيق أقموا

وجوهكم أى اقصدا

عبادته مستقيمين اليها غير

عادين الي غيرها فى كل

وقت سجدوا أوفى كل

مكان سجدوا (وادعوه)

واعبدوه (مخلصين له

الدين) أى الطاعة مبتغيين

بها وجهه خاصاً (كبدأكم

لا يرون الجن رقة أجسام الجن وطافتها والوجه في رؤيته الجن للانسان كشافة أجسام الانسان والوجه في رؤيته الجن بعضهم بعضاً ان الله تعالى قوى شعاع ابصار الجن وزاد فيها حتى يرى بعضهم بعضاً ولو جعل في ابصارنا هذه القوة لأبناهم ولكن لم يجعلها لنا وحكى الواحدى وابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وجعلت صدور بني آدم مساكين لهم الامن عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذى يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم وقال مجاهد قال ابليس جعل لنا ربة تراه ولا تراه وتخرج من تحت الثرى ويعود شخفاً في وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى ان عدوا يراك ولا تراه السيد المؤتمن الامن عصمه الله تعالى (انا جعلنا الشياطين أولياء) يعنى أعوانا وقراء (الذين لا يؤمنون) قال الزجاج يعنى سلطانهم عليهم يزبدون في غيرهم ﴿قوله عز وجل (واذفعوا فاحشاً) قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد ي طوافهم بالبيت عرة الرجال والنساء وقال عطاء بن الشرك والفاحشة اسم لكل فعل قبيح فيدخل فيه جميع المعاصي والكبائر فيمكن جعلها على الاطلاق وان كان السبب مخصوصاً بما ورد من طوافهم عرة ولما كانت هذه الافعال التي كان أهل الجاهلية يفعلونها يعتقدون انها طاعات وهي في نفسها فواحش ذمهم الله تعالى عليها ونهاهم عنها فاحتجوا عن هذه الافعال بما أخبر الله عنهم وهو ﴿قوله تعالى (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) فذكروا انفسهم عذر ين أحدهما محض التقليد وهو قولهم وجدنا على هذا القول آباءنا وهذا التقليد باطل لانه أصل له والعذر الثاني قولهم والله أمرنا بها وهذا العذر أيضاً باطل وقد أجاب الله تعالى عنه بقوله (قل ان الله لا يامر بالفحشاء) والمعنى ان هذه الافعال التي كان أهل الجاهلية يفعلونها هي في نفسها قبيحة منكفرة فكيف يامر الله تعالى بها والله لا يامر بالفحشاء بل يامر بما فيه مصالح العباد ثم قال تعالى ردا عليهم (أتقولون على الله مالا تعلمون) يعنى أنكم ما سمعتم كلام الله تعالى ابتداء من غير واسطة ولا أخذتموه عن الانبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين عبادته في تبليغ أوامره ونواهيه وأحكامه لانكم تنكرون نبوة الانبياء فكيف تقولون على الله مالا تعلمون ﴿قوله تعالى (قل أمر ربى بالقسط) أى قل بحمد هؤلاء الذين يقولون على الله مالا يعلمون أمر ربى بالقسط يعنى بالعدل وهذا قول مجاهد والسدى وقال ابن عباس رضى الله عنهما بلاله الا الله فالامر بالقسط في هذه الآية يشتمل على معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وأفعاله وانه واحد لا شريك له (واقموا وجوهكم عند كل مسجد) فان قلت قل أمر ربى بالقسط خبر وقوله واقموا وجوهكم عند كل مسجد أمر وعطف الامر على الخبر لا يجوز فقام معناه قلت فيه اضمار وحذف تقديره قل أمر ربى بالقسط وقال واقموا وجوهكم عند كل مسجد خفف قال لدلالة الكلام عليه ومعنى الآية في قول مجاهد والسدى وجوهكم عند كل مسجد خفف قال لدلالة الكلام عليه ومعنى الآية في قول مجاهد والسدى عند المسجد فصولا وفيه ولا يقول أحدكم أصلى في مسجدى أوفى مسجد قومى وقيل معناه اجعلوا سجودكم لله خاصاً (وادعوه مخلصين له الدين) أى واعبدوه مخلصين للعبادة والطاعة والدعاء لله عز وجل لا لغيره (كبدأكم تعبدون) قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله عز وجل بدأ بني آدم مؤمناً وكافراً كما قال تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كبدأ خلقهم مؤمناً وكافراً وحجة هذا القول قوله في سياق الآية فى يقاهاذى وفر يقاهاذى عليهم الضلالة فانه كالنفس له وبدل على صحة ذلك ما روى عن جابر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على امامات عليه أخرجه مسلم زاد البغوى في روايته المؤمن على ايمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتدأ الله خلقه على الشقاوة صار الى ما ابتدئ عليه خلقه من ان يعمل أهل السعادة كان ابلس كان يعمل أهل السعادة ثم صار الى الشقاوة ومن ابتدئ خلقه على السعادة صار اليها وان عمل بأعمال أهل

تعدون) كما أنشأكم

وقيل وإباس أهل اتقوى من

(17)

عليكم لباس التقوى (ذلك)  
 من آيات الله) الدالة على  
 فضله ورحمته على عباده  
 يعني ازال الالباس (الاهلهم  
 يذكرون) فيعرفوا عظيم  
 النعمة في هذه الاشياء  
 واردة على سبيل الاستطراد  
 عقيب ذكر بدو السوات  
 وخفف الورق عليها  
 اظهارا لامنة فيما خاق من  
 اللباس ولما في العرى من  
 الفضيحة واسمارا بان  
 التستر من التقوى (يا بني آدم  
 لا يفتنكم الشيطان كما  
 اخرج ابو يكم من الجنة)  
 لا ينجذ عنكم ولا يضلكن  
 بان لا ندخلوا الجنة كافتن  
 ابو يكم بان اخرجهما  
 منها (ينزع عنهما لباسهما)  
 حال أى اخرجهما بازعا  
 لابسهما بان كان سببا في ان  
 نزع عنهما والهي في  
 الظاهر للشيطان وفي المعنى  
 ابني آدم أى لا تتبعوا  
 الشيطان فيفتنكم  
 (ابريهما سواتهما)  
 عورتهما (انه) الضمير  
 للشأن والحديث (يراكم  
 هو) تعليل للهي وتحذير  
 من فتنه بابه بمنزلة العدو  
 المداحج بكميد من حيث  
 لا تشعرون (وقيله)

وفرنه أو جنوده من الشياطين وهو عطف على الصير في براكم أو كدهو ولم يعطف عليه  
 لان معمول الفعل هو المستكن دون هذا البارز وإنما يعطف على ما هو معمول الفعل (من حيث لا نرؤهم) قال ذالنون ان كان هو يراك  
 من حيث لا نراه فاستعن بن يراه من حيث لا يراه وهو الله الكرهم الستار الرجيم الغفار

وهي حسنات بالنسبة الى غيرهم كاقيل حسنات الابراسيات انقر بين ايهم و منها بالنسبة الى  
أحوالهم كلسيات وهي حسنات لغيرهم وقد تقدم في سورة البقرة ان كل آدم من الشجرة هل كان قبل  
النبوأ و بعدها والخلاف فيه فأنني عن الاعادة والله أعلم **﴿﴾** قوله تعالى (قال اهبطوا) قال الامام غفر الدين  
الرازي رحمه الله الذي تقدم ذكره هو آدم وحواء وابليس فقوله اهبطوا يجب أن يتناول هؤلاء الثلاثة  
وقال الطبري قال الله تعالى لآدم وحواء وابليس والحية اهبطوا يعني من السماء الى الارض قال السدي  
رحمه الله قوله تعالى اهبطوا يعني الى الارض آدم وحواء وابليس والحية (بعضكم لبعض عدو) يعني ان  
العداوة ثابتة بين آدم وابليس والحية وذرية كل واحد من آدم وابليس (واسكن في الارض مستقر) يعني  
موضع قرار يستقرون فيه وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم في قوله تعالى ولكم في الارض مستقر يعني  
القبور (ومتاع الى حين) يعني ولكم فيها متاع تستمتعون به الى انقطاع الدنيا والى انقضاء آجالكم ومعنى  
الآية ان الله عز وجل أخبر آدم وحواء وابليس والحية انه اذا اهبطهم الى الارض فان بعضهم لبعض عدو  
وان لهم في الارض موضع قرار يستقرون فيه الى انقضاء آجالهم ثم يستقرون في قبورهم الى انقطاع الدنيا  
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم في قوله تعالى ومتاع الى حين يعني الى يوم القيامة والى انقطاع الدنيا  
(قال فيها تحيون) يعني قال الله عز وجل لآدم وذرية ابليس وأولاده فيها يحيون يعني في الارض  
يعيشون أيام حياتكم (وفها تموتون) يعني وفي الارض تكون وفاتكم وموضع قبوركم (ومنها تخرجون)  
يعني ومن الارض يخرجكم بكم ويحشركم للحساب يوم القيامة **﴿﴾** قوله عز وجل (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم  
لباسا ابواى سوا آنكم) اعلم ان الله عز وجل لما أمر آدم وحواء باهبطوا الى الارض وجعلها مستقرا لهم  
أنزل عليهم كل ما يحتاجون اليه من مصالح الدين والدنيا فكان مما نزل عليهم اللباس الذي يحتاج اليه  
في الدين والدنيا فاما منفعته في الدين فانه يستر العورة وستره شرط في صحة الصلاة وأمانته في الدنيا فانه  
يمنع الحروب والدفاع من الله عز وجل عبادان أنزل عليهم لباسا ابواى سوا آنهم فقال تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم  
لباسا ابواى سوا آنكم يعني لباسا تسترون به عورتكم فان قلت ماعنى قوله قد أنزلنا عليكم لباسا قلت  
ذكر العلماء فيه وجوها أحدها انه بمعنى خاق أى خلقنا لكم لباسا أو بمعنى زقناكم لباسا الوجه  
الثاني ان الله تعالى أنزل المطر من السماء وهو سبب نبت اللباس فكانه أنزل عليهم الوجه الثالث ان  
جميع ركات الارض تنسب الى السماء والى الانزال كما قال تعالى وأنزلنا الحديد (وريشا) الريش للظائر  
معروف وهو لباسه وزينته كالتياب للانسان فاستعير للانسان لانه لباسه وزينته والمعنى وأنزلنا عليكم  
لباسا ابواى سوا آنكم ولباسا ينسب اليكم لان التزيين غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوا حواوز زينة  
وقال ولكم فيها مجال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال واختلفوا في معنى الريش  
الذكر في الآية فقال ابن عباس رضي الله عنهما ريشا يعني مالا هو قول مجاهد والضحاك والسدي  
لان المال مما يتزين به ويقال تريض الرجل اذا تولى وقال ابن زيد الريش الجمال وهو يرجع الى الزينة  
أيضا وقيل ان الريش في كلام العرب الالثام وما ظهر من الثياب والمتاع مما لبس أو يفرش والريش أيضا  
المتاع والاموال عندهم ورماس استعماله في الثياب والكسوة دون سائر المال يقال انه حسن الريش أى  
لحسن الثياب وقيل الريش والرياش يستعمل أيضا في الخشب ورفاهية العيش (ولباس التقوى) اختلف  
العلماء في معناه فهم من جملة على نفس الملبوس وحقيقته ومنهم من جملة على الجازا ما من جملة على نفس  
الملبوس فاختلفوا أيضا في معناه فقال ابن الانباري لباس التقوى هو اللباس الاول وانما اعاده اخبار ان  
ستر العورة من التقوى وذلك خير وقيل انما أعاده لاجل ان يخبر عنه بأنه خير لان العرب في الجاهلية كانوا  
يتعدون بالتعري وخلع الثياب في الطواف بالبيت فاخبر ان ستر العورة في الطواف هو لباس التقوى وذلك

ابليس هبط من قبل  
ويحتمل انه هبط الى السماء  
ثم هبطوا جميعا الى الارض  
(بعضكم لبعض عدو)  
في موضع الحال أى  
متعدين يعاديهما ابليس  
ويعاديانه (ولكم في الارض  
مستقر) استقرار وموضع  
استقرار (ومتاع)  
واتقاع بعيش (الى حين)  
الى انقضاء آجالكم وعن  
ثابت البناني لما أهبط آدم  
عليه السلام وحضرته  
الوفاة وأحاطت به الملائكة  
لجعات حواء تدور حولهم  
وقال لها خي ملائكة ربى  
فأما أصابنى ما أصابنى  
فيك فلما توفي غسـلته  
الملائكة بماء وسدر وترأ  
وحنطته وكفنته وترمن  
التياب وحفر واله قبرا  
ودفنه بمرند ببارض  
الهند وقالوا لبنية هذه  
سنتكم بعده (قال فيها  
تحيون) في الارض (وفها  
تموتون ومنها تخرجون)  
للثواب والعقاب تخرجون  
حزة وعلى (يا بني آدم قد  
أنزلنا عليكم لباسا) جعل  
ما في الارض منزل من السماء  
لان أصله من الماء وهو  
منها (ابواى سوا آنكم)  
يستعروا تكم (وريشا)  
لباس الزينة استعبر من  
ريش الطير لانه لباسه وزينته

أى أنزلنا عليكم لباسا ابواى سوا آنكم ولباسا ينسب اليكم (ولباس التقوى) ولباس الورع الذي بقي العقاب وهو مبتدأ وخبره الجمله وهي

(بدت لهم ما سوا آتاهما)

ظهرت لهم ما عواراهما يعني ظهرت لهم ما عواراهما قال ابن عباس رضي الله عنهما قبل ان ازيدوا أخذتهما العقوبة والعقوبة أن ظهرت وبدت لهم ما سوا آتاهما وبدت عنهما لباسا حتى ابصر كل واحد منهما ما ورى عنه من عورة صاحبه وكان لا يرى ذلك وقال وهب كان لباسهما من النور لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا فأصابا الخطيئة بدت لهم ما سوا آتاهما وقال قتادة كان لباس آدم في الجنة ظفرا كاه فلما وقع في الذنب قشط عنه وبدت سوائه (وطبقا) يعني وأقبل وجعلا (يخصفان عليهم ما من ورق الجنة) يعني انهما لما بدت لهم ما سوا آتاهما جعل لبرقعان ولبزقان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب وقال الزجاج جعلوا ورقة على ورقة ليس ترا سوا آتاهما في الآية دليل على ان كشف العورة من ابن آدم فيبيع الأثرى انهما بإدرا الى سائر العورة لما ترقى عقليهما من فيبيع كشفهاري في ابن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان آدم صلى الله عليه وسلم رجلا يولا كأنه نخلة يحوف كثير شعر الرأس فلما وقع في الخطيئة بدت له سوائه وكان لا يرى اها في الجنة فاطناني قال افرض له شجرة من شجر الجنة خضبتة بشعره فقال لها رأيتني قالت استبرأتك فناداه به يا آدم أمتي تفر قال لا يارب ولكن استحييتك ذكره البغوي بغير سند وأسند الطبري من طريقين موقوفين فوجعا قوله تعالى (وناداهما بهما ألم أنهما كمن تلك الشجرة) يعني ان الله تعالى نادى آدم وحواء وخاطبهما فقال ألم أنهما كمن تلك الشجرة (وأقل لهما ان الشيطان لهما عدو مبين) يعني ألم علمكما ان الشيطان قد بات عدوا له لهما بترك السجود وحسدا وبقا قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أكل آدم من الشجرة قيل له لم أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها قال حواء امرتني قال فاني أعقبته ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها قال فرئت حواء عند ذلك رنة فقبل لها الرنة عليك وعلى بناتك وقال محمد بن قيس ناداه به يا آدم ألم أكلت منها وقد نهيتك قال أطمعني حواء فقال لحواء ألم أطمعته قالت أمرتني الحية فقال للحية ألم أمرتها قالت أمرني ابليس قال الله تعالى أما أنت يا حواء وكما أدبت الشجرة تدمين كل شهر وأما أنت يا حواء فاقطع رجلك فقتلني على وجهك وسبب دخرك من لقيك وأما أنت يا ابليس فلعن مطرود مدحور يعني عن الرجعة وقيل ناداه به يا آدم أما خلقتك يدي أما منفتحت فيك من روعي أما أعجبت لك ملائكتي أما أسكنتك جنتي في جوارتي قوله عز وجل (قالا ربنا ظنمنا أنفسنا) وهذا خبر من الله عز وجل عن آدم عليه الصلاة والسلام وحواء عليها السلام واعتراهما ما على أنفسهما بالذنب والندم على ذلك والمعنى قال ايا ربنا انفعلنا بانفسنا من الاساءة اليها بما خالف أمرنا وطاعة عدونا وادعوك ما لم يكن لنا ان نطيعه فيه من أكل الشجرة التي نهيتنا عن أكلها (وان لم تغفر لنا) يعني وأنت يا ربنا ان تتركنا عينا ذنبا (وترحنا) يعني وتفضل علينا برحمتك (لتكون من الخاسرين) يعني من الهالكين قال قتادة قال آدم يارب أريت ان تبني اليك واستغفرك قال اذا دخل الجنة وأما ابليس فلم يسأله التوبة وسأله أن ينظر فاعطى كل واحد منهما ما سأل وقال الضحاك في قوله ربنا ظنمنا أنفسنا قال هي الكلمات التي تلقاها آدم عليه الصلاة والسلام من ربه عز وجل

وقد استدل من يرى صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية وأجيب عنه بان درجة الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل مما جعلهم على الخوف منه والاشفاق من المؤاخذة بما لم يؤاخذ به غيرهم وانهم بما عوتوا بآبوس صرحت منهم على سبيل التأويل والسهو فموجب ذلك خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علومهم وسميات بالنسبة الى كمال طاعتهم لأنهم ذنوب كذنوب غيرهم ومعاص كمعاصي غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم وزيارتهم وعمارة بواطنهم بالوحى السارى والذكر القدسي وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله عز وجل ذنوبا

فصل وقد استدل من يرى صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية وأجيب عنه بان درجة الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل مما جعلهم على الخوف منه والاشفاق من المؤاخذة بما لم يؤاخذ به غيرهم وانهم بما عوتوا بآبوس صرحت منهم على سبيل التأويل والسهو فموجب ذلك خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علومهم وسميات بالنسبة الى كمال طاعتهم لأنهم ذنوب كذنوب غيرهم ومعاص كمعاصي غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم وزيارتهم وعمارة بواطنهم بالوحى السارى والذكر القدسي وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله عز وجل ذنوبا

(ليبدى لهم ما وورى عنهم من سواهما) ليكتب لهم ما ستر عنهم ما من عوراتهما وفيه دليل على أن كشف العورة من عظام الأمور وأنه لم يزل مستبحاً للطباع والعقول فان قلت مالوا والمضمومة في وورى لم تقلب (٨٣) همزة كافي أو يصل أصغر واصل

وأصله ووصل فقلت  
الواو همزة كراهة لا جتماع  
واوين قات لان الثانية مبددة  
كاث وارى فكما يجب  
همزها في واعد لم يجب في  
وورى وهذا لان الواو ين  
اذا تحرك كما ظهر فيهما من  
الثقل ما لا يكون فيهما ما  
اذا كانت الثانية ساكنة  
وهذا مدرك بالضرورة  
فالتمزوا البدل في موضع  
الثقل لا في غيره وقرأ  
عبد الله أورى بالقلب  
(وقال منها كما ربكما  
عن هذه الشجرة الآن  
تكونا ملكين) لا كراهة  
ان تكونا ملكين تعلمان  
الخير والشر وتستغنيان  
عن الغداء وقرئ  
ملكين لقوله وملك  
لايبي (أو تكونا من  
الخالدين) من الذين  
لا يموتون وبيد في  
الجنة ساكنين (وقاسمهما)  
وأقسم لهم (اني لهما  
الناسحين) وأخرج قسم  
ابليس على زنة المفاعلة  
لانهما كان منقسم القسم  
ومنها التصديق فكأنهما  
من اثنين (فلاهما)  
فنزلهما الى الاكل من  
الشجرة (بفرور) بما  
غرهما به من القسم

وأقدها لهم ما فان قلت كيف ووس اليهم ما و آدم وحواء في الجنة وابلس قد أخرج منها قلت ذكر الامام  
نفر الدين الرازي في الجواب عن هذا السؤال عن الحسن أنه قال كان بوسوس في الارض الى السماء  
الى الجنة بالقوة التي جعلها الله تعالى وقال أبو مسلم الاصهاني بل كان آدم وابلس في الجنة لان  
هذه الجنة كانت بعض جنات الارض والذي يقوله بعض الناس من أن ابلس دخل في جوف الحية  
فدخلت به الحية الى الجنة فقصه مشهورة ركيكة وقال آخرون ان آدم وحواء بما قرأ بامر باب الجنة وكان  
ابليس واقفا من خارج الجنة على بابها فقرأ أحد ههنا الآخر فخلت الوسوسة هناك فان قلت ان  
آدم عليه الصلاة والسلام قد عرف ما ينوي من ابلس من العداوة فكيف قبل قوله فان قلت يحتمل أن يقل  
ان ابلس اتى آدم مرارا كثيرة ورغبه في أكل هذه الشجرة بطرق كثيرة منها رجاء نيل الخلد ومنها قوله  
وقاسمهما اني لهما ما منى لهما من الناحيتين فلاجل هذه الواظبة والمداومة على هذا التوبة أو كلام ابلس في آدم  
حتى أكل من الشجرة (ليبدى لهم ما وورى عنهم ما من سواتهما) يعني اظهر لهم ما غطي وستر من  
عوراتهما وقوله ما وورى ما خوذ من المواردة وهي الستر يقال وارى به بمعنى سترته والسواة فرج الرجل  
والمرأة سمي بذلك لان ظهوره يسوء الانسان وفي الآية دليل على ان كشف العورة من المنكرات المحرمات  
واللام في قوله ليبدى لهم ما لام العاقبة وذلك لان ابلس لم يقصد بالوسوسة ظهور عوراتهما وانما كان  
حملهما على المعصية فقط فكان عاقبة أمرهما ان بدت عورتهما (وقال) يعني وقال ابلس لآدم وحواء  
(ما نها كابر بكما عن هذه الشجرة) يعني عن الاكل من هذه الشجرة (الآن) تكونا ملكين أو تكونان  
الخالدين) يعني انما نها بكما عن هذه الشجرة لكي لا تكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر أو تكونا  
من الباقيين الذين لا يموتون وانما أطعم ابلس آدم هذه الآية لانه علم ان الملائكة لهم المنزلة والقرىب من  
العرش فاستنير لذلك آدم وأحب أن يعيش مع الملائكة أطول أعمارهم و يكون مع الخالدين الذين  
لا يموتون أبداً فان قلت ظاهر الآية يدل على ان الملك أفضل من الانبياء لان آدم عليه الصلاة والسلام طلب  
أن يكون من الملائكة وهذا يدل على فضله عليه قلت ابلس في ظاهر الآية ما يدل على ذلك لان آدم عليه  
الصلاة والسلام لما طلب أن يكون من الملائكة كان ذلك الطلب قبل أن يتنصر بالنبوة وكانت هذه الواقعة  
قبل نبوة آدم عليه الصلاة والسلام فطلب أن يكون من الملائكة أو من الخالدين وعلى تقدير أن تكون هذه  
الواقعة في زمان النبوة بعد ان شرف بها آدم انما يطلب أن يكون من الملائكة أطول أعمارهم لانهم أفضل  
منه حتى يلتحق بهم في الفضل لانه طلب ان يكون من الملائكة أطول أعمارهم أو من الخالدين الذين  
لا يموتون أبداً وقوله تعالى (وقاسمهما) أي وأقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد (اني  
للكمان الناسحين) قال قتادة حلف لهما بالله تعالى حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال اني خلقت  
قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعتني أرشدكما وقال بعض العلماء من خادعنا بالله خدعنا له (فلاهما بفرور)  
يعني خدعهما بفرور ويقال مازال فلان بدلى فلا تفرور يعني مازال يخدعهم ويكاهم بزخرف من القول  
الباطل قال آخرهم وأصله ان الرجل العطشان يتدلى في البئر يأخذ الماء فلا يجد فيها ماء فوضت التذلية  
موضع الطمع فيما لا فائدة فيه والفرور واطار النصح مع ابطال النفس وهوان ابلس حطهم بامان منزلة  
الطاعة الى حالة المعصية لان التذلي لا يكون الا من علوا الى أسفل ومعنى الآية ان ابلس اعنه الله تعالى غر آدم  
بالحيل الساذبة وكان آدم عليه الصلاة والسلام يظن ان أحد الايحاء بالله كاذبا وابلس أول من حلف  
بالله كاذبا فاما حلف ابلس ظن آدم انه صادق فآغتر به (فلما اذا الشجرة) يعني طعاما من ثمرة الشجرة

بالله وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضي الله عنهما من خدعنا بالله انخدعنا له (فلما اذا الشجرة) وجد اطعمها آخذين في الاكل  
منها وهي السنبلة والكرم

بين يديه والآخرة ذنابه عنه فهي خلفه وقال الحكيم بن عتبة بن أبيديهم يعني من قبل الدنيا فاز بها لهم  
ومن خافهم من قبل الآخرة فابطلهم عنو اوعن إيمانهم يعني من قبل الحق فاصدهم عنه وعن شملهم  
من قبل الباطل فاز به لهم وقال قتادة تأملهم من بين أبيديهم فأخبرهم أنه لا يبع ولا يبت ولا يفت ولا يار ومن خافهم  
من أمر الدنيا فاز بها لهم ودعاهم البهاوعن إيمانهم من قبل حسناتهم فبطلهم عنو اوعن شملهم من قبل  
السبب والمعاصي ودعاهم البهاونك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك فلم يستطع أن يحول  
بينك وبين رحمة الله تعالى وقال مجاهد يا تبهم من بين أبيديهم وعن إيمانهم حيث يبصرون ومن خلفهم وعن  
شملهم حيث لا يبصرون ومعنى هذا من حيث يخطئون ويعلمون أنهم يخطئون ومن حيث لا يبصرون  
أنهم يخطئون ولا يعلمون أنهم يخطئون وقيل من بين أبيديهم يعني فيما بين أيديهم فلا يقدرون فيه  
طاعة ومن خلفهم يعني ماضي من أعمالهم فلا يتوبون عما أسلفوا فيه من معصية وعن إيمانهم يعني من  
قبل الغنى فلا ينفقون ولا يشكرون ومن خلفهم يعني من قبل الفقر فلا يمتنعون فيه من محظور رآه وقال  
شقيق البلخي ما من صباح الاويأني الشيطان من الجهات الأربع من بين يدي ومن خلفي وعن يميني  
وعن شمالي وأمان بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فافراواني اغفر لي نأب وأمن وعمل صالحا  
ثم اهتدى وأمان خلفي فيخوفني من وقوع أولادي في الفسق فافراوأمان دابة في الأرض الاعلى الله  
رزقها وأمان قبل يميني فيأني من الشفاء فافراوأمان العاقبة للآتين وأمان قبل شملهم فيأني من قبل  
الشهوات فافراوأمان وحيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل ان ذكر هذه الجهات الأربع انما أراد بها التأكيد  
والمبالغة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم وأنه لا يقصر في ذلك ومعنى الآية على هذا القول ثم لا ينهم من  
جميع الوجوه الممكنة لجميع الاعتبارات وقوله (ولا تجدأ كثرهم شاكرين) يعني ولا تجدأ كثرهم  
آدم شاكرين لك على نعمك التي أنعمت بها عليهم وقال ابن عباس معناه ولا تجدأ كثرهم موحدين فان  
قلت كيف علم الحديث ابليس ذلك حتى قال ولا تجدأ كثرهم شاكرين قلت قاله ظنا فاصاب ومنه قوله تعالى  
واقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل انه كان عازما على المبالغة في تزوين الشهوات وتحسين القبيح وعلم ميل  
بني آدم الى ذلك فقال هذه المقالة وقيل انه رآه مكتوباً في اللوح المحفوظ فقال هذه المقالة على سبيل  
اليقين والقطع والله أعلم مراده ﴿ قوله عز وجل ﴾ (قال اخرج منها) أي قال الله تعالى لابليس حين طرده  
عن بابه وأبعده عن جنبه وذلك بسبب مخالفته وعصيانته أخرج منها يعني من الجنة فانه لا ينبغي أن يسكن  
فيها العصاة (مدؤما) يعني معيها والذام أشد العيب (مدحورا) يعني مطرودا مبعودا وقال ابن عباس  
صغيرا محقوتا وقال قتادة لعينة مقبوتا وقال السكبي ما هو مقصيان الجنة ومن كل خير (ان تبعل منهم) يعني  
من بني آدم (الأملا ن جهنم منكم أجمعين) للاملام القسم أقسم الله تعالى ان من تبعل ابليس من بني آدم  
وأطاعه منهم ان يملأ جهنم منه ومن كفر من بني آدم وابليس وذريته ومن تبعه منهم ﴿ قوله تعالى ﴾ (ويا آدم اسكن  
أنت وزوجك الجنة) أي وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وذلك بعد ان أهبط  
منها ابليس وأخرجهم طرده من الجنة (فكلام من حيث شئنا) يعني فكلام من غمار الجنة من أي مكان  
شئنا فان قلت قال في سورة البقرة كلا بالواو وقال هنا كلا بالفاء فالفرق قلت قال الامام غفر الدين  
الرازي ان الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فاللهوهم من الماء نوع داخل تحت  
الفهم من الواو ولما فاء بين النوع والجنس في سورة البقرة ذكر الجنس وهذا ذكر النوع (ولا تنقربا  
هذه الشجرة فتنكونا من الظالمين) تقدم في سورة البقرة الكلام على تفسير هذه الآية مستوفى  
﴿ قوله تعالى ﴾ (فوسوس لهم الشيطان) يعني فوسوس اليها ما الوسوسة حديث بلقيس الشيطان في قلب  
الانسان يقال وسوس اذا تكلم كلاما مخفيا مكررا وأصله من صوت الخيل ومعنى وسوس لها فعمل الوسوسة

(ولا تجدأ كثرهم شاكرين) مؤمنين قاله  
ظنا فاصاب لقوله ولقد  
صدق عليهم ابليس ظنه  
أوسعه من الملائكة  
ماخبار الله تعالى ايها  
(قال اخرج منها) من  
الجنة أو من السماء  
(مدؤما) معيها من ذم  
اذامه والذام والتم العيب  
(مدحورا) مطرودا مبعودا  
من رحمة الله واللام في (ان)  
تبعل منهم) موطنه للقسمة  
وجوابه (الأملا ن جهنم)  
وهو ساد مسد جواب  
الشرط (منكم) منك  
ومنهم فقلب ضمير الخطاب  
(أجمعين ويا آدم) وقلنا  
يا آدم بعد اخراج ابليس  
من الجنة (اسكن أنت  
وزوجك الجنة) اتخذها  
مسكنا (فكلام من حيث  
شئنا) ولا تقربا هذه  
الشجرة فتنكونا فتنصرا  
(من الظالمين فوسوس  
لهم الشيطان) وسوس  
اذا تكلم كلاما مخفيا مكرره  
وهو غير متد ورجل  
موسوس بكسر الواو ولا  
يقال موسوس بالفتح  
ولكن موسوس له  
وموسوس اليه وهو الذي  
يلقي اليه الوسوسة ومعنى  
وسوس له فعل الوسوسة  
لاجله وسوس اليه  
ألقاها اليه



من الصاغرين) من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أوليائه يذمك كل انسان ويملك كل انسان استكبرك وبه علم ان الصغار لازم للاستكبار (قال أنظري الى يوم يبعثون) أهماني الى يوم البعث وهو وقت النفخة الأخيرة (قال انك من المنظرين) الى النفخة الاولى وانما أجيب ذلك لما فيه من الابتلاء وفيه تقرب لقلوب الاحباب أي هذا يرى من يثبتني فكيف من يحثني وانما جسر على السؤال مع وجود الزوال منه في الحال عامه تحمل ذي الجلال (قال فما غروني) أضلتي (٨١)

والباء تتعلق بفعل القسم المحذوف تقديره فبسبب اغوائك أقدم أو تكون الباء للقسم أي فاقسم باغوائك (لا قد من لهم صراطك المستقيم) لا تعرض لهم على طريق الاسلام مقصدا للرد متعرضا لاصد كما يتعرض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة واتصابه على الظرف كقولك ضرب زيد الظاهر أي على الظاهر وعن طائوس انه كان في المسجد الحرام خمار جل

من الصاغرين) يعني انك من الازل الهانين والصغار الذلل والهانة قال الزجاج استكبر عبد الله ابليس فابتلاه الله تعالى بالصغار والله وقيل كان له ملك الارض فاخرجه الله تعالى منها الى جزائر البحر الاخضر وعرشه عليه فلا يدخل الارض الا خافكا كهيئة السارق مثل شيخ عليه اطمار يرتفع فيه احتج يخرج منها (قال) يعني قال ابليس عند ذلك (انظري) يعني أخرى وأهماني فلاتنتي (اليوم يبعثون) يعني من قبورهم وهي النفخة الآخرة عند قيام الساعة وهذا من جهالة الخليل ابليس لعنه الله لانه سأل ربه لاهمال وقد علم انه لا سبيل لاحد من خاتى الله تعالى الى البقاء في الدنيا ولا كنهه كره ان يكون ذاتا لما لو فطاب البقاء والخلود فلم يجب الى ما سأله (قال) الله تعالى له (انك من المنظرين) يعني من المؤخرين المهالين وقد بين الله تعالى مدة النظرة والمهالة في سورة الحجر فقال تعالى انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك هو النفخة الاولى حين موت الخلق كلهم فان قلت ما وجه قوله انك من المنظرين وليس احدا ينظره وقلت معناه ان الذين تقوم عليهم الساعة منظرين الى ذلك الوقت باآجالهم فقوم منهم (قال) يعني ابليس (فما غروني) يعني فباي شيء أضللتني فعلى هذا تكون المستفهامية وتم الكلام عند قوله اغروني ثم ابتداء فقال (لا قد من لهم صراطك المستقيم) وقيل بياء القسم تقديره فباغوائك اياي وقيل معناه فباوعدت في فاني التي الذي كان سبب هبوطي الى الارض من السماء وأضلتي عن الهدى لا قد من لهم صراطك المستقيم يعني لا جالس على طريق القويم وهو طريق الاسلام وقيل المراد بالصراط المستقيم الطريق الذي يساكنه الى الجنة وذلك بان أسوس اليهم وازن لهم الباطل وما يكسبهم المآثم وقيل المراد بالصراط المستقيم هنا طريق مكة يعني بمنعهم من الهجرة وقيل المراد به الحجة والمقول الاول أولى لانه يعم الجميع ومعنى الآية لاردن بني آدم عن عبادتك وطاعتك ولا غرونيهم ولا ضللتهم كما أضلتنني عن سيرة من أنى الفاكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان فعلا لا ين آدم باطرقه فعلا في طريق الاسلام فقال تسلم وتدرين آياتك وآباء آياتك فعصاه وأسلم وقعد به بطريق الهجرة فقال تهاجر وتذر أرضك وسماءك وانما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه فهاجر وقعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد فهو وجهه النفس والمال فتقاتل فتقتل فتسكن المرأة وقسم المال فعصاه فجاهد قال في فعل ذلك كان حقا على الله ان يدخله الجنة وان غرق كان حقا على الله ان يدخله الجنة أو وقعد دابته كان حقا على الله ان يدخله الجنة أخرجه النسائي وقوله تعالى اخبرنا عن ابليس (ثم لايتنهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم) قال ابن عباس من بين أيديهم يعني من قبل الآخرة فاشككهم فيها ومن خلفهم يعني من قبل الدنيا فارغبهم فيها وعن أيمنهم وشبهه عليهم أمر دينهم وعن شمائلهم أشهى لهم المعاصي وانما جعل الآخرة من بين أيديهم في هذا القول لانهم متقلبون البهاو صارون اليها فعلى هذا الاعتبار فالدين خلفهم لانهم يتخلفونها وراء ظهورهم وقال ابن عباس في رواية عنه من بين أيديهم من قبل دنياهم يعني أزنها في قلوبهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فاقول لا بعت ولا نشروا لجنه ولا ناروعن أيمنهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم وانما جعل الدين من بين أيديهم في هذا القول لان الانسان يسعى فيها ويشاهد هافهي حاضرة

(١١ - خازن - ثاني) المدد في الاغاب وعن شقيق ما من صباح الا قدلى الشيطان على أربعة مرادم من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقروا في لغافلنا تاب وآمن وعمل صالحا ومن خافي في الضيعة على تخلفي فاقروا ومن دابة في الارض الا اني اتركهم زقوا وعن في أيديهم من قبل النساء فاقروا والواقعة للثقيف وعن شمائل في أيديهم من قبل الشهوات فاقروا وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم لمكان الرحمة والسجدة وقال في الاولين من لا بداء الغاية وفي الاخيرين من لان عن تدل على الانحراف

أخطأ الخبيث بل الطين  
أفضل لرزاقته ووقاره ومنه  
الحلم والحياة والصبر وذلك  
دعاه الى التوبة والاستغفار  
وفي النار الطيش والحدة  
والترفع وذلك دعاه الى  
الاستكبار والتراب  
عدو الممالك والنار عدا  
الممالك والنار مظنة الحياة  
والافناء والتراب مثنه  
الامامة والانماء والطين  
يطغى النار وبقاها والنار  
لا تلتفه وهذه فضائل غفل  
عنها ابليس حتى زل بفاسد  
من المقاييس وقولنا في  
القياس أول من قاس  
ابليس قياس على ان  
القياس عند مبثته مردود  
عند وجود النص وقياس  
ابليس عند الامر  
المصوص فكان الجواب  
لما منعك أن تقول معنى  
كذا وانما قال أناخير منه لانه  
لما استأنف قصة وأخبر  
فيها عن نفسه بالفضل على  
آدم عليه السلام وقوله فضل  
عليه فعمل منها الجواب كانه  
قال معنى من السجود  
فضلي عليه وزيادة عليه وهي  
انكار الامر واستبعاد أن  
يكون مثله مأمورا  
بالسجود لمثله اذ سجد  
الفاضل للمفضول خارج  
عن الصواب (قال فاهبط  
منها) من الجنة ومن السماء

عز وجل لا بليس أي شيء منعك من السجود لآدم أذ أمرتك به فعلى هذا التأويل تكون كلمة لا في قوله أن  
لا تسجد صلة زائدة وانما دخالت التوكيد والتقدير مامنة أنك أن تسجد فهو وكقوله لا أقسم أي أقسم وقوله  
وسام على قرية أهلكتها أنهم لا يرجعون أي يرجعون وقوله لا يعلم أهل الكتاب أي يعلم أهل الكتاب  
وهذا أقول الكسائي والفراء والزجاج والاكثرين وقيل أن كلمة لا هنا على أصح مقبلة وليست بزيادة  
لانه لا يجوز أن يقال إن كلمة من كتاب الله زائدة أولا معنى لها على هذا القول حكى الواحدى عن أحمد بن  
محيي النافى هذه الآية ليست زائدة ولا توكيد الا ان معنى قوله مامنة أنك أن لا تسجد من قال لك لا تسجد  
فحمل نظم الكلام على معناه وهذا القول حكاه أبو بكر عن الفراء وقال الطبري الصواب في ذلك أن يقال ان  
في الكلام محذوف فاقدير مامنة منك من السجود فاحوجك أن لا تسجد فترك ذكر أحوجك استغناء عنه  
بمعرفة السامعين به ونقل الامام غفر الدين الرازى عن القاضي قال ذكر الله تعالى المنع وأراد الداعي فكأنه  
قال مادعاك الى أن لا تسجد لان مخالفة الله تعالى عظمة تنجس منها ويسئل عن الداعي اليها فارقت لماله  
عن المانع له من السجود وهو أعلم به قلت انما سأل للتوبيخ والتفريع له ولاظهار معاندته وكفره وافتخاره  
باصله وحده لآدم عليه الصلاة والسلام ولذلك لم يثبت الله عليه (قال) يعنى قال ابليس بحمد الله تعالى عما  
سأله عنه (أناخير منه) فان قلت قوله أناخير منه ليس بحجوب عما سأله عنه في قوله تعالى مامنة أنك أن لا تسجد  
فلم يجب بمامنة من السجود فانه كان ينبغي له أن يقول معنى كذا وكذا لو كانه قال أناخير منه قلت استأنف  
قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وفيه ادليل على موضع الجواب وهو قوله (خلقتي من نار وخلقته  
من طين) والنار خير من الطين وأثور وانما قال أناخير منه لما رأى انما أئد منه قوة وأفضل منه أصلا وذلك  
امضل الجنس الذى خاق منه وهو النار على الطين الذى خاق منه آدم عليه الصلاة والسلام فحمل عدو الله  
ابليس وجه الحق وأخطأ طريق الصواب لان من المعلوم ان من جوهر النار الخفة والطيش والارتفاع  
والاضطراب وهذا الذى حل الحديث ابليس مع الشقاء لذى سبق له من الله تعالى في الكتاب السابق على  
الاستكبار على السجود لآدم عليه الصلاة والسلام والاستخفاف بامر به وفارده ذلك العتاب والهلاك ومن  
المعلوم أن في جوهر الطين الرزاة والاناة والصبر والحلم والحياة والتثبت وهذا كان الداعي لآدم عليه الصلاة  
والسلام مع السعادة السابقة التى سبقت له من الله تعالى في الكتاب السابق الى التوبة من خطيئته ومثله  
ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن وابن سيرين يولان أول من قاس ابليس فاختأ وقال ابن سيرين  
أيضا ما عادت الشمس والقمر ابلاقياس أصل هذا القياس الذى قاسه ابليس لعنه الله تعالى لما رأى ان  
النار أفضل من الطين وأقوى فقال أناخير منه خلقتي من نار وخلقته من طين ولم يدرك الفضل بان جعله  
الله فاضلا لان الافاضلة والحقير به لا تحصل بسبب فضيلة الاصل والجوهر وأيضا الفضل لانه لا يحصل بسبب  
الطاعة وقبول الامر فالؤمن الحبشى خير من الكافر القرشى فالله تعالى خص صفيه آدم عليه الصلاة والسلام  
بأشياء لم يخص بها غيره وهوانه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وسجد له ملائكة وعلمه أسماء كل شيء وأورثه  
الاجتناب والتوبة وبالله اية الى غير ذلك مما خص الله تعالى به آدم عليه الصلاة والسلام لانه اية التى سبقت له  
في القدم وأورث ابليس كبره للامعة والطر للاشاودة التى سبقت له في القدم (وقوله تعالى) (قال فاهبط منها)  
يعنى قال الله تعالى لا بليس لعنه الله اهبط من الجنة وقيل من السماء الى الارض والهبوط الانزال والاحتمار  
من فوق على سبيل القهر والهوان والاستخفاف (فما يكون لك أن تكسبر فيها) يعنى فليس لك أن تكسبر في  
الجنة عن أمرى وطاعتي لانه لا ينبغي أن يسكن في الجنة أو في السماء متكبيرا مخالفا لامر الله عز وجل فاما  
غير الجنة والسماء فقد يسكنها المستكبر عن طاعة الله تعالى وهم الكفار الساكنون في الارض (فاخرجك انك

هم المفلحون) يعني هم الناجون غدا والفائزون بثواب الله وجزائه (ومن خفت موازينه) يعني موازين  
أعمالهم وهم الكفار بدليل قوله تعالى (فإنك الذين خسروا أنفسهم) يعني غبنوا أنفسهم حظوظهم من  
جزايات نواب الله تعالى وكرامته (عما كانوا ياتنا ظالمون) يعني سبب ذلك الخسران أنهم كانوا يمجحجج الله  
وأدلة توحيدهم ويحسدون ولا يقرون بهاروى عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه حين حضره الموت  
قال في وصيته لعمر بن الخطاب أنه ثقلت موازين من ثقلت موازين به يوم القيامة ياتبعهم الحق في الدنيا ونقله  
عابهم وحق إيزان بوضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلا وإنما خفت موازين من خفت موازين به يوم القيامة  
باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق إيزان بوضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفا <sup>١</sup> قوله عز وجل  
(واقعدمكنا في الأرض) يعني ولقد مكناكم في أيها الناس في الأرض والمراد من التمكن التملك وقيل معناه  
جعلنا لكم فيها ما كانوا قفرًا أو قدرناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة يعني به جميع  
وجوه المنافع التي تحصل بها الارزاق وتعيشون بها أيام حياتكم وهي على قسمين أحدهما ما أنعم الله تعالى به  
على عباده من الارزاع والثمار وأنواع الماء وكل المشارب والثاني ما يتحصل من المكاسب والارباح في أنواع  
التجارات والصنائع وكلا القسمين في الحقيقة إنما يحصل بفضل الله وتعامه وأقداره وتمكينه لعباده من ذلك  
فثبت بذلك أن جميع ما يعيش العالم أنعام من الله تعالى على عباده وكثرة الانعام توجب الطاعة للمعطي بها  
والشكر له عليها ثم ينعم الله تعالى به مع هذا الفضل على عباده وتعامه عليهم لا يقومون بشكره كما ينبغي فقال  
تعالى (قليلًا ما تشكرون) يعني على ما صنعت اليكم وأنعمت به عليكم وفيه دليل على أنهم قد يشكرون لأن  
الإنسان قديذ كرم الله في شكره عليها فلا يخلف في بعض الارقات من الشكر على النعم وحقيقة الشكر تصور  
النعمة وإظهارها وبضاده الكفر وهو نسيان النعمة واستهراق <sup>٢</sup> قوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) يعني  
ولقد خلقناكم ثم صورناكم أي خلقناكم ثم صورناكم أي خلقناكم ثم صورناكم أي خلقناكم ثم صورناكم  
النساء صورًا مخلوقة فإن قلت على هذا التفسير يكون قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم يقتضي أن الأمر  
بالسجود لآدم كان وقع بعد خلق الخاطبين بهذا الخطاب وتصورهم لأن كلمة ثم التراخي ومعلوم أن الأمر  
ليس كذلك بل كان السجود لآدم عليه الصلاة والسلام قبل خلق ذرئته فقلت يحتمل أن يكون المعنى ولقد  
خلقناكم ثم صورناكم أي خلقناكم ثم صورناكم أي خلقناكم ثم صورناكم أي خلقناكم ثم صورناكم  
ترتيب خبر على خبر ولا تنفيذ ترتيب الخبر به على الخبر وقيل في معنى الآية ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم  
يعني ذرئته وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني في ظهوره وعلى  
هذين القواين أعاد كرامًا بلفظ الجمع على العظمة وأولاه بالبرق فكان في خلقه خاتمي من خرج من صلبه  
وقيل إن الخاتمي والتصور يرجع إلى آدم عليه الصلاة والسلام وحده والمعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم  
بخلقهم ثم صورناكم يعني آدم صورة من طين (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) يعني بعد إكمال خلقه وقد تقدم  
في صورة البقرة السلام في معنى هذا السجود وأنه كان على سبيل النجدة والتعظيم لآدم لاحقيقة السجود  
وقيل بل كان حقيقة السجود وإن السجود له هو الله تعالى وإعما كان آدم كالتقبة للساجدين وقيل بل كان  
السجود له وكان ذلك باصر الله تعالى وهل كان هذا الأمر بالسجود لجميع الملائكة أو لبعضهم فيه خلاف  
تقدم ذكره في سورة البقرة وقوله تعالى (فسجدوا) يعني الملائكة (الابليس) يعني فسجد الملائكة  
لآدم الابليس (لم يكن من الساجدين) يعني له وظاهر الآية يدل على أن ابليس كان من الملائكة لأن الله  
تعالى استثناه منهم وكان الحسن يقول أن ابليس لم يكن من الملائكة لأنه خاق من نار والملائكة من نور وإنما  
استثناه من الملائكة لأنه كان مأمورًا بالسجود لآدم مع الملائكة فلما لم يسجد أخبر الله تعالى عنه أنه لم يكن  
من الساجدين لآدم فلهاذا استثناه منهم <sup>٣</sup> قوله تعالى (قال ما منعك أن تسجد إذ أمرتك) يعني قال الله

على أن الأمر لا وجوب والسؤال عن المنع من السجود مع علمه بالمتويع ولاظهار معانيدته وكفره وبكبره وافتخاره بأصله

وعن الرسل فيما يقولون عن الامم فيها ابوابان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى فانسان الذين ارسل اليهم وانسلن المرسلين وبين قوله فلنقص عليهم علم وما كنا غائبين واذا كان علما فائدة هذا السؤال قلت فائدة سؤال الامم والرسول مع عامه سبحانه وتعالى بجميع الامم ابواب التفرع والتوابع للكفار لانهم اذا اقرروا على انفسهم كان ابلغ في المقصود فاما سؤال الاسترشاد والاستنابة فهو منفي عن الله عز وجل لانه عالم بجميع الاشياء قبل كونها وفي حال كونها وبعد كونها فهو العالم بالكلية والجزئية وعلمه بظاهر الاشياء كعلمه بباطنها قوله تعالى (والوزن يومئذ الحق) يعني والوزن يوم سؤال الامم والرسول وهو يوم القيامة العدل وقال مجاهد المراد بالوزن هنا القضاء ومعنى الحق العدل وذهب جمهور المفسرين الى ان المراد بالوزن وزن الاعمال بالميزان وذلك ان الله عز وجل نصب ميزان له لسان وكفتين لكل كفة قدر ما بين المشرق والمغرب قال ابن الجوزي جاء في الحديث ان داود عليه الصلاة والسلام سأل ربّه ان يره الميزان فاراه اياه فقال الهى من يقدر ان يملأ كفتيه حسنات فقال يا داود اذا رضيت عن عبدى ملائمتها بكرة وقال حذيفة جبريل صاحب الميزان يوم القيامة فيقول له رب عز وجل زن بينهم ورد من بعضهم على بعض وليس ثم ذهب ولا فضة فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة فان لم يكن له حسنة اخذ من سيئات المظلوم فيرد على سيئات الظالم فيرجع الرجل وعليه مثل الجبل فان قلت اليس الله عز وجل يعلم مقادير اعمال العباد فما الحكمة في وزنها قلت فيه حكم منها اظهار العدل وان الله عز وجل لا يظلم عباده ومنها امتحان الخلق بالايمان بذلك في الدنيا واقامة الحجج عليهم في العقبى ومنها تعريف العباد ما لهم من خير وشر وحسنة ورسنة ومنها اظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره انه تعالى اثبت اعمال العباد في اللوح المحفوظ ثم في صحائف الحافظة الموكنين بيني آدم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى ثم اختلف العلماء في كيفية الوزن فقال بعضهم وزن صحائف الاعمال المكتوبة فيها الحسنات والسيئات وبديل على ذلك حديث البطاقة وهو ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل سيخلص رجلا من امة على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول له انك من هذا شيئا اظلمت لك كتبتي الحافظون فيقول لا يارب فيقول افلك عندي يقول لا يارب فيقول الله تبارك وتعالى بلى انك عندنا نحسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج الله له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانه لا ظلم عليك اليوم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا ينقل مع اسم الله شيء اخرجه الترمذي وأحمد بن حنبل وقال ابن عباس يؤتى بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان فعلى قول ابن عباس ان الاعمال تتصور صوراً وتوضع تلك الصور في الميزان ويخاف الله تعالى في تلك الصور ثقلا وخفة ونقل البغوي عن بعضهم انها توزن الاشخاص واستدل لذلك بما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انه يأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله تعالى جناح بعوضة اخرجه في الصحيحين وهذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن الاشخاص في الميزان لان المراد بقوله لا يزن عند الله جناح بعوضة مقداره وسرته لا وزن جسده ولجه والصحيح قول من قال ان صحائف الاعمال توزن وانفس الاعمال تتجسد وتوزن والله أعلم بحقيقة ذلك وقوله تعالى (فن ثقلت موازينه) جمع ميزان وأورد على انه الميزان واحد فواجه الجمع وأجيب عنه بان العرب قد توفع لفظ الجمع على الواحد وقيل انه يتصب لكل عبد ميزان وقيل انما جمل لان الميزان يشتمل على السكفتين والشاهدين واللسان ولا يتم الوزن الا باجماع ذلك كله وقيل هو جمع موزون يعني من رجحت اعماله بالحسنة الموزونة التي لها وزن وقدر (فالواحدك

(والوزن) أى وزن الاعمال  
والتميز بين راجحها  
وخفيها وهو مبتدأ وخبره  
(يومئذ) أى يوم يسأل الله  
الامم ورسولهم غدت الجملة  
وعروض عنها التنوين  
(الحق) أى العدل صفته ثم  
قيل توزن صحف الاعمال  
بميزان له لسان وكفتان  
اظهار للنصفة وقطعاً للمعذرة  
وقيل هو عبارة عن القضاء  
السوى والحكم العادل  
والله أعلم بكيفيته (فن)  
ثقلت موازينه) جمع  
ميزان أو موزون أى فن  
رجحت اعماله الموزونة  
التي لها وزن وقدر وهي  
الحسنات أو ما توزن به  
حسنتاتهم (فالواحدك

الاذن والاهواء والبعد (فليلا ما تذكرون) حيث تتركون دين الله وتنبعون غيره وفليلا نصب تذكرون أي تذكرون تذكروا قريبا وما من يد لتوكيد الغلبة تذكروا شاميا (وكم) مبتدأ (من قرئة) تبيين والخبر (أهلكنها) أي أوردنا هلاكها كقوله إذا قمتم إلى الصلاة (جاءها) (باسنا) عذابنا (بيانا) مصدروا وقع موقع الحال بمعنى (٧٧) باتنين يقال بات يات احسنا (أوهم

قائلون) حال معطوفة على بيانا كأنه قيل فيهم باسنا باتنين أو قائلين وإنما قيل لهم قائلون بل لا وولا يقال جاءني ز بهو فارس بغير واولانه لما عطف على حال قبلها حذفت الواو استتمتقا لاجتماع حرفي عطف لان واول الحال هي واو العطف استعيرت للوصل وخص هذان الوقتان لانهم اوقت الغفلة فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفزع وقوم لوط عليه السلام أهل كوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب عليه السلام وقت القيالة وقبل بيانا لئلا يلاهم تأتون أو تنهارواهم قائلون (فا كان دعواهم) دعاؤهم وتضرعهم (اجزاءهم باسنا) لما جاءهم أوائل العذاب (الان قالوا) انا كنا ظالمين اعترفوا بالظلم على أنفسهم والشرك حين لم يتفهم ذلك ودعواهم اسم كان ون قالوا الخبر ويجوز لعكس (فلنسلن الذين أرسل اليهم) أرسل منسند الى اليهم أي فلنسلن المرسل اليهم وهم الامم عجبوا

والمعنى ولاتولوا من دونه شياطين الانس والجن فيأمرهم بعبادة الاصنام واتباع البدع والاهواء الفاسدة (فليلا ما تذكرون) يعني ما تنتعلون الاقبالا قوله تعالى (وكم من قرية آهلا بها) لما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار والايقان وأمر أمته بانبايع ما نزلهم اليهم حذرهم نقمته وبأسه ان لم يتبعوا ما أمر به فذكر في هذه الآية ما ترك المتابعة والاعراض عن أمرهم من الوعيد فقال تعالى وكم من قرية آهلا كها قبل فيه حذفت تقديره وكم من أهل قرية لان المقصود بالاهلاك أهل القرية لا القرية وقيل ليس فيه حذف لان اهلاك القرية يهلك اهلاها (جاءها باسنا) يعني عذابنا فان قلت بجي الباس وهو العذاب انما يكون قبل اهلاك فكيف قال أهلكنها جاءها باسنا قلت معناه وكم من قرية حكمنا باهلاكها جاءها باسنا وقال الفرء اهلاك والبأس قديقعان معا كقوله قال أعطيتني فاحسنت إلى فلم يكن الاحسان قبل الاعطاء ولا بعده وما وقع معا وقال غيره لا فرق بين قولك أعطيتني فاحسنت إلى أو أحسنت إلى فأعطيتني فيكون أحدهما بدلا من الآخر (بيانا) يعني جاءها عذابنا لئلا قبل أن يصبحوا (أوهم قائلون) من اقبالا ولوحى نوم نصف النهار واستراحة نصف النهار وان لم يكن معناه وم المعنى جاءها باسنا غفلة وهم غير متوقعين لئلا وهم تأتون أو تنهارواهم قائلون وقت الظهيرة وكل ذلك وقت الغفلة ومقصود الآية انه جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقصم أو مارة قد علم على وقت نزول العذاب وفيه وعيد وتخويف للكفار كأنه قيل لهم لا تغتر وبأسباب الامن والراحة فان عذاب الله اذا نزل نزل دفعة واحدة (فا كان دعواهم) يعني فا كان دعاء أهل القرية اني جاءها باسنا والدعوى تكون بمعنى الادعاء بمعنى الدعاء قال سيدويه يقول العرب اللهم أشركني في صالح دعوى المؤمنين ومنه قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك المجر (اذ جاءهم باسنا) يعني عذابنا (الان قالوا) انا كنا ظالمين اعني اهمهم قد روعا لي رد العذاب عنهم وكان حاصل أمرهم الاعتراف بالجناية وذلك حين لا ينفع الاعتراف (فلنسلن الذين أرسل اليهم) يعني نسل الامم الذين أرسل اليهم الرسل ماذا علمتم فاجابهم عنكم به الرسل (ولنسلن المرسلين) يعني ولنسلن الرسل الذين أرسلناهم الى الامم هل بلغتم رسالتنا أو دبت إلى الامم ما أمرتم بتأديته اليهم أم قصرتم في ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الآية يسأل الله تعالى الناس عما أجابوا به المرسلين ويسأل المرسلين عما بلغوا عنه قال بوضع الكتاب يوم القيامة فيتم كلام عما كانوا يعملون وقال السدي يسأل الامم عما عملوا فيما جاءت به الرسل ويسأل الرسل هل بلغوا ما أرسلوا به فان قلت قد أخبر عنهم في الآية الاولى باهم اعترفوا على أنفسهم بالظلم في قوله انا كنا ظالمين فما فائدة هذا السؤال مع اعترافهم على أنفسهم بذلك قلت لما اعترفوا باهم انا كنا ظالمين مقصرين سؤلوا بذلك عن سبب هذا الظلم والتقصير والمقصود من هذا التقرير والتوبيخ للكفار فان قلت فما الفائدة في سؤال الرسل مع العلم بانهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من أرسلوا اليهم من الامم \* قلت اذا كان يوم القيامة أنكر الكفار تبليغ الرسالة من الرسل فقالوا ما جاءنا من شير ولا نذير فكان مسألة الرسل على وجه الاستنهاذ بهم على من أرسلوا اليهم من الامم أنهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من أرسلوا اليهم من الامم فتكون هذه المسئلة كالتقرير والتوبيخ للكفار أيضا لانهم أنكروا تبليغ الرسل فيزداد بذلك شق بهم وهوانهم وعذابهم وقوله تعالى (فلنقص عليهم بعلم) يعني فلنخبرن الرسل ومن أرسلوا اليهم بعلم وبقين عما عملوا في الدنيا (وما كنا غائبين) يعني عنهم وعن أفعالهم

به رسالهم (ولنسلن المرسلين) عما أجابوا به (فنتقص عليهم) على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم (بعلم) عالين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأفعالهم وأفعالهم (وما كنا غائبين) عنهم وعما وجد منهم ومعنى السؤال التوبيخ والتقرير والتقرير براذافهم بالسنتهم وشهد عليهم أنيأؤهم

بالمملوك (ان ربك سر بع العقاب) لمن كفر عنه منه (وانه لعفور رحيم) لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو اقرب رب  
وما امر الساعة الا لكح البصر وهو اقرب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ ثلاث آيات من أول الانعام حين يصبح وكل الله تعالى به سبعين  
ألف مائة يحفظونه وكتبه (٧٦) مثل أعمالهم الى يوم القيامة سورة الاعراف مكية وهي مائة وخمس آيات بصرية

نصيبه الخوف والغريب وهو قوله تعالى (ان ربك سر بع العقاب) يعني لاعدائه باهلا لهم في الدنيا  
وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ما هو اقرب رب وان كان العبد موفيا لحقوق الله تعالى فيها امر به  
انها عنه كان نصيبه التهرب والتسليم وهو قوله تعالى (وانه لعفور) يعني الذنوب  
وليانته وأهل طاعته (رحيم) يعني يجمع خلقه والله أعلم برأيه وأسرار كتابه  
﴿تفسير سورة الاعراف﴾  
نزلت بمكة روى ذلك عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقادة وروى  
عن ابن عباس أيضا انها مكية الا خمس آيات وأهلها واسلمهم عن القرية التي كانت به قال قتادة وقال مقاتل  
ثمان آيات في سورة الاعراف مدنية وأهلها واسلمهم عن القرية التي قاله واذا خذر بك من بني آدم وهي  
مائة وست آيات وثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمس وعشرون كلمة وأربعة عشر ألف حرف وعشرة أحرف  
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (المص) قال ابن عباس معناه أنا الله أفصل وعنه أنا الله أعلم وأفضل وعنه أنا المص قسم  
أقسم الله به وهو اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة المص اسم من أسماء القرآن وقال الحسن هو اسم  
للسورة وقال السدي هو بعض اسم الله تعالى المصور وقال أبو العباس الألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح  
اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق وصور وقيل هي حروف مقطعة استأثر الله  
تعالى بعلمها وهي سر في كتابه العزيز وقيل هي حروف اسمه الأعظم وقيل هي حروف تحتوى معاني دل  
التم بها خلقه على مراده وقد تقدم بسط الكلام على معنى الحروف المقطعة أوائل السور في أول سورة  
البقرة ﴿وقوله تعالى (كتاب أنزل اليك) يعني هذا كتاب أنزل الله اليك يا محمد وهو القرآن (فلا يكن في  
صدرك حرج منه) يعني فلا يظن صدرك بالابلاغ وتناديه ما أرسلت به الى الناس (لتنذر به) يعني أنزل  
اليك الكتاب يا محمد لتنذر به من أمرتك بالنداره (وذكرى للمؤمنين) يعني ولتذكروا تعظ به المؤمنين  
وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم تقديره كتاب أنزله اليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين فلا يكن في  
صدرك حرج منه قال ابن عباس فلا تكن في شك منه لان الشك لا يكون الا من ضيق الصدر وقلة الانباء  
توجبها محصله ﴿قوله تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أي قل يا محمد لقومك اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم  
ما أنزل اليكم من ربكم يعني من القرآن الذي فيه الهدى والنور والبيان قال الحسن يا ابن آدم أمرت بانباء  
كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزل آية الا واجبان تعلم قيم أنزلت وما معناها ونحو هذا  
قال الزجاج أي اتبعوا القرآن وما أنزل به النبي صلى الله عليه وسلم فانه مما أنزل قوله تعالى وما أنا كالمُرسل  
نخذه وما أنا كمن عنه فاتها ومعنى الآية ان الله تعالى لما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار في قوله  
لتنذر به كان معنى الكلام أنذر القوم وقل لم اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم واتركوا ما أنتم عليه من الكفر  
والشرك وقيل معناه لتنذر به وتذكر به المؤمنين فتقول لهم اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم وقيل هو خطاب  
للكفار أي اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والشرك وبدل عليه  
قوله تعالى (ولا تتبعوا من دونه أولياء) يعني ولا تتخذوا الذين يدعونكم الى الكفر والشرك أولياء فتنبهوا

وست كوفي ومدي ﴿بسم الله الرحمن الرحيم  
المص﴾ قال الزجاج المختار  
في تفسيره ما قال ابن عباس  
رضي الله عنهما أنا الله أعلم  
وأفضل (كتاب) خبر  
مبتدأ محذوف أي هو كتاب  
(أنزل اليك) صفته والمراد  
بالكتاب السور (فلا يكن  
في صدرك حرج) شك فيه  
وسمى الشك حرجا لان  
الشك ضيق الصدر حرجه  
كما ان التيقن منشرح  
الصدر منفسحه أي لا شك  
في انه منزل من الله وأخرج  
منه ببليغه لانه كان يخاف  
قومه وتكذيبهم له  
واعراضهم عنه وأدهم فكأن  
يضيق صدره من الذي  
ولا يسطر له فاقنه الله ونهاه  
عن المبالاة بهم والنهي  
متوجه الى الحرج وفيه من  
المبالغة ما فيه الفاء للعطف  
أي هذا الكتاب أنزله  
اليك فلا يكن بعد أنزله  
حرج في صدرك واللام  
في (لتنذر به) متعلق بأنزل  
أي أنزل اليك لا أنذارك به  
أو بالنهي لانه اذا لم يخفهم  
أنذرهم وكذا اذا ايقن انه  
من عند الله شجعه اليقين

على الانذار به لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه (وذكرى للمؤمنين)  
في محل النصب باظهار فعالها أي لتنذر به وتذكر كبريا فالتذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع بالعطف على كتاب أي هو كتاب  
وذكرى للمؤمنين أو بانه خبر مبتدأ محذوف أو الجواب بالعطف على محل لتنذر أي لا أنذار والذكرى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أي  
القرآن والسنة (ولا تتبعوا من دونه) من دون الله (أولياء) أي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيصمواكم على عبادة



(حنيفاً) حال من ابراهيم (وما كان من المشركين) بالله يامعشر قريش (قل ان صلاتي ونسكي) أي عبادتي والتاسك العابد وأذبحي أو تحبني (وحياي ومعاني) وما أتيت به في حياتي وأموت عليه من الايمان والعمل الصالح (٧٥) (لتقرب العالمين) خالصه وتوجهه

يحياي ومعاني بسكون  
الياء الاول وفتح الثاني  
مبدئي وبكسره غيره  
(لا تترك له) في شيء  
ممن ذلك (وبذلك)  
لا خلاص (أمرت وأنا أول  
المسلمين) لان اسلام كل  
نبي متقدم على اسلام أمته  
(قل أغير الله أنبيي ربا)  
جواب عن دعائهم له الى  
عبادة آلهتهم والمهزمة  
للاشكال رأي منكر أن أطلب  
ربا غيره وتقديم المفعول  
للاشعار بأنه أهم (وهو  
رب كل شيء) وكل من دونه  
مر بوب ليس في الوجود  
من له الربوبية غيره (ولا  
تسكب كل نفس الاعاليها)  
جواب عن قولهم اتبعوا  
سبلنا ولنحمل خطاياكم  
(ولا زوروا زورا آخرى)  
أي لا تؤخذ نفس أئمة  
بذنب نفس أخرى (ثم ائلي  
ربكم جمعكم فينبشكم بما  
كنتم فيه تختلفون) من  
الاديان التي فرقتموها  
(وهو الذي جعلكم خلائف  
الارض) لان محمد صلى  
الله عليه وسلم خاتم النبيين  
فأمته قد خالفت سائر الامم  
اولان بعضهم يخلف بعضا  
أو هم خلفاء الله في أرضه  
بملكوتها ويتصرفون  
فيها (ورفع بعضكم فوق

ابراهيم وشتر بعته (حنيفاً) الاصل في الحنيف الميل وهو ميل عن الضلالة الى الاستقامة والعرب تسمى كل  
من اختلف أو اوجع حنيفاً فانيها على أنه على دين ابراهيم عليه السلام (وما كان من المشركين) يعني ابراهيم  
صلى الله عليه وسلم وفيه رد على كفار قريش لانهم يزعمون أنهم على دين ابراهيم فاخبر الله تعالى ان ابراهيم لم  
يكن من المشركين ومن بعد الاصنام (قل ان صلاتي) أي قل يا محمد ان صلاتي (ونسكي) قال مجاهد وسعيد  
ابن جبير والضحاك والسدي أراد بالنسك في هذا الموضع الذبيحة في الحج والعمرة وقيل النسك العبادة  
والتسكع العابد وقيل المناسك أعمال الحج وقيل النسك كل ما يتقرب به الى الله تعالى من صلاة وحج وذبح  
وعبادة ونقل الواحدى عن ابن الاعرابي قال النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسكية وقيل لتعبد ناسك  
لأله خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة الخاصة من الخبز وفي قوله ان صلاتي ونسكي دليل  
على ان جميع العبادات يؤدونها العبد على الاخلاص لله وبوكده هذا قوله لتقرب العالمين لا تترك له وفيه  
دليل على ان جميع العبادات لا تؤدى الا على وجه القيام والكمال لان ما كان لله لا يذني أن يكون الا كاملا  
تامع اخلاص العبادات كلها كان بهذه الصفة من العبادات كان مقبولا (وحياي ومعاني) أي حياتي  
وموتي بخاتي الله وقضاه وقدره أي هو يحييني ويميتني وقيل معناه ان يحياي بالعمل الصالح ومعاني اذا مت  
على الايمان لله وقيل معناه ان طاعتني في حياتي لله وخزائي بعد مماتي من الله وحاصل هذا الكلام ان الله  
أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبين ان صلاته ونسكه وسائر عباداته وحياته وموته كلها واقعة بخاتي الله  
وقضاه وقدره والمراد بقوله (لتقرب العالمين لا تترك له) يعني في العبادة والخلق والقضاء والقدر وسائر  
أفعاله لا يشاركة فيه أحد من خلقه (وبذلك أمرت) يعني قل يا محمد بهذه التوحيد أمرت (وأنا أول  
المسلمين) قال قتادة يعني من هذه الامة وقيل معناه وأنا أول المسلمين لقضاه وقدره ﴿قوله عز وجل﴾ (قل  
أغير الله أنبيي ربا) أي قل يا محمد هؤلاء الكفار من قومك أغير الله أطلب سيدا أو الها (وهو رب كل شيء)  
يعني وهو سيد كل شيء ومالكه لا يشاركة فيه أحد وذلك ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى  
ديننا قال ابن عباس كان الوليد بن المغيرة يقول اتبعوا سبيلي أجل عنكم أوزاركم فقال الله عز وجل رد  
عليه (ولا تسكب كل نفس الاعاليها) يعني ان ثم لحاني عليه لا على غيره (ولا زوروا زورا آخرى) يعني  
لا تؤخذ نفس أئمة بآثم أخرى ولا تحمل نفس حاملة حل أخرى ولا يؤخذ أحد بذنب آخر (ثم ائلي ربكم  
جمعكم) يعني يوم القيامة (فينبشكم بما كنتم فيه تختلفون) يعني في الدين من الاديان والمال ﴿قوله تعالى﴾  
(وهو الذي جعلكم خلائف الارض) يعني والله الذي جعلكم بأمة محمد خلائف في الارض فان الله أهلك  
من كان قبلكم من الامم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم في الارض تخافونهم فيها وتعملون فيها  
بعدهم وذلك لان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وهو آخرهم وأمته آخر الامم (ورفع بعضكم فوق بعض  
درجات) يعني انه تعالى خالف بين أحوال عباداه فجعل بعضهم فوق بعض في الخلق والرزق والشرف والعقل  
والقوة والفضل فجعل منهم الحسن والقبح والغنى والفقر والشريف والوضيع والعالم والجاهل والقوى  
والضعيف وهذا التفاوت بين الخلق في الدرجات ليس لاجل الجزأ والجلل أو الجلل فان الله سبحانه وتعالى  
منزه عن صفات النقص وانما هو لاجل الابتلاء والامتحان ﴿وهو قوله تعالى﴾ (ليبلوكم فيها آثامكم) يعني  
بعمالكم معاملة المبتلى والمتحبر وهو أعلم بأحوال عباداه والمعنى ينبتلي الغنى بفناه والفقر بفقره والشريف  
بشرفه والوضيع بضعفائه والعبد والحر وغيرهم من جميع أصناف خلقه ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب  
والعقاب لان العبد امانة يكون مقصرا فيها كآفة وما امانة يكون موفيا ما أمر به فان كان مقصرا كان

بعض في الشرف والرزق وغير ذلك (درجات) مفعول ثان أو استقدير الى درجات أو هي واقعة موقع المصدر كانه قيل رتبة بعد  
رتبة (ليبلوكم فيها آثامكم) فيما أعطاكم من نعمة الجاه والمال كدف تشكر ون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والغنى بالفقر والمالك

الملة والدين اذ جعلهم من أمته وقوله تجارى بهم الا هو كما تجارى السكب بصاحبه التجارى تفاعل من  
 الجرن وهو الوقوع فى الاهواء الفاسدة والبدع المضلة تشبهها بجرى الفرس والسكب قال ابن مسعود ان  
 أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشرا الأمور محدثاتها وأجابر  
 عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعاً **﴿وقوله تعالى﴾** (لست منهم فى شئ) يعنى فى قتال الكفار فعلى هذا تكون  
 الآية منسوخة بما لقتل وهذا على قول من يقول ان المراد من الآية اليهود والنصارى والكفار ومن قال  
 المراد من الآية أهل الاهواء والبدع من هذه الامة قال معنا لست منهم فى شئ أى أنت منهم بى وهم منك  
 بى **﴿وقوله العرب ان فعلت كذا فليست منك وليست منى﴾** أى لكل واحد منا بى من صاحبه (انما أمرهم الى  
 الله) يعنى فى الجزاء والمكافأة (ثم ينقسم بها كانوا يعلون) يعنى اذ اوردوا القيامة **﴿وقوله تعالى﴾** (من جاء  
 بالحسنة فله عشر أمثالها) يعنى عشر حسنات أمثالها (ومن جاء بالسبئية فلا يجزى الا مثله) يعنى مثله فى  
 مقابله واختلافوا فى هذه الحسنة والسبئية على قولين أحدهما ان الحسنة قول لا اله الا الله والسبئية  
 الشرك بالله وأورد على هذا القول ان كلمة لتوحيد لا مثل لها حتى يجعل جزاء قائلها عشر أمثالها وأجيب  
 عنه بان جزاء الحسنة قدر معلوم عند الله فهو يجازى على قدر ايمان المؤمن بما شاء من الجزاء وانما قال عشر  
 أمثاله للترغيب فى الايمان لا للتحديد وكذلك جزاء السبئية بمثلهما من جنسها والقول الثانى أن اللفظ عام فى  
 كل حسنة يعملها العبد أو سيئة هو هذا أولى لان حبل اللفظ على العموم أولى قال بعضهم التقدير بالهشيرة  
 ليس للتعديد لان الله يضاعف لمن يشاء فى حسناته الى سبع مائة يعطى من يشاء بغير حساب واعطاء الثواب  
 لعامل الحسنة فضل من الله تعالى هذا مذهب أهل السنة وجزاء السبئية بمثلهما عدل منه سبحانه وتعالى وهو  
 قوله تعالى (وهم لا يظلمون) يعنى لا ينقص من ثواب الطائع ولا يزداد على عذاب العاصي (ق) عن أبى هريرة  
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحسن أحدكم اسلامه فليكن حسنة يعملها اتكتب له بعشر أمثالها  
 الى سبع مائة ضعف وكل سبئية يعملها اتكتب له بمثلها حتى يلقى الله تعالى (م) عن أبى ذر رضى الله عنه قال  
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وزيدون من جاء  
 بالسبئية فجزاء سيئة مثلهما أو أغفر ومن تقرب منى شربا تقرب بمنه ذراعاً ومن تقرب منى ذراعاً تقرب بمنه  
 باعاً ومن أتاني بمشى أنتبه هرولة ومن أتاني بقراب الارض خطيئة بعد ان لا يشرك فى شىء أقيته بمثلها مغفرة  
 (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى واذا أراد  
 عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكثبوها بمثلها وان تركها من أجل  
 فاكثبوها له حسنة واذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكثبوها له حسنة فان عملها فاكثبوها له بعشر  
 أمثالها الى سبع مائة لفظ البخارى وفى لفظ مسلم عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك  
 وتعالى واذا أتيت عبدى بان يعمل حسنة فأنا اكتبها له حسنة ما لم يعملها فاذا عملها فأنا اكتبها له بعشر أمثالها  
 واذا أتيت عبدى بان يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها فاذا عملها فأنا اكتبها له بمثلها فقال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فان عملها  
 فاكثبوها له بمثلها وان تركها فاكثبوها له حسنة فانما تركها من جواز اذا التزمى من جاء بالحسنة فله  
 عشر أمثالها **﴿قوله عز وجل﴾** (قل) يعنى قل يا محمد هؤلاء المشركين من قومك (اننى هدى ربى الى صراط  
 مستقيم) يعنى قلى اننى ارشد ربى الى الطريق القويم وهو دين الاسلام الذى ارتضاه الله لعباده  
 المؤمنين (دينافيا) يعنى هدى صراط مستقيم دينافيا وقيل يحتمل أن يكون مجعولاً على المعنى تقديره  
 وعرفنى دينافيا يعنى ديناً مستقيماً لا عوج فيه ولا زيف وقيل قبا بابتا مقوماً بالأمور معاشي ومعادى  
 وقبا هو من قام وهو أبلغ من القائم (ماذا ابراهيم) والملة بالسكسر الدين والشرية يعنى هدى ربى دين

لهما (لست منهم فى شئ) أى  
 من السؤل عنهم وعن  
 نفرهم أو من عقابهم  
 (انما أمرهم الى الله  
 ينقسم بما كانوا يعلون)  
 فيجاز بهم على ذلك (من  
 جاء بالحسنة فله عشر  
 أمثالها) تقديره عشر  
 حسنات أمثالها الا أنه  
 أقيم صفة الجنس المميز  
 مقام الموصوف (ومن جاء  
 بالسبئية فلا يجزى الا مثلهما  
 وهم لا يظلمون) بنقص  
 الثواب وزيادة العقاب  
 (قراننى هدى ربى)  
 ربى أبوعمر ومضى (الى)  
 صراط مستقيم ديناً) نصب  
 على البديل من محل الى  
 صراط مستقيم لان معناه  
 هدى صراطاً بديل قوله  
 ويهدىكم صراطاً مستقيماً  
 (قبا) فيعل من قام كسيد  
 من ساد وهو أبلغ من القائم  
 قبا كوفى وشاى وهو مصدر  
 بمعنى القيام وصف به (ملة)  
 ابراهيم) عطف بيان

إيمانه ولا تقبل نوبة فاسق عند ظهور هذه الآية العظيمة التي تضطرهم إلى الإيمان والتوبة (أو كسبت في إيمانها خيرا) يعني أو عملت قبل ظهور هذه الآية خيرا من عمل صالح وتصدقني قال الضحاك من أدره بعض الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه قبل الله منه العمل الصالح بعد نزول الآية كقبل منه قبل ذلك فإيمان آمن من شرك أو تاب من معصية عند ظهور هذه الآية فلا يقبل منه لأنها حال اضطرار كل أولئك أن يرسل الله عذابا على أمة فآمنوا وصدقوا فآمنوا لا ينفعهم إيمانهم ذلك لما بينهم الأهوال والشدة التي تضطرهم إلى الإيمان والتوبة وقوله (قل انتظروا) يعني ما وعدتم به من مجي الآية ففيه وعيد وتهديد (انتم منتظرون) يعني ما وعدكم بكم من العذاب يوم القيامة أو قبله في الدنيا قال بعض المفسرين وهذا انما ينتظره من تأخر في الوجود من المشركين والمكذابين لمحمد صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الوقت والمراد بهذا أن المشركين انما يهلون قدر مدة الدنيا فإذا ماتوا وظهرت الآيات لم ينفعهم الإيمان وحلت بهم العقوبة اللازمة ببدء أو قبل ان قوله قل انتظروا انتم منتظرون المراد به الكعب عن قتال الكفار فتكفر الآية منسوخة بآية القتال وعلى القول الاول تكون الآية محكمة قوله عز وجل (ان الذين فرقوا) وفي رواية أخرى (فرقوا) (دينهم وكانوا شيعا) يعني أفرقوا بمتفرقة في الضلالة ومعنى فرقوا دينهم انهم لم يجتمعوا على مذهب واحد وكانوا مختلفين فيه فمن قرأ فرقوا دينهم يعني جعلوا دينهم وهو دين ابراهيم الحنيفية السهلة أدنيا ما تختلف كاليهودية والصراية وعبادة الاصنام ونحو ذلك من الأديان المختلفة ومن قرأ فرقوا دينهم قال معناه يهود وذكروا من الفارقة للشئ وقيل ان معنى القراءتين يرجع إلى شئ واحد في الحقيقة وهو ان من فرق دينه فآقر ببعض وأنكر ببعض فقد فرق دينه في الحقيقة ثم اختلفوا في المعنى بهذه الآية فقال الحسن هم جميع المشركين لان بعضهم عبدوا الاصنام وقالوا هذه شعبة ما عند الله وبعضهم عبدوا الملائكة وقالوا انهم بنات الله وبعضهم عبدوا الكواكب فكان هذا تفرق دينهم وقال مجاهد هم اليهود وقال ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك هم اليهود والنصارى لانهم تفرقوا فكانوا فرقا مختلفة وقال أبو هريرة في هذه الآية هم أهل الضلالة من هذه الأمة وروى ذلك مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا سلبت منهم في شئ وبأسوا منك هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة أسنده الطبري في هذا ليكون المراد من هذه الآية الحث على أن تكون كلمة المسلمين واحدة وان لا يتفرقوا في الدين ولا يبتدعوا البدع المضلة وروى عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم أصحاب البدع والأهواء من هذه الأمة ذكره البغوي بغير سند عن العرباض بن سارية قال صلى بنار رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل بوجهه علينا فوعظنا وعظنا بليغة درفت منها العيون ووجبت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودعتنا فاعتدها لناتقنا أو صيكتنا بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليك عبد حبشي فانه من يعيش منكم بعدى وسيرى اختلافا كثيرا فاعلمكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين نسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة أخرجه أبو داود والترمذي عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الان من قبلكم من أهل الكتاب افرقوا على ثلاثين وسبعين فرقة وان هذه الأمة ستفرق على ثلاث وسبعين فتنان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة زاد في رواية وانه سيخرج في أمي أقوام تنجاري بهم الأهواء كنجاري الكلب يصبح لابلتي منه عرق ولا مفصل الا دخله أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل تفرقت على ثلاثين وسبعين ملة وستفرق أمي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار الا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على ما أناعاها ومحبابي أخرجه الترمذي قال خطابي في هذا الحديث دلالة في ان هذه الفرق غير جنة من

(أو كسبت في إيمانها خيرا) أي خلاصا كالإقبال إيمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل خلاص المنافق أيضا أو نوبته وتقديره لا ينفع إيمان من لم يؤمن ولا نوبته من لم يقبل قيل (قل انتظروا) إحدى الآيات الثلاث (اما منتظرون) بكم أحداها (ان الذين فرقوا دينهم) اختلفوا فيه وصاروا فرقا كما خفت اليهود والنصارى وفي الحديث افرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الواحدة وهي الناجية وافرقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الواحدة وهي الناجية وافرقت أمي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الواحدة وهي السواد الأعظم وفي رواية وهي ما أناعاها ومحبابي وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض فارقوا دينهم حزة وعلى أي تركوا (وكانوا شيعا) فرقا كل فرقة تشيع اماما

محشرهم (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يادروا بالاعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخوصة أحدكم وأمر العامة (م) عن عبيد الله بن عمرو بن العاص قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم أنسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس نحى وأمهما كانت قبل صاحبها فالأخرى على آخرها قريبا ورؤيت الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود في تفسير هذه الآية قال تصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب كالبعيرين القريئين زاذني رواية عنه فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا وبسنده عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما تدرون أين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله أعلم قال إنها تذهب إلى مستقر هاتحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها طاري فترجى من حيث جئت فتصبح طاعة من مطلعها ثم تجرى حتى تنتهي إلى مستقر هاتحت العرش فتخر ساجدة حيث جئت فتصبح طاعة من مطلعها ثم تجرى حتى تنتهي إلى مستقر هاتحت العرش فيقال لها طاري من مغربك فتصبح طاعة من مغربها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أندرون أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا وبسنده عن أبي ذر قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على جارف ف نظر إلى الشمس حين غربت فقال إنها تغرب في عين جحنت تطاق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش حتى ياذن لها فإذا أراد أن يطلعها من مغربها حبسها فتقول يا رب إن مسيرى بعيد فيقول لها اطلعي من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل وروى بسنده عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال لهم عباد الله توبوا إلى الله قبل أن يأتيكم بعذاب فأنكم توشكون أن تروا الشمس من قبل المغرب فإذا فعلت حبست التوبة وطوى العمل فقال الناس هل لذلك من آية يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن آية تلك الليلة أن تطول كقدر ثلاث ليل فسيقتل الذين يخشون ربهم فيصلون لهم ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقص ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى إذا استيقظوا والليل مكانه فإذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم فإذا أصبحوا فاطال عليهم رأيت أعينهم طلوع الشمس فيبيناهم ينظرونها وأطلعت عليهم من قبل المغرب فإذا فعلت ذلك لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل قال ابن عباس لأنه لا ينفع مشرك بإيمانه عند الآيات وينفع أهل الإيمان عند الآيات إن كانوا أكثروا خيرا قبل ذلك وقال ابن الجوزي قيل إن الحكمة في طلوع الشمس من مغربها أن الموحدة والمنجمين زعموا أن ذلك لا يكون في ربهم الله قدرته فيقطعها من المغرب كما أطلعها من المشرق فيحقق عجزهم وقيل بل ذلك بعض الآيات الثلاث الدابة وأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها يروى عن ابن مسعود أنه قال التوبة معرفة على ابن آدم أن فيها ما لم يخرج إحدى ثلاث الدابة أو طلوع الشمس من مغربها أو أجوج ومأجوج وروى عن عائشة قالت إذا خرج أول الآيات طرحت التوبة وحسبت الحفظ وشهدت الأجساد على الأعمال وروى عن أبي هريرة في قوله تعالى أو يأتي بعض آيات ربك قال هي مجموع الآيات الثلاث طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض ورواه مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض وأصح الأقوال في ذلك ما نظرت عليه الأحاديث الصحيحة وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه طلوع الشمس من مغربها وقوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) يعني لا ينفع من كان مشركا

(يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها) لأنه ليس بإيمان اختياري بل هو إيمان دفع العذاب والبأس عن أنفسهم (لم تكن آمنت من قبل) صفة نفسا

(انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) أى أهل التوراة وأهل الانجيل وهذا دليل على ان المجوس ليسوا بأهل كتاب (وان كانوا عن دراستهم) عن تلاوة كتبهم (لغافلين) لاعلم لنا بشئ من ذلك ان مخففة من القيلة واللام (٧١) فارقة بينهما وبين النافية والاول

وانه كفا عن دراستهم غافلين على أن الهام ضمير الشأن والخطاب لاهل مكة والمراد اثبات الحجة عليهم بانزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم كيلا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل سل أنزل على طائفتين من قبلنا وكونا غافلين عما فيهما (أو تقولوا) كراهة ان تقولوا (لأننا أنزل علينا الكتاب كما أهدى منهم) لحدّة أذهاننا وثقابة أفيها منا ووزارة حفظنا لالايام العرب (فقد جاءكم بينة من ربكم) أى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم ما فيه البيان الساطع والبرهان القاطع غنّذف الشرط وهو من أحسن الحذف (وهدى ورحمة فن أظلم ممن كذب بآيات الله) بعد ما عرف صحتها وصدقها (وصدق عنها) أى أعرض (سبحزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) وهو النهاية فى النسيكايه (بما كانوا يصدفون) بأعراضهم (هل ينظرون) أى أغنا حجج الوحداية وثبوت

تقولوا (انما أنزل الكتاب) وقيل يجوز أن تكون أن متعلقة بما قبلها فيكون المعنى واتقوا أن تقولوا وهذا خطاب لاهل مكة والمعنى واتقوا بأهل مكة أن تقولوا انما أنزل الكتاب والكتاب اسم جنس لان المراد به التوراة والانجيل (على طائفتين من قبلنا) يعنى اليهود والنصارى (وان كما) أى وقد كلفوا قيل وانه كما (عن دراستهم) يعنى قراءتهم (لغافلين) يعنى لاعلم لنا بما فيها لانها ليست باعتراف المراد بهذه الآية اثبات الحجة على أهل مكة وقطع عندهم بانزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم باعترافهم والمعنى وأنزلنا القرآن بلغفهم لثلاثا قولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل أنزل على طائفتين من قبلنا بالسامعهم وافقهم فلم يعرف ما فيها فاطلع الله عندهم بانزال القرآن عليهم بلغفهم (أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم) وذلك ان جماعة من الكفار قالوا لو أنزل علينا ما أنزلنا على اليهود والنصارى لكنا خير منهم وأهدى وانما قالوا ذلك لاعتمادهم على صحة عقولهم وجودة قطعتهم وذهنهم <sup>ع</sup> قال الله عز وجل (فقد جاءكم بينة من ربكم) يعنى هذا القرآن فيه بيان وصحّة واضحة تعرفونها (وهدى) يعنى من الضلالة (ورحمة) يعنى وهو رحمة ونعمة أنعم الله بها عليكم (فن أظلم) أى لأحدنا ظلم أو كفر (من كذب بآيات الله وصدف عنها) يعنى وأعرض عنها (سبحزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) يعنى أسوأ العذاب وأشدّه (بما كانوا يصدفون) أى ذلك العذاب جزاؤهم بسبب إعراضهم وتكذيبهم بآيات الله <sup>ع</sup> قوله تعالى (هل ينظرون) يعنى هل ينظرون هؤلاء بعد تكذيبهم الرسل وانكارهم القرآن وصدفهم عن آيات الله وهو استغفاهم معناه التنى وتقدير الآية انهم لا يؤمنون بك الا اذا جاءتهم إحدى هذه الامور الثلاث فاذا جاءتهم جميعا احداها آمنوا وذلك حين لا ينفعهم إيمانهم (الآن تأتيهم الملائكة) يعنى اقبض أرواحهم وقيل أن تأتيهم بالعذاب (أو يأتي ربك) يعنى للحكم وفصل القضاء بين الخلق يوم القيامة وقد تقدم الكلام فى معنى الآية فى سورة البقرة عند قوله هل ينظرون الآن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام كافيه كفاية وان المجى والعذاب على الله محال فيجب امر اربابها لا تكليف (أو يأتي بعض آيات ربك) قال جمهور المفسرين هو طلوع الشمس من مغربها وبدل على ذلك ما روى عن أنى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آتت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض أخرجه مسلم عن أنى سعيد بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله أو يأتي بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (م) عن أنى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه عن صفوان بن عسال المرادى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب من قبل المغرب مسيرة عرضة أو قال يسيرا إلى أكبر فى عرضه أربعين أو سبعين سنة خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والارض مقتوحا للوبة لا يباقي حتى تطلع الشمس منه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (ق) عن أنى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها الناس آمن من عبادا فى راية فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا (م) عن حذيفة بن أسد الغفارى قال اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ونحن ننادى كرفال ما ندكرون فلما الساعة فقال انها ان تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال ودابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وثلاث خسوف خسوف بالمشرق وخسوف بالغرب وخسوف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار أطر الناس الى

الرسالة أو بطلانها معتقدون من الضلالة فينظرون فى ترك الإيمان بعدها (الآن تأتيهم الملائكة) أى ملائكة الموت اقبض أرواحهم بأنهم حزة وعلى (أو يأتي ربك) أى أمر ربك وهو العذاب والقيامة وهذا ان الاتزان متشابه وان بيان أمره منصوص عليه محكم فورد اليه (أو يأتي بعض آيات ربك) أى اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك

ولا تتبعوا السبل) الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات (فتفرق بكم عن سبيله) فتفرقكم أياذي سباعن صراط الله المستقيم وهودين الاسلام روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا مستويا ثم قال هذا سبيل الرشد وصراط الله فاتبعوه (٧٠) ثم خط على كل جانب ستة خطوط مائلة ثم قال هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان

وأمرهم باتباع جلته وتفصيله (ولاتبعدوا السبل) يعني الطرق المختلفة والاهواء المضلة والبدع الرديئة  
وقيل السبل المختلفة مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل والاديان المخالفة لدين الاسلام (فتفرقوا بكم  
عن سبيله) يعني فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه وطر يته الذي ارضاه اعباده وروى البقوي  
بسند عن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً من هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً  
عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرأوا هذا صراطى مستقيماً  
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الآتية (ذلكم وصاكم به) يعني باتباع دينه وصراطه الذي لا عوجاج فيه (اعلمكم  
تتقون) يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة قال ابن عباس هذه الآيات محكمات في جميع الكتب لم ينسخن  
شيء وهن محرمات على بني آدم كالهم وهن أم الكتاب من عمل من دخل الجنة ومن تركهن دخل النار  
وعن ابن مسعود قال من سره أن ينظر الى الصحيفة التي عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم فليقرأ هؤلاء  
الآيات قل تعالوا أنزل ما حرم بكم عليكم الآيات التي قوله اعلمكم تتقون أخرجه الترمذي قال حديث حسن  
غريب **قله تعالى** (ثم أتينا موسى الكتاب) يعني التوراة فان قلت انما موسى الكتاب كان  
قبل نزول القرآن وحرف ثم لا تعقب فنامعني ذلك قلت دخلت ثم لتأخير الخبر للتأخير النزول والمعنى  
قل تعالوا أنزل ما حرم بكم عليكم وهو كذا وكذا الى قوله تعالى لعلكم تتقون ثم أخذ بكم أنا أتينا موسى  
الكتاب وقيل ان المحرمات المذكورة في قوله تعالى قل تعالوا أنزل ما حرم بكم عليكم محرمات على جميع  
الامم وجميع الشرائع فتقدير الكلام ذلك كما به يابى آدم قبل ما وحده بنا ثم بعد ذلك أتينا موسى  
الكتاب يعني بعد ايجاب هذه المحرمات وقيل معناه قل تعالوا أنزل ما حرم بكم عليكم ثم قل بعد ذلك  
يا محمد أنا أتينا موسى الكتاب فخذ في الغظة قل دلالة الكلام عليها **قله تعالى** (تماما على الذي  
أحسن) اختلف أهل التفسير فيه فقيل معناه تماماً على المحسنين من قومه فيكون الذي بمعنى من أي تماماً  
على من أحسن من قومه لانه كان منهم محسن ومسى وعلى قراءة ابن مسعود تماماً على الذين أحسنوا  
وقيل معناه تماماً على كل من أحسن أي اتعنا فضيلة موسى على المحسنين وهم الانبياء والمؤمنون أي  
اتعنا فضله عليهم بالكتاب وقيل الذي أحسن هو موسى فيكون الذي بمعنى ما أي على ما أحسن وتقديره  
وأتينا موسى الكتاب تماماً للنعمة عليه لاحتسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة وأداء الامر وقيل  
الاحسان بمعنى العلم وتقديره أتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن موسى من العلم والحكمة زيادة  
على ذلك وقيل معناه تماماً على احسانى الى موسى (وتفصيلاً لكل شيء) يعني وفيه بيان لكل شيء  
بحسب حاج اليهم شرائع الدين وأحكامه (وهدى) يعني وفيه هدى من الضلالة (ورجى) يعني ازاله  
عليهم رجوة في عبادهم (لعلهم ياتقوا بهم يؤمنون) قال ابن عباس لكى يؤمنوا بالبعث وصدقوا  
بالبواب والعقاب **قله عز وجل** (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) يعني القرآن لانه كثير الخير والنفع  
والبركة ولا يتطرق اليه نسخ (فاتبعوه) يعني فاعملوا بما فيه من الامور والنواهي والاحكام (واتقوا)  
يعنى مخالفتها (اعلمكم تحزون) يعني ليكن الغرض بالقوى رجوة الله وقيل معناه لكى ترجوا على جزاء  
تلقوا (أن تقولوا) يعني لثلاث قولوا وقيل معناه كراهية أن تقولوا يعني أنزلنا اليك الكتاب كراهية أن

يدعو اليه فاجتنبوا هازلا  
 هذه الآية ثم بعير كل واحد  
 من الاني عشر طر بقاسمة  
 طرق فمكون انسين  
 وسبعين وعن ابن عباس  
 رضى الله عنهم ا هذه الآيات  
 محكمات لم ينسخهن شئ  
 من جميع الكتب وعن  
 كعبان هذه الآيات لاول  
 شئ في التوراة (ذلكم وصاكم  
 به لعلكم تتقون) لتكونوا  
 على رجاء اصابة التقوى  
 ذكر اول انفسا لون ثم  
 تذكرون ثم تتقون لانهم  
 اذا عقابوا تفكروا ثم  
 تذكروا أى اعظوا فاتفقوا  
 المحارم (ثم انا نبينا موسى  
 الكتاب عاما) أى ثم اخبركم  
 انا انا نبينا وهو عطف على ثم  
 قل أى قل انا نبينا ثم مع الجلة  
 تانى بمعنى الواو كقوله ثم  
 الله شهيد (على الذى  
 احسن) على من كان محسنا  
 صالحا يريد بجس المحسنين  
 دليله قراءة عبد الله على  
 الذين أسسوا أو أراد به  
 موسى عليه السلام أى تحم  
 للكرامة على العبد الذى  
 أحسن الطاعة في التبليغ  
 في كل ما أمر به (وتفصلا

لكل شيء) ويأمنهم من كل ما يحتاجون إليه في دينهم (وهدى ورحمة لهم) أي بني إسرائيل (تقولوا (بلقاءهم يؤمنون) يصدقون أي بالعباد والحساب بالروية (وهذا) أي القرآن (كتاب أنزلناه مبارك) كثير الخير (فأمنهم واتقوا) مخالفته (العلم نرجون) لترجوا (أن تقولوا) كراهة أن تقولوا أوائلنا تقولوا



(ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الاباحق) كالقصاص والقتل على الردة والرجم (ذلكم وصاكم به) أى الله كورمفصلاً أمركم بكم بحفظه (لعلكم تعقلون) لتعقلوا عظماء عند الله (ولا تقر بومال الينيم الابالتي هي أحسن) (٦٩) الاباحضلة التي هي أحسن وهي

حفظه وتبخره (حتى يبلغ أشده) أشده مبلغ حمله فادفعوه اليه وواحدة شككفس وأفلس (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالسوية والعدل (لا تكف نفسا الاوسعها) (لا تكف نفسها الاوسعها) (وأنما تبع ولا تهجز عنه) (وأنما تبع الامر بإفءاء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحسن القسط الذى لاز ياد فيه ولا نقصان بمافي حرج قاصر ببوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه) (واذا قلتم قاعدوا) فاصدقوا (ولو كان ذاقرني) ولو كان المقول له وعليه شهادة أو غيرهما من أهل قرابة القائل كقوله ولوعلى أنفسكم أو والدين والاقر بين وبعهد الله) يوم الميثاق أو في الامر والنهي والوعود والوعيد والنذر واليمين (أوفوا ذلكم) أى ما أمر (وصاكم به لعلكم تدكرون) بالتخفيف حيث كان حجة وعلى وحقق على حذف احدى التاءين غيرهم بالتشديد أصله تدكرون فادغم التاء الثانية في الدال أى أمركم به لنتهظوا (وأن هذا صراطي) ولان هذا صراطي فوعلة للاتباع

العقاب ومن ترك المعصية ظاهراً باطناً لاجل خوف الله وتعظيماً لمره استوجب رضوان الله ونوابه (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الاباحق) حرم الله تعالى قتل النفس الاباحق وقتلها من جملة الفواحش المقدم ذكرها في قوله تعالى ولا تقر بوا الفواحش وإنما أفرد قتل النفس بالذكر تعظيماً لمر القتل وأنه من أعظم الفواحش والكبائر وقيل إنما أفرد به بالذكر لانه تعالى أراد أن يستثنى منه ولا يمكن ذلك الاستثناء من جملة الفواحش الابالفراد فذلك قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الاباحق وهي التي أبيع قتلها من ردة وقصاص أو زنا بعد احصان وهو الذى يوجب الرجم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله الا احدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة ﴿ وقوله تعالى (ذلكم) يعنى ما ذكر من الاوامر والنواهي المحرمات (وصاكم به) يعنى أمركم به وأرجعه عليكم (لعلكم تعقلون) يعنى لى تفهموا ما فى هذه التكليف من الفوائد والمنافع فعملوا بها ﴿ وقوله تعالى (ولا تقر بومال الينيم الابالتي هي أحسن) يعنى ولا تقر بومال الينيم الاباحق فيه صلاحه وتبخره وتحصيل الربح قال مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك هو ان يسمى فيه ولا يخدم من ربحه شيئاً هذا اذا كان القم بلبال غنيما غير محتاج فلو كان الوصى فقيراً فله أن يأكل بالعرف (حتى يبلغ أشده) يعنى احفظوا مال الينيم الى أن يبلغ أشده فإذا بلغ أشده فادفعوا اليه ماله فاما الاشد فهو استحكام قوة الشباب والسن حتى يتداهى في الشباب الى حد الرجال قال الشعبي ومالك الاشد الحلم حين تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات وقال أبو العالية حتى يعقل وتجمع قوته وقال الكبي الاشد هو ما بين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة وقيل الى أر بعين وقيل الى ستين سنة وقال الضحاك الاشد عشرون سنة وقال السدي الاشد ثلاثون سنة وقال مجاهد الاشد ثلاث وثلاثون سنة وهذه الاقوال التي نقلت عن المفسرين في هذه الآية إنما هي نهاية الاشد لا ابتداءه والمراد بالاشد في هذه الآية تعو ابتداء بلوغ الحلم مع اناس الرشد وهذا هو المختار في تفسير هذه الآية ﴿ وقوله تعالى (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) يعنى بالعدل من غير زيادة ولا نقصان (لا تكف نفسا الاوسعها) يعنى قاطعها وما يبسها في إبقاء الكيل والميزان وانعامه لم يكف المعطى أن يعطى أكثر مما وجب عليه ولم يكف صاحب الحق الرضا بقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل أمر كل واحد بما يسعه مما لا حرج عليه فيه (واذا قلتم قاعدوا) يعنى في الحكم والشهادة (ولو كان ذاقرني) يعنى المحكوم عليه وكذا المشهود عليه وقيل ان الامر بالعدل في القول هو أعم من الحكم والشهادة بل يدخل فيه كل قول حتى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير زيادة فيه ولا نقصان وأداء الامانة وغير ذلك من جميع الاقوال التي يعتمد فيها العدل والصدق (و بعهد الله وأوفوا) يعنى باعده الى عبادته ووصايم به وأوجه عليهم أو ما أوجهه الانسان على نفسه كندبر ونحوه فيجب الوفاء به (ذلكم) يعنى الذى ذكر في هذه الآيات (وصاكم به) يعنى بالعمل به (لعلكم تدكرون) يعنى لعلكم تتعقلون وتذكرون فتأخون ما أمرتكم به ﴿ قوله عز وجل (وأن هذا صراطي مستقيماً تبتعوه) يعنى وان هذا الذى وصيتكم به وأمرتكم به فى هاتين الآيتين هو صراطى يعنى طريق ودينى الذى ارضيته لعبادى مستقيماً يعنى قوياً لا اعوجاج فيه فاتبعوه يعنى فاعملوا به وقيل ان الله تعالى لما بين في الآيتين المتقدمتين ما وصى بمفصلاً لجه في هذه الآية لاجل ان يقضى دخول جميع ما تقدم ذكره فيه ويدخل فيه أيضاً جميع احكام الشرعة وكل ما ينسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام وهو المنهج القويم والصرط المستقيم والدين الذى ارتضاه الله لعباده المؤمنين

بتقدير اللام وان بالتخفيف شامى وأصله وأنه على أن الهاء ضمير الشأن والحديث وان على الابتداء جز فوعلى (مستقيماً) حال فاتبعوه

ذلك وانما اختاروه من عند أنفسهم (فان شهدوا فلا تشهد معهم) وهذا تنبيه أيضا على كونهم  
كاذبين في شهادتهم فلا تشهد أنت يا محمد معهم لانهم في شهادتهم كاذبون (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا  
بآياتنا) يعني ان وقع منهم شهادة فاعلم انما يتبع الهوى فلا تتبع أنت يا محمد أهواءهم ولكن اتبع  
ما أوحى اليك من كتابي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (والذين لا يؤمنون بالآخرة)  
أي ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة (وهم برهم يعدلون) يعني بشر كون ﴿﴾ قوله عز وجل  
(قل تعالوا أنزل محارم ربكم عليكم) لما بين الله تعالى فساد مقالة كفار فجازعوا ان الله أمرهم بتحریم  
محارمهم على أنفسهم فكانهم سألوا وقالوا أي شيء حرم الله فأمر الله عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم  
أن يقول لهم تعالوا اتعال من الاخاص الذي صار عاملا وصله ان بقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل  
منه ثم كثروا تبع فيه حتى عم وقيل أصله ان تدعو الانسان الى مكان مرتفع وهو من العلو وهو ارتفاع  
المرتلة فكانه دعاه الى ما فيه رفعة وشرف ثم كثري الاستعمال والمعنى تعالوا وعلووا أيها القوم أنزل عليكم  
يعني أنزل محارم ربكم عليكم يعني الذي حرم ربكم عليكم حقا قينا لا شك فيه ولا ظملا لا كذبًا كما تزعمون  
انتم بل هو وحى أوحاه الله الي (ان لا تشركوا به شيئاً) فان قلت ترك الاشراك واجب فامعنى قوله أن  
لا تشركوا به شيئاً لانه كالتفصيل لما أجله في قوله حرم ربكم عليكم كم ذلك لا يجوز قلت الجواب عنه من  
وجه الوجه الاول ان يكون موضع أن رفع معناه هو أن لا تشركوا الوجه الثاني أن يكون محله النصب  
واختلفوا في وجه انتصابه فقيل معناه حرم عليكم أن تشركوا وتشكون لاصلة وقيل ان حرف لا على أصلها  
ويكون المعنى أنزل عليكم تحريم الشرك أي لا تشركوا ويكون المعنى أوصيكم أن لا تشركوا لان قوله  
وبالوالدين احسانا محمول على أوصيكم بالوالدين احسانا الوجه الثالث ان يكون الكلام قد تم عند قوله حرم  
ربكم ثم قال عليكم أن لا تشركوا على الاغراء أو بمعنى فرض عليكم أن لا تشركوا به شيئاً ومعنى هذا الاشراك  
الذي حرمه الله ونهى عنه هو ان يجعل لله شريكاً من خلقه أو يطيع مخلوقاً في معصية الخالق أو يربد بعبادته  
رباً وسعة ومنه قوله ولا يشرك بعبادته به أحدا ﴿﴾ وقوله عز وجل (وبالوالدين احساناً) أي وفرض  
عليكم ووصاكم بالوالدين احساناً وانما تأتي بالصيغة بالاحسان الى الوالدين لان أعظم النعم على الانسان  
نعمة الله لانه هو الذي أخرجهم من العدم الى الوجود وخلقهم وأوجده بعد ان لم يكن شيئاً ثم بعد نعمة الله نعمة  
الوالدين لانهم السبب في وجود الانسان ولما لمعنا عليه من حق الرتبة والشفقة والحفظ من المهلك في  
حال صغره (ولا تقتلوا أولادكم من اطلاق) يعني من خوف الفقر والاملاق الاقتار والمراد بالقتل وأد  
البنات وهن أحياء فكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن ذلك وحرمه عليهم (نحن  
نرزقكم وإياهم) يعني لانه لو انبأتكم خوف العيلة والفقر فاني رازقكم وإياهم لان الله تعالى اذا كفّل  
برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد ورقيقته والانتكال في أمر الرزق على الله عز وجل  
(ولا تقربوا الفواحش) يعني الزنا (ما ظهر منها وما بطن) يعني علانيته وسره وكان أهل الجاهلية يستقبحون  
الزنا في العلانية ولا يرون به بأساً في السر فحرم الله تعالى الزنا في السر والعلانية وقيل ان الاولى حل لفظ  
الفواحش على العموم في جميع الفواحش المحرمات والمنهيات فيدخل فيه الزنا وغيره لان المعنى الموجب  
لهذا النهي هو كونه فاحشة فدخل اللفظ على العموم أولى من تخصيصه بذوع من الفواحش وأيضاً فان  
السبب اذا كان خاصاً لا يمنع من حل اللفظ على العموم وفي قوله ما ظهر منها وما بطن دقيقة وهي ان الانسان  
اذا احتراز عن المعاصي في الظاهر ولم يحتز زمناً في الباطن دل ذلك على ان احترازه عن المعاصي لاجل عبودية  
الله وطاعته فيما أمر به ونهى عنه ولكن لاجل الخوف من ربه الناس ومنهم ومن كان كذلك اسحق

(فان شهدوا فلا تشهد معهم) منهم (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) من وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ان من كذب بآيات الله فهو متبع للهوى اذ لو تبع الدليل لم يكن الا مصداقاً بالآيات موحد لله (والذين لا يؤمنون بالآخرة) هم المشركون (وهم برهم يعدلون) يسوون الاصنام (قل) للذين حرموا الحشر والانعام (تعالوا) وهم الاخاص الذي صار عاملاً فاصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر حتى عم (أنزل محارم ربكم) الذي حرمه ربكم (عليكم) مامن صلة حرم (أن لا تشركوا به شيئاً) أن مفسرة افعل التلاوة والالهي وبالوالدين احساناً واحسنوا بالوالدين احساناً ولما كان ايجاب الاحسان نحر بما اترك الاحسان ذكر في المحرمات وكذا حكم ما بعده من الاوامر (ولا تقتلوا أولادكم من اطلاق) من أجل فقر ومن خشية كقوله خشية املاق (نحن نرزقكم وإياهم) لان رزق العبيد على مولاهم (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها) ما بينك وبين الخلق (وما

لم يكن شيء من ذلك (كذلك)  
 كذب الذين من قبلهم) أي  
 كسكذبهم اياك كان  
 نكذب المتقدمين رسلاهم  
 وشبوا به. بل هذا في دفعهم  
 ذلك اذ لم يقولوه عن اعتقاد  
 بل قالوا ذلك استهزاء ولا نهم  
 جاءوا مشبهة بحجة لهم على  
 انهم معذرون به وهذا  
 مردود لان الاقرار بالمشيئة  
 ٢ أو معنى المشيئة هنا الرضا  
 كما قال الحسن أي مراضي  
 الله ما ومن آثنا النمر  
 والشرك مراد اكنه غير  
 مرضي الأرضي أنه قال  
 فلو شاء لم أكن أجعين  
 أخيرا أنه لو شاء منهم الهدى  
 لآمن كلهم ولكن لم يشأ  
 من الكل الايمان بل  
 شاء من البعض الايمان  
 ومن البعض الكفر  
 فيجب حل المشيئة هنا  
 على ما ذكرنا د فعلا لتناقض  
 (حتى ذاقوا بأسنا) حتى  
 آثرنا عليهم العذاب  
 (قل هل عندكم من علم)  
 من أمر معاد لم يصح  
 الاحتجاج به فيما قلتم  
 (فتخرجوه لنا) فتنظروه  
 (ان ننبؤن الا الظن  
 وان أتمم الانخروصون)  
 تكذبون (قل فله الحجة  
 البالغة) عليهم باوامره  
 ونواهي ولا حجة لكم على  
 الله بمشيئته (فأولوا

عز وجل رداً ونكداً بيهلهم ( كذلك كذب الذين من قبلهم ) يعني من كفار الامم الخالية الذين كانوا قبل  
قومك كذبوا انبياءهم وقالوا لم قول هؤلاء ( حتى ذاقوا بأسنا ) يعني عذابنا  
فصل استدل القدرية والمعتزلة بهذه الآية فقالوا ان القوم لما قالوا لو شاء الله ما أشركنا كذبهم الله  
وردد عليهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وأضاف ان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار صريحاً من مذهب  
الجبرية وهو قولهم لو شاء الله من أن لا نشرك لم نشرك ولمنعنا عن هذا الكفر وحيث لم يمنعنا عنه ثبت أنه  
مريد له وإذا أراد من امتناع تركه منا وأجيب عن هذا بان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار أنهم قالوا لو شاء  
الله ما أشركنا ثم ذكر عقبيه كذلك كذب الذين من قبلهم وهذا التأكيد ليس هو في قولهم لو شاء الله  
ما أشركنا بل ذلك القول حق وصدق ولكن التأكيد في قولهم ان الله أمرنا به ورضينا به على غفلة منا فهو في قولهم لو شاء الله  
في سورة الاعراف وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها وهذا نص في قولهم لو شاء الله  
ان لا يلاي أمر بالفحشاء والدليل ان التأكيد في قولهم ان الله أمرنا به ورضينا به لا في قولهم لو شاء الله  
ما أشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم بالتشديد ولو كان خبراً من الله عن كذبهم في قولهم لو شاء الله  
ما أشركنا فقال كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم الى الكذب لا الى التأكيد وقال  
الحسن بن الفضل لو قالوا هذه المقالة تعظيم الله وأجلاله ولمعرفة بحقيقة بما يقولون لما عليهم بذلك ولكنهم  
قالوا هذه المقالة تنكذبوا وجدنا من غير معرفة بالله وبما يقولون وقيل في معنى الآية أنهم كانوا يقولون  
الحق بهذه السكامة وهو قولهم لو شاء الله ما أشركنا الا أنهم كانوا يبدونه عند الانفسهم ويجعلونه حجة لهم في  
ترك الايمان والرد عليهم في ذلك ان أمر الله بهزل عن مشيئته وأرادته فان الله تعالى مر بجمع الكائنات  
بغير أمر بجميع ما يرده في العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعالى بمشيئته فان مشيئته لا تكون عنراً  
لأحد عليه في فعله فهو تعالى يشاء الكفر من الكافر ولا يرضى به ولا يأمر به ومع هذا فيبعث الرسل الى العبد  
وامره بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير متنع فالحاصل أنه تعالى حكى عن الكفار أنهم يتكلمون  
عشيشة الله تعالى في شركهم وكفرهم فاخبر الله تعالى أن هذا التكلم فاسد باطل فإنه لا يلزم من ثبوت المشيئة  
لله تعالى في كل الامور دفع دعوى انبياء عليهم السلام والله أعلم ﴿ وقوله تعالى ( قل هل عندكم من علم )  
أى قل يا محمد هؤلاء المشركين القائلين لو شاء الله ما أشركنا ولكن كره رضى ما نحن عليه من الشرك هل عندكم  
يعني بدعواكم ما تدعون من علم يعني من حجة وكلام يوجب اليقين من العلم ( فتخرجوننا ) يعني قفظروا  
ذلك العلم لتأنيبنا وكذبنا لكم وخطاؤكم وفعلكم وتناقض ذلك واستحالة في العقول ( ان تتبعون  
الاظن ) يعني فما أنتم عليه من الشرك وتخبرهم بما يحرمهم الله عليكم وتحسدون انكم على حق وانما هو  
باطل ( وان أنتم الاخرصون ) يعني وما أنتم في ذلك كله الا تكذبون وتقولون على الله الباطل ﴿ وقوله  
تعالى ( قل فتنه الحجة البالغة ) يعني قل يا محمد هؤلاء المشركين - حين عجزوا عن اظهار علم الله وأنحجهم فتنه  
الحجة البالغة يعني التامة على خلقه بازال الكتاب وارسال الرسل قال الربيع بن أنس لا حجة لأحد عصى الله  
أو أشرك به على الله ولكن الله الحجة البالغة على عبادهم ( فلو شاء طهروا جميعاً ) يعني فلو شاء الله لوفقهكم  
أجمعين لهداية ولكنه لم يشأ ذلك وفيه دليل على أنه تعالى لم يشأ ايمان الكافر ولو شاء طهروا لا يسأل عما  
يفعل وهم يستأثرون ( قل هل شهداءكم الذين يشهدون ) يعني هاتوا وادعوا شهداءكم وهم كلة دعوة الى  
الشئ يستوى فيه الواحد والاثان والجمع والذكر والانثى وفيها لغة أخرى يقال لواحد هلم وللآخرين  
هلم وللجميع هلموا والانثى هلمى واللغة الاولى أفصح ( أن الله حرم هذا ) وهذا تنبيه من الله باستدعاء  
الشهود من الكافر بن على عمرهم ما حرموه على انفسهم وقالوا ان الله مرنا به ليظن ان لا شاهد لهم على

هذا كرمين) أي فلو شاء هدايتكم به تبطل صولة المعتزلة (قل هلم شهداءكم) هنا شهداءكم وقر بوهم ويستوى في هذه الكلمة الواحد والجمع والذكر والمؤنث عند الحجازيين وبويعم تؤنث وتجمع (الذين يشهدون أن الله حرم هذا) أي زعموه محرما

لواسانه (ولاعاد) متجاوز  
 قدر حاجته من تناول  
 (فان ربك غفور رحيم)  
 لا يؤاخذهم (وعلى الذين  
 هادوا حراما لكل ذي ظفر)  
 أى ماله أصبع من دابة  
 أوطائر ويدخل فيه الابل  
 والنعام (ومن البقر والغنم  
 حرمنا عليهم شحومهما)  
 أى حرمنا عليهم لحم كل  
 ذى ظفر وشحمه وكل شيء  
 منه ولم يحرم من البقر والغنم  
 الا الشحوم وهى الثروب  
 وشحوم الكلى (الاماجات  
 ظهورهما) الا ما شتمل  
 على الظهور والجنوب من  
 السجقة (أو الحوايا) أو  
 ما شتمل على الامعاء  
 واحدها حاريا أو حوية  
 (أو ما خاتل بعظم) وهو  
 الالية أو الملع (ذاك) مفعول  
 ثان لقوله (جزىناهم)  
 والتقدير جزىناهم ذلك  
 (بغيرهم) بسبب ظلمهم  
 (وانا لصادقون) فيها  
 أخبرنا به وكيف نشكر  
 من سبب معصيتهم لتحريم  
 الحلال ومصلحة سالفنا  
 لتحاييل الحرام حيث قال  
 وعفانكم فالان بأشروهم  
 (فان كذبوك) فيها وحيت  
 اليك من هذا (أقول ربكم  
 ذور حقا وساعة) بها أهل  
 الكذابين ولا يعالجهم  
 بالعقوبة (ولا يرد بأسه)  
 عذابهم مع سعة رحته (عن  
 القوم الجرهمين) اذا جاء فلا  
 تقترس بصرته عن خوف  
 نعمة (سيقول الذين أشركوا) اخبار بما سوف يقولونه (لواء الله) ان لائه راك (ما أشركنا ولا بأنا ولا حرامنا شيء) عز

التحريم والتحليل لا يكون الا بوحى منه وان المحرمات محصورة في الاربعة الاشياء المذكورة في هذه الآية  
وهي الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على غير اسم الله وهذا مبالغة في أن التحريم لا يخرج عن  
هذه الاربعة وذلك أنه ثبت أنه لا طريق الى معرفة المحرمات الا بالوحى وثبت أن الله تعالى نص في هذه  
الآية على هذه الاربعة الاشياء ولهذا اختلف العلماء في حكم هذه الآية فذهب بعضهم الى ظاهرها وانها لا يحرم  
شي من سائر المطعومات والحيوان الا ما ذكر في هذه الآية يروى ذلك عن ابن عباس وعائشة وسعد بن جبير  
وهو ظاهر مذهب مالك واحتجوا على ذلك بأن هذه الآية محكمة لانها خبر والخبر لا يدخله النسخ واحتجوا  
بأن هذه الآية وان كانت مكية لكن تعضدها آية مدنية وهي قوله تعالى في سورة البقرة نما حرم عليكم الميتة  
والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله وكلمة انما تفيد الحصر فصارت هذه الآية المدنية مطابقة للآية المكية في  
الحكم كذهب جمهور العلماء الى أن هذا التحريم لا يختص بهذه الاشياء المنصوص عليها في هذه الآية فان  
المحرم بنص الكتاب هو ما ذكر في هذه الآية وقد حرمت السنة أشياء فوجب القول بما فيها تحريم الجوارح الاهلية  
وكل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير عن المتقدم بن معديكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا  
هل عسى رجل بلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فوجدنا فيه حلالا  
استحلناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله تعالى أخرجه  
الترمذي وقال حديث حسن غريب وابن داود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا نبيت السكاب  
ومثله معه ألا يوشك رجل سبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما  
وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا تبطل لكم الحمار الاهلي ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطعة معاهد الا أن  
يستغنى عنها صاحبها ومن نزل يقوم فعليه أن يقرؤه فان لم يقرؤه فله أن يعفيهم بمثل قراه عن ابن عباس قال  
كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء فقد رافعت الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأزل كتابه  
وأحل حلاله وحرم حرامه فأحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكنت عنه فهو معفو وتلا قل لا جد فيما  
أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة الآية أخرجه أبو داود (م) عن ابن عباس قال نهى النبي  
صلى الله عليه وسلم عن كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير (م) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله  
عليه وسلم نهى يوم خيبر عن كل لحوم الجوارح الاهلية (ق) عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن  
لحوم الجوارح الاهلية وأذن في الخيل وفي رواية أن كلنا من خير الخيل وجر الوحش ونهى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم عن الحمار الاهلي عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن كل الهر وأكل غنمه وقد  
استثنى الشارع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال وأباح كل ذلك وقد تقدم دليله  
والاصل في ذلك عند الشافعي أن كل ما لم يرد فيه نص بتحريم أو تحليل فما كان أمرا الشارع بقتله كما ورد  
في الصحيح خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وهي الحية والعقرب والفأرة والحداة والسكاب  
العقور وروى عن سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ أخرجه البخاري  
ومسلم ومما فويسقا وعن ابن عباس قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب النملة  
والنحلة والهدى والصراد أخرجه أبو داود فهذا كله حرام لا يحل أكله وما سوى ذلك فالرجوع فيه الى  
الاغلب من عادة العرب فما يستطيحه الاغلب منهم فهو حلال وما يستعجنه الاغلب منهم ولا ياكلونه  
فهو حرام لان الله خاطبهم بقوله أحل لكم الطيبات فما استطابوه فهو حلال فهذا انظر فيما يحصل  
ويحرم من المطعومات وأما الجواب عن هذه الآية الكريمة فمن وجوه أحدها ان يكون المعنى  
لأجد محرما ما كان أهل الجاهلية يحرمونه من البعائر والسواك وغيرها الا ما أوحى الى في هذه الآية  
الوجه الثاني أن يكون المراد وقت نزول هذه الآية لم يكن محرما غير ما ذكر ونص عليه في هذه الآية ثم

ما جعل أئمتنا (أم كنتم شهداء) أم منقطعة أي بل كنتم شهداء (أدوصا كم الله بهذا) يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم وما كانوا يؤمنون برسول الله (٦٤) وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمة تمكيمهم في قوله أم كنتم شهداء على

معنى «عُرِفتم التوصية به مشاهدين لا تكمل أن تؤمنون بالرسول (فمن أظلم من افترى على الله كذبا) فنسب إليه تحريم ما لم يحرم (ليضل الناس بغير علم أن الله لا يهدي القوم الظالمين) أي الذين في علمه أنهم يختمون على الكفر ووقع الفاصل بين بعض المدود وبعض اعتراضا غير أجنبي من المدود وذلك أن الله تعالى من على عباده بإنشاء الانعام لمنافعهم وبإباحتها لهم فالاعتراض بالاحتجاج على من حرمها يكون تأكيدا للتجليل والاعتراضات في الكلام لانساق الاللوكد (قل لأجدفيا أوسى الى) أي في ذلك الوقت أوفى وصى القرآن لان وصى السنة قد حرم غيره وأمن الانعام لان الآية في رد البحيرة وأخواتها وأما الموقوذة والمتدبة والنطيحة فن المينة وفيه تنبيه على أن التحريم انما ثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الانفس (محرم) حيوانا حرم الله (على طاعم بطعمه) على آكل يأكله (الآن يكون

صلى الله عليه وسلم وكان خطيبهم مالك بن عوف الجشمي فقال يا محمد بلغنا أنك تحرم أشياء مما كان آبؤنا يفعله فإنه يقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمتم أصنافا من النعم على غير أهل وإنما خاف الله هذه الأزواج الثمانية للأكل والاتفاف بها فمن أين جاء هذا التحريم من قبل الذكرا من قبل الانثى فسكت مالك بن عوف وتجبروا بكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالك ما لك لا تنكح فقال بل أنت تكلم وأسمع منك قال المفسرون فلول قال جاء التحريم من قبل الذكر بسبب الذكورة يجب أن يحرم جميع الذكور ولو قال بسبب الانوثة وجب أن يحرم جميع الاناث وان كان باشتغال الرحم عليه فينبغي أن يحرم الكل لان الرحم لا يشتمل الا على ذكر أو أنثى وأما تخصيص التحريم بالولد الخامس والسابع أو البعض دون البعض فمن أين ذلك التحريم فاحتج الله على بطلان دعواهم بهاتين الآيتين واعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن كل ما قاله من ذلك وأضافوه الى الله فهو كذب على الله وأنه لم يحرم شيئا من ذلك وانهم اتبعوا في ذلك أهواءهم وخالفوا أمرهم وذكر الامام غزالي في معنى الآية وجهين آخرين ونسبهما الى نفسه فقال ان هذا الكلام ما ورد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الانكار يعني أنكم لا تقرن بنبوة نبي ولا تعترفون بشرعية شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم والوجه الثاني أنكم حكمتكم بالبحيرة والسائيه والوصيلة والحاي مخصوصا بالابن قاله تعالى بين أن النعم عبارة عن هذه الانواع الاربع وهى الضأن والمغز والبقر والابل فلم تحكموا بهذه الاحكام في هذه الانواع الثلاثة وهى الضأن والمغز والمبقر فكيف خصصتم الابل بهذا الحكم دون هذه الانواع الثلاثة ﴿ قوله تعالى (أم كنتم شهداء اذوصا كم الله بهذا) يقول الله انبيه صلى الله عليه وسلم قل هؤلاء الجاهلة من المشركين الذين يزعمون أن الله حرم عليهم ما حرموا على أنفسهم من الانعام والحرف هل شاهدتم الله حرم هذا عليكم ووصاكم به فانكم لا تقرن بنبوة أحد من الانبياء فكيف تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله عز وجل ولما احتج الله عليهم بهذه الحجج وبين أنه لا مستند لهم في ذلك قال تعالى (فمن أظلم من افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم) يعني فمن أشد ظلمها وأبعد عن الحق من يكذب على الله ويضيف تحريم ما لم يحرمه الله الى الله ليضل الناس بذلك ويصددهم عن سبيل الله جهلهم اذ ليس هو على بصيرة وعلم في ذلك الذي ابتدعه ونسبه الى الله ويقول ان الله أمرنا بهذا قيل أراد به عمر بن لحي لانه اول من بحر البحائر وسبب السوايب وغير دين ابراهيم عليه السلام وبدخل في هذا الوعيد كل من كان على طريقته أو ابتدع شيئا لم يأمر الله به ولا رسوله ونسب ذلك الى الله تعالى لان اللفظ عام فلا وجه للتخصيص فكل من أدخل في دين الله ما ليس فيه فهو داخل في هذا الوعيد (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) يعني ان الله لا يرشد ولا يوفق من كذب على الله وأضاف اليه ما لم يشرعه لعباده ﴿ قوله عز وجل (قل لأجدفيا أوسى الى محرم ما لي طاعم بطعمه) اعلم أنه لما بين الله تعالى فساد طريقته أهل الجاهلية وما كانوا عليه من التحليل والتحریم من عند أنفسهم واتباع أهوائهم فيها حلوه وحرموه من المظومات اتبعوا البيان الصحيح في ذلك وبين أن التحريم والتحليل لا يكون الا بوحي ساوى وشرع نبوى فقال تعالى قل أي قل يا محمد هؤلاء المشركين الجاهلين الذين يحللون ويحرمون من عند أنفسهم لا أجدفيا أوسى الى وقبل انهم قالوا انما الحرام اذا فزل قل لأجدفيا أوسى الى محرم ما يعنى شيئا محرم ما لي طاعم بطعمه يعنى على أكل يأكله (الآن يكون ميتة وأدامس فوجا) يعنى سالا مصبوبا (والحرم خنزير فانه رجس) أي نجس (أو فسقا أهل غير الله به) يعنى ما ذبح على غير اسم الله تعالى فيبين الله تعالى في هذه الآية أن

ميتة) الآن يكون الشيء المحرم ميتة أن تكون مكي وشامى وحزرة ميتة شامى (أردما مسفوحا) مصبوبا سائلا التحريم فلا يحرم الدم الذى فى اللحم والكبد والطحال (أولحم خنزير فانه رجس) نجس (أو فسقا) عطمت على المنصب قبله وقوله فانه رجس اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه (أهل غير الله به) منصوب المحل صفة لفسقا أى رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله وسمى با فسق



(انه لا يحب المسرفين) اعتراض (ومن الانعام حوله وفرشا) عطف على جنات أي وأنشأ من الانعام ما يحمل الانفال، وما يفرض للذبح والحوالة الجبار التي تصل للحمل والفرش الصغار كالغصان والجبال والغنم لانها دانية من الارض مثل الفرس المفروض عليها (كأولاءكم الله) أي ما أحل الله لكم منها ولا تحرموها كأي الجاهلية (ولا) (٦٣) تتبعوا خطوات الشيطان) طريقة

في التحليل والتحريم كفعل أهل الجاهلية (انه) (كم عدوميين) فاتهموه على دينكم (ثمانية أزواج) بدل من حوله وفرشا (من الضأن اثنين ومن المعز اثنين) زوجين اثنين يريد الذكر والانثى والواحد إذا كان ورسده فهو فرد وإذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خافي الزوجين الذكر والانثى وبدل عليه قوله ثمانية أزواج ثم فسرهما بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الأبل اثنين ومن البقر اثنين والضأن والمعز جمع ضائن وماجز كتاجر ونجر وفتح عين المعز مكى وشامى وأبو عمر ووهما إفتان والهمزة في (قل) آل ذكرين حرم أم الانثيين أم ما اشتملت عليه أرحام الاثنيين) لانكار والمراد بالذكرين الذي كرم من الضأن والذي كرم من المعز والانثيين من المعز والمعنى انكار أن يحرم الله من جنس الغنم ضأنها ومعزها

شيا من نوعي ذكرها وانثائها ولا ما شتمل الاماث وذلك انهم كانوا يحرمون ذكر كورة الانعام تارة وانثائها طورا واولادها كيفما كانت ذكرها وانثاء مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم وانتصب آل ذكرين يحرم وكذا أم الانثيين أي أم حرم الانثيين وكذا ما في أم ما شتمت (ينبؤني) أعلم أخبروني بأمر معلوم من جهة الله بدل على تحريم ما حرمتم (ان كنتم صادقين) في أن الله حرمه (ومن الأبل اثنين ومن البقر اثنين قل آل ذكرين) منها (حرم أم الانثيين) منها (أم ما شتمت عليه أرحام الانثيين) أم

الحد في البخل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وهذا ان القولان يشتركان في أن المراد من الاسراف مجاوزة الحد الآن الاولى في البذل والاعطاء والثاني في الامساك والبخل وقال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام في الحرث والانعام وهذا القول أيضا يرجع الى مجاوزة الحد لان من شرك الاصنام في الحرث والانعام فقد جاوز ما حله وقال الزهري معناه لا تنفقوا في معصية الله عز وجل وقال بجاهد الاسراف ما قصرت به في حق الله تعالى ولو كان أبو قبيس ذهابا فنفته في طاعة الله لم تكن مسرفا ولو أنفقت درهما أو مداف في معصية الله كنت مسرفا وقال ابن زيد انما خطوب بهذا السلطان نهى أن يأخذ من رب المال فوق الذي أذن الله ماله يقول الله عز وجل للسلطين لا تسرفوا أي لا تأخذوا وبغير حق فكانت الآية بين السلطان وبين الناس وقوله تعالى (انه لا يحب المسرفين) فيه وعيد وزجر عن الاسراف في كل شيء لان من لا يحب الله فهو من أهل النار وقوله تعالى (ومن الانعام) يعني وأنشأ من الانعام (حوله) وهي كل ما يحل عليهم من الأبل (وفرشا) يعني صغار الأبل التي لا تحمل قال ابن عباس الجولة هي الجبار من الأبل والفرش هي الصغار من الأبل وقال في رواية أخرى عنه ذكرها الطبري أم الجولة قال لا بل والحد والبغال والجبر وكل شيء يحمل عليه وأما الفرش فالغنم وقال الربيع بن أنس الجولة الأبل والبقرة والفرش المعز والضأن فالجولة كل ما يحمل عليه من الانعام والفرش ما يصلح للحمل سمي فرشا لانه يفرش لانه قرب من الارض لصغره (كأولاءكم الله) يعني كأولاء الله لانه لا يحل له أن يأخذ من ربه ما حله الله لكم من هذه الانعام والحرث ولا تتبعوا خطوات الشيطان) يعني لا تسلكوا طريقه وآثاره في تحريم الحرث والانعام كفعله أهل الجاهلية (انه) يعني الشيطان (كم عدوميين) يعني انه مبین العداء لكم ثم بين الجولة والفرش فقال عز وجل (ثمانية أزواج) يعني وأنشأ من الانعام ثمانية أزواج يعني ثمانية اصناف والزواج في اللغة الفرد إذا كان معه آخر من جنسه لا ينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنين فيقال للذكر زوج وللانثى زوج (من الضأن اثنين) يعني الذكر والانثى والضأن ذوات الصوف من الغنم والواحد ضائن والانثى ضائنة والجمع ضوائن (ومن المعز اثنين) يعني الذكر والانثى والمعز ذوات الشعر من الغنم والواحد معاز والجمع معزى (قل آل ذكرين حرم أم الانثيين) استفهام انكار أي قل يا محمد هؤلاء الجاهلة آل ذكرين من الضأن والمعز حرم عليكم أم الانثيين منهما فان كان حرم الذكرين من الغنم فكل ذكر كورها حرام وان كان حرم الانثيين منهما فكل انثى حرام (أم ما شتمت عليه أرحام الانثيين) يعني أم حرم ما شتمت عليه أرحام الانثيين من الضأن والمعز فانها لا تشتمل الا على ذكر أو أنثى (ينبؤني) أي أخبروني وفسر والى ما حرمتم (بعل ان كنتم صادقين) يعني أن الله حرم ذلك عليكم (ومن الأبل اثنين ومن البقر اثنين) وهذه أربعة أزواج آخر بقية الثمانية (قل آل ذكرين حرم أم الانثيين) أم ما شتمت عليه أرحام الانثيين وتفسير هذه الآية نحو ما تقدم وفي هاتين الآيتين نرى نهي ونوع من الله تعالى لاهل الجاهلية بقصر بهم ما لم يحرم الله وذلك انهم كانوا يقولون هذه أنعام وحش يحجر وقالوا ما في بطون هذه الانعام خاصة لذكورنا وحرم على أزواجنا وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون الرجال كما أخبر الله عنهم في كتابه فلما جاء الاسلام وثبت الاحكام جادوا النبي

الى غير الوحوب لان هذه الصيغة مفيدة لدفع الحرج وقال بعضهم المقصود اباحة الاكل قبل اخراج الحق لانه تعالى لما اوجب الزكاة في الحبوب والثمار كان محتمل أن يحرم على المالك أن يأكل منها شيئاً قبل اخراج الواجب فيها للمكان شركة الفقراء والمساكين معه فباح الله أن يأكل قبل اخراجه لان رعاية حق النفس متقدمة على رعاية حق الغير وقيل انما قال تعالى كلوا مما ثمره اذا اثمر بصيغة الامر ليعلم أن المقصود من خلق هذه الاشياء التي أنعم الله بها على عباده هو الاكل (وأنواحقه يوم حصاده) يعني يوم جذاذه وقطعه واختلعه وفي هذا الحق للمأمور باخراجه فقال ابن عباس وأنس بن مالك هو الزكاة المفروضة وهذا قول طاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب ومحمد بن الحنفية وقدادة قال قدادة في قوله وأنواحقه يوم حصاده أي من الصدقة المفروضة ذكر لنا أن نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم من فباسقت السماء والدين السائمة وأستقاه الليل والندى وكان بعلا العشر كاملاً وإن سقي بنضح أو سانية ف نصف العشر وهذا فيما يكال من الثمرة والزرع وبلغ خمسة أسوق وذلك ثلثاً فصاع فقد وجب فيها حق الزكاة وفي رواية عن ابن عباس في قوله تعالى وأنواحقه يوم حصاده قال هو العشر ونصف العشر فان قلت على هذا التفسير اشكال وهو ان فرض الزكاة كان بالمدينة وهذه السورة مكية فكيف يمكن حمل قوله وأنواحقه يوم حصاده على الزكاة المفروضة قلت ذكر ابن الجوزي في نفسه براهين عن ابن عباس وقدادة أن هذه الآية نزلت بالمدينة فعلى هذا القول تكون الآية محكمة نزلت في حكم الزكاة وإن قلنا أن هذه الآية مكية تكون منسوخة بآية الزكاة لا نراه قد روى عن ابن عباس أنه قال نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن وقيل في قوله تعالى وأنواحقه يوم حصاده أنه حتى سوى الزكاة فرض يوم الحصاد وهو اطعام من حضر وترك ماسط من الزرع والتمر وهذا قول علي بن الحسن وعطاء ومجاهد وحاد قال ابراهيم هو الغنم وقال الربيع هو لقاط السبل وقال مجاهد كانوا يجيئون بالعنق عند الصرام فيأكل منه من مر وقال بن يدين الاصح كان أهل المدينة اذا صرموا النخل يجيئون بالعنق فيه لقونه في جانب المسجد فيجيء المسكين فيضربه بعصاه فاسقط منه أكله فعلى هذا القول هل هذا الامر أمر وجوب أو استحباب ونذب فيه قولان أحدهما أنه أمر وجوب فيكون منسوخاً بآية الزكاة بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي هل على غيره ها قال لا الآن نطوع والقول الثاني أنه أمر نذب واستحباب فتكون الآية محكمة وقال سعيد بن جبير كان هذا احقاباً من باخراجه في ابتداء الاسلام ثم صار منسوخاً بإيجاب العشر ولقول ابن عباس نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن واختار هذا القول الطبري ومحممه واختار الواحدى والرازي القول الاول ومحممه فان قلت فعلى القول الاول كيف تؤدي الزكاة يوم الحصاد والحب في السبل وانما يجب الاخراج بعد التصفية والجفاف قلت معناه قدر وأداء اخراج الواجب منه يوم الحصاد فانه قريب من زمان التنقية والجفاف ولان النخل يجب اخراج الحق منه يوم حصاده وهو الصرام والزرع محمول عليه لأنه لا يمكن اخراج الحق منه الا بعد التصفية وقيل معناه وأنواحقه الذي وجب يوم حصاده بعد التصفية وقيل ان فائدة ذكر الحصاد ان الحق لا يجب بنفس الزرع وبلوغه انما يجب يوم حصاده وحصوله في يده المالكه لا فيما يثلف من الزرع قبل حصوله في يده المالكه وقوله تعالى (ولا تسرفوا) الاسراف تجاوز الحد فيما يفعله الانسان وإن كان في الاتفاق أشهر وقيل السرف تجاوز ما حد لك وسرف المال انفاقه في غير منفعة ولهذا قال سفيان ما نفقت في غير طاعة الله فهو سرف وإن كان قليلاً قال ابن عباس في رواية عنه محمد بن قيس بن شماس فصرم خمسمائة نخلة فقسمة في يوم واحد ولم يترك لاهله شيئاً فأنزل الله هذه الآية ولا تسرفوا قال السدي معناه لا تخطوا أموالكم وتعدوا ففراء قال الزجاج فعلى هذا الواو أعطى الانسان كل ماله ولم يوصل الى عياله شيئاً فقد أسرف لانه قد صرح في الحديث ابداً بمن تعول وقال سعيد بن المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة فتأويل الآية على هذا القول لا تجاوزوا

الملاع الشجر الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا أدرك (وأنواحقه) عشره وهو حبة أبي حنيفة رحمه الله في تعميم العشر (يوم حصاده) بصرى وشامى وعاصم وبكر الحاء غيرهم وهما الفتان (ولا تسرفوا) باعطاء الكل وتضييع العيال وقوله يكلوا الى

ودخلت الهاء في خالصة لتأ كيدوا بالمباغضة كقولهم رجل علامة ونسابة وقال الفراء دخلت الهاء لتأ نيت الانعام لان مافى بطونهم مثلها فانث بتأنيهم اوقال السكاسي خالص وخاصة واحد مثل وعظ وموعظة وقيل اذا كان اللفظ عبارة عن مؤث جاز تأنيته على المعنى ونذكره على اللفظ كما في هذه الآية فانه انث خالصة على المعنى وذ كرو محرم على اللفظ (سيعجز بهم وصفهم) يعني سيعكفهم بسبب وصفهم على الله الكذب (انه حكيم عليم) فيه وعيد وتهديد يعني انه تعالى حكيم فيما يفعله علم بقدر استحقاقهم ﴿قوله تعالى﴾ (قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم) قال عكرمة زلت يعين يبد النبات من ربيعة ومضر وكان الرجل يقاضى الرجل على أن يستحي جارية ويبدأ أخرى فاذا كانت الجارية التي توادعها الرجل أوراخ من عند امرأته وقال لم انت علي كظهر رأي ان رجعت اليك ولم تبدها فتخذها في الارض خد او ترسل الى نساها فيجتمعن عندها ثم يتداولنها بينهم حتى اذا ابصر نساء رجعا دستها في حفرتهم سموت عليها التراب وقال قتادة هذا من صنيع أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنه مخافة السبي والفاقة وبذركه ما سبب الخسران المذكور في قوله قد خسر الذين قتلوا اولادهم ان الولد نعمة عظيمة أنعم الله بها على الوالد فاذا تسبب الرجل في ازالة هذه النعمة عنه وباطالها فقد استوجب الندم وخسر في الدنيا والآخرة اما خسارته في الدنيا فقد سعى في نقص عدده وازالة ما أنعم الله به عليه واما خسارته في الآخرة فقد استحق بذلك العذاب العظيم وقوله سفها بغير علم يعني فعلا وذلك للسفاهة وهي الخفة والجهالة المذمومة وسبب حصول هذه السفاهة هو قلة العلم بل عدمه لان الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا سمو ا جاهلية ﴿قوله تعالى﴾ (وحرموا ما رزقهم الله) يعني البحائر والسوائب والخاصي وبعض الحروث وبعض مافى بطون الانعام وهذا ايضا من أعظم الجاهلة (افترأ على الله) يعني أنهم فعلا وهذه الافعال المذمومة وزعموا أن الله أمرهم بذلك وهذا افترأ على الله وكذب وهذا ايضا من أعظم الجاهلة لان الجراء على الله والكذب عليهم من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر ولهذا قال تعالى (قد ضلوا) يعني في فعلهم عن طريق الحق والرشاد (وما كانوا مهتدين) يعني الى طريق الحق والصواب في فعلهم (خ) عن ابن عباس قال اذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم الى قوله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴿قوله عز وجل﴾ (وهو الذي أنشأ جنات معروشات) يعني والله الذي ابتدع وخلق جنات يعني بساكنين معروشات (غير معروشات) يعني مسموكات من نفعات وغير من نفعات وأصل العرش في اللغة شيء مشقف يجعل عليه الكرم وجمعه عروش يقال عرشت الكرم أعرشه عرشا وعرشته تعريشا اذا جعلته كهيمة السقف واعتش الغلب العريش اذا علاه وركبه واختلوا في معنى قوله معروشات وغير معروشات فقال ابن عباس المعروشات ما تنبت على الارض وانتشر بما يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو ذلك وغير معروشات ما قام على ساق ونسق كالنخل والزرع وسائر الشجر وقال الضحاك كلاهما في الكرم خاصة لان منه ما يعرش ومنه ما لم يعرش بل يرقى على وجه الارض منبسطة وقيل المعروشات ما عرسه الناس في البساتين واهو به فعرشوه من كرم وغيره وغير معروشات هو ما تنبت الله في البراري والجبال من كرم وأشجار (والنخل والزرع) يعني وأنشأ النخل والزرع وهو جميع الحبوب التي تقنات وتدخر (مختلفا كاه) يعني به اختلاف الطعوم في الثمار كالخلو والحمض والجيد والردى ونحو ذلك (والزيتون والريمان متشابه) يعني في النظر (غير متشابه) يعني في الطعم كالزيتون لونهما واحد وطعمهما مختلف وقيل ان ورق الزيتون يشبه ورق الريمان ولكن ثمرهما مختلف في الجنس والطعم (كلوا من ثمرة اذا أثمر) لما ذكر ما أنعم الله به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على أنواع من الثمار ذكرها هو المقصود الاصل وهو الانتفاع بها فقال تعالى كلوا من ثمرة اذا أثمر وهذا أمر اباحة وتيسر بهذا بعضهم فقال الامر قد يرد

جزءا وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحرير (انه حكيم) في جزائهم (علم) باعتقادهم (قد خسر الذين قتلوا اولادهم) كانوا يندون بناتهم مخافة السبي والفقر قتلوا مكى وشامى (سفها بغير علم) خلفه أحلامهم وجهلهم بان الله هو رازق اولادهم لاهم (وحرموا ما رزقهم الله) من البحائر والسوائب وغيرها (افترأ على الله) مفعول له (قد ضلوا وما كانوا مهتدين) الى الصواب (وهو الذي أنشأ) خلق (جنات) من الكروم (معروشات) مسموكات من فروع (وغير معروشات) متروكات على وجه الارض لم تعرش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القصبان (والنخل والزرع مختلفا) في اللون والطعم والجسم والرائحة وهو حال مقدرة لان النخل وقت خروجه لا كل فيه حتى يكون مختلفا وهو كقوله فادخلوها خالد بن (أ كاه) أ كاه مجازي وهو ثمرة الذي يؤكل والتمبر للنخل والزرع داخل في حكمه لانه معطوف عليه أو لكل واحد (والزيتون والريمان متشابه) في اللون (وغير متشابه) في الطعم (كلوا من ثمرة) من ثمركل واحد وفائدة (اذا أثمر) أن يعلم أن أول وقت الاباحة وقت

زين لكثير من المشركين) أي كاز بن لهم نجزة المال زين وأد البنات (قتل) مفعول زين (وأولادهم شركاؤهم) هو فاعل زين زين بالضم قتل بالرفع أولادهم بالنصب شركاؤهم بالجرح شامى على إضافة القتل إلى الشركاء أي الشياطين والفصل بينهم ما بين الطرف وهو المفعول وتقدره زين لكثير من المشركين قتل شركاؤهم أولادهم (يردوهم) يهلكوهم بالاغواء (وليسوا عليهم دينهم) وليخطوا عليهم ويشوبوه ودينهم كانوا (٦٥) عليه من دين اسمعيل حتى زلوا عنه إلى الشرك (ولو شاء الله ما فعلوه) وفيه

جهل منهم كذلك زين لكثير منهم قتل أولادهم شركاؤهم والمعنى أن جعلهم لله نصيبا من أموالهم وأشركاؤهم نصيبا في غاية الجبل بغير فخر خالق المنع لاهم جعلوا الأصنام مثله في استحقاق النصب وكذلك أقدمهم على قتل أولادهم في نهاية الجاهلية يضاف كانه قال ومثل ذلك الذي فعلوه في القسم جهلا وخطأ وضلالا كذلك (زين) يعني حسن (الكثير من المشركين قتل أولادهم) يعني به أد البنات أحياء مخافة الفقر والعيلة (شركاؤهم) يعني شياطينهم وأمرهم أن يقتلوا أولادهم خشية الفقر وسميت الشياطين شركاء لانهم أطاعوهم فيما أمرهم به من معصية الله وقتل الأولاد فأشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم وأضيف الشركاء إلى المشركين لانهم أطاعوهم واتخذوهم أربابا وقال الكلبي شركاؤهم سدة آلتهم يعني خدامها وهم الذين كانوا يزبون ويحسنون للكفار قتل الأولاد وكان الرجل في الجاهلية يقوم فيحلف أن ولده كذا وكذا غلاما ليخبرن آخرهم كاحلف عبد المطلب على ابنه عبد الله فعلى هذا القول الشركاء هم السدة وخدام الأصنام سمو شركاء لانهم أشركوهم في الطاعة (يردوهم) يعني يهلكوهم بذلك الفعل الذي أمرهم به والرداء في اللغة الإهلاك قال ابن عباس يردوهم في النار (وليسوا عليهم دينهم) يعني وليخطوا وأعلمهم دينهم قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين اسمعيل عليه السلام فرجوا عنه بتليس الشياطين وأنما فعلوا ذلك ليزيلوهم عن الدين الحق الذي كان عليه اسمعيل وأبراهيم عليهما الصلاة والسلام فوضعوا لهم هذه الأوضاع الفاسدة وزينوها لهم (ولو شاء الله ما فعلوه) يعني ولو شاء الله لعصمهم من ذلك الفعل القبيح الذي زين لهم من تحريم الحرث والنعام وقتل الأولاد أخبرنا عذرجل أن جميع الأشياء بمشيئته واد أنه إذ نولم بشأما فعلوا ذلك (فذرهم) يعني فاتركهم يا محمد (وما يفترون) يعني وما يمتدقون من الكذب على الله فإن الله لهم بالمرصاد قوله تعالى (وقالوا) يعني المشركين (هذه أنعام وحرث حجر) أي حرام وأصله المنع لانه منع من الانتفاع منه بتحريمه وقيل هو من التضييق والجلس لانهم كانوا يحبسون أشياء من أنعامهم وحرثهم لألتهم قال مجاهد يعني بالانعام البحرية والسائبة والوصيلة والخاص (لا يطعمها إلا من نشأ بزعمهم) يعني يا كاهلها خدام الأصنام والرجال دون النساء (وأنعام حرمت ظهورها) يعني الحوامي وهي الأنعام التي حواظها روعا عن الركوب ففكوا لا يركبونها (وأنعام لا يذ كرون اسم الله عليها) يعني لا يذ كرون اسم الله عليها عند الذبح وإنما كانوا يذ كرون عليها أسماء الأصنام وقيل معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها الفعل الخبر لانه لما جرت العادة بذكر الله على فعل كل خير ذم هو لا على ترك فعل الخير (افتراء عليه) يعني أنهم كانوا يفعلون هذه الأفعال ويزعمون أن الله أمرهم به وذلك اختلاق وكذب على الله عز وجل (سيعجزهم بما كانوا يفترون) فيه وعيد وتهديد لهم على افتراءهم على الله الكذب قوله عز وجل (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة للذكور نار محرمة على أزواجنا) يعني نساءنا قال ابن عباس وقتادة والشعبي أراد أجنة البحائر والسوائب فأولادها من أحياء فخالص للرجال دون النساء وما ولد منها ميتا كاه الرجال والنساء جميعا وهو قوله تعالى (وان يكن ميتة فهم فيه شركاء)

دليل على ان الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى (فتنهم وما يفترون) وما يفترونه من الأفلاك أو افتراءهم لان ضر ذلك الافتراء عليهم لا عليك ولا علينا (وقالوا هذه أنعام وحرث للأوثان وحرث) حرام فعل بمعنى المفعول كالذبح والطحن ويستوى في الوصف به المذكور والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الأسماء غير الصفات وكانوا إذ ادعوا أنها أشياء من حرثهم وأنعامهم لأنهم قالوا (لا يطعمها إلا من نشأ بزعمهم) يعنون خدام الأوثان والرجال دون النساء والزعم قول بالظن يشوبه الكذب (وأنعام حرمت ظهورها) هي البحائر والسوائب والحوامى (وأنعام لا يذ كرون اسم الله عليها) حالة الذبح وأنما يذ كرون عليها أسماء الأصنام (افتراء عليه) هو مفعوله أو حال أي قسموا أنعامهم قسم حجر وقسم لا يركب وقسم لا يذ كرون

اسم الله عليهم أو نسبوا ذلك إلى الله افتراء عليه (سيعجزهم بما كانوا يفترون) وعيد (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة للذكور نار محرمة على أزواجنا) كانوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها أحياء فهو خالص للذكور لا يأكل منه إلا ما كان ميتا لا يشترك فيه الذكور والإناث وأنت خالصة وهو خير ما للحمل على المعنى لان ما في معنى الأجنة وذ كرون محرمة حلا على اللفظ وإنما للمبالغة كناية (وان يكن ميتة) أي وان يكن ما في بطونها ميتة وان تكن ميتة أبو بكر أي وان تكن الأجنة ميتة وان تكن ميتة شامى على كان التامة يكن ميتة مكى لتقدم الفعل ونذ كبر الضمير في (فهم فيه شركاء)

ودخلت

عالمائى اثبتوا هلى كفركم وعداوتكم لى فاقى ثابت على الاسلام وعلى مصابركم وهو امر تهديد وعيد دليله قوله (فسوف تعلمون من نذكر له عاقبة النار) أى فسوف تعلمون أى نأتاكون له (٥٩) العاقبة المحمودة وهذا طريق

على أمر الكفار بالاقامة على ما هم عليه من الكفر وذلك ليجوز قلت معنى هذا الامر الوعيد والتهديد  
والبالغة في الزجر عما هم عليه من الكفر فكانت قوله اقبوا على ما كنتم عليه من الكفر ان رضىتم  
لانفسكم بالعذاب الدائم فهو كلمة تعالى اعلموا ما شئتم ففيه نفوذ امر العمل اليهم على سبيل الزجر  
والتهديد وليس فيه اطلاق لهم في عمل ما ارادوه من الكفر والمعاصي ﴿وقوله تعالى﴾ (فسوف تعلمون)  
يعني لمن تكون العاقبة المحمودة لنا اولكم وقيل معناه فسوف تعلمون عند نزول العذاب بكم ايضا  
كان على الحق في عمله نحن ام انتم (من تكون له عاقبة الدار) يعني فسوف تعلمون غدا في القيامة لمن  
تكون عاقبة الدار وهي الجنة (انه لا يفلح الظالمون) قال ابن عباس معناه انه لا يسعد من كفر في وأشرك  
ثم في هذه الآية قولان أحدهما انها محكمة وهذا على قول من يقول ان المراد بقوله يعملوا على  
مكاتمتكم الوعيد والتهديد والقول الثاني انها مسوخة بآية السيف وهذا على قول من يقول ان المراد بها  
ترك القتال ﴿وقوله تعالى﴾ (وجعلوا لله مآذرا من الحرث والانعام نصيبا) الآية لما بين الله عز وجل قبح  
طريقة الكفار وما كانوا عليه من انكار البعث وغير ذلك عقبه بذلك أنواع من جهالاتهم وأحكامهم  
الفاسدة فنبهها على ضعف عقولهم وفساد ما كانوا عليه في الجاهلية فقال تعالى وجعلوا لله مآذرا يعني مما  
خافوا من الحرث يعني الزرع والثمر والانعام يعني ومن الانعام وهي الابل والبقر والغنم نصيبا يعني قسما  
وجزاء المفسرون كان المشركون في الجاهلية يجعلون لله من حرثهم وبقرهم وغنمهم وأنعامهم وسائر  
مواعظهم نصيبا وللانعام نصيبا فلما جعلوا لله من ذلك كله صرفوه الى الضيق والمساكين وما جعلوا  
للانعام أنفقه عليهم او على خدمتها فان سقط شيء مما جعلوا لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا  
ان الله غنى عن هذا وان سقط شيء من نصيب الاوثان فيما جعلوا لله تركوه الى الاوثان وقالوا انها  
محتاجة اليه وكانوا اذا هلك شيء مما جعلوا لله لم يلجأوا به واذا انتقص شيء مما جعلوا لله للاوثان جبروه مما  
جعلوا لله فذلك قوله وجعلوا لله مآذرا من الحرث والانعام نصيبا وفيه اختصار تقدير وجه جعلوا لله مما  
ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وللانعام نصيبا (فقالوا هذا لله بزعمهم) يعني قولهم الذي هو بغير  
حقيقة لان معنى زعم حكاية قول يكون منظمة للكذب ولذلك لا يجيء الا في موضع ذم لقائمه وانما نسبوا  
الى الكذب في قولهم هذا لله بزعمهم وان كانت الاشياء كلها لله لاضافتهم نصيب الانعام مع نصيب الله وهو  
قولهم (وهذا شركائنا) يعني الانعام وانما نسبوا للانعام شركاء لانهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم  
ينفقونه عليها (فا كان شركائهم) يعني ما جعلوا لها من الحرث والانعام (فلا يصل الى الله) يعني فلا يعطونه  
المساكين ولا ينفقونه على الضيقان (وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) والمعنى انهم كانوا يقرون  
ما جعلوا للانعام مما جعلوا لله ولا يقرون ما جعلوا لله مما جعلوا للانعام وقال قتادة كانوا اذا صابتهم سنة  
أي حط وشدة استعانوا بما جعلوا لله أو كلوا منه وفرر ما جعلوا لشركائهم ولم يأكلوا منه شيئا وقال الحسن  
والسدي كانوا اذا هلك ما جعلوا لشركائهم أخذوا به مما جعلوا لله ولا يفقهون ذلك فيما جعلوا لشركائهم  
فلذلك ذمهم الله تعالى فقال (ساء ما يحكمون) يعني بس ما يحكمون ويقضون وذلك انهم رجحو جانب  
الانعام على جانب الله تعالى في الرعاية والحفظ وهذا اسفه منهم وقيل ان الاشياء كلها لله عز وجل وهو خلقها  
فلما جعلوا للانعام جزءا من الملوحى لذلك ولا تخاف ولا تضر ولا تنفع نسبو الى الاساءة في الحكم والمقصود  
من ذلك بيان ما كانوا عليه في الجاهلية من هذه الاحكام الفاسدة التي لم يردها شرع ولا نص ولا يحسنها عقل  
﴿وقوله عز وجل﴾ (وكذلك) عطف على قوله وجعلوا لله مآذرا من الحرث والانعام نصيبا يعني كما فعلوا ذلك

قوله مما ذرأ ان الله كان اولى بان يجعل له الزنا كي لا هو الذي ذرأ ثم ذم صديقهم بقوله (ساء ما يحكمون) في اشارة اهلهم على الله وعلماء على الميراث عظمه وموضع ما رفعوا ساء الحكمه وانصباى ساء حكم احكامهم (وكذلك

(ومبارك بغافل عما يعملون) بهاء عنه وبإتاء شامى (وربك الغنى) عن عباده وعن عبادتهم (ذوالرحمة) عليهم بالكيف ليعرفهم للذافع الدائمة (ان يشأ يذهبكم) أيها الظالمة (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) من الخلق المطيع (كأننا كم من ذرية قوم آخرين) من أولاد قوم آخرين لم يكنو نوعا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام (انما) ما بمعنى الذى (نعودون) من البعث والحساب والثواب والعقاب (لآت) خبر ان أى لكانن (وما أنتم بمجزيين) بفاتتين ردا وطولهم من مات فقد فات المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله (قل) يقوم اعمالوا على مكاتكم) بمحمل اعمالوا على تمككنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وامكانكم واعملوا على جهنم وحالكم التى أنتم عليها ويقال للرجل اذا أمر أن يثبت على حاله على مكاتك يا فلان أى اثبت على ما أنت عليه لا تتغير عنه وقال ابن عباس معناه اعمالوا على ناحيتكم (انى عامل) يعنى انى عامل على مكاتى التى اناعلها وما أمرنى به فى والغنى انتمو على ما أنتم عليه من الكفر والعداوة فاني ثاب على الاسلام والمصابرة فان قلت ظاهر الآية يدل على

المفسرين وقيل ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا تختص باهل الطاعة لان اعظ الدرجة لا يلقى الا بهم وقوله تعالى (ومار بك بغافل عما يعملون) تختص باهل الكفر والمعاصى ففيه وعيد وتهديد لهم والقول الاول اصح لان علمه تعالى شامل لكل المعلومات فيدخل فيه المؤمن والكافر والطائع والعاصى وانه عالم باعمالهم على التفصيل التام فيجزى كل عامل على قدر عمله وما يليق به من ثواب وعقاب ﴿ قوله عز وجل (وربك الغنى) يعنى عن خلقه وذلك أنه تعالى لما بين ان لكل عامل بطاعة أو معصية درجة على قدر عمله بين ان تخصيص المطيعين بالثواب والعاصيين بالعقاب ليس لانه محتاج الى طاعة المطيع أو منتهى معصية العاصى بل هو الغنى على الاطلاق وان جميع الخلق فقراء اليه (ذوالرحمة) قال ابن عباس باولياته وأهل طاعته وقال الكلبي بخلق ذوالرحمة من رحمته تأخير العذاب عن المذنبين لهم ثم يوبون ويرجعون (ان يشأ يذهبكم) يعنى يهلككم الخطاب لاهل مكة ففيه وعيد وتهديد لهم (ويستخلف) يعنى ويبدل ويخلق (من بعدكم) يعنى من بعد اهل ككم (ما يشاء) يعنى خلقا غيركم أمثل وأطوع منكم (كأننا كم من ذرية قوم آخرين) اختلفت عبارات المفسرين فى هذه اللفظة فقال البغوى يعنى آباءهم الماضين قرنا بعد قرن ونحوه قال الواحدى وصاحب الكشف يعنى من أولاد قوم آخرين لم يكنو نوعا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام وقال الامام غفر الدين الرازى فى قوله تعالى ويستخلف من بعدكم يعنى من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فأت وأما قوله ما يشاء فالمراد منه خلق ثالث أوراع واختلاف فيه فقال بعضهم خلقا آخر من أمثال الجن والاناس قال القاضى وهو الوجه الاقرب لان القوم يعلمون بالعادة انه تعالى قادر على انشاء أمثال هذا الخلق فحتى كمل خلق ثالث ورابع يكون أقوى فى دلالة القدرة فكانه تعالى نيه على ان قدرته ليست مقصورة على جنس دون جنس من الخلق الذين يصلحون لرحمته العظيمة التى هى الثواب فبين بهذا الطريق انه تعالى لرحمته طولاء الاقوام الحاضرين أبقاهم وأهلهم ولوشاء لانهم وأفتاهم وأبدل منهم سواهم ثم بين الله تعالى قوة قدرته على ذلك فقال كأننا كم من ذرية قوم آخرين لان المراد انفسكم علم انه تعالى خالق الانسان من نقطة ليس فيها من صورته قبيل ولا كثير فوجب أن يكون ذلك بمحض القدرة والحكمة واذا كان كذلك فكيف قدر على تصور هذه الاجسام بهذه الخاصة فكذلك يقدر على تصورهم خالقاً آخر مخالفا لها هذا آخر كلامه وقال الطبرى فى قوله كأننا كم من ذرية قوم آخرين يقول كما حدثتكم وابتدعكم من بعد خالق آخرين كانوا قبلكم ومعنى من فى هذا الموضع التعقيب كما يقال فى الكلام اعطيتك من دينارك ثوبا يعنى مكان الدينار ثوبا لأن الثوب من الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله كأننا كم لم يردوا بخارهم وهذا اخير انهم أنشؤا من أصلا ب قوم آخرين ولكن معنى ذلك ما ذكرناهم أنشؤا مكان قوم آخرين قد أهلكوا قبلكم ﴿ قوله تعالى (ان ما نعودون) به من مجىء الساعة والبعث بعد الموت والجنس للحساب يوم القيامة (لآت) يعنى انه كان قريب (وما أنتم بمجزيين) يعنى بفاتتين حينما كنتم يدرككم الموت (قل) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى قل يا محمد (يا قوم) أى قل لقومك من كفار قريش (اعملوا على مكاتكم) وقرى مكاتكم على الجمع والمكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة كما يقال مقام ومقامة فقوله اعمالوا على مكاتكم محتمل أن يكون معناه اعمالوا على تمككنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وامكانكم ويحتمل أن يكون معناه اعمالوا على حالكم التى أنتم عليها كما يقال للرجل اذا أمر أن يثبت على حاله مكاتك يا فلان أى اثبت على ما أنت عليه لا تتغير عنه وقال ابن عباس معناه اعمالوا على ناحيتكم (انى عامل) يعنى انى عامل على مكاتى التى اناعلها وما أمرنى به فى والغنى انتمو على ما أنتم عليه من الكفر والعداوة فاني ثاب على الاسلام والمصابرة فان قلت ظاهر الآية يدل



على ذلك لانه قال تعالى ألم يأتكم رسل منكم يخاطب الفريقين جميعاً وأجيب عن ذلك بان الله تعالى قال  
بامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم وهذا يقتضى كون الرسل بعضهم أبعاض هذا المجموع وإذا  
كان الرسل من الانس كان الرسل بعضهم أبعاض هذا المجموع وكان هذا القول أولى من حل لفظ الآية  
على ظاهرها فثبت بذلك كون الرسل من الانس لامن الجن ويحتمل أيضاً ان يقال ان كافة الرسل كانوا من  
الانس لكن الله تعالى باقى الباعية فى قلوب قوم من الجن حتى يسمعو كلام الرسل من الانس ثم ياتوا قومه  
من الجن فيخبروهم بما سمعوا من الرسل ويذروهم به كما قال تعالى وأذصرنا عليك نفر من الجن يستمعون  
القرآن الى فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين فكان أولئك النفر من الجن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم  
الى قومهم وهذا مذبح جهاد فانه قال الرسل من الانس والنذر من الجن ونحو ذلك قال ابن جرير وأبو عبيدة  
وقيل كانت الرسل يبعثون الى الجن من الجن ولكن بواسطة رسل الانس والله اعلم بمراده وأسرار كتابه  
﴿وقوله تعالى﴾ (يقصون عليكم آياتي) يعنى يخبرونكم بما أوحى اليهم من آياتي الدالة على توحيدى وتصديق  
رسلى (ويذرونكم لقاء بومكم هذا) يعنى ويحذرونكم ويخوفونكم لقاء عدائى فى بومكم هذا وهو يوم  
القيامة وذلك ان الله تعالى يقول يوم القيامة لكفار الجن والانس على سبيل التفرع والتوابع ما خبرنى  
كتابى وهو قوله تعالى بامعشر الجن والانس الآية فيجيبون بما أخبر عنهم فى قوله تعالى (قالوا) يعنى كفار  
الجن والانس (شهدنا على أنفسنا) اعترفوا بان الرسل قد أتتهم وبلغتهم رسالات ربهم وأذروهم لقاء  
يومهم هذا وانهم كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله  
تعالى (وغرهم الحياة الدنيا) يعنى إنما كان ذلك بسبب انهم غرهم الحياة الدنيا وما لوالها (وشهدوا على  
أنفسهم انهم كانوا كافرين) فى الدنيا فان قلت كيف أقروا على أنفسهم بالكفر فى هذه الآية وسجدوا  
الشرك والكفر فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت يوم القيامة يوم طوىل والاحوال فيه مختلفة فاذا  
رأوا ما حصل للمؤمنين من الخير والفضل والكرامة أنكروا الشرك لعل ذلك الانكار ينفعهم وقالوا  
والله ربنا ما كنا مشركين فيخندبهم على أقوالهم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر فلما قال قوله  
تعالى وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين فان قلت لم كرر شهادتهم على أنفسهم قلت شهادتهم الاولى  
اعتراف منهم بما كانوا عليه فى الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب الرسل وفى قوله وشهدوا على أنفسهم  
ذم لهم وتخطئة لآلهم ووصف اذلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرهم الحياة الدنيا ولذا نهاها كانت عاقبة  
أمرهم أن اضطروا الى الشهادة على أنفسهم بالكفر والمقصود من شرح حالهم تحذير السامعين وزجرهم  
عن الكفر والمعاصى ﴿قوله عز وجل﴾ (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من بعثة الرسل اليهم وانذارهم  
سوء العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك الذى فصصنا عليكم من أمر الرسل وأمرعذاب من كذبهم (أن لم يكن  
ربك) يعنى لانه لم يكن ربك (مهلك القرى بظلم) قال السكيت معناه لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل  
أن تأتهم الرسل فتنهاهم فان رجعوا والآنهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الفراء يجوز أن  
يكون المعنى لم يكن ليهلكهم بظلم منه (وأهلها غافلون) أى وهم غافلون فعلى قول الجمهور يكون الظلم فعلاً  
للكفار وهو شركهم وذنوبهم التى عملوها وعلى قول الفراء أنه لو أهلكهم قبل بعثة الرسل اسكان ظالموا الله  
عز وجل بتعالى عن الظلم والقول الاول أصح لانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه  
فى شئ من أفعاله غير أنه أخبر أنه لا يعذب قبل بعثة الرسل ولو فعل ذلك لم يكن ظالمهم ﴿قوله تعالى﴾ (ولكل  
درجات مما عملوا) يعنى ولكل عامل بطاعة الله بمصيته درجات يعنى منازل يباغها بعمله ان كان خيراً غير  
وان كان شراً غير وانما سميت درجات لتفاضلها فى الارتفاع والانخفاض كتفاضل الدرج وهذا لما يباينون  
فى الثواب والعقاب على قدر أعمالهم فى الدنيا فاعلمهم من هو أعظم ثواباً ومنهم من هو أشد عقاباً وهو قول جمهور

(يقصون عليكم آياتي) (يقصون عليكم آياتي)  
يقرون كسبى (ويذرونكم)  
لقاء بومكم هذا) يعنى  
يوم القيامة (قالوا) ههنا  
على أنفسنا (وجوب  
الحجة علينا وتبليغ الرسل  
اليها) (وغرهم الحياة الدنيا  
وشهدوا على أنفسهم أنهم  
كانوا كافرين) بالرسول  
(ذلك) اشارة الى ما تقدم  
من بعثة الرسل اليهم وهو  
خبر مبتدأ محذوف أى  
الامر ذلك (ان لم يكن  
ربك مهلك القرى بظلم  
وأهلها غافلون) لتعليل أى  
الامر ما قصصنا عليك  
لاتقاء كون ربك مهلك  
القرى بظلم على أن  
أن مصدرية ويجوز أن  
تكون مخففة من الثانية  
والغنى لان الشأن والحديث  
لم يكن ربك مهلك القرى  
بظلم بسبب ظلم قدموا عليه  
أوظلما على أنه لو أهلكهم  
وهم غافلون لم ينهوا رسول  
وكتاباً كان ظالموا هو  
متعالي عنه (واسكن) من  
المكافئين (درجات) منازل  
(مما عملوا) من جزاء أعمالهم  
وبه استدل أبو يوسف  
ومحمد سرجهما الله على أن  
للجن الثواب بالطاعة لانه  
ذكر عقيب ذكر التقلين

(و بلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) يعني ان ذلك الاستمتاع كان الى أجل معين ووقت محدد ثم ذهب وبقيت الحسرة والندامة قال الحسن والسدى الاجل الموت وقيل هو وقت البعث للحساب في يوم القيامة (قال) يعني قال الله طولا لاء الذين استمتع بعضهم ببعض من الجن والانس (النار ثمواكم) يعني ان النار مقامكم ومقرم فيها ومصبركم اليها (خالد بن فيها) يعني مقبضين في نار جهنم أبدا (الاشاء الله) اختلفوا في معنى هذا الاستثناء فقيل معناه خالد بن فيها الا فرمده بغيرهم ووقعهم بالحساب الى حين دخوله الى النار فان هذا الوقت ليسوا بخالد بن فيها في النار وقيل المراد من هذا الاستثناء هو اوقات تقايمهم من عذاب الى عذاب آخر وذلك انهم يستغيثون من النار فيقولون الى الزمهر يرتهم يستغيثون منه فيقولون الى النار فكانت مدة تقايمهم هي المراد من هذا الاستثناء ونقل جمهور المفسرين عن ابن عباس انه قال ان هذا الاستثناء يرجع الى قوم سبق فيهم علم الله أنهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم فيخرجون من النار فلو افعلى هذا التأويل تكون مافى قوله الاشاء الله بمعنى من يعني الامن شاء الله ونقل الطبري عن ابن عباس انه كان يتأول هذا الاستثناء بان الله عز وجل جعل أمر هؤلاء القوم في مبلغ عذابهم الى مشيئته وقال في هذه الآية انه لا ينبغي لاحد ان يحكم على الله في خلقه ان لا يظلم جنه ولا اراقال الزجاج والقول الاول أولى لان معنى الاستثناء انما هو يوم القيامة لان قوله يوم يحشرهم جميعا هو يوم القيامة ثم قال خالد بن فيها من يدعيهون الاشاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدة محاسبتهم (ان ربك حكيم) يعني في تدبير خلقه وتصريفه اياهم في مشيئته من حال الى حال وغير ذلك من افعاله وقيل حكمهم فيما يفعلهم من ثواب الطائع وعقاب العاصي وفي سائر وجوه المجازاة (عليم) يعني بعواقب أفعالهم ومور خلقه وما هم اليه صائرون كانه قال انما حكمت طولا لكفار بالخلود في النار اعلمى بانهم يستحقون ذلك قوله عز وجل (و كذلك نولي بعض الظالمين بعضا) الكاف في كذلك كاف التشبيه تقتضي شيئا تقدم ذكره فالتقدير كما نزلت العذاب بالجن والانس الذين استمتع بعضهم ببعض كذلك نولي بعض الظالمين بعضا أي نسلط بعضهم على بعض فأنخذمن الظالم بالظلم كجاء في الاثر من أعان ظالما ساطه الله عليه وقال قتادة نجعل بعضهم أولياء بعض فالؤمن ولي المؤمن حيث كان وأمن كان والكافور ولي الكافر حيث كان وأمن كان وفي رواية أخرى عن قتادة قال يبيع بعضهم بعضا في النار من الموالاتي فيل معناه نولي ظلمة الانس ظلمة الجن وظلمة الجن ظلمة الانس يعني نسلط بعضهم على بعض وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية هو ان الله تعالى اذا أراد بقوم شرأولى عليهم شرأمرهم فعلى هذا القول ان الرعية متى كانوا ظالمين ساط الله عز وجل عليهم ظالما مثلهم فمن أراد أن يخلص من ظلم ذلك الظالم فليترك الظلم ﴿وقوله تعالى﴾ ﴿بما كانوا يكسبون﴾ يعني يسلط عليهم من يظلمهم بسبب أعماله الخبيثة التي اكتسبوها ﴿وقوله تعالى﴾ ﴿يا معشر الجن والانس﴾ المعشرك جماعة أمرهم واحد والجمع معاشر (ألم تأتكم رسل منكم) اختلف العلماء في معنى هذه الآية وهل كان من الجن رسل أم لا فذهب كثير العلماء الى انه لم يكن من الجن رسول وانما كانت الرسل من الانس وأجابوا عن قوله رسل منكم يعني من أحدكم وهم الانس فذهب المضاف فهو كقوله يخرج منهما المأثور والمرجان وانما يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب وانما جاز ذلك لان ذكرهما فذهب في قوله مرج البحرين وهو جائز في كل ما اتفق في أصله فلذلك لما اتفق ذكر الجن مع الانس جاز مخاطبتهم بما ينصرف الى أحدهما الفرقين وهم الانس وهذا قول الفراء والزجاج ومذهب جمهور أهل العلم قال الواحدي وعليه دل كلام ابن عباس لانه قال يريد أنبياء من جنسهم ولم يكن من جنس الجن أنبياء وذهب قوم الى أنه أرسل الى الجن رسلا منهم كما أرسل الى الانس رسلا منهم قال الضحاك من الجن رسل كما من الانس رسل وظاهر الآية بدل

وتابع الهوى والتكذب بالبعث وتحسر على حالهم (قال النار ثمواكم) منزلكم (خالد بن فيها) حال والعالم معنى الاضافة كقوله تعالى أن دابر هؤلاء مقطوع مصصين مصصين حال من هؤلاء والعامل في الحال معنى الاضافة معن الممازجة والمضامة والثوى ليس بعامل لان المكان لا يعمل في شئ (الاشاء الله) أى يخلدون في عذاب النار الابدية الاشاء الله الا الاوقات التي يتقون فيها من عذاب السعير الى عذاب الزمهرير (ان ربك حكيم) فيما يفعل بأوليائه وأعدائه (عليم) باعمالهم فعجزى كالأعلى وفق عمله (و كذلك نولي بعض الظالمين بعضا) تتبع بعضهم بعضا في النار أو نسلط بعضهم على بعض أو نجعل بعضهم أولياء بعض (بما كانوا يكسبون) بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي ثم يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ (يا معشر الجن والانس ألم تأتكم رسل منكم) عن الضحاك بعث الى الجن رسلا منهم كما بعث الى الانس رسلا منهم لا لهم به آنس وعيايه ظاهر النص وقال آخرون الرسل

الدنيا للعتق وفى الآخرة العذاب ﴿قوله نزول﴾ (وهذا صراط ربك مستقيماً) يعنى وهذا الذى يبدلك  
يا محمد فى هذه السورة وغيرهما من سور القرآن هو صراط ربك يعنى دينه الذى شرعه لعباده ورضيه لنفسه  
وجعله مستقيماً لا عوج فيه قال ابن عباس فى قوله وهذا صراط ربك مستقيماً يعنى الاسلام وقال ابن  
مسعود يعنى القرآن لانه يؤدى من تبعه وعمل به الى طريق الاستقامة والسداد (قد فصلنا الآيات) يعنى  
قد فصلنا آيات القرآن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب والحلال والحرام والامر والنهي وغير ذلك من  
أحكام القرآن (القوم يذكرون) يعنى لمن يذكروها يتعظ بها فيهم من المواعظ والعبر قال عطاء يعنى  
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان (لم دار السلام عند ربهم) يعنى الجنة فى قول جميع  
المفسرين قال الحسن والسدى السلام هو الله تعالى وداره الجنة ومعنى السلام فى أسماء الله تعالى ذوالسلام  
وهو جمع سلامة لانه تعالى ذوالسلامة من جميع الآفات والقائص فعلى هذا القول أضيف الدار الى  
السلام الذى هو اسم الله تعالى اضافة تشرىف وتعظيم كقيل للكبعة بيت الله وللنبي صلى الله عليه وسلم  
عبد الله فى قوله وانه لما قام عبد الله يدعو واهنح لصحة هذا بان فى اضافة الدار الى الله تعالى نهاية تشرىفاً  
وتعظيماً فكان ذكر الاضافة مقابلة تعظيم أمرها وقيل ان السلام صفة للدار لانها دار السلامة الدائمة التى  
لا تنقطع فعلى هذا يكون السلام بمعنى السلامة كانه قال لم دار السلام التى لا يلقون فيها شياً يكرهونه وقيل  
سميت بذلك لان جميع حالاتهم ونبه بالسلامة كما قال تعالى فى وصفه ادخلوها بسلام آمنين والملائكة  
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال نخيتهم فيها سلام وقال سلام قولاً من رب رحيم لا يسمعون فيها  
لغو الا سلاماً وقوله عند ربهم يعنى ان الجنة معدة لهم أى أنهم عند ربهم حتى يوصلهم اليها (وهو ولهم بما كانوا  
يعملون) يعنى الله تعالى يتولى أمرهم وايصال المنافع اليهم ويدفع المضار عنهم وقيل معناه انه يتولاهم فى  
الدنيا بالتوفيق والهداية وفى الآخرة بالجزاء والجنة وقيل الولي هو الناصر والقرىب يعنى انه تعالى ينصرهم  
فى الدنيا ويقرهم فى الآخرة بسبب أعمالهم الصالحة التى كانوا يتقربون بها اليه فى الدنيا ﴿قوله تعالى  
(يوم نحشرهم جميعاً) أى ذكر يا محمد يوم نحشر المعادين بالله الاصنام مع أوليائهم من الشياطين يعنى  
نحشر المشركين والشياطين جميعاً يوم القيامة (يا معشر الجن) فيه حذف تقديره بقوله لم يسمعوا من الجن  
والمعشر الجماعة والمراد من الجن الشياطين (قد استكثرتم من الانس) يعنى من اضلالهم واغوائهم وقال  
ابن عباس معناه أضلّهم كثيراً من الانس وهذا التفسير لا بدله من تأويل آخر لان الجن لا يقدر ان على  
اضلال الانس واغوائهم بانفسهم لانه لا يقدر على الاجبار احدث الله لانه هو المتصرف فى خلقه بما يشاء  
فوجب أن يكون المعنى قد استكثرتم من الدعاء الى الضلال مع مصادفة القبول من الانس (وقال أوليائهم  
من الانس ربنّا استمتع بعضنا ببعض) يعنى استمتع الجن بالانس والانس بالجن فاما استمتاع الانس بالجن  
فقال السكيتى كان الرجل فى الجاهلية اذا سافر فتزل بارض قفر او خاف على نفسه من الجن قال أهوذا بسيد  
هذا الوادى من شرفها قوموه فيبيت فى جوارهم واما استمتاع الجن بالانس فهو انهم قالوا سيدنا الانس  
مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون بذلك شرفاً فى قومهم وعظماً فى انفسهم وقيل استمتاع الانس بالجن هو  
ما كانوا يلقون اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة وتزوينهم الامور التى كانوا يهتدون بها وتسهيل سبلها  
عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي وقيل استمتاع  
الانس بالجن فيما كانوا يدلونهم على انواع الشهوات واصناف الطيبات ويسهلون عليهم واستمتاع الجن  
بالانس هي طاعة الانس للجن فيما يامرهم بهو يقدادون لحكمهم فصاروا كالرؤساء للانس والانس  
كالاتباع وقيل ان قوله ربنّا استمتع بعضنا ببعض هو من كلام الانس خاصة لان استمتاع الجن بالانس  
وبالعكس أمر نادر لا يكاد يظهر أما استمتاع الانس بعضهم ببعض فهو ظاهر فوجب حل الكلام عليه

وعلى أسباب التوصل اليها واتفق الجن بالانس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مآدمهم واغوائهم

النار (بما كانوا يكرهون) في الدنيا (فن برد الله أن يهديه بشرح صدره للاسلام) يوسف بنور قلبه قال عليه السلام اذا دخل النور في القلب انشرح وانفتح قيل وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (ومن يرد) أي الله (أن يضله يجعل صدره ضيقا ضيقا مكي (ح) ج) صفة اضيقا مدني وأبو بكر بالغيا في الضيق حرجا غيرهما وصفا بالصدر (كأنما يصعد في السماء) كأنه كلف أن يصعد الى السماء اذ ادعى الى الاسلام من ضيق صدره عنه اذا ضاقت عليه الارض فطلب صعدا في السماء أو كعازب الرأي طائر القلب في الهواء يصعد مكي يصعد أبو بكر وأصله يصعد الباقون يصعد وأصله يتصعد (كذلك يجعل الله الرجس) العذاب في الآخرة واللجنة في الدنيا (على الذين لا يؤمنون) والآية شجة لناعلي المعترلة في ارادة

كانوا يكرهون) يعني انما حصل لهم هذا الصغار والعذاب بسبب مكرهم وحسدكم وطلبهم مالا يستحقون ﴿قوله تعالى﴾ (فن برد الله أن يهديه بشرح صدره للاسلام) أي الايمان يقال شرح الله صدره فأنشرح أي وسعه لقبول الايمان والخير فتوسع وذلك أن الانسان اذا اعتقد في عمل من الاعمال أن نفعه زائد وخيره راجح وربحه ظاهر مال بطبعه اليه وقويت رغبته فيه فتسبي هذه الحالة سعة النفس وانشرح الصدر وقيل الشرح الفتح والبيان يقال شرح فلان أمره اذا أضحى وأظهره وشرح المسئلة اذا كانت مشككة فوضحها وبما فقد ثبأت أن للشرح معنيين أحدهما الفتح ومنه يقال شرح الكافر بالكفر صدرا أي فتح قلبه وبوله ومنه قوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا وقوله (فن شرح الله صدره للاسلام) يعني فتحه وسعه لقبوله والثاني ان الشرح نور يقذفه الله في قلب العبد فيعرف بذلك النور الحق فيقبله وينشرح صدره ومعنى الآية ﴿فن يرد الله أن يهديه للايمان بالله وبرسوله وبعامه﴾ من عنده يوفقه له وشرح صدره لقبوله ويوفقه عليه ويسهل له بقضاه وكرمه وطفقه به واحسانه اليه فعند ذلك يستنير للاسلام في قلبه فيضيء به ويتسع له صدره ولما نزلت هذه الآية سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك أمارة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت وأسند الطبري عن ابن مسعود قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه هذه الآية ﴿فن يرد الله أن يهديه بشرح صدره للاسلام﴾ قال اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا فهل لذلك من آية يعرف بها قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل اتمام الموت ﴿وقوله تعالى﴾ (ومن يرد) أي الله (أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) يعني يجعل صدره ضيقا حتى لا يدخله الايمان وقال الكلبي ليس للخبر فيه منفذ وقال ابن عباس اذا سمع ذكر الله اشتأز قلبه واذا سمع ذكر الاصنام ارتاح الى ذلك وقرأ عمر بن الخطاب هذه الآية وعنده اعرابي من كناية فقال له ما الخرجة فيكم قال الخرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار التي لا تصل اليها راعية ولا وحشية ولا نبي فقال عمر كذلك قلب الشاقي لا يصل اليه شيء من الخير وأصل الخرج الحرج الضيق وهو مأخوذ من الخرجة وهي الاشجار الملتف بعضها على بعض حتى لا يصل اليها شيء وقرأ ابن عباس هذه الآية فقال هل هنا أحد من بني بكر قال رجل نعم قال ما الخرجة فيكم قال الوادي الكثير الشجر المستمسك الذي لا طريق فيه فقال ابن عباس كذلك قلب الكافر قال أهل المعاني لما كان القلب محلا للعالم والاعتقادات وصف الله تعالى قلب من يرد به هدايته بالانشرح والانفساح ونوره فقبل ما أودع من الايمان بالله ورسوله ووصف قلب من يرد بضلائه بالضيق الذي هو خلاف الشرح والانفساح فدل ذلك على أن الله تعالى صر قلب الكافر بحيث لا يبي عماد ولا استدلالا على توحيد الله تعالى والايمان به وفي الآية دليل على أن جميع الاشياء بمشيئة الله وارادته حتى ايمان المؤمن وكفر الكافر ﴿وقوله تعالى﴾ (كأنما يصعد في السماء) يعني أن الكافر اذا ادعى الى الاسلام كأنه قد كلف أن يصعد الى السماء ولا يقدر على ذلك وقيل يجوز أن يكون المعنى كأن قلب الكافر يصعد الى السماء بنوع الاسلام وتكبره وقل ضاق عليه المذهب فلم يجد الا أن يصعد الى السماء وليس يتدر على ذلك وقيل هو من المشقة وصعوبة الامر فيكون المعنى ان الكافر اذا ادعى الى الاسلام فانه يتكفأ مشقة وصعوبة في ذلك كمن يتكفأ الصعود الى السماء وليس يقدر على ذلك (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) الكافر في ذلك تقييد التشبيه وفيه وجهان الأول معناه أن جعله الرجس عليهم لجعله صورا لهم ضيقة حرجة والمعنى كما جعلنا صدورهم ضيقة حرجة كذلك يجعل الله الرجس عليهم الوجه الثاني قال الزجاج أي مثل ما قصصنا عليك كذلك يجعل الله الرجس قال ابن عباس الرجس الشيطان أي فسلطه الله عليهم وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وفي رواية عن ابن عباس ان الرجس العذاب وقال الزجاج الرجس في

ففيها) ليتجبروا على الناس فيها ويعملوا بالعاصي واللاء على ظاهرها عند أهل السنة وليست بلام العاقبة وخص الأكاير وهم الرؤساء لأن ما فيهم من الرياسة والدعة ادعى لهم إلى المكر والكفر من غيرهم دليله ولو بسط الله الرزق لعبادنا بغوا في الأرض ثم سئل رسوله عليه السلام ووعدله النصر بقوله (وما يكرهون إلا بنفهم) لأن مكرهم يحق بهم (وما يشعرون) أنه يحق بهم أكابر معقول أول والثاني في كل قرن يؤجرهما بدل من أكابر الأول وجرمهما والثاني أكابر والتقدير جرمهما أكابر ولما قال أبو جبريل احتاجا بنوعيد مناف في الشرف حتى اداصرنا كفرة من رهان قالوا مناني يوحى اليه وإنه لا رضى به إلا أن يأخذوا حى كيانيه نزل (وإذا جاءتهم) أى الاكابر (آية) مجزة أو آية من القرآن نامرهم بالامعان (قالوا) ان تؤمن حتى تؤق مثل ما تؤق رسول الله) أى تعطى من الآيات مسئل ما أعطى الانبياء فاعلم الله تعالى أنه أعلم عن يصلح للنسوة فقال تعالى

الله أعلم حيث يجعل رسالته) مكي وحفص رسالته - أي برهما حيث يقول به والعامل مخذوف والتقدير يا  
الذين أجروا من أكلهما (صغار) ذل وهوان (عمد الله) في القيامة (وعذاب شديد) في الدارين

(الله أعلم حيث يجعل رسالته) مكى وحقق رسالته عـبرهما حيث، فله والعامل بخدوف والتقدير: يعلم موضع رسالته (سبب الذين أخرجوا) من أكلها (صغار) ذل وهوان (مدالة) في القيامة (وعذاب شديد) في الدارين من لقتل الأسماء وعذاب

وان الشياطين ليوحون (ليوسوسون) (اليأولياهم) من المشركين (ليجادلوكم) بقولهم لانا كلون معاقلته الله وتا كلون عائدون  
 يديكم والآية تحرم متروك التسمية (٥٢) وخصت حالة النسيان بالحدوث ويجعل الناسي ذا كرا تقديرا (وان

قوله ولانا كلوا معاقل يذ كرام الله عليه وانه لم يخصص ما اهل لغير الله به والله أعلم ﴿ وقوله تعالى  
 (وان الشياطين ليوحون اليأولياهم ليجادلوكم) يعني ان الشياطين يوسوسون اليأولياهم من  
 المشركين ليجادلوكم ويخاصموا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان المشركين قالوا ليحمد خبرنا عن الشاة اذا  
 ماتت من قتلها قال الله قتلها فالوا فزع من ما قاتلت وأحباك حلال وماتته السك والاصقر حلال وما  
 قتله حرام فانزل الله عز وجل هذه الآية وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية في تحريم الميتة كتبت فارس  
 وهم الجوس الى مشركي قريش أن خاصموا محمدا وقولوا له ان ما ذبحت فهو حلال وما ذبحه الله فهو حرام  
 فانزل الله ان الشياطين يعني مردة الانس وهم الجوس ليوحون اليأولياهم يعني مشركي قريش وكان  
 بين فارس والعرب موالاة ومكاتبة على الروم فعلى هذا يكون المراد بالوحى المكاتبة في خفية (وان  
 أطعته وهم) يعني في كل ميتة وما حرم الله عليكم (انكم لمشركون) يعني انكم اذا مثلتم في الشرك قال  
 الزواج فيه دليل على ان كل من أحل شيئا حرم الله أحرم شيئا أحل الله فهو شرك وانما سمي مشركا  
 لانه أثبت ما كغير الله عز وجل ومن كان كذلك فهو مشرك ﴿ قوله عز وجل (ومن كان ميتا فأحييناه)  
 يعني أومن كان ميتا بالكفر فأحييناه بالايان وانما جعل الكفر موتا لانه جعل الايمان حياة لان الحي  
 صاحب بصيرة يهتدى به الى رشده ولما كان الايمان يهتدى الى القو زال ظلم والحياة الابدية شبه بالحياة  
 (وجعلنا نورا يمشى به في الناس) يعني وجعلنا له نور راسخ في به في الناس ويهتدى به الى قصد السبيل  
 قيل النور وهو الاسلام لانه يخلص من ظلمات الكفر اقله ويخرجهم من الظلمات الى النور وقال قتادة هو  
 كتاب الله القرآن لانه يبين من الله مع المؤمنين بما يعمل (كن مثله في الظلمات) يعني كن هوى ظلمة الكفر  
 وظلمة الجهالة وظلمة العمى البصرة (ليس بخارج منها) يعني من تلك الظلمات وهذا مثل ضر به الله تعالى لحال  
 المؤمنين والكافرين ان المؤمنين المهتدى بمنزلة من كان ميتا فأحياه وأعطاه نوراً يهتدى به في مصالحه وان  
 الكافر بمنزلة من هوى في ظلمات منغمس فيه ليس بخارج منها فيكون متخيرا على الدوام ثم اختلف المفسرون  
 في هذين المثالين هل هما مخصوصان بامنان معينين أو هما عاملان في كل مؤمن وكافر فذكرنا في ذلك قولين  
 أحدهما ان الآية في رجائين معينين ثم اختلفوا فيها فقال ابن عباس في قوله وجعلنا له نوراً يمشى به في  
 الناس ير يدحرجه من عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم كن مثله في الظلمات ير يدحرجه من  
 هشام وذلك ان أباجهلم رعى النبي صلى الله عليه وسلم بقرت فاخرجته بمافعل أبوجهل وكان حزة قدر رجح  
 من صيد ويده قوس وحز فلم يؤمن بعد فقبل حزة غضبان حتى علا أباجهلم وجعل يضربه بالقوس وجعل  
 أبوجهل يتضرع الى حزة ويقول يا أباعلى أمارى ما جاء به سفة عقولنا وسب آلهتنا واخالف آياهنا فقال  
 حزة مؤمن أسفة منكم عقولنا لتعبدون الجبارة من دون الله أشهدن لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله  
 فأسلم حزة يومئذ فانزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت في عمر بن الخطاب وأبى جهل وقال عكرمة  
 والكلبي نزلت في عمار بن ياسر وأبى جهل وقال مقاتل نزلت في أبي جهل عليه وسلم وأبى جهل وذلك ان  
 أباجهلم قال زاجنا بعد مناف في الشرف حتى اذاصرنا نحن وهم كفروا رهاقنا فإلما نبيح اليه  
 والله لا تؤمن حتى يأتينا وحي كآياتيه فزات هذه الآية والقول الثاني وهو قول الحسن في آسرين هذه الآية  
 عامة في كل مؤمن وكافر وهذا هو الصحيح لان المعنى اذا كان حاصلا في الكل دخل فيه كل أحد  
 ﴿ وقوله تعالى (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) قال أهل السنة المازن هو الله تعالى ويدل عليه

أطعتموهم في استحلال ما حرم الله (انكم لمشركون) لان من اتبع غير الله في دينه فقد أشرك به ومن حق المتدين أن لا يأكل كل عالم يذ كرام الله عليه لما في الآية من التشديد العظيم ومن أول الآية بالميتة وما ذكر غير اسم الله عليه لقوله أوفدا أهل لغير الله به وقال ان الوافى وانه اتقى للحلال لان عطف الجلة الاسمية على الفعلية لا يحسن فيكون التقدير ولانا كلوا منه حال كونه فسقا والفسق مجمل فبين بقوله أوفدا أهل لغير الله به فصار التقدير ولانا كلوا منه حال كونه مهلا لغير الله به فيكون ما سواه حلالا بالعمومات المحلقة من قوله قل لا أجد الآية فقد عدل عن ظاهر اللفظ (أو من كان ميتا فأحييناه) أي كافر أفيد بناء لان الايمان حياة القلوب ميتا مدنى (وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس) مستبشاه والمراد به اليقين (كن مثله) أي صفته (في الظلمات) أي خاطب فيها (ليس بخارج منها) لا يفارقها ولا يتخاص منها وهو حال قيل المراد بهما حزة وأبوجهل والاصح ان الآية عامة لكل من هداه الله ولكل من أهله الله فينب

قوله

ان مثل المهتدى مثل المبت الذي أحيى وجعل مستضيئاً بنشئ في الناس بنور الحكمة والايمان ومثل الكافر مثل من هوى في الظلمات التي لا يخلص منها (كذلك) أي كازين للمؤمن ايمانه (زين للكافرين) بزين الله تعالى كقوله زينناهم أعمالهم (ما كانوا يعملون)



وحرم ما أحل الله فهو يجازيهم على سوء صنيعهم ﴿قوله عز وجل﴾ (وذروا ظاهر الأثم وباطنه) يعني وذروا  
 أيها الناس ما يوجب الأثم وهي الذنوب والمعاصي كلها سرها وعلانيتها فليها وكثيرها قال الربيع بن أنس  
 نهى الله عن ظاهر الأثم وباطنه أن يعمل به سرًا وعلانية وقال سعيد بن جبير في هذه الآية الظاهر منه قوله  
 ولا تلتكحوا ما نتكح أبائكم من النساء إلا ما قد سلف ونكاح المحارم من الإماء والبنات والاختوات والباطن  
 الزنا وقال السدي أما الظاهر فالزنا في الحوائت رهن أصحاب الرايات وأما الباطن فالمرأة يتخذها  
 الرجل صديقة فيأثمها سرًا وقال الضحاك كان أهل الجاهلية يستسرون بالزنا ويرون أن ذلك حلال ما كان  
 سرًا حرم الله السر منه والعلانية وقال ابن زيد بظاهر الأثم التجرع عن الثياب والتعري في الطواف والباطن  
 الزنا وقال الكبي ظاهراً الأثم طواف الرجال بالبيت نهاراً عراة وباطنه طواف النساء بالليل عراة وكان أهل  
 الجاهلية يفعلون ذلك إلى أن جاء الإسلام فنهى الله عن ذلك كله وقيل إن هذا النهي عام في جميع المحرمات  
 التي نهى الله عنها وهو الأصح لأن تخصيص العام بصورة معينة من غير دليل لا يجوز فزعم في هذا القول  
 يكون معنى الآية وذروا ما أعلنت به وما أسر رتم من الذنوب كلها قال ابن الأنباري وذروا الأثم من جميع  
 جهاته وقيل المراد بظاهر الأثم الإقدام على الذنوب من غير مبالاة وباطنه ترك الذنوب لخوف الله عز وجل  
 لا تخوف الناس وقيل المراد بظاهر الأثم أفعال الجوارح وباطنه أفعال القلوب فيدخل في ذلك الحسد  
 والكبر والمحب واردة السوء للمسلمين ونحو ذلك ﴿قوله تعالى﴾ (ان الذين يكسبون الأثم) يعني أن الذين  
 يعملون بمعاصيهم الله عنهم يرتكبون ما حرم عليهم من المعاصي وغيرها (سيجزون) يعني في الآخرة (بما  
 كانوا يكتفون) يعني بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام وظاهر هذا النص يدل على عقاب المذنب وأنه  
 مخصوص بمن لم يبت لأن المسلمين أجمعوا على أنه إذا تاب العبد من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب وزاد أهل  
 السنة في ذلك فقالوا المذنب إذا لم يبت فهو في خطر المشيئة إن شاء عاقبه وإن شاء عفاه عنه بفضلهم وكرمه  
 ﴿قوله تعالى﴾ (ولأنك لو أعلم بذكر اسم الله عليه) قال ابن عباس الآية في تحريم الميتات وما في معناها  
 من المنخقة وغيره وقال عطاء الآية في تحريم الذبائح التي كانوا ينجسونها على اسم الأصنام انتهى

فصل في اختلاف العلماء في ذبيحة المسلم إذا لم يذكر اسم الله عليه فذهب قوم إلى تحريمها سواء تركها  
 عامداً أو ناسيها وهو قول ابن سيرين والشعبي ونقله الإمام نضر الدين الرازي عن مالك ونقل عن عطاء أنه قال  
 كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام أو شراب فهو حرام احتجوا في ذلك بظاهر هذه الآية وقال الثوري  
 وأبو حنيفة إن ترك التسمية عامداً لا تحل وإن تركها ناسيها تحل وقال الشافعي تحل الذبيحة وسواء ترك التسمية  
 عامداً أو ناسيها ونقله البغوي عن ابن عباس ومالك ونقل ابن الجوزي عن أحمد وإبنيهما إذا ترك التسمية  
 عامداً وإن تركها ناسيها حلت فمن أباح كل الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها قال المراد من الآية الميتات  
 وما ذبح على اسم الأصنام بدليل أنه قال تعالى في سياق الآية (وأنه لفسق) وأجمع العلماء على أن كل  
 ذبيحة المسلم التي ترك التسمية عليها لا يفسق واحتجوا أيضاً بإحتجاج عاروي البخاري في صحيحه عن عائشة  
 رضي الله تعالى عنها قالت قلت يا رسول الله إن ههنا أقواماً أحدينا عدهم بشرك يأتوننا بلحمان فإندري  
 بذكر اسم الله عليها أم لا قال ذكروا أثم اسم الله وكافوا قالوا لو كانت التسمية شرطاً للإباحة لكان  
 الشك في وجودها مانعاً من أكلها كالشك في أصل الذبيحة وقول الشافعي في أول الآية وإن كان عامداً يحسب  
 الصبيغة الآن آخرها لما حصلت فيه هذه القيود الثلاثة وهي قوله وأنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى  
 أوليائهم ليجادلوك وإن أطمعتهم أنكم لمشركون علمنا أن المراد من هذا العموم هو الخصوص والفسق  
 ذكر اسم غير الله في الذبيحة كما قال في آخر السورة قل لأجد فيها أوحى إلى تحريم ما على طامع يطعمه إلى قوله  
 أو فسقا أهل غير الله به فسار هذا الفسق الذي أهل لغير الله به مفسراً لقوله وأنه لفسق وإذا كان كذلك كان

من الحق إلى الباطل  
 (وذروا ظاهر الأثم وباطنه)  
 علانيته وسره أو الزنا في  
 الحوائت والصديقة في  
 السر أو الشرك الجلي والخبى  
 (ان الذين يكسبون الأثم  
 سيجزون) يوم القيامة  
 (بما كانوا يكتفون)  
 يكسبون في الدنيا (ولا  
 تاكلوا مما يمد كرام اسم  
 الله عليه) عند الذبح (وأنه  
 لفسق)

(ان يتبعون الا الظن) وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدوهم (وان هم لا يخبرون) يكذبون في ان الله حرم عليهم كذا وأحل لهم كذا (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أي هو يعلم الكفار والمؤمنين (٥٠)

محمد صلى الله عليه وسلم وان تلعب أكرتم في الأرض في كل الميتة وكان الكفار يومنوا أن كثيرا أهل الأرض يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن دين الله الذي شرع لك وبشكل به وقيل معناه لا قطعهم في معتقداتهم الباطلة فانك ان قطعهم يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن طريق الحق ومنهج الصدق ثم أخبر عن حال الكفار وما هم عليه فقال تعالى (ان يتبعون الا الظن) يعني ان هؤلاء الكفار الذين يجادلونك ما يتبعون في دينهم الذي هم عليه الا الظن وليسوا على بصيرة حتى في دينهم وليسوا بقاطعين انهم على حق لانهم اتبعوا أهواءهم وتركوا التماس الصواب والحق واقتصرواعلى اتباع الظن والجهل (وان هم لا يخبرون) يعني يكذبون وأصل الخرص الحزروا التخمين ومنه خرس النخلة اذا خرزكية فترتمها على الظن من غير يقين ويسمى الكذب خرسا لما يدخله من الظنون الكاذبة وقيل ان كل قول مقلوع من ظن وتخمين يقال له خرس لان قائله لم يقله عن علم ويقين (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله) يقول الله انبياءه محمد صلى الله عليه وسلم بما يجد ان ربك هو أعلم منك ومن جميع خلقه أي الناس يضل عن سبيله (وهو أعلم بالمهتدين) يعني وهو أعلم بأضابغ كان على هدى واستقامة وسداد لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه فاخبر تعالى انه أعلم بالفر يقين الضال والمهتدي وانه يجازي كلا بما يستحق قوله تعالى (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) هذا جواب لقول المشركين حيث قالوا للمسلمين اننا نكون مما قاتلتم ولاننا نكون مما قاتل ربكم فقال الله تعالى للمسلمين فكلوا انتم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح (ان كنتم بايانه مؤمنين) وقيل كانوا يحرمون أصنافا من اللحم ويحلون الميتة فقيل أحلوا ما أحل الله وحرموا ما حرم الله فعلى هذا القول تكون الآية خطأ بالمشركين وعلى القول الاول تكون الآية خطأ بالمسلمين وهو الاصح لقوله في آخر الآية ان كنتم بايانه مؤمنين (وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) يعني وأي شيء لكم في أن لا تأكلوا مما بمنعكم من أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وهذا كيدي في اباحة ما ذبح على اسم الله دون غيره (وقد فصل لكم ما حرم عليكم) يعني وقد بين لكم الحلال من الحرام فيما ناطعهم وقال جمهور المفسرين المراد بقوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم المحرمات المذكورة في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وأورد الامام نضر الدين الرازي ههنا الشكالات فقال في سورة الانعام مكية وسورة المائدة من آخر ما أنزل الله تعالى بالمدنية وقوله وقد فصل يجب أن يكون ذلك الفصل متقدما على هذا المحل والمدنى متأخرا عن المسكى فيمتنع كونه متقدما ثم قال بل الاولى ان يقال قوله تعالى بعد هذه الآية قل لا أجد فيها أوصى الى محرما على طعام يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير وهذه الآية وان كانت مذكورة بعد هذه الآية بقيل الا أن هذا القدر من المتأخر لا يمنع أن يكون هو المراد قال كاتبه ولما ذكره المفسرون وجه وهو ان الله لما علم ان سورة المائدة متقدمة على سورة الانعام في الترتيب لافي النزول حسن عود الضمير في قوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم الى ما هو متقدم في الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية والله أعلم بمراده وقوله تعالى (الاما اضطررتم اليه) يعني الا ان تدعوك الضرورة الى كراهية بسبب شدة الحاجة فيباح لكم ذلك عند الاضطرار (وان كثير الضالون باهوائهم يغير علم) يعني وان كثير من الذين يجادلونكم في كل الميتة ويحتجون عليكم في ذلك بقولهم اننا نكون ما نذبحون ولاننا نكون ما يذبحه الله وانما قالوا هذه المقالة جهلا منهم بغير علم منهم بصحة ما يقولون بل يتبعون أهواءهم لا يضلون أنفسهم وأبناءهم بذلك وقيل المراد به عمرو بن لحي في دونه من المشركين لانه أول من بحر البجائر وسبب السوابب وأباح الميتة وغير دين ابراهيم عليه السلام (ان ربك هو أعلم بالمهتدين) يعني ان ربك يا محمد هو أعلم من تعدى حدوده فاحل ما حرم الله

من رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والخبر يضل وموضع الجلبة نصب يعلم المقدور لابعلم لان أفعال لا يعمل في الاسم الظاهر النصب ويعمل الجرو قيل تقدير ما علم عن يضل بدليل ظهور الباء بعده في بالمهتدين (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بايانه مؤمنين) هو سبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قبل الله أحق أن تأكلوا مما قاتلتم أتم فقبل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة أي على ذبحه دون ما ذكر عليه اسم غيره من أنفهم أو مات حتف أنفه (وما لكم ألا تأكلوا) ما استفهام في موضع رفع بالابتداء ولكم الخبر أي وأي غرض لكم في أن لا تأكلوا (عما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم) بين لكم (ما حرم عليكم) مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة فصل وحرم كوفي غير حفص وبقضه ما مدني وحفص وبنوه ما غيرهم (الا ما اضطررتم اليه)

عما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة أي شدة الحاجة الى أكله (وان كثير الضالون) يضلون كوفي (باهوائهم بغير علم) أي يضلون فيحرمون ويحلون باهوائهم وشهواتهم من غير تعاقب شرعية (ان ربك هو أعلم بالمهتدين) بالمتجاوزين

(وليقتروا ما هم مقترون)  
من الآثام (أفقر بالله  
أبني حكما) أى قل يا محمد  
أفقر بالله أطلب ما كما  
يحكم بيني وبينكم وفصل  
الحق منكم المبتطل (وهو  
الذي أنزل اليكم الكتاب)  
المعجز (مفصلا) حال من  
الكتاب أى مبنيا فيه  
الفصل بين الحق والباطل  
والشهادة لى بالصدق  
وعليكم بالافتراء ثم عطف  
الدلالة على ان القرآن حق  
يعلم أهل الكتاب أنه حق  
لتصديقه ما عندهم  
وموافقه له بقوله (والذين  
آتيناهم الكتاب) أى  
عبد الله بن سلام وأصحابه  
(يعلمون أنه منزل) شامى  
وحقق (من ر بك بالحق  
(فلا تكونن من المعترين)  
الشاكين فيه أيها السامع  
أولا تكونن من المعترين  
فى أن أهمل الكتاب  
يعلمون أنه منزل بالحق  
ولا ير بك بجودا كثيرهم  
وكفرهم به (وتمت كلمت  
ربك) أى ما تكلم به كلمات  
ربك حجازى وشامى وأبو  
عمر وأى تم كل ما أخبر به  
وأمر ونهى ووعدا وأوعدا  
(صدقا) فى وعده ووعيد  
(وعدلا) فى أمره ونهي  
واتصفاً بالتميز وأعلى  
الحال (لا مبدل لكلماته)

بفعل مضمر معناه وفعلنا بهم ذلك لى تصنى الى الباطل أفقره الذين لا يؤمنون بالآخرة وقال غيره اللام  
متعلقة بيوحى تقديره يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليغرو بالذلك واتصنى اليه أفقره الذين  
لا يؤمنون بالآخرة والضمير فى اليه يرجع الى زخرف القول والمعنى ان قلوب الكفار تميل الى زخرف  
القول وباطله ونحوه وترضى به وهو قوله (وابروه) يعنى يرضون ذلك القول المزخرف الباطل  
(وليقتروا ما هم مقترون) يعنى وايستنسبوا من الاعمال الخبيثة ما هم مكشوبون ﴿وقوله عز وجل (أفغير  
الله أبني حكما) أى قل يا محمد هؤلاء المشركين أفغير الله أطلب حكما فاضى بيني وبينكم وذلك أنهم  
كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما فامره الله تعالى أن يبيحهم هذا الجواب  
والحكم والحكم واحد عند أهل اللغة يران بعض أهل المعاني قال الحكم كمن من الحاكم لان الحاكم  
من شأنه أن يحكم والحكم أهمل أن يتحاكم اليه وهو الذى لا يحكم الا بالحق فانه تعالى حكم لا يحكم الا بالحق  
فما أنزل الله على محمد القرآن فقد حكمه بالنبوة وهو قوله تعالى (وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا)  
يعنى مبنيا فيه أمره ونهيهم ووعده ووعيد وفيه الحكم بيني وبينكم (والذين آتيناهم الكتاب) يعنى علماء  
اليهود والنصارى (يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) يعنى يشهدون ان هذا القرآن منزل من عند الله وذلك  
لما ثبت عندهم باللائل الدالة على ذلك وقيل المراد بهم علماء الصحابة ورؤسائهم مثل أبى بكر وعمر  
وعثمان وعلى ونظرائهم يعلمون ان هذا القرآن منزل من ربك بالحق فآتموا به صدقوه (فلا تكونن من  
المعترين) يعنى فلا تكونن يا محمد من الشاكين ان علماء أهل الكتاب يعلمون ان هذا القرآن حق وأنه منزل  
من عند الله وقيل معناه فلا تكونن فى شك مما قصصنا عليك أنه حق وصدق فهوم باب التوبيخ لانه صلى  
الله عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وان كان فى الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم لأن المراد به غيره والمعنى  
فلا تكونن أيها الانسان السامع لهذا القرآن فى شك أنه منزل من عند الله ما فيه من العجايز الذى لا يقدر  
على مثله الا الله تبارك وتعالى ﴿وقوله تعالى (وتمت كلمت ربك) وقرئ كلمات ربك على الجمع فى قرأ على  
التوحيد قال السكاكبة قد رتبها السكلمات الكثيرة اذا كانت مضبوطة بضابط واحد كقولهم قال الشاعر فى  
كلمته يعنى فى قصيدته وكذلك القرآن كلمة واحدة لانه شئ واحد فى عجايز الظم وكونه حقاً وصدقا ومجزأ  
ومن قرأ بالجمع قال الله تعالى فى سياق الآية لا مبدل لكلماته فوجب الجمع فى اللفظ الاول اتباعا للشأنى  
(صدقا وعدلا) يعنى صدقا فيما وعد وعدلا فيما حكم وقيل ان القرآن مشتمل على الاخبار والاحكام فهو  
صادق فيما أخبر عن القرون الماضية والامم الخالية وعما هو كائن الى قيام الساعة وفيما أخبر عن نواب  
المطبع فى الجنف وعقاب العاصى فى النار وهو عدل فيما حكم من الامر والنهى والحلال والحرام وسائر  
الاحكام (لا مبدل لكلماته) يعنى لا مغير لقضائه ولا راد لحكمه ولا خلف لواعيده وقيل لما وصف بكلماته  
بالتمام فى قوله وتمت كلمت ربك وبالنجم فى كلام الله لا يقبل النص والتغيير والتبديل قال الله تعالى لا مبدل  
لكلماته لانها مصونة عن التحريف والتغيير والتبديل باقية الى يوم القيامة وفى قوله لا مبدل لكلماته دليل  
على ان السعيد لا ينقلب شقيا والاشقى ينقلب سعيدا فالسعيد من سعد فى الازل والشقى من شقى فى الازل  
وأورد على هذا ان الكافر يكون شقيا بكفره فيسلم فينقلب سعيدا باسلامه وأجيب عنه بان الاعتبار  
بالخاتمة فمن ختم له بالسعادة كان قد كتب سعيدا فى الازل ومن ختم له بالشقاوة كان شقيا فى الازل والله أعلم  
﴿وقوله تعالى (وهو السميع) يعنى لما يقوله العباد (العليم) يعنى باحوالهم وقوله عز وجل (وان قطع أكرثمن  
فى الارض يضلوك عن سبيل الله) قال المفسرون ان المشركين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين  
فى كل المبتغى وذلك أنهم قالوا لاهمين كيف نأكلون ما قلتم ولأنا كلون ما قلتم ربكم فقال الله تعالى لىبه

بهم استثنى منهم أهل السعادة وهم الذين شاء لهم الإيمان ﴿وقوله تعالى﴾ (ولكن أكثرهم يجهلون) يعني يجهلون ان ذلك كذلك وبحسبون ان الإيمان بهم متى شاءوا آمنوا متى شاءوا وكفروا وبس الامر كذلك بل الإيمان والكفر بعشيرة الله تعالى فمن شاء له الإيمان آمن ومن شاء له الكفر كفر وفي هذا دليل لمذهب أهل السنة ان الاشياء كما بعشيرة الله تعالى ورد على القدر وبالعامة منزلة في قولهم ان الله أراد الايمان من جميع الكفار ﴿وقوله تعالى﴾ (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) قيل هو منسوق على قوله تعالى وكذلك ينال لكل أمة علمهم أي جعلنا ذلك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا وقيل معناه كما جعلنا لنبي قبله من الانبياء أعداء كذلك جعلنا لك أعداء وفيه تعزيب للنبي صلى الله عليه وسلم ونسب إليه يقول الله تبارك وتعالى انك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبي قبله عدوا واليه عظم نوابه على ما يكاد به من أذى أعدائه وعدوه وواحد يراد به الجمع يعني جعلنا لكل نبي أعداء (شياطين الانس والجن) اختلف العلماء في معنى شياطين الانس والجن على قولين أحدهما ان المراد شياطين من الانس وشياطين من الجن والشيطان كل عات متعذر من الجن والانس وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء وهو قول مجاهد وقتادة قالوا وشياطين الانس أشد شر دامن شياطين الجن لان شيطان الجن اذا عجز عن اغواء المؤمن الصالح وأعياده ذلك استعان على اغوائه بشيطان الانس ليقتنه ويدل على صحة هذا القول ما روى عن أبي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعودت بالله من شيطان الجن والانس قلت يا رسول الله وهل للانسان من شيطان قال نعم هم شر من شياطين الجن ذكره البغوي بغير سند وأسنده الطبري وقال مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد على من شيطان الجن وذلك أتى اذا تعودت بالله ذهب شيطان الجن وشيطان الانس يجترى فيجرى الى المعاصي اقول الثاني ان الجمع من ولدا ابليس وأضيف الشياطين الى الانس على معنى انهم يغيروهم وهذه اقول عكرمة والضحاك والكنبي والسدي ورأيت عن ابن عباس قالوا المراد بشياطين الانس التي مع الانس وبشياطين الجن التي مع الجن وذلك ان ابليس قسم جنسه قسمين فيعثر فريقتهم الى الجن وفريقتهم الى الانس قاله يرقان شياطين الجن والانس بمعنى انهم يغيروهم ويضلونهم وكلا الفريقين أعداء للنبي صلى الله عليه وسلم ولأولياته من المؤمنين والصالحين ومن ذهب الى هذا القول قال بدل على محتمه ان لفظ الآية يقتضي اضافة الشياطين الى الانس والجن والاضافة تقتضي المغايرة فعلى هذا يكون في الشياطين نوع مغاير للانس والجن وهم أولاد ابليس ﴿وقوله تعالى﴾ (يوحى بعضهم الى بعض) يعني ياتي ويسر بعضهم الى بعض ويناجي بعضهم بعضا وهو الوسوسة التي يلقيها في من ير بداعوا فعلى القول الاول ان شياطين الانس والجن يسر بعضهم الى بعض ما يقتنون به المؤمنين والصالحين وعلى القول الثاني ان أولاد ابليس ياتي بعضهم بعضا في كل حين فيقول شيطان الانس لشيطان الجن أضلت صاحبي بكذا وكذا فاضل أنت صاحبك بذلك ويقول شيطان الجن لشيطان الانس كذلك فذلك وحى بعضهم الى بعض ﴿وقوله﴾ (زخرف القول) يعني باطل القول والزخرف هو الباطل من الكلام الذي قد زين ورشى بالكذب وكل شيء حسن موهو فهو زخرف (غرورا) يعني ان الشياطين يغرورون بذلك القول الكذب المزخرف غرورا وذلك ان الشياطين يزبون الاعمال القبيحة لئلا يأتهم ويغروهم بها غرورا (ولو شاء بك ما فعلوه) يعني ما فعلوا الوسوسة لئلا يلقيها الشياطين في قلوب بني آدم والمعنى ان الله تعالى لو شاء لمع الشياطين من الفناء الوسوسة الى الانس والجن ولكن الله امتحن من يشاء من عباده بما يعلم انه لا اجزاء له في الثواب اذا صبر على المحنة (قدروهم وما يفترون) يعني ظاهرا بالمحمد وما زين لهم ابليس وغروهم به من الكفر والمعاصي فاتي من وراءهم ﴿وقوله تعالى﴾ (ولنصفى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) قال ابن عباس ولتميل اليه وأصل الصغوف للغة الميل يقال أصفى الى كذا مال اليه ويقال صفوت أصفوه وصفت أصفى لغتان قال ابن الانباري اللام في ونصفني متعلقة

ان هؤلاء يؤمنون اذا جاءتهم الآية المقترحة (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) وكما جعلنا لك أعداء من المشركين جعلنا لمن تقدمك من الانبياء أعداء لما فيه من الابتلاء الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب (شياطين الانس والجن) على البدل من عدوا وعلى انه المنقول الاول وعدوا مفعول ثان (يوحى بعضهم الى بعض) يورسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد على من شيطان الجن لاني اذا تعودت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجترى فيجرى الى المعاصي عيانا وقال عليه السلام قراء السوء شر من شياطين الجن (زخرف القول) ماز ينوهم القول والوسوسة والاغراء على المعاصي (غرورا) خدع وأخذ على غرة وهو مفعول له (ولو شاء بك ما فعلوه) أي الإيحاء يعني ولو شاء الله لمنع الشياطين من الوسوسة ولكنه امتحن بما يعلم انه أجزل في الثواب (قدروهم وما يفترون) عليك وعلى الله فان الله بخبرهم وينصرك ويخبرهم (ولنصفى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة)

قوم مخصوصين حكم الله عز وجل عليهم بانهم لا يؤمنون وذلك لسابق علمه فيهم وقرأ الباقون أنها بفتح  
 الالف وجعلوا الخطاب في ذلك للمؤمنين لان المؤمنين هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال  
 الآيات حتى يؤمن المشركون بها اذارأوها لان المشركين كانوا حلفوا أنهم اذا جاءتهم آية آمنوا وصدقوا  
 وانبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الآيات لذلك فقال  
 الله تعالى وما يشعركم بها المؤمنون ان الآيات اذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون فعلى هذا اختلافوا في  
 لفظة لامن قوله لا يؤمنون فقيل هي صلة والمعنى وما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون وقيل هي على بابها  
 وفيه حذف والمعنى وما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون ولا يؤمنون وقيل ان بمعنى لعل في قوله انها اذا جاءت  
 وكذلك هو في قراءة أبي بن كعب لعلها اذا جاءت وهذا ما انفغ في كلام العرب تقول العرب انت السوق أنك  
 تشتري لنا شيأ بمعنى لعلك ومنه قول عدى بن زيد

أعاذل ما يدريك أن منيتي \* الى ساعة في اليوم أوفى نحيي الغد

يعنى لعل منيتي قوله تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) قال ابن عباس يعنى ونحول بينهم وبين الایمان  
 فلوجئناهم بالآيات التي سألوها ما آمنوا بها والتقايب هو تحويل الكنى وتحريكه عن وجهه الى وجه آخر  
 لان الله تعالى اذا صرف القلوب والا بصر عن الایمان بقيت على الكفر (كالم يؤمنوا به أول مرة)  
 يعنى كالم يؤمنوا بما قبل ذلك من الآيات التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير  
 ذلك من المعجزات الباهرات وقيل أول مرة يعنى الآيات التي جاء بها موسى وغيره من الانبياء وقال ابن عباس  
 المرة الاولى دار الدنيا يعنى لوردوا من الآخرة الى الدنيا فقلبتهم وأبصارهم عن الایمان فلا يؤمنون  
 كالم يؤمنوا به أول مرة قبل عمايتهم وفي الآية دليل على ان الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء وان  
 القلوب والا بصر بيده وفي تصرفه فيقيم مشاءه ما يريد من غير ما أراد منها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم  
 ياقلب القلوب ثبت قلمي على دينك فعنى قوله تقلب أفئدتهم زيفها عن الایمان وتقلب أبصارهم عن رؤية  
 الحق ومعرفة الصواب وان جاءتهم الآية التي سألوها فلا يؤمنون بها كالم يؤمنوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 عند الله فعلى هذا تكون الكناية في به عائدة على الایمان باقرآن وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 قبل سؤالهم الآية التي اقترحوها وقوله تعالى (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) يعنى وترك هؤلاء  
 المشركين الذين سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون في تركهم على الله واعتدائهم عليه بترددون لا يستبدون الى  
 الحق قوله عز وجل (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة) قال ابن جرير نزلت في المستهزئين وذلك أنهم أنوا الى  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قریش فقالوا يا محمد ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك أحمق  
 ما تقول أم باطل وأرانا الملائكة يشهدون لك أنك رسول الله أو انتداب الله والملائكة قبلا فزالت هذه الآية  
 جوابا لهم والمعنى ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة حتى يشهدوا لك بالرسالة (ولكلهم الموتى) يعنى كما سألوا (وحشرنا  
 عليهم كل شئ قبلا) يعنى وجعنا عليهم كل شئ قبلا قبلا ليقيل القليل القبيل الكفيل بصحة ما تقول ما آمنوا هو قوله  
 (ما كانوا يؤمنوا الآن يشاء الله) يعنى الآن يشاء الله الایمان منهم وفيه دليل على أن جميع الاشياء بمشيئة  
 الله تعالى حتى الایمان والكفر وموضع المعجزة ان الاشياء المحشورة منها طاق ومنها صامت فأذا أنطق الله  
 الكل حتى يشهدوا له بصحة ما يقول كان ذلك في غابة لا يحجز وقيل قبلا من القابلة والمواجهة والمعنى وحشرنا  
 عليهم كل شئ مواجهة ومعابنة ما كانوا يؤمنوا الآن يشاء الله أخبر الله ان الایمان بمشيئة الله لا كما ظنوا أنهم  
 متى شاءوا آمنوا متى شاءوا لم يؤمنوا قال ابن عباس ما كانوا يؤمنوا هم أهل الشقاء الآن يشاء الله هم  
 أهل السعادة الذين سبق لهم في علمه أنهم يدخلون في الایمان ويصح الطبري قول ابن عباس قال لان الله عم  
 بقوله ما كانوا يؤمنوا القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية لؤمنن

(ونقلب أفئدتهم) عن

قبول الحق (وأبصارهم)

عس رؤية الحسنى

عسند نزول الآية التي

اقترحوها فلا يؤمنون بها

قبيل هو عطف على

لا يؤمنون داخل في حكم

وما يشعركم أى ما يشعركم

انهم لا يؤمنون وما يشعركم

ماقلب أفئدتهم وأبصارهم

يفقهون ولا يبصرون الحق

(كالم يؤمنوا به أول مرة)

كما كانوا عند نزول آياتنا

أولا لا يؤمنون بها (ونذرهم

في طغيانهم يعمهون) قيل

وما يشعركم أن نذرهم في

طغيانهم يعمهون يتحجبون

(ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة)

كما قالوا لولا أنزل علينا

الملائكة (ولكلهم الموتى)

كما قالوا فاتوا بآياتنا

(وحشرنا عليهم) جمعنا

(كل شئ قبلا) كقلاء

بصحة ما بشرنا به وأنذرنا جمع

قبيل وهو الكفيل قبلا

مدنى وشامى أى عيانا

وكلاهما نصب على الحال

ما كانوا يؤمنوا الآن يشاء

الله) إيمانهم فيؤمنوا وهذا

جواب لقول المؤمنين

لعلهم يؤمنون بنزول الآية

حسنا فان الله يصل من يشاء وهو - يمدى من يشاء وهو - مائة الى الاصلح ( ثم الى ربهم - مرجعهم ) مصيرهم ( فينبئهم بما كانوا يعملون ) فيخبرهم بما عملوا ويجزمهم عايبه ( وأقسموا بالله جهنم أهملهم ) جهنم ، صدروهم موقع الحال أي جاهدين في الاتيان بأكبر الأدب - ( لنن جاءتهم آية ) من مقبراتهم ( ليؤمنن بها ) قال انما الآيات عند الله ) وهو قادر عليها لا عندى فكيف آتيكم بها ( وما يشعركم ) وما يدرككم ( انها ) أن الآية المفترحة ( اذا جاءت لا يؤمنون ) بها يعني أنا أعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وأتم لا تعلمون ذلك وكان المؤمنون يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتحتم مجيئها فقال الله تعالى وما يدرككم انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون انها بالكسر مكى وبصرى وأبو بكر على ان الكلام تم قبله أي وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بعابه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من

فول انتم معطى كلمة ان تكلمتم بها ما كنتم العرب يدانت لكم الحجج . واذت لكم الخراج فقال أبو جهل نعم وأيكم لتعطيتكمها واعرسة أمة الخلفاء هي قال قولوا لا اله الا الله فابوا ونفروا فقال أبو طالب قل غيرها بالإن أئني فقال باعما ما أتالباذي أقول غيرها ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما فاتت غيرها ارادة أن يؤيهم فقالوا التكفى عن شتمك ألقننا وأنت شتمك أزلننهم من يامرلك فانزلت ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله يعني ولا تسبوا أيها المؤمنون الاصنام التي يعبدونها المشركون فيسبوا الله وعدوا بغير علم يعني فيسبوا الله ظلم بغير علم لانهم جهلة بالله عز وجل قال الزجاج نهوا في ذلك الوقت قبل القتال أن يلعنوا الاصنام التي كانت تعبدونها المشركون وقال ابن التباري هذه الآية منسوخة أنزلها الله عز وجل والنبى صلى الله عليه وسلم بمكة فاما قواد باصحابه نسخ هذه الآية ونظرها بقوله أقتلوا المشركين حيث وجدتموهم . وقيل انما نهوا عن سب الاصنام وان كان في سبها طاعة وهو مباح لما يترتب على ذلك من المفاسد التي هي أعظم من ذلك وهو سب الله عز وجل وسب رسوله وذلك من أعظم المفاسد فذلك نهوا عن سب الاصنام وقيل لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أكنهم فببوار بك فامسك المسلمون عن سب أكنهم فظاها الآية وان كان نهيا عن سب الاصنام خفيته النهى عن سب الله تعالى لانه سب لذلك ﷺ وقوله تعالى ( كذلك زينا لكل أمة عملهم ) يعني كما زينوا لاهل الشركين عبادة الاصنام وطاعة الشيطان بالخرمان والخذلان كذلك زينا لكل أمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية وفي هذه الآية دليل على تكذيب القديرة والاهلزة حيث قالوا لا يحسن من الله خالق الكفر وترى ينسب ﷺ وقوله تعالى ( ثم الى ربهم مرجعهم ) يعني المؤمن والكافر والطائع والعاصي ( فينبئهم بما كانوا يعملون ) يعني في الدنيا ويجزيمهم على ذلك ﷺ وقوله عز وجل ( وأقسموا بالله جهنم أهملهم ) قال محمد بن كعب القرظي والسكبي قال فر يش يا محمد انك تخبرنا أن موسى كانت له بضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنا عشرة عينا وتخرج برنا أن عيسى كان يحجي الموقى فأتانا بآية حتى أصدفك ونؤمن بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي شيء تحبون قالوا نجعل لنا الصفا ذهابا وبعث لنا نبيا من آتينا له عك أحق ماتقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعض ماتقولون أنه صدقوني قالوا نعم والله لن فعلت لن نبعثك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلنا عليه -م حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يدعو الله عز وجل أن يجعل الصفا ذهابا فجاءه جبريل فقال ما شئت ان شئت أصبح ذهابا ولكن ان لم صدقوك لن نبعثهم وان شئت تركتهم حتى يتوب نأثمهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب نأثمهم فأنزل الله عز وجل وأقسموا بالله جهنم أهملهم يعني وحلفوا بالله جهنم أهملهم يعني أو كد ما قدروا عليه من الايمان وأشد لها قال السكبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه ( لنن جاءتهم آية ) يعني كما جاءت من قبلهم من الامم ( ليؤمنن بها ) يعني ليصدقن بها ( قل ) يعني قل يا محمد ( انما الآيات عند الله ) يعني أن الله تعالى قادر على انزالها ( وما يشعركم ) يعني وما يدرككم ثم اختلف العلماء في مخاطبين بقوله وما يشعركم فقيل هو خطاب للمشركين الذين أقسموا بالله وقيل هو خطاب للمؤمنين واختلفوا في قوله ( انها اذا جاءت لا يؤمنون ) فقرا ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم انها بكسر الالف على الابتداء وقالوا لم الكلام عند قوله وما يشعركم على معنى وما يدرككم ما يكون منهم ثم ابتدأ فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون فن جعل الخطاب للمشركين قال معناه وما يشعركم بها المشركون انها يعني الآيات اذا جاءت آمنتم ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه وما يشعركم أي المؤمنون انها اذا جاءت آمنوا لان المؤمنين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله أن يرهم ما اقترحوه حتى يؤمنوا فخطبهم الله بقوله وما يشعركم ثم ابتدأ فقال تعالى انها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا في



نصفها ومعنى درست قرأت كتاب أهل الكتاب دارست مكى وأبو عمر وأى دارست أهل الكتاب درست شامى أى قدمت هذه الآية  
ومضت كما قالوا أساطير الأوابين (ولنبينه) أى القرآن وإن لم يجز له ذكر كونه معلوماً و (٤٥)

اللام الثانية حقيقة والاولى  
لام العاقبة والضرورة أى  
لتصبر عاقبة أمرهم الى أن  
يقولوا درست وهو كقوله  
فانتقطه آل فرعون  
ليكون لهم عدواً وحزناً  
وهم لم ينتقطوه للعداوة  
وانما انتقطوه ليصبر لهم  
قرة عين ولكن صارت  
عاقبة أمرهم الى العداوة  
فكذلك الآيات صرفت  
للتبيين ولم تصرف ليقولوا  
درست ولكن حصل هذا  
القول بتصرف الآيات  
كحاصل التبيين فشبّه به  
وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه  
وعندنا ليس كذلك لما  
عرف (لقوم يعلمون)  
الحق من الباطل (اتبع  
ما أوحى اليك من ربك)  
ولا تتبع أهواءهم (لاله  
الاهو) اعترض أكديه  
إيجاب اتباع الوحي لأجل  
له من الاعراب وأحال من  
ربك مؤكدة (وأعرض  
عن المشركين) فى الحال الى  
أن يرد الامر بالقتال (ولو  
شاء الله) أى إيمانهم  
فالمفعول محذوف (ما  
أشركوا) بين انهم  
لا يشركون على خلاف  
مشيئة الله ولوعلم منهم

تألوها عايناً فقدمت وأخرجت من قولهم درس الاثر إذا سمع وذهب أثره (ولنبينه اقوم يعلمون) يعنى  
القرآن وقيل معناه نصراف الآيات اقوم يعلمون قال ابن عباس يريد أولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد  
وقيل معنى الآية وكذلك نصراف الآيات اسعدهم اقوم ويشق بها آخرون فمن أعرض عنها وقال النبي صلى  
الله عليه وسلم درست وأدرست فهو شقى ومن تبين له الحق وفهم منها هو عمل به فهو سعيد وقال أبو اسحق  
إن السبب الذى أداهم الى أن قالوا درست هو تلاوة آيات عليهم وهذه اللام فى قوله تعالى جعل  
يعنى صار عاقبة أمرهم أن قالوا درست فصار ذلك سبباً لشقاوتهم وفى هذا دليل على أن الله تعالى جعل  
تصرف الآيات سبباً لافلاحة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهدايتهم ﷻ وقوله تعالى (اتبع ما أوحى اليك من  
ربك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى اتبع ما يأمرك به ربك فى وحيه الذى أوحاه اليك وهو  
القرآن فاعمل به وبالغ فى عبادى ولا تلتفت الى قول من يقول دارست وأدرست وفى قوله اتبع ما أوحى  
اليك من ربك تعزية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وإزالة الحزن الذى حصل له بسبب قولهم درست ونبيه  
بقوله تعالى (لاله الاهو) انه سبحانه وتعالى واحد فرد صمد لا شريك له وإذا كان كذلك فانه يجب طاعته  
ولا يجوز تركها بسبب جهل الجاهلين وزيف الزانقين وقوله تعالى (وأعرض عن المشركين) قيل  
المراد منه فى الحال لا الدوام وإذا كان كذلك لم يكن النسخ وقيل المراد ترك مقاتلتهم فعلى هذا يكون الامر  
بالاعراض منسوخاً بآية القتال ﷻ قوله عز وجل (ولو شاء الله ما أشركوا) قال الزجاج معناه لو شاء الله  
لجعلهم مؤمنين وهذا نص صريح فى أن شركهم كان بمشيئة الله تعالى خلافاً لما تولى فى قولهم لم يرد من أحد  
الكفر والاشراك قاله رد علم (وما جعلناك عليهم حفيظاً) يعنى وما جعلناك يا محمد على هؤلاء المشركين  
رفيقاً ولا حافظاً لحفظ علمهم ﷻ وقال ابن عباس فى رواية عطاء وما جعلناك عليهم حفيظاً تمنعهم  
منا ومعناه أنك لم تبعث لحفظ المشركين من العذاب وانما بعثت مبلغاً فلاتهم بشركهم فان ذلك بمشيئة  
الله تعالى (وما أنت عليهم بوكيل) يعنى وما أنت عليهم بقيم تقوم بإرزاقهم وما أنت عليهم بمسيطر فى  
التفسير الاول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى قول ابن عباس لا تكون منسوخة ﷻ قوله  
عز وجل (ولا تتبعوا الذين بدعوا من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) الآية قال ابن عباس لما  
نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهن عن سب أختنا وأنهم جوع  
ربك فنهاهم الله أن يسبوا أو تأنهم فيسبوا الله عدواً بغير علم وقال قتادة كان المؤمنون يسبون أو تأن  
الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله لانهم قوم جهالة لا علم لهم بالله عز وجل وقال  
السدى لما حضرت أباطال بالواذ قالت قرىش انظروا نبالندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى  
عنا ابن أخيه فاستجى أن يقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه جمعه فعمامات قتله فأنطق أبو سفيان  
وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمية وأبى بن خلف وعقبة بن أبى معيط وعمر بن العاص والاسود  
ابن أبى البختري الى أبى طالب فقالوا يا أباطال أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمد قد أداننا ذى أختنا فنحب  
أن ندعوه فنتهاه عن ذكر أختنا ولندعه وإله فندعاه فناء النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبو طالب ان هؤلاء  
قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يردون قالوا يريدون نذعننا ولنا ونذعنك  
والهك فقال له أبو طالب قد أنصفتك قومك فاقبل منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرأيتم أن أعطيتكم هذا

اختيار الايمان لهداهم اليه ولكن علم منهم اختيار الشرك فشاء شركهم فاشركوا بمشيئته (وما جعلناك عليهم حفيظاً) مراعى لاعمالهم  
ماخوذ بالجرأهم (وما أنت عليهم بوكيل) عسلا وكان الماسمون يسبون آلهم فنهوا لئلا يكون سبهم سبباً لالله بقوله (ولانسوا) أهلة  
(الذين بدعوا من دون الله فيسبوا الله) منصوب على جواب النهى (عدواً) ظلموا وعدواناً (بغير علم) على جهالة بالله وما يجب أن يذكر به

وكان قوم فرعون قد رأوا قوم موسى ولم يدركوهم لكن قاربوا ادراكهم اباهم في موسى الادراك مع  
 اثبات الرؤية بقوله كلا والله تعالى يجوز أن يرى في الآخرة من غير ادراك ولا حاسة لان الادراك هو  
 الاحاطة بالمرئي وهو ما كان محدودا وله جهات والله تعالى منزعه عن الحد والجهة لانه القديم الذي لانهاية  
 لوجوده فعلى هذا انه تعالى يرى ولا يدرك وقال قوم ان الآية مخصوصة بالدينيا قال ابن عباس في معنى الآية  
 لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة وعلى هذا القول فلا فرق بين الادراك والرؤية قالوا يدل على  
 هذا التخصيص قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقوله يومئذ ناضرة في يوم القيامة وتلى هذا  
 يمكن الجمع بين الآيتين وقال السدي البصر بصرا بصرا بصرا بصرا بصرا بصرا بصرا بصرا بصرا بصرا بصرا بصرا  
 لا يدركه علم العلماء ونظيره ولا يحيطون به علموا وهذا وجه حسن أيضا والله أعلم وقوله تعالى وهو يدرك  
 الابصار يعني انه تعالى يرى جميع المراتب ويصير جميع المبصرات لا يخفى عليه شيء منها ويعلم حقيقتها  
 ومطلع على ماهيتها فهو تعالى لا تدركه ابصار المصيرين وهو يدركها (وهو اللطيف الخبير) قال ابن عباس  
 اللطيف بأوليائه الخبير بهم وقال الزهري معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل هو الموصل للشيء اليك برفق واين  
 وقيل هو الذي ينسب عبادته ذووهم للالتحاق وأصل اللطيف دقة النظر في الاشياء وقال أبو ساجان الخطابي  
 اللطيف هو الباين بعباده بلطف بهم من حيث لا يعلمون ويوصل اليهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون وقال  
 الأزهرى اللطيف في أسماء الله تعالى معناه الرفيق بعباده وقيل هو اللطيف حيث لم يأمر بعباده بفوق  
 طاقتهم ونعم عليهم فوق استحقاقهم وقيل هو اللطيف بعباده حيث نهي عنهم عند الطاعة ولم يقطع عنهم  
 بره واحسانه عند المعصية وقيل هو الذي اطلق عن ان تدركه الابصار وهو يدركها ﴿قوله تعالى﴾ (قد جاءكم  
 بصائر من ربكم) البصائر جمع البصرة وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به والمعنى قد جاءكم القرآن  
 الذي فيه البيان والحجج التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل وقيل ان الآيات والبراهين  
 ليست في أنفسها ابصارا لأنها لا توجب البصر لمن عرفها ودفعها على حقائقها فلما كانت هذه الآيات  
 والحجج والبراهين أسبابا للحصول بالبصائر سميت بصائر (فن أبصر) يعني فن عرف الآيات واهدت بها الى  
 الحق (فلنفسه) يعني فلنفسه أبصر وطاع عمل لانه يود نفع ذلك عليه (ومن عمى) يعني ومن جهل ولم يعرف  
 الآيات ولم يستدل بها الى الطريق (فما لها) يعني فعلى نفسه عمى وطاعه وكان بالذلك العمى عليه لان  
 الله تعالى غنى عن خلقه (وما أنا عليكم بحفيظ) يعني وما أنا عليكم برقيب أحصى عليكم أعمالكم وأفعالكم  
 انما أنا رسول من ربكم اليكم بلغكم ما أرسلت به اليكم والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم  
 وأحوالكم وقيل معناه لا أقدر أن أدفع عنكم ما يرد الله بكم وقيل معناه لست أأخذكم كما لا يأخذ الله  
 الحفيظ الوكيل وهذا كان قبل الامر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآيات  
 السيف وعلى القول الاول ليست منسوخة والله أعلم ﴿قوله عز وجل﴾ (وكن ذلك نصرف الآيات) يعني  
 وكذلك نبين الآيات ونفصلها في كل وجه كما صر فها هو بيناها من قبل (وليتلووا درست) يعني وكذلك  
 نصرف الآيات لتزعمهم المحبة وليقولوا درست وقيل معناه ليقولوا درست وقيل اللام فيه لام العاقبة ومعناه  
 عاقبة أمرهم أن يقولوا درست يعني قرأت على خبرك يقال درس الكتاب يدرسه درسه اذا كثرت قراءته  
 وذلك لما حفظ قال ابن عباس وليقولوا يعني أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن درست يعني تعلمت من يدره وخبر  
 وكانا عبد بن منسي الزرهم قرأت علينا تزعم أنه من عند الله وقال الفراء معناه تعلمت من اليهود وقرئ  
 درست بالالف يعني قرأت أهل الكتاب من المداينة التي هي بين اثنين يعني يقولون قرأت على أهل  
 الكتاب وقرأ عليكم وقرئ درست بفتح الدال والراء والسين وسكون التاء ومعناه ان هذه الاخبار التي

والاف كما يعلم موجودا بلا  
 كيفية وجهة بخلاف  
 كل موجود لم يجز أن  
 يرى بلا كيفية وجهة  
 بخلاف كل مرئي وهذا لان  
 الرؤية تحقق الشيء بالبصر  
 كما هو قال كان المرئي في  
 الجهة يرى فيها وان كان  
 لا في الجهة يرى لافها  
 (وهو اللطيف) أي العالم  
 بدقائق الامور ومشكلاتها  
 (الخبير) العليم بخواهر  
 الاشياء وخفياتها وهو من  
 قبيل القاب والنسر (قد  
 جاءكم نصائر من ربكم)  
 البصرة نور القاب الذي به  
 يستبصر القلب كما ان  
 البصر نور الدين الذي به  
 تبصر أي جاءكم من الوحي  
 والتبيين ما هو لقلب  
 كالبحائر (فن أبصر)  
 الحق وآمن (فلنفسه)  
 أبصر واياها نفع (ومن  
 عمى) عنه وضل (فعلينا)  
 فعلى نفسه عمى واياها  
 ضر بالعمى (وما أنا عليكم  
 بحفيظ) أحفظ أعمالكم  
 وأجازكم عليها انما أنا  
 منذر والله هو الحفيظ  
 عليكم الكاف في  
 (وكن ذلك نصرف الآيات)  
 في موضع نصب مفعلة المصدر  
 المحذوف ي نصرف الآيات  
 تصريفها مثل ما تلونا عليك  
 (وليتلووا) جواب محذوف  
 أي وليقولوا (درست)

الحقيق بالعبادة قاعبدوه ولا  
تعبسوا من دونه من  
بعض خلقا (وهو على  
كل شيء وكيل) أي هو مع  
تلك الصفات مالك لكل  
شيء من الارزاق والآجال  
رقيب على الاعمال  
(لا تدركه الابصار) لا تحيط  
به ٣ أو أبصار من سبق  
ذكرهم ونشبت المعتزلة  
بهذه الآية لا يستتب لان  
المنفى هو الادراك لا رؤية  
والادراك هو الوقوف  
على جوانب المراتب  
وحده واما استحيل  
عليه الحدود والجهات  
يستحيل ادراكه لا رؤيته  
فقل الادراك من الرؤية  
معتزلة الاحاطة من العلم ونفي  
الاحاطة التي تقتضي  
الوقوف على الجوانب  
والحد ولا يقتضي في العلم  
به فكذلك هذا على أن مورد  
الآية وهو التمدح بوجوب  
ثبوت الرؤية اذا نفي ادراك  
ما يستحيل رؤيته لا مدح  
فيه لان كل ما يرى لا يدرك  
وانما التمدح بنفي الادراك  
مع تحقق الرؤية اذا اتفاه  
مع تحقق الرؤية دليل  
ارتفاع نقبصة التناهي  
والحدود على الذات  
فكانت الآية حجة لنا  
عليهم ولو امكنوا النظر فيها  
لاغتنموا التفصيص عن  
عهدتها ومن نفي الرؤية  
يلزمه نفي ما نعلم وجود

فاعبدوه) يعني انه هو الذي يستحق العبادة قاعبدوه راطيعوه (وهو على كل شيء وكيل) يعني أنه هو تعالى  
على كل شيء خافي رقيب حفيظ يقوم بارز في جميع خلقه ﴿ قوله عز وجل (لا تدركه الابصار) وهو يدرك  
الابصار) قال جمهور المفسرين معنى الادراك الاحاطة بكنهه الشيء وحقيقته فلا بصارت ترى الباري جل جلاله  
ولا تحيط به كإمكان القلوب تدركه فلا تحيط به وقال سعيد بن المسيب في نفسه يرقوله لا تدركه لا بصار لا تحيط به  
الابصار وقال ابن عباس كل ما أبصار الخلق في عن الاحاطة به  
فصل ﴿ تمسك بظاهر الآيات قوم من أهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة وقالوا ان الله  
تبارك وتعالى لا يراهم أحد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا لان الله أخبر أن الابصار لا تدركه وادراك  
البصر عبارة عن ان رؤية اذ لا فرق بين قوله أدركته يبصرى ورأيته يبصرى فثبت بذلك ان قوله لا تدركه  
الابصار بمعنى لاتراء الابصار وهذا يفيد العموم ومذهب أهل السنة ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي  
الجنة وان رؤيته غير مستحيلة عقلا واحتجوا بصحة مذهبهم بظاهر أدلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة  
ومن بعدهم من سلف الأمة على اثبات رؤية الله تبارك وتعالى للمؤمنين في الآخرة قال الله تبارك وتعالى  
وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة وفي هذه الآية دلائل على ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وقال تعالى  
كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعي رحمه الله يحجب قوما بالمصيبة وهي الكفر فثبت ان قوما  
يرونه بالطاعة وهي الايمان وقال مالك لو لم يؤمنون بهم يوم القيامة لم يعبر السكفار بالحباب وقال تعالى  
الذين أحسنوا الحسنى وزيادة فوسر واهذه الزيادة بالنظر الى وجه الله تبارك وتعالى يوم القيامة وأما دلائل  
السنة فاروى عن جرير بن عبد الله البجلي قال كعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر  
وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لاتغلبوا عن صلاة  
قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمده ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب أخرجه  
البخاري ومسلم عن أبي هريرة ان ناسا قالوا لاي رسول الله هل ترى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم هن تضاحون في القمر ليلة البدر قالوا لاي رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا  
لا يارسل الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم تزرونه كذلك أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي وليس  
عنده في أوله ان ناسا قالوا ولا في آخره ليس دونها سحاب عن أبي رزبن النخعي قال قلت لاي رسول الله صلى الله  
عليه وسلم في رؤيته ليلة يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك من خلقه قال يا أبا رزبن أليس كما تكبرى القمر ليلة  
البدر تخليابه قلت بلى قال فأنه أعظم أمها خلق من خلق الله يعني القمر فأنه أجل وأعظم أخرجه أبو داود  
وأما الدلائل العقلية فقد احتج أهل السنة بإضاهة الآية على جواز رؤية المؤمنين ربهم يوم اقيامه  
وتقريره أنه تعالى تمدح بقوله لا تدركه الابصار فلو لم يكن جائز الرؤية لما حصل هذا التمدح لان الممدوم  
لا يصح التمدح به فثبت ان قوله لا تدركه الابصار يفيد المدح وهذا يدل على أنه تعالى جائز رؤية وتحقيق  
هذا ان الشيء اذا كان في نفسه بحيث تمتع رؤيته فحينئذ لا يلزم من عدم رؤيته مدح وعظيم أما اذا كان  
في نفسه جائز رؤية ثم انه قدر على حجب الابصار عنه كانت القدرة دالة على المدح والعظمة فثبت ان  
هذه الآية دالة على انه تعالى جائز رؤية واذا ثبت هذا وجب القطع بان المؤمنين يرونه يوم القيامة لان  
موسى صلى الله عليه وسلم سأل الرؤية بقوله أرأى أنظر اليك وذلك يدل على جواز الرؤية اذ لا يسأل نبي مثل  
موسى ما لا يجوز ومنتفع وقد علم ان الله الرؤية على استقرار الجبل بقوله فان استقرامكة فسوف ترائي  
واستقرار الجبل جائز والاعني على الجائز جائزا والجواب عن تمسك المعتزلة بظاهر هذه الآية في نفي الرؤية  
فاعلم ان الادراك غير الرؤية لان الادراك هو الاحاطة بكنهه الشيء وحقيقته والرؤية المباشرة للشيء من غير  
احاطة وقد تكون الرؤية بغير ادراك كما قال تعالى في قصة موسى قال أصحاب موسى المادركون قال كلا

الاول وقائدة القديم استعظام ان يشهد الله شريك من كان ملكاً وجنباً وغير ذلك والمعنى انهم اطاعوا الجن فيما سول لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله (وخالفهم) أى وقد خالف الجن فكيف يكون المخلوق شركاً بخالقه والجهة حال أى وخلقى الجاعلين لله شركاء فكيف يعبدون غيره (وخرقوا له) (٤٢) أى اختلقوا يقال خلق الفلك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى أو هو من

بازدق فلان الكتاب الذى زعم زردشت أنه نزل من السماء سماه بازند والمذوب اليه زدى ثم عرب فقيل زنديق فادّاه جمع قيل زنادقة ثم ان المجوس قالوا كل ما يكون في هذا العالم من الخير فهو من يزدان يعنى النور وجميع ما في العالم من الشر فهو من الظلمة يعنى ابليس ثم اختلف المجوس فلاكثر من منهم على أن ابليس محدث وهمي في كيفية حدوثه أقوال عجيبة والافلون منهم قالوا انه قديم وعلى كلاس القواين فقد اتفقوا على أنه شريك الله في تدبير هذا العالم فما كان من خبر عن الله وما كان من شر عن ابليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فان قلت فعلى هذا القول انما أثبتوا لله شريكاً وهو ابليس فكيف حكم الله انهم جعلوا له شركاء قلت ان ابليس له أعوان من جنسه وحزبهم شياطين الجن يعملون أعماله ففصح ما حكا الله عنهم من انهم جعلوا له شركاء الجن ومعنى الآية وجعلوا الجن شركاء لله واختلقوا في معنى هذه الشريعة فن قال ان الآية في كفار العرب قال انهم لما اطاعوا الجن فيما أمرهم به من عبادة الاصنام فقد جعلوهم شركاء لله ومن قال انما في المجوس قال انهم أثبتوا الهين اثنين النور والظلمة وقيل ان كفار العرب قالوا الملائكة بنات الله وهم شركاء لله في هذا القول فقد جعلوا الملائكة من الجن وذلك لانهم مستورون عن الاعين وقوله (وخلقهم) في معنى السكينة قولان أحدهما انها تعود الى الجن فيكون المعنى والله خالق الجن فكيف يكون شريك الله هو محدث مخلوق واتقول الثاني أن السكينة تعود الى الجاعلين لله شركاء فيكون المعنى وجعلوا لله الذى خالفهم شركاء لايخلقون شيئاً وهذا كالل دليل القاطع بان المخلوق لا يكون شريكاً لله وكل ما في الكون محدث مخلوق والله تعالى هو الخالق لجميع ما في الكون فامتنع أن يكون لله شريك في ملكه (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) أى اختلقوا وكذبوا يقال اختلقوا واخترقوا على فلان اذا كذب عليه وذلك ان النصارى وطائفة من اليهود ادّعوا ان الله ابنا وكفار العرب ادّعوا ان الملائكة بنات الله وكذبوا على الله جميعاً فادّعوه وقوله بغير علم كالنبي عليه ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول لان الولد جزء من الاب والله سبحانه وتعالى لا يتجزأ فثبت هذا فساد قول من يدعى ان الله ولداً ثم زعم الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وعن هذه الاقاويل الفاسدة فقال تعالى (سبحانه وتعالى عما يصفون) فقلوه سبحانه فيه تزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وقوله تعالى يعنى هو المتعالى عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد أى يكون المعنى المتعالى عن اتخاذ الولد والشريك وقوله عما يصفون يعنى عما يصفونه به من الكذب وقوله عز وجل (بديع السموات والارض) الابداع عبارة عن تكوين الشيء عن غير مثال سبق والله تعالى خلق السموات والارض على غير مثال سبق (أنى يكون له ولد) يعنى من أين يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) لان الولد لا يكون الا من صاحبة أنى ولا ينفى أن تكون لله صاحبة لانه ليس كمثل شئ (وخلق كل شئ) يعنى أن صاحبة الولد في جملة من خلق لانه خالق كل شئ وليس كمثل شئ فكيف يكون الولد لمن لا مثل له واذا نسب الولد والصاحبة اليه فقد جعل له مثل والله تعالى منزّه عن المثلية وهذه الآية حجة قاطعة على فساد قول النصارى (وهو بكل شئ عليم) يعنى أنه تعالى عالم بجميع خلقه لا يعزب عن علمه شئ وعلمه محيط بكل شئ وقوله تعالى (ذلكم تقر بكم) يعنى ذلكم الله الذى من صفته انه خالق السموات والارض وأبدعها على غير مثال سبق وانه بكل شئ عليم هو ربكم الذى يستحق العبادة لانه تدعون من دونه من الاصنام لانها جادات لا تخلق ولا تنضر ولا تنفع ولا تعلم والله تعالى هو الخالق الضار النافع (لا اله الا هو خالق كل شئ

خرق الثوب اذا شقه أى اشتقوا له بنين) كقول أهل السكاكين في المسيح وعزير (وبنات) كقول بعض العرب في الملائكة وخرقوا بالتشديد للتكثير مدنى لقوله بنين وبنات (بغير علم) من غير أن يعملوا حقيقة ما قالوا من خطأ وأصواب ولكن رميا بقول عن جهالة وهو حال من فاعل خرقوا أى جاهلين بما قالوا (سبحانه وتعالى عما يصفون) من الشريك والولد (بديع السموات والارض) يقال بدع الشيء فهو بديع وهو من اضافة الصفة المنسبة الى فاعلها يعنى بديع سمواته وأرضه أو هو بمعنى المبدع أى مبدعها وهو خير مبتدأ محذوف أو مبتدأ وخبره (فى يكون له ولد) أو هو فاعل تعالى (ولم تكن له صاحبة) أى من أين يكون له ولد والولد لا يكون الا من صاحبة ولا صاحبة له لان الولد من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسماً حتى يكون له ولد وخلق

(نبات كل شيء) ثبت كل صنف من أصناف النبات أى السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف مختلفة (فاخرجنا منه) من النبات (خضرا) أى شيئا غضا أخضر يقال أخضر وخضر وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة (تخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السدل الذى تراكب حبه (ومن النخل من (٤١) طاعها فتوان) هورفع بالابتداء

ومن النخل خبره ومن طلعها بذكره قبل وحاصلة من طلع النخل فتوان وهو جوع فتور وهو العنق نظيره صنوبر صنون (دانية) من المجتني لانحنائها بشقل حملها وانقصر ساقها وفيه اكشفه أى وغير دانية اطولها كقوله سرايسل تقيـكم الحر (وجناب) بالنصب عطفًا على نبات كل شيء أى وأخر جناب جنات (من أغاناب) أى مع النخل وكذا (والزيتون) والرماني) وجناب بالرفع الاعشى أى ثم جنات من أغاناب أى مع النخل (مشبهها وغير مشابه) يقال اشبه الشيطان وتشابهوا استويا والافتعال والتفاعـل شتركان كثيرا وتقدره والزيتون مشابه اوغير مشابه والرماني كذلك يعنى بعضه مشابه وبعضه غير مشابه في القدر واللون والطعم (انظروا الى ثمره اذا نضج) اذا خرج ثمره كيف يخرج ضعا يقلا بمتقعه به (وبنعه) ونضجه

يعنى بالماء الذى أنزلناه من السماء (نبات كل شيء) يعنى كل شيء نبت ونمو من جميع أصناف النبات وقيل معناه أخرجناب الماء الذى أنزلناه من السماء غذاء لكل شيء من الانعام والبهائم والطيور والوحش وأرزاق بني آدم وأقواتهم مما يتغذون به فينبئون عليه ونمو (فاخرجنا منه خضرا) يريد أخضر مثل عور وأعور والآخر هو جميع الزرع والبقول الرطبة (تخرج منه حبا متراكبا) يعنى تخرج من ذلك الأخضر سنا بل فيها الحب يركب بعضها فوق بعض مثل سنب القمح والشعير والارز والذرة وسائر الحبوب وفى تقدم الزرع على النخل دليل على الأفضلية ولان حاجة الناس اليه أكثر لانه القوت المألوف (ومن النخل من طلعها فتوان دانية) يعنى من ثمرها يقال اطاعت النخلة اذا أخرجت طلعها واطلعها كقراها قبل أن ينشئ عن الأرض فض لا غرض يسمى طلعها أيضا وهو ما يكون في قلب الطلع والطلع أول ما يبدو ويخرج من ثمر النخل كالكرمان يكون فيه العنق فاذا شق عنه كثرانه سمي عناق وهو الفتى وجعه فتوان مثل صنوبر صنون دانية أى قرب بية التناول ينالها القاعم والقاعد وقال مجاهد متدلية وقال الضحك قصار ملتصقة بالأرض وفيه اختصار وحذف تقديره ومن النخل ما فتوانه دانية قرب بية ومنها ما هي بعيدة عالية فاكتفى بذلك القرية عن البعيدة لشدة الاهتمام بها ولانها أسهل تناولا من البعيدة لان البعيدة تحتاج الى كلفة (وجنات من أغاناب) يعنى وأخر جنات من أغاناب (والزيتون والرماني) يعنى وأخر جنات شجر الزيتون وشجر الرمان (مشبهها) قال قتادة مشبهها بغيرها لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان (وغير مشابه) يعنى ومنها غير مشابهة في الورق والطعم واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الآية أربعة أنواع من الشجر بعد ذكر الزرع وانما قدم الزرع على سائر الاشجار لان الزرع غذاء وثمار الاشجار فوك والغذاء مقدم على الفواكه وانما قسم النخلة على غيرها لان ثمرتها تجري مجرى الغذاء وفيها من المنافع والخواص ما ليس في غيرها من الاشجار وانما ذكر العنب عقب النخلة لانها من أشرف انواع الفواكه ثم ذكر عقبه الزيتون لما فيه من البركة والمنافع الكثيرة في الاكل وسائر وجوه الاستعمال ثم ذكر عقبه الرمان لما فيه من المنافع أيضا لانه فاكهة ودواء ثم قال تعالى (انظروا الى ثمره اذا نضج) يعنى ونضجه وادركه والمعنى انظروا وانظرا استدلال واعتبرا وكيف أخرج الله تعالى هذه الثمرة الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة اليابسة وهو قوله (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يعنى يصدقون ان الذى أخرج هذا النبات وهذه الثمار قادر على أن يحيى الموتى ويعيهم وانما احتج الله عليهم بتعريف ما خلق ونعمه من حال الى حال وهو ما علمونه وقطعوا وشاهدونه من احياء الارض بعد موتها واخراج سائر انواع النبات والثمار منها وانه لا يقدر على ذلك أحد الا الله تعالى ليبين أنه تعالى كذلك قادر على أن يحيى بعد موتهم ويعيهم يوم القيامة فاحتج عليهم بهذه الاشياء لانهم كانوا ينكرون البعث وهو قوله تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) قال الحسن معناه أطاعوا الجن في عبادة الاوثان وهو اختيار الزجاج قال معناه انهم أطاعوا الجن فمساوات لهم من شركهم فجعلوهم شركاء الله وقال الكلبي زات في الزنادقة أنبتوا الشرك لانتين في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانهام وبالس خلق الظلمة والسباع والحيات والعقارب ونقل هذا القول ابن الجوزي عن ابن السائب ونقله الرازي عن ابن عباس قال الامام خن الدين الرازي وهذا مذهب الجوس وانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان الجوس يلتبسون

(٦ - خازن - ثاني) أى انظروا الى حال نضجه كيف يعود شيئا جامعا لمنافع انظر اعتبار استدلال على قدرته ونافله من حال الى حال (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) ثمره وكذا ما بعده حجة وعلى جمع ثماره فوجع الجمع يقال ثمره ثمره وثمره وثمر (وجعلوا لله شركاء الجن) ان جعلت لله شركاء مفعول على جعلوا كان الحق بدلا من شركاء والا كان شركاء الجن مفعول ان قسم ثماره على

مكونا فيهم من قوله لتسكنوا فيه أي يسكن فيه الخلق عن كد العيشة إلى يوم الغلبة وأوع وحشة الخلق إلى الانس بالحق (والشمس والقمر) اتصيا بما صار فعل يدل (٤٠) عليه جاء الليل أي وجعل الشمس والقمر (حسباناً) أي جعلهما على حسابان

لان حساب الاوقات يعلم وذلك هو الليل (والشمس والقمر حسباناً) يعني انه تعالى قدر حركة الشمس والقمر في الفلك بحسبان معين قال ابن عباس بحر يان إلى أجل جعل لهما يعني عدد الايام والشهور والسنين وقال السكبي منازلها بحسبان لا يجوز انه حتى ينتهي إلى أقصى منازلها (ذلك) إشارة إلى ما تقدم ذكره في هذه الآية من الاشياء التي خلقها بقدرته وكان علمه وهو الراد بقوله (تقدير العزيز العليم) قال عز بزاياته إلى كل قدرته والعليم إشارة إلى كمال علمه ﴿قوله عز وجل﴾ (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) جعل هنا بمعنى خلق يعني والله الذي خلق لكم هذه النجوم أدلة لتهتدوا بها إذا ضل الطريق وتحررتم فيه فائق الله على عباده بان جعل لهم النجوم ليهتدوا بها في السالك والطرق في البر والبحر إلى حيث يريدون ويستدلون بالنجوم أيضاً على القبلة فيستدلون على ما يريدون في النهار بحركة الشمس وفي الليل بحركة الكواكب ومن منافعها أيضاً انه تعالى خلقها زينة للسماء ورجواً للشياطين كما قال ولقد زدنا السماء الدنيا بصباح وجعلنا هارجواً للشياطين (قد فصلنا الآيات) يعني قدينا الآيات الدالة على توحيدنا وكل قدرتنا (انتم تعلمون) ان ذلك مما يستدل به على وجودنا صانع الخلق وكل علمه وقدرته ﴿قوله تعالى﴾ (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة) يعني والله الذي ابتداء خلقكم أيها الناس من آدم عليه السلام فهو أبو البشر كلهم وحواء مخلوقة منه وعيسى أيضاً لان ابتداء خلقه من مريم وهي من بنات آدم فثبت ان جميع الخلق من آدم عليه السلام (فستقر ومستودع) فرى فستقر بكسر القاف وفتحها يقال قر في مكانه واستقر فن كسر القاف قال المستقر بمعنى القار والمعنى منكم مستقر يعني في الارحام ومن فتح القاف جعله مكاناً فالستقر نفس المقر فيكون المعنى لكم مقر وأما المستودع فهو مثل أودع فيجوز أن يكون اسماً لانسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز أن يكون المكان نفسه فن قر فستقر بفتح القاف جعل المستودع مكاناً والذين فلكم مكان استقروا ومكاناً فستقر ومن كسر القاف جعل المعنى منكم مستقر ومنكم مستودع يعني منكم من استقر ومنكم من استودع والفرق بين المستقر والمستودع ان المستقر أقرب إلى الثبات من المستودع لان المستقر من القرار والمستودع معرض لان بدوله فاختلفت عبارات المفسرين في معنى هذين اللفظين فروى عن ابن عباس أنه قال المستقر في أرحام الامهات والمستودع في أصلاب الآباء ثم قرأ ونقر في الارحام ما نشاء ويؤيد هذا القول ان النطقة لا تبق في صلب الاب زماناً طويلاً والجنين يبق في بطن الام زماناً طويلاً ولما كان المكث في بطن الام أكثر من صلب الاب جعل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب وروى عنه انه قال بالعكس يعني أن المستقر صلب الاب والمستودع رحم الام ووجه هذا القول أن النطقة حصلت في صلب الاب قبل رحم الام فوجب جعل المستقر على الصلب والمستودع على الرحم وقال ابن مسعود المستقر في الرحم إلى أن يولد والمستودع في القبر إلى أن يبعث وقال مجاهد المستقر على ظهر الارض في الدنيا والقول ولكم في الارض مستقر ومستودع إلى حين والمستودع عند الله في الآخرة وقال الحسن المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وكان يقول يا ابن آدم أنت مستودع في أهالك إلى أن تلحق بصاحبك يعني القبر وقيل المستودع في القبر والمستقر في الجنة والنار لان المقام بهما يقتضي الخلود والتأبيد (قد فصلنا الآيات) قدينا الدلائل الدالة على التوحيد بالبراهين الواضحة والحجج القاطعة (لقوم يفقهون) يعني اقوم يفهمون عن الله آياته ودلائله الدالة على توحيده لان الفقه هو الفهم ﴿قوله عز وجل﴾ (وهو الذي أنزل من السماء ماء) يعني المطر وقبل ان الله ينزل المطر من السماء إلى السحاب ومن السحاب إلى الارض (فاخرجنا به)

(قد فصلنا الآيات اقوم يفقهون) وانما قيل يعلمون ثم يفقهون هنا لان الدلالة ثم أظهر وهما أدق لان انشاء الانس من نفس واحدة وتقرر فيهم بين احوال مختلفة أدق فكان ذكر الفقه الداعي إلى تدقيق النظر أدق (وهو الذي أنزل من السماء ماء) من السحاب مطراً (فاخرجنا به) بالماء



الذين في النواة والخنطة  
(يخرج الحى من الميت)  
النبات الغض النامى من  
الحب اليابس (ويخرج  
الميت من الحى) الحب  
اليابس من النبات النامى  
أو الانسان من النطفة  
والتطفة من الانسان أو  
المؤمن من الكافر والكافر  
من المؤمن فأحتج الله عليهم  
بما يشاهدونه من خلقه  
لأنهم أنكروا البعث  
فأعلمهم أنه الذى خلق هذه  
الاشياء فهو بقدر على بعثهم  
وأما قال ويخرج الميت بلفظ  
اسم الفاعل لانه معطوف  
على فاق الحب لاعلى الفعل  
ويخرج الحى من الميت  
موقعه موقع الجملة الميئة  
أقوله فاق الحب والنوى  
لان فاق الحب والنوى  
بالتبات والشجر التامتين  
من جنس اخراج الحى  
من الميت لان النامى فى  
حكم الحى وان دليلة  
أقوله وبحي الارض بعد  
موتها (ذلك الله) ذلك  
الحى والميت هو الله الذى  
تحق له الربوبية لا لانام  
(فأنى تؤفكون) فكيف  
تصرفون عنه وعن توليه  
الى غيره بعد وضوح الامر  
بما ذكرنا (فاق الاصباح)  
هو مصدر سمي به الصبح  
أى شاق عمود الصبح عن  
سواد الليل أو خالق نور النهار

الفاق هو الشق ثم اختلفوا فى معناه على قولين أحدهما وهو مروي عن ابن عباس قال فلق الحب عن السنبلة  
والنواة عن النخلة وهو قول الحسن والسدى وابن زيد قال الزجاج يشق الحب اليابس والنواة اليابسة  
فيخرج منها ورقاً أخضر والقول الثاني وهو قول مجاهد انه الشقان اللذان فى الحب والنوى والحب هو  
الذى ليس له نوى لخنطه والشعر والارز وما أشبه ذلك والنوى جمع نواة وهى ما كان على ضد الحب  
كالرطب والخوخ والمشمس وما أشبه ذلك ومعنى قوله فاق الحب والنوى أنه اذا وقعت الحببة أو النواة فى  
الارض الرطبة تمر على ذلك قدر من الزمان أظهر الله تبارك وتعالى من تلك الحببة ورقاً أخضر ثم يخرج من  
ذلك الورق سنبلة يكون فيها الحب ويظهر من النواة شجرة صاعدة إلى الهواء وعروقها زارية فى الارض  
فيسبحان من أوجد جميع الاشياء بقدرتها وابعادها وخلقه ﴿ وقوله تعالى (يخرج الحى من الميت ويخرج  
الميت من الحى) قال ابن عباس فى رواية يخرج من النطفة بشرحها ويخرج النطفة للميئة من الحى  
وهذا قول السكاكي ومقاتل قال السكاكي يخرج النطفة الحية من النطفة الميتة ويخرج الفرخة من البيضة  
ويخرج النطفة الميتة والبيضة الميتة من الحى وقال ابن عباس فى رواية أخرى يخرج المؤمن من الكافر  
ويخرج الكافر من المؤمن بفعل الايمان بمنزلة الحياة والكفر بمنزلة الموت وهذا قول الحسن وقيل معناه  
يخرج الطائع من العاصي والعاصي من الطائع وقال السدى يخرج النبات من الحب والحب من النبات  
وهذا اختيار الطبرى لانه قال عقب قوله ان الله فاق الحب والنوى فان قلت كيف قال ويخرج الميت  
من الحى بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحى من الميت وما السبب فى عطف الاسم على الفعل قلت  
قوله ويخرج الميت من الحى عطف على قوله فاق الحب والنوى وقوله ويخرج الحى من الميت كالبيان  
والتفسير لقوله فاق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى اليابس واستراج النبات والشجر منه من جنس  
اخراج الحى من الميت لان النامى من النبات فى حكم الحيوان وقوله (ذلك الله) يعنى ذلك الله المبدء الخالق  
الصانع لهذه الاشياء المحيى للميت لها (فأنى تؤفكون) يعنى فأنى تصرفون عن الحق فتعبدون غير  
الله الذى هو خالق الاشياء كلها وفيه دليل أيضاً على صحة البعث بعد الموت لان القادر على اخراج البس من  
النطفة قادر على اخراجهم من التراب للحساب ﴿ وقوله تعالى (فاق الاصباح) أى شاق عمود الصبح عن ظلمة  
الليل وسواده والاصباح مصدر سمي به الصبح وقال الزجاج الاصباح والصبح واحد وهما أول النهار فان  
قلت ظاهر الآية يدل على انه تعالى فى الصبح والظلمة التى تنفلق بالصبح فامعنى ذلك قلت ذكر العلماء  
فيه وجهها الاول أن يكون المراد فاق ظلمة الصبح وذلك لان الصبح صبحان فالصبح الاول هو اليابض  
المستطيل الصاعد فى الافق كذنب السرحان وهو الذنب ثم تعقبه ظلمة بعد ذلك ويسمى هذا الصبح الفجر  
الكاذب لانه يبدو فى الافق الشرقى ثم يضمحل ويذهب ثم يطالع بعده الصبح الثانى وهو الضوء المستطيرفى  
جميع الافق الشرقى ويسمى الفجر الصادق لانه ليس بعده ظلمة والحاصل من هذا أن يكون المعنى فاق ظلمة  
الصبح الاول بنور الصبح الثانى الوجه الثانى انه تعالى كاشف ظلمة الليل بنور الصباح فيسلك ذلك يشق نور  
الصبح بضياء النهار فيكون معنى قوله فاق الاصباح أى فاق الصباح بنور النهار الوجه الثالث ان يراد فاق  
ظلمة الاصباح وهى الغيب فى آخر الليل الذى يلى الصبح الوجه الرابع أن يكون المعنى فاق الاصباح الذى  
هو عمود الفجر اذا اصدع الفجر وانفلق وسى الفجر فلما معنى مفلوق الوجه الخامس الفاق بمعنى الخلق  
يعنى خالق الاصباح وعلى هذا القول يزول الاشكال والصبح هو الضوء الذى يبدو أول النهار والمعنى انه  
تعالى مبدء ضوء الصبح وخالقه ومنوره ﴿ وقوله تعالى (وجاء الليل سكناً) السكن ما سكنت اليه واسترحت  
به يريدان الناس يسكنون فى الليل سكناً راحة لان الله جعل الليل لهم كذلك قال ابن عباس ان كل ذى  
روح يسكن فيه لان الانسان قد أعجب نفسه فى النهار فاحتاج الى زمان يستريح فيه ويسكن عن الحركة

(وجاء الليل) وجعل الليل كوفى لان اسم الفاعل الذى قبله معنى المضى فلهذا كان فاقى بمعنى فاق عطف عليه جعل لتوافقهما معنى (سكناً)

انه لا قدرة لاحد على اخراج روحه من بدنه فإفادة هذا الكلام قلت معناه يقولون لهم أخرجوا أنفسكم  
 كرها لان المؤمنين بحب لقاء الله بخلاف الكفار وقيل معناه يقولون لهم خلاصوا أنفسكم من هذا العذاب  
 ان قدرتم على ذلك فيكون هذا القول توبيخا لهم لانهم لا يقدرون على خلاص أنفسهم من العذاب في ذلك  
 الوقت (اليوم تجزون عذاب الهون) يعني الهوان (عما كنتم تقولون على الله غير الحق) يعني ذلك العذاب  
 الذي تجزونه بسبب ما كنتم تقولون على الله غير الحق (وكنتم عن آياته تستكبرون) يعني وبسبب ما كنتم  
 تتعظمون عن الإيمان بالقرآن ولا تصدقونه **وقوله تعالى** (واتدجيتهم وافرادي) يعني وحدا لئلا يمال  
 معكم ولا زوجه ولا ولدا لخدم وهذا خبر من الله عز وجل عن حال الكافرين يوم القيامة وكيف يحشرون  
 اليه وماذا يقول لهم في ذلك اليوم وفي قوله لا كافرين ولقد جئتمونا فرادى تقرعهم وتوبخهم لهم لانهم  
 صرفوا همهم في الدنيا الى تحصيل المال والولد والجاه وأفوا أعمارهم في عبادة الاصنام فلم يغن عنهم كل  
 ذلك شيئا في يوم القيامة فيقرع فرادى عن كل ما حصلوا في الدنيا (كما خلقناكم أول مرة) يعني جئتمونا حفاة  
 عراة غلابة يعني قلنا كمال ذمتهم أمهاتهم في أول مرة في الدنيا لا شيء عليهم ولا معهم (ق) عن ابن عباس قال قام  
 فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غلابة أنا  
 أول خلق نعيده وعدا علينا أنا كنا فاعلين (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول  
 تحشر الناس حفاة عراة غلابة فقال الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الأمر أشد  
 من أن يههم ذلك روى الطبري بسنده عن عائشة انها قرأت قول الله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما  
 خلقناكم أول مرة فقالت يا رسول الله واسوأ أمهات الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى  
 سوا بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر الرجال الى النساء  
 ولا النساء الى الرجال شغل بعضهم عن بعض **وقوله تعالى** (وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم) يعني وتركتم  
 الذي أعطيناكم مملكتكم من الأموال والاولاد والخدم والخلق وكل ما أعطى الله العبد خوله فيه من المال  
 والعبيد وراء ظهوركم يعني في الدنيا (وما ترى معكم شفاعة الذين زعمتم انهم فيكم شركاء) يعني ان المشركين  
 زعموا انهم اعايدوا هذه الاصنام لانها تنفع لهم عند الله يوم القيامة لانها شركاء الله تعالى الله عن ذلك  
 فاذا كان يوم القيامة وجى الله المشركين وقرعهم بهذه الآية ثم قال تعالى (لقد قطع بينكم) قرئ بضم  
 النون من بينكم ومعناه لقد قطع ما بينكم من الوصل أو يكون معناه لقد قطع الامر بينكم وقرئ  
 بينكم برفع النون ومعناه لقد قطع وصلكم واليمين من الاضداد يكون وصلا ويكون هجرا (وضل  
 عنكم ما كنتم تزعمون) يعني وذهب وبطل ما كنتم تكذبون في الدنيا **وقوله عز وجل** (ان الله فاق الحجب  
 والنوى) لما تقدم الكلام على تقرير التوحيد وتقرير النبوة أرفده بذكر الدلائل الدالة على كمال قدرته  
 وعلمه وحكمته تنبيها على أن المقصود الاعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى بجميع صفاته وأفعاله وانه  
 مبدع الاشياء وخالقها ومن كان كذلك كان هو المستحق للعبادة لاهذه الاصنام التي كانوا يعبدونها  
 وتعرفوا منه خطأ ما كانوا عليه من الاشراك الذي كانوا عليه والمعنى ان الذي يستحق العبادة دون غيره هو  
 الله الذي فاق الحجب عن النبات والنواة عن النخلة وفي معنى فاق قولنا أحدهما بمعنى خاق ومعنى  
 الآية على هذا القول ان الله خالق الحب والنوى وهو قول ابن عباس في رواية العوفي عنه وبه قال الضحاك  
 ومقاتل قال الواحدى ذهبوا بالى مذهب فاطر وانكر الطبري هذا القول وقال لا يعرف في كلام العرب  
 فاق الله الشيء بمعنى خاق ونقل الازهرى عن الزجاج جوزة فقال وقيل الفائق الخلق واذا تأملت الخلق تبين  
 لك أن أكثره عن انفلاق ومعنى هذا الكلام ان جميع الاشياء كانت قبل الوجود في العدم فلما أوجدها  
 الله تعالى وأخرجها من العدم الى الوجود فكأنه فاقها وأظهرها والقول الثاني وهو قول الاكثري ان

وامهال (اليوم تجزون عذاب الهون) أرادوا وقت الامانة وما يعذبون به من شدة النزاع والهون الهوان الشدبدواضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة الهوان والتمسك فيه عما كنتم تقولون على الله غير الحق من أن له شركا وصاحبة ولدا وغير الحق مفعول تقولون أو وصف لمصدر مخدوف أى قولاً غير الحق (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلانؤمنون بها (ولقد جئتمونا للحساب والجزاء) (فرادى) منفردين بالمال ولا معين وهو جمع فريد كاسير وأسارى (كما خلقناكم) في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا أى جئنا مثل ما خلقناكم (أول مرة) على الهبات التي ولدتم عليها في الانفرد (وتركتم ما خولناكم) ملكناكم (وراء ظهوركم) ولم تحملوا منه تقبرا (وما ترى معكم شفاعة الذين زعمتم انهم فيكم شركاء) في استعبادكم (لقد قطع بينكم) وصلكم عن الزجاج واليمين الوصل والهجر قال فوالله لولا البين لم يكن الهوى \* ولولا الهوى ما حن البين آف بينكم بدنى وعلى وحفض أى وقع التقطع بينكم (وضل عنكم) وضاع وبطل (ما كنتم تزعمون) انها شفاعة عند الله (ان الله فاق الحجب والنوى)

بمحافظة على اخواتها ظاهرا

(ومن أظلم من افترى على الله كذبا) هو مالك بن الصيف (أوقال أوسى الى ولم يوح اليه شئ) هو مسيلم الكذاب ومن قال في موضع جوع طعن على من افترى أى ومن قال (سأزل مثل ما أنزل الله) أى سأقول وأملى هو عبد الله بن سعد بن أبى مرثد كاتب الوحي وقد أملى النبي عليه السلام عليه وانه قد خلقنا الانسان الى خلقنا آخر فخرى على لسانه فبارك الله أحسن الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك وقال ان كان محمد صادقا فقد أوحى الى كذا أوسى اليه وان كان كاذبا فقد قلت كذا قال فارتدوا حتى بمكة أو انصر ابن الحارث كان يقول واطاحت طعنا فالعاجات بمخنا فالخازنات خبزاً كانه يعارض (ولوترى) جوابه عنده (ولوترى) أى رأيت أسرار عظيمة (الظالمون) يريد الذين ذكروهم من اليهود والمنينة فيكون الالام للعهد ويجوز أن تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتراكه (في غمرات الموت) شدائده وسكراته (واللائكة) بأسطوا أيدهم أخرجوا أفسكم أى يسطون

يحمل على المحافظة على الصلاة وفائدة تخصيص الصلاة بالذكر دون سائر العبادات التنبيه على أنها أشرف العبادات بعد الإيمان بالله تعالى فإذا حافظ العبد عليها يمسكون محافظة على جميع العبادات والطاعات ﴿وقوله عز وجل (ومن أظلم من افترى على الله كذبا)﴾ يعنى ومن أعظم خطأ وأجمل فعلا عن اخلاق على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا وهو في زعمه كذاب مبطل (أوقال أوسى الى ولم يوح اليه شئ) قال قتادة نزلت هذه الآية في مسيلم الكذاب ابن ثمامة وقيل مسيلم بن حبيب من بنى حنيفة وكان صاحب نرجات وكهانة وسمع ادعى النبوة باليمن وزعم ان الله أوحى اليه وكان قد أرسل الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شهد ان أن مسيلم بنى قال نعم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكم (ق) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما أنا قائم إذ أتيت خزائن الارض فوضع في يدي سوار من ذهب فكبيرا على وأهني فاحشى الى أن انفضخها فنفختها فطارا فاولاهم الكذابين الذين أنا بينهم صاحب صنعا وصاحب الجمامة وفي لفظ الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت في المنام كان في يدي سوار من فاولاهم كذابين بخرجان من بعدى يقال لاحدهما مسيلم صاحب الجمامة والعنسي صاحب صنعا وقوله فاحشى الى ان انفضخها بروى بالخاء المعجمة من النسخ روى به انه فنفخها فطارا عنه وهو قريب من الاول فاما مسيلم الكذاب فانه ادعى النبوة بالجمامة من اليمن وتبعه قومه من بنى حنيفة وكان صاحب نرجات فاغتر قومه بذلك وقتل مسيلم الكذاب في زمن خلافة أبى بكر الصديق قتله وحشى قائل حجة بن عبد المطلب وكان وحشى يقول قتلت خير الناس يعنى حجة وقتلت شر الناس يعنى مسيلم وأما الاسود العنسي باليمن فهو عبلة بن كعب وكان يقال له ذوالخمار ادعى النبوة باليمن في آخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقتل والنبي صلى الله عليه وسلم حشى لم يمت وذلك قبل موته بيومين وأخبر أصحابه بقتله وقتله فيروز والديلمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاز فيروز يعنى بقتله الاسود العنسي ففى قال ان هذه الآية يعنى قوله تعالى ومن أظلم من افترى على الله كذبا فزعم ان الله أوحى الى ولم يوح اليه شئ أنزلت في مسيلم الكذاب والاسود العنسي يقول ان هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة وهو قول بعض علماء التفسير يرتقم ذكره في أول السورة ومن قال ان هذه الآية مكية وقال انها نزلت في شأنهم ايقول انها خبر عن عيب قطفه ذلك فيما بعد والله أعلم ﴿وقوله تعالى (ومن قال سأزل مثل ما أنزل الله)﴾ اليك قال السدي نزلت في عبد الله بن أبى سرح القرشي وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فكان إذا أملى عليه سماعا صبرا كتب عليها بما وإذا أملى عليه علمها كتبها كتب غفورا رحما فلعازت انزلت ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين أملاها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففجب عبد الله من تفصيل خالق الانسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبها فكذا نزلت فشك عبد الله بن أبى سرح وقال لئن كان محمد صادقا فقد أوحى الى مثل ما أوحى اليه فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله بعد ذلك الى الاسلام فاسلم قبل فتح مكة والنبي صلى الله عليه وسلم نازل ببر الظهران وقال ابن عباس نزل قوله ومن قال سأزل مثل ما أنزل الله في المسند تهذيبين وهو جواب اقولهم ونشأ لقلنا مثل هذا قال العلماء وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذبا في ذلك الزمان وبعده لانه لا يمنع خصوص السبب من عموم الحكم (ولوترى اذا الظالمون في غمرات الموت) يعنى ولوترى يا محمد حال هؤلاء الظالمين اذا نزل بهم الموت رأيت أمرا عظيما وغمراته شدائده وسكراته وغمرة كل شئ معظله وأصلها شئ الذي يغمر الأشياء فيغطها ثم وضعت في موضع الشدائد والمكاره (واللائكة) بأسطوا أيدهم يعنى بالعباد يضربون وجوههم وأدبارهم وقيل بأسطوا أيدهم أيدهم أو راحهم (أخرجوا أنفسكم) يعنى يقولون لهم أخرجوا أنفسكم فان قلت

الله يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء الآية التي في سورة النساء فلما حددتهم بأعمالهم الخبيثة جئنا رجل منهم وقال ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئا فأنزل الله وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء وأورد الرازي على هذا القول اشكالا أيضا وهو أنه قال إن اليهود مقررون بأنزل التوراة على موسى فكيف يقولون ما أنزل الله على بشر من شيء مع اعترافهم بأنزل التوراة ولم يجب عن هذا الاشكال بشيء وأجيب عنه ابن سراداي ودانكار أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فقط ولهذا الزموا بما لا بد لهم من الاقرار به من أنزل التوراة على موسى فقال تعالى (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) أي قل يا محمد هؤلاء اليهود الذين أنكروا أنزل القرآن عليك وقولهم ما أنزل الله على بشر من شيء من أنزل التوراة على موسى وفي هذا الزام لو يبيح لليهود بسبب وجههم واقدامهم على انكار الحاق الذي لا ينكر (نورا هدي للناس) يعني التوراة ضياء من ظلمة الضلالة وديانا يفرق بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل أن تبديل وتغير (يجهلونه قراطيس) يكتبونه في قراطيس مقطعة (يبدونها) يعني القراطيس المكتوبة (ويخفون كثيرا) يعني ويخفون كثيرا كما كتبوه في القراطيس وهو ما عندهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في التوراة فوما أخفوه أيضا آية الجرم وكانت مكتوبة عندهم في التوراة (وعلمتم ما تعلموا أنتم ولا نأناكم) أي كثر المفسرين على أن هذا خطاب لليهود ومعناه انكم علمتم على اسان محمد صلى الله عليه وسلم ما تعلموا أنتم ولا نأناكم من قبل قال الحسن جعل لهم علم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فضيوع ولم يتفعلوا به وقال مجاهد هذا خطاب للساميين يذكركم النعمة فيما علمهم على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل الله) هذا راجع الى قوله قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى فإن أجابوك يا محمد والافقل أنت الله الذي أنزله (ثم ذرهم في خوضهم بلعبون) يعني دعهم يا محمد فهاهم فيه يخوضون من باطلهم وكفرهم بالله ومعنى بلعبون يستهزئون ويسخرون وقيل معناه يا محمد انك اذا أتت الخجة عليهم وبلغت في الاعتذار والانهاد هذا المبالغ العظيم فيختل بل يبق عليك من أمرهم شيء فذرهم فهاهم فيه من الخوض واللعب وفيه وعيد وتهديد للشركين وقال بعضهم هذا منسوخ بآية السيف وفيه بعد لانه مذكور لاجل التهديد والوعيد قوله تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) يعني وهذا القرآن كتاب أنزلناه من عندنا عليك يا محمد كثيرا الخير والبركة دائم النفع يبشر المؤمنين بالثواب والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية وأصل البركة الخلاء والزيادة وثبوت الخير (مصدق الذي بين يديه) يعني من الكتب الالهية المنزلة من السماء على الانبياء يعني انه موافق لما في التوراة والانجيل وسائر الكتب لانها اشتملت جميعها على التوحيد والتز به من كل عب وقيصة وتدل على البشارة والندارة فثبت بذلك كون القرآن مصدقا لجميع الكتب المنزلة (ولتنذر) قرئ بآتاء يعني وتنذر يا محمد ويااه ومعناه ولينذر الكتاب (أم القرى) يعني مكة وفيه حذف تقديره ولننذر أهل أم القرى وسميت مكة أم القرى لان الارض دحيت من تحتها قاله ابن عباس وقيل لانها أقدم القرى وأعظمها بركة وقيل لانها قبلة أهل الارض (ومن حوطا) يعني جميع البلاد والقرى التي حولها شرقا وغربا (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به) يعني الذين يعدقون بقيام الساعة وبالعدا والبعت بعد الموت يصدقون بهذا الكتاب وانه منزل من عند الله عز وجل وقيل يصدقون ببيعة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك ان الذي يؤمن بالآخرة يؤمن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب ومن كان كذلك فانه يرغب في تحصيل الثواب ودرء العقاب عنه وذلك ليحصل الايمان التام فاذا نظر وتفكر علم بالضرورة ان دين محمد أشرف الاديان وشريعته أعظم الشرائع (وهم على صلاتهم يحافظون) يعني يداومون عليها في وقتها والمعنى ان الايمان بالآخرة يحتمل على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك

قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) مما فيه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بعضوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاختفاء والياء في الثلاثة مكي وأبو عمرو (وعلمتم) بأنزل الكتاب بالكتاب (ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) من أمور دينكم كدنياكم (قل الله) جواب أي أنزل الله فاهم لا يقدرون أن ينكروا (ثم ذرهم في خوضهم) في باطلهم الذي يخوضون فيه (بلعبون) حال من ذرهم أو من خوضهم (وهذا كتاب أنزلناه) على نبينا عليه السلام (مبارك) كثير المنافع والفوائد (مصدق الذي بين يديه) من الكتب (ولتنذر) وياياه أبو بكر أي الكتاب وهو معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كانه قبل أن أنزله للبركات ونصديق ما تقدمه من الكتب والانهاد (أم القرى) مكة وسميت أم القرى لانها سر الأرض وقبلة أهل القرى وأعظمها شأن لان الناس يؤمنونها (ومن حوطا) أهل الشرق والغرب

(والذين يؤمنون بالآخرة) يصدقون بالعاقبة ويحافظونها (يؤمنون به) بهذا الكتاب فاصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن (وهم على صلاتهم يحافظون) خست الصلاة بالذكرا لانهما على الايمان وعماد الدين فمن حافظها

لا أطلب على تبليغ الرسالة جعلاً قيل لما أمره الله تعالى بالاعتداء بالنبين وكان من جملة هداهم عدم طلب  
 الاجر على ايصال الدين وابلغ الشريرة لاجرم اقتدى بهم فقال لا سأكرم عليه أجزاً (ان هو) يعني ماهو يعني  
 القرآن (الاذ كرى للعالمين) يعني أن القرآن موعظة وذكرى لجميع العالم من الجن والانس وفيه دليل على أنه  
 صلى الله عليه وسلم كان مبوعاً الى جميع الخلق من الجن والانس وان دعوته عمت جميع الخلائق <sup>في قوله عز</sup>  
 وجل (وما قدر والله حق قدره) قال ابن عباس معناه ما عظموا الله حق عظمتهم وعنه أن معناه ما آمنوا أن  
 الله على كل شيء قدير وقال أبو العالية ما وصفوا الله حق صفته وقال الاخفش ما عرفوا الله حق معرفته يقال  
 قدر الشيء اذا خزنه وسيره وأراد أن يعلم مقداره يقال قدره بقدره بالضم قدرا ثم لم ينل عرف شيأ هو  
 يقدر قدره واذ لم يعرفه بصفاته يقال فيه انه لا يقدر قدره فقوله وما قدروا الله حق قدره بصح فيه جميع الوجوه  
 المذكورة في معناه (اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) يعني الذين قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ما قدروا  
 الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته اذ لو عرفوه حق معرفته لما قالوا هذه المقالة ثم اختلف العلماء  
 فيمن نزلت هذه الآية على قولين أحدهما أنها نزلت في كفار قريش وعلى هذا أقول من يقول ان جميع هذه  
 السورة مكية وهو قول السدي وروى ذلك عن مجاهد وصححه الطبري قال لان من أول السورة الى هذا  
 الموضع هو خبر عن المشركين من عبدة الاصنام وكان قوله وما قدروا الله حق قدره موصولاً بذلك غير مفصول  
 عنه فلا يكون قوله اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء خبراً عن غيرهم وأورد في الرازي على هذا القول  
 اشكالا وهو أن كفار قريش ينكرون نبوة جميع الانبياء فكيف يمكن الزامهم بنبوة موسى وأيضاً ما بعد  
 هذه الآية لا يليق بكفار قريش انما يليق بحال اليهود وأجاب عنه بان كفار قريش كانوا محتاطين باليهود  
 وقد سمعوا منهم أن موسى جاءهم بالثوراة والمجيزات الباهرات وانما أنكر كفار قريش نبوة محمد صلى الله  
 عليه وسلم فيكون الزامهم بقوله قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وأجاب عن كون سياق الآية لا يليق  
 بالبحال اليهود بان كفار قريش واليهود لما كانوا مشركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يبعد  
 ان بعض الآية يكون خطاباً لكفار قريش وبهذهها خطاباً باليهود والقول الثاني في سبب نزول هذه الآية  
 وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت في اليهود وهذا على قول من يقول ان هذه الآية نزلت بالمدينة وما هم امن  
 الآيات المدنية التي في السور المكية قال ابن عباس نزلت سورة الانعام بمكة الاست آيات منها قوله وما قدروا  
 الله حق قدره فانها نزلت بالمدينة ثم اختلف القائلون بهذا القول في اسم من نزلت هذه الآية فيه فقال سعيد  
 ابن جبسر جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاضع النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله  
 عليه وسلم أتشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أم أتحد في التوراة أن الله يبغض الخبيثين وكان حبرا  
 سمينا فغضب وقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فقال أصحابه الذين معه يحك ولا على موسى فقال والله  
 ما أنزل الله على بشر من شيء فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل  
 الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس الآية قال البغوي وفي القصص أن مالك بن الصيف لما سمعت  
 اليهود منه تلك المقالة غضبوا عليه وقالوا أليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت ما أنزل الله على بشر من شيء  
 فقال مالك بن الصيف أغضبني محمد فقلت ذلك فقالوا له وأنت اذا غضبت تقول على الله غبر الحاق فينزعه  
 عن الخبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال السدي نزلت هذه الآية في فتوح بن عازر الهودي  
 وهو القائل هذه المقالة وقال ابن عباس قالت اليهود يا محمد أنزل الله عليك كتابا قال نعم فقالوا والله ما أنزل  
 الله من السماء كتابا فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل  
 الكتاب الذي جاء به موسى الآية وقال محمد بن كعب القرظي جاء ناس من يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم  
 وهو محتجب فقالوا يا أبا القاسم ألا نأتينا بكتاب من السماء كجاء به موسى الواحاً يحملها من عند الله فانزل

ورواية الحديث لا يجوز  
 (ان هو الاذ كرى للعالمين)  
 ما القرآن الاعطه للجن  
 والانس (وما قدروا الله  
 حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله  
 على بشر من شيء) أي ما  
 عرفوه حق معرفته في  
 الرحمة على عباده حين  
 أنكروا بعثة الرسل  
 والوحي اليهم وذلك من  
 أعظم رحمته وأوسلناك  
 الرحمة للعالمين روى أن  
 جماعة من اليهود منهم  
 مالك بن الصيف كانوا  
 يحادلون النبي عليه السلام  
 فقال النبي عليه السلام له  
 أليس في التوراة أن الله  
 يبغض الخبيثين قال نعم  
 قال فأت الخبيثين  
 فغضب وقال ما أنزل الله  
 على بشر من شيء وحق  
 قدره منصوب نصب المصدر

واجتبتناهم وهديتناهم الى صراط مستقيم ذلك) أى امدان به هؤلاء المدكورون (هدى الله) دين الله (يهدى به من يشاء من عباده) فيه  
نقض قول المعتزلة لانهم (٣٤)

وتقدمهم ومارفح لهم من الدرجات العلى (لحبط عنهم ما كانوا يعملون) لبطلت اعمالهم كما قال لئن اشركت ابصطن عملك (أولئك الذين آتيناهم الكتاب) يريد الجنس (والحكمة) والحكمة أفهم الكتاب (والنبوّة) وهى أعلى مراتب البشر (فان يكفر بها) بالكتاب والحكم والنبوّة أو بأيات القرآن (هؤلاء) أى أهل مكة (فقد وكلناهم اقواما) هم الانبياء المدكورون ومن تابعهم بدليل قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أو أصحاب النبي عليه السلام أو كل من آمن به أو ألهم معنى توكيلههم بها انهم وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشي ليقوم به ويتعمده ويحافظ عليه والباء فى (لبسوا بها) صلة كافرين وفى (بكافرين) لتأكيد النفي (أولئك الذين هدى الله) أى الانبياء الذين مر ذكرهم (فبهداهم اقتده) فاخص هداهم بالافتداء ولا تقتد الا هم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد

اخوانهم وذريتهم الهداية وخاص الدين وهو قوله تعالى (واجتبتناهم) يعنى اخترناهم واصطفيناهم (وهديناهم) يعنى وأرشدناهم (الى صراط مستقيم) أى الى دين الحق (ذلك هدى الله) قال ابن عباس ذلك دين الله الذى كان عليه هؤلاء الانبياء وقيل المراد بهدى الله معرفة الله وتنزيهه عن الشركاء والاضداد والانداد (يهدى به من يشاء من عباده) يعنى يوفق من يشاء من عباده ويرشده الى دينه وطاعته وخلع الاضداد والشركاء (ولواشركوا) يعنى هؤلاء الذين سميانهم (لحبط) يعنى لبطل وذهب (عنهم ما كانوا يعملون) من الطاعات قبل ذلك لان الله تعالى لا يقبل مع الشرك من الاعمال شيئا ﴿ قوله عز وجل ﴾ أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوّة يعنى أولئك الذين سميانهم من الانبياء أعطيتناهم الكتب التى أنزلناها عليهم وآتيناهم العلم والفهم وشرفناهم بالنبوّة وانما تقدم ذكر الكتاب والحكمة على النبوّة وان كانت النبوّة هى الاصل لان منصب النبوّة أشرف المراتب والمناصب فذكر أولاً الكتاب والحكم لانها بلا دن على النبوّة (فان يكفر بها هؤلاء) يعنى فان يمجحد بدلائل التوحيد والنبوّة كفار قريش (فقد وكلناهم اقواما لبسوا بها بكافرين) قال ابن عباس هم الانصار وأهل المدينة وقيل هم المهاجرون والانصار وقال الحسن وقتادة هم الانبياء الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج قال والدليل عليه قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال جراء العطار دى هم الملائكة وبه يعدل اسم القوم لا ينطق الاعلى بنى آدم وقيل هم القريش قال ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سواء كان ملكا أو نبيا أو من الصحابة أو التابعين وفى الآية دليل على أن الله تعالى ينصر دينه صلى الله عليه وسلم ويقوى دينه ويجعله عاليا على الاديان كلها وقد جعل ذلك فهو اخبار عن الغيب ﴿ قوله تعالى ﴾ (أولئك الذين هدى الله) يعنى النبيين الذين تقدم ذكرهم لانهم هم المخصوصون بالهداية (فبهداهم اقتده) إشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم يعنى فيشرائعهم وسننهم اعلم وأصل الاقتداء فى اللغة طلب موافقة الثاني للاول فى فعله وقيل أمره أن يقتدى بهم فى أمر الدين الذى أمرهم أن يجمعوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن جميع النقائص التى لا تليق ببجلاله فى الامعاء والصفات والأفعال وقيل أمره الله أن يقتدى بهم فى جميع الاخلاق الحيدة والأفعال المرضية والصفات الرفيعة الكاملة مثل الصبر على أذى السفهاء والعفو عنهم وقيل أمره أن يقتدى بشرائعهم الاما خصه دليل آخر فعلى هذا القول يكون فى الآية دليل على أن شرع من قبلنا شرع لنا

﴿ فعدل ﴾ احتج العلماء بهذه الآية على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويانه أن جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب احتمال على أذى قومه وكان ابراهيم صاحب كرم وبذل ومجاهدة فى الله عز وجل وكان اسحق يعقوب من أصحاب الصبر على البلاء والمحن وكان داود عليه السلام وسليمان من أصحاب الشكر على النعمة قال الله فيهم اعملوا آل داود شكرا وكان أبو ب صاب صبر على البلاء قال الله فيه انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب وكان يوسف قد جمع بين الخاتين يعنى الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة والمهجرة الباهرة وكان زكريا وعيسى والياس من أصحاب الزهد فى الدنيا وكان اسماعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تضرع واختبات ثم ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقتدى بهم وجمع له جميع الخصال الحمودة المتفرقة فيهم فثبت بهذا البيان أنه صلى الله عليه وسلم كان أفضل الانبياء لما اجتمع فيه من هذه الخصال التى كانت متفرقة فى جميعهم والله أعلم ﴿ وقوله تعالى ﴾ (قل لا أسألكم عليه أجرا) يعنى قل يا محمد

لهداهم طريقهم فى الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فهى مختلفة والهاء فى اقتده للوقف نسبة قطى الوصول واستحسن ايشار الوقف لثبات المعنى فى المصحف وبخلافه جزء وعلى فى الوصل ويختلسها شامى (قل لا أسألكم عليه) على الوحى وأعلى تبليغ الرسالة والدعاء الى التوحيد (أجرا) جهلا وبه دليل على أن أخذ الاجر على تعلم القرآن



كلهدين) أى كاهن  
 واتصّب كاهنينا (ونوحا  
 هدينا) أى وهدينا ونوحا  
 (من قبل) من قبل ابراهيم  
 (ومن ذريته) الضمير  
 انوح وألا ابراهيم والأول  
 أظهر لان يونس ولوطا لم  
 يكونا من ذرية ابراهيم  
 (داود وسليمان وأيوب  
 ويوسف وموسى وهرون)  
 والتقدير وهدينا من  
 ذريته هؤلاء (وكذلك  
 نجزي الحسين) ونجزي  
 الحسين جزءا مثل ذلك  
 فالكاف في موضع نصب  
 نعت لمصدر محذوف  
 (وزكريا ويحيى وعيسى  
 والياس كل) أى كاهن (من  
 الصالحين) وذكريا عيسى  
 معهم دليل على ان النسب  
 يثبت من قبل الام أيضا  
 لانه جعله من ذرية نوح  
 عليه السلام وهو لا يتصل  
 به الا بالام وبذا أوجب  
 الحجاج حين أنكر أن  
 يكون بنو فاطمة وأولاد  
 النبي عليه السلام  
 (واسماعيل والبس) واللبس  
 حيث كان بلامين حزة  
 وعلى (ويونس ولوطا وكلا  
 فضلنا على العالمين)  
 بالسوة والرسالة (ومن  
 آياتهم) في موضع نصب  
 عطفا على كلاً أى فضلنا  
 بعض آياتهم (وذرياتهم  
 واخوانهم

نعمه عليه واحسانه اليه بان رفع درجته في عليين وأبقى النبوة في ذريته الى يوم الدين فقال تعالى ووهبنا له  
 يعني لابراهيم اسحق يعني ابنا صلبه يعقوب يعني ابن اسحق وهو ولد الولد (كلاهدينا) يعني هدينا جميعهم  
 الى سبيل الرشاد ووقفناهم الى طريق الحق والصواب (ونوحا هدينا من قبل) يعني من قبل ابراهيم أرشدنا  
 نوحا ووقفنا له الحق والصواب ومننا عليه بالهداية (ومن ذريته) اختفا في هذا الضمير الى من يرجع  
 فقيل يرجع الى ابراهيم يعني ومن ذرية ابراهيم (داود وسليمان) وقيل يرجع الى نوح وهو اختيار جمهور  
 المفسرين لان الضمير يرجع الى أقرب مذكور ولان الله ذكر في جملة هذه الذرية لوطا وهوا بن أخى  
 ابراهيم ولم يكن من ذريته فثبت بهذا ان هاء الكتابة ترجع الى نوح وقال الزجاج كلاً القولين جائز لان  
 ذكرهما جميعا قد جرى وداود هو ابن يشا وكان من آتاء الله الملك والنبوة وكذلك سليمان بن داود (وأيوب)  
 هو أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم (ويوسف) هو ابن يعقوب بن  
 اسحق بن ابراهيم (وموسى) هو ابن عمران بن يصير بن قاهث بن لاوى بن يعقوب (وهرون) هو أخو  
 موسى وكان أكبر منه بسنة (وكذلك نجزي الحسين) يعني وكما جزينا ابراهيم على توحيد وصبره على أذى  
 قومه كذلك نجزي الحسين على احسانهم (وزكريا) هو ابن أذن بن بركا (ويحيى) هو ابن زكريا  
 (وعيسى) هو ابن مريم بنت عمران (والياس) قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل  
 وقال محمد بن اسحق هو ياس بن سنان بن فخاص بن العيزار بن هرون بن عمران وهذا هو الصحيح لان  
 أصحاب الانساب يقولون ان ادريس جد نوح لان نوحا بن لامك بن متوشخ بن اخنوخ وهو ادريس  
 ولان الله تعالى نسب الياس في هذه الآية الى نوح وجهه من ذريته (كل من الصالحين) يعني أن كل من  
 ذكرنا وسميناه من الصالحين (واسماعيل) هو ابن ابراهيم وأما أخذ كره الى هنا لانه ذكر اسحق وذكر  
 أولاده من بعده على نسق واحد فلما أخذ السبب أخذ كراسماعيل الى هنا (واليسع) هو ابن أخطوب بن  
 الجوز (ويونس) هو ابن متى (ولوطا) هو ابن أخى ابراهيم (وكلا فضلنا على العالمين) يعني على عالمي  
 زمانهم ويستدل بهذه الآية من يقول ان الانبياء أفضل من الملائكة لان العالم اسم لكل موجود سوى الله  
 تعالى فدخل فيه الملك فيقتضى أن الانبياء أفضل من الملائكة واعلم أن الله تعالى ذكره ثمانمائة عشرين نبيا  
 من الانبياء عليهم السلام من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب الفضل لان الواو لا تقتضى الترتيب ولكن  
 هنا طيغة وأوجب هذا الترتيب وهي أن الله تعالى خص كل طائفة من طوائف الانبياء عليهم السلام بنوع من  
 الكرامة والفضل فقد ذكرنا أول نوحا وابراهيم واسحق ويعقوب لانهم أصول الانبياء والهم ترجع أنسابهم  
 جميعا ثم من المراتب المتبرعة بعد النبوة الملك والقدرة والسلطان وقد أعطى الله داود وسليمان من ذلك حظا  
 وافرا ومن المراتب الصبر عند نزول البلاء والحن والشدة وقد خص الله هذه أيوب عليه السلام ثم عطف  
 على هاتين المراتبتين من جمع بينهما وهو يوسف عاياه السلام فانه صبر على البلاء والشدة الى أن أعطاه الله  
 ملك مصر بعد النبوة ثم من المراتب المعبرة في تفضيل الانبياء عليهم السلام كثرة المعجزات وقوة البراهين وقد  
 خص الله تعالى موسى وهرون من ذلك بالحظ الوافر ثم من المراتب المعبرة في الهدى الدنيا والاعراض عنها  
 وقد خص الله بذلك زكريا ويحيى وعيسى والياس عليهم السلام ولهذا السبب وصفهم بانهم من الصالحين  
 ثم ذكر الله من بعده هؤلاء الانبياء من لم يبق له اتباع ولا شريعة وهم اسمعيل والبسع ويونس ولوطا فاذا اعتبرنا  
 هذه الطائفة على هذا الوجه كان هذا الترتيب من أحسن شيء يذكر والله أعلم بمراده وأسرار كتابه  
 قوله تعالى (ومن آياتهم) يعني ومن آباء الذين سميناهم ومن هذا لا يتبع لان من آباء بعضهم من لم يكن  
 مسلما (وذرياتهم) يعني ومن ذرياتهم أى بعضهم لان عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان في ذرية بعضهم  
 من هو كافر كان نوح (واخوانهم) يعني ومن احوالهم والمعنى ان الله تعالى وفق من آباء المذكورين ومن

أخاف ما تشركون به إلا أن يشار في شيئاً) أى لا أخاف معبوداً تشركون في وقت قتلها لتقدر على منفعة ولا مضرة إلا إذا شاء أن يصيبي منها بضر فهو قادر (٣٢) على أن يجعل فباشاء نفعاً وفيباشاء ضرراً إلا الصنام (وسعر في كل شيء علماً)

أخاف ما تشركون به) وذلك أنهم قالوا له احذر الأصنام فاما تخاف أن تملك تجبل أو جـون لعبك اياها فاجابهم بقوله ولا أخاف ما تشركون به فانها جادات لا تضر ولا تنفع وانما يكون الخوف من بقدر على النفع والضرر وهو قوله (الأن يشار في شيئاً) يعني لكن ان يشار في شيئاً كان ما يشاء لانه قادر على النفع والضرر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتال ان الانسان قد يصيبه في بعض حاله وأيام عمره ما يكرهه فلو أصابه مكرهه نسبوه الى الاصنام فنفي هذه الشبهة بقوله إلا أن يشار في شيئاً وهذا استثناء منقطع وليس هو من الاول في شيء والمعنى وان سكن ان شاعر في شيئاً كان (وسعر في كل شيء علماً) يعني أحاط علمه بكل شيء فلا يخرج شيء عن علمه (أفلا تذكرون) يعني أفلا تذكرون أن هذه الاصنام جادات لا تضر ولا تنفع وان الدافع الضار هو الذي خاف السماوات والارض ومن فيها (وكيف أخاف ما تشركنتم) يعني وكيف أخاف الاصنام التي تشركنتم بها لانها جادات لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع (ولا تخافون أن تشركنتم بالله) يعني وأتم لا تخافون وقد أشركنتم بالله وهو من أعظم الذنوب (مالم ينزل به عليكم سلطاناً) يعني ما ليس لكم فيه حجة وبرهان (فأى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعالون) يعني يقول من أولى بالامن من العذاب يوم القيامة الموحد أم المشرك (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) وهذا فصل قضاء الله بين ابراهيم وبين قومه يعني ان الذين يستحقون الامن يوم القيامة هم الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقيل هو من تمام كلام ابراهيم في الحاجة لقومه والمعنى ان الذين يحصل لهم الامن يوم القيامة هم الذين آمنوا يعني آمنوا بالله وحده ولم يشركو به شيئاً ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني ولم يخالطوا ايمانهم بشرك (ق) عن ابن مسعود قال لما نزلت القين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين وقالوا ينالنا ظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك انما هو الشرك ألم تسمعون قال نعم ان لا به ياتى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وفي رواية ليس هو كما يظنون انما هو كما قال لقمان لابنه وذكره وقيل في معنى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني ولم يخالطوا ايمانهم بشيء من معاني الظلم وذلك بان يفعل بعض ما نهى الله عنه أو يترك ما أمر الله به فعلى هذه القول تكون الآية على العموم لان الله لم يخص به معنى من معاني الظلم دون غيره والصحيح ان الظلم المذكور في هذه الآية هو الشرك لما تقدم من حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الظلم هنا بالشرك وفي الآية دليل على أن من مات لا يشرك بالله شيئاً كانت عاقبته الامن من النار قوله (وأولئك) يعني الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم (لهم الامن) يوم القيامة من عذاب النار (وهم مهتدون) يعني الى سبيل الرشاد وقوله تعالى (ولما حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) يعني ماجرى بين ابراهيم وبين قومه واستدل على حدوث الكوكب والقمر والشمس بالافول وقيل لما قالوا لابراهيم اننا نخاف عليك من أهلكنا لسببك اياها قال أفلا تخافون أنهم منها اذ سويت بين الصغير والكبير في العبادة أن يغضب الكبير عليكم وقيل أنه خاصم قومه المشركين فقال أى الفريقين أحق بالامن من يعبد الهوا واحداً غصاله الدين والعبادة أم من يعبد رباً كثيراً فقالوا من يعبد الهوا واحداً افقضوا على أنفسهم فكانت هذه حجة ابراهيم عليهم (ترفع درجات من نشاء) يعني بالعلم والفهم والعقل والفضيلة كما رفعت درجات ابراهيم حتى اهتدى الى الحاجة قومه وقيل نرفع درجات من نشاء في الدنيا بالنسبة والعلم والحكمة وفي الآخرة بالثواب على الاعمال الصالحة (ان ربك حكيم عليم) يعني أنه تعالى حكيم في جميع أفعاله عليم بجميع أحوال خلقه لا يفعل شيئاً إلا بحكمة وعلم قوله عز وجل (وهبنا له اسحق ويعقوب) لما أظهر ابراهيم عليه السلام دينه وغلب خصمه بالحجج القاطعة والبراهين القوية والدلائل الصحيحة التي فهم الله تعالى اياها وهدها اليها عدا الله

فلا يصيب عبداً شيئاً من ضرراً ونفعاً إلا بعلمه (أفلا تذكرون) فتميزوا بين القادر والعاجز (وكيف أخاف ما تشركنتم) ما تشركنتم معبوداتكم وهي ماؤة الخوف (ولا تخافون أن تشركنتم بالله مالم ينزل به) بأمر الله (عليكم سلطاناً) حجة اذا الاشارة لا يصح أن تكون عليه حجة والمعنى وما لكم تتركرون على الامن في موضع الامن ولا تتركرون على أنفسكم الامن في موضع الخوف (فأى الفريقين) أى فريقى الموحدين والمشركين (أحق بالامن من العذاب ان كنتم تعالون) ولم يقل فائنا احترازاً من تزكية نفسه ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) بشرك عن الصديق رضى الله عنه (وأولئك لهم الامن وهم مهتدون) ثم كلام ابراهيم عليه السلام (ولما حجتنا) إشارة الى جميع ما احتج به ابراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جئت عليه الليل الى وهم مهتدون (آتيناها ابراهيم على قومه) وهو

(فلما أفل) غاب (قال لأحب الآفاين) أى لأحب عبادة الارباب المتفبرين عن حال الى حال لان ذلك من صفات الاجسام (فلما رأى القمر بازغا) مبتدأ فى الطلوع (قال هذارى فلما أفل قال لئن لم يهدينى ربى لا كون (٣١) من القوم الضالين) به قومه

على ان من اتخذ القمر الها فحولوا وانما احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال لان الاحتجاج به أظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب (فلما رأى الشمس بازغة قال هذارى) وانما ذكره لانه أراد الطالع أولانه جعل المبتدأ مثل الخير لانهما شئ واحد معنى وفيه صيانة الرب عن شبهة التائيت ولهذا قالوا فى صفات الله تعالى علام ولم يقولوا علامة وان كان التائيت (هذأ كبر) من باب استعمال النصفة أيضا مع خصوصه (فلما أفلت القمر) أفلت قال يا قوم انى برى عما تشركون) من الاجرام التى تجعلونها شركاء لخالفها وقيل هذا كان نظره واستدلاله فى نفسه فحماه الله تعالى والاول أظهر لقوله يا قوم انى برى عما تشركون (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض) أى للذى دات هذه المحدثات على انتم نشأ (حزيفا) حال أى ما نال عن الاديان كلها الا الاسلام (وما أنا من المشركين) بالله

حرف الاستفهام كثير فى كلام العرب ومنه قوله تعالى أفان مت فهم الخالدون يعنى أفهم الخالدون والمعنى أيتكون هذارى باء دلالة النقص فيه ظاهرة الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك على وجه الاحتجاج على قومه يقول هذارى بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها كما زعمون لما غاب فهو كقوله ذى انك أنت العزيز الكريم يعنى عند نفسك وبزعمك وكما أخبر عن موسى عليه السلام بقوله تعالى انظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا غير يداهلك بزعمك الوجه الرابع ان فى هذه الآية اخبارا تفيد به يقولون هذارى واضمار القول كثير فى كلام العرب ومنه قوله تعالى واذيرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمى لير بنا تقبل نأى يقولان ر بنا تقبل منا الوجه الخامس ان الله تعالى قال فى حقه وكذلك ترى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من المؤمنين ثم قال بعده فلما اجن عليه الليل والفاء تقتضى التعقيب فدل هذا ان هذه الواقعة كانت بعد ان اراه الله ملكوت السموات والارض وبعد الايقان ومن كان معه هذه المنزلة العالية الشريفة لا يلقى محاله ان يعبد الكواكب ويتخذها بافاما لجواب عن قوله لئن لم يهدينى ربى لا كون من القوم الضالين فان الانبياء عليهم السلام لم يزلوا يسألون الله التثبيت ومنه قوله واجنبنى وبنى أن تعبد الاصنام وأما قوله تعالى (فلما أفل) يعنى غاب والا فلول غيبة النيرات (قال) يعنى ابراهيم (لأحب الآفاين) يعنى لأحب ما يغيب ويطلع لان أمارات الحدوث فيه ظاهرة ﴿ قوله تعالى (فلما رأى القمر بازغا) يعنى طالعنا من شروق (قال هذارى) معناه ما تقدم من الكلام فى الكوكب (فلما أفل) يعنى غاب (قال لئن لم يهدينى ربى لا كون من القوم الضالين) يعنى ان لم يثبتنى ربى على الهدى وليس المراد انه لم يكن مهتديا لان الانبياء لم يزلوا على الهداية من أول الفطرة وفى الآية دلائل على أن الهداية من الله تعالى لان ابراهيم أضاف الهداية لله تعالى (فلما رأى الشمس بازغة) يعنى طاعة (قال هذا ربى) يعنى هذا الطالع وأنه أشار الى الضياء والنور لانه رأى الشمس أضوا من الكوكب والقمر وقيل انما قال هذا ولم يقل هذارى لان ثابت الشمس غير حقيقى فلهاذا أتى بلفظ الذك كبر (هذأ كبر) يعنى من الكوكب والقمر (فلما أفلت) يعنى فاما غابت الشمس (قال يا قوم انى برى عما تشركون) يعنى انه لما أثبت ابراهيم عليه السلام الدلائل القطعية ان هذه النجوم ليست بألطة وتصلح لحرارة بية تبرأ منها وأظهر لقومه انه برى عما يشركون ولما أظهر خلاف قومه وتبرأ من شركهم أظهر ما هو عليه من الدين الحق فقال (انى وجهت وجهى) يعنى انى صرفت وجه عبادتى وقصرت توحيدى (لذى فطر السموات والارض) يعنى للذى خلقهم وابتدعهم (حزيفا) يعنى ما نال عن عبادة كل شئ سوى الله تعالى وأصل الخفف الليل وهو ميل عن طريق الضلال الى طريق الاستقامة وقيل الخفيف هو الذى يستقبل الكعبة فى صلاته (وما أنا من المشركين) تبرأ من الشرك الذى كان عليه قومه ﴿ قوله عز وجل (وحاجه قومه) يعنى وخاصة قومه وذلك لما أظهر ابراهيم عليه السلام عيب آلهم التى كانوا يعبدونها وأظهر التوحيد لله عز وجل خاصة قومه وجادلوه فى ذلك فقال أنا حجاجون فى الله يعنى أنا حجاجون فى توحيدى لله وقد هدانى وقد تبين لى طريق الهداية الى توحيدى ومعرفته وقال البغوى لما رجع ابراهيم الى أهله وصار من الشباب بحالة تسقط عنه طمع الدنيا يحسن وضمة آزالى نفسه جعل آزالى يضع الاصنام ويعطى ابراهيم ليعبدها فخذ ابراهيم وبنادى من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فصب فيه رؤسها وقال اشربى استهزأ بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى فشا استهزأ قومه وأهل قرية حاجه قومه يعنى خاصه وجادله قومه فى دينه (قال) يعنى ابراهيم (أنا حجاجون فى الله وقد هدانى) يعنى الى توحيدى ومعرفته (ولا

شيأ من خلقه) (وحاجه قومه) فى توحيد الله تعالى ونفى الشركاء عنه (قال أنا حجاجون فى الله) فى توحيدى مدنى وابن ذكوان (وقد هدانى) الى التوحيد وبالباء فى الوصل أبو عمر ورواها خوفه أن معبودهم تصبده بسوء قال (ولا

وعرف ربه وبرى من دين قومه الا انه لم ينادهم بذلك فلما رجعت به أمه أخبرته انه ابنه وأخبرته بمصنعت  
 به فسر بذلك وفرح فرحاً شديداً وقيل انه مكث في السرب سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبع  
 عشرة سنة قالوا فلما شب ابراهيم وهو في السرب قال لامه من ربي قالت انا قال فمن ربي قالت ابوك قال  
 فمن ربي قالت اسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت رأيت الغلام الذي كنا نخدث انه يغير دين أهل الارض  
 فانه ابنك ثم أخبرته بما قال فأتاه أبوها زرفقال ابراهيم يا ابتاه من ربي قال أمك قال فمن ربي قال أمي  
 قال فمن ربي قال فمن ربي قال فمن ربي قال فمن ربي قال فمن ربي قال فمن ربي قال فمن ربي قال فمن ربي  
 فتنظر في خلال الصخرة فأبصر كوكبا قال هذاربي ويقال انه قال لابو به أخرجني فآخراجه من السرب حين  
 غابت الشمس فنظر ابراهيم الى الابل واخيل ولغتم فسأل أباه ما هذه قال ابل وخيل وغتم فقال ابراهيم  
 ما هذه بدمي أن يكون لها اله وهو ربه واخافها ثم نظر فإذا المشتري قد طلع ويقال انها الزهرة وكانت تلك  
 الليلة من آخر الشهر فتأخر طلوع القمر فرأى الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز وجل فلما جن عليه  
 الليل يعني سرد بظلامه رأى كوكبا قال هذاربي ثم اختلف العلماء في وقت هذه الرؤية وفي وقت هذا القول  
 هل كان قبل البلوغ أو بعده على قولين أحدهما انه كان قبل البلوغ في حال طوليته وذلك قبل قيام الحجة  
 عليه فلم يكن لهذا القول لدى من ابراهيم في هذا الوقت اعتبار ولا يتربط عليه حكم لان الاحكام انما  
 تثبت بعد البلوغ وقيل ان ابراهيم لما خرج من السرب في حال صغره ونظر الى السماء وما فيها من المجائب  
 ونظر الى الارض وما فيها من المجائب وكان قد خصه الله بالعقل الكامل والقطرة السليمة تفكر في نفسه  
 وقال لا بد لهذا الخلق من خالق مدبر وهو الخالق ثم نظر في حال تفكره فرأى الكوكب وقد أزهز فقال هذا  
 ربي على ما سبق الى وهمه وذلك في حال طفوليته وقبل استحكام النظر في معرفة الرب سبحانه وتعالى واستدل  
 أصحاب هذا القول على صحته بقوله ان لم يهدني ربي لآكون من القوم الضالين قالوا وهذا يدل على نوع تحير  
 وذلك لا يكون الا في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحجة وهذا القول ليس بسديد ولا مرضي لان الانبياء  
 معصومون في كل حال من الاحوال وانه لا يجوز أن يكون لله عز وجل رسول يأتي عليه وقت من الاوقات  
 الا وهو بالله عارف وله مودود ومن كل منقصة منزّه ومن كل معبود سواه برىء وكيف يشوههم هذا على ابراهيم  
 وقد عصمه الله وطهره ووأنا نراه مملوك السموات والارض أفبرية الكوكب يقول  
 معتقدا هذاربي حاشا ابراهيم صلى الله عليه وسلم من ذلك لان منصبه أعلى وأشرف من ذلك صلى الله عليه  
 وسلم والقول الثاني الذي عليه جهو والمحققين ان هذه الرؤية وهذا القول كان بعد بلوغ ابراهيم وحين  
 شرفائه بالنبوّة وأكرمه بالرسالة ثم اختلف أصحاب هذا القول في تأويل الآية ومعناها فذكر واقفا  
 وجوها الوجه الاول ان ابراهيم عليه السلام أراد أن يستدرج قومه بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطأهم  
 في تعظيم النجوم وعبادتها انهم كانوا يرون ان كل الامور اليها فاراهم ابراهيم ان معظم ما عظموه فلما  
 أقل الكوكب والقمر والشمس أراهم النقص الداخِل على النجوم بسبب الغيبوبة والافول لبثت  
 خطأ ما كانوا يعتقدون فيهم ان الالهية ومثل هذا كمثل الخوارى الذي ورد على قوم كانوا يعبدون  
 صنما فظهر تعظيمه فأكرموا لذلك حتى صاروا يصدرون عن رأيه في كثير من أمورهم الى أن دهمهم  
 عدو لا قبل لهم به فشاو ودفى أمر هذا العدو فقال الراى عندي أن ندعوا هذا الصنم حتى يكشف  
 عنما نزل بنا فاجتمعوا حول الصنم يتضرعون اليه فلم يغن شيئا فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يدفع  
 دعاهم الخوارى وأمرهم أن يدعوا الله عز وجل ويسألوه أن يكشف عنهم ما نزل بهم فدعوا الله  
 مختصين فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فأسلموا واجيعا الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام قال هذا  
 القول على سبيل الاستفهام وهو استفهام انكار وتوبيخ لقومه تقديرا هذاربي الذي تزعجون واسقاط

(فلما جن عليه الليل) أى  
أظلم وهو عطف على قال  
ابراهيم عليه وآله وقوله وكذلك  
نرى ابراهيم عليه السلام  
بين العطف والعطف  
عليه (رأى كوكبا) أى  
الزهرة أو المشتري وكان  
أبوه وقومه يعبدون  
الاصنام والشمس والقمر  
والكواكب فأراد أن  
ينتهم على الخطأ في دينهم  
وأن يرشدهم إلى طريق  
النظر والاستدلال  
ويعرفهم أن النظر الصحيح  
مؤد إلى أن شيئا من الاله  
باله لقيام دليل الحدوث  
فيها ولأن لها محدثا أحدثها  
ومدبر ادبر طوعها وأفولها  
وانتقالها ومسبرها وسائر  
أحوالها فمأراى الكوكب  
الذى كانوا يعبدونه (قال  
هنا ربي) أى قال لهم  
هنا ربي في زعمكم والمراد  
أهذا استهزاء بهم وانكارا  
عليهم والعرب تكتفى  
عن حرف الاستفهام  
بنغمة الصوت والصحيح أن  
هذا قول من ينصف  
خصمه مع علمه أنه مبطل  
فحكى قوله كما هو غير  
معتب مذهبه لأنه ادعى  
إلى الحق وأنجى من  
الشغب ثم يكر عليه بعد  
حكايته فيبطله بالحق

الشبهة عند ذلك قال ابن عباس في وليكون من الموقنين جلاله الامر سره وعلايته فلم يخف عليه شيء من  
أعمال الخلق فلما جعل يامن أصحاب الثنوب قال الله تعالى انك لا تستطيع هذا فرداه الله كما كان قبل  
ذلك فعنى الآية على هذا القول وكذلك أن يناء ملكوت السموات والارض ليكون من يوقن علم كل شيء  
حسابا وخبرا ﴿﴾ قوله تعالى (فلما جن عليه الليل) يقال جن الليل وأجن إذا أظلم وغطى كل شيء وأجته  
الليل وجن عليه إذا ستره بسواده (رأى كوكبا قال هذا ربي)

### ذكر القصة في ذلك

قال أهل التفسير وأصحاب الاخبار والسير ولد ابراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان الملك وكان  
نمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس إلى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له إنه يولد في بلدك  
هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك  
في كتب الانبياء وقال السدي رأى نمرود في منامه كأن كوكبا قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم  
يبق ظمأؤه ففرغ من ذلك فزعاشد بدافدا السحرة والكهان وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في  
ناحيتك في هذه السنة يكون هلاكك وزوال ملكك وهلاك أهل دينك على يديه فامر بدمج كل غلام يولد في  
تلك السنة ناحيته وأمر بزل النساء عن الرجال وجعل على كل عشرة رجلا يحفظهم فإذا حضت المرأة خلى  
بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون في الحيض فإذا ظهرت من الحيض حالوا بينهما قالوا فرجع أرز  
فوجد أمره أنه قد ظهرت من الحيض فواقها فحملت بابراهيم وقال محمد بن اسحق بعث نمرود إلى كل امرأة  
حبل يقرية غيبه اعبد الاما كان من أم ابراهيم فإنه لم يعلم بحبلها لانها كانت جارية صغيرة لم يعرف الحبل  
في بطنها وقال السدي فرج نمرود بالرجال إلى العسكري وعز لهم عن النساء تخوفان ذلك المولود فكث بذلك  
ماشاء الله ثم بدت حاجة إلى المدينة فلم يأمن عليها أحد من قومه الا أرز فبعث اليه فاحضره عنده وقال  
له ان لي اليك حاجة أحب أن أوصيك بها ولم يعكف فيها الا لثقي بك فاقسمت عليك أن لا تدن من أهلك  
فقال أرز أنا أشح على ديني من ذلك فأوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك ثم قال ولدخت على  
أعلى فنظرت اليهم فلما دخل على أم ابراهيم ونظر اليها تمالك حتى واقها فحملت من ساعته بابراهيم  
قال ابن عباس لما حملت أم ابراهيم قال الكهان لنمرود ان الغلام الذي أخبرناك به قد حملت به أمه الالهة  
فامر نمرود بدمج الغلمان فلما دلت ولادة أم ابراهيم وأخذ هذا المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها  
فيقتل ولدها قالوا فوضعت في نهر يابس ثم لغت في خرقة ووضعت في حلفاء ثم رجعت فاخبرت زوجها بانها  
ولدت وان الولد في موضع كذا فانطلق اليه أبوه فاخذ من ذلك المكان وحفر لسهرا في النهر فوارده فيه وسد  
بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف اليه فترضه وقال محمد بن اسحق لما وجدت أم ابراهيم الطلق  
خرجت ابلا إلى مغارة كانت قريباً منها فولدت فيها ابراهيم وأصلحت من شأنه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه  
باب المغارة ثم رجعت إلى بيتها وكانت تختلف اليه لتنظر ما فعل فتجده حيا وهو يصعب إسماءه قال ابوروي  
قال أم ابراهيم لما نظرت إلى أصابعه فوجدته بمص من أصبع ماء ومن أصبع لبن ومن أصبع سمنا ومن  
أصبع عسلا ومن أصبع نمر وقال محمد بن اسحق كان أرز قد سأل أم ابراهيم عن حملها فعملت فقال ولدت  
غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان ابراهيم يمش في اليوم كالشهر وفي الشهر كالسنة فلم يكف في المغارة  
الا خمسة عشر شهرا حتى قال خريجي فاخرجته عشاء فنظر وتفكر في خات السموات والارض وقال ان  
الذي خلقتي و رزقي وأطعمني وسقاني لى الذي مالى الغيرة ونظر في السماء فرأى كوكبا قال هذا ربي  
ثم أتبعه بصره بنظر اليه حتى غاب فلما أفل قال لأحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي وأتبعه  
بصره بنظر اليه حتى غاب ثم طاعت الشمس قال هكذا إلى آخره ثم رجعت به إلى أبيه أرز وقد أسقطت وجهته

والحبيب اسماله فهو كقوله يوم ندعو كل أناس بأسمائهم وقيل معناه وإذا قال إبراهيم لا إله إلا الله عابد آزر خذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والصحيح هو الأول إن آزر اسم لابي إبراهيم لان الله تعالى سماه وما نقل عن النسايبين والمؤرخين ان اسمه تاريخ ففيه نظر لانهم إنما نقلوه عن أصحاب الاخبار وأهل السير من أهل الكتاب ولا عبرة بنقلهم وقد أخرج البخاري في أفراد من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ياتي إبراهيم عليه السلام بأباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قرعة وغبرة الحديث فسماه النبي صلى الله عليه وسلم آزر أيضا ولم يقل أباه تاريخ فثبت بهذا ان اسمه الاصل آزر لا تاريخ والله أعلم <sup>١</sup> وقوله تعالى (أتتخذ أصناما آلهة) معناه اذ كركفولك يا محمد قول إبراهيم لا إله إلا الله أتتخذ أصناما آلهة تعبدها من دون الله الذي خلقك ورزقك والاصنام جمع صنم وهو التمثال الذي يتخذ من خشب أو حجارة أو حديد أو ذهب أو فضة على صورة الانسان وهو الوثن أيضا (اني أراك وقومك في ضلال مبين) يعني يقول إبراهيم لا إله إلا الله آزر اني أراك وقومك الذين يعبدون الاصنام معك ويتخذونها آلهة في ضلال يعني عن طريق الحق مبين يعني بين ان أبصر ذلك فانه لا يشك ان هذه الاصنام لا تنفع ولا تنفع وهذه الآلة احتجاج على مشركي العرب بأحوال إبراهيم ومحاكمته لا إله وقومه لانهم كانوا يعظمون إبراهيم صلى الله عليه وسلم ويعترفون بفضلهم فلا جرم ذكر الله قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه في معرض الاحتجاج على المشركين <sup>٢</sup> قوله عز وجل (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض) معناه وكأثر ينال إبراهيم البصيرة في دينه والحق في خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال في عبادة الاصنام ثم ملكوت السموات والارض فلما السبب عبر عن هذه الرؤية بلفظ المستقبل في قوله وكذلك نرى إبراهيم لان الله تعالى كان آراه بعين البصيرة ان أباه وقومه على غير الحق فخالقهم خيرا الله بان آراه به ذلك ملكوت السموات والارض خشت هذه العبارة هذا المعنى والملكوت الملك يد تد فيه التامه لا بالمبالغة كاللهوت والربوب والرحوت من الرهبة والرغبة والرحمة وقال ابن عباس يعني خاتم السموات والارض وقال مجاهد وسعيد بن جبير يعني آيات السموات والارض وذلك انه أقام على صخرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكرسي ومافي السموات من الجباب وحتي رأى مكانه في الجنة فذلك قوله وآتيناها أجره في الدنيا يعني أر بناه مكانه في الجنة وكشف له عن الارض حتى نظر الى أسفل الارضين ورأى ما فيها من الجباب قال البغوي وروى عن سلمان ورفعه بعضهم عن علي قال لما رأى إبراهيم ملكوت السموات والارض أبصر رجلا على فاحشة فدعا عليه فهلاك ثم أبصر آخر فدعا عليه فهلاك ثم أبصر آخر فأراد ان يدعو عليه فقال له تبارك وتعالى يا إبراهيم أنت رجل محاب الدعوة فلاندعون على عبادي قائما أنا من عبدي على ثلاث خلال اما ان يتوب الى فاتوب عليه واما ان أتخرج منه نسمة تعبدني واما ان يبعث الي فان شئت عفوت وان شئت عاقبت وفي رواية وان تولى فان جهنم من ورائه قال قتادة ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار واختلف في هذه الرؤية هل كانت بعين البصر أو بعين البصيرة على قولين أحدهما انها كانت بعين البصر اظاهر فشق لإبراهيم السموات حتى رأى العرش وشق له الارض حتى رأى ما في بطها والقول الثاني ان هذه الرؤية كانت بعين البصيرة لان ملكوت السموات والارض عبارة عن الملك وذلك لا يعرف الا بالعقل فبان بهذا ان هذه الرؤية كانت بعين البصيرة الآن يقال المراد بملكوت السموات والارض نفس السموات والارض وقوله تعالى (وليكون من الموقنين) عطف على المعنى ومعناه وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض ليستدل به وليكون من الموقنين واليقين عبارة عن عزم على سبب التأمل بعد زوال الشبهة لان الانسان في أول الحال لا يملك عن شبهة وشك فاذا كثرت الدلائل وتوافقت صارت سببا لحصول اليقين والطمأنينة في القلب وزالت

خلاف بين النسايبين ان اسم أبيه تاريخ وهو عطف بيان لا بيه وزنه فاعل (أتتخذ أصناما آلهة) استفهام نوبيخ أي أتتخذها آلهة وهي لا تستحق الالهية (اني أراك وقومك في ضلال مبين وكذلك أي وكما أرناهم قبيح الشرك) نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض أي نرى بصيرته اطابق خالق السموات والارض ونرى حكاية حال ماضية وملكوت أبغ من الملك لان الوار والتاء زادان للمبالغة قال مجاهد فرجت له السموات السبع فنظر الى ما فيها حتى انتهى نظره الى العرش وفرجت له الارضون السبع حتى انظر الى ما فيها (وليكون من الموقنين) فعلنا ذلك أو ليستدل وليكون من الموقنين عيانا كما يقين بيانا



الله) وهو الاسلام (هو الهدى) وحدود ما وراءه ضلال (وأمرنا) محله النصب بالعطف على محل ان هدى الله هو الهدى على أنهما مقولان كأنه قيل قل هذا القول وقول أمرنا (لنسلم رب العالمين) وان أقيموا الصلاة والتقدير وأمرنا لان نسلم ولان أقيموا أى للاسلام ولاقامة الصلاة (واقوه) وهو الذى اليه تحشرون) يوم القيامة (وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة أو محققا (ويوم يقول كن فيكون) على الخبر دون الجواب (قوله الحق) مبتدأ أو يوم يقول خبره مقدا عليه كما تقول يوم الجمعة قولك الصدق أى قـ و لك الصدق كأن يوم الجمعة واليوم بمعنى الحين والمعنى له خلق السموات والارض بالحق والحكمة وحين يقول شئ من الاشياء كن فيكون ذلك الشئ قوله الحق والحكمة أى لا يكون شئ من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب (وله الملك) مبتدأ وخبر (يوم ينفخ) ظرف لقوله وله الملك (في الصور) هو القرن

وجعل الغيلان يدعون اليهم ففي حيران لا يدري أين يذهب فان أجاب الغيلان ضل وهلك وان أجاب أمحاه اهتدى وسلم (قل ان هدى الله هو الهدى) يعنى ان طريق الله الذى أوضحه لعباده ودنه الذى شرعه لهم هو الهدى والنور والاستقامة لعبادة الانصاف فيه زجر عن عبادتها كأنه يقول لان فعل ذلك فان هدى الله هو الهدى لاهدى غيره (وأمرنا لنسلم) أى وأمرنا أن نسلم ونخاص العبادة (لرب العالمين) لانه هو الذى يستحق العبادة لا غيره (وان أقيموا الصلاة واقوه) يعنى وأمرنا بإقامة الصلاة والتقوى لان فيها ما يقرب اليه (وهو الذى اليه تحشرون) يعنى فى يوم القيامة فيجزى بكم بأعمالكم ﴿قوله عز وجل﴾ (وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) يعنى اظهار الحق فى هذه ان تكون الباء بمعنى اللام لانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته وقيل خلقها بكامل قدرته وشمول علمه وتقان صنعه وكل ذلك حق وقيل خلقها بكلامه الحق وهو قوله كن وفيه دليل على أن كلام الله تعالى ليس بمخاوق لانه لا يخفى مخلوق بمخاوق (ويوم يقول كن فيكون) وقيل ان مراجع الى خلق السموات والارض والمعنى اذكر يوم قال للسموات والارض كن فيكون وقيل يرجع الى القيامة ويدل عليه سرعة البعث والحساب كأنه قال يوم يقول للخلق موتوا فموتوا ونوموا فموتوا لاجسادهم فيقومون أحياء (قوله الحق) يعنى أن قول الله تبارك وتعالى للشيء اذا أراد ان يخلق فيكون حق وصدق وهو كائن بالحق (وله الملك يوم ينفخ في الصور) انما أخبر عن ملكه يومئذ وان كان الملك له سبحانه وتعالى خالصا فى كل وقت فى الدنيا والآخرة لانه لا منازع له يومئذ يدعى الملك وانه المنفرد بالملك يومئذ وان كان يدعى الملك بالباطل من الجبروت والفراسة وسائر الملوك الذين كانوا فى الدنيا قد زال ملكهم واعتزوا بان الملك لله الواحد القهار وانه لا منازع له فيه وعلمه وأن الذى كانوا يدعون من الملك فى الدنيا باطل وغرور واختلاف العلماء فى الصور المذكورة فى الآية فقال قوم هو قرن ينفخ فيه وهولة أهل اليمن قال مجاهد الصور قرن كهيئة البوق ويدل على صحة هذا القول ما روى عن عبد الله بن عمر بن العاص قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور فقال قرن ينفخ فيه أخرجه أبو داود والترمذى عن أنس بن سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أتتم وقد اتقتم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ فكان ذلك نفل على أصحابه فقالوا كيف نفعل يا رسول الله وكيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا ورمى بما قال توكلنا على الله أخرجه الترمذى وقال أبو عبيدة الصور جمع صورة والمفعف فيها أحياءها بنفخ الروح فيها وهذا قول الحسن ومقاتل والقول الاول أصح لما تقدم فى الحديث وقوله تعالى فى آية أخرى تنفخ فيه أخرى ولا جاع أهل السنة أن المراد بالصور هو القرن الذى ينفخ فيه أسرافيل فتحتين فتحة الصعق وفتحة البعث لاجسادهم قوله تعالى (عالم الغيب والشهادة) يعنى انه تعالى يعلم ما غاب عن عباده وما باهتدونه فلا يغيب عن علمه شئ (وهو الحكيم) يعنى فى جميع أفعاله وندب خلقه (الخبير) يعنى بكل ما يقع لونه من خير أو شر ﴿قوله تعالى﴾ (واذ قال ابراهيم لاهيه آزر) اختلاف العلماء فى لفظ آزر فقال محمد بن سميع والكسبى والضحاك آزر اسم أبى ابراهيم وهو تارح ضبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة فعلى هذا يكون لآبى ابراهيم اسمان آزر وتارح مثل يعقوب واسرائيل اسمان لرجل واحد فيحمل أن يكون اسمه الاصلى آزر وتارح لقبه وبالعكس والله سبحانه آزر وان كان عند النساء والمؤرخين اسمه تارح ايعرف بذلك وكان آزر أبى ابراهيم من كوثى وهى قرية من سواد الكوفة وقال سليمان التيمى آزر سب وعيب ومعناه فى كلامهم المعوج وقيل الشيخ الهرم وهو بالفارسية وهذا على مذهب من يجوز أن فى القرآن ألفاظا فيلية فارسية وقيل هو الخطفى فكان ابراهيم عابه وذمه بسبب كفره وزيفه عن الحق وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم كان والد ابراهيم يعبدونه واسمها هذا الاسم لان من عبد شيئا أو أحبه جعل اسم ذلك المعبود (والشهادة) أى السر والعلاية (وهو الحكيم) فى الافناء والاحياء (الخبير) بالحساب والخزائن (واذ قال ابراهيم لاهيه آزر) هو اسم أبى ابراهيم لانه

واستهزأهم واللَّهُو ما يشغل الإنسان من هوى أو طرب (وغيرهم الحياة الدنيا وذكركه) وعطا القرآن (أن تبسل نفس بما كسبت) مخافة أن تسلم إلى الملكة والهاب وترتهن بسوء كسبها وأصل الإبدال المنع (ليس لها من دون الله ولي) ينصرها بالقوة (ولاشفع) يدفع عنها بالمسئلة ولا وقف على كسب في الصحيح لأن قوله ليس لها صفة لنفس والمعنى وذكر بالقرآن كراهة أن تبسل نفس عادمة وليا وشفيعا بكسبها (وان تعدل كل عدل) (٢٦) نصب على المصدر وان نفذ كل فداء والعدل القدسية لأن القادى

يعدل القدى بمثله وفاعل ٧  
(لا يؤخذ منها) لاضمير العدل لأن العدل ههنا مصدر فلا يستند إليه الأخذ وأما في قوله لا يؤخذ منها عدل فيمعنى المقدس به فصح استناده إليه (أولئك) إشارة إلى المتخذين دينهم لعبا وطوا هو هو مبتدأ والخبر (الذين أسألو بما كسبوا) وقوله (لم شراب من حميم) أى ماء سخين حار خبر ثان وأولئك المبطلون ثابت لهم شراب من حميم أو مسأوف (وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) بكفرهم (قل) لا بى بكريقل لابنه عبد الرحمن وكان يدعو أباه إلى عبادة الأوثان (أندعو) أتعبد (من دون الله) الضار النافع (مالا ينفعنا) مالا يقدر على نفعنا ان دعوانه (ولا يضرننا) ان تركناه (نزد) وأتد (على أعقابنا) راجعين إلى الشرك (بعدا ههنا الله) للإسلام وأتقنا من

المشركين الذين اتخذوا دينهم الذى أمر به ودعوا إليه وهو دين الإسلام لعبا وطوا وذلك حيث سخر به واستهزأ به وقيل لهم اتخذوا عبادا لا أصنام لعبا وطوا وقيل ان الكفار كانوا اذا أسمعوا القرآن لعبوا وطوا عند سماعه وقيل ان الله جعل لكل قوم عيدا فاخذ كل قوم دينهم بمعنى عيدهم لعبا وطوا يلعبون ويلهون فيه إلا المسلمين فاتهم اتخذوا عيدهم صلاته تكبيرا وقيل الخيرية مثل عيد الفطر وعيد العري يوم الجمعة (وغيرهم الحياة الدنيا) يعنى أنهم اتخذوا دينهم لعبا وطوا لاجل أنهم غرهم الحياة الدنيا وغلب حبها على قلوبهم فأعرضوا عن دين الحق واتخذوا دينهم لعبا وطوا معنى الآية وذو يحمدهم الذين اتخذوا دينهم لعبا وطوا واتركهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزأهم. وهذا يقتضى الاعراض عنهم ثم نسخ ذلك الاعراض بآية السيف وهو قول قتادة والسدى وقيل ان خرج مخرج التهديد فهو كقوله ذرى ومن خلقت وحيدا وهذا قول مجاهد فعلى هذا ان تكون الآية محكمة وقيل المراد بالاعراض عنهم ترك معاشرتهم ومخالطتهم لا ترك الانذار والتخويف وبدل عليه قوله (وذكر به) يعنى وذكر بالقرآن وعطا به هؤلاء المشركين (أن تبسل نفس بما كسبت) أى ثلاث تبسل نفس وأصل البسل فى اللغة التعريم وضم الشئ ومنعه وهذا عليك بسل أى حرام ممنوع فعنى تبسل نفس بما كسبت وترتهن ونحبس فى جهنم ونحرم من الثواب بسبب ما كسبت من الآثام وقال ابن عباس تبسل تهلك وقال قتادة تنحبس يعنى فى جهنم وقال الضحاك تحرق بالنار وقال ابن زبد تؤخذ يعنى بما كسبت وقيل تفضح والمعنى وذكرهم بالقرآن ومواعظه وعرفهم الشرائع لى لاتهملك نفس وترتهن فى جهنم بسبب الجنائيات التى اكتسبت فى الدنيا وتحرم الثواب فى الآخرة (ليس لها) يعنى لذلك النفس التى هلكت (من دون الله ولي) أى لا تقرب إلى أمرها (ولاشفع) يعنى يشفع لها فى الآخرة (وان تعدل كل عدل) يعنى وان تقدر بكل فداء ولعل الفداء (لا يؤخذ منها) يعنى ذلك العدل وتلك القدسية (وأولئك الذين) إشارة إلى الذين اتخذوا دينهم لعبا وطوا وغيرهم الحياة الدنيا (أسألو بما كسبوا) يعنى أسألو إلى الهلاك بسبب ما كسبوا (لم شراب من حميم) يعنى فى جهنم شرابا يصفى كبرهم (قل) أأندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرننا) يعنى فى يحمدهم هؤلاء المشركين الذين دعوا إلى دين أبائكم أأندعو يعنى أتعبد من دون الله يعنى الأصنام التى لا تنفع من عبدها ولا تضر من ترك عبادتها (وترد على أعقابنا) يعنى وترد إلى الشرك (بعدا ههنا الله) يعنى إلى دين الإسلام والتوحيد (كأنى استهوت الشياطين فى الأرض) يعنى كأنى ذهبت به الشياطين فالتفت به هو بمن فى الأرض وأصله من الهوى وهو النزول من أعلى إلى أسفل (حيران) يقال حار فلان فى الامر اذا تردده فى أمره إلى الصواب ولا يخرج منه (له أعجاب يدعونه إلى الهدى) يعنى لهذا التحير الذى استهوته الشياطين أعجاب على الطريق المستقيم (انثنا) يعنى يقولون له انثنا وهذا مل ضر به الله لمن يدعو إلى عبادة الأصنام التى لا تضر ولا تنفع ولن يدعو إلى عبادة الله عز وجل الذى يضر وينفع يقول ما لم يكن رجل فى رفقة فضل به القول والشيطان عن الطريق المستقيم فجعل أعجابه ورفقته يدعونه اليوم يقولون هلم إلى الطريق المستقيم

عبادة الأصنام (كأنى استهوته الشياطين) كأنى ذهبت به الغيلا ومنردة لجن والكاف وجعل  
فى محل النصب على الخ ل من الضمير فى ترد على أعقابنا أى أنثنا كس مشبهين من يستهونه الشياطين وهو استغفال من هوى فى الأرض اذا ذهب فيها كان معناه طابت هوى به (فى الأرض) فى المهمة (حيران) حال من مفعول استهونه أى تأهلا ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع (له) لهذا المستوى (أعجاب) رفقة (يدعونه إلى الهدى) إلى أن يهده الطريق سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له (انثنا) وقد اعتسف المهمة تاعلا لجن لا يجيبهم ولا يأتهم وهذا معنى على ما يقال ان الجن تستهوى الإنسان والغيلان تستولى عليه فشي به

جبريل أن فناء أمي بالسيف (انظر كيف نصراف الآيات) بالوعود والوعيد (اعلمهم بفقهون وكذب به) بالقرآن أو بالعذاب (قومك) قریش (وهو الحق) أي الصدق وأولاد أن ينزل بهم (قل است عليكم بوكيل) بحفيظ وكل (٢٥) إلى أمركم أنما نماندر (لكل

نبأ) لكل شيء ينأ به  
يعنى انباءهم باتهم  
يعذبون ويعادهم به  
(مستقر) وقت استقرار  
وحصول لادبته (وسوف  
تعملون) تهديد (واذا  
رأيت الذين يخوضون في  
آياتنا) أي القرآن يعنى  
يخوضون في الاستنزاء بها  
والطعن فيها وكانت قریش  
في أدبتهم يفعلون ذلك  
(فأعرض عنهم) ولا  
تجالسهم وقم عنهم (حتى  
يخوضوا في حديث غيره)  
غير القرآن بمأجل خيئذ  
يجوز أن تجالسهم (واما  
بنسبتك الشيطان) ما  
نهيت عنه بسبتك شامى  
نسى وأنسى واحد (فلا  
تقعد بعد الذ كرى) بعد  
أن تذكر (مع القوم  
الظالمين وما على الذين  
يتقون من حسابهم) من  
حساب هؤلاء الذين  
يخوضون في القرآن  
تتكذبا واستنزاء (من  
شيء) أى وما يانزم التقين  
الذين يجالسونهم شيء مما  
يحاسبون عليهم من ذنوبهم  
(واكن) عليهم أن  
يدكرهم (ذكرى) اذا  
سموهم يخوضون بالقيام  
عنهم واطهار الكراهة لهم

فمنعها أخرجه الترمذى وقوله تعالى (انظر كيف نصراف الآيات) أى انظر بما محمد كيف نبين دلائنا ومجتهدا  
لهؤلاء المكذبين (اعلمهم بفقهون) يعنى يفقهون ويعتبرون في تنزيل رادرجعوا عما هم عليه من الكفر  
والتكذيب وقوله تعالى (وكذب به قومك) يعنى بالقرآن (وهو الحق) يعنى في كونه كتابا من لا من عند  
الله وقيل الضمير في به يرجع الى العذاب وهو الحق يعنى انه نازل بهم ان أفاء واعلى كفرهم وتكذيبهم وقيل  
الضمير يرجع الى نصر يف الآيات وهو الحق لانهم كذبوا كونهم من عند الله (قل است عليكم بوكيل) أى  
قل يا محمد هؤلاء المكذبين است عليكم بحافظ حتى أجاز يك على تكذيبكم وأعرضكم عن قبول الحق بل انما  
أنما ندر والله الجازى لكم على أعمالكم وقيل معناه فى انما ادعوك الى الله والى الإيمان به ولم أمر  
بكر يك فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية السيف وقيل فى معنى الآية قل است عليكم بوكيل يعنى  
حفيظ انما أطلبكم بالظاهر من الاقرار والعمل لا بما يحويه الضمائر والاسرار فعلى هذا تكون الآية محكمة  
(لكل نبأ مستقر) أى لكل خبر من أخبار القرآن حقيقة ومنتهى ينهى اليه ما فى الدنيا وما فى الآخرة  
وقيل لكل خبر بخبر الله به وقت ومكان بقى فيه من غير خاف ولا تأخر فكان ما وعدهم به من العذاب فى  
الدنيا وقم به يوم (وسوف تعلمون) يعنى صحة هذا الخبر ما فى الدنيا وما فى الآخرة وقوله تعالى (واذا  
رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) الخطاب فى واذارأيت للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى واذارأيت يا محمد هؤلاء  
المشركين الذين يخوضون فى آياتنا يعنى القرآن لذي انزلناه اليك والخوض فى اللغة هو العثورع فى الماء  
والعبور فيه ويستعار لالاخذ فى الحديث والشروع فيه يقال تخاضوا فى الحديث وتفاضوا فيه لكن أكثر  
ما يستعمل الخوض فى الحديث على وجه اللعب والعبث وما يذم عليه ومنه قوله وكننا نخوض مع الخاضعين  
وقيل الخطاب فى واذارأيت لكل فرد من الناس والمعنى واذارأيت أيها الانسان الذين يخوضون فى آياتنا  
وذلك أن المشركين كانوا اذا جالسوا المؤمنين وقعوا فى الاستنزاء بالقرآن ومن أنزلوه ومن أنزل عليه  
فنهاهم الله أن يقعدوا معهم فى وقت الاستنزاء بقوله (فأعرض عنهم) يعنى فاتركهم ولا تجالسهم (حتى  
يخوضوا فى حديث غيره) يعنى حتى يكون خوضهم فى غير القرآن والاستنزاء به (واما بنسبتك الشيطان)  
يعنى ففقت معهم (فلا تقعد بعد الذ كرى) يعنى اذا ذكرت فقم عنهم ولا تقعد (مع القوم الظالمين) يعنى  
المشركين ﴿ قوله تعالى (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) قال ابن عباس لانزلت هذه  
الآية واذارأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم قال المسلمون كيف تقعد فى المسجد الحرام واطوف  
بالبيت وهم يخوضون ابدافى رواية قال المسلمون ان تخاف الأمم حين تتركهم ولا تنهاهم فانزل الله هذه الآية  
وما على الذين يتقون يعنى يتقون الشرك والاستنزاء من حسابهم من حساب المشركين من شيء  
يعنى ليس عليهم شيء من حسابهم ولا تأمهم (ولكن ذكرى) يعنى ولكن ذكرهم ذ كرى وقيل معناه  
ولكن عليهم أن تذكرهم (اعلمهم يتقون) يعنى لعل تلك الذكرى تمنعهم من الخوض والاستنزاء  
﴿ فصل ﴿ قال سعيد بن المسيب وابن جريج ومقاتل هذه الآية منسوخة بالآية التى فى سورة النساء وهى  
قوله تعالى وقد نزل عليك فى الكتاب أن اذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها وذهب الجمهور الى أنها  
محكمة لا نسخ فيها لا ما خبروا والخبر لا يدخله النسخ لانها انما ادلت على ان كل انسان انما يختص بحساب  
نفسه لا بحساب غيره وقيل انما أباح لهم القوم معهم بشرط التذكير والموعظة فلا تكون منسوخة ﴿ قوله  
عز وجل (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى وذر يا محمد هؤلاء

(٤ - خازن - ثانى) وموعظتهم ومحل ذكرى نصب أى ولكن ذكرهم ذ كرى أى تذكرهم ذ كرى (واذا سمعتم آياتهم يتقون) اعلمهم يتقون (واذا سمعتم آياتهم) وذر الذين  
اتخذوا دينهم (الذى كفوه ودعوا اليه يهودين الاسلام (لعبا ولهوا) سخر به واستهزأوا بمعنى ذرهم أعرض عنهم ولا تنال بسكتهم

الشائد وهو المارد من قوله (تدعونه تضرع وخفية) يعني فاذا اشتد بكم الامر فخصاؤن له الدعاء تضرعاً منكم اليه واستكانة تهمرا وخفية يعني سراها ولا حلالاً (لئن أنجيتن من هذه) يعني قائلين في حال الدعاء والتضرع لئن أنجيتن من هذه الظلمات وخلصتن من الهلاك (لنكونن من الشاكرين) يعني لك على هذه النعمة والشكر هو مرفة النعمة مع القيام بحقه المأن أنم بها (قل الله ينجيكم منها) يعني من الظلمات والشائد الذي أنم فيها (ومن كل كرب) يعني وهو الذي ينجيكم من كل كرب أيضاً والكرب هو الغم الشديد الذي يأخذ بالنفوس (ثم أنتم تشركون) يريد أنهم يقرون بأن الذي أنجىهم من هذه الشائد هو الله تعالى ثم أنهم بعد ذلك الاقرار يشركون معه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ﴿قوله عز وجل﴾ (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم) أي على ما يجد لقمكم ان الله هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم يعني الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط (أؤمن تحت أرجلكم) يعني الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون وقال ابن عباس ومجاهد عذاباً من فوقكم يعني آفة السوء والاسلاطين الظلمة (أؤمن تحت أرجلكم) يعني عبيد السوء وقال الضحاك من فوقكم يعني من قبل كباركم (ومن تحت أرجلكم) يعني السفلة (أو بليسكم شيئا) الشيع جمع شيعة وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة وأشباع وأصله من الشيع وبمعنى الذين يتبع بعضهم بعضاً وقيل الشيعة هم الذين يتقوى بهم الانسان قال الزجاج في قوله (أو بليسكم شيئا) يعني غلط أمركم خلط اضطراب لخلط اتفاق فيجعلكم فرقا مختلفين يقال بضعكم بضعاً وهو معنى قوله (ويذيق بضعكم بأس بعض) قال ابن عباس وقوله (أو بليسكم شيئا) يعني الاهواء المختلفة ويذيق بضعكم بأس بعض يعني أنه يقتل بضعكم بيد بعض وقال مجاهد يعني أهواء متفرقة وهو ما كان فيهم من الفتن والاختلاف وقال ابن زيد وهو الذي فيه الناس اليوم من الاختلاف والاهواء وسفك بعضهم دماء بعض ثم اختلف المفسرون فبين عنى بهذه الآية فقال قوم عنى بها المسلمة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وفيهم نزلت هذه الآية قال أبو العالفة في قوله قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم الآية قال هن أربع وكان عذاب جاء اثنتان بمدر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة بالسواشيعا وأذيق بعضهم بأس بعض وبقيت اثنتان وهما لا بد واقعتان يعني الخسف والمسخ وعن أبي ابن كعب نحوه من أربع خلال وكان واقع قبل يوم القيامة مضت ثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة ألبسوا شيئا وأذيق بعضهم بأس بعض وبقيت اثنتان واقعتان لاحالة الخسف والرجم وقال مجاهد في قوله من فوقكم (أو من تحت أرجلكم) لامة محمد فاعفاهم منه (أو بليسكم شيئا) اما كان بينهم من الفتن والاختلاف زاد غيره ويذيق بضعكم بأس بعض يعني ما كان فيهم من القتل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (خ) عن جابر قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك (أو من تحت أرجلكم) قال أعوذ بوجهك (أو بليسكم شيئا) ويذيق بضعكم بأس بعض قال هذا أهون أوهذا أيسر (م) عن سعد بن أبي وقاص أنه قبل مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم من العالية حتى اذا مر بمسجد بني معاوية دخل فرجع فيه ركعتين وصلى معه ودعا به طويلاً ثم انصرف اليها فقال سألت ربى ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربى أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألت ربى أن لا يهلك أمتي بالفرق فأعطانيها وسألت ربى أن لا يجعل بأسهم بينهم فتعنيها عن خباب ابن الارت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فاطماً فقالوا يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصلها قال أجل انها صلاة رغبة وربة اتي سألت الله فيها ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت أن لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها وسألت أن لا يسلط عليهم عدو من غيرهم فأعطانيها وسألت أن لا يذيق بعضهم بأس بعض

ضمير المفعول في: ينجيكم (تضرعاً) معلنين الضراعة وهو مصدر في موضع الحال وكذا (وخفية) أي مسرين في أنفسهم خفية حيث كان أبو بكر وهما لفتان (لئن أنجيتن من هذه) عاصم وبالإمالة جزء على الباقون أنجيتن والمعنى يقولون لئن خلاصنا (من هذه) الظلمات (لنكونن من الشاكرين) لله تعالى (قل الله ينجيكم) بالتشديد كوفي (منها) من الظلمات (ومن كل كرب) وغيره وحزن (ثم أنتم تشركون) ولا تشركون (قل هو القادر) هو الذي عرفه قوماً قادراً أو هو الكامل القدرة فاللام يحتمل العهد والجنس (على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم) كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة (أؤمن تحت أرجلكم) كما غرق فرعون وخسف بقارون (أؤمن قبل سلاطينكم وسفلىكم) وهو جوبس المطر والنبات أو بليسكم شيئا ويخطبكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لأمم ومعنى خاطبهم أن ينشب القتال بينهم في يختلطوا ويشبكوا في

الروح التي تحيا بها النفس فانها لا تقبض الا عند انقضاء الاجل والمراد

الذى لا يحكم الا بالحق وهما صفتان لله (الا اله الا الحكم) يو مثلاً لحكم فيه غيره (وهو أسرع الحاسبين) لا يشأله حساب عن حساب يحاسب جميع الخلق في مقدار حلب شاة وقيل الرذالي من ربا الخير من البقاء مع من أذاك (قل من ينحكم) ينحكم عباس (من ظالمات البرذال بحر)

الذى لا يتحكم الا بالحق وهما صفتان لله (الا اله الحكم) يومئذ لا حكم فيه غيره (وهو امرع الخاسين) لا يشأله حسد الخلق في مقدار حلب شاة وقيل الرذالي من رباك خبير من البقاء مع من اذاك (قل من يتجسسك) يتجسسك عبا

لأعلمها (الاهو) المفاتيح جمع مفتاح وهو المفتاح وهي خزائن العذاب والرزق وأما غاب عن العباد من الثواب والعقاب والآجال والأحوال جعل للقيب مفاتيح على طريق الاستعارة (٢٢) لأن المفاتيح يتوصل بها إلى ما في الخزائن المستوفى منها بالإغلاق والافتتاح ومن علم مفاتيحها

خزائن الغيب والمراد منه القدرة الكاملة على كل الممكنات ثم اختلفت أقوال المفسرين في قوله وعندده مفايح الغيب (لا يعلمها الا هو) فقيل مفايح الغيب خمس وهي ما روى عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفايح الغيب خمس لا يعلمها الا الله تعالى لا يعلم أحدا ما يكون في غد الا الله ولا يعلم أحدا ما يكون في الارحام الا الله ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا ولا تدرى نفس بأى أرض تموت ولا يدرى أحد متى يحيى المطر وفي رواية أخرى لا يعلم أحد ما تنفض الارحام الا الله ولا يعلم ما في غد الا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد الا الله ولا تدرى نفس بأى أرض تموت الا الله ولا يعلم متى الساعة الا الله أخرجه البخارى وقال الضحاك ومقاتل مفايح الغيب خزائن الارض وعلم نزول العذاب وقال عطاء هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل هو انتضاء الآجال وعلم أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم وقيل هو علم ما لم يكن بعد أن يكون اذ يكون كيف يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون وقال ابن مسعود اوتى نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء الا مفايح الغيب وقال ابن عباس انها خزائن غيب السموات والارض من الاقدار والازراق (و يعلم ما في البر والبحر) قال مجاهد البر المفاوز والقفار والبحر القرى والامصار لا يحدث فيها شيء الا هو يعلمه وقال جمهور المفسرين هو البر والبحر المعروفان لان جميع الارض اما بر واما بحر وفي كل واحد منهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبدعاته ما يدل على عظيم قدرته وسعة علمه (وما تسقط من ورقة الا يعلمها) بر بدساقطة وثابتة والمعنى انهم يعلمون عدم ما يسقط من الورق وما يبق على الشجر من ذلك ويعلم كم انقلب ظهر البطن الى ان تسقط على الارض (ولا حبة في ظلمات الارض) قيل هو الحب المعروف بكونه في بطن الارض قبل أن ينبت وقيل هي الحبة التي في الصخرة التي في أسفل الارضين (ولا رطب ولا يابس) قال ابن عباس الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء بر يد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالربط الحى واليابس الميت وقيل هو عبارة عن كل شيء لان جميع الاشياء اما رطبة واما يابسة فان قلت ان جميع هذه الاشياء داخل تحت قوله وعندده مفايح الغيب فلم أفرد هذه الاشياء بالذكر وما فائدة ذلك قلت لما قال الله تعالى وعندده مفايح الغيب على سبيل الاجال ذكر من بعد ذلك الاجال ما يدل على التفصيل فذكر هذه الاشياء المحسوسة ليدل بها على غيرها فاقدم ذكر البر والبحر لما فيها من العجائب والغرائب من المدن والقرى والمفاوز والجبال وكثرة ما فيها من المعادن والحيوان وأصناف المخلوقات مما يجزى الوصف عن ادراكها ثم ذكر بعد ذلك ما هو أقل من ذلك وهو مشاهد لكل أحد لان الورقة الساقطة والثابتة بها راها كل أحد لكن لا يعلم عددها وكيفية خلقها الا الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك ما هو أصغر من الورقة وهي الحبة ثم ذكر بعد ذلك مثلا يجمع الكل وهو الرطب واليابس فذكر هذه الاشياء وانه لا يخرج شيء منها عن علمه سبحانه وتعالى فصارت هذه الامثال منبهة على عظمة عظمته وقدرته عالية وعلم واسع فسبحان العالم الخبير **قوله تعالى (الافى كتاب مبين)** فيه قولان أحدهما أن الكتاب المبين هو علم الله الذى لا يغير ولا يبدل والثاني أن المراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ لان الله كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل أن يخلق السموات والارض وفائدة احصاء الاشياء كلها في هذا الكتاب لتقف الملائكة على انفاذ علمه وبه بذلك على تعظيم الحساب وأعلم عباده أنه لا يفرق شيء مما يصنعون لانهم من أنبيأ ما لا نواب فيه ولا عقاب في كتاب فهو الى اثبات ما فيه نواب وعقاب أسرع **قوله تعالى (وهو الذى يتوفىكم بالليل)** يعنى يقبض أرواحكم اذا أنتم بالليل (ويعلم ما حرمتكم) بالنهار ثم يبعثكم فيه) أى يوظفكم فيه أى فى النهار (ليقضى أجل مسيحى) يعنى أجل الحياة الى الممات بر بدساقطة العمر على التمام (ثم الهمرجكم) فى الآخرة (ثم ينبتكم) أى يخبركم (بما كنتم

وكيفية فتحها توصل إليها  
فإذا أراد أنه هو المتوصل إلى  
المحييات وحده لا يتوصل  
إليها غيره كمن عنده مفاتيح  
أقفال الخازن ويعلم فتحها  
فهو المتوصل إلى ما في  
الخازن قيل عنده مفاتيح  
الغيب وعندك مفاتيح  
الغيب فمن آمن بغيبه  
أسبل الله الستر على عبده  
(ويعلم ما في البر) من  
النبات والثراب (والبحر)  
من الحيوان والجواهر  
وغيرهما (ومناطة من  
ورقة لا يعلمها) ما لا نفي  
ومن للاستعراق أى يعلم  
عددها وأحوالها قبل  
السقوط بعده (ولاحبة  
في ظلمات الأرض ولا  
رطب ولا يابس) عطف  
على ورقة وداخل في  
حكمها وقوله (الافى كآب  
مبين) كالسكر يرقوله إلا  
يعلمها لأن معنى الافى يعلمها  
ومعنى الافى كتاب مبين  
واحد وهو علم الله والألواح  
ثم خاطب الكفرة بقوله  
(وهو الذى يوفى كآب الليل)  
أى يقبض أنفسكم عن  
التصرف بالنعمان في المنام  
(ويعلم ما حتم بالنهار)  
كسبتم فيه من الآثام (ثم  
يبعثكم فيه) ثم يوفى قسطكم في  
النهار والتقدير ثم يبعثكم  
في النهار و يعلم ما حتم فيه

فقدتم الكسب لانه اُهم وليس فيه انه لا به لم ماجر حنا بالليل ولانه لا يتوقف بالانهار فدل أن تخصيص الشيء بالذ كرايدل تعملون  
على نفي ماعداه (ليقتضى أحسن مسمى) لسوف الأجل على الاستكمال (ثم الير به جمعكم) رجوعكم بالبعث بعد الموت (ثم نبشكم بما كنتم



السبيل مع التاء على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال استبان الامر وتبين واستبينته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين تفصل آيات القرآن وتلخصها في صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه ومن يرجى اسلامه وتستوضح سبيلهم فتعامل كل كلامهم بما يجب أن يعامل به ففصلنا ذلك التفصيل (قل اني نهيته أن أعبد الذين تدعون من دون الله) أى صرفت (٢١) وزجرت بأدلة العقل والسمع

ومعناه وياظهور يتضح سبيل المجرمين يوم القيامة اذا صاروا الى النار ﴿ قوله تعالى ﴾ (قل) أى قل يا محمد طؤ لواء المشركين: (اني نهيته أن أعبد الذين تدعون من دون الله) يعنى نهيته أن أعبد الاصنام التى تعبدونها أنتم من دون الله وقيل تدعونها عند شدائدكم من دون الله لان الجادات أخس من أن تعبدوا وتدعى وانما كانوا يعبدونها على سبيل الهوى وهو قوله تعالى ﴿ قل لا أتبع أهواءكم ﴾ يعنى فى عبادة الاصنام وطرد الفقراء (قد ضللت اذا) يعنى اذ عبدتها (وما أنا من المهتدين) يعنى لوعبدتها (قل) يعنى قل يا محمد طؤ لواء المشركين (انى على بينة من ربى) قال ابن عباس يعنى على يقين من ربى وقيل البينة الدلالة التى تفصل بين الحق والباطل والمعنى انى على بيان وبصيرة فى عبادة ربى (وكذبتم به) يعنى وكذبتم بالبيان الذى جئت به من عند ربى وهو القرآن والمجربات الباهرات والبراهين الواضحات التى تدل على صحة التوحيد وفساد الشرك (ما عندى ما تستجلبون به) يعنى العذاب وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم وكانوا يستجلبون به استهزاء وكانوا يقولون يا محمد اتنا بما تعدنا يعنى من نزول العذاب فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم ما عندى ما تستجلبون به لان انزال العذاب لا يقدر عليه الا الله تعالى ولا يقدر أحد على تقديمه ولا تأخير به وقيل كانوا يستجلبون الآيات التى طلبوها واقتروها فاعلم الله ان ذلك عنده ليس عند أحد من خلقه وقيل كانوا يستجلبون بقيام الساعة ومنه قوله تعالى يستجمل بها الذين لا يؤمنون بها (ان الحكم الا الله) يعنى الحكم الذى يفصل به بين الحق والباطل والثواب للطائع والعقاب للعاصى أى ما للحكم الطائى الا الله ليس معه حكم فهو يفصل بين المختلفين وبقيى بازال العذاب اذا شاء (يقص الحق) قرئ بالصاد المهملة ومعناه يقول الحق لان كل ما أخبر به فهو حق وقرئ بقض بالصاد المعجمة من القضاء يعنى انه تعالى يقضى القضاء الحق (وهو خبر الفاصلين) يعنى وهو خير من بين وفصل وميز بين الحق والباطل لانه لا يقع فى حكمه وقضاه جور ولا حيف على أحد من خلقه (قل لو ان عندى ما تستجلبون به) يعنى من ازال العذاب والاستجبال المطالبة بالشيء قبل وقته فلذلك كانت الجبهة مذمومة والاسراع تقديم الشيء فى وقته فلذلك كانت السرعة محمودا والمعنى قل يا محمد طؤ لواء المشركين المستجلبين لنزول العذاب لو ان عندى ما تستجلبون به لم أمهلكم ساعة ولكن الله حليم ذؤان لا يجمل بالعفو به وقوله تعالى (لقضى الامر بينى وبينكم) يعنى لانفصل ما بينى وبينكم ولأنكم ما تستجلبون به من العذاب (والله أعلم بالظالمين) يعنى انا أعلم بما يستحقون من العذاب والوقت الذى يستحقونه فيه وقيل علم أن نسيئو من بعض من كان يستجمل بالعذاب فلذلك أخره عنهم وقال والله أعلم بالظالمين ويا حواهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وعنده مفاتيح الغيب) المفاتيح التى يفتح بها الغلق جمعه مفاتيح ويقال فيه مفتاح بكسر الميم وجمعه مفاتيح والمفتاح يفتح الغيب الخزانة التى كانت الصنف من الاشياء فهى مفتاح وجمعه مفاتيح فقلوه وعنده مفاتيح الغيب يحتمل أن يكون المراد منه المفاتيح التى يفتح بها ويحتمل أن يكون المراد منه الخزانة فعلى التفسير الاول فقد جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة لان المفاتيح هى التى يتوصل بها الى ما فى الخزائن المستوثق منها بالغلق فمن علم كيف يفتح بها يتوصل الى ما فيها فهو عالم وكذلك ههنا ان الله تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات ما غاب منها وما لم يغيب عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة وعلى التفسير الثانى يكون المعنى وعنده

عندكم (يقص الحق) حجازى وعاصم أى يتبع الحق والحكمة فيما يحكم بهو بقدره من قص أثره بالاقون يقص الحق فى كل ما يقضى من التأخير والتججيل فالحق أى القضاء الحق صفة لمصدر يقضى وقوله (وهو خير الفاصلين) أى القاضين بالقضاء الحق اذا الفصل هو القضاء وسقوط الباء من الخط لاتباع اللفظ لاتقاء الساكنين (قل لو ان عندى) أى فى قدرى وامكانى (ما تستجلبون به) من العذاب (لقضى الامر بينى وبينكم) لاهلككم عاجلا غيبا لربى (والله أعلم بالظالمين) فهو ينزل عليكم العذاب فى وقت يعلم انه أدرع (وعنده مفاتيح الغيب

(وكذلك فتننا بعضهم ببعض) ومثل ذلك الفتن العظمى ابتلينا الاغنياء بالفقراء (ليقولوا) أى الاغنياء (أهلوا من الله عليهم من بيننا) أى أنهم الله عليهم بالايام ونحن المقدمون (٢٠) والرؤساء وهم الفقراء انكار الان يكون أمثالهم على الحق وعمونا

عابهم من ينهمر بالخير ونحوه لو كان خيرا ماسبقونا اليه (أليس الله باعلم بالشاكرين) بن يشكر نعمته (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) أما أن يكون أمرنا ببلوغ سلام الله اليهم وأما أن يكون أمرنا ببدءهم بالسلام اكرامهم وتقليدنا بقولهم وكذلك قوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة) من جلة ما يقول لهم ليشرهم بسعة رحمة الله وقوله التوبة منهم ومعناه وعدكم بالرحمة وعداؤكم كذا (انه) الضمير للشأن (من عمل منكم سوءا) ذنبا (بجهالة) في موضع الحال أى عمله وهو جاهل بما يتعاقب به من المضرة أو جعل جاهلا لا يشاره المعصية على الطاعة (ثم تاب من بعده) من بعد سوء أو العمل (وأصلح) وأخلص توبته (فانه غفور رحيم) أنه فانه شامى وعاصم الاول بدل الرحمة والثاني خبر مبتدأ محذوف أى فشأنه أنه غفور رحيم أنه فانه مدنى الاول بدل الرحمة والثاني مبتدأ أنه فانه غيرهم

عنك فنضع الشيء غير موضعه فهو من باب ترك الافضل والاولى لا من باب ترك الواجبات والله أعلم بقوله عز وجل (وكذلك فتننا بعضهم ببعض) يعنى وكذلك ابتلينا الغنى بالفقر والتقى بالثنى والشرف بالوضيع والوضع بالشريف فكل أحد مبتلى بضده فكان ابتلاء الاغنياء الشرفاء حسدهم لفقراء الصحابة على كونهم سبقوهم الى الاسلام وتقدموا عليهم فامتنعوا من الدخول في الاسلام لذلك فكان ذلك فتنة وابتلاء لهم وأما فتنة الفقراء بالاغنياء فلما يرون من سعة رزقهم وخصب عيشهم فكان ذلك فتنة لهم (ليقولوا) يعنى الاغنياء والشرفاء والرؤساء (أهلوا من الله عليهم من بيننا) يعنى من على الفقراء والضعفاء بالاسلام ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا اعتراض من الكفار على الله تعالى فاجابهم بقوله (أليس الله باعلم بالشاكرين) يعنى انه تعالى أعلم بخلقهم وجاهلهم وأعلم بالشاكرين من الكافرين ﴿ قوله تعالى (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) قال عكرمة نزلت في الذين نهى الله نبيه عن طردهم فكان النبي صلى الله عليه وسلم يذار آههم بدهم بالسلام وقال عطاء نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم بن أبي عبيدة ومصعب بن عمير وحزرة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والارقم بن أبى الارقم وأبى سلمة بن عبد الاسد وقيل ان الآية على اطلاقها في كل مؤمن وقيل لما جاء عمر بن الخطاب واعتذر من مقاتله التي تقدمت في رواية عكرمة قال ما أردت الا الخير نزلت واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم (كتب ربكم) يعنى فرض ربكم وقضى ربكم (على نفسه الرحمة) وهذا يفيد الوجوب وسبب هذا انه تعالى يتصرف في عبادته كيف يشاء وأراد فاجوب على نفسه الرحمة على سبيل الفضل والكرم لانه أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين (أنه من عمل منكم سوءا بجهالة) قال مجاهد كل من عمل ذنبا وخطيئة فهو بها جاهل واختلفوا في سبب هذا الجهل فقيل لانه جاهل بمقدار ما استحقه من العقاب ومافاته من الثواب وقيل انه وان علم ان عقوبة ذلك السوء والفعل البحيح مذمومة الا انه أثر الالذة العاجلة على الخير الكثير الآجل ومن أثر القليل على الكثير فهو جاهل وقيل انه لما فعل فعل الجهال نسب الى الجهل وان لم يكن جاهلا (ثم تاب من بعده) يعنى من بعد ارتكابه ذلك السوء ورجع عنه (وأصلح) يعنى أصلح العمل في المستقبل وقيل أخلص توبته وتندم على فعله (فانه غفور) يعنى لمن تاب من ذنوبه (رحيم) بعباده قال خالد بن دينار كنا اذا دخلنا على أبى العالية قال واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الآية عن أبى سعيد الخدرى قال جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم ليستر ببعض من العرى وقارئ يقرأ علينا ناجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فقام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت القارئ فسلم ثم قال ما كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان قارئنا يقرأ علينا وكنا نسقع الى كتاب الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل من أمي من أمرت أن أصبر نفسى معهم وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده هكذا افعلوا وبرزت وجوههم قال قارئ رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف منهم أحد اغري ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا يا معشر صابليكم المهاجرين بالنور التام يوم الجمعة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسة ايام أخرجه أبو داود ﴿ وقوله عز وجل (وكذلك نفصل الآيات) يعنى وكافضلنا لك يا محمد في هذه السورة دلالاتنا على صحة التوحيد وابطال ما هم عابيه من الشرك كذلك تميزون بين لك أدلة حججنا وبراهيننا على تقريرك حق بذكره أهل الباطل (ولتدين) قرأ بالثاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى وليظهر لك الحق يا محمد وبتدين لك (سبيل المؤمنين) يعنى طريق هؤلاء المؤمنين وقرأ باباه على الغيبة

على الاستئناس كان الرحمة استعسرت ففيل انه من عمل منكم (وكذلك نفصل الآيات) ومعناه ولتسبين (والباء جزة على وأبو بكر (سبيل المؤمنين) بالنصب مدنى غيره بالرفع فرفع السبيل مع التاء والياء لانها تذكروا وتؤنث ونصب

ابن مسعود ولبايعناك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن مسعود مر ملا من قر يش بالنبي صلى الله عليه وسلم وعنده صهيبي وعمارو بلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد رضيت بهؤلاء بدلان قومك أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا نحن نكون تبعاً هؤلاء اطردهم فاعليك ان طردتهم أن تبعك ففازت هذه الآية وقال عكرمة جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل في أشرف بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا طالب لو أن ابن أخيك محمد يطردعته موالينا وحلفاء فاناهم عبيدنا وعساة أو نأكلنا أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لنا باعنا إياه وتصديقنا له فأتى أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه به فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون وإلى ماذا يصرون فانزل الله عز وجل هذه الآية وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى يومهم إلى قوله أليس الله باعماً بالنا كرين بخاء عمر فاعتذر من مقاتله قلت بين هذه الروايات والرواية الأولى التي عن سلمان وخباب بن الارت فرق كثير وبعد عظيم وهو ان اسلام سلمان كان بالمدينة وكان اسلام المؤمنين قلوبهم بعد الفتح وسورة الانعام مكية والصحيح ما روى عن ابن مسعود والكلبي وعكرمة في ذلك ويعضد حديث سعد بن أبي وقاص المخرج في صحيح مسلم من أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء يعني ضعفاء المسلمين والله أعلم وأما معنى الآية فقول ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ولا تطرد هؤلاء الضعفاء عنك ولا تبعهم عن مجلسك لاجل ضعفهم وفقرهم ثم وصفهم فقال تعالى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس يعني يعبدون ربهم بالغداة والعشي يعني صلاة الصبح وصلاة العصر وروى عنه ان المراد منه الصلوات الخمس وانما ذكر هذين الوقتين تنبيهاً على شرفهما ولا تلهم مواظبون عليهم ماع بقية الصلوات ولان الصلاة تشتمل على القراءة والدعاء والذكر فبعد بالدعاء عن الصلاة لهذا المعنى قال مجاهد صليت الصبح مع سعيد ابن المسيب فلما سلم الامام ابتدر الناس القاص فقال سعيد بن المسيب ما أسرع الناس إلى هذا المجلس فقال مجاهد يتاولون قوله تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي قال أوفى هذا انما هو في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن وقال ابن عباس ان ناساً من الفقراء كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ناس من أشرف الناس يؤمن لك واذا صليت أفاخر هؤلاء الذين معك فليصوا واخلفوا وقيل المراد منه حقيقة الدعاء والذكر والمعنى أنهم كانوا يذكرونهم ويدعونهم طر في النهار يريدون وجهه يعني يطلبون بعبادتهم وطلعتهم وجه الله مخلصين في عبادتهم له وقال ابن عباس يطلبون ثواب الله تعالى (ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء) يعني لا تكف أمرهم ولا تكفون أمرك وقيل ما عليك حساب رزقهم فتملهم وتطردهم عنك ولا رزقك عليهم انما الرزق لجميع الخلق هو الله تعالى فلا تطردهم عنك (فطردهم فتكون من الظالمين) يعني يطردهم عنك وعن مجلسك فقول فطردهم جواب النبي وهو قوله ما عليك من حسابهم من شيء وقوله فتكون من الظالمين جواب النبي وهو قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هم بطرد الفقراء عن مجلسه لاجل الاشراف عاتبه الله على ذلك ونهاه عن طردهم وذلك بقدره في العصمة وقوله فطردهم فتكون من الظالمين والجواب عن هذا الاحتجاج ان النبي صلى الله عليه وسلم ما طردهم ولا هم بطردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستسكان بهم ففقرهم وانما كان هذا لهم لمصلحة وهو التلطف بهؤلاء الاشراف في ادخالهم في الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب أولى وهو اجتهاد منه فاعلمه الله تعالى أن اداء هؤلاء الفقراء أولى من اهلهم بطردهم فقرهم منه واداءهم وأما قوله فطردهم فتكون من الظالمين فان الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه فيكون المعنى ان أولئك الفقراء الضعفاء يستحقون التعظيم والتقرب فلا تلهم بطردهم

(ما عليك من حسابهم من شيء) كقولهم ان حسابهم الاعلى ربي (وما من حسابك عليهم من شيء) وذلك أنهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال حسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كان حسابك عليك لا يتعداك اليهم (فطردهم) جواب النبي وهو ما عليك من حسابهم (فتكون من الظالمين) جواب النبي وهو ولا تطردو ويحوز أن يكون عطفاً على فطردهم على وجه التسبب لان كونه ظالم ما سبب عن طردهم

والضال والمتهدى والعالم والجاهل (أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) يعني أنهم لا يستويان ﴿قوله عز وجل (وَأَنْذَرِهِ)﴾ يعني وخوف بالقرآن والآنذار اعلام مع تخويف (الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يَبْخَشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ) قال ابن عباس يريد المؤمنين لا تخافون يوم القيامة وما فيه من شدة الأهوال وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالعبث من مسلم وكثاني وانما يخص الذين يخافون الحشر بالذكركدون غيرهم وان كان انذاره صلى الله عليه وسلم لجميع الخلائق لان الحجة عليهم واكد من غيرهم لا عترافهم بصحة العاد والحشر وقيل المراد بهم الكفار لانهم لا يعتقدون بحتمه ولذلك قال يخافون أن يبخشروا إلى ربهم وقيل المراد بالآنذار جميع الخلائق فيدخل فيه كل مؤمن معترف بالخشر وكل كافر منكسر لانه ليس أحد الا وهو يخاف الحشر سواء اعتقد وقوعه أو كان يشك فيه ولان دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وانذاره لجميع الخلق (ليس لهم من دونه) يعني من دون الله (ولي) أي قرب ينففعهم (ولاشفع) يعني يشفع لهم ثم ان فسرنا الذين يخافون أن يبخشروا إلى ربهم أن المراد بهم الكفار فلا اشكال فيه لقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وان فسرنا الذين يخافون أن يبخشروا إلى ربهم أن المراد بهم المؤمنين ففيه اشكال لانه قد ثبت بصحيح النقل شفاعته نبيًا محمد صلى الله عليه وسلم للذين من أمته وكذلك تشفع الملائكة والانباء والمؤمنون بعضهم لبعض والجواب عن هذا الاشكال أن الشفاعة لا تكون الا بالذنابن الله لقوله تعالى لا اله الا الله ومن ادعى الاية ان كانت الشفاعة باذن الله صح قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع يعني حتى ياذن الله لهم في الشفاعة فاذا اذن فيها كان للمؤمنين ولي وشفيع (لعلهم يتقون) يعني ما نهيتهم عنه ﴿قوله تعالى (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)﴾ قال سلمان وخباب بن الارت فينازلات هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وهما من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع صهيب وبلال وعمار وخباب بن نفير من ضعفاء المؤمنين فلما رأوه حوله حقر وهم فانوه فقالوا يا رسول الله لوجست في صدر المجلس ونشيت عناد هؤلاء وأرواح جبابهم وكانت عليهم جباب صوف هارمجة ليس عليهم غير هالجا لسانك وأخذنا عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أباطار المؤمنين قالوا فاناحب أن نجعل لنامدك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيكم فنتسجى أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعداء فاذن نحن جئناك فاقم عناقدا نحن فرغنا فاعدهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا قال فاني بالصحيقة ودعا عليا لكتب قال ونحن نقوم في ناحية اذن لجريل عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الى قوله أليس الله باعالم بالساكرين فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحيقة من يدهم دعانا فانيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكننا فنعدهم فاذا أراد أن يقوم قام وركبنا فازل الله تبارك وتعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد ذلك وندنومنه حتى كانت ركبتنا خمس ركبتنا فاذا بلغ الساعة التي يريد أن يقوم فيها اقتار كنهه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم الحيا ومعكم المات وروى عن سعد بن أبي وقاص قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا قال وكنتم أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهم ما فوق في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله أن يقع خدث نفسه فانزل الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه أخرجه مسلم وقال الكشي قالوا يعني أشرف قريش اجعل لنا بوم لهم وما قال لا فقل قالوا فاجعلوا المجلس واحدا وأقبل علينا واول ظهر الكلبهم فانزل الله هذه الآية وقال مجاهد قال قريش لولا بلال وابن أم عبد يعني

أن اتباع ما يوحى الى السما لا بدلى منه (وأنذر به) بما يوحى (الذين يخافون أن يبخشروا إلى ربهم) هم المسلمون الموقنون بالعبث الانهم مغرطون في العمل فينذرهم بما أوحى اليه أو أهل الكتاب لانهم موقنون بالعبث (ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) في موضع الحال من يبخشروا أي يخافون أن يبخشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم (لعلهم يتقون) يدخلون في زمرة أهل التقوى ولما أمر النبي عليه السلام بالآنذار غير المتقين ليتقوا أمر بعد ذلك بتقريب المتقين ونهي عن طردهم بقوله (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) وأثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم أي عبادته وبواظبون عليها والمراد بذلك الغداة والعشي الدوام أو معناه يواصلون الصلاة الصبح والعصر أو الصلوات الخمس بالغداة شامى ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله (يريدون وجهه) فالوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته نزلت في الفقراء بلال وصهيب وعمار وأضرابهم حين قال رؤساء المشركين

لو طردت هؤلاء السقا لجالسناك فقال علي السلام ما أباطار المؤمنين فقالوا اجعل لنا بوم لهم وما وطبوا بذلك ابن كنيما فدعا علماء رضى الله عنه لكتب فقام الفقراء وحلوه اماهة فنزلت فمعه عليه الصلاة والسلام العشرة الفاتمة

(وخنم على قلوبكم) فلب العقول والنفوس (من الغيبة التي كنتم بها) بما أخذو خنم عليه من رفع بالابتداء والله خبره وغيره صفة لاله وكذا  
 بانيكم والجملة في موضع مفعول أي أتيتهم وجواب الشرط محذوف (انظر كيف نصراف) لهم (الآيات) نكرها (ثم هم يصدفون) يعرضون  
 عن الآيات بعد ظهورها والصدف الاعراض عن الشيء (قل) (١٧) أرايتكم ان أناكم عذاب الله بقتة)

بان لم تظهر أماراته (أو  
 جهرة) بان ظهرت أماراته  
 وعن الحسن ليلاً وأنهاراً  
 (هل يهلك الا القوم  
 الظالمون) ما يهلك هلاك  
 تعذيب وسخط الا الذين  
 ظالموا أنفسهم بكفرهم  
 بربههم (و ما نرسل المرسلين  
 الا مبشرين ومنذرين)  
 بالجنان والنيران للؤمنين  
 والكفار ولن نرسلهم  
 ليقترح عليهم الآيات بعد  
 وضوح أمرهم بالبراهين  
 القاطعة والادلة الساطعة  
 (فن آمن وأصلح) أي  
 دوام على إيمانه (فلاخوف  
 عليهم ولا هم يحزنون)  
 فلاخوف يعقوب (والذين  
 كذبوا يا أيها الذين  
 يمسهم العذاب) جعل العذاب  
 ماساً كأنه يحى بفعلهم  
 ما يريد من الآلام (بما  
 كانوا يفسقون) بسبب  
 فسقهم وخر وجههم عن  
 طاعة الله تعالى بالكفر  
 (قل لأقول لكم عندي  
 خزائن الله) أي قسمه  
 بين الخلق وأرزاقه  
 وحل (ولا أعلم الغيب)  
 النصب عطفًا على محل  
 عندي خزائن الله لانه من

شيئاً أصلاً (وخنم على قلوبكم) يعني حتى لا تتفقهوا شيئاً أصلاً ولا تعرفوا شيئاً مما تعرفون من أمور الدنيا وأما  
 ذكر هذه الاعضاء الثلاثة لانها أشرف أعضاء الانساء فاذا تعطلت هذه الاعضاء اختل نظام الانسان وفسد  
 أمره وبطلت مصلحته في الدين والدنيا ومقصود هذا الكلام ذكر ما يبدل على وجود الصانع الحكيم المختار  
 وتقديره ان القادر على إيجاد هذه الاعضاء وأخذها هو الله تعالى المستحق للعبادة لا الاصنام التي  
 تعبدونها وهو هو الله تعالى (من الغيبة التي كنتم بها) يعني بانيكم بما أخذ الله منكم لان الضمير في به يعود على  
 معنى النحل ويجوز ان يعود على السمع الذي ذكره أولاً ويندرج تحتها غيره (انظر) الخطاب للنبي صلى الله  
 عليه وسلم ويدخل معه غيره أي انظر يا محمد (كيف نصراف الآيات) يعني كيف نبين لهم العلامات الدالة  
 على التوحيد والنبوة (ثم هم يصدفون) يعني يعرضون عنها مكذبين لها (قل أرايتكم ان أناكم عذاب الله  
 بقتة) يعني جأزة (أو جهرة) يعني ما بينة ترؤنه عند نزوله وقال ابن عباس ليلاً وأنهاراً (هل يهلك الا القوم  
 الظالمون) يعني المشركين لانهم ظلموا أنفسهم بالشرك ﴿ قوله عز وجل ﴾ (و ما نرسل المرسلين الا مبشرين)  
 يعني لمن آمن بالثواب (ومنذرين) يعني ان قلوبهم على كفره بالعقاب والمعنى ليس في ارسالهم أن يأنوا الناس  
 بما يقرحون عليهم من الآيات انما أرسلوا بالبشارة والندارة (فن آمن وأصلح) يعني آمن بهم وأصلح العمل  
 لله (فلاخوف عليهم) يعني حين يخاف أهل النار (ولا هم يحزنون) أي اذا حزن غيرهم (والذين كذبوا  
 بآياتنا يمسهم العذاب) يعني يصيبهم العذاب (بما كانوا يفسقون) يعني بسبب ما كانوا يتكفرون  
 ويخرجون عن الطاعة ﴿ قوله تعالى ﴾ (قل لأقول لكم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل يا محمد  
 لؤلؤ المشركين لأقول لكم (عندي خزائن الله) نزلت حين اقترحوا عليه الآيات فامرهم الله تعالى أن يقول  
 لهم انما بعثت بشيراً وناذراً ولا أقول لكم عندي خزائن الله لجمع خزائنه وهي اسم للمكان الذي يحزن فيه  
 الشيء وخزن الشيء احرازه بحيث لا تناله الايدي والمعنى ليس عندي خزائن رزق الله فاعطيتكم منها ما تريدون  
 لانهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولاً من الله فاطلب من الله أن يوسع علينا عيشنا وبغنى  
 فقرنا فاجابهم أن ذلك بيدي الله لا بيدي (ولا أعلم الغيب) يعني فأخبركم بما مضى وما سيق في المستقبل وذلك  
 أنهم قالوا له أخبرنا بما لنا ومضارنا في المستقبل حتى نستعد له تحصيل المصالح ودفع المضار فاجابهم بقوله ولا  
 أعلم الغيب فأخبركم بما تريدون (ولا أقول لكم اني ملك) وذلك انهم قالوا ما هذا الرسول ياكل الطعام  
 ويمشي في الأسواق ويزوج النساء فاجابهم بقوله ولا أقول لكم اني ملك لان الملك يقدر على ما لا يقدر عليه  
 البشر ويشاهد ما لا يشاهدون فليست أقول شيئاً من ذلك ولا ادعيه فتذكرون قولي وتجدون أمري وانما  
 نفي عن نفسه الشريفة هذه الاشياء تواضعاً لله تعالى واعترافاً بالعبودية وان لا يقتربوا عليه الآيات  
 العظام (ان أتبع الاما بوحى الى) يعني ما أخبركم الاما بوحى من الله أنزله على ومعنى الآية أن النبي صلى الله  
 عليه وسلم أعلمهم انه لا ملك خزائن الله التي منها يرزق ويعطى وانه لا يعلم الغيب فيخبر بما كان وما سيكون  
 وانه ليس بملك حتى يطاع على ما لا يطلع عليه البشر انما يتبع ما يوحى اليه من ربه عز وجل فما أخبر عنه من  
 غيب بوحى الله اليه وظاهر الآية يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يتجهد في شيء من الاحكام بل  
 جميع أوامره ونواهيه انما كانت بوحى من الله اليه (قل هل يستوى الاعمى والبصير) يعني المؤمن والكافر

(٣ - خازن - ثاني) جملة المقول كانه قال لأقول لكم هذا القول ولا هذا القول (ولا أقول لكم اني ملك) أي لا ادعى ما يستبعد  
 في العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وعلم الغيب ودعوى الملكية وانما ادعى ما كان لكثير من البشر وهو النبوة (ان أتبع  
 الاما بوحى الى) أي ما أخبركم الاما بوحى من الله على (قل هل يستوى الاعمى والبصير) مثل لالزال واليه تدى أولن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع

(ولقد أرسلنا إلى أم من قبلك) رسلا فاعقول محذوف فكذبهم (فاخذناهم بالأساء والضراء) باليؤس والضراء والاول القحط والجوع والثاني المرض ونقصان (١٦) الانفس والاموال (لعلهم يتضرعون) يتذللون ويتخضعون لهم

قول الحسن لانه قال وتعرضون عنها اعراض النامى لها ﴿ قوله تعالى (ولقد أرسلنا إلى أم من قبلك) في الآية محذوف والتقدير ولقد أرسلنا إلى أم من قبلك يا محمد رسلا تخالفوهم وكفر واحد حسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامع (فاخذناهم بالأساء) يعني بالفقر الشديد وأصله من اليؤس وهو الشدة والمكروه وقيل الأساء شدة الجوع (والضراء) يعني الامراض والايام والزمالة (لعلهم يتضرعون) يعني يتخضعون ويتوسلون والتضرع التذلل والافتقار وترك التمدد وأصله من الضراعة وهي التلة ومقصود الآية ان الله تعالى أعلم بنبيه صلى الله عليه وسلم انه قد أرسل من قبله رسلا إلى أقوام بالغوا في القوة الى ان أخذوا بالأساء والضراء وهي الشدة في النفس والمال فلم يخضعوا ولم يتضرعوا فنفى تسليته للنبي صلى الله عليه وسلم (فلولا) يعني فهلا (اذ جاءهم باسمنا فضرعوا) معناه في التضرع فلم يتضرعوا (ولكن قست قلوبهم) يعني ولكن غلظت قلوبهم فلم تضرع ولم تخضع بل أقاموا على كفرهم وتكذبهم رسلاهم (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) يعني من الكفر والتكذيب وتزين الشيطان اغواؤه بما في المعصية من اللذة قال ابن عباس يريد من الشيطان الضلالة التي كانوا عليها فاصروا على معاصي الله عز وجل ﴿ قوله عز وجل (فلم تأمنوا ما ذكرناه) أي تركوا ما وعظا به وقيل تركوا العمل بما أمرتهم به الرسل وانما كان النسيان يعني التارك لان التارك للشيء معرض عنه كأنه قد صدر به منزلة ما قد نسي (فتحننا عليهم أبواب كل شيء) يعني بدلتا مكان الأساء الرخاء والسعة في الرزق والعيش ومكان الضراء الصحة والسلامة في الابدان والاجسام وذلك استدراج منه لهم وقيل فتحننا عليهم أبواب كل شيء من الخير كان مغلقا عنهم (حتى اذا فرحوا بما أنووا) يعني فرحوا بما أنووا من السعة والرخاء والصحة في الابدان والمعيشة وظنوا ان ما كان يزل بهم من الشدة لم يكن انتقا ما من الله تعالى فانهم لما فتح الله عليهم ما فتح من الخير والسعة فرحوا به وظنوا ان ذلك باستحقاقهم وهذا فرح بطرك كفر قارون بما أتى من الدنيا (أخذناهم بغتة) يعني جاءهم عدا بئنا جأفة من حيث لا يشعرون قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال اهل المعاني انما أخذوا في حال الرخاء والسلامة ليكون أشد لعصرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية والتصرف في ضرر وبالدلة فاخذناهم في آمن ما كانوا أو يحب ما كانت الدنيا اليهم (فاذا هم مبسورون) أي أسسون من كل خبر وقال الغراء الملبس اليأس المنقطع رجاءه ولذلك يقال لمن يسكت عند انقطاع حجة ولا يكون له جواب قد بلس وقال الزجاج الملبس الشديد الحزن والحسرة وقال أبو عبيدة الملبس النادم الحزين والابلاس هو الاطراق من الحزن والندم روى عتبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله تعالى يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فاما ذلك استدراج ثم فلا تأمنوا ما ذكرناه الآية ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري ﴿ وقوله تعالى (فقطعت دابر القوم الذين ظلموا) أي آخرهم الذي يدبرهم وقال دبر فلان القوم اذا كان آخرهم والمعنى انهم استوفوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية (والجدلة رب العالمين) قال الزجاج جدته نفسه على ان قطع دابرهم واستأصل شافتهم ومعنى هذا ان قطع دابرهم نعمة أتم الله بها على الرسل الذين أرسلوا اليهم فكذبهم فقد كرا لجد لتعليق الرسل وان آمن بهم ليحمدوا الله على كفايته اياهم شر الذين ظلموا وليحمد محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بهم اذ هلك المشركين المكذبين وقيل معناه التناه الكمال والشكر الدائم للتقرب الى الله تعالى (قل أرأيتم) أي قل يا محمد هؤلاء المشركين (ان اخذ الله سمعكم) يعني الذي تسمعون به فاصمكم حتى لا تسمعوا شيئا (وأبصاركم) يعني وأخذنا أبصاركم التي تبصرون بها فاعماكم حتى لا تبصروا

ويتوبون عن ذنوبهم فالتفوس تتخضع عند نزول الشدائد (فلولا اذا جاءهم باسمنا فضرعوا) أي هلا تضرعوا بالتوسل بقرعنا في التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا اذا جاءهم باسمنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الاعتراف (ولكن قست قلوبهم) فلم ينزعروا بما ابتلوا به وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون وصاروا مجبيين باعمالهم التي زينها الشيطان لهم (فلم تأمنوا ما ذكرناه) من البأساء والضراء أي تركوا الاعتنا به ولم يزجرهم (فتحننا عليهم أبواب كل شيء) من الصحة والسعة وصنوف النعمة فتحننا شامى (حتى اذا فرحوا بما أنووا) من الخير والنعمة (أخذناهم بغتة) فاذا هم مبسورون وأسبله لاطراق حزننا ما صابه وأندما على ما فاتته واذل المفاجاة (فقطعت دابر القوم الذين ظلموا) أي اهلكوا عن آخرهم ولم يترك منهم أحد (والجدلة رب العالمين) ائذان بوجوب الجدلة عند هلاك الغالمة وانه



(ما فرطنا) ما تركنا (في الكتاب) في اللوح المحفوظ (من شيء) من ذلك لم نكتبه ولم ثبت ما وجب أن يثبت أو الكتاب القرآن وقوله من شيء أي من شيء يحتاجون إليه فهو مشتمل على ما تعبدت به عبارة وإشارة ودلالة واقتضاء (ثم إلى ربهم يحشرون) يعني الأمم كلها من الدواب والطيور فينصف بعضهم بعضا كما روي أنه يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني نرابا وإنما قال الأأم مع أفراد الدابة والطيور المعنى الاستغراق فيهما وما زاد كرم خلقة وآثار قدرته ما يشهدل بو يته وينادى (١٥) على عظمتهم قال (والذين

كذبوا بآياتنا صم)

لا يسمعون كلام المنبه (وبكم)

لا ينطقون بالحق خاطبون

(في الظلمات) أي طامة

الجهل والخيرة والكفر

غافلون عن تأمل ذلك

والنفسر فيه صم وبكم خبر

الذين ودخول الواو لا يمنع

من ذلك وفي الظلمات خبر

آخر ثم قال إيدانا بأنه فعال

لما يريد (من يشأ الله

يضالله) أي من يشأ الله

ضلاله يضالله (ومن يشأ

يجعله على صراط مستقيم)

وفيه دلالة خلق الأفعال

وارادة المعاصي ونفي

الاصح (قل رأيكم)

وبتليين الهمة مدني

وبتركه على ومعناه هل

علمتم ان الامر كما يقال

لكم فاخبروني بما عندكم

الضمير الثاني لا محل له

من الاعراب والتاء ضمير

الفاعل ومتعلق الاستخبار

مخدوف تقديره رأيكم

(ان أنا كم عذاب الله أو

أتكم الساعة) من تدعون

ثم يكتم بقوله (أغير الله

تدعون) أي أنخصون

أهلتكم بالدعوة فيما هو

مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ان الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهم أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي فان قلت ثبت بالآية والحديث ان الدواب والطيور أمة أم مثالا وهذه المائات لم تحصل من كل الوجوه فيما يظهر لنا فخرج هذه المائات قلت اختلف العلماء في وجه هذه المائات فقيل ان هذه الحيوانات تعرف الله وتوحده وتسبحه وتصلى لهما أنكم تعرفون الله وتوحده وتسبحونه وتصلون له وقيل انها مخلوقة لله كما أنكم مخلوقون لله عز وجل وقيل انها يفهم بعضها عن بعض وبأنف بعضها بعضا كما ان جنس الانس بأنف بعضهم بعضا ويفهم بعضهم عن بعض وقيل أمثالكم في طلب الرزق وتوحي أمثالكم ومعرفة الذكر والانثى وقيل أمثالكم في الخلق والموت والبعث بعد الموت للحساب حتى يقتص للجماء من القرناء وهو قوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) يعني في اللوح المحفوظ لانه يشمل جميع أحوال الخلق وقيل ان المراد بالكتاب القرآن يعني ان القرآن مشتمل على جميع الاحوال (ثم إلى ربهم يحشرون) يعني الدواب والطيور قال ابن عباس حشرها موتها وقال أبو هريرة يحشرون الله الخلق كله يوم القيامة البهائم والدواب والطيور وكل شيء فبدأ للجماء من القرناء ثم يقول كوني نرابا (م) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ﴿ قوله عز وجل ﴾ (والذين كذبوا بآياتنا) يعني بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذبوا بحجج الله وأدلته على توحيد (صم) يعني عن سماع الحق (وبكم) يعني عن المنطق به والمعنى انهم في حال كفرهم وتكذيبهم بمن لا يسمع ولا يتكلم ولهذا شبه الكفار بالموتى لان اللبث لا يسمع ولا يتكلم (في الظلمات) يعني في ظلمات الكفر حائر بين مترددين فيها لا يتدون سبيلا (من يشأ الله يضالله) يعني عن الايمان (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) يعني ومن يشأ يجعله الله على دين الاسلام وفي هذا دليل على ان الهادى والمضل هو الله تعالى فمن أحب هدايته وفقه بفضلها واحسانه للإيمان به ومن أحب ضلاله تركه على كفره وهذا عدل منه لانه تعالى هو الفاعل المختار لا يستل عما يفعل وهم يستلون ﴿ قوله تعالى ﴾ (قل رأيكم) يعني قل يا محمد هؤلاء الكفار الذين تركوا عبادات الله عز وجل وعبدوا غيره من الاصنام أخبروني تقول العرب رأيك بمعنى أخبرنا بحالكم وأصله رأيكم والكاف فيه لثا كيد (ان أنا كم عذاب الله) يعني قبل الموت مثل ما نزل بالام الماضية الكافرة من الفرق والخسف والمسخ والصواعق ونحو ذلك من العذاب (وأأنكم الساعة) يعني القيامة (أغير الله تدعون) يعني في كشف العذاب عنكم (ان كنتم صادقين) يعني في دعواكم ومعنى الآية ان الكفار كانوا اذا نزل بهم شدة وبلاء رجعوا إلى الله بالنصرع والدعاء وتركوا الاصنام فقيل لهم أن رجعون إلى الله في حال الشدة والبلاء ولا تعبدونه ولا تطيعونه في حال اليسر والرخاء (بل اياه تدعون) يعني بل تدعون الله ولا تدعون غيره في كشف ما نزل بكم (فيكشف ما تدعون اليه إن شاء) يعني فيكشف الضر الذي من أجله تدعونه وما تحمقيد الاجابة بالنسبة لثراية للصحة وان كانت الامور كلها مشيئة الله تعالى (وتنسون ما تنسرون) يعني وترتكبون دعاء الاصنام التي تعبدونها فلا تدعونها علمكم انها لا تنفع وقيل معناه انكم في ترككم دعاء الاصنام تغفلون عن قدسها وهذا معنى

عادتكم اذا أصابكم ضرأ تدعون الله تدونها (ان كنتم صادقين) في ان الاصنام ألهة فادعوا هاتخلصكم (بل اياه تدعون) بل تحضونه بالدعاء دون الألهة (فيكشف ما تدعون اليه) أي ما تدعونه الى كشفه (ان شاء) ان أراد ان يفضلكم عليكم (وتنسون ما تنسرون) وتتركون ألهتكم أولاد كرون ألهتكم في ذلك الوقت لان أذهانكم مغمومة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستعجال بقوله أغير الله تدعون كانه قيل رأيكم أغير الله تدعون ان أنا كم عذاب الله

ليسلموا فزّل (وان كان كبر عليك) عظم وشق (اعراضهم) عن الاسلام (فان استطعت أن تدبني ثقفا) منقاداً تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها (في الارض) صفة لنفقا (أوسلماني السماء فتأتيهم) منها (بآية) فافعل وهو جواب فان استطعت وان استطعت وجوابها جواب وان كان (١٤) كبر والمعنى انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وانه لو استطاع أن

يأتيهم بآية من تحت الارض أو من فوق السماء لاتي بها رجاء إيمانهم (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) لجهلهم بحيث يختارون الهدى ولكن لما علم أنهم يختارون الكفر لم يشأن يجمعهم على ذلك كذا قاله الشيخ أبو منصور رحمه الله (فلا تفككون من الجاهلين) من الذين يجهلون ذلك ثم أخبر ان حرصه على هدايتهم لا ينفع لعدم سمعهم كما هو بقوله (انما يستجيب الذين يسمعون) أي انما يجيب دعاءك الذين يسمعون دعاءك بقلوبهم (والموتى) مبتدأ أي الكفار (يبيهم) الله ثم اليه يرجعون) فيجزيهم بأعمالهم (وقالوا) يعني رؤساء كفار قریش (لولا) يعني هلا (نزل عليه آية من ربه) يعني الملك لبشده بالنبوة وقيل الآية المجزة الباهرة كمثل هجرات الانبياء (قل) يعني قل لهم يا محمد (ان الله قادر على أن ينزل آية) يعني أنه تعالى قادر على إيجاد ما يطلبونه وانزال ما تقرحونه من الآيات والمجرات الباهرات (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني ما ذا عليهم في انزالها من العذاب ان لم يؤمنوا بها وقيل معناه انهم لا يعلمون أن الله قادر على انزل الآيات وقيل انهم لا يعلمون وجه الصلح في انزالها (قوله تعالى) (وامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم أمثالكم) قال العلماء جميع ما خلق الله عز وجل لا يخرج عن هاتين الحالتين اما أن يدب على الارض أو يطير في الهواء حتى أخفوا وحيوان الماء باطير لان الحيتان تسبح في الماء كما أن الطير يسبح في الهواء وانما خاص ما في الارض بالذكور دون ما في السماء وان كان ما في السماء مخلوقا له لان الاحتجاج بالمشاهد أظهر وأولى عمالاتها واما ذكر الجناس في قوله بجناحيه للتوكيد كقولك كتبت بيدي ونظرت بعيني الأمم أمثالكم قال مجاهد أي أضاف مصنفه تعرف باسمائهم يريد أن كل جنس من الحيوان أمة فالطير أمة والدواب أمة والسباع أمة تعرف باسمائهم مثل بني آدم يعرفون باسمائهم كالنمل والناس ويدل على أن كل جنس من الدواب أمة ما روى عن عبد الله بن

يأتيهم بآية من تحت الارض أو من فوق السماء لاتي بها رجاء إيمانهم (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) لجهلهم بحيث يختارون الهدى ولكن لما علم أنهم يختارون الكفر لم يشأن يجمعهم على ذلك كذا قاله الشيخ أبو منصور رحمه الله (فلا تفككون من الجاهلين) من الذين يجهلون ذلك ثم أخبر ان حرصه على هدايتهم لا ينفع لعدم سمعهم كما هو بقوله (انما يستجيب الذين يسمعون) أي انما يجيب دعاءك الذين يسمعون دعاءك بقلوبهم (والموتى) مبتدأ أي الكفار (يبيهم) الله ثم اليه يرجعون) فيجزيهم بأعمالهم (وقالوا) يعني رؤساء كفار قریش (لولا) يعني هلا (نزل عليه آية من ربه) يعني الملك لبشده بالنبوة وقيل الآية المجزة الباهرة كمثل هجرات الانبياء (قل) يعني قل لهم يا محمد (ان الله قادر على أن ينزل آية) يعني أنه تعالى قادر على إيجاد ما يطلبونه وانزال ما تقرحونه من الآيات والمجرات الباهرات (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني ما ذا عليهم في انزالها من العذاب ان لم يؤمنوا بها وقيل معناه انهم لا يعلمون أن الله قادر على انزل الآيات وقيل انهم لا يعلمون وجه الصلح في انزالها (قوله تعالى) (وامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم أمثالكم) قال العلماء جميع ما خلق الله عز وجل لا يخرج عن هاتين الحالتين اما أن يدب على الارض أو يطير في الهواء حتى أخفوا وحيوان الماء باطير لان الحيتان تسبح في الماء كما أن الطير يسبح في الهواء وانما خاص ما في الارض بالذكور دون ما في السماء وان كان ما في السماء مخلوقا له لان الاحتجاج بالمشاهد أظهر وأولى عمالاتها واما ذكر الجناس في قوله بجناحيه للتوكيد كقولك كتبت بيدي ونظرت بعيني الأمم أمثالكم قال مجاهد أي أضاف مصنفه تعرف باسمائهم يريد أن كل جنس من الحيوان أمة فالطير أمة والدواب أمة والسباع أمة تعرف باسمائهم مثل بني آدم يعرفون باسمائهم كالنمل والناس ويدل على أن كل جنس من الدواب أمة ما روى عن عبد الله بن

الآية من البلاء أنزل (وامن دابة) هي اسم لما يدب وتقع على الذكر والمؤنث (في الارض) في موضع جرسفة لدابة (ولا طائر يطير بجناحيه) قيد الطيران بالجناحين لئني المجاز لان غير المائر قد يقال فيه طار اذا أسرع (الأمم أمثالكم) في الخلق والموت والبعث والاحتياج الى مدبر يدبر أمرها

مغفل

(والدار) مبتدأ (الآخرة) مفعولها دار الآخرة بلاضافة شامية أى والدار الساعة الآخرة لان الشيء لا يضاف الى صفته وخبر المبتدأ على القراءتين (خبر للذين يتقون) وفيه دليل على ان ماسوى أعمال التقين لعب وطو (أفلا) (١٣) يعقلون) بالثناء وفى وحفص ولما قال

أبو جهل ما تكذب بك يا محمد  
وانك عندنا لمصدق وانما  
تكذب بما جئت به نزل (قد)  
نعلم انه) الهاء ضمير الشأن  
(ليحزنك الذى يقولون  
فانهم لا يكذبونك)  
لا يسنبونك الى الكذب  
وبالتخفيف نافع وعلى من  
أكذبه اذا وجده كاذبا  
(واكن الظالمين بآيات الله  
يجهلون) من اقامة  
الظاهر مقام المضمر وفيه  
دلالة على انهم ظلموا فى  
جحودهم والباء يتعلق  
بجهلون أو بالظالمين  
كقوله فظلموا بها والمعنى  
ان تكذيبك امر راجع  
لى الله لانك رسوله المصدق  
بالمجرات فهم لا يكذبونك  
فى الحقيقة وانما يكذبون  
الله لان تكذيب الرسل  
تكذيب المرسل (واقده)  
كذبت رسل من قبلك)  
تساية لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم وهو دليل على  
ان قوله فانهم لا يكذبونك  
ليس بنفى لتكذبه وانما  
هو من قولك لغلامك اذا  
أهان بعض الناس انهم لم  
يهينوك وانما أهانوكى  
(فصبروا) الصبر حبس  
النفس على المكروه (على)  
ما كذبوا وأوذوا) على

ابن عباس يريد بحياة أهل الشرك والتفاق والقول الثانى ان هذا عام فى حياة المؤمن والكافر لان الانسان  
لا يذنب بالعب واللاهوت عند انقضائه تحصل له الحسرة والندامة لان الذى كان فيه من اللب واللاهوت يسرع الزوال  
لابقائه فبان بهذا التقدير ان المراد بهذه الحياة حياة المؤمن والكافر وانه عام فيهما وانما شبه الحياة الدنيا  
بالعب واللاهوت لمرعة زوالها وقصر عمرها كالشيء الذى يلعب به وقيل معناه ان أمر الدنيا والعمل لها لعب  
وطوقا فاعمل الخير والعمل الصالح فمومن فعل الآخرة وان كان وقوعه فى الدنيا وقيل معناه وما أهل الحياة  
الدنيا الا للعب وهو لانه لا يجدى شيئا ولا تستغاهم عما رباهن بموا الى اللعب واللاهوت وقوله تعالى  
(والدار الآخرة) يعنى الجنة واللام فيه لام القسم تقديره والله لدار الآخرة (خير) يعنى من الدنيا أفضل  
لان الدنيا امر يسهو الزوال والانقطاع (لذين يتقون) يعنى الشرك وقيل يتقون اللعب واللاهوت (أفلا)  
يعقلون) ان الآخرة خير من الدنيا فيعملون لها وقوله تعالى (قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون) يعنى قد  
نعلم يا محمد انه ليحزنك الذى يقول له المشركون لك قال السدى التقي الاخفش بن شريق وأبو جهل بن هشام  
فقال الاخفش لا يجهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس هنا أحد يسمع كلامك  
غيري فقال أبو جهل والله ان محمد اصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنوقصى بالهواء والسقاية  
والحاجة والندوة والنبوة فماذا يكون لسانه شريك فيش فائز الله هذه الآية وقال ناجية بن كعب قال أبو جهل  
لنبي صلى الله عليه وسلم ما تهمك ولا تكذبك ولا كان تكذب الذى جئت به فائز الله هذه الآية عن علي بن  
أبي طالب ان أباهل قال لنبي صلى الله عليه وسلم انك لا تكذبك ولكن تكذب بما جئت به فائز الله فيهم  
فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجهلون أخرجه الترمذى من طريقين وقال فى أحداهما  
وهذا أصح فى هذه الآية تساية للنبي صلى الله عليه وسلم ونعز به عما يواوجه به قومه لانهم كانوا يعتقدون  
صدقه وانه ليس تكاذبا وانما جأهم على تكذبه فى الظاهر الحسد والظلم (فانهم لا يكذبونك) يعنى أنهم  
لا يكذبونك فى السر لانهم قد عرفوا أنك صادق (واكن الظالمين) يعنى الكافرين (بآيات الله  
يجهلون) يعنى فى العلية وذلك أنهم جحدوا القرآن بعدم معرفته صدق الذى أنزل عليه اعتادهم وكفرهم  
كقوله تعالى فى حق غيرهم ويجهلون ما هموا واستبقته انفسهم ظلموا وعلموا وقيل ظاهر الآية يدل على أنهم لم  
يكذبوا محمد صلى الله عليه وسلم وانما جحدوا آيات الله وهى القرآن الدال على صدقه فعلى هذا يكون المعنى  
فانهم لا يكذبونك لانهم قد عرفوا صدقك وانما جحدوا وصحة نبوتك ورسالتك وقوله عز وجل (ولقد  
كذب رسل من قبلك) يعنى ولقد كذبت الامم الخالية رسالهم كما كذبك قومك (فصبروا على ما كذبوا  
وأوذوا) يعنى أن الرسل عليهم السلام صبروا على تكذيب قومهم اياهم وصبروا على أذاهم فاصبر أنت يا محمد  
على تكذيب قومك وأذاهم لك كما صبر من كان قبلك من الرسل وهذه فيه تساية للنبي صلى الله عليه وسلم  
وازالة حزنه على تكذيب قومه له وأذاهم اياه (حتى أتاهم نصرنا) يعنى بهلاك من كذبهم (ولابدل  
لكلمات الله) يعنى ولا نأخذ لما حكم الله به من اهلاك المكذبين ونصر المرسلين كما قال ولقد سبقت كلمتنا  
لعبادنا المرسلين انهم لهم النصرون وان جندنا لهم الغالبون وقال الله تعالى كتب الله لاغلبين أناورسلى ولا  
خلف فيا وعد الله به وقوله تعالى (ولقد جاءك من نبي المرسلين) يعنى ولقد أنزلت عليك فى القرآن من أخبار  
المرسلين ما فيه تساية لك وتسكين لقلبك وقال الاخفش من هائلة كما تقول أصابنا من مطر وقال غيره  
بل هى للتعبير لان الواصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص بعض الانبياء وأخبارهم كما قال تعالى

تكذبهم وايدأتهم (حتى أتاهم نصرنا) لابدل الكلمات الله) لمواعيدهم من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم النصرون انما  
لننصر رسلنا (ولقد جاءك من نبي المرسلين) بعض أنبياءهم وقصصهم وما كابدوا من مصابة المشركين وأجاز الاخفش أن تكون من زائدة  
لفاعل نأسلين وسيدم ولا يجزى بانتهى الواحد كان تكذبا الله صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم وبحجى الآيات

كنتم تكفرون) يكفركم (قد خسروا الذين كذبوا بلفاء الله) ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وهو مجرى - على ظاهره لان منكر البعث منكر للرؤية (حتى) غاية الكذبوا (١٢) لا تخسروا لان خسرتهم لا غاية له (اذا جاءتهم الساعة) أى القيامة لان مدة تأخرها مع

كنتم تكفرون) يعني هذا العذاب بسبب كفركم ووجوبكم البعث بعد الموت ﴿وقوله تعالى﴾ (قد خسر الذين  
كذبوا بآلاء الله) يعني خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم بالله إلى الله تعالى و بالبعث بعد الموت وهذا  
الخسران هو فوق الثواب العظيم في دار النعيم المقيم وحصول العذاب الاليم في دركات الجحيم (حتى اذا  
جاءتهم الساعة بغتة) يعني جاءتهم الساعة فجأة وسميت القيامة ساعة لانها تفتجأ الناس بغتة في ساعة  
لا يعلمها أحد الا الله تبارك وتعالى وقيل سميت ساعة لسرعة الحساب فيها لان حساب الخلائق يوم القيامة  
يكون في ساعة أو أقل من ذلك (قالوا) يعني منكرو البعث وهم كفار قريش ومن سلك سبيلهم في الكفر  
والاعتقاد (يا حسرتنا) يعني يا امدامتنا والحسرة التاليف على الشيء الفائت وذكريت على وجه النداء للمبالغة  
والمراد تنبيه المخاطبين على ما وقع بهم من الحسرة (على ما فرطنا) يعني قصرنا (فيها) يعني في الدنيا لانها  
موضع التفریط في الاعمال الصالحة والمعنى يا حسرتنا على الاعمال الصالحة التي فرطنا فيها في دار الدنيا وقال  
محمد بن جرير الطبري في الهاء والاف في قوله فيها وعلى الصفة ولكن اكتفى بدلالة قوله قد خسر الذين  
كذبوا بآلاء الله عليهم من ذكرها اذ كان مع لوم ان الخسران لا يكون الا في صفقة بيع قد جرى ومعنى  
الآية قد و كس الذين كذبوا بآلاء الله يبيعهم الايمان الذي يستوجبون به رضوان الله و جنته بالكفر الذي  
يستوجبون به سخط الله وعقوبته وهم لا يشعرون بذلك حتى تقوم الساعة فاذا جاءتهم الساعة بغتة ورأوا  
ما لحقهم من الخسران في بيعهم قالوا حينئذ يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وروى الطبري بسنده عن أبي  
سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يا حسرتنا قال يرى أهل النار منازلهم في الجنة فيقولون  
يا حسرتنا وقوله تعالى (وهم يحملون أوزارهم) يعني انقلهم (على ظهورهم) والاوزار الخطايا والذنوب  
وأصل الوزر النقل والحمل يقال وزرته اذا حملته وانما قيل للذنوب أوزار لانها تنقل ظهر من يحملها قال  
قنادة السدي ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيب ريحاً فيقول هل تعرفني  
فيقول لا فيقول أنا مالك الصالح فأركبني فقد طامر لكبتي في الدنيا فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن  
وقد ايعنى ربكنا وأما الكافر فيستقبله أقبح شيء صورة وأقبح ريحاً فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول أنا  
عمالك الخبيث طامر لكبتي في الدنيا فانا اليوم أركبك فذلك معنى قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم  
وقال عمر بن هانئ يحشر مع كل كافر عمله في صورته رجل قبيح كما رأى هول صورته وقبحه زاده خوفاً  
فيقول له بشس الجليس أنت فيقول أنا عمالك طامر لكبتي فلا ركبك اليوم حتى أخزى على رؤس الخلائق  
فربكه و يتخطى به الناس حتى يقف بين يدي ربه تعالى فذلك قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على  
ظهورهم وقال الزجاج الثقيل كما يذ كرفي الوزن فقد يذ كرفي الحال والصفة يقال ثقل على كلام فلان بمعنى  
كرهته فالحق انهم يقاسون من ألم عقاب ذنوبهم بمقاسة تنقل ذلك عليهم فعلى هذا القول يكون قوله وهم  
يحملون أوزارهم على ظهورهم مجازاً عما يقاسونه من شدة العذاب وقيل في معنى الآية ان أوزارهم  
لانزائهم كأنقول لشخصه نصب عيني أي ذكره ملازمي (الاسماء مازيرون) يعني يشس الشيء شيئاً بحملونه  
وقال ابن عباس يشس الجمل جلواؤه لعز وجل (وما الحياة الدنيا الا لابل وهوى) أي باطل وغرور ولبقاء لها  
وهذا فيه رد على منكرو البعث في قولهم ان هي الاحيات الدنيا وما نحن بمبعوثين فقال الله رد عليهم  
ومكذباً لهم وما الحياة الدنيا الا لابل وهوى وهل المراد بهذه الحياة حياة المؤمن أو الكافر قولان أحدهما  
أن المراد بها حياة الكافر لان المؤمن لا يزاد بحياته في الدنيا الا خبراً لانه يحصل في أيام حياته من الاعمال  
الصالحة والطاعة ما يكون سبباً لحصول السعادة في الآخرة وأما الكافر فان كل حياته في الدنيا وبال عليه قال

تأبىء ما بعد هكاساعة  
 واحدة (بغثة) جأه  
 واتصاه على الحال يعنى  
 باغثة أو على المصدر كانه قيل  
 بغتتهم الساعة بغثة وهى  
 ورود الشيء على صاحبه  
 من غير علمه بوقته (قالوا  
 يا حسرتنا) نداء تفجع  
 معناه يا حسرة احضرى  
 فهذا أوانك (على ما فرطنا)  
 قصرنا (فيها) فى الحياة  
 الدنيا أو فى الساعة أى  
 قصرنا فى شأنها وفى  
 الايمان بها (وهم  
 يحملون أوزارهم) آثامهم  
 (على ظهورهم) خص  
 الظاهر لان المعهود حمل  
 الاثقال على الظهور كما  
 عهد الكسب بالأيدي  
 وهو مجاز عن الزوم على  
 وجه لا يفارقهم وقيل ان  
 السكار اذا خرج من قبة  
 سبقه أقبح من صورة  
 وأخبره بما فيقول أنا  
 عمك الذى فطما ركبتى  
 فى الدنيا وأنا أركبك اليوم  
 (الاسماء مازرون) بش  
 شيئاً يحملونه وأقادالا  
 أعظم ما يذكروه (وما  
 لحياة الدنيا الا لعب ولهو)  
 جواب لقولهم ان هى  
 لاجائنا الدنيا واللعب  
 كما منفعه ما لا ينفعه الله

ان

الميل عن الجد الى الهزل قيل ما اهل الحياة الدنيا الا اهل لعب ولهو وقيل ما اعمال الحياة الدنيا

اللاعب وهو لانها لاتعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة

(وان يهلكون) بذلك (الأنفسهم وما يشعرون) أي لا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضررون رسول الله وقيل عني به ابوطالب لانه كان ينهي قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم و ينأى عنه فلا يؤمن به والاول أشبهه (ولوترى) حذف جوابه أي ولوترى لشاهدات امرأعتها (اذوقوا على النار) أروها حتى يعاذوها وحبسوا على الصراط فوق النار (فقالوا) باليتنا نرد الى الدنيا تنموا الرذالى الدنيا لمؤمنوا تم عنهم ثم ابتدوا بقوله (ولا)

(١١)

المؤمنين وواعدين الايمان كلهم قالوا ونحن لانكذب ونؤمن ولا نكذب ونكون حرة وعلى وحفص على جواب التثنية بالواو وباضار أن ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكذب من المؤمنين واقفهما في ونكون شامى (سل) للاضراب عن الوفاء بما تمنوا (بداهلم) ظهر لهم (ما كانوا يخفون) من الناس (من قبل) في الدنيا من قبائهم وفضائحهم في صحفهم وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه أو أهمل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من محبة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولوردوا) الى الدنيا بعد وقوفهم على النار (لعادوا لما هموا عنه) من الكفر (وانهم لكانذوبون) فجاوعدوا من أنفسهم لايوفون به (وقالوا) عطف على لعادوا أى ولوردوا لكفروا ولقالوا (ان هي الاحياتنا

والله لن يصلوا اليك بجمعهم \* حتى أوسدى التراب دفينا فاصدع بامر مارك ماعليك غصاصة \* وابشر بذلك وقرمته عيوننا ودعوتى وعرفت انك ناصحى \* ولقد صدقت وكنت ثم أمينا وعرضت ديننا قد علمت بانه \* من خير أديان البرية ديننا لولا الامامة وأحذار مسببة \* لو جددتني سمحاً بذلك مينا ﴿وقوله تعالى (وان يهلكون الأنفسهم)﴾ يعنى لا يرجع وبال كفرهم وفعالهم الاعليهم (وما يشعرون) يعنى بذلك قوله تعالى (ولوترى اذوقوا على النار) يعنى في النار فوضع على موضع في كقوله على ملك سليمان أى في ملك سليمان وقيل معناه اذعر ضوا على النار وجواب لو محذوف والمعنى ولوترى الكفار الذين يهنون عنك وينأون عنك يا محمد في تلك الحالة لربأت أمر أعجيباً وموقفاً فظيعاً (فقالوا) يعنى الكفار (باليتنا نرد) يعنى الى الدنيا (ولانكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) تمنوا أن يردوا الى الدنيا مرة أخرى حتى يؤمنوا ولا يكذبوا بآيات ربهم فرد الله عليهم ذلك فقال تعالى (بل بداهلم ما كانوا يخفون من قبل) يعنى ليس الامر كما قالوا لوردوا الى الدنيا لا متوابع لظهر لهم ما كانوا يسرون في الدين من الكفر والمعاصي وقيل ظهر لهم ما كانوا يخفون من قولهم والنار بنا كما مشركين أخفوا شرهم وكنتموه فآظهروه الله عليهم حين شهدت عليهم جوارحهم بما كنتموا وسرورهم من شرهم وقيل ظهر لهم ما أخفوا من الكفر فعلى هذا تكون الآية في المنافقين (ولوردوا لعادوا لما هموا عنه وانهم لكانذوبون) يعنى في قولهم لوردوا الى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين (وقالوا ان هي الاحياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) وهذا خبر عن حال منكري البعث وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر الكفار عن أحوال القيامة وأهوالها وما أعد الله في الآخرة من الثواب للمؤمنين والمطيعين وما أعد الله من العقاب للكفار والمعاصين قالوا يعنى الكفار ان هي أى ما هي الاحياتنا الدنيا أى ليس لنا غير هذه الدنيا التي نحن فيها وما نحن بمبعوثين يعنى بعد الموت وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذا خبر من الله عن هؤلاء الكفار الذين وقفوا على النار انهم لوردوا الى الدنيا لقالوا ان هي الاحياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ﴿وقوله عز وجل﴾ (ولوترى اذوقوا على رهم) يعنى على حكم رهم وقضائه ومسلته وقال مقاتل عرضوا على رهم (قال أليس هذا بالحق) أى يقول الله يوم القيامة أليس هذا البعث والنشر بعد الموت الذي كنتم تنكرونه في الدنيا وتكذبون به وتقولون لا بعت ولا نشور حقاً (قالوا بلى وربنا) يعنى انهم اعترفوا بما كانوا ينكرون فاجابوا وقالوا بلى والله انه لخلق وقيل تقول لهم خزنة النار بامر الله أليس هذا بالحق يعنى البعث حقاً فاجابوا بوقولهم بلى وربنا قال ابن عباس للقيامة مواقف يسكرون ويقولون والنار بنا كما مشركين وفي موقف يعرفون بما كانوا ينكرونه في الدنيا (قال فذوقوا العذاب) أى يقول الله لهم ذلك أو اخبره يقول لهم ذلك بامر الله تعالى وانما خص لفظ الذوق لانهم في كل حال يجدون ألم العذاب وجدان الذائق في شدة الاحساس (بما

الدنيا) كما كانوا يقولون قبل معاناة القيامة أو على قوله وانهم لكانذوبون أى وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الاحياتنا الدنيا وهي كناية عن الحياة وهو ضمير القصة (وما نحن بمبعوثين ولوترى اذوقوا على رهم) مجاز عن الجلس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه أو وقفوا على جزاء رهم (قال) جواب لسؤال المقدركاه قيل ما اذا قال لهم رهم اذوقوا عليه فقيل قال (أليس هذا) أى البعث (بالحق) بالكان الكائن الموجود وهذا تعبير لهم على التكذيب للبعث وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث ما هو بحق (قالوا بلى وربنا) أقروا وأكذوا الاقرار باليمين (قال) الله تعالى (فذوقوا العذاب بما

بقولهم ما كنا مشركين قال مجاهد اذ جمع الله الخلق وراى المشركون سعة رحمة الله وشفا عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين قال بعضهم بعضنا نعلم انكم شركاء لنا نتجمعهم اهل التوحيد فاذا قال لهم الله انى شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا والله بنا كنا مشركين فيختم الله على افواههم (١٠) فتشهد عليهم جوارحهم (وصل عنه) وغلب عنهم (ما كانوا يفترون)

على أنفسهم يعنى اعتذارهم بالباطل وتبرؤهم من الاصنام والشرك الذى كانوا عابيه واستعماهم الكذب مثل ما كانوا عليه فى دار الدنيا وذلك لايقتضيه وهو قوله (وصل عنهم) يعنى زال عنهم وذهب (ما كانوا يفترون) يعنى ما كانوا يكذبون وهو قولهم ان الاصنام تشفع لهم وتنصرهم فبطل ذلك كله فى ذلك اليوم ﴿ قوله تعالى (وممنهم من يستمع اليك) الآية قال الكلبى اجتمع اوسفيان صخر بن حرب وابوجهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية وآبنى اخاف والحارث بن عامر يستمعون القرآن فقالوا للنضر يا باقتيبة ما يقول محمد قال ما ادرى ما يقول الا انى اراه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثيرا الحديث عن القرون الماضية واخبارها فقال اوسفيان انى لارى بعض ما يقول حقا فقال ابوجهل كلا لا تهر بشئ من هذا وفى رواية لموت اهلون علينا من هذا فانزل الله تعالى وممنهم من يستمع اليك يعنى الى كلامك وقراءتك يا محمد (وجعلنا على قلوبهم اكنة) يعنى اغطيتهم جمع كنة (ان يفقهوه) يعنى لا يفقهوه واكرهناهم ان يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) يعنى وجعلنا فى آذانهم صمما وتقلوا فى هذا ليدل على ان الله تعالى يقاب القلوب فيشرح بعضها للهدى والايان فتقبله ويحجب بعضها فى اكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن به (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) يعنى كل معجزة من المعجزات الدالة على صدقك لا يؤمنوا بها يعنى لا يصدقوا بها ولا يقرروا انها دالة على صدقك (حتى اذا جاؤك مجادلوك) يعنى انهم اذا راوا الآيات واستمعوا القرآن نجاوا بالمجادلة ويخاصموك لا يؤمنوا بها (يقول الذين كفروا ان هذا) أى ما هذا القرآن (الا اساطير الاولين) يعنى احاديث الاولين من الامم الماضية واخبارهم واقاصيصهم وماسرورايه يعنى وما كتبوا والاساطير جمع اسطورة واسطارة وقيل واحد اسطر واسطار جمع واسطير جمع الجمع فعلى هذا الوقال قائل لم عابوا القرآن وجعلوه اساطير الاولين وقد سطر الاولون فى كتبهم الحكم والعلوم النافعة وما لا يعاب قائله اوجب عنه بانهم ايمانسا بسوا القرآن الى اساطير الاولين يعنى انه ليس بوحى من الله تعالى وانما هو اخبار مجردة كما ترى اخبار الاولين وقيل فى معنى اساطير الاولين انها الترهات وهى عند العرب طرق غامضة ومسالك وعرة مشككة يقول قائلم اخذنا فى الترهات يعنى عد لنا عن الطرق الواضح الى الطريق المشكل الذى لا يعرف فجعلت الترهات مثالا لا يعرف ولا يتضح من الامور المشككة الغامضة التى لا اصل لها ﴿ قوله عز وجل (وهم ينهون عنه) يعنى ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (ويناؤون عنه) يعنى ويتباعدون عنه بانفسهم ترات فى كتابكمكة كانوا ينعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن الاجتماع به وينهونهم عن استماع القرآن وكانوا هم كذلك وقال ابن عباس ترات فى ابنى طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى المشركين عن اذى النبي صلى الله عليه وسلم وينعته منهم وينأى هو بنفسه عن الايمان به يعنى بعد حتى روى انه اجتمع اليه رؤس المشركين وقالوا خذنا بما من اصبحنا وجهه اودع النياح فقل ما اصفقوفى ادفع اليكم انى محمد التقتلوه وارنى لكم انكم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا باطال الى الايمان فقال لولا تعبرى قر يش لا قررت بها عينك ولكن اذب عنك ما حديث وقال فى ذلك آياتا

الهيئة وشفاعته (وممنهم من يستمع اليك) حتى تلو القرآن روى انه اجتمع اوسفيان والوليد والنضر واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والله ما ادرى ما يقول محمد الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثكم عن القرون الماضية فقال اوسفيان انى لاره حقا فقال ابو جهل كلا فترت (وجعلنا على قلوبهم اكنة) اغطيتهم جمع كان وهو الغطاء مثل عنان واعنة (ان يفقهوه) كراهة ان يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) فقلنا نمنع من السمع ووحدا الوقرا لانه مصدر وهو عطف على اكنة وهو حجة لنا فى الاصلح على المعتزلة (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) حتى اذا جاؤك مجادلوك يقول الذين كفروا (حتى هى التى تقع بعدها الجبل والجبله قوله اذا جاؤك يقول الذين كفروا ومجادلونك فى موضوع

الحال ويجوز ان تكون جارة ويكون اذا جاؤك فى موضع الجر يعنى حتى وقت مجيئهم ومجادلونك حال ويقول الذين كفروا وانفسره والمعنى انه بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم بمجادلونك و بنا كرونك وفسر مجادلهم بانهم يقولون (ان هذا) ما القرآن (الا اساطير الاولين) فيجمعون كلام الله اكاذيب رواحد الاساطير اسطورة (وهم) أى المشركون (ينهون عنه) ينهون الناس عن القرآن وعن الرسول واتباعه والايمان به (ويناؤون عنه) ويتبعون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون



(الذين آتيناهم الكتاب) يعني اليهود والنصارى والكتاب التوراة والانجيل (يعرفونه) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت في الكتابين (كإبرفون أبناءهم) بحلاهم ونعوتهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة أهل الكتاب وصحة نبوته ثم قال (الذين خسروا أنفسهم) من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين (فهم لا يؤمنون) (٩) به (ومن أظلم) استفهام يتضمن معنى التثني أى لا أحد أظلم

آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم المراد بالذين أتوا الكتاب علماء اليهود والنصارى الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اناساً انما عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر وأنت تكروا ومعرفة الله عز وجل ان شهادته له كافية على صحة نبوته وبين في هذه الآية انهم يعرفونه وأهم كذبوا في قولهم انهم لا يعرفونه وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وأسلم عبد الله بن سلام قال له عمر بن الخطاب ان الله عز وجل أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بكلمة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله بن سلام يا عمر لقد عرفته حين رأته كما أعرف ابني ولأن أشد معرفة محمد صلى الله عليه وسلم مني باني فقال عمر وكيف ذلك قال أشهد أنه رسول الله حقاً ولا أدري ما يصنع النساء ﷺ وقوله تعالى (الذين خسروا أنفسهم) يعني أهل كلوا أنفسهم وغبنوها وأر بقوها نار جهنم بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الذين خسروا أنفسهم قولان أحدهما انه صفة للذين الأولي ويكون المقصود من ذلك وعيد المعادين الذين يعرفون محمد صلى الله عليه وسلم ويحسدون نبوته وهم كفار أهل الكتابين (فهم لا يؤمنون) يعني به والقول الثاني ان كلمة مبتدأ أول لتعاقبها بالاول وهم كفار مكة الذين لم يؤمنوا وعيد محمد صلى الله عليه وسلم وذكر وفي معنى الخسار وجهين أحدهما انه اهلاك الدائم الذي حصل لهم بسبب كفرهم وانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والوجه الثاني انه جعل لكل واحد من بني آدم منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار فإذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل السكفارات التي في الجنة وجعل للكفار منازل المؤمنين التي في النار فذلك هو الخسار ﷺ قوله تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) يعني ومن أشد عناداً وأخطأ فلا أعظم كفر ممن اختلق على الله كذباً فزعم ان له شريكاً من خلقه والها يعبد من دونه كما قال المشركون من عبدة الاصنام وأدعى ان له صاحبة وولداً كما قالت النصارى (أو كذب بآياته) يعني كذب بحجته واعلام أدلته التي أعطاهم سلكه كذبت اليهود بمجزات الانبياء وقيل معناه أو كذب بآيات القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (انه لا يفلح الظالمون) يعني انه لا يشجع القانون على الله الكذب والمفترين على الله الباطل (ويوم نحشرهم جميعاً) أى اذ كرم يوم نحشر العائدين والمعبودين وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين أشركوا ابن شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) يعني انها تشفع لكم عند ربكم ﷺ قوله عز وجل (ثم لم تكن فتنتهم) يعني قولهم وجوابهم وقال ابن عباس معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سؤالهم بغيره لاظهار ما في قلوبهم قيل له فتنة قال الزاج في قوله لم تكن فتنتهم معنى اطفئ وذلك ان الرجل يفتن بمحبوب ثم تصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه فيقال لم تكن فتنته لا بذلك المحبوب فكذلك الكفار فتنتوا بمحبة الاصنام ثم اراوا العذاب تبر وأمنها بقول الله تبارك وتعالى ثم لم تكن فتنتهم ومحبتهم للاصنام الا أن تبر وأمنها ﷺ وهو قوله تعالى (الأن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وذلك ان اشداهم يوم القيامة مغفرة الله تعالى لاهل التوحيد فيقول بعضهم لبعض تمالوا كنتم الشرك علمنا نتجوعم أهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر ﷺ قال الله تعالى (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) يعني انظر يا محمد بعين البصرة والتأمل الى حال هؤلاء المشركين كيف كذبوا

(٢ - خازن - ثاني) عليه الا لجدودا وبرؤمته والحلف على الانتقام من الذين به أو لم يكن جوابهم الا أن قالوا قسمي فتنة لانه كذب وبرفع الفتنة مكي وشام وحفص فن قرأتك بالتاء ورفع الفتنة فقد جعل الفتنة اسم تكن وأن قالوا الخبر أى لم تكن فتنتهم الا قولهم ومن قرأ بالياء ونصب الفتنة جعل أن قالوا اسم يكن أى لم يكن فتنتهم الا قولهم ومن قرأ بالياء ونصب الفتنة جعل على القائل بنا جزع وقلى على الداء أى ياربنا وغيره ما بالجر على النعت بن اسم الله (انظر يا محمد) كيف كذبوا على أنفسهم



أحدهما أن فاطر تها أي  
ابتدأها (وهو يطعم ولا  
يطعم وهو يرزق ولا يرزق  
أي المنافع كلها من عنده ولا  
يجوز عليه الانتفاع (قل  
أني أمرت أن أكون أول  
من أسلم) لأن النبي سابق  
أتمته في الاسلام كقوله  
وبذلك أمرت وأنا أول  
المسلمين (ولأنكون من  
المشركين) وقيل لم  
لأنكون من المشركين  
ولو عطف على ما قبله لفظا  
لقليل وأن لا يكون والمعنى  
أمرت بالاسلام ونهيت  
عن الشرك (قل أني أخاف  
أن عصيت ربّي عذاب يوم  
عظيم) أي أني أخاف  
عذاب يوم عظيم وهو القيامة  
أن عصيت ربّي فالشرط  
معتض بين الفاعل  
والمفعول به محذوف  
الجواب (من يصرف عنه)  
العذاب (يومئذ فقد رجه)  
الله الرحمة العظمى وهي  
وعلى وأبو بكر أي من  
يصرف الله عنه العذاب  
(وذلك الفوز المبين)  
عسك الله بضر) من مرض  
أوفر وغير ذلك من بلايا  
(فلا كاشف له الا هو) فلا  
قادر على كشفه الا هو

والارض ومبدعها ومبتدعها (وهو يطعم ولا يطعم) يعني وهو يرزق ولا يرزق وصف الله عز وجل نفسه  
بالفني عن الخلق وباحتياج الخلق اليه لان من كان من صفته أن يطعم الخلق لاحتياجهم اليه وهو لا يطعم  
لاستغناؤه سبحانه وتعالى عن الاطعام فهو غني عن الخلق ومن كان كذلك وجب أن يتخذ ربنا ناصرنا  
ووليا ومعبودا (قل اني أمرت أن أكون أول من أسلم) يعني من هذه الامة والاسلام بمعنى الاستسلام يعني  
أمرت أن أسلم لامر الله أو نقاد طاعته (ولأنكون من المشركين) يعني وقيل لي يا محمد لا تسكون من  
المشركين (قل اني أخاف أن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم) يعني قل يا محمد هؤلاء المشركين الذين دعوك إلى  
عبادة غيري أن ربّي أمرني أن أكون أول من أسلم ونهاني عن عبادة ثني سواه وأني أخاف أن عصيت ربّي  
فعمدت شيئا سواه عذاب يوم عظيم وهو عذاب يوم القيامة (من يصرف عنه) يعني العذاب (يومئذ)  
يوم القيامة (فقد رجه) يعني بأن أنجاه من العذاب ومن أنجاه من العذاب فقد رجه وأنا له الثواب للاحالة  
واعاد كرامة مع صرف العذاب لئلا يتوهم أنه صرف العذاب فقط بل تحصل الرحمة مع صرف العذاب  
عنه (وذلك الفوز المبين) يعني أن صرف العذاب وحصول الرحمة هو النجاة والفلاح المبين ﴿قوله تعالى  
(وان يمسك الله بضر) يعني بشدة وبليّة والضر اسم جامع لما ينال الانسان من ألم ومكر وهو غير ذلك مما  
هو في معناه (فلا كاشف له الا هو) يعني فلا يدفع ذلك الضر الا الله عز وجل (وان يمسك بضر) يعني  
بغافية ونعمة والخبر اسم جامع لكل ما ينال الانسان من لذة وفرح وسرور ونحو ذلك (فهو على كل شيء  
قدير) يعني من دفع الضر وجاب الخير وهذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تتخذ وليا سوى  
الله لأنه هو القادر على أن يمسك بضر وهو القادر على دفعه عنك وهو القادر على ابطال الخير اليك وأنه  
لا يقدر على ذلك الا هو فاتخذه وليا وناصر اومعنا وهذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهو عام  
لكل أحد والمعنى وان يمسك الله بضر أيها الانسان فلا كاشف لذلك الضر الا هو وان يمسك بضر أيها  
الانسان فهو على كل شيء قدير من دفع الضر وإبطال الخير عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وما فقال لي يا غلام اني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سالت فاسأل  
الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله  
لك وان اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليكم فرفع الاقلام وجفت الصحف  
أخرجنا الترمذي زاد في رز بن تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وفيه وان استطعت أن تعمل لله  
بالرضا اليقين فاعل فان لم تستطع فاصبر فان الصبر على ما نكره خير كثير واعلم ان النصر مع الصبر والفرج  
مع الكرب وان مع العسر يسرا وان يغلب عسر يسرين قال ابن الاثير وقد جاء نحو هذا أو مثله بطوله في  
مسند أحمد بن حنبل ﴿قوله عز وجل (وهو القاهر فوق عباده) يعني وهو الغالب اعباده القاهر لهم وهم  
مقهورون تحت قدرته والقاهر والقهار الذي يدبر خلقه بما يريد فيقع في ذلك ما يشق عليهم ويثقل  
ويعجز ويحزن ويفقر ويميت وبذل خلقه فلا يستطع أحد من خلقه مردد يردوه والخرج من تحت قهره  
وتقديره وهذا معنى القاهر في صفة الله تعالى لأنه القادر والقاهر الذي لا يجزئه شيء أرادته ومعنى فوق عباده  
هنا أن قهره قد استعلى على خلقه فهم تحت التسخير والتدليل بما عايناهم به من الاقتدار والقهر الذي لا يقدر  
أحد على الخروج منه ولا ينفك عنه فكل من قهر شيئا فهو مستعل عليه بالقهر والغلبة وقال ابن جرير  
الطبري معنى القاهر المتعبد خلقه العالي عليهم وانما قال فوق عباده لأنه تعالى وصف نفسه بقهره اياهم ومن  
صفة كل قاهر شيئا أن يكون مستعليا عليه فمعنى الكلام اذا والله الغالب اعباده المذل لهم العالي عليهم  
بتدليله اياهم فهو فوقهم بقهره اياهم وهم دونه وقيل فوق عباده هو صفة الاستعلاء الذي تفرد به الله

(وان يمسك بضر) من غنى أو صحة (فهو على كل شيء قدير) فهو قادر على ادامته وازالته (وهو القاهر)  
(فوق عماده) خير بعد خبر أي عال عليهم بالقدره والقهر بلوغ المراد بمنع غيره عن بلوغه

تقريرهم أي هوثة لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدر وإن أن قضيه فوامنه شيئا لغيره ( كتب على نفسه الرحمة ) أصل كتب  
أوجب ولكن لا يجوز الاجراء (٦) على ظاهره ألا يجب على الله شيء للعبد فالمراد به أنه وبعد ذلك وعدا

مؤكد أو هو منجزه لا محالة  
وذكر النفس للاختصاص  
ووقع الوسائط ثم أوعدهم  
على اغفالهم النظر  
واشراكهم به من لا يقدر على  
خلق شيء بقوله ( ليجمعنكم  
اليوم القيامة ) فيجازيكم  
على اشراككم ( لا ريب  
فيه ) في اليوم أوفى الجمع  
( الذين خسروا أنفسهم )  
نصب على الذم أي أريد  
الذين خسروا أنفسهم  
باختيارهم الكفر ( فهم  
لا يؤمنون ) وقال الاخفش  
الذين بدل منكم في  
ليجمعنكم أي ليجمعن  
هؤلاء المشركين الذين  
خسروا أنفسهم والوجه  
هو الاول لأن سببه قال  
لا يجوز صررت في المسكين  
ولابل المسكين فتجعل  
المسكين بدلا من الباء أو  
الكاف لانهما في غاية  
الوضوح فلا يحتاجان الى  
البدل والتفسير ( وله )  
عطى على الله ( ما سكن في  
الليل والنهار ) من السكنى  
حتى يتناول الساكن  
والتنحر أو من السكن  
ومعناه ما سكن وتنحر فيهما  
فاكتفى باحد الضدين عن  
الآخر كقولهم تنحرك الحرس  
أي الحرس والبرد وذكر  
السكون لأنه أكثر من الحركة

ان ذلك لله الذي قهر كل شيء ومالك كل شيء واستبعد كل شيء لا لالاصنام التي تعبدونها أنتم فأنها أموات لا تملك  
شيئا ولا تملك انفسها حاضر اولان فاعوانا أمره بالجواب عقب السؤال ليكون باق في التأكيدي كدفي الحجة  
وما بين الله تعالى كمال قدرته ونصرته في سائر مخلوقاته أودفه بكامل رحته وحسانه اليهم فقال تعالى ( كتب  
على نفسه الرحمة ) يعني انه تعالى أوجب وقضى على نفسه الرحمة وهذا استطفاف منه للمؤمنين عنه الى الاقبال  
عليه واخبار بانه رحيم بعباده وأنه لا يجزل بالعقوبة بل يقبل التوبة والانابة عن تاب وأتاب ( ق ) عن أي  
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي  
غلب غضبي وفي البخاري ان الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق ان رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده  
فوق العرش وفي رواية لهما ان الله لما خلق الخلق وعند مسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتاب كتبه على  
نفسه فهو موضوع عنه زاد البخاري على العرش ثم انفق ان رحمتي غلب غضبي ( ق ) عن أي هريرة قال  
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأثر في  
الارض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافر هاعن ولدها خشية أن تصيبه زاد  
البخاري في رواية له ولو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة يئس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي  
عند الله من العذاب ليأمن من العذاب وللسلم ان الله لما ترحم أنزل منهار حمة واحدة بين الجن والاناس  
والبهائم والهوم فيها يتعاطفون وبها يتراحون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر الله تسع وتسعين  
رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ( م ) عن سامان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق  
يوم خلق السموات والارض مائة درجة كل درجة طباق ما بين السماء والارض فجعل منها في الارض درجة فيها  
تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة اكملها هذه الرحمة ( ق )  
عن عمر قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي فاذا امرأة من السبي تبتغي اذا وجدت صبيا في السبي  
أخذته فاهلته بطنها وأرضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترى هذه المرأة طارحة ولدها في  
النار قد اذوا الله وهي تقدر أن لا تطرحه فقال صلى الله عليه وسلم لله ارحم بعباده من هذه المرأة لو بدلهما قوله  
تعالى ( ليجمعنكم ) الا لام في قوله ليجمعنكم لام القسم تقديره والله ليجمعنكم ( الى يوم القيامة ) يعني في يوم  
القيامة وقيل معناه في قبوركم الى يوم القيامة ( لا ريب فيه ) أي لا شك في انه أت ( الذين خسروا أنفسهم )  
يعني بالشرك بالله وأغبنوا أنفسهم باتخاذهم الاصنام فغرضوا أنفسهم لسط الله وأبهم عقابه فكانوا كمن  
خسر شيئا وأصل الخسار الغبن يقال خسرت الرجل اذا غبن في بيعه ( فهم لا يؤمنون ) يعني لما سبق عليهم القضاء  
بالخسران فهو الذي جعلهم على الامتناع من الايمان ﴿ قوله تعالى ( وله ما سكن في الليل والنهار ) يعني وله  
ما استقر وقيل ما سكن وما تنحرك فاكتفى بذلك كذا حددهما عن الآخر وقيل انما خص السكون بالليل والارض  
النعمة فيه أو تر وقال ابن جرير كل ما طعلت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار فيكون المراد  
منه جميع ما حصل في الارض من الدواب والحيوانات والطير وغير ذلك مما في البر والبحر وهذا يفيد الحصر  
والمعنى ان جميع الموجودات ملك لله تعالى لا لغيره ( وهو السميع ) لاقوالهم وأصواتهم ( العلم ) بسرايرهم  
وأحوالهم ﴿ قوله عز وجل ( قل غير الله اتخذوا لوليا ) قال مقاتل لما دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
الى دين أباه أنزل الله هذه الآية فقال قل يا محمد غير الله اتخذوا ليا يعني ربوا ومعبودا وناصرا ومعينا  
وهو استغفاهم ومعناه الانكار أي لا اتخذوا غير الله لوليا ( فاطر السموات والارض ) أي خالق السموات

وهو احتجاج على المشركين لانهم لا ينكرون انه خالق السكون ومدبره ( وهو السميع العليم ) يسمع كل مسموع ويعلم والارض  
كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه اللوان ( قل غير الله اتخذوا لوليا ) ناصرا ومعينا ومعبودا ومفعول ثان لاتخذوا الاول غير وانما أدخل  
ههنا الاستغفاهم على مفعول لاتخذوا لانه لان الاسكار في اتخاذ غير الله لوليا في اتخاذ الولي فكان أحق بالتقديم ( فاطر السموات والارض )

(لقال الذين كفروا ان هذا الاسحرمبين) نعمتوا وعنادالحق بعظهوره (وقالوا لولا هلا (أنزل عليه) على النبي صلى الله عليه وسلم (ملك) يكمانه انه نبي فقال الله (ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر) لقضى أمره هلاكهم (ثم لا ينظرون) لا يهتمون بعد نزوله بطريقة عين لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار أشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة (ولو جعلناه ملكا) ولو (ه) جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون تارة

لولا أنزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة (لجعلناه رجلا) لارسلناه في صورة رجل كما كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعم الأحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم (وللبسنا عليهم ما يلبسون) وقالوا لعلهم يلبسون) يقال لبست الامر على القوم اذا أشبهتهم عليهم وجعلتهم مشكلا وليست عليه الامر اذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى الآية واخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدروا أم ملك هو أم آدمي وقيل في معنى الآية اننا جعلنا الملك في صورة البشر لظنوه بشر افعدوا المسئلة بحالنا لان الرضى برسالة البشر ولو فعل الله عز وجل ذلك صار فعل الله مثل فعلهم في التلبس وانما كان تلبس لانهم يظنون أنه ملك وليس ملك أو يظنون انه بشر وليس هو بشر وانما كان فعلهم تلبس لانهم لبسوا على ضعفهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لئلا نأفهم بشر مثلكم ولو رأوا الملك رجلا لحققهم من اللبس مثل ما خلق بضعفانهم فيكون اللبس نعمة من الله وعقوبة لهم على ما كان منهم من التخليط في السؤال والتلبس على الضعفاء ﴿ قوله عز وجل (ولقد استهزئ برسل من قبلك) يعني كما استهزأوا بك يا محمد وفي هذه الآية تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له عما كان من تكذيب المشركين اياه واستهزائهم به اذ جعل له أسوة في ذلك بالانبياء الذين كانوا قبله (خاق) أي فنزل وقيل لحاط (بالذين سخر وامنهم ما كانوا يستهزئون) والمعنى فنزل العذاب بهم وجب عليهم من النعمة والعذاب جزاء استهزائهم وفي هذه الآية تحذير للمشركين أن يفعلوا بنبينهم كما فعل من كان قبلهم بانبيائهم فينزل بهم مثل ما نزل بهم (قل سير وافي الارض) أي قل يا محمد هؤلاء الاستهزئين سير وافي الارض معتبرين ومتفكرين وقيل هو سير الانعام (ثم انظروا) فعلى القول الاول يكون النظر نظر فكرة وقعية وهو بالبطيرة لا بالبصر وعلى القول الثاني يكون المراد بالنظر نظر العين والمعنى ثم انظروا باعينكم الى آثار الامم الخالية والقرن الماضية السالفة وهو قوله تعالى (كيف كان عقاب المكذبين) يعني كيف كان جزاء المكذبين وكيف أو منهم الكفر والتكذيب اهلاك خسر كفار مكة عذاب الامم الخالية ﴿ قوله عز وجل (قل لمن مافي السموات والارض قل لله) هذا سؤال وجواب والمعنى قل يا محمد هؤلاء المكذبين العادلين بهم بمن ملك مافي السموات والارض فان أجابوك ولا اخافهم

منهم والضمير للرسول والبال مكسورة عند أي عمر وعاصم لالتقاء الساكنين وضما غيرهما اتباعا لصلح التاء (قل سير وافي الارض ثم انظروا كيف كان عقاب المكذبين) والفرق بين فانظروا وبين ثم انظروا ان النظر جعل مسببا عن السير فانظروا فافسكه قيل سير والاجل النظر ولا تسير واسير الغافلين ومعنى سير وافي الارض ثم انظروا الباحة السير في الارض للتجارة وغيره واجبا عن النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك ثم لتباعد ما بين الواجب والمباح (قل لمن مافي السموات والارض) من استفهام وما يعني الذي في موضع الرفع على الابتداء ولن خبره (قل لله)

يعلم سرهم وجههم (و يعلم ما تكسبون) من الخير والشر وينيب عليهم ويعاقب ومن في (وما تأتيهم من آية) للاستغراق وفي (من آياتهم) (من آياتهم) للتبعية أي أو يظهروا لهم دلائل قطن من الأدلة التي يجب فيها النظر والاعتبار (الا كانوا عنها معرضين) تاركين للنظر لا يلتفتون اليه لقلة خوفهم وتدبرهم في العواقب (٤) (فقد كذبوا) مردود على كلام محذوف كأنه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا (بالحق المجاهم)

أي بما هو أعظم آية وأكبرها هو القرآن الذي تحذروا به فيجوز عنه (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا يستهزؤن) أي أنباء الشيء الذي كانوا يستهزؤن وهو القرآن أي أخباره وأحواله يعني سيعلمون بأي شيء استهزؤا وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا أو يوم القيامة أو عند ظهور الاسلام وعلاو كنهه لم يروا يعني المكذبين (كم أهلكتنا من قبلهم من قرن) هو مدة انقضاء أهل كل عصر وهو ثمانون سنة أو سبعون (مكتاهم) في موضع جر صفة لقرن وجع على المعنى (في الارض ما لم نمكن لكم) (في الارض ما لم نعطيهم من القوة وسعة الرزق وكثرة الاتباع أهلكتناهم لما كفروا وطغوا وظلموا فكيف حال من هو أضعف منهم وأقل عددا وعددا وهذا يوجب الاعتبار والانتباه من نوم الغفلة ووقفة الجهالة ﴿ قوله عز وجل (ولوزنا عليك كتابا في قرطاس) الآية قال السكيت ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لدن تؤمن حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعاً بعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسول الله فأنزل الله تعالى هذه الآية ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس يعني من عندي يعني مكتوب في قرطاس وهو الكاغد والصحيفة التي يكتب فيها (فامسوه بأيديهم) يعني فعاينوه ومسوه بأيديهم وانما ذكر اللامس ولم يذكر المعاينة لانه أبلغ في إيقاع العلم

تحت أشجارهم والمعنى عاشوا في الخصب بين الإنهار والثمار وسقيا الغيث المزارع (فأهلكناهم) (ولم يبق منهم) ولم يبق ذلك عنهم شيئا (وأنا نأمن بعدهم قرنا آخرين) بدلا منهم (ولوزنا عليك كتابا) مكتوبا في (قرطاس) في ورق (فامسوه بأيديهم) هولاء كيد للآلة ولوا سكرت أصارنا ومن المحتج عليهم المعنى



ثم رشح عليهم من نوره فمن أحابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأ ضل (ثم الذين كفروا) بعد هذا البيان (بربهم يعدلون) يسأون به  
الأوتان تقول عدات هذا بذاتى ساو يته به والباء في ربهم صلة للعدل لا للكفر وأثم الذين (٣) كفروا برهم يعدلون عنه أى

يعرضون عنه فتكون الباء  
صلة للكفر وصلة يعدلون  
أى عنه محذوفة وعطفتم  
الذين كفروا على الجملة  
على معنى أن الله حقيق  
بالجد على ما خلق لانه ما  
خلفه الا نعمه ثم الذين كفروا  
به يعدلون فيكفرون  
نعمته وأعلى خلق السموات  
على معنى انه خلق ما خلق  
مما لا يقدر عليه أحد سواه  
ثم هم يعدلون به لا يقدر على  
شيء منه ومعنى ثم استبعاد أن  
يعدوا به بعد وضوح آيات  
قدرته (هو الذى خلقكم  
من طين) من لا بداء  
الغاية أى ابتداء خلق  
أصلكم يعنى آدم منه (ثم  
قضى أجلا) أى حكم أجل  
الموت (وأجل مسمى  
عنده) أجل القيامة  
أو الاول ما بين أن تخلق الى  
أن يموت والثانى ما بين  
الموت والبعث وهو البرزخ  
أو الاول النوم والثانى  
الموت أو الثانى هو الاول  
وتقديره وهو أجل مسمى  
أى معلوم وأجل مسمى  
مبتدأ والخبر عنده وقدم  
المبتدأ وان كان نكرة  
والخبر ظرفا وحقه التأخير  
لانه تخصص بالصفة فقارب  
المعرفة (ثم أنتم تموتون)

ومن أخطأ ضل ذكره البغوى بغير سند (ثم الذين كفروا برهم يعدلون) يعنى والذين كفروا بعد هذا  
البيان برهم بشر كون وأصل العدل مساواة الشيء بالشيء والمعنى انهم يعدلون بالله غير الله ويعدلون له عدلا  
من خلقه فيعدون الحجارة مع اقرارهم بان الله خالق السموات والارض وقال النضر بن شميل الباء في قوله  
برهم بمعنى عن أى عن ربهم يعدلون وينحرفون من العدل عن الشيء وقيل دخول ثم في قوله ثم الذين  
كفروا برهم يعدلون دليل على معنى لطيف وهو انه تعالى دل به على انكاره على الكفار العدل به وعلى  
تجيب المؤمنين من ذلك ومثال ذلك أن تقول لرجل أكرمك وأحسنت اليك وأنت تنكرنى وتجبحد  
احسانى اليك فتقول ذلك منكرا عليه ومتعجبا من فعله (قوله له الى) (هو الذى خلقكم من طين) يعنى انه  
تعالى خالق آدم من طين وانما خاطب ذرته بذلك لانه اصلهم وهم من نسله وذلك لما نكر المشركون البعث  
وقالوا من يحيى العظام وهي رميم اعلمهم بهذه الآية انه خلقهم من طين وهو القادر على اعادة خلقهم وبعثهم  
بعد الموت قال السدى لما أراد ان يثبته عز وجل أن يخافى آدم بعث جبريل الى الارض لياثبه بقصة مناهقات  
الارض انى أعوذ بالله منك أن تقبض منى فرجع ولم يأخذ منها شيئا فقال يا رب عاذت بك فيعت الله  
ميكائيل فاستعاذت فرجع فيعت الله ملك الموت فعاذت منه فقال وانا أعوذ بالله أن أخالف امره وأخذ من  
وجهه الارض غلظ الجراء والسوداء والبيضاء فلذلك اختلف أنوان بنى آدم ثم فتحها بالماء العذب والمالح والمر  
فلذلك اختلف أخلاقهم ثم قال الله الملك الموت رحيم جبريل وميكائيل الارض ولم ترجعها لاجرا جعل  
أرواح من أخلق من هذا الطين بيدك عن أبى موسى الأشعرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول ان الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضه من جسع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحر  
والايض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبث والطيب أخرجهما بوداودا الترمذى (وأما قوله  
تعالى (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) فاختلف العلماء في معنى ذلك فقال الحسن وقائدة والضحك  
لأجل الاول من وقت الولادة الى وقت الموت والأجل الثانى من وقت الموت الى البعث وهو البرزخ ويرى  
نحو ذلك عن ابن عباس قال لكل أحد أجلان أجل الى الموت وأجل من الموت الى البعث فان كان الرجل  
برا تقيوا صولا للرحم ز يده من أجل البعث الى أجل العمر وان كان فاحرا قاطعا للرحم نقص من أجل العمر  
وز يده من أجل البعث وذلك قوله واما بعد من عمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب وقال مجاهد وسعيد بن  
جبير الاجل الاول أجل الدنيا والاجل الثانى أجل الآخرة وقيل الاجل هو الوقت المقدر فأجل كل انسان مقدر  
معلوم عند الله لا يزبد ولا ينقص والاجل الثانى هو أجل القيام وهو أيضا معلوم مقدر عند الله لا يعلمه الا الله  
تعالى وقال ابن عباس في رواية عطاء عنه ثم قضى أجلا يعنى النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع عند الانتباه وأجل  
مسمى عنده هو أجل الموت وقيل هما واحد ومعناه ثم قضى أجلا يعنى قدر مدة لاعماركم تنتهون اليها وهو  
أجل مسمى عنده يعنى ان ذلك الاجل عنده لا يعلمه الا هو والمراد بقوله عنده يعنى فى اللوح المحفوظ الذى  
لا يطاع عليه غيره (ثم أنتم تموتون) يعنى ثم أنتم تشكون فى البعث (قوله عز وجل) (وهو الله فى السموات  
وفى الارض) يعنى وهو الله السموات والله الارض وقيل معناه وهو المعبود فى السموات وفى الارض وقال  
تجدد بن جرير الطبري معناه وهو الله فى السموات (يعلم سركم وجهكم) فى الارض وقال الزجاج فيه تقديم  
وتأخير تقديره وهو الله يعلم سركم وجهكم فى السموات وفى الارض وقيل معناه وهو المنفرد بالتدبير فى  
السموات وفى الارض لا شريك له فيهما والمراد بالسر ما يخفيه الانسان فى ضميره فهو من أعمال القلوب

تتكون من الرتبة وتجدلون من المراء ومعنى ثم استبعاد أن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محيىهم وبعثهم وبعثهم (وهو الله) مبتدأ وخبر (فى السموات  
وفى الارض) متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل وهو المعبود فيهما كقوله وهو الذى فى السماء والذى فى الارض وهو المعروف بالالهية فيهما  
أوهو الذى يقال له الله فيهما أو الاول تفريع على انهم تفرعوا على انه غير مشتق (يعلم سركم وجهكم) خبر بعد خبر أو كلام مبتدأ أى وهو

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## ﴿تفسير سورة الانعام﴾

﴿فصل في ذكر نزولها﴾ روى مجاهد عن ابن عباس أن سورة الانعام لما نزل بمكة وهذا قول الحسن وقتادة وجابر بن زيد وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت سورة الانعام جله ليلابكة وحولها سبعون ألف ملك وروى أبو صالح عن ابن عباس قال هي مكية نزلت جلة واحدة نزلت ليلا وكتبوها من ليبتهم غير ست آيات منها فأنها مدينا وهي قوله تعالى قل تعالوا آتوا محرم بكم عليكم إلى آخر الثلاث آيات وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره الآية وقوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء إلى آخر الآيتين وذكر مقاتل نحوه هذا وزاد آيتين وهما قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق الآية وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الآية وروى عن ابن عباس أيضا وقتادة أنهم قالوا لا هي مكية لآيتين نزلتا بالمدينة قوله وما قدروا الله حق قدره وقوله وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات الآية ولما نزلت سورة الانعام ومعها سبعون ألف ملك قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد قال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان رب العظيم سبحان رب العظيم وخرساجدا قال البغوي ورى عن مرفوعا من قرأ سورة الانعام صلى عليه وللك سبعون ألف ملك ليله ونهاره وذكره بغير سند والله سبحانه وتعالى أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿قوله عز وجل﴾ (الجدلة الذي خلق السموات والارض) قال كعب الاحبار هذه الآية أول آية في التوراة وآخر آية في التوراة قوله تعالى وقيل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية وفي رواية عنه ان آخر آية في التوراة آخر سورة هود قال ابن عباس افتتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وخقه بالحمد فقال تعالى وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وفي قوله الحمد لله تعلم لعباده كيف يحمدونه أي قولوا الحمد لله وقال أهل المعاني افظه خبير ومعناه الامر أي اجدوا الله وأما اجاء على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه أبلغ في البيان من حيث انه جمع الامرين ولو قيل اجدوا الله ليجمع الامرين فكان قوله الحمد لله أبلغ وقد تقدم معنى الحمد في تفسير سورة فاتحة الكتاب بما فيه مقنع الذي خلق السموات والارض أي اجدوا الله الذي خلق السموات والارض وأما خصهما بالذكر لانهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد لان السماء بغير عمد ترونها وأما العبر والمنافع والارض مسكن الخلق وفيها أيضا العبر والمنافع (وجعل الظلمات والنور) الجعل هنا بمعنى الخلق أي وخلق الظلمات والنور قال السدي يريد بالظلمات ظلمات الليل والنور نور النهار وقال الحسن يعني بالظلمات الكفر والنور الإيمان وقيل يعني بالظلمات الجهل والنور العلم وقيل الجنة والنار قال قتادة خلق الله السموات قبل الارض وخلق الظلمة قبل النور وخلق الجنة قبل النار وروى عن عبد الله بن عمر بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم أتى عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى

﴿سورة الانعام مكية﴾

وهي مائة وخمس وستون آية كوفي أربع وستون

بصري

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الجدلة) تعلم اللفظ والمعنى

مع تعريض الاستغناء أي

الجدله وان لم تعدوه

(الذي خلق السموات

والارض) جمع السموات

لأنها طباق بعضها فوق

بعض والارض وان كانت

سبعة عند الجمهور فليس

بعضها فوق بعض بل بعضها

موال لبعض جعل يتعدى

إلى مفعول واحد اذا كان

بمعنى أحدث وأنشأ كقوله

(وجعل الظلمات والنور)

والى مفعولين ان كان بمعنى

صير كقوله وجعلوا

الملائكة الذين هم عباد

الرحمن اثنائا وفيه رد قول

التنوية بقدوم النور والظلمة

وأورد النور لارادة الجنس

ولان ظلمة كل شيء تختلف

باختلاف ذلك الشيء نظيره

ظلمة الليل وظلمة البحر

وظلمة الموضوع المظلم بخلاف

كل واحد منها صاحبه والنور

ضرب واحد لا يختلف كما

تختلف الظلمات وقدم

الظلمات لقوله عليه السلام

خلق الله خلقه في ظلمة

الجزء الثاني

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني  
التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة وعلم  
الأئمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاه  
الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي  
الصوفي المعروف بالخازن  
نعمده الله برحمته  
آمين

وقد على هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمدارك التنزيل وحقائق  
التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود  
النفسي عليه سبحانه الرحمة والرضوان

( طبع بمطبعة )

دار الكتب العلمية

على نفقة

( أصحابها مصطفى البابي الحلبي وأخوه بكرى وعيسى )

( بمصر )











PLEASE DO NOT REMOVE  
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

---

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

---

BP	al-Khazin al-Baghdadi, 'Ali ibn
130	Muhammad
.4	Tafsir al-Qur'an al-jalil
K45	
1910	
v.2	

# تفسير الخزان

المسمى

لباب التأويل في معاني التنزيل

مؤلف

الإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم

البغدادي المصري

المعروف

## بالخازن

وبهامشه

## تفسير النسي

المسمى

بمدارك التنزيل وحقائق التأويل

للإمام

أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمد

النسي

أعاد طبعه بالأوفست مكتبة المشق ببغداد

لصاحبها

فارس محمد الرجيب